

التفسير البسيط

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

ت (۴۶۸ هـ)

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي حمزة

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء الثالث عشر

من أول سورة النحل إلى آخر سورة الإسراء

تحقيق

الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار بن صالح هوساوي

من أول سورة الكهف إلى آخر آية (٣١)

تحقيق

الدكتور عبد العزيز بن محمد اليحيى

دقته وتقحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

تُرْكِي بن سَهْوَن بن زَيْد بن العَيْتُون

الأستاذ الدكتور

عَبْدُ الْعَزِيزِ بن سَهْوَن بن زَيْد بن العَيْتُون

٢ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الواحدى، أبو الحسن علي أحمد
التفسير البسيط. / أبو الحسن علي أحمد
الواحدى. - الرياض، ١٤٣٨هـ-٢٥م.
٥٦٠ ص؛ ١٦،٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٠٠-٢٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٠٠-٣٦-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١٣)

١. الواحدى، علي بن أحمد، ت ٤٦٨هـ (المؤلف).
٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سطاتم.
- العتيبي، تركي بن سهو، (تدقيق وتنقيح وضبط).

ديوي: ٣، ٢٢٧ - ٢٠٥٢ / ١٤٣٨

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

نشر وتوزيع العبيكان

المملكة العربية السعودية - الرياض -

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦ + فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦ +

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سطاتم بن عبدالعزيز آل سعود. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير

سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ ، قال ابن عباس : يريد أتى عذابُ الله^(١) ، وقال الحسن وابن جريج أي عقابُه لمن أقام على الإِشراك به والتكذيب لرسوله^(٢) ، وهذا القول في معنى : ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ هاهنا هو اختيار الزَّجَّاج ، قال : ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ : ما وعدهم الله من المجازاة على كفرهم من أصناف العذاب ، واحتج بقوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾ [هود: ٤٠]؛ أي جاء ما وعدناهم به ، وبقوله : ﴿أَتَتْهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾^(٣) [يونس: ٢٤] . وفسر آخرون هذا العذاب ، فقال : هو الأمر بالسيف ، وقالوا : هذا

(١) ورد في تفسير السمرقندي ٢٢٧/٧ ، بنصه ، والثعلبي ١٥٣/٢ ب ، بمعناه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٣٦٥/٨ ، وتنوير المقياس ٢٨٢ .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/٧٥ بمعناه عن ابن جريج ، وورد في تفسير الطوسي ٦/٣٥٨ ، عنهما ، وتفسير الماوردي ٣/١٧٨ ، عن ابن جريج ، وتفسير القرطبي ١٠/٦٥ ، عنهما .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٨٩ ، بنصه .

جواب النضر بن الحارث حين قال : ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢] ، فأنزل الله : ﴿ أَفَنُؤْمِرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾^(١) ؛ أي لا تطلبوه قبل حينه ، وهذا كما تقول لمن يطلب أمراً يستعجل فيه : أتاك الأمر فلا تستعجل .

وقال جماعة من المفسرين : ﴿ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ هاهنا الساعة^(٢) ؛ وذلك أن المكذبين بها استعجلوها ، فقليل لهم : ﴿ أَفَنُؤْمِرُ اللَّهَ ﴾ . قال أبو إسحاق : استبطؤوا^(٣) أمر الله ، فأعلم الله أن ذلك عنده في القرب بمنزلة ما قد أتى ، كما قال : ﴿ أَفَرَبَّيْتِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ ﴾ [القمر: ١] ، وكما قال : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ ﴾^(٤) [النحل: ٧٧] ، وعلى هذا ، إنها قال لما لم يأت بعد أتى ؛ لأنه آت لا محالة ، والعرب إذا ذكرت شيئاً قُرب وقوعه أخرجه مخرج الواجب ، كقوله تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾ [الأعراف: ٤٤] ، وقد مر .

وقوله تعالى : ﴿ سُبْحَنَهُ ﴾ . قال ابن عباس : نزه نفسه^(٥) ، وقال الزجاج : تنزيه له وبراءة من السوء^(٦) ، ﴿ وَتَعَالَى ﴾ ؛ أي ارتفع وتعاظم بأعلى صفات المدح عن أن يكون له شريك ، و(ما) في قوله : ﴿ عَمَّا ﴾ يجوز أن تكون (ما) المصدر ، والتقدير : عن إشراكهم ، والمعنى عن إشراكهم به غيره ، فحذف للعلم ، ويجوز

(١) ورد في تفسير الثعلبي ١٥٣/٢ ب ، بنحوه ، وذكره المؤلف في أسباب النزول له : ٢٨٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٨-٧ .

(٢) ورد في تفسير السمرقندي ٢٢٧/٢ ، بنحوه ، والثعلبي ١٥٣/٢ ب ، بلفظه ، وتفسير الماوردي ١٧٨/٣ ، عن الكلبي ، وانظر : تفسير البغوي ٧/٥ ، عن الكلبي وغيره ، وابن عطية ٨/٣٦٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/٦٦ ، والخازن ٣/١٠٥ ، وأبي حيان ٥/٤٧٢ ، وقال : هو قول الجمهور .

(٣) في (أ) و(د) : (استبطؤوا) ، والمثبت من (ش) ، وهو موافق للمصدر .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٨٩ ، بنصه تقريباً .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٢٨٢ ، وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١/٢٠٠ أ ، وهود الهواري ٢/٣٥٩ ، والسمرقندي ٢/٢٢٨ ، والفخر الرازي ١٩/٢١٨ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٩٠ ، بنحوه .

أن تكون بمعنى الذي؛ أي ارتفع عن الذي أشركوا به^(١)؛ لأنهم ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ .

٢. قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ . روى عطاء عن ابن عباس قال: يريد جبريل وحده^(٢)، وذكرنا في ما تقدم جواز تسمية الواحد باسم الجمع إذا كان ذلك الواحد رئيساً مقدماً، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾^(٣) [آل عمران: ١٧٣] .

وقوله تعالى: ﴿بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ . قال ابن عباس: بالوحي^(٤)، وهو كلام الله، هذا قول الربيع والحسن^(٥)، وهو الاختيار في معنى الروح هاهنا، قال الزَّجَّاج: الروح ما كان فيه من أمر الله حياةً للنفوس بالإرشاد إلى أمر الله^(٦) .

(١) في النسخ جميعها: (أشركهم به)، ولا يستقيم بها المعنى، فلعلها تصحفت عن المثبت، أو التبتت على النسخ بما قبلها .

(٢) انظر: تفسير ابن الجوزي ٤/٤٢٨، والفخر الرازي ١٩/٢١٩، وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١/٢٠٠أ، والسمرقندي ٢/٢٢٨، وفي تنوير المقياس ٢٨٢، قال: «جبريل ومن معه من الملائكة» .

(٣) قال الفرّاء: الناس في هذا الموضع واحد، وهو نعيم بن مسعود الأشجعي، بعثه أبو سفيان وأصحابه، فقالوا: ثبت محمدًا ﷺ أو خوفه حتى لا يلقانا بيد الصغرى، وكان ميعاد بينهم يوم أحد . معاني القرآن للفرّاء ١/٢٤٧، وهو اختيار الزَّجَّاج في معانيه ١/٤٨٩، وانظر: تفسير الزمخشري ١/٢٣١ .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/٧٧، بلفظه، من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، وورد بلفظه في تفسير الماوردي ٣/١٧٨، والطوسي ٦/٣٥٩، وانظر: تفسير ابن عطية ٨/٣٦٨، وابن الجوزي ٤/٤٢٨، وتفسير القرطبي ١٠/٦٧، وأبي حيان ٥/٤٧١، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٢٠٥، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٥) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/٥٣، عن الحسن بلفظ: بالنبوة، وورد في تفسير الماوردي ٣/١٧٨، عن الربيع بن أنس قال: هو القرآن، وعن الحسن أيضاً قال: الرحمة، والطوسي ٦/٣٥٩، عن الربيع قال: كلام الله، وانظر: تفسير ابن عطية ٨/٣٦٨، عن الربيع، وابن الجوزي ٤/٤٢٨، عن الحسن، وتفسير القرطبي ١٠/٦٧، عن الحسن، وأبي حيان ٥/٤٧١، عن الحسن، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٢٠٥، ونسبه إلى ابن أبي حاتم عن الحسن قال: بالنبوة .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٩٠، بنصه .

وقال أبو العباس في هذه الآية وفي قوله: ﴿يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [غافر: ١٥] ، ولقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] هذا كله معناه الوحي^(١) ، سُمِّيَ روحاً لأنه حياةٌ من موت الكفر ، فصار يحيا به الناس ؛ كالروح الذي يحيا^(٢) به الجسد .

وقال أبو عبيدة : الروح هاهنا جبريل^(٣) ، وعلى هذا الباء في بالروح بمعنى (مع) كقولهم : خرج بشيابه ؛ أي ومعه ثيابه ، وركب الأمير بسلاحه ، والأول الوجه ، ومعنى ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ ؛ أي من فعله في الوحي^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ؛ يريد التَّيَّيَّن الذين يختصهم من عباده بالرسالة والوحي بقوله : ﴿أَنْ أُنْذِرُوا﴾ ، قال الزَّجَّاج : ﴿أَنْ﴾ بدل من الروح ، المعنى : ﴿يُزِيلُ الْمَلَكُكَةَ﴾ بأن أنذروا^(٥) .

(١) تهذيب اللغة (روح) ٣/ ١٧٦٨ ، بنصه .

(٢) في النسخ جميعها : (يحي) ، ويستقيم السياق بالمثبت ، وهو موافق لما في المصدر .

(٣) ليس في مجازه ، وورد منسوباً إليه في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٤ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٨/ ٥ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٦٧ ، وهو قول ضعيف جداً ، والصحيح هو الأول كما ذكر .

(٤) قال القاسمي : ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ بيان للروح ، أو حال منه ، أو صفة ، أو متعلق بـ ﴿يُزِيلُ﴾ ، وقال الفخر الرازي : وقوله : ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ إن ذلك التنزيل ، والنزول لا يكون إلا بأمر الله تعالى ، ونظيره قوله تعالى : ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤] ونحوها ، فكل هذه الآيات دالة على أنهم لا يقدمون على عمل من الأعمال إلا بأمر الله تعالى وإذنه . انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٢٠ ، والقاسمي ١٠/ ٧٨ .

(٥) هذا المقطع ليس في معانيه ، فلعله ساقط من النسخة المتداولة ، بدليل أن النحاس قد نسبته إليه في إعرابه ٢/ ٣٩١ ، وقال بهذا مكى في مشكل الإعراب ٢/ ١٢ ، والزخشري في تفسيره ٢/ ٣٢١ ، وابن الأنباري في البيان في غريب الإعراب ٢/ ٧٥ ، والمتنجب في الفريد ٣/ ٢١٤ .

والمعنى : أنذروا أهل الكفر بأنه لا إله إلا أنا؛ أي مروهم بتوحيدي وأن لا يشركوا بي شيئاً^(١) ، والخطاب للنبيين المعنيين بقوله : ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ، وهذا يدل أن معنى الروح هاهنا الوحي ، إذا بُدِّلَ منه الإنذار ، ومعنى إنذارهم بأنه لا إله إلا هو إعلامهم بذلك مع تخويفهم لو لم يقرؤا ، ثم ذكر ما يدل على توحيده ، فقال : ٣. ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ . ومعنى هذا مذكور في قوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣] .

وقوله تعالى : ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ذكرنا معناه آنفاً^(٢) .

٤. وقوله تعالى : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ، قال أبو إسحاق : اختصر هاهنا ، وذكر تقلب أحوال الإنسان في غير مكان من القرآن^(٣) .

قال ابن عباس : يريد إني خلقت ، قال المفسرون : نزلت هذه الآية والتي في آخر سورة يس : ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [يس: ٧٧] في قصة أبي بن خلف وإنكاره البعث^(٤) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٠ ، بنصه .

(٢) في سورة الأعراف : الآية [١٩٠] .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٠ ، بنصه .

(٤) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٠ ، والسمرقندي ٢/ ٢٢٨ ، والثعلبي ٢/ ١٥٤ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٧٩ ، عن الكلبي ، وأورده المؤلف في أسباب النزول ٢٨٥ ، بلا سند ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٩ ، والزمخشري ٢/ ٣٢١ ، وابن عطية ٨/ ٣٧٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٢٨ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٦٨ ، وتفسير الخازن ٣/ ١٠٦ .

ولا خلاف أن آية (يس) لها سبب نزول ثابت ، وإن اختلف في من نزلت ؛ في أبي بن خلف ، أم العاص بن وائل ، والصحيح أنها نزلت في العاص بن وائل . انظر : المستدرک للحاكم ٢/ ٤٢٩ ، وصححه . لكن هذه الآية ليس لها سبب نزول مسند ، وهو شرط في إثبات أسباب النزول ، ويكفي لرد هذه الدعوى أنه ورد من طريق الكلبي وحاله معروف ، وتشابه الآيتين لا يسوغ إثبات نزول إحداهما للأخرى ، إلا إذا لم يقصد بإطلاق لفظ نزلت هذه الآية المعنى الاصطلاحي لأسباب النزول ، وأريد التوسع في اللفظ كما فعلوا في النسخ .

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ ، الخصيم بمعنى المخاصم ، ذكرنا ذلك عند قوله: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥] ، هذا قول أهل اللغة .

قالوا : خصيمك الذي يخاصمك ، وفعل بمعنى مُفَاعَل معروف ، كالنسيب بمعنى المناسب ، والعشير بمعنى المعاشر ، والأكيل والشريب ، ويجوز أن يكون خصيم فاعلاً من خَصِمَ يَخْصِم بمعنى اختصم ، وبه قرأ حمزة^(١) قوله: ﴿تَأْخُذْهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾^(٢) [يس: ٤٩] .

وقوله تعالى: ﴿مُبِينٌ﴾؛ أي ظاهر ، ومعناه : ظاهر الخصومة ، ويجوز أن يكون مبين؛ أي يبين عن نفسه الخصومة بالباطل ، وذكر أهل المعاني لهذه الآية معنيين؛ أحدهما : أنه عرّفنا قدرته في إخراجهم من النطقة ما هذه حاله وصفته ، والثاني : أنه ذكر فاحش ما ارتكب من تضييع حق نعمة الله بالخصومة في الكفر به^(٣) .

٥ . قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا﴾؛ يعني الإبل والبقر والغنم ، وتم الكلام ، ثم ابتداء فقال: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ ، ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله: ﴿لَكُمْ﴾ ، ثم يتدئ فيقول: ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ .

قال صاحب النظم : أحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله: ﴿خَلَقَهَا﴾؛ لقوله في النسق على ما قبلها: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾^(٤) .

(١) قرأ حمزة : (يَخْصِمُونَ) ساكنة الخاء خفيفة الصاد . انظر : السبعة ٥٤١ ، والمبسوط في القراءات ٣١٢ ، وتلخيص العبارات ١٤١ ، وقال في شرح الهداية ٤٨٦/٢ ، ومن قرأ : (يَخْصِمُونَ) فالمعنى : يخصم بعضهم بعضاً .

(٢) نقل الفخر الرازي هذا المقطع بنصه ونسبه إلى الواحدي . تفسير الرازي ٢٢٦/١٩ .

(٣) ورد بنحوه في تفسير الماوردي ١٧٩/٣ ، عن الحسن ، والطوسي ٣٦١/٦ .

(٤) أي أنه نسق ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ على ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ ، ولو وقف على ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ لتعذر هذا العطف . وقد نقل الفخر الرازي ٢٢٧/١٩ ، والخازن ١٠٦/٣ ، قول صاحب النظم ، وعزياه إلى الواحدي رحمه الله .

وأما الدَفءُ ، فقال الفَرَّاءُ وجميع أهل اللغة : هو ما انتفع به من أوبارها وأشعارها وأصوافها ، أراد ما يلبسون منها ويبتنون^(١) ، فالدَفءُ عند أهل اللغة : ما يُستدْفَأُ به من الأكسية والأبنية^(٢) ، قال الأصمعي : ويكون الدَفءُ السخونة ، يقال : اقعد في دَفءٍ هذا الحائط؛ أي في كَنِّه^(٣) ، وقال الفَرَّاءُ في المصادر : يقال للرجل : دَفَيْتَ فأنت تدَفَأُ دَفْأً ، ساكنة الفاء مفتوحة الدال ، ودَفْأً بالكسر والمد ، وزاد غيرُه دَفَاءً ودَفَاءً .

وروى الحرَّاني عن ابن السَّكِّيت : يقال : هذا رجل دَفَأَنَ وامرأة دَفْأى ، ويوم دَفِيءٌ وليلة دَفِيَّةٌ ، وكذلك بيت دَفِيءٍ ، وغرفة دَفِيَّةٌ ، على فَعِيلٍ وفَعِيلَةٍ ، وما كان الرجل دَفَأَنَ ، ولقد دَفَيْتُ ، وما كان البيت دَفِنًا ، ولقد دَفَفْتُ^(٤) . الفَرَّاءُ : دَفَوْتُ ليلَتنا ويومنا دَفَاءً ، ويقال : أدَفَاهُ فَدَفَيْتُ^(٥) ، وإبل مُدْفِئَةٌ : كثيرة؛ لأن بعضها يُدْفِئُ بعضاً بأنفاسها^(٦) ، وإبل مُدْفَاءَةٌ ومدفآت : كثيرات الأوبار^(٧) ، قال الشماخ :

وكيف يضيغُ صاحبُ مُدْفَاتٍ على أثباجِهِنَّ مِنَ الصَّقِيعِ^(٨)

(١) معاني القرآن للفَرَّاءِ ٩٦/٢ ، مختصراً ، وورد بنصه في تهذيب اللغة (دَفَأَ) ١٢٠٣/٢ ، وهذا يؤكد نقله من

التهذيب لا المعاني ، وانظر : مقاييس اللغة (دَفَأَ) ٢٨٧/٢ ، والصحاح ٥٠/١ ، واللسان ١٣٩٣/٣ .

(٢) انظر : المحيط في اللغة (دَفَأَ) ٣٦٩/٩ ، ومقاييس اللغة ٢٨٧/٢ ، والصحاح ٥٠/١ ، واللسان ١٣٩٣/٣ ، وعمدة الحفاظ ١٣/٢ .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (دَفَأَ) ١٢٠/٣ ، بنصه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٢٧/١٩ .

(٤) لم أجده في الإصحاح ، وورد في تهذيب اللغة (دَفَأَ) ١٢٠٣/٢ ، بنصه . وانظر : اللسان (دَفَأَ) ١٣٩٣/٣ .

(٥) لم أجده في معانيه .

(٦) ورد في الإصحاح ٣٧٩ ، بنحوه ، والتهذيب (دَفَأَ) ١٢٠٣/٢ ، بنصه ، وانظر : مقاييس اللغة (دَفَأَ) ٢٨٧/٢ ، واللسان ١٣٩٣/٣ .

(٧) وهو قول الأصمعي كما في التهذيب (دَفَأَ) ١٢٠٣/٢ ، وقال نحوه ابن السَّكِّيت في الإصحاح ٣٧٩ ، وانظر : المحيط في اللغة (دَفَأَ) ٣٦٩/٩ ، واللسان ١٣٩٣/٣ ، والتاج ١٥٣/١ .

(٨) ديوان الشماخ ٢٢٠ ، وفيه : (مُدْفَاتٌ) ، وورد في إصحاح المنطق ٣٧٩ ، والمعاني الكبير ٤٢٩/١ ،

وجمهرة اللغة ١٣١٣/٣ ، والأضداد لابن الأنباري ٦٦ ، وأمالي القالي ١٠٦/١ ، وتهذيب إصحاح =

ونحو هذا قال عامة المفسرين في الدفء^(١)، إلا ما روي عن ابن عباس من طريق عكرمة: ﴿لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْفَعٌ﴾. قال: النسل^(٢)، وروى الأزهري عن ابن هاجك^(٣) بإسناده عن ابن عباس: ﴿لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ﴾ قال: نسل كل دابة^(٤).

قال^(٥) الأزهري: وهذا يوافق قول الأموي^(٦)، روى أبو عبيد عنه: الدفء^(٧) عند العرب: نتاج الإبل وألبانها والانتفاع بها^(٨)، قال الفراء: وكتبت

المنطق ٧٨١، وأساس البلاغة ١/ ٢٧٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ٦٩، واللسان (دفا) ٣/ ١٣٩٣، (ثبج) ١/ ٤٦٨، (ضيع) ٥/ ٢٦٢٥، والتاج (دفا) ١/ ١٥٣. أثباجهن: جمع ثبج، وهو الوسط، قال الأصمعي: ثبج كل شيء: وسطه. الصقيع: البرد والندى، ويقال: الجليد. والشاعر يمدح إبله أنها لن تهلك من البرد؛ لأن أوساطها مغطاة بوبر كثير يقيها البرد.

(١) انظر: تفسير مقاتل ١/ ٢٠٠ ب، والطبري ١٤/ ٧٨-٧٩، والسمرقندي ٢/ ٢٢٨، وهود الهواري ٢/ ٣٦٠، والثعلبي ٢/ ١٥٤، والماوردي ٣/ ١٧٨، والطوسي ٦/ ٣٦١.

(٢) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٥٤، وتفسير الماوردي ٣/ ١٧٩، وقد روي عن ابن عباس تفسيرها بتفسير العامة، أخرجه الطبري ١٤/ ٧٩ بروايات عدة، وانظر: تنوير المقباس ٢٨٢، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٠٦، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، ولذلك حمل النحاس تفسير ابن عباس: بالنسل، على المنافع لا الدفء، مع أن قوله التالي الذي رواه عنه ابن هاجك يؤكد تفسيره لـ﴿دَفٌّ﴾ بالنسل.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه في التهذيب، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٣، بنصه، والطبري ١٤/ ٧٩، بنصه من طريق عكرمة جيدة، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٨، وتفسير القرطبي ١٠/ ٧٠، وانظر: اللسان (دفا) ٣/ ١٣٩٣، وعمدة الحفاظ ٢/ ١٣، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٠٦، وزاد نسبته إلى الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) (قال) ساقط من (ش) و(ع).

(٦) أبو محمد، عبدالله بن سعيد الأموي اللغوي، لقى العلماء، ودخل البادية، وأخذ عن فصحاء الأعراب، وأخذ عنه العلماء مثل أبي عبيد، وأكثروا في كتبهم، كان حافظاً للأخبار والشعر وأيام العرب، وكان ثقة في نقله، من كتبه: النوادر، ورحل البيت. انظر: طبقات النحويين والبلاغيين ١٩٣، وإنباه الرواة ٢/ ١٢٠، والبلغة ٣٠٩، والبلغة ٢/ ٤٣.

(٧) في النسخ جميعها: (الدف)، والمثبت موافق للمصادر جميعها.

(٨) لم أجده في غريبه، وورد في تهذيب اللغة (فاد) ٢/ ١٢٠٣، بنصه، وانظر: مقاييس اللغة (دفا) ٢/ ٢٨٧، واللسان ٣/ ١٣٩٣، وعمدة الحفاظ ٢/ ١٣.

دفع بغير همز؛ لأن الهمزة إذا سَكَن ما قبلها حُذفت من الكتاب؛ وذلك لخفاء الهمزة إذا سُكِّت^(١) عليها، فلما سَكَن ما قبلها ولم يَقْدِرُوا على هَمْزِها في السَّكْتِ، كان سكوتهم كأنه على الفاء، وكذلك قوله: ﴿يُخْرِجُ الْخَبَاءَ﴾ [النمل: ٢٥] و﴿مِلْءُ الْأَرْضِ﴾^(٢) [آل عمران: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْفَعُ﴾ يعني النسل والدَّر والركوب، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾. قال ابن عباس: يريد من لحومها^(٣).

٦. قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾؛ أي زينة، كما قال: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، والمال ليس يخص الورق والعين، وأكثر مال العرب الإبل، كما أن أكثر أموال أهل البصرة النخل.

وقوله تعالى: ﴿حِينَ تَرْمِيْنَ﴾، الإراحة: ردُّ الإبل بالعشي إلى مُراحِها حيث تأوي إليه ليلاً^(٤)، قال ابن عباس: يريد حينَ خروج العرب أيام الربيع بالماشية إلى الخِصْب، يعني أن الإراحة أكثر ما تكون أيام الربيع إذا سقط الغيث، وكثر الكَلأ، وخرجت العرب للنجعة، وتركت مياهاها، وأحسن ما تكون النعم في ذلك الوقت^(٥)، ولذلك ستر رسولُ الله ﷺ وجهه لِمَا رَأَى نَعَمَ بني المصطلق، وقد عَبَسَتْ في أبوها، وذكرنا هذا في آخر سورة الحجر.

(١) في النسخ جميعها: (سكتت)، والصحيح المثبت، وهو موافق للمصدر، وبه يستقيم الكلام.

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٩٦/٣، بنصه.

(٣) ورد غير منسوب في تفسير مقاتل ٢٠٠/١، والسمرقندي ٢٢٨/٢، والثعلبي ١٥٤/٢، والبيهقي ٩/٥.

(٤) تهذيب اللغة (راح) ١٣٠٩/٢، بنصه، وهو قول الليث، وانظر: تفسير الطبري ٨٠/١٤، ومعاني القرآن للنحاس ٥٥/٤، وتفسير الفخر الرازي ٢٢٨/١٩، واللسان (روح) ١٧٧٠/١.

(٥) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٢٨/١٩، والخازن ١٠٧/٣، وأورداه بنصه غير منسوب، والظاهر أنها نقله عن الواحدي.

وقوله تعالى: ﴿وَحِينَ سَرَحُونَ﴾ . يقال: سَرَحَ القومُ إِبْلَهُمْ سَرَحاً إذا أخرجوها بالغداة إلى المَرَعَى ، واسم ذلك المال السَّرْحُ ، وسَرَحَ المالُ نفسه سُرُوحاً: رَعَى بالغداة^(١) .

٧. قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ﴾ جمع الثقل ، وهو متاع المسافرين وحشْمُهُ ، ﴿إِلَى بَلَدٍ لَّمَّ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا شِقَّ الْأَنْفُسِ﴾ . قال ابن عباس: يريد من مكة إلى اليمن ، وإلى الشام ، وإلى مصر^(٢) ، هذا قوله ، والمراد: كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير الإبل شق عليكم^(٣) ، وخص ابن عباس اليمن والشام؛ لأن متاجر أهل مكة كانت إلى هذه الوجوه ، وليس قول من خص البلد بمكة بشيء^(٤) ، والشَّقُّ المَشَقَّةُ ، والشَّقُّ: نصفُ الشيء ، وكلا المعنيين في الشق سائغ في معنى الآية ، ذكرهما الفراء ، وقال: أكثر القراء على كسر الشين^(٥) ، ومعناه إلا بجهد النفس ، وكأنه الاسم ، وكأن الشَّقَّ فعلٌ ، قال: ويجوز في قوله:

-
- (١) تهذيب اللغة (سرح) ١٦٦٥/٢ ، بتصرف ، وانظر: تفسير الطبري ٨٠/١٤ .
- (٢) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٢٨/١٩ ، مع زيادة المدينة ، والخازن ١٠٧/٣ ، والألوسي ١٠٠/١٤ ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢٢٩/٢ ، والشوكاني ٢١٢/٣ .
- (٣) أخرجه الطبري ٨٠/١٤ ، بنحوه ، عن عكرمة ، وانظر: تفسير الماوردي ١٨٠/٣ ، وابن الجوزي ٤٣٠/٤ .
- (٤) وهو ابن عباس والربيع بن أنس وعكرمة ، وقد أخرجه الطبري ٨٠/١٤ عن عكرمة ، وورد في تفسير السمرقندي ٢٢٩/٢ ، عن عكرمة ، وابن عطية ٣٧٣/٨ ، عنهم ، وابن الجوزي ٤٣٠/٤ عن عكرمة ، وتفسير القرطبي ٧١/١٠ ، عن عكرمة ، وأبي حيان ٤٧٦/٥ ، عنهم ، وتنوير المقباس ٢٨٢ ، وأورده السيوطي في الصدر المنشور ٢٠٦/٤ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر عن ابن عباس ، وصديق خان ٢١٠/٧ ، عن ابن عباس ، والصحيح حملة على العموم؛ لعدم وجود مخصص ، كما أشار الواحدي رحمه الله .
- (٥) قرأ أبو جعفر المدني وحده في العشر بفتح الشين . انظر: تفسير الطبري ٨١/١٤ ، والقراءات الشاذة لابن خالويه ٧٦ ، والمحتسب ٧/٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٣ ، وإعراب القراءات الشاذة ٧٥٦/١ ، والنشر ٣٠٢/٢ .

﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ أن يذهب إلى أن الجَهْدَ يُنْقِصُ من قوة الرجل ونَفْسِهِ حتى يجعله قد ذهب بالنصف من بدنه أو قوته ، فيكون الكسر على أنه كالنصف ، ويقال : المال بيني وبينكم بِشَقِّ الشعر ، وشَقُّ الشعر ، وهما متقاربان ، فإذا قالوا : شَقَقْتُ عَلَيْكَ شَقًّا ، نصبوا^(١) .

وقال في المصادر : شَقَقْتُ عَلَيْهِ شَقًّا ، وشَقَّ الصبح ، وشَقَّ بابه إذا طلع ، شَقُوقًا مِنْهَا ، وشَقَقْتُ الثوبَ شَقًّا لَا غَيْرَ .

قال ابن شميل : شَقَّ عَلَيَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ مَشَقَّةً ؛ أَي ثَقُلَ عَلَيَّ^(٢) ، فجاء من هذا أَنَّ الشَّقَّ بِالْفَتْحِ مصدر شَقَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ ؛ أَي أَثْقَلَهُ عَلَيْهِ ، ومنه قوله ﷺ : «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي»^(٣) ، شَقَّ الْأَمْرُ عَلَيْهِ مَشَقَّةً ، فهو واقع ومطاوع^(٤) ، والشق : الاسم منه ، وشَقَّ الشَّيْءَ شَقًّا ، وشَقَّ بِنَفْسِهِ شَقُوقًا .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ لَرَّوُفٌ رَحِيمٌ﴾ يريد أنه مَنْ عَلَيْكُمْ وَتَفَضَّلَ بِإِنْعَامِهِ بِالنِّعَمِ الَّتِي لَكُمْ فِيهَا هَذِهِ الْمَنَافِعُ وَالْمَرَافِقُ^(٥) .

(١) معاني القرآن للقرّاء ٩٧/٢ ، بتصرف يسير ، وورد في تهذيب اللغة (شق) ١٩٠٦/٢ ، بنحوه .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (شق) ١٩٠٦/٢ ، بنصه .

(٣) أخرجه أحمد (٢/٢٥٠ ، ٢٨٧) بنصه عن أبي هريرة ، والبخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : السواك يوم الجمعة ، ومسلم ، كتاب : الطهارة ، باب : السواك ١/٢٢٠ ، وأبو داود ٤٦ ، كتاب : الطهارة ، باب : السواك ١/١١ ، والترمذي ٢٢ ، كتاب : الطهارة ، باب : ما جاء في السواك ٩/١ ، والنسائي ، كتاب : الطهارة ، باب : الرخصة في السواك بالعشي للصائم ٤/١ ، ومعجم الطبراني الكبير ٥/٢٤٣ ، ٢٤٤ ، وأورده الهيثمي في المجمع ١/٢٢١ ، وورد في تهذيب اللغة (شق) ١٩٠٦/٢ .

(٤) الوقوع في اصطلاح النحويين : التعدي ، والمطاوعة : هو الفعل المتعدي الذي يصير لازماً إذا تحوّل إلى صيغة (انفعل) مثل : كَسَرَ الْوَلَدُ الزَّجَاجَ ، تقول : انكسر الزَّجَاجُ . انظر : المعجم المفصل في النحو العربي ١٠١٢/٢ ، ١١٨٩ .

(٥) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/٤٣١ .

٨. قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾. قال الفرّاء: نُصِبَتْ ﴿وَزِينَةً﴾ على: وجعلها زينة، مثل قوله: ﴿وَزِينًا لِّلْأَسْمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْدِيعٍ وَحَفْظًا﴾^(١) [فصلت: ١٢] المعنى: وحفظناها حفظاً، ولو لم يكن في (الزينة) ولا في ﴿وَحَفْظًا﴾ واوٌ لنصبها بالفعل الذي قبلها لا بالإضمار، ومثله: أعطيتك درهماً ورغبة في الأجر، المعنى أعطيتك^(٢) رغبةً، فلو أُلقيت الواو لم يحتج إلى ضمير؛ لأنه متصل بالفعل الذي قبله^(٣)، وقال أبو إسحاق: نُصِبَتْ ﴿وَزِينَةً﴾ على أنها مفعول لها، المعنى: وخلقها للزينة^(٤).

قال أصحابنا: والآية لا تدل على تحريم لحوم الخيل، وإن ذكرت البغال والحمير؛ لأن القصد بهذه الآية بيان إباحة الركوب وإظهار المنّة بأن خلق لنا من الحيوان ما نقضي عليه حوائجنا ونتجمل به، وكيف تدل على تحريمها والسورة مكية؟ ولحوم الحمير الأهلية حُرِّمت عام خيبر^(٥)، فلو دَلَّتْ على تحريم لحم الخيل

(١) الآية التي أورد الفرّاء غير هذه، وهي: ﴿وَحَفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ﴾ [الصفات: ٧].

(٢) في النسخ جميعها: «أعطيتك هو» بزيادة ضمير الفصل، وأدى إلى اضطراب المعنى، والتصويب من المصدر.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٩٧/٢، بتصرف يسير.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٩٢/٣، بنحوه.

(٥) وقد وردت أحاديث عدة في ذلك، منها: ما رواه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ نهى عن المتعة عام خيبر وعن لحوم حُمُرِ الْإِنْسِيَةِ. أخرجه البخاري (٥٥٢٣)، كتاب: الذبائح والصيد، باب: لحوم الحمر الإنسية ٢١٠٢/٥، ومسلم (١٤٠٧)، كتاب: الصيد والذبائح، تحريم أكل الحمر الإنسية، وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: نهى النبي ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر. رواه البخاري (٥٥٢١)، ومسلم ٥٦١.

لَدَلَّتْ عَلَى تَحْرِيمِ لَحْمِ الْحُمْرِ حَتَّى^(١) تُحَرَّمَ عِنْدَ نَزْوِهَا ، وَلَحُومِ الْخَيْلِ حَلَالٌ بِالسَّنَةِ وَالْأَخْبَارُ فِيهَا كَثِيرَةٌ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ . روي عن ابن عباس أنه قال : لم يسمه . فالله أعلم^(٣) . وروى عطاء عنه ، ومقاتل عن الضحاك عنه ، قال : يريد أن عن يمين العرش نهراً من نور؛ مثل السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع يدخل جبريل فيه كل سحر فيغتسل فيزداد نوراً إلى نوره وجمالاً إلى جماله ، وعظماً إلى عظمه ، ثم يتنفض فيخلق الله من كل نفضة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك ، يدخل منهم كل يوم سبعون ألفاً البيت المعمور ، وفي الكعبة سبعون ألفاً ، لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة^(٤) . وقال آخرون : يعني مما أعد في

(١) هكذا في النسخ جميعها ، والعبارة مضطربة ، فلعل (حين) تصحفت إلى (حتى) ، وبها يستقيم السياق .

(٢) وهو مذهب الشافعية والحنابلة ، وقد استدلوا على إباحته بما رواه الشيخان عن جابر بن عبد الله

— رضي الله عنهما — قال : نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر ، ورخص في لحوم الخيل ، وفي رواية

مسلم : وأذن في لحوم الخيل . أخرجه البخاري (٥٥٢٠-٥٥٢٤) ، كتاب : الذبائح ، باب : لحوم

الخيـل ، ومسلم (١٩٤١) ، كتاب : الصيد والذبائح ، باب : في أكل لحوم الخيل ، واستدلوا أيضاً بما

روته أساء — رضي الله عنها — قالت : نحرنا فرساً على عهد رسول الله ﷺ فأكلناه . أخرجه البخاري

(٥٥١٩ ، ٥٥٢٠) ، كتاب : الذبائح والصيد ، باب : النحر والذبح (١٩٤٢) ، ومسلم (١٩٤٢) ،

كتاب : الصيد والذبائح ، باب : في أكل لحوم الخيل ٣/ ١٥٤١ ، والمشهور عن الحنفية والمالكية

تحريمه ، وروي عنهما الكراهة ، والقول بالإباحة هو الراجح؛ لصحة أدلته وصراحة دلالتها ، ومع

أن الشرع يُجَوِّزُ أكله ، فإن أكله غير مشهور في بلاد المسلمين اليوم ، ولعل سبب ذلك استخدامه في

المعارك العسكرية في الأجيال السابقة ، لذلك لم يألف الناس أكله ولا يبيعه ولا تسويقه لذلك الغرض .

انظر : بداية المجتهد ١/ ٤٦٩ ، وشرح الزرقاني ٣/ ٩١ ، وحاشية الرهوني على عبد الباقي ٣/ ٣٩ ،

والمبسوط ١١/ ٢٣٣ ، وحاشية ابن عابدين ٦/ ٣٠٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٧٦ ، والمجموع

٩/ ٤ ، والمغني والشرح الكبير ١١/ ٦٩ ، وفتح الباري ٩/ ٥٦٦ ، وأضواء البيان ٢/ ٢٥٤ ، وأحكام

الأطعمة في الشريعة الإسلامية ١٢٦ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٨٢ ، بنحوه .

(٤) ليس في تفسير مقاتل ، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة ١٥٤ ، بنحوه من طريقين؛ مرفوعاً إلى النبي ﷺ

من رواية أبي سعيد ، وموقوفاً على وهب بن منبه ، لكن ليس في الروایتين أنه تفسير لقوله تعالى : =

الجنة لأهلها وما أعد في النار لأهلها^(١). وقال السدي وقتادة: يعني السوس في الثياب، والدود في الفواكه^(٢).

٩. قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾. القصد: استقامة الطريق، يقال: طريق قصد وقاصد إذا أدرك إلى مطلوبك، وقصد بك ما تريد^(٣)، واختلفوا في معنى هذه الآية، فأكثر المفسرين على أن المعنى: وعلى الله بيان قصد السبيل بالكتب والرسل والحجج^(٤)، وهو قول

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وورد في تفسير الثعلبي ١٥٤/٢، بنصه، وانظر: تفسير الفخر الرازي ٢٣١/١٩، وتفسير القرطبي ٨٠/١٠، وأبي السعود ٩٨/٥، وتفسير الألوسي ١٠٢/١٤، وورد غير منسوب في تفسير ابن الجوزي ٤٣٢/٤ مختصراً.

وعلى هذا التفسير مأخذان؛ الأول: أنه حدد ما أهم الله خلقه وخصصه بأمور بعيدة عن سياق الآية، الثاني: أن الحديث الوارد موضوع، فقد أورده السيوطي في اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٨٤/١، عن أبي هريرة مرفوعاً. وأغلب الظن أن الأثر من الإسرائيليات، يؤكد أنه ورد عن أحد مصادر الإسرائيليات، وبذلك جزم محقق كتاب العظمة ١٥٤، رقم (٣)، وقد أورده ابن الجوزي بنحوه في كتاب الموضوعات ٢١٨/١.

(١) انظر: تفسير الطبري ٨٣/١٤، والبغوي ١١/٥، وابن الجوزي ٤٣٢/٤، وتفسير القرطبي ٨٠/١٠، والخازن ١٠٨/٣، وأبي حيان ٤٧٧/٥.

(٢) ورد في معاني القرآن للنحاس ٥٧/٤، عن السدي، وتفسير الثعلبي ١٥٤/٢، بنصه عن قتادة، وتفسير القرطبي ٨٠/١٠، وعنهما في الخازن ١٠٨/٣، عن قتادة، وأبي حيان ٤٧٧/٥، وهو قول غريب وتخصيص عجيب من دون داع أو مناسبة، وهذا التفسير لا يليق بهذا المكان؛ لأن السياق في النعم والمنن، وحتى تخصيصه بما أعد في الجنة غير مناسب للسياق؛ فالحديث في معرض الامتنان على العباد مؤمنهم وكافرهم بالمركوبات، لذلك فالإطلاق أولى من كل هذه التخصيصات البعيدة عن السياق، وإن لزم الأمر إلى تخصيص، فينبغي أن يكون التخصيص بجنس الممتن به؛ لقوة القرينة، فيكون المقصود بـ﴿وَمَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي من جنس المركوبات، ويؤيد هذا التخصيص ما أهتم الله البشر من اختراع وسائل النقل المتعددة لم تكن موجودة بل ولا متصورة يومئذ، مثل السيارات والقطارات والطائرات والمركبات الفضائية، وقد أشار إلى ذلك جماعة من العلماء المعاصرين. انظر: تفسير سيد قطب ٢١٦١/٤، والطاهر بن عاشور ١١١/١٤، والشنقيطي ٢١٨/٣.

(٣) انظر: المحيط في اللغة (قصد) ٢٥٦/٥، والمفردات ٦٧٢، واللسان ٣٦٤٢.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٢٠٠/١، والطبري ٨٤/١٤، والسمرقندي ٢٢٩/٢، وتفسير =

جابر وقتادة والسدي^(١)، ورُوي ذلك عن ابن عباس^(٢) واختاره
الفرّاء^(٣) والزّجاج^(٤)، وعلى هذا: الآية من باب حذف المضاف؛ لأن
التقدير: وعلى الله بيان قصد السبيل، ثم قال: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾؛ أي
عادل مائل، ومعنى الجور في اللغة: الميل عن الحق^(٥)، والكناية في منها
تعود على السبيل، وهي مؤنثة في لغة الحجاز، يعني: ومن السبيل ما
هو جائر غير قاصد للحق^(٦). قال الكلبي: يعني اليهودية والنصرانية
والمجوسية^(٧). وقال ابن المبارك: يعني الأهواء والبدع^(٨).

روى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية، قال: من أراد أن يهديه سهّل
له طريق الإيمان، ومن أراد أن يضلّه وعَرَّ عليه طريق الإيمان^(٩)، يعني المنافق
والكافر؛ شَدَّدَ عليه العُسلُ من الجنابة والوضوء للصلاة، وَيَثْقُلُ عليه صيام شهر

- =
الماوردي ٣/ ١٨١، وتفسير البغوي ٥/ ١١، وتفسير ابن عطية ٨/ ٣٧٦، وتفسير القرطبي
١٠/ ٨١، وتفسير الخازن ٣/ ١٠٨، وتفسير أبي السعود ٥/ ٩٨.
- (١) أخرجه الطبري ١٤/ ٨٤، بمعناه عن قتادة، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٠٩، وزاد نسبته
إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة بمعناه، ولم أقف عليه عن جابر والسدي.
- (٢) أخرجه الطبري ١٤/ ٨٥، بمعناه، من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، ومن طريق العوفي غير
مرضية، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٣٦٣.
- (٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٩٧، بمعناه.
- (٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٢، بمعناه.
- (٥) انظر: المحيط في اللغة (جور) ٧/ ١٧٢، ومجمل اللغة ١/ ٢٠٢، والصحاح ٢/ ٩١٧، واللسان
٢/ ٧٧٢.
- (٦) نقله الفخر الرازي بنصه، ونسبه إلى الواحدي ١٩/ ٢٣١.
- (٧) روي عن ابن عباس في تفسير ابن كثير ٢/ ٦٢٠، وتنوير المقباس ٢٨٣، وورد غير منسوب في تفسير
الثعلبي ٢/ ١٥٤، من دون ذكر المجوسية، والبغوي ٥/ ١١، وابن عطية ٨/ ٣٧٧، وتفسير القرطبي
١٠/ ٨١، والخازن ٣/ ١٠٨.
- (٨) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٤ ب، بنصه، وانظر: تفسير البغوي ٥/ ١١، وابن الجوزي ٤/ ٤٣٣،
والخازن ٣/ ١٠٨.
- (٩) انظر: تفسير القرطبي ١٠/ ٨٢، بنصه.

رمضان من اثني عشر شهراً ، ثم بين أن المشيئة إليه ، فقال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ، يريد : فلو شاء لأرشدكم أجمعين حتى لا يختلف عليك يا محمد أحد ، هذا كلامه ، والذي ذكرنا في هذه الآية هي طريقة المفسرين . وفي الآية وجه آخر ، وهو أن المعنى : أن قصد السبيل الذي هو الحنفية والإسلام على الله ؛ أن يؤدي إلى رضا الله وثوابه جزائه^(١) ، كقوله : ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [الحجر : ٤١] ؛ أي إنه يؤدي إلى جزائي وكرامتي ، فهو طريق عليّ ، وهذا مذهب مجاهد ، قال : على الله طريق الحق^(٢) ، وبه قال عبدالله بن المبارك^(٣) ، وهو أقوى القولين ؛ لأنه صح من غير إضمار ولا شبهة للقدرية^(٤) ؛ لأنهم يقولون على التفسير الأول : أضاف قصد السبيل إليه .

ثم قال : ﴿ وَمِنْهَا جَايِزٌ ﴾ وهو ضده ، فلم يضيف إلى نفسه^(٥) ، وجوابهم عن هذا أن الجائر أيضاً منه ، وإن لم يضيف إلى نفسه ، ولكنه ذكر ذلك على الإطلاق^(٦) ، وابن عباس قد بين ذلك كما حكينا ، ولا شبهة لهم في الآية على القول الثاني .

(١) انظر : تفسير ابن عطية ٨ / ٣٧٦ .

(٢) تقدم توثيق قوله .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) القدرية هم نفاة القدر ، يزعمون أن الأمر أنف ، كان أول ظهورهم في نهاية جيل الصحابة ، عندما ظهر معبد الجهني ، وقد تبرأ منهم ابن عمر رضي الله عنهما ، وخلف الجهمية في هذه البدعة المعتزلة ، وأصلوها ، وجعلوها من أصولهم الخمسة . انظر : الفرق بين الفرق ١١٤ ، والفصل في الملل والأهواء ٨٢ / ٣ ، والملل والنحل ٤٣ / ١ ، والاستقامة ١ / ١٧٩ ، والتعريفات ١٧٤ .

(٥) هذه إشارة إلى مذهبهم الفاسد في إخراج أفعال العباد عن قدرة الله وخلقه ، والمذهب الحق في هذه القضية هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وغيره ، فقال : وأما جمهور أهل السنة فيقولون : إن فعل العبد فعل له حقيقة ، ولكنه مخلوق لله ومفعول لله ؛ لا يقولون : هو فعل الله نفسه ، ويفرقون بين الخلق والمخلوق ، والفعل والمفعول . منهاج السنة النبوية ٢ / ٢٩٨ .

(٦) لذلك فإن من كمال الأدب ألا ينسب إلى الله إلا الخير ، وأما الشر فإما أن يذكر مطلقاً غير منسوب إليه ، وإما أن ينسب إلى السبب الظاهر ، ومن أمثلته في القرآن : ما ورد على لسان إبراهيم عليه السلام : =

١٠. قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾. قال أهل اللغة: الشجر أصناف، فأما جلُّ الشجر فعظامه التي تبقى على الشتاء، وأما دِقُّ الشجر فصنفان: أحدهما يبقى له أَرْوَمَةٌ^(١) في الشتاء ويَبُتُّ في الربيع، ومنها ما لا يبقى له ساق في الشتاء، كالبقول^(٢)، وقال أبو إسحاق: كُلُّ مَا يَبُتُّ عَلَى الْأَرْضِ فَهُوَ شَجَرٌ:

نُطْعِمُهَا^(٣) اللَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ^(٤)

- = ﴿الَّذِي خَلَقَ فَهُوَ يُحْيِيهِ﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُهُ وَيَسْفِيهِ^(٥) وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿[الشعراء: ٧٨-٨٠]، وقال على لسان الخضر: ﴿وَمَا أَسْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣]، في حين نسب الخير إليه في قوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢]، وقال على لسان الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمَنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «والخير كله بيديك، والشر ليس إليك». [مسلم ٧٧١، كتاب: المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل].
- (١) الأرومة: أصل كل شجرة، والجميع الأروم والأرومات، وأرمت الشيء: ذهب بأرومته وقلعته. انظر: المحيط في اللغة (أرم) ٢٩٠/١٠.
- (٢) ورد في تهذيب اللغة (شجر) ١٨٣٠/٢، بنحوه، وانظر: جبهة اللغة (شجر) ٤٥٨/١، ومقاييس اللغة ٢٤٦/٣، واللسان ٢١٩٨/٤.
- (٣) في النسخ جميعها: (يعظمها)، ولا معنى لها، والصحيح أنها تصحيف من (نطعمها)، كما في بعض المصادر.

(٤) البيت للنمر بن تَوَلَّب، وهو مخضرم، توفي ١٤هـ. وعجزه:
والخَيْلُ فِي إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ صَرَّرَ

ديوانه ٣٥٥، وفيه: (عَسَرٌ) بدل (صَرَرٌ)، وورد في الشعر والشعراء ١٩١ (الشحم) بدل (اللحم) الأولى، والأغاني ٢٢/٢٧٩، واللسان (هشش) ٨/٤٦٦٧، وورد غير منسوب في تهذيب اللغة (لحم) ٤/٣٢٤٨، واللسان (علف) ٥/٣٠٧٠، وتفسير الألوسي ١٤/١٠٥، في الأخيرين برواية: «نعلفها» بدل «نطعمها»، وورد صدره في تفسير الرازي ١٩/٢٣٣، والحاظن ٣/١٠٨، وأبي حيان ٥/٤٧٨، وسمى اللبن لحماً؛ لأنها تسمن على اللبن.

ويعني أنهم يُسْقون الخيل اللبن إذا أجذبت الأرض^(١)، وقال ابن قتيبة في هذه الآية: يعني الكلاء^(٢)، ومعنى الآية: أنه ينبت بالماء الذي أنزل من السماء ما يرعاه الراعية من ورق الشجر وجلّها؛ لأن الإبل يرعى جلّ الشجر. قال ابن السكيت: يقال: شاجر المال، إذا رعى العشب والبقل فلم يبق منها شيء، فصار إلى الشجر يرعاه^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ تُسَمُّونَ﴾؛ أي في الشجر ترعون مواشيكم، يقال: أسمت الماشية إذا خلقتها ترعى، وسامت هي تسوم سوماً إذا رعت حيث شاءت، فهي سوامٌ وسائمة^(٤)، قال الزجاج: أخذ ذلك من السومة، وهي العلامة، وتأويلها أنها تؤثر في الأرض برعيها علامات^(٥)، وقال غيره: لأنها تعلّم الإرسال^(٦) في المرعى^(٧).

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٩٢/٣، بنحوه.

(٢) الغريب لابن قتيبة ٢٤٣، بلفظه.

(٣) إصلاح المنطق ٣٠٩، بنصه، وانظر: تهذيب اللغة (شجر) ١٨٣١/٢، بنصه، والصحاح ٦٩٤/٢، بنصه.

(٤) ورد في تهذيب اللغة (سام) ١٦٠٢/٢، بنحوه، وانظر: جمهرة اللغة (سوم) ٨٦٢/٢، والمحيط في اللغة ٤٠٣/٨، والصحاح ١٩٥٥/٥.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٩٢/٣، بنصه.

(٦) في تفسير الفخر الرازي ٢٣٤/١٩، وتفسير القرطبي ٨٢/١٠، وهو قريب من الأول.

(٧) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٣٤/١٩، وتفسير القرطبي ٨٢/١٠.

١١ . قوله تعالى : ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ﴾ قراءة العامة بالتاء^(١) ، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون^(٢) والياء أشكل لما تقدم من الأفراد^(٣) ، والنون لا يمتنع أيضاً ، ويقال : نبت^(٤) البقل [وأنبته الله ، وقد روي : أنبت البقل]^(٥) ، والأصمعي يأبى إلا نَبَتَ ، ويزعم أن قصيدة زهير التي فيها :

حتى إذا أنبت البقل^(٦)

متهمة^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿الزَّعَ﴾ . قال ابن عباس : يريد الحبوب^(٨) ، ﴿وَالزَّيْتُونَ﴾ جمع زيتونة ، يقال : الشجرة نفسها زيتونة ، ولثمرها زيتونة ، والجميع الزيتون ، ﴿وَالنَّخِيلَ﴾ يقال : نخلة ونخل ونخيل .

وقوله تعالى : ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ، أي وينبت من كل الثمرات ، فحذف لأن ما سبق يدل عليه .

(١) انظر : السبعة ٣٧٠ ، وعلل القراءات ٣٠١ / ١ ، والحجة للقراء ٥ / ٥٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ٣٤ / ٢ .

(٢) أي (نُبِتَ) ، انظر : المصادر السابقة .

(٣) وقد رجحه الأزهرى ، فقال : والياء أجودهما ، وقال ابن خالويه : فالحجة لمن قرأه بالياء : أنه أخبر به عن الله - عز وجل - لتقدم اسمه أول الكلام ، والحجة لمن قرأه بالنون : أنه جعله من إخبار الله - عز وجل - عن نفسه بنون الملكوت . انظر : علل القراءات ٣٠١ / ١ ، والحجة في القراءات ٢٠٩ ، والكشف عن وجوه القراءات ٣٤ / ٢ .

(٤) في (ش) و(ع) : (أنبت) ، والصحيح المثبت ليستقيم السياق ، وهو موافق للمصدر .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٦) البيت كما في الديوان ٤١ :

رَأَيْتُ دَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينًا هُمْ حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ الْبَقْلُ
أَي نبت .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (نبت) ٣٤٩١ / ٤ ، بمعناه ، والحجة للقراء ٥ / ٥٤ ، بنصه .

(٨) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٤٣٣ ، والخازن ٣ / ١٠٨ ، بلا نسبة .

١٢ . قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ إلى قوله : ﴿ مُسَخَّرَاتٌ ﴾ ، قراءة العامة بالنصب في هذه المنسوقات كلها^(١) ، وهو الوجه لاستقامتها في المعنى ، وإذا استقامت في معنى واحد استقامت في إعراب واحد ، وقد جاء التسخير في الشمس والقمر والنجوم ، وهو قوله : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾ [إبراهيم : ٣٣] ، وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ ﴾ [الأنعام : ٩٧] ، فكما حملت على التسخير في هاتين كذلك وجب أن يحمل على التسخير في هذه السورة .

وقوله تعالى : (مُسَخَّرَاتٍ) حال مؤكدة ؛ لأن تسخيرها قد عُرف بقوله : ﴿ وَسَخَّرَ ﴾ فجاءت الحال مؤكدة ، ومجيء الحال مؤكدة في التنزيل وغيره كثير ، كقوله : ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا ﴾ [البقرة : ٩١] . و :

أنا ابنُ دَارَةٍ معروفاً^(٢)

و :

كَفَىٰ بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءَ كَافٍ^(٣)

(١) انظر : السبعة ٣٧٠ ، وعلل القراءات ٣٠٢ / ١ ، والحجة للقراء ٥ / ٥٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٣ ، والتيسير ١٣٧ .

(٢) جزء من بيت لسالم بن دارة ، مخضرم ، وقامه :
أنا ابنُ دَارَةٍ معروفاً بها نَسِي
وهو من شواهد سيبويه ٧٩ / ٢ ، وورد في الخصائص ٦٠ / ٣ ، وأمالى ابن الشجري ، وتفسير ابن عطية ٨ / ٣٨٢ ، والخزانة ٢ / ١٤٥ ، ٣ / ٢٦٦ ، ودارة : أمه ، سميت بذلك لجهاها ، تشبيهاً بدارة القمر .

والشاهد : قوله : « معروفاً » حال مؤكدة لمضمون الجملة قبلها : « أنا ابن دارة » .

(٣) البيت لبشر بن أبي خازم الأسدي ، جاهلي ، وعجزه :
وليسَ لِحَبِّهَا ما عَشْتُ شَافٍ
ديوانه ١٤٢ ، وفيه : « إذا طال شافي » بدل « ما عشت شافي » ، وورد في أمالي ابن الشجري ١ / ٢٨٢ ، ٤٣٢ ، =

وقرأ ابنُ عامر : ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ رفعاً^(١) ، كأنه قطعها عن سخر لئلا يجعل الحال مؤكدة ، فابتدأ الشمس والقمر والنجوم ، وجعل مسخرات خبراً عنها ؛ لأنه لا يقال : ذلت هذا الشيء مُذِلًّا ، ووهبت لك هذا موهوباً ، إلا في التأكيد النادر ، وروى حفص عن عاصم : ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ بالرفع وحدها^(٢) ، ووجه ذلك أنه لم يجعلها حالاً مؤكدة ، وجعلها خبر ابتداء محذوف ، كأنه قال بعدُ : هي مسخراتٌ ، فحذف المبتدأ وأضمر لدلالة الخبر عليه ، وقد علم التسخير بما تقدم ، وكون (مُسَخَّرَاتٍ) حالاً مؤكدة أسوغ من كونها خبر مبتدأ محذوف ؛ لأن الخبر ينبغي أن يكون مفيداً ، لم يجيء إلا كذلك ، والحال تجيء مؤكدة^(٣) ، ألا ترى إلى قوله :

إذا كان يومٌ ذو كواكبٍ أَشْنَعًا^(٤)

- = والخزانة (عجز) ٤/٤٣٩ ، ١٠/٤٧٧ ، وورد غير منسوب في الكامل ٢/٩١٠ ، والمقتضب ٤/٢٢ ، والخصائص (صدر) ٢/٢٦٨ ، والمنصف ٢/١١٥ ، والموضح في وجوه القراءات (صدر) ٢/٧٣٢ ، وشرح المفصل ٦/٥٠ ، ١٠/١٠٣ . النأي : البعد ، أساء : امرأة ، يريد كفى النأي من أساء كفاية . والشاهد قوله : «كاف» على أنه حال مؤكدة ؛ لأنه إذا كفى فهو كاف لا محالة .
- (١) انظر : السبعة ٣٧٠ ، وعلل القراءات ١/٣٠١ ، والحجة للقراء ٥/٥٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٣ ، والتيسير ١٣٧ .
- (٢) انظر : المراجع السابقة .
- (٣) نقل القراءات في الآية وتوجيهها من الحجة للقراء ٥/٥٥ ، بتصرف ، وانظر : كذلك التوجيه النحوي للقراءات في علل القراءات ١/٣٠٢ ، والحجة في القراءات ٢٠٩ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/٣٥ ، والموضح في وجوه القراءات ٢/٧٣٢ .
- (٤) البيت لعمر بن شأس مخضرم ، المتوفى سنة ٢٠هـ ، وصدره :

بني أسدٍ هل تعلمون بلاءنا

شعر عمرو بن شأس ٣٦ ، وورد في الكتاب ١/٤٧ ، والحجة للقراء ١/١٤٨ ، والأزهية ١٨٦ ، والخزانة ٨/٥٢١ ، ويروى : «يوماً ذا كواكب» ، أراد إذا كان اليوم يوماً ، وأضمر لعلم المخاطب ، ومعناه : إذا كان اليوم الذي يقع فيه القتال ، و(كان) في الوجهين بمعنى وقع . الشناعة : الفظاعة ، والتشنيع : التشهير ، وشنعَ النجم : ارتفع في السماء ، والشاعر يصف حرباً وشدةً ، والعرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة : يومٌ مظلمٌ ، حتى إنهم ليقولون : يومٌ ذو كواكب ؛ أي اشتدت ظلمته حتى صار كالليل . انظر : المحيط في اللغة (شنع) ١/٢٨٨ ، والصاحح ٣/١٢٣٩ ، واللسان ٤/٢٣٣٩ .

حملة على الحال ولم يحمله على الخبر^(١) .

١٣ . قوله تعالى : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ ﴾ ؛ أي لأجلكم ، وهو عطف على ما قبله من المسخرات .

وقوله تعالى : ﴿ مُخْتَلَفًا أَلْوَنُهُ ﴾ ؛ أي هيئاته ومناظره ، يعني الدواب والأشجار وغيرها ، ونصب مختلفاً على الحال ، وذو الحال : ﴿ وَمَا ﴾ العامل فيها قوله : ﴿ سَخَّرَ ﴾ .

١٤ . قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ ﴾ ؛ أي ذلّله للركوب والغوص ، ﴿ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ . قال ابن الأعرابي : لحم طري غير مهموز ، وقد طرو طرواة .

وقال الفرّاء في المصادر : ما كان طريّاً ، ولقد طري يطرى طراءً وطراوةً ، كما يقال : شقي يشقى شقاءً وشقاوةً ، قال ابن عباس : يريد السمك والحيتان^(٢) ، ﴿ وَتَسَخَّرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ ، قال : يريد الدر واللؤلؤ والمرجان والزبرجد والياقوت ، وربما وجدوا فيه الذهب .

قال أبو علي : الحِلْيَةُ والحِلِي واحد ، كما يقال : بَرَكَةٌ للمصدر وبرك^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَكِيَ الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ ﴾ . يجوز أن يكون هذا فصلاً مبتدأً غير معطوف على ما قبله ، ويجوز أن يكون معطوفاً على ما قبله .

(١) قال أبو علي : ففعل - أي سيبويه - (أشنعاً) حالاً ولم يجعله خبراً؛ لأن في ما تقدم من صفة الاسم ما يدل على الخبر ، فيصير الخبر لا يفيد زيادة معنى . الحجة للقراء ١/ ١٤٨ .

(٢) ورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٠ ب ، والسمرقندي ٢/ ٢٣٠ ، والثعلبي ٢/ ١١٥٥ ، والبغوي ٣/ ٦٤ .

(٣) لم أقف على مصدره ، وانظر : اللسان (حلا) ٢/ ٩٨٥ ، بنحوه منسوباً إليه .

واختلف ألفاظ المفسرين في تفسير الماخر ، فروى ابن عباس أنه قال :
جواري^(١) ، وقال في رواية عطاء : يريد ملججين فيه ، وأهل البحر يقولون : مَحْرَنًا ،
يريد لججنا؛ إذا انقطع البر عنهم فلم يروه ، وقال قتادة ومقاتل : مقبلة ومديرة^(٢) .
قال الكلبي : يذهب ويحيى^(٣) .

وقال الحسن : مواقر^(٤) .

وقال أبو عبيدة : صوائح^(٥) ، ونحو هذا قال الفراء^(٦) ، وكل هذا معان وليس
بتفسير ، وتفسير المواخر ما ذكره أهل اللغة .

قال المنذري : سمعت أحمد بن يحيى يقول وسئل عن المواخر ، فقال : الماخرةُ
السفينة التي تَمَحَّرُ الماءَ؛ تدفعه وتدفع الموج بصدرها^(٧) ، قال : وأنشدني الحرانيُّ
عن ابن السكيت أنه أنشده للراجز في صفة نساء ضرائر :

وصارَ أمثالَ الفغا ضرائري مُقَدِّمَاتِ أَيْدِي الْمَوَاحِرِ^(٨)

-
- (١) ورد في تفسير الثعلبي ١٥٥/٢ ، بلفظه ، وورد غير منسوب في البغوي ٦٤/٣ .
(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٥٤/٢ ، بلفظه عن قتادة ، والطبري ٨٩/١٤ ، بلفظه عن قتادة من
طريقين ، ورد في تفسير الثعلبي ١٥٥/٢ ، بلفظه عنها ، والماوردي ١٨٢/٣ ، عن قتادة ، وانظر :
تفسير البغوي ١٢/٥ ، عن قتادة .
(٣) ورد بلا نسبة في تفسير السمرقندي ٢٣١/٢ ، وابن عطية ٣٨٦/٨ ، وورد منسوباً إلى الضحاك في
معاني القرآن للنحاس ٥٩/٤ .
(٤) أخرجه الطبري ٨٨/١٤ ، بلفظه ، وورد في تفسير الثعلبي ١٥٥/٢ ، وتفسير الماوردي ١٨٢/٣ .
(٥) مجاز القرآن ٣٥٧/١ ، بمعناه ، قال : من مخرت الماء ، شقته بجأجئها .
(٦) قال : واحدها ماخرة ، وهو صوت جري الفلك بالرياح . معاني القرآن ٩٨/٢ .
(٧) ورد في تهذيب اللغة (نحر) ٣٣٥٦/٤ ، بنصه .
(٨) نُسب إلى ابن السكيت في التهذيب واللسان . ورد في التهذيب (نحر) ٣٣٥٦/٤ برواية :
يَافِي مَالِي عَلِقْتُ ضَرَائِرِي مَقَدِّمَاتِ أَيْدِي الْمَوَاحِرِ
وورد صدره في تهذيب اللغة (فغا) ٢٨٠٩/٣ ، واللسان ٣٤٤٢/٦ ، وورد عجزه في مقاييس اللغة
٣٠٣/٥ ، ومجمل اللغة ٨٢٥/٢ ، بلا نسبة فيها ، واللسان (نحر) ٤١٥٢/٧ .

قال : الماخِرُ : الذي يَشُقُّ الماءَ إذا سَبَحَ ، يصف نساءً تَصْخَبْنَ وتَسْتَعِنَّ بأيديهن كأنهن سوابح^(١) ، والفعا : ضرب من التمر غليظ^(٢) ، يقال : ما الذي أفغاك ؛ أي أغضبك وورمك .

وقال أبو الهيثم : مَخَرُ السفينة : شَقُّها الماء بصدرها^(٣) .

وقال الفرّاء : يقال : مَخَرْتُ تَمْخُرُ وتَمْخَرُ^(٤) مَخْرًا وَمُخَوْرًا .

قال الأزهري : والقول في تفسير المواخر ما قاله ثعلب وأبو الهيثم ؛ أنها تشق الماء شقاً^(٥) ، وسمعت أعرابياً يقول : مَخَرَ الذئبُ شاةً ، أي شَقَّ بطنها^(٦) ، وأصل المخر الشق ، ومنه الحديث : «إذا أراد أحدكم الخلاء فليتمخر الريح»^(٧) . قال أبو عبيد : يعني أن ينظر مجراها فلا يستقبلها^(٨) ، فأما ما ذكره المفسرون فإنه يصح في المعنى ؛ لأنها لا تشق الماء إلا إذا كانت جارية موقرة ويسمع لجريها وشقها الماء صوتٌ ، وهي تشق الماء مقبلةً ومدبرةً ، وذاهبةً وجائئةً .

-
- (١) ورد في تهذيب اللغة (مخر) ٣٣٥٦/٤ ، بنحوه .
 (٢) وهو قول الليث ، ورد في تهذيب اللغة (فغا) ٣٨٠٩/٣ ، وقد خطأه الأزهري ، فقال : هذا خطأ ، والفعا : داء يقع على البسر مثل الغبار ، ويقال : ما الذي أفغاك ؛ أي أغضبك وأورمك ، وقال أبو عبيد : إذا غلظت التمرة وصار فيها مثل أجنحة الجراد فذلك الفغا مقصور ، وقد أفغت النخلة .
 (٣) ورد في تهذيب اللغة (مخر) ٣٣٥٦/٤ ، بنصه .
 (٤) معاني القرآن للفرّاء ٩٨/٢ ، بنصه ، وهو في تهذيب اللغة بنصه .
 (٥) تهذيب اللغة (مخر) ٣٣٥٦/٤ ، وعبارته : قلت : والمخَرُ أصله الشَّقُّ .
 (٦) ورد في تهذيب اللغة بنحوه .
 (٧) ورد في تهذيب اللغة ، بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ١٥٥/٢ ، برواية : «البول» بدل «الخلاء» ، وأورده الطبري بهذه الرواية ونسبه إلى واصل مولى ابن عيينة ٨٩/١٤ ، وورد في تفسير البغوي ١٣/٥ ، وفي النهاية برواية : «إذا بال أحدكم فليتمخر الريح» ٣٠٥/٤ ، وورد بمعناه في المجروحين لابن حبان ١٠٨/٣ ، قال : «إذا أراد أحدكم الخلاء فلا يستقبل الريح» .
 (٨) الغريب لأبي عبيد ٣١٢/١ ، بنصه ، وانظر : تهذيب اللغة (مخر) ٣٣٥٦/٤ ، بنصه .

وقوله تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ يعني لتركبوا للتجارة فتطلبوا الربح من فضل الله .

١٥. قوله تعالى: ﴿وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوًسًا﴾ يريد جبلاً ثابتة، ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ يعني لئلا تميد على قول الكوفيين، وكراهة أن تميد على قول البصريين، وذكرنا هذا عند قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضُلُوا﴾ [النساء: ١٧٦]، والميد: الحركة والاضطراب يميناً وشمالاً، ماد يميد ميذاً^(١)، قال ابن عباس: يريد أوتدّها بالجبال لئلا تميد بأهلها .

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْهَرَا﴾ . قال يريد: النيل^(٢) والفرات ودجلة^(٣) وسَيْحَان^(٤) وجَيْحَان^(٥)، ونصب: ﴿وَأَنْهَرَا﴾ بتقدير: وجعل، ودلّ (ألقى)

(١) انظر: جهرة اللغة (ميد) ٢/ ٦٨٥، والمحيط في اللغة ٩/ ٣٨٣، ومجمل اللغة ٢/ ٨٢٠، وعمدة الحفاظ ٤/ ١٥٠ .

(٢) النيل: بكسر أوله، نهر مشهور بأفريقيا وبمصر خاصة، يعد ثاني أنهار العالم طولاً، يبلغ طوله (٦٥٠٠) كلم، ينبع من بحيرتي فكتوريا وتانا ويصب في المتوسط، ويمر بدول عدة، هي: كينيا وأوغنده وأثيوبيا والسودان ومصر، ويتفرع في جداول عدة فيها . انظر: الروض المعطار ٥٨٦، ومعجم البلدان ٥/ ٣٣٤، وأطلس العالم الصحيح ١٢١ .

(٣) دجلة والفرات: من الأنهر المشهورة، ينبعان من هضبة أرمينية، ويمران بدول عدة، هي: أرمينية وتركيا والعراق وسورية، ويجتمعان في شط العرب جنوب العراق ويصبان في الخليج العربي . انظر: الروض المعطار ٤٣٩، ومعجم البلدان ٤/ ٢٤١، وأطلس تاريخ الإسلام ١١٤، وأطلس العالم الصحيح ٦٨ .

(٤) سَيْحَان: نهر كبير بالثغور من نواحي المصيصة، منطقة في جنوب تركيا، وهو نهر أذنة - أضنة - بين أنطاكية والروم تركيا، يمر بأذنة ثم ينفصل عنها نحو ستة أميال فيصب في بحر الروم؛ البحر المتوسط، وهو غير سيحون، وذكر صاحب الروض المعطار أنه واحد . انظر: الروض المعطار ٣٣٣، ومعجم البلدان ٣/ ٢٩٣، وأطلس تاريخ الإسلام ١٤٢، وأطلس العالم ٣٩ .

(٥) جَيْحَان: نهر عظيم بالمصيصة بالثغر الشامي، جنوب تركيا، ومخرجه من بلاد الروم، ويمر حتى يصب بمدينة تعرف بكَفَرُ بَيَّا بإزاء المصيصة؛ الإسكندرونة، ويخرج إلى البحر الرومي البحر المتوسط . انظر: الروض المعطار ١٨٥، ومعجم البلدان ٢/ ١٩٦، وأطلس تاريخ الإسلام ١٤٢، وأطلس العالم ٣٩ .

عليه ، قال أبو إسحاق : لأن معنى ﴿وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوًسًا﴾ : جعل فيها رواسي ، يدل عليه قوله : ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾^(١) [النبأ: ٧] .

وقوله تعالى : ﴿وَسُبُلًا﴾ . قال ابن عباس : يريد طُرُقاً إلى كل بلاد^(٢) ، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ : لكي تهتدوا إلى مقاصدكم من البلاد فلا تضلّون .

١٦ . قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَنِي﴾ منسوقة^(٣) على ما قبلها ، والعلامة صورة يعلم بها المعنى من خط أو لفظ أو إشارة أو هيئة ، وأصلها مشتق من العلم ، واختلفوا في معناها ، فقال الكلبي والقرظي : يعني الجبال^(٤) ، وهي علامات للطرق بالنهار كالنجوم بالليل ، وعلى هذا تمّ الكلام هاهنا ، وبقيّة الآية ابتداء مع خبره ، وهذا قول الأخفش^(٥) ، وقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد نجوم السماء ، والوجه هو الأول^(٦) ؛ لأنها^(٧) معطوفة على ما خلقت في الأرض ، والنجوم لم تخلق في

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٣ ، بنصه .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢٨٣ ، بنحوه .

(٣) في النسخ جميعها : «منسوخة» بالخاء ، والصواب المثبت ؛ لانسجام المعنى ، فالكلام هنا عن العطف لا النسخ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٤ بلفظه عن الكلبي ، والطبري ١٤/ ٩٢ بلفظه عن الكلبي ، والسمرقندي ٢/ ٢٣١ ، بلفظه عن الكلبي ، والثعلبي ٢/ ١٥٥ ب ، بلفظه عنها ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ١٣ ، عنها ، وابن عطية ٨/ ٣٨٩ ، عن الكلبي ، وابن الجوزي ٤/ ٤٣٦ ، عن الكلبي ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٩١ ، عن الكلبي ، والخازن ٣/ ١١٠ ، عنها ، والدر المنثور ٤/ ٢١٢ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن الكلبي .

(٥) ليس في معانيه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٠ ، وصديق خان ٧/ ٢٢٢ .

(٦) وقد ورد عن ابن عباس قولاً لم يورده أعم وأولى مما رجحه ، وهو ما رجحه الطبري ، قال : العلامات : معالم الطرق بالنهار . انظر : تفسير الطبري ١٤/ ٩٢ ، وورد في الدر المنثور ٤/ ٢١٢ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٧) في (أ) و(د) : (لا) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح ، وبه يستقيم الكلام .

الأرض ، ولأنه لو كان المراد بالعلامات النجوم لقال : وبها يهتدون ، فلما قال : ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ دَلَّ أَنْ المراد بالعلامات غيرُ النجم .

وقوله تعالى : ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ . قال مجاهد وإبراهيم : أراد جميع النجوم^(١) ، واختاره الزَّجَّاج ، فقال : النجم والنجوم في معنى واحد ، كما يقال : كثر الدرهم في أيدي الناس والدرهم^(٢) ، وقال عطاء عن ابن عباس : يعني الجُدي^(٣) ، وقال السدي : يعني الثريا وبنات نعش^(٤) ، وقال الكلبي : يعني الفرقدين والجُدي^(٥) ، وهو اختيار الفراء^(٦) ، ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ؛ أي إلى الطريق والقبلة في البر والبحر .

(١) الذي ورد عن مجاهد وإبراهيم ، قالاً : منها ما يكون علامة ، ومنها ما يهتدى به . أخرجه الطبري ٩١ / ١٤ ، عنهما من طريقين ، لكن هذا تفسير لـ ﴿وَعَلَّمْتِ﴾ ، وليس لـ ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ كما في الطبري ، وانظر : تفسير الثعلبي ١٥٥ / ٢ ب .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٩٣ / ٣ ، بنصه ، وهو الأولى من التخصيص الوارد في الأقوال التالية .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٢٨٣ ، قال : بالفرقدين والجدي . الجدي : هو الكوكب الذي يتوخى الناس بها القبلة ؛ لأنه لا يزول ، وتُسَمَّى العرب : جدي بنات نعش . انظر : الأزمنة والأمكنة ٥٤٦ .

(٤) ورد في تفسير الثعلبي ١٥٥ / ٢ ب ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ١٣ / ٥ ، والزخشري ٣٢٥ / ٢ ، وابن الجوزي ٤٣٦ / ٤ ، والفخر الرازي ١٠ / ٢٠ ، والهازن ١١٠ / ٣ . الثريا : من الكواكب ، سميت لغزارة نَوَّتها ، والنوء : هو سقوط نجم بالغداة مع طلوع الفجر وطلوع آخر في حياله في تلك الساعة ، وقيل : سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها ، لا يتكلم بها إلا مصغراً ، وهو تصغير على جهة التكبير . بنات نعش : سبعة كواكب ؛ أربعة منها نعش ؛ لأنها مُربعة ، وثلاثة بنات نعش ؛ الواحد ابنُ نعش ؛ لأن الكواكب مذكور فيذكرونه على تذكيره ، وإذا قالوا : ثلاث أو أربع ، ذهبوا إلى البنات . انظر : المحيط في اللغة (نوأ) ٤١٩ / ١٠ ، والأزمنة والأمكنة ١٣٩ ، ٥٤٧ ، واللسان (نعش) ٤٤٧٤ / ٧ ، (ثرا) ٤٨٠ / ١ .

(٥) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤٣٦ / ٤ ، ورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢٣١ / ٢ ، الفرقدان : نجمان منيران في بنات نعش ، يضرب بهما المثل في طول الصحبة في التساوي والتشاكل ، وقيل : نجمان في السماء لا يغربان ولكنها يطوفان بالجدي ، وقيل : كوكبان في بنات نعش الصغرى . انظر : اللسان (فرقد) ٣٤٠٢ / ٦ ، جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين ٨٦ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٩٨ / ٢ ، بلفظه .

١٧. قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ . قال ابن عباس : يريد ما ذكر في هذه السورة ، ومن يخلق هو الله عز وجل ، ﴿ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ يريد الأوثان ؛ كقوله : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾ [لقمان : ١١] ، وإنما قال : ﴿ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ للوثن لا لقرانه في الذكر مع الخالق ، كقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ﴾ [النور : ٤٥] . قال الفراء : والعرب تقول : اشتبه عليَّ الراكبُ وجهه ، فلا أدري مَنْ ذا ومنْ ذا ، حيثُ جَمَعَهَا وأحَدُهَا إنسان ، صَلَحَتْ (مَنْ) فيها^(١) ، وقيل : إنهم لما عبدوها ذُكِرَتْ بلفظ (مَنْ)^(٢) ، كقوله : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ ﴾ [الأعراف : ١٩٥] ، وقد مر .

وقوله : ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد المشركين ، يقول : أفلا تتعظون كما اتعظ المؤمنون^(٣) ، قال أصحابنا : وهذه الآية دليل على أن الخالق واحد ، وإنما يتميز الخالق من المخلوق بالقدرة على اختراع الخلق ، فمن جعل نفسه خالقاً لأفعاله التي يفعلها فقد نصب نفسه خالقاً شريكاً لله في الخلق^(٤) ، وقال أهل التأويل : معنى هذه الآية : إنكار تشبيه من يخلق بمن لا يخلق بالتسوية بينهما في العبادة ، كما^(٥) لا يجوز أن يُسَوَّى بين من ينعم ومن لا ينعم في الشكر^(٦) .

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٩٨ ، بنصه ، وانظر : تفسير الطبري ١٤/ ٩٣ .

(٢) ذكر هذين القولين توجيهاً لاستخدام (مَنْ) وهي للعاقل ، كما يقول النحويون للتعبير بها عن غير العاقل ، وهي الأصنام ، وحققها (ما) عندهم ؛ لأن الأصنام غير عاقلة .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٨٣ ، بنحوه .

(٤) هذا ردُّ على المعتزلة في زعمهم أن العباد خالقون لأفعالهم .

(٥) في النسخ جميعها : « كمن » ، وبالمثبت يستقيم الكلام .

(٦) ورد بمعناه في تفسير الطبري ١٤/ ٩٢ ، وهود الهواري ٢/ ٣٦٣ ، والطوسي ٦/ ٣٦٨ .

١٨ . قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ . ذكرنا تفسيره في سورة إبراهيم^(١) ، وقال ابن عباس في هذه الآية : يريد أن نِعْمِي أكثر مما يُحصى أو يُعرف ؛ منها ظاهر ومنها باطن .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ لَعَفُورٌ ﴾ ؛ أي لما منكم من تقصير شكر نعمه ، ﴿ رَجِيمٌ ﴾ : بكم حيث لم يُقْصِها عنكم بتقصيركم .

٢٠ . وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ قراءة العامة بالتاء^(٢) ؛ لأن ما قبل هذه الآية كلها خطاب للكفار ، وقرأ عاصم بالياء في : ﴿ يَدْعُونَ ﴾^(٣) إخباراً عن المشركين الذين يعبدون الأصنام من دون الله ، ثم وصفها .

٢١ . فقال : ﴿ أَمُوتٌ ﴾ ، قال الزَّجَّاج أي وهم أموات^(٤) ، وقال الفرَّاء : وإن شئت رددت على أنه خبر للذين ، كأنه قال : والذين تدعون من دون الله أموات ، والأموات في هذا الموضع يعني بها أنها لا روح فيها^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ عَمْرُؤُا حَيًّا ﴾ تأكيد^(٦) ؛ إذ قد يقال للحَي : هو كالميت في البعد من أن يعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ . قال ابن عباس : وذلك أن الله تعالى يبعث الأصنام لها أرواح ومعها شياطينها فيتبرؤون من عابديهم ، ثم

(١) عند الآية [٣٤] .

(٢) انظر : السبعة ٣٧١ ، وعلل القراءات ٣٠٢ / ١ ، والحجة للقراء ٥٨ / ٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٢٤ ، والتيسير ١٣٧ .

(٣) المصادر السابقة .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٩٣ / ٣ ، بلفظه .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٩٨ / ٢ ، بنحوه .

(٦) ساقطة من (د) .

يؤمر بالشياطين والذين كانوا يعبدونها إلى النار^(١)، وقال أبو إسحاق أي وما يشعرون متى يبعثون، و﴿إِيَّانَ﴾ في موضع نصب بقوله: ﴿يُبْعَثُونَ﴾، ولكنه مبني غير مُنَوَّن^(٢) لأنه بمعنى الاستفهام، ولا يُعرب كما لا يُعرب متى وكيف وأين، إلا أن النون فتحت لالتقاء الساكنين^(٣)، واختير الفتح على الكسر؛ لأن الفتح أشبه بالألف وأخف معها، وذكرنا معنى إِيَّان عند قوله: ﴿إِيَّانَ مَرْسَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقد تضمنت هذه الآية البيان عما تُوجبه صفة من ليس بحي من الامتناع أن يكون منه فعل لاستحالة ذلك، ذكر الله ذلك في الآية الأولى؛ أن أصنامهم مخلوقة غير خالقة، وذكر في هذه الآية أنها مع كونها مخلوقة مواتٌ غير ذات روح وأنها مبعوثة، وهي لا تعلم متى وقت بعثها، وكل هذا يدل على جهل من عبدها أو أشرعها بالله تعالى.

٢٢. قوله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحِيدٌ﴾. مضى الكلام في هذا في [البقرة: ١٦٢].

وقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ الآية. دخلت الفاء للإتباع دون العطف، ذكر الله تعالى دلائل وحدانيته، ثم أخبر أنه واحد لا نظير له ولا كفء ولا شريك، ثم أتبع هذا إنكار الكفار وحدانيته، وقال: ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾؛ أي جاحدة غير عارفة ولا مُقِرَّة بالحق من توحيد الله، وقال ابن عباس: منكرة لهذا القرآن^(٤)، وذكرنا معنى الإنكار عند قوله: ﴿نَكِرَهُمْ﴾ في سورة هود [٧٠].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي ممتنعون من قبول الحق، والاستكبار: الترفع بترك الإذعان للحق، قال ابن عباس: ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾: عن عبادة الله.

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي ٤/٤٣٨، والفخر الرازي ٢٠/١٦، وتفسير القرطبي ١٠/٩٤.

(٢) في (ش) و(ع): (مغرب).

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٩٣، بنصه.

(٤) ورد غير منسوب في تفسير هود الهواري ٢/٣٦٤.

٢٣. قوله : ﴿لَا جَرَمَ أَنْتَ اللَّهُ﴾ الآية ، ذكرنا معنى لا جرم ، والخلاف فيه في سورة هود عند^(١) قوله : ﴿لَا جَرَمَ أَنْتُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ﴾ [هود: ٢٢] ، وليس يحتمل هاهنا من تلك الأقوال إلا قولاً واحداً ، وهو أن يكون بمعنى : حقاً ، وبهذا فسره ابن عباس^(٢) واختاره الزجاج ، فقال : حقاً أن الله^(٣) ، ومذهبه في لا جرم في سورة هود غير هذا^(٤) ، فمعنى لا جرم هاهنا : تأكيد وقسم ﴿أَنْتَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ، وتأكيد ذلك تأكيد جزائهم ؛ كأنه قيل : يجازيهم بما يسرون وما يعلنون ؛ لأنه يعلم ذلك .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ ؛ أي لا يثيبهم ولا يمدحهم ولا يرضى عنهم^(٥) .

٢٤. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ، معنى أساطير الأولين ذكرناه في سورة الأنعام [٢٥] ، قال ابن عباس :

-
- (١) في نسخة (أ) ما بين القوسين كتب على الهامش .
 (٢) انظر : تنوير المقياس ٢٨٤ ، وورد بلا نسبة في تفسير الطبري ٩٤ / ١٤ ، والسمرقندي ٢ / ٢٣٢ ، والثعلبي ١٥٥ / ٢ ب .
 (٣) معاني القرآن وإعرابه ١٩٤ / ٣ ، بنحوه .
 (٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤٦ / ٣ .
 (٥) هذا من تأويلات الأشاعرة للصفات الفعلية لله تعالى ، إذ صرفوا اللفظ عن ظاهره من دون دليل أو حجة إلا شبهات واهية ، فأولوا صفة المحبة : بالإثابة والمدح والرضى عنهم كما هنا ، أو بالإحسان إليهم والتفضل بإعطاء الثواب أو إرادة الإنعام والإحسان . أما مذهب أهل الحق : فيثبتون صفة المحبة لله تعالى إثباتاً حقيقياً على وجه يليق بجلاله وعظمته ، كما أنهم يثبتون معه لازم المحبة ؛ وهي إرداته سبحانه إكرام من يحبه وإثابته ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له ، وهذا أصل دين الخليل إمام الخنفاء عليه السلام . انظر : مجموع الفتاوى ٢ / ٣٥٤ ، ومدارج السالكين ١٨ / ٣ ، وأقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات ٧٧ ، وشرح العقيدة الواسطية للهراس ٥٣ .

نزلت في النضر بن الحارث وأصحابه ، كان خرج إلى الحيرة فاشترى أحاديث كليله ودمنة وأساطير الأولين ، وكان يقول : تعالوا أقرأ عليكم ما يقرأ محمد على أصحابه؛ أساطير الأولين^(١) .

وقال أبو إسحاق في هذه الآية : (ما) مبتدأ و(ذا) في موضع الذي ، المعنى : ما الذي أنزل ربكم؟ وأساطير مرفوعة على الجواب؛ كأنهم قالوا : الذي أنزل أساطير الأولين؛ الذي يذكرون أنه منزل أساطير الأولين؛ أي أكاذيبهم^(٢) ، وشرح أبو علي هذا فقال : رُفِعَ الأساطير؛ لأن ذا بعد^(٣) ما بمنزلة الذي^(٤) ، ولم يجعل معها بمنزلة اسم واحد ، فكأنه قال : ما الذي أنزل ربكم؟ فقيل : أساطير الأولين؛ أي الذي أنزله أساطير الأولين ، فيُضَمَّ المبتدأ الذي كان خبراً في سؤال السائل ، على هذا يرتفع الأساطير في قول سيبويه^(٥) ، قال : وروي عن أبي زيد وغيره من النحويين أنهم قالوا : لم يُقَرَّوا بإنزال الله لذلك ، فكأنهم لم يجعلوا أساطير الأولين خبر الذي أنزل ، وعلى هذا يرتفع الأساطير بخبر ابتداء محذوف؛ كأنه قيل : الذي يعنون والذي يسألون عنه أساطير الأولين ، فحذف المبتدأ لدلالة ما في السؤال عليه^(٦) ، ووجه قول سيبويه : إذا جعلت أساطير الأولين خبر (ذا) الذي هو بمعنى الذي في قوله : ﴿ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ﴾ أن يكون المعنى : الذي أنزله ربكم عنكم وفي قولكم أساطير الأولين ، كما جاء : ﴿ وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعَاً لَنَا رَبِّكَ ﴾ [الزخرف: ٤٩] ، وكما قالوا : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ [الحجر: ٦]؛ أي عنده وعند من تبعه ، فيمكن

(١) انظر : تفسير ابن عطية ٣٩٧/٨ ، وتفسير القرطبي ٩٥/١٠ ، ورد فيها بلا نسبة .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٩٤/٣ ، بنحوه .

(٣) في (د) : «بمعنى» .

(٤) انظر : رصف المباني ٢٦٥ ، والجنى الداني ٢٣٩ .

(٥) الكتاب ٤١٩/٢ ، وانظر : المسائل البغداديات ٣٧١-٣٧٢ .

(٦) لم أقف على مصدره ، وورد نحواً من هذا التوجيه في إعراب القرآن للنحاس ٢٠٨/٢ ، ومشكل إعراب القرآن ١٣/٢ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٧٧/٢ ، والإملاء ٧٩/٢ ، والفريدي في إعراب القرآن ٢٢٢/٣ .

أَنْ يُجْعَلَ الْأَسَاطِيرُ خَيْرٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُقَرَّبُوا بِالْإِنْزَالِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْنَا ، وَهَذَا
معنى قول أبي إسحاق؛ أي الذي يذكرون أنه منزل أساطير الأولين .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ ﴾ ، اللام في ﴿ لِيَحْمِلُوا ﴾ لام العاقبة ،
وهم لم يقولوا للقرآن : أساطير الأولين ، ليحملوا الأوزار ، ولكن لما
كانت عاقبتهم ذلك بهذا القول ، جاز أن يقال : فعلوا ذلك له ، كقوله
عز وجل : ﴿ فَأَلْقَيْتُهَا إِلَى الْفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص : ٨] ،
وهم لم يلتقطوا لذلك ، وكما قال النابغة :

جَاءَتْ لِيُطْعِمَهُ لَحْمًا وَيَنْفَجِعَهَا بَابِنِ فَقَدْ أَطْعَمْتُ لَحْمًا وَقَدْ فَجَعَا^(١)

يعني بقرأ جاءت مع عجلها للرعي ، فوقع الذئب على عجلها فأكله ، فزعم
أنها جاءت لذلك ، وهي لم تجئ له .

قوله تعالى : ﴿ كَامِلَةً ﴾ . قال صاحب النظم أي إن غيرهم لا يحمل عنهم
من أوزارهم شيئاً ، ويجوز أن يكون المعنى : أنهم لا يُكْفَرُ عنهم شيء من ذنوبهم بما
يصيبهم في الدنيا من نكبة وبلية كالمؤمنين^(٢) ؛ لأنهم^(٣) كفار ، فهم يردون الآخرة
بما اكتسبوا من الآثام كلها .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ ﴾ لأنهم كانوا رؤساء ، فلما قالوا
في القرآن : إنه أساطير الأولين ، اقتُدي بهم فيه ، فحُمل عليهم من أوزارهم ، يبين

(١) لم أجده في ديوان النابغة؛ لا الجعدي ولا الذبياني ، ولم أقف عليه في المصادر .

(٢) في هذا المعنى روى البخاري (٥٦٤١) ، (٥٦٤٢) في المرض ، باب : ما جاء في كفارة المرض ، ومسلم
(٢٥٧٣) في البر والصلة والآداب ، ثواب المؤمن في ما يصيبه من مرض ، عن أبي هريرة قال : قال
رسول الله ﷺ : « ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ولا غم ، حتى
الشوكة يُشَاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياها » .

(٣) في (د) : (فإنهم) .

هذا ما روي أن النبي ﷺ قال: «أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ فَاتَّبِعْ فَإِنَّ عَلَيْهِ أَوْزَارَ مَنْ اتَّبَعَهُ، مَنْ غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»^(١).

فهؤلاء لَمَّا كانوا دَعَاةَ الضلالة، حُمِّلُوا مِنْ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُمْ.

و(من) في قوله: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ ليست للتبعيض؛ لأنها لو كانت للتبعيض لَخَفَّ عَنْ الْأَتْبَاعِ بَعْضُ أَوْزَارِهِمْ بِحَمْلِ الرُّؤَسَاءِ ذَلِكَ، ولكنها للجنس؛ أي ليحملوا من جنس أَوْزَارِ الْأَتْبَاعِ، وإنما ذلك لأن النبي ﷺ قال: «مَنْ غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»، ولو جعلنا المحمولَ مِنْ أَوْزَارِ الْأَتْبَاعِ نَقَصَتْ أَوْزَارُهُمْ، فليس يَأْتِي التَّابِعُ بِجَنْسٍ مِنَ الذَّنْبِ فِي ضَلَالَتِهِ إِلَّا وَعَلَى الْمُتَّبِعِ مِثْلُ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ ﷺ: «فَإِنَّ عَلَيْهِ مِثْلَ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ».

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي بجهل، يريد أن هؤلاء المتبوعين يُضِلُّونَ مَنْ اتَّبَعَهُمْ جَهْلًا مِنْهُمْ بِمَا يَفْعَلُونَ مِنْ احْتِقَابِ^(٢) أَوْزَارِهِمْ وَمِثْلَ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُمْ، ثُمَّ ذَمَّ اللَّهُ صَنِيعَهُمْ فَقَالَ: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾، ومضى تفسير هذا وتفسير الوزر عند قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ الآية [الأنعام: ٣١].

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٥)، المقدمة، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة بنصه عن أنس، والطبري ٩٦/١٤، بنصه، وورد في تفسير الرازي ١٨/٢٠، والقرطبي ٣٣١/١٣، والدر المنثور ٢١٧/٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، والجامع الصغير للألباني (٢٧١٢)، وقد ورد برواية: «من دعا...»، وبرواية: «من سن سنة...». في مسند أحمد ٣٩٧/٢، ٣٦١/٤، وصحيح مسلم (٢٦٧٤) في العلم، باب: من سن سنة حسنة وما بعدها، والترمذي (٢٦٧٤) في العلم، باب: ما جاء في من دعا إلى الهدى فاتبع أو إلى ضلالة ٤٣/٥، والنسائي بالرواية الثانية، كتاب: الزكاة، باب: التحريض على الصدقة ٧٥/٥، وسنن ابن ماجه المقدمة، من سن سنة (٢٠٦).

(٢) أصلها حَقَب، يقال: حَقَبَ البعير واحتَقَبَ حَقَبًا: احتبس بوله وتَعَسَّرَ عليه، وَحَقَبَ العام: احتبس مطرُه، واحتَقَبَ الشيء: أَدَخَرَهُ، وكذلك: احتمله، وهو المقصود هناك. انظر: تهذيب اللغة (حَقَب) ٨٧٣/١، والمحيط في اللغة ٣٦٣/٢، واللسان ٩٣٧/٢، ومعجم متن اللغة ١٢٩/٢.

٢٦. قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾. قال جماعة المفسرين: يعني نمرود بن كنعان، بنى صرحاً طويلاً ورام منه الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها^(١). ومعنى المكر هاهنا: التدبيرُ الفاسد، روى ثعلب عن ابن الأعرابي في قوله: ﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرٌ﴾ [النمل: ٥٠] قال: دبروا^(٢)، والمراد في هذه الآية^(٣) تدبيره في بناء الصرح لقتال أهل السماء.

وقوله تعالى: ﴿فَأَقْ أَفَّ اللَّهُ بُنْيَنَهُمْ﴾؛ أي أتى أمرُ الله، وهي الريح التي خربتها وحركتها، وهو ما ذكر المفسرون؛ أن الله تعالى أرسل ريحاً فألقت رأس الصرح في البحر وخرَّ عليهم الباقي^(٤)، فأمرُ الله الذي أتى البنيان يجوز أن يكون الريح، ويجوز أن يكون أمره للبنيان بالانهدام، فالآية من باب حذف المضاف،

(١) تفسير مجاهد ٣٤٦/١، ومقاتل ٢٠١/١ ب، وأخرجه الطبري ٥٧٦/٧ عن ابن عباس والسدي وزيد بن أسلم، وورد في تفسير السمرقندي ٢٣٣/٢، والثعلبي ١٥٥/٢، والماوردي ١٨٥/٣، والطوسي ٣٧٤/٦، وانظر: تفسير البغوي ١٦/٥، والزنجشيري ٣٢٦/٢، وابن عطية ٣٩٩/٨، وابن الجوزي ٤٣٩/٤، والرازي ٢٠/٢٠، والقرطبي ٩٧/١٠، والخازن ١١٢/٣، والدر المنثور ٢١٨/٤، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وتخصيص الآية على النمرود وأصحابه فيه نظر، لأنه ليس في الآية ما يدل على ذلك، لكنهم عدُّوا أن المشار إليهم في هذه الآية هم المذكورون في سورة إبراهيم في قوله: ﴿وَقَدْ مَكْرُؤاً مَكْرَهُمْ﴾، كما ذكر الطبري، وحتى هذا الاعتقاد، لا يسلم لهم، فقد عرفنا موقف العلماء من هذه القصة؛ التضعيف والرد والإنكار، وأغلب الظن أنها إسرائيلية، ومما يؤكده رواية كعب لها، وهو من مصادر الإسرائيليات، ولا يقال: إن الرواية هنا ثبتت عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وقوله معتبر، وهو كذلك عند ورودها عن الطرق الصحيحة، والرواية التي أوردها الطبري جاءت من طريق العوفي، وهي طريق غير مرضية، فلا يعتد بها، ولا يعتمد عليها، وقد أشار ابن عطية إلى التعميم بقوله: وقالت فرقة أخرى: المراد به جميع من كفر من الأمم المتقدمة ومكر، ونزلت به عقوبة من الله تعالى، وهو ما رجحه الفخر الرازي، والخازن انظر: تفسير ابن عطية ٤٠٠/٨، والفخر الرازي ٢٠/٢٠، والخازن ١١٢/٣.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في (أ): (الأمّة)، والمثبت هو الصحيح، كما في باقي النسخ.

(٤) انظر: تفسير البغوي ١٦/٥، عن كعب ومقاتل، والزنجشيري ٣٢٦/٢، وابن عطية ٣٩٩/٨، وابن الجوزي ٤٤٠/٤، وتفسير القرطبي ٩٧/١٠، والخازن ١١٢/٣، فیهما عن كعب ومقاتل.

وحذف المضاف هاهنا للتهويل والتعظيم ، وقد سبق بيان هذا في قوله : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] ، والبيان اسم للبناء .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ الْقَوَاعِدِ ﴾ . قال أبو إسحاق أي من أساطين البناء التي تعمده^(١) ، وذكرنا معنى القواعد للبناء في سورة [البقرة: ١٢٧] .

وقوله تعالى : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ؛ أي سقط عليهم البيوت ، على أصحاب نمرود^(٢) ، وذكر ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ليدل أنهم كانوا تحتها ، إذ^(٣) يقول القائل : تهدمت عليّ المنازل ، ولم يكن تحتها ، هذا قول ابن الأنباري ، قال : والعرب تقول : تداعت علينا الدار ، وخرب علينا الحانوت ، وإن لم يكونوا تحتها^(٤) ، ويجوز أن يكون للتأكيد .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ؛ أي من حيث ظنوا أنهم منه في أمان ، وقال عطاء عن ابن عباس : يريد بالبعوضة ؛ يعني التي أهلك بها نمرود^(٥) .

٢٧ . قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ ﴾ ، معنى الإخزاء ذكرنا عند قوله : ﴿ إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ ﴾ [آل عمران: ١٩٢] .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٩٥ ، بنصه .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢ / ٣٥٥ ، بمعناه عن قتادة ، والطبري ١٤ / ٩٧-٩٨ ، بمعناه عن قتادة ومجاهد ورجحه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤ / ٦٣ ، عن مجاهد ، وتفسير الثعلبي ٢ / ١٥٦ أ ، بنحوه ، وتفسير الماوردي ٣ / ١٨٥ .

(٣) في النسخ جميعها : (إذا) ، والمثبت هو الصحيح المناسب للسياق .

(٤) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٤٤١ .

(٥) انظر : تفسير القرطبي ١٠ / ٩٨ ، وهذا تخصيص بلا دليل ، فضلاً عن أن هذه الطريق إلى ابن عباس منقطعة .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ أَنْ شُرَكَاءِي ﴾ . قال الزَّجَّاج : شركائي حكاية لقولهم ، والله لا شريك له ، والمعنى أين الذين في دعواكم أنهم شركائي؟^(١) .

قال أبو علي : سبحانه لم يثبت بهذا الكلام له شريكاً ، وإنما أُضيف على حسب ما كانوا يقولونه وينسبونه ، وكما أُضيفت هذه الإضافة كذلك أُضيفت إليهم في قوله : ﴿ أَنْ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٢] ، وفي أخرى : ﴿ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِبَّانَا نَعْبُدُونَ ﴾ [يونس: ٢٨] ، فإنما أُضيفوا هذه الإضافة على حسب ما كانوا يسمونه ويعتقدونه فيهم ، كقوله : ﴿ وَقَالُوا يَتَّيْنُهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ [الزخرف: ٤٩] ، وقوله : ﴿ يَتَّيْنُهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ [الحجر: ٦] ، وقد تقع الإضافة لبعض الملابس دون التحقيق ، كقول الشاعر^(٢) :

إِذَا قُلْتُ قَدْ نِي قَالَ بِاللَّهِ حَلْفَةً لَتَغْنِي عَنِّي ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعاً^(٣)

فأضاف الإناء إليه لشربه منه ، والإناء في الحقيقة لمن سقى به دون من شرب منه ، وهذا كما يقول لمن يحمل خشبة ونحوها : خذ طَرَفَكَ وأخذ طَرَفِي ، فتَنَسَّبَ إليه الطرف الذي يليه كما تنسب إلى نفسك الطرف الذي يليك ، فعلى هذا تجري الإضافة في قوله : ﴿ شُرَكَاءِي ﴾^(٤) ، ومعنى : ﴿ أَنْ شُرَكَاءِي ﴾ ؛ أي أين هم لا يحضرونكم فيدفعوا عنكم العذاب .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٩٥/٣ ، بنصه .

(٢) هو حُرَيْث بن عَنَاب الطائي ، من شعراء الدولة الأموية ، توفي ٨٠ هـ .

(٣) ورد في : شرح شواهد المغني ٥٥٨/٢ ، برواية :

إِذَا قَالَ قَدْ نِي قُلْتُ أَلَيْتُ حَلْفَةً

وفي الخزانة ٤٣٤/١١ ، برواية : «قطني» بدل «قندي» ، والمعنى واحد ، معناه : حسبي ، والدر ٢١٧/٤ ، برواية : «قيل» بدل «قلت» ، وورد غير منسوب في معاني القرآن للأخفش ٥٥٧/٢ ، وإيضاح الشعر ٢١٤ ، وتفسير ابن عطية ٤٠٢/٨ ، وشرح المفصل ٨/٣ برواية : «إذا قال» ، والمقرب ٧٧/٢ برواية : «إذا هو آلى» ، والدر المصون ١١٨/٥ ، ومغني اللبيب ٢٧٨ ، وهمع الهوامع ٢٤٢/٤ ، والمعنى : اشرب جميع ما في الإناء ولا تردّه علي .

(٤) الحجة للقراء ٦١/٥ ، بتصرف يسير .

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْكُّونَ فِيهِمْ﴾ . قال ابن عباس: تخالفون^(١) .

قال أهل المعاني: معناه يكونون في أمر الشركاء في جانب والمسلمون في جانب ، لا يكونون معهم يداً واحدة^(٢) ، يخالفونهم فيها فيعبدونها ولا يعبدون الله ، وقرأ نافع بكسر النون^(٣) .

ووجهه ما ذكرنا في قوله: ﴿فَيَمَّ بَشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤] المعنى على هذه القراءة ما رواه عطاء عن ابن عباس ، قال: يريد تنازعوني فيهم وتتخذونهم أولياء من دوني ، وعلى هذا معنى مخالفتهم الله في الشركاء^(٤) مخالفتهم أمر الله ، كما ذكرنا في قوله: ﴿شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ﴾ [الأنفال: ١٣] .

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ . قال ابن عباس: يريد الملائكة^(٥) ، وقال آخرون: هم المؤمنون^(٦) ، يقولون حين خزي الكفار في القيامة: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ﴾ : عليهم لا علينا .

(١) أخرجه الطبري ٩٨/١٤ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢١٨/٤ وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم .

(٢) ورد في الحجة للقراء ٥٩/٥ ، بنحوه .

(٣) أي: ﴿تُشْكُّونَ﴾ مع الكسر التخفيف . انظر: السبعة ٣٧١ ، وعلل القراءات ٣٠٣/١ ، والحجة للقراء ٥٩/٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٤ ، والتيسير ١٣٧ ، والمؤوضح في وجوه القراءات ٧٣٤/٢ .

(٤) في (أ) و(د): (الشرك) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو المناسب للسياق والمعنى .

(٥) انظر: تفسير ابن الجوزي ٤٤١/٤ ، والفخر الرازي ٢٠/٢٠ ، وتفسير القرطبي ٩٨/١٠ ، وتنوير المقباس ٢٨٤ ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢٣٣/٢ ، والزخشري ٣٢٧/٢ ، وابن عطية ٤٠٢/٨ ، والخازن ١١٢/٣ ، وهذا التفسير فيه نظر؛ فالملاحظ أن القرآن يصف البشر بالعلم لا الملائكة ، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] ، وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ [الإسراء: ١٠٧] .

(٦) انظر: تفسير البغوي ١٦/٥ ، وابن عطية ٤٠٢/٨ ، وابن الجوزي ٤٤١/٤ ، والفخر الرازي ٢٠/٢٠ ، والقرطبي ٩٨/١٠ ، والخازن ١١٢/٣ .

٢٨. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾. ذكرنا معنى هذا في سورة النساء.

وقوله تعالى: ﴿فَالْقَوْمُ الْأَسَافَةُ﴾. قال ابن عباس: استسلموا وأقروا لله بالربوبية^(١)، وقال السدي: انقادوا واستسلموا عند الموت^(٢).

قال الزجاج: ذكر السلم، وهو الصلح، بإزاء المشاقة^(٣)، يريد أن الله تعالى أخبر عنهم بالمشاقة في الدنيا، فأخبر أنهم عند الموت ينقادون ويتبرؤون من الشرك، كما ذكره ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾؛ أي قالوا: ما كنا نعمل من سوء، قال ابن عباس: يريد الشرك^(٤)، فقالت الملائكة رداً عليهم وتكديباً لهم: ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [من التكذيب والشرك، ومعنى (بلى): رد لقولهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾، وقد ذكرنا معنى (بلى)]^(٥) عند قوله: ﴿إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

(١) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٠/٢٠، وورد بنحوه غير منسوب في معاني القرآن للنحاس ٤/٦٤، وتفسير القرطبي ٩٩/١٠.

(٢) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير الطبري ٩٩/١٤، والسمرقندي ٢/٢٣٣، والثعلبي ٢/١٥٦، والبغوي ١٧/٥.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٩٥، بنحوه.

(٤) انظر: تنوير المقياس ٢٨٤، بنحوه، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/٢٣٣، وتفسير الماوردي ٣/١٨٦، والبغوي ١٧/٥، وابن عطية ٨/٤٠٤، وابن الجوزي ٤/٤٤٣، والفخر الرازي ٢٠/٢١، وتفسير القرطبي ٩٩/١٠.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د).

٢٩. وقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد مقام المتكبرين عن التوحيد وعبادة الله عز وجل^(١) ، كقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥] .

٣٠. قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ قال ابن عباس : يريد الذين خافوا الله وصدقوا نبيه وأيقنوا أنه لا إله غيره ، ﴿مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ﴾ قال المفسرون : هذا كان في أيام المواسم ، يأتي الرجل مكة فيسأل المشركين عن محمد وأمره ، فيقولون : إنه ساحر وكاهن وكذاب ، [يأتي المؤمنون ويسألهم عن محمد وما أتى به من الكتاب وما أنزل الله عليه ، فيقول^(٢)] المؤمنون خيراً^(٣) ، قال ابن عباس : يريد ثواباً؛ يعني أنهم إذا سُئلوا عن ما أنزل الله على محمد ، قالوا : أنزل عليه الخير عن ثواب المحسن ، فقالوا : أنزل ثواباً؛ أي ذكره ، ولهذا نصب خيراً؛ لأنه على معنى أنزل خيراً ، ويكون هذا على أن (ما) و(ذا) كالشيء الواحد ، والمعنى أي شيء أنزل؟ ﴿قَالُوا خَيْرًا﴾ على جواب ماذا؛ أي أنزل خيراً ، ثم فسر ذلك الخير ، فقال : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ . قال ابن عباس : يريد : قالوا : لا إله إلا الله^(٤) ، وهذا على أن قوله : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ إخباراً عن الله تعالى ، أخبر أن من أحسن في الدنيا فله جزاء ذلك عند الله حسنة ، قال ابن عباس : يريد مضعفة بعشر^(٥) ،

(١) ورد نحوه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٢أ ، والطبري ١٤/ ٩٩ بمعناه غير منسوب ، والفخر

الرازي ٢٠/ ٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠٠ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٣) تفسير مقاتل ١/ ٢٠٢أ ، بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٥٦أ ، بنحوه ، وانظر : الزنجشيري ٢/ ٣٢٧ ،

وابن الجوزي ٤/ ٤٤٣ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠٠ ، والخازن ٣/ ١١٣ .

(٤) ورد غير منسوب في تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٤٣ .

(٥) انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٧ ، بنحوه ، وورد غير منسوب في تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢٤ .

ودلَّ بهذا على أن الذي قاله المؤمنون^(١) اكتسبوا به حسنة ، والوجهان ذكرهما أبو إسحاق^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ ﴾ يعني الجنة ، ومضى الكلام في هذا في سورة الأنعام [٣٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ ؛ أي وَلِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ دار الآخرة ، فحذفت لسبق ذكرها ، هذا إذا لم تجعل هذه الآية متصلة بما بعدها ، [وإن جعلتها متصلة]^(٣) قلت : ﴿ وَلِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ جَنَّتْ عَدْنٍ ﴿ ، فترفع جنات على أنها اسم لنعم ، كما تقول : نعم الدار دار ينزلها .

٣١ . قوله تعالى : ﴿ جَنَّتْ عَدْنٍ ﴾ ذكرنا وجه ارتفاعها إن كانت موصولة ، وإن كانت مقطوعة ، فقال الزَّجَّاج : جنات مرفوعة بإضمار هي ؛ كأنك لمَّا قلت : ﴿ وَلِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، قيل أي دار هذه الممدوحة ؟ فقلت على جواب السائل : جنات عَدْنٍ ؛ أي هي جناتُ عَدْنٍ^(٤) ، وإن شئت رفعتها على الاستئناف وجعلت يدخلونها الخبر ، هذا قول الفراء^(٥) ، وعند الزَّجَّاج : يجوز أن يكون الخبر نِعَم دار المتقين ؛ لأنه قال : وإن

(١) في النسخ جميعها : (للمؤمنين) ، وهو خطأ أدى إلى اضطراب المعنى ، وبالمثبت يستقيم الكلام ، ويؤيده ما ورد في المصدر .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٩٦/٣ ، بتصرف . وذكر الزمخشري قولاً ثالثاً ، هو : أن «للذين أحسنوا» وما بعده بدل من خيراً ، حكاية لقول الذين اتقوا ؛ أي قالوا هذا القول ، فقدم عليه تسميته خيراً ثم حكاها . تفسير الزمخشري ٣٢٧/٢ ، وعلى القول الأول والثالث تكون ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ من كلام المؤمنين ، وعلى الثاني تكون من كلام الله ؛ كلاماً مستأنفاً .

(٣) زيادة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٩٦/٣ ، بتصرف يسير .

(٥) معاني القرآن للفراء ٩٩/٢ ، بنحوه .

شئت رفعت على الابتداء ، ويكون المعنى : جناتٍ عَذْنٍ نِعَمٍ دارُ
المتقين^(١) .

٣٢. قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ نُوَفِّئُهُمُ الْمَلَكُوتَ ﴾ . الذين في موضع نصب؛ لأنه
صفة المتقين في قوله : ﴿ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ طَيِّبِينَ ﴾ ؛ أي بأعمالهم الصالحة ، خلاف من يتوفاهم خبيثين
بأعمالهم القبيحة ، قال الكلبي : طيبين من الشرك^(٢) ، وقال مجاهد : زاكية أفعالهم
وأقوالهم^(٣) .

٣٣-٣٤. قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ نظير هذه الآية في
سورة البقرة [آية : ٢١٠] ، وآخر سورة الأنعام [آية : ١٥٨] ، وقدم ، والمعنى :
هل ينظرون إلا الموت ؛ لأن الملائكة إنما تأتيهم لقبض أرواحهم ،
﴿ أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّكَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد القتل وغيره ، وقال قتادة
ومجاهد : يعني القيامة^(٤) .

وقال الزَّجَّاج : ما وعدهم الله به من عذابه^(٥) .

-
- (١) معاني القرآن وإعرابه ١٩٦/٣ ، بنصه .
(٢) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير البغوي ١٧/٥ ، وابن الجوزي ٤٤٣/٤ ، وتفسير القرطبي
١٠١/١٠ ، والخازن ١١٣/٣ ، وتنوير المقباس ٢٨٥ ، والشوكاني ٢٢٩/٣ ، والألوسي ١٣٣/١٤ ،
وصديق خان ٢٣٦/٧ .
(٣) ورد في تفسير الثعلبي ١٥٦/٢ ، بلفظه ، وانظر : البغوي ١٧/٥ ، والخازن ١١٣/٣ ، والألوسي
١٣٣/١٤ ، وورد غير منسوب في تفسير ابن الجوزي ٤٤٣/٤ ، والقرطبي ١٠١/١٠ ، والشوكاني
٢٣٠/٣ ، وصديق خان ٢٣٦/٧ .
(٤) أخرجه الطبري ١٠٢/١٤ ، بلفظه عنهما من طريقين ، وورد غير منسوب في تفسير الثعلبي ١٥٦/٢ ،
والبغوي ١٨/٥ ، وتفسير القرطبي ١٠٢/١٠ ، والخازن ١١٣/٣ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٩٦/٣ ، بنصه .

قال صاحب النظم : إنهم لا ينتظرون ذلك على الحقيقة؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون بالله ، كيف ينتظرون أمره؟! ولكن لما كان امتناعهم من الدخول في الإيمان موجباً عليهم إتيان أمر الله والملائكة بما قَدَّر عليهم من العذاب ، وكان عاقبة أمرهم إلى ذلك ، أضيف ذلك إليهم على المجاز والسعة ، وجعل مجيء ذلك انتظاراً منهم له ، فكأنه - عز وجل - قال : هل يكون مدة إقامتهم على كفرهم إلا مقدار إيقاعي بهم وإنزالي العذاب عليهم ، وهذا كما قلنا في لام العاقبة في مواضع ، لما كانت العاقبة تؤدي إلى ذلك جعل سبباً له وإن لم يكن في الحقيقة كذلك ، كقوله : ﴿ فَالْثَّقَطُءُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ﴾ [القصص : ٨] ، وقد مر^(١) ، وهذا الذي ذكره صاحب النظم وجه جيد في هذه الآية لم يذكره في نظيرها في سورة البقرة والأنعام .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يريد كفار الأمم الماضية ، وفي الآية حذف على قول الزَّجَّاج ؛ لأنه قال أي كذلك فعلوا فأثامهم أمرُ الله بالعذاب^(٢) ، ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ﴾ : بتعذيبهم ﴿ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ : بإقامتهم على الشرك وكفران ما أنعم الله عليهم ، وإن شئت حملت الكلام على التقديم والتأخير فقلت : التقدير : ﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ، ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ الآية ، ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ﴾ الآية ، وهو قول ابن عباس : يريد جزاء ما عملوا من الشرك^(٣) ، ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ : من العذاب والنقمة .

(١) في تفسير الآية [٢٥] من هذه السورة .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٩٧/٣ ، بنصه .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٤٥ ، وتنوير المقياس ٢٨٥ ، بنحوه .

٣٥. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يعني أهل مكة، ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من البحيرة^(١) والسائبة^(٢) وسائر ما حرموا، نظير هذه الآية في سورة الأنعام [آية: ١٤٨]، ومضى الكلام هناك مستقصي، على أن أبا إسحاق قال هاهنا: إن المشركين قالوا هذا على جهة الهزء، كما قال قوم شعيب له: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، ولو قالوا هذا معتقدين لكانوا مؤمنين ولكنهم قالوا مستهزئين، وكذلك هؤلاء لو قالوا مُحَقِّقِينَ، ما قيل: إنهم مكذبون، كما كَذَّبَ الذين من قبلهم^(٣)، وهو قوله: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؛ أي من تكذيب الرسل وتحريم ما أحل الله، قال ابن عباس: يريد عمرو بن لُحَيٍّ وأصحابه^(٤)، ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلْعُ الْمُبِينُ﴾ قال: يريد: قد بَلَغْتَ رسالتي وَبَلَغَ مَنْ قَبْلَكَ، يعني ليس عليهم إلا التبليغ، فأما الهداية فهو إلى الله تعالى؛ يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وقد حَقَّقْتَ هذا في ما بعد، وهو:

- (١) وردت فيها أقوال عدة، قال سعيد بن جبير: هي التي يمنح دُرُّها للطواغيت، فلا يحتلبها أحدٌ من الناس، وقيل: هي ناقة كانت إذا نُتِجَتْ خمسة أبطن وكان آخرها ذكراً، شَقُّوا أذنِها وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا تطرد عن ماءٍ ولا تمنع من مرعى، وقيل غير ذلك. انظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/٢١٣، وتفسير المُشْكَل ١٥٦، وتفسير القرطبي ٦/٣٣٥.
- (٢) فيها أقوال كذلك، قال سعيد بن المسيب: هي التي كانوا يُسيبونَها لأهتهم، وقال الرَّجَّاج: كان الرجل إذا نذر لقدم من سفر أو برء من علة أو ما أشبه ذلك، قال: ناقتي هذه سائبة، فكانت كالبحيرة في أنه لا ينتفع بها وأن لا تجل عن ماءٍ، ولا تمنع من مرعى. انظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/٢١٣، وتفسير المُشْكَل ١٥٦، وتفسير القرطبي ٦/٣٣٥.
- (٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٩٧، بتصرف واختصار.
- (٤) تخصيص الآية بعمرو بن لُحَيٍّ وأصحابه لا دليل عليه، وحمل الآية على العموم أولى، إلا أن يراد به التمثيل فيكون مقبولا، وأغلب الظن أنه نُسب إلى ابن عباس -رضي الله عنهما- من الطرق الضعيفة.

٣٦. قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ ، يعني كما بعثناك في هؤلاء ، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ تعالى؛ أي بعبادة الله تعالى ، والتقدير : بأن اعبدوا الله ، فحذف الجار ، ﴿وَأَجْتَنِبُوا ظُلُومَاتِ﴾ ؛ أي الشيطان وكل من يدعو إلى الضلالة ، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ : أرشده ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ . قال ابن عباس : يريد في سابق علمي^(١) .

وقال الزَّجَّاج : أعلم الله أنه بَعَثَ الرسل بالأمر بالعبادة ، وهو من وراء الإضلال والهداية ، وهذا يدل على أنهم لو قالوا : ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدَنَا﴾ الآية ، معتقدين لكانوا صادقين^(٢) ، ومعنى ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ : وجب عليهم الكفر ، كما قال : ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠] ، وكقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦] ، ثم قال : ﴿فَسِيرُوا﴾ ؛ أي فسيروا معتبرين في الأرض بأثار الأمم المكذبة ، فتعرفوا أن العذاب بإزائكم كما نزل بهم ، ثم أكد أن من حَقَّتْ عليه الضلالة لا يهتدي .

٣٧. فقال عز من قائل : ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ﴾ ؛ أي إن تطلب بجهدك ذلك ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ ؛ أي من يُضِلُّه ، فالراجع إلى الموصول الذي هو (مَنْ) محذوف مقدر^(٣) ، وهذا كقوله : ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَكَلا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦] ، وكقوله : ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾

(١) انظر : تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٣٩٣/٢ ، وورد بلا نسبة في تفسير ابن الجوزي ٤٤٦/٤ ، وورد

بمعناه بلا نسبة في تفسير الفخر الرازي ٢٩/٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٠٤/١٠ ، والخازن ١١٤/٣ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٩٨/٣ ، بتصرف يسير .

(٣) وهو الهاء المحذوفة ، وتقديره : (يضلّه) .

[الجائية: ٢٣]؛ أي من بعد إضلال الله إياه^(١)، وقرأ أهل الكوفة يَهْدِي
بفتح الياء^(٢)، وهو يحتمل وجهين: (٣)

أحدهما: أن المعنى فإن الله لا يُرشد من أضله، وبهذا فسره ابن عباس^(٤).

والثاني: أن يَهْدِي بمعنى يَهْتَدِي، قال الفرّاء: والعرب تقول: قد هَدَى
الرجل؛ يريدون قد اهتدى، ومثله قوله: ﴿أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾^(٥)
[يونس: ٣٥]، قال ابن مجاهد^(٦): ولم يختلفوا في ﴿يُضِلُّ﴾ أنه مضموم الياء^(٧).

٣٨. قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾. مضى الكلام في هذا في
سورة الأنعام [١٠٩]، قال ابن عباس: أغلظوا في الأيمان تكذيباً منهم

(١) انظر: الحجة للقراء ٦٤/٥، بنحوه.

(٢) وهم عاصم وحمة والكسائي، انظر: السبعة ٣٧٢، وعلل القراءات ٣٠٥/١، وإعراب القراءات
السيح وعللها ٣٥٣/١، والمبسوط في القراءات ٢٢٤، والتيسير ١٣٧، والنشر ٣٠٤/٢، قال
الأزهري في علل القراءات، وغيره: ومن قرأ: (لا يُهْدَى)، [وهم: ابن كثير وأبو عمرو ونافع
وابن عامر]، فالمعنى: لا يُهْدَى أحدٌ يضلّه الله، وهذا نظير قوله جل وعز: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلاَ هَادِيً
لَهُ﴾، وقد اختار الطبري هذه القراءة ورجح هذا المعنى، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم. انظر:
تفسير الطبري ١٠٤/١٤، والثعلبي ١٥٦/٢ ب، وتفسير القرطبي ١٠٤/١٠.

(٣) ذكرهما الثعلبي ١٥٦/٢ ب، بنحوه، وذكرهما ابن الجوزي ونسبهما إلى ابن الأنباري. تفسير
ابن الجوزي ٤٤٦/٤.

(٤) انظر: تفسير الفخر الرازي ٣٠/٢٠، وورد غير منسوب في تفسير القرطبي ١٠٤/١٠.

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٩٩/٢، بنصه.

(٦) أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي، المشهور بابن مجاهد، شيخ القراءات وأول
من سبغ السبعة، ولد سنة ٢٤٥هـ، قرأ على عبد الرحمن بن قدوس عشرين ختمة، وعلى قُتَيْل المكي،
وسمع القراءات من طائفة كبيرة، تصدر للإقراء وازدحم عليه أهل الأداء، ورُحِّل إليه، قرأ عليه
صالح بن إدريس وأبو الفرج الشَّنبُوزي، صنَّف كتابه المشهور: السبعة في القراءات، مات سنة
٣٢٤هـ. انظر: الفهرست ٥٢، ومعرفة القراء الكبار ٢٦٩/١، وغاية النهاية ١٣٩/١.

(٧) السبعة ٣٧٢، بنحوه، وزاد: مكسورة الضاد.

بقدره الله على البعث بعد الموت^(١)، فقال الله تعالى ردًا عليهم: ﴿بَلَىٰ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا﴾؛ أي لَيُبْعَثَنَّهم وعدًّا عليه حقًّا، وهو مصدر مؤكد؛ أي وعدُّ البعث وعدًّا حقًّا لا خُلْفَ فيه؛ لأنه إذا قال يبعثهم دَلَّ على وعدٍ بالبعث وعدًّا.

٣٩. قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ من أمر البعث، واختلافهم فيه: ذهابهم إلى خلاف ما ذهب إليه المؤمنون، واللام في قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ متعلقة بالبعث، المعنى: بلى يبعثهم ليبين لهم، قال الزَّجَّاج: ويجوز أن تكون متعلقة بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾، [ويكون المعنى: بعثنا في كل أمة رسولاً]^(٢)؛ ليبين لهم اختلافهم وأنهم كانوا من قبله على ضلالة^(٣)، فعلى هذا لا يعود البيان إلى بيان البعث، وعلى القول الأول: يعود إلى بيان البعث بعد الموت، وهو قول ابن عباس^(٤)؛ لأنه قال: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ بهذا الوعد الذي قال: ﴿وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا﴾، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ في ما أقسموا فيه.

٤٠. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ الآية. قال ابن عباس: أخبر بقدرته وقوته، يريد ليس كما يتكلف المخلوقون من الأعوان والإله أمر الله

(١) انظر: تفسيره الوسيط، تحقيق سيسي ٣٩٤/٢، وورد بلا نسبة في تفسير ابن كثير ٦٢٧/٢.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع).

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٩٨/٣، بنحوه.

(٤) لم أقف عليه، وورد هذا المعنى في معاني القرآن للنحاس ٦٦/٤، وتفسير السمرقندي ٢٣٦/٢، والثعلبي ١٥٦/٢ ب.

أوحى من ذلك^(١). وقال الزَّجَّاج: أعلمهم الله سهولة خلق الأشياء عليه، فأعلم أنه متى أراد الشيء كان^(٢).

قال ابن الأنباري: وقع اسم الشيء على المعلوم عند الله عز وجل قبل الخلق؛ لأنه بمنزلة ما قد عوين وشوهد^(٣).

قال الفراء: القول مرفوع بقوله: ﴿أَنْ نَقُولَ﴾، كما تقول: إنما قولنا الحق، هذا كلامه^(٤)، وبيانه ما ذكره الزَّجَّاج، فقال: ﴿قَوْلُنَا﴾ رفع بالابتداء وخبره: ﴿أَنْ نَقُولَ﴾، المعنى: إنما قولنا لكل مراد قولنا كن، فإن قيل: كيف خاطب المعلوم بقوله: ﴿كُنْ﴾، قلنا: هذا تمثيل لنفس الكلفة والمعاناة، ومخاطبة الخلق بما يعقلون ليس أنه يخاطب المعلوم؛ لأن ما أراد الله - عز وجل - فهو كائن على كل حال، وعلى ما أراحه من الإسراع، لو أراد خلق الدنيا والسموات والأرض في قدر لمح البصر لَقَدَّرَ على ذلك، ولكن العباد خوطبوا بما يعقلون^(٥)، وذكرنا في سورة البقرة عند قوله: ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آية: ١١٧] أجوبة سوى هذا.

واختلفوا في قوله: ﴿فَيَكُونُ﴾، فقرأه أكثر القراء بالرفع^(٦) على: (فهو يكون)، قال الفراء: الرفع على أن تجعل ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ﴾ كلاماً تاماً يخبر بأنه سيكون، كما تقول للرجل: إنَّما يكفيه أن أمره، فيفعل بعد ذلك ما يؤمر^(٧)، برفع

(١) لم أدرك مقصوده بهذه العبارة المعترضة.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٩٩/٣، بتصرف يسير.

(٣) انظر: تفسير القرطبي ١٠/١٠٦، بنصه، وابن الجوزي ٤/٤٤٧، بلا نسبة.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/١٠٠، بنصه.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٩٨/٣، بتصرف.

(٦) انظر: السبعة ٣٧٣، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/٣٥٤، والحجة للقراء ٥/٦٥، والمبسوط

في القراءات ٢٢٤، والتيسير ١٣٧، والموضح في وجوه القراءات ٢/٧٣٦.

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/١٠٠، بتصرف يسير.

فيفعلُ على معنى فهو يفعل وسيفعل ، وقرأ ابن عامر والكسائي : ﴿فَيَكُونُ﴾ نصباً^(١) ، عطفاً على ﴿أَنْ نَقُولَ﴾ ، المعنى : أن نقول فيكون ، هذا قول جميع النحويين^(٢) .

قال الزَّجَّاج : ويجوز أن يكون نصباً على جواب كن^(٣) .

قال أبو علي : هذا الوجه الذي أجازته من النصب في يكون لم يجزه أحد من أصحابنا غيره ، ولم أعلم لغيره إجازةً له على هذا الوجه ، ووجدت الكسائي يقول : إنه سمعه من العرب أكثر من خمسين مرة بالنصب ، وما علمته حَمَلَ ذلك على أنه جواب ، ولكن على (أَنْ) ، وَحَمَلَهُ على الجواب غير سائغ ؛ لأن (كُنْ) وإن كان على لفظ الأمر فليس القصد به هاهنا الأمر ، إنما هو - والله أعلم - الإخبار عن كون الشيء وحدوثه ، وإلى هذا ذهب أبو العباس وغيره^(٤) ، وقد ذكرنا هذا في سورة البقرة^(٥) .

٤١ . قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ . قال الفرّاء : ﴿وَالَّذِينَ﴾ موضعها رفع^(٦) ؛ يريد أن هذا كلام مستأنف لا تعلق له

(١) انظر : السبعة ٣٧٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٥٤ ، والحجة للقراء ٥/ ٦٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٤ ، والموضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٣٦ .

(٢) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٨ ، وتفسير الطبري ١٤/ ١٠٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٠ ، والحجة للقراء ٥/ ٦٥ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤ ، وانظر : الإملاء ٢/ ٨١ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٢٨ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٨ ، بنصه .

(٤) المقتضب ٢/ ١٨ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٩١٠ ، والحجة للقراء ٢/ ٢٠٥ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤ ، والإملاء ١/ ٦٠ ، والدر المصون ٢/ ٨٩ . وبالإضافة إلى كون (كن) هنا للحكاية لا الأمر ، يشترط في جواب الأمر أن يخالف الأمر ؛ إما في الفعل ، أو في الفاعل ، أو فيهما ، فلما اتفق الفعلان ، والفاعل واحد ، لم يحسن أن يكون (فيكون) جواباً للأول . المصادر السابقة .

(٥) الإغفال ٢/ ١٥٣ ، بنصه .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٠٠ ، بلفظه .

بما قبله ، قال المفسرون : نزلت هذه الآية في قوم آذاهم المشركون
وعذبوهم بمكة؛ صهيب وبلال وخبَّاب^(١) ، ومعنى ﴿ هَاجَرُوا فِي
اللَّهِ ﴾ : هاجروا في رضا الله وطلب ثوابه .

وقوله تعالى : ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ . قال الشعبي وقتادة : بوأهم الله
المدينة^(٢) ، وعلى هذا يكون التقدير : لَنُبَوِّئَنَّهُمْ في الدنيا داراً حسنة أو بلدة حسنة ،
يعني المدينة؛ فإن الله تعالى جعلها لهم دار هجرة ، وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين
فيها ، وجمعهم فيها مع النبي ﷺ ، وقال مجاهد : لَنُرْزُقَنَّهُمْ في الدنيا^(٣) .

(١) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٣أ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٦٧ ، وتفسير السمرقندي
٢/ ٢٣٦ ، عن مقاتل والكلبي ، والثعلبي ٢/ ١٥٦ ب ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٨٩ ، عن الكلبي ،
وأورده المؤلف في أسباب النزول ٢٨٥ ، بلا سند ، وهذا القول لا يعتد به في أسباب النزول؛ لوروده
بلا إسناد ، فضلاً عن كونه من رواية الكلبي ، وقد أخرجه الطبري ١٤/ ١٠٧ برواية أخرى عن
ابن عباس قال : هم قوم هاجروا إلى رسول الله ﷺ من أهل مكة من بعد ظلمهم ، وظلمهم
المشركون ، وهذه كذلك لا يعتد بها في أسباب النزول؛ لكونها من الصيغ غير الصريحة ، ولورودها من
طريق العوفي ، وهي ضعيفة ، وخبَّاب هو : ابن الأرت ، أبو عبدالله رضي الله عنه ، سبي في الجاهلية
فبيع بمكة ، فكان مولى أم أنهار الخزاعية ، وقيل غير ذلك ، ثم حالف بني زهرة ، كان من السابقين
في الإسلام ، ومن المستضعفين ، عذب بمكة عذاباً شديداً حتى اشتكى إلى رسول الله ﷺ ، هاجر
إلى المدينة وشهد بدرًا وما بعدها ، ونزل الكوفة ومات فيها سنة ٣٧هـ . انظر : الاستيعاب ٢/ ٢١ ،
وأسد الغابة ٢/ ١١٤ ، والإصابة ١/ ٤١٦ .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١٠٧ ، بلفظه عنها من طريقين ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٦٧ ،
عن الشعبي ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٥٧أ ، عن قتادة ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٨٨ ، عنها ، والطوسي
٦/ ٣٨٣ ، عنها ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن الشعبي .

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٣٤٧ ، بنصه ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٠٧ ، بنصه من طريقين ، وورد في تفسير
الماوردي ٣/ ١٨٨ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢١ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة
وابن المنذر وابن أبي حاتم .

وقال الضحاك : يعني بالحسنة : النصر والفتح^(١) ، وعلى هذا تقدير الآية :
لنبوئهم في الدنيا ولنرزقنهم حسنة أو لنعطينهم حسنة ، فحذف ذلك اكتفاءً
بالأول كقوله^(٢) :

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا^(٣)

وهذا باب قد مرَّ منه كثير ، فيكون معنى الآية : أنزلهم المدينة وأطعمهم
الغنيمة ، وهذا الوجه اختيار الفراء ؛ لأنه قال في هذه الآية : نزول المدينة وَلُتَحْلَلْنَ
لهم الغنائم^(٤) ، وعلى هذا التفسير حذف من الآية شيثان : المفعول الثاني للتَّبَوُّة ،
والفعل الناصب للحسنة .

(١) ورد في معاني القرآن للنحاس ٦٧/٤ ، بنصه ، وتفسير الماوردي ١٨٨/٣ ، بلفظه ، وانظر : تفسير
ابن الجوزي ٤٤٨/٤ .

(٢) نسبه الفراء إلى بعض بني أسد .

(٣) وعجزه :

حَتَّى شَتَّتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا

معاني القرآن للفراء ١٤/١ ، وورد بلا نسبة في الخصائص ٤٣١/٢ ، والإنصاف ٤٨٨ ، واللسان
(علف) ٣٠٧٠/٥ ، والدر المصون ١١٢/٧ ، وأوضح المسالك ١١٠/٢ ، وجمع الهوامع ٢٢٨/٥ ،
والدر اللوامع ٧٩/٦ ، والخزانة ١٤٠/٣ ، وقال : وأورده الشيرازي والفاضل اليمني صدرًا
وبرواية أخرى للصدر :

لَمَّا حَطَّطْتُ الرُّخْلَ عَنْهَا وَارِدًا عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا

(شتت) بمعنى أقامت شتاء ، يقال : شتا بالبلد : أقام به شتاءً ، (همالة عيناها) من هملت العين إذا
صبَّتْ دمعها وفاضت وسالت . والشاهد : حذف وسقيتها ماءً ، اكتفاءً بالأول ، وهو : علقتها .

(٤) معاني القرآن للفراء ١٠٠/٢ ، بنصه .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا جَرْءُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. قال ابن عباس: يريد أن أمر الجنة أعظم وأكثر^(١) من أن يعلمه أحد ويقدر أحد على وصفه^(٢)، وما ظنك بما قال الله له: أكبر.

٤٢. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، في محل ﴿الَّذِينَ﴾ وجوه؛ أحدها: أن يكون بدلاً من المضمر في: ﴿لِنُبَوِّئَهُمْ﴾، ويجوز أن يكون على تقدير: هم الذين، قال ابن عباس: أثنى عليهم ومدحهم بالصبر، فقال: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ يريد على دينهم وعلى عذاب المشركين إيّاهم، وهم في ذلك واثقون بالله متوكلون عليه.

٤٣. قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾. قال المفسرون^(٣): إن مشركي مكة أنكروا نبوة محمد ﷺ، قالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فهلا بعث إلينا ملكاً^(٤)، فقال الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾؛ أي إلى الأمم الماضية، ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ آدميين لا ملائكة، أعلم الله أن الرسل بشر، إلا أنهم يوحي إليهم، فقال: ﴿إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾، نظير هذه الآية في أواخر سورة يوسف^(٥).

(١) في النسخ جميعها: (أكثر)، وفي تفسيره الوسيط، تحقيق سيسي ٣٩٦/٢: (أكبر).

(٢) ورد في تفسيره الوسيط، تحقيق سيسي ٣٩٦/٢، بنصه تقريباً، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٤٤٨/٤، مختصراً.

(٣) ساقط من (د).

(٤) أخرجه الطبري ١٠٩/١٤، بنحوه عن ابن عباس، من طريق الضحاك منقطعة، وورد بنحوه في تفسير مقاتل ٢٠٣/١، والسمرقندي ٢٣٦/٢، والثعلبي ١٥٧/٢، بنصه، وانظر: البغوي ٢٠/٥، وابن عطية ٤٢٣/٤، وابن الجوزي ٤٤٩/٤، والفخر الرازي ٣٥/٢٠، وتفسير القرطبي ١٠٨/١٠، والحازن ١١٦/٣، وأبي حيان ٤٩٣/٥، وابن كثير ٦٢٨/٢، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢٢٢/٤، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٥) وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [آية: ١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿فَتَسَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ . فقال ابن عباس : يريد أهل التوراة الذين آمنوا من قريظة والنضير^(١) ، قال : والذكر التوراة^(٢) ، وتلا قوله : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] ، ﴿الذِّكْرِ﴾ يعني التوراة ، وهذا قول عامة المفسرين : أن أهل الذكر هم أهل الكتاب؛ يعني المؤمنين منهم في قول الأكثرين^(٣) .

وقال أبو إسحاق : قيل : فاسألوا أهل الكتب الذين يشهدون بهذا^(٤) ، لا من أجل أنهم من أهل هذه الملة ، ولكن أهل الكتاب يعترفون أن^(٥) الأنبياء كلهم بشر ، فعلى هذا المراد بأهل الذكر : أهل العلم بأخبار الماضين ومن أُبْنِئهم من الرسل ، والذكر المراد به العلم؛ لأنه مقرون بالذكر ومتعلق به ، إذ العالم من يذكر الدليل ولا يكون ساهياً عنه ، فحسُن أن يقع الذكر موقع العلم .

(١) هما قبيلتان من قبائل اليهود التي سكنت المدينة وخيبر ، وكانوا ثلاث قبائل؛ الثالثة هي بنو قينقاع ، وقد أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة لِمَا خانوا عهده وتآمروا عليه ، وأذوا المسلمين . انظر : سيرة النبي ﷺ لابن هشام ١/ ١٦ ، ٢/ ٤٤٢ ، والروض الأنف ٢/ ٢٨٩ ، وزاد المعاد ٣/ ٦٥ ، والبداية والنهاية ٤/ ٣ ، ٧٤ ، ١١٦ .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١٠٩ ، وهو جزء من رواية الضحاك عن ابن عباس السابقة؛ وفيها : ﴿فَتَسَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ : يعني أهل الكتب الماضية ، وورد بنحوه مختصراً في تفسير الماوردي ٣/ ١٨٩ ، والطوسي ٦/ ٣٨٤ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٤٢٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٤٩ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٣٦ ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٣ ، وابن كثير ٢/ ٦٢٨ ، والقول في المصادر كلها ورد مطلقاً من دون تقيده بمن آمن من بني قريظة أو النضير .

(٣) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢١ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٦ ، وهود الهواري ٢/ ٣٧١ ، والطوسي ٦/ ٣٨٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٣/ ٧٠ ، وابن عطية ٨/ ٤٢٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠٨ ، والحاظن ٣/ ١١٦ ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠١ ، بنحوه ، وهو أحد قولين ذكرهما في الآية .

(٥) (أن) ساقط من (ع) .

وقال الزَّجَّاج : ويجوز - والله أعلم - قيل لهم : سلوا كلَّ من يُذكِّرُ بعلم ، وافق هذه الملة أو خالفها^(١) .

قال أهل المعاني : وفي هذه الآية دليل على أن الخصم إذا التبس عليه أمر ردَّ إلى أهل العلم بذلك^(٢) .

٤٤ . قوله تعالى : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ . اختلفوا في الجالب لهذه الباء^(٣) ؛ فعند الفراء : لا يجوز أن تتعلق بأرسلنا المذكور في الآية الأولى ؛ لأن صلة ما قبل إلا لا تتأخر بعد إلا ، ولكنه يقول : تقدير الآية : أرسلناهم بالبينات^(٤) ، فالباء تتعلق بأرسلناهم المضمَر المدلول عليه بأرسلنا المذكور ، قال : ومثله قوله : ما ضرب إلا أخوك زيـداً ، وما مرَّ إلا أخوك بزيد ، تريد ما مرَّ إلا أخوك ، ثم تقول : مرَّ بزيد ، فهذا إنما يجوز على كلامين ، ولا يجوز أن يكون ما بعد إلا موصولاً بما قبله ، ومن هذا الجنس قول الشاعر :

نُبِّهَهُمْ عَذَّبُوا بِالنَّارِ جَارَتَهُمْ وهل يُعَذَّبُ إِلَّا اللهُ بِالنَّارِ^(٥)

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠١ ، بنصبه ، وهذا القول هو الراجح ؛ لأنه موافق لعموم اللفظ ، وحل اللفظ على عمومه أولى ما لم يرد له مخصص ، والرواية المخصص بأهل الكتاب عن ابن عباس ، هي من طريق الضحاك وهي منقطعة .

(٢) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٣٨٤ ، بنحوه .

(٣) أورد السمين في ذلك ثمانية أقوال ، انظر : الدر المصون ٧/ ٢٢٢ ، وما بعدها .

(٤) فيكون تأويل الكلام : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر .

(٥) ورد غير منسوب في تفسير الطبري ١٤/ ١١٠ ، والإملاء ٢/ ٨١ ، فيه : (لا) بدل (هل) ، والثعلبي ٢/ ١١٥٧ ، والطوسي ٦/ ٣٨٥ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٢٨ ، والدر المصون ٧/ ٢٢٢ ، وشرح التصريح ١/ ٢٨٤ ، قال الأزهري : فقدم الفاعل المحصور يالا على المجرور بالباء ، وطوى ذكر المفعول ، وهل بمعنى ما ، وأصل الكلام : ما يعذب أحدٌ أحداً بالنار إلا الله .

وقال الكسائي : (إِلَّا) في قوله : ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ بمعنى غير ، كقوله : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء : ٢٢] ، قال : المعنى لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا^(١) ، واحتج بقول الشاعر^(٢) :

أَبْنِي لُبِّي لَسْتُ بِمِيدٍ إِلَّا يَدٍ لَيْسَتْ لَهَا عَضْدُ^(٣)

فقال : (إِلَّا) هاهنا بمعنى غير ؛ لأنه لا يمكن إعادة خافض بضمير^(٤) ، قال الفرّاء : وقد ذهب في هذا مذهبا^(٥) ، ومن قال الذكر في الآية الأولى بمعنى العلم^(٦) ، جعل الباء من صلته ، كأنه قيل : سلّوا أهل العلم بالبينات والزبر^(٧) ، وهي ما أنزل الله على الأنبياء من الحجج الواضحة والكتب ، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ يعني القرآن^(٨) ، ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ في هذا الكتاب من الحلال والحرام ، والوعد والوعيد ، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَفْكُرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٢) هو أوس بن حجر ، (جاهلي) .

(٣) ديوانه ٢١ ، ووردت اليد الثانية منصوبة (إلا يداً) وليس في هذه الرواية الشاهد ، وورد في معاني القرآن للفرّاء ١٠١/٢ ، وتفسير الطبري ١١٠/١٤ ، والثعلبي ١٥٧/٢ ، لُبِّي : اسم امرأة ، وبنو لبني من بني أسد بن وائلة ، يعبرهم بأنهم أبناء أمة ، إذ ينسبهم إلى الأم تهجيناً لشأنهم .

(٤) يعني أن الذي خفض اليد قبل (إلا) وهي الباء يتعذر إعادته بعد (إلا) لخفض اليد الثانية ، ولا إشكال لو كانت بمعنى غير .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ١٠٠-١٠١ ، بتصرف واختصار .

(٦) أشار إلى ذلك الرّجّاج في المعاني ٢٠١/٣ ، بقوله : قيل لهم : اسألوا كل من يذكر بعلم . . . ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠٨/١٠ ، والخازن ١١٦/٣ .

(٧) وهذا القول هو الأظهر ؛ لأنه لا يحتاج إلى تأويل ، وما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما احتاج إلى تأويل .

(٨) ورد في تفسير مقاتل ١٢٠٣/١ ، والطبري ١١١/١٤ ، وهود الهواري ٣٧٣/٢ ، والسمرقندي ٢٣٧/٢ ، والطوسي ٣٨٥/٦ ، وتفسير الماوردي ١٩٠/٣ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٤٢٥/٨ ، والخازن ١١٦/٣ ، وابن كثير ٥٩٢/٢ .

٤٥. قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾. قال ابن عباس: يريد المشركين؛ أهل مكة وما حول المدينة^(١).

وقوله تعالى: ﴿مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾. قال الكلبي: عملوا السيئات، يعني عبادة غير الله^(٢)، وكذلك قال قتادة: يعني الشرك^(٣)، وعلى هذا سمي عبادتهم الأوثان مكرًا؛ لأن المكر في أصل اللغة: السعي بالفساد^(٤)، وذكرنا هذا في ما تقدم^(٥)، وعبادة غير الله من أفسد السعي.

وقوله تعالى: ﴿أَن يَخْشِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾. قال ابن عباس: كما خسف بقارون^(٦)، ومعنى الخسف في اللغة: سُؤُوخُ الأرض بما عليها^(٧)، قال أبو زيد والأصمعي: خَسَفَ المكانُ يَخْسِفُ، وَخَسَفَهُ اللهُ^(٨). ومعنى الاستفهام في قوله: ﴿أَفَأَمِنَ﴾ الإنكار؛ أي يجب ألا يأمنوا عقوبة تلحقهم كما لحقت المكذبين من قبلهم.

(١) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير الزمخشري ٢/٣٣٠، وابن عطية ٨/٤٢٥، وابن الجوزي ٤/٤٥٠، والفخر الرازي ٢٠/٣٨، والخازن ٣/١١٧، وأبي حيان ٥/٤٩٤.

(٢) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٠/٣٨، وورد غير منسوب في تفسير هود الهواري ٢/٣٧٢.

(٣) أخرجه الطبري ١٤/١١٢، بلفظه، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٢٢٣، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٤) والمشهور عند أهل اللغة أن أصل المكر: الاحتيال والخداع، ويكون عادة في خُفْيَةٍ، فكأن الواحدي -رحمه الله- فسرّها باللازم، انظر: تهذيب اللغة (مكر) ٣٤٣٤، والمحيط في اللغة ٦/٢٦٣، ومجمل اللغة ٢/٨٣٨، والصحاح ٢/٨١٩.

(٥) في تفسير الآية [٢٦] من هذه السورة.

(٦) انظر: تفسير القرطبي ١٠/١٠٩، والخازن ٣/١١٧، وأبي حيان ٥/٤٩٥، وفي الأخيرين بلا نسبة.

(٧) ورد في تهذيب اللغة (خسف) ١/١٠٢٩، بنصه، وهو قول الليث. وانظر: المحيط في اللغة (خسف) ٤/٢٦٧، واللسان ٢/١١٥٧.

(٨) المصدر السابق نفسه.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ . قال الكلبي : من حيث لا يعلمون بهلاكهم^(١) ، قال ابن عباس : يريد يوم بدر وما كانوا يُقدِّرون ذلك ولا يشعرونه^(٢) .

٤٦ . قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد في تجارتهم واختلافهم إلى اليمن وإلى الشام^(٣) ، وهذا قول قتادة والكلبي ، قالوا : ﴿فِي تَقْلِبِهِمْ﴾ : في أسفارهم^(٤) ، وقال مقاتل : في ليلهم ونهارهم^(٥) ، يريد في تقلبهم في كل الأحوال ليلاً ونهاراً ، فدخل في هذا تقلبهم على الفرش يميناً وشمالاً ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ؛ أي بممتنعين ولا فائتين^(٦) الله ، قال ابن عباس : يريد أن الله لا يعجزه شيء أراد .

(١) ورد بنصه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢٣٧/٢ .

(٢) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير القرطبي ١٠٩/١٠ ، والشوكاني ٣/٢٣٦ .

(٣) أخرجه الطبري ١١٢/١٤ من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، وأخرجه بنحوه من طريق العوفي غير مرضية ، وورد في تفسير تفسير الماوردي ٣/١٩٠ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/٢١ ، وابن الجوزي ٤/٤٥٠ قال : في أسفارهم ، والخازن ٣/١١٧ ، والدر المنثور ٤/٢٢٣ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم ، وفي المصادر جميعها - ما عدا ابن الجوزي - ورد بلفظ : «في اختلافهم» .

(٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/٣٥٦ ، بلفظه عن قتادة ، والطبري ١١٢/١٤ ، بلفظه عن قتادة من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/٦٩ ، بلفظه عن قتادة ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/٤٥٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/١٠٩ ، وابن كثير ٤/٦٢٩ ، والدر المنثور ٤/٢٢٣ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، كلها عن قتادة ، وورد غير منسوب في تفسير الثعلبي ٢/١٥٧ ، وهود الهواري ٢/٣٧٢ ، ونُسب فيه إلى الكلبي تفسيرها بقوله : في البلاد بالليل والنهار .

(٥) تفسير مقاتل ١/٢٠٣ ، بلفظه ، وانظر : تفسير أبي حيان ٥/٤٩٥ .

(٦) في النسخ جميعها : (فائتين) ، ولا معنى لها هنا ، والصحيح المثبت كما في تفسير السمرقندي ٢/٢٣٧ ، والوسيط ، تحقيق سيسي ٢/٣٩٨ .

٤٧. قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ ، التخوف : تَفَعَّلَ من الخوف ، يقال : خفت الشيء وتخوّفته ، قال الزّجاج أي أو يأخذهم بعد أن يخيفهم بأن يهلك فرقة فتخاف التي تليها^(١) ، وهذا معنى قول الضحاك والكلبي ، يعني : [يعذب طائفة ويدع طائفة]^(٢) ، فيتخوف الذين يدعهم مثل ما أصاب الآخرين^(٣) ، ونحو هذا قال الحسن^(٤) ، والمعنى يأخذهم على تخوفهم الهلاك لما سبق من هلاك طائفة منهم ، وقال ابن عباس وعامة المفسرين : على تَنَقُّصٍ ؛ إما^(٥) بقتل أو بموت^(٦) ، يعني : ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم^(٧) . أخبرني العروضي عن الأزهري ، قال : أخبرني المنذري

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٠١/٣ ، بنصه .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٥٦/٢ عن الكلبي ، والطبري ١١٣/١٤ عن الضحاك ، ومعاني القرآن للنحاس ٦٩/٤ ، عن الضحاك ، وورد في تفسير الثعلبي ١٥٧/٢ ، عنها ، وتفسير الماوردي ٣/١٩٠ ، عن الضحاك ، والطوسي ٣٨٦/٦ ، عن الضحاك ، وانظر : تفسير البغوي ٥/٢١ ، عنها ، وتفسير القرطبي ١٠/١١٠ ، عن الضحاك ، والخازن ٣/١١٧ ، عنها ، والدر المنثور ٤/٢٢٣ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم عن الضحاك .

(٤) انظر : تفسير الماوردي ٣/١٩٠ ، والطوسي ٣٨٦/٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/١١٠ .

(٥) في النسخ جميعها : (أو) ، ويستقيم المعنى بـ (إما) ، والتصويب من تفسير الشوكاني ٢/٢٣٦ ، وصديق خان ٧/٢٥٠ .

(٦) تفسير مجاهد ١/٣٤٧ ، بنحوه ، وأخرجه الطبري ١١٣/١٤ ، بنحوه ، عن ابن عباس من طريق عطاء الخرساني صحيحة ، وأخرجه مختصراً عن مجاهد من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/٦٩ ، مختصراً عن ابن عباس ومجاهد ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/٤٥١ ، عن ابن عباس ومجاهد والضحاك ، وتفسير القرطبي ١٠/١١٠ ، عن ابن عباس ومجاهد ، والخازن ٣/١١٧ ، عن ابن عباس ومجاهد ، وأبي حيان ٥/٤٩٥ ، عن ابن عباس ومجاهد والضحاك .

(٧) ورد في تفسير الثعلبي ٢/١٥٧ ، بنصه .

عن الحرَّانِي عن ابن السَّكِّيت ، قال : يقال : هو يَتَخَوَّفُ المالَ وَيَتَحَوَّفُهُ ؛
أي يَتَنَقَّصُهُ ويأخذُ من أطرافه ، وأنشد لابن مقبل (١) :

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ (٢) (٣)

وروى شمر عن ابن الأعرابي : تَخَوَّفْتُ الشيءَ وَتَخَيَّفْتُهُ ، وَتَخَوَّفْتُهُ وَتَخَيَّفْتُهُ إِذَا
تَنَقَّصْتُهُ (٤) .

قال أهل المعاني : معنى التنقص : أنه يؤخذ الأول فالأول حتى لا يبقى منهم
أحد ، وتلك حال يُخَافُ معها الفناء ويُتَخَوَّفُ الهلاك (٥) ، فمعنى ﴿يَأْخُذُهُمْ عَلَى
تَخَوُّفٍ﴾ أي على حال تنقصهم ، يأخذهم الأول فالأول حتى يأتي الأخذ على
الجميع .

-
- (١) نُسِبَ في تفسير الثعلبي ١٥٧/٢ ب ، لأبي كبير الهذلي ، وهو يصف ناقة ، ولم أجد في ديوان الهذليين .
وابن مقبل هو : تميم بن أبي بن مُقبل ، من بني عجلان ، تقدمت ترجمته .
- (٢) لم أجد في الإصحاح ، وورد في تهذيب اللغة (خاف) ٩٦٦/١ ، بنصه .
- (٣) ديوان ابن مقبل ٤٠٥ ، وورد في تهذيب اللغة (خاف) ٩٦٦/١ ، واللسان (خوف) ١٢٩٢/٣ ،
ونُسِبَ إلى أبي كبير الهذلي في تفسير القرطبي ١١٠/١٠ ، وأبي حيان ٤٩٥/٥ ، وتفسير الألويسي
١٥٣/١٤ ، وصديق خان ٢٥٠/٧ ، والثعلبي ١٥٧/٢ ب ، لكن برواية :
تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً صَلْباً

ونسبه الزمخشري إلى زهير ٣٣٠/٢ ، وورد غير منسوب في تفسير الطبري ١١٣/١٤ ، ومعاني القرآن
وإعرابه ٢٠٢/٣ ، وتفسير الطوسي ٣٨٦/٦ ، وابن عطية ٤٢٧/٨ ، والفخر الرازي ٣٩/٢٠ ،
والدر المصون ٢٢٥/٧ ، وفي بعض المصادر : (الرحل) بدل (السير) ، التامك : السنام ، القرد : الذي
تراكم لحمه من السم ، النبعة : ضرب من الشجر الصلب ، السَّفْنُ : المِزْد ، والمعنى أي ينقص السيرُ
سنامها بعد تموكه ، كما يُنَحُّ العُودُ فيدق بعد غَلْطِهِ .

(٤) المصدر السابق نفسه ، وبنصه .

(٥) انظر : تفسير الطوسي ٣٨٦/٦ ، بنصه .

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمُ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ . قال الزَّجَّاج أي من رأفته أمهل وجعل فسخة للتوبة^(١)، وهو معنى قول المفسرين: إذ لم يعجل عليهم بالعقوبة والإهلاك^(٢)، وآخر عنهم هذه العقوبات التي ذكرها مع قدرته عليها .

٤٨ . قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ قراءة العامة بالياء^(٣)؛ لأن ما قبله غيبة، وهو قوله: ﴿أَنْ يَخْشِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾، ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾ كذلك: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾، وكان النبي ﷺ وأصحابه قد رأوا ذلك وتيقنوه فلا يحسن أن يقال لهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ .

وقرأ حمزة والكسائي: (تَرَوْا) بالتاء^(٤)، على الخطاب لجميع الناس^(٥) .

وقوله تعالى: ﴿إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ . قال المفسرون وأهل المعاني: أراد من شيء له ظل من جبل وشجر وبناء وجسم قائم^(٦)، وهذا معنى قول ابن عباس: يريد الشجر والنبات .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٢/٣، بنصه .

(٢) انظر: تفسير مقاتل ١/٢٠٣أ، والطبري ١٤/١١٤ بمعناه، والسمرقندي ٢/٢٣٧، والثعلبي ٢/١٥٧ب، والماوردي ٣/١٩٠، وابن الجوزي ٤/٤٥١، والفخر الرازي ٢٠/٣٩، وتفسير القرطبي ١٠/١١١، والخازن ٣/١١٧، وأبي حيان ٥/٤٩٥، وابن كثير ٢/٦٢٩ .

(٣) وهم: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر . انظر: السبعة ٣٧٣، وعلل القراءات ١/٣٠٥، والحجة للقراء ٥/٦٦، والمبسوط في القراءات ٢٢٤، والتيسير ١٣٨، وشرح الهداية ٢/٣٨٠، وتلخيص العبارات ١١١ .

(٤) انظر: المصادر السابقة .

(٥) الحجة للقراء ٥/٦٧، بتصرف يسير .

(٦) ورد في الحجة للقراء ٥/٧٢، بنصه، وتفسير الطبري ١٤/١١٤-١١٦، بنحوه، والثعلبي ٢/١٥٧ب، بنحوه، والطوسي ٦/٣٨٧، وانظر: تفسير البغوي ٥/٢١، وابن الجوزي ٤/٤٥٢، والفخر الرازي ٢٠/٤٠، وتفسير القرطبي ١٠/١١١، ونسبه إلى ابن عباس، والخازن ٣/١١٧، وأبي حيان ٥/٤٩٦ .

وقوله تعالى: ﴿يَنْفَيْتُكَ ظِلُّهُ﴾ إخبار عن قوله: ﴿شَيْءٌ﴾، وليس بوصف له، و﴿يَنْفَيْتُكَ﴾: يتفعل من الفيء، يقال: فاء الظل يفيء فيئاً، إذا رجع وعاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخته، وأصل الفيء الرجوع^(١)، ومنه فيء المولي^(٢)، وذكرنا ذلك في قوله: ﴿إِنْ فَأْءُ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، وكذلك فيء المسلمين؛ لما يعود على المسلمين من مال مَنْ خالف دينهم بلا قتال^(٣)، وسنذكر ذلك في قوله: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [الحشر: ٧] إن شاء الله. وأصل هذا كله من الرجوع، فإذا عُدِّي (فَاء) عُدِّي بزيادة الهمزة أو تضعيف العين، فمِمَّا عُدِّي بنقل الهمزة قوله: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ﴾، وبالتضعيف فاء الظل، وفِيَاءُ الله فتفياً، وتَفِيّاً مطاوع فَيّاً^(٤).

(١) انظر: تهذيب اللغة (فاء) ٣/ ٢٧١١، ومجمل اللغة (في) ٢/ ٧٠١، والصحاح (فيأ) ١/ ٦٣، وعمدة الحفاظ ٣/ ٣٠٨.

(٢) هو الذي يحلف ألا يجامع زوجته، وقد حدد الشارع مدة الإيلاء بأربعة أشهر؛ إما أن يطلق وإما أن يفي. انظر: تفسير الجصاص ١/ ٣٥٥، والكنيا الهراسي ١/ ٢١٦-٢١٩، وابن العربي ١/ ١٧٨، وتفسير القرطبي ٣/ ١٠٣.

(٣) ورد في تهذيب اللغة (فيأ) ٣/ ٢٧١١، بنحوه، وانظر: التعريفات ١٧٠، وتفسير الفخر الرازي ٤٠/ ٢٠.

(٤) الحجة للقراء ٥/ ٦٧، بنصه، وانظر: اللسان (فيأ) ٦/ ٣٤٩٦، ومعجم الألفاظ المتعدية بحرف . ٢٨٢

قال الأزهري : وتفيؤ الظلال رُجوعها بعد انتصاف النهار وانتعال الأشياء^(١) ، قال : وأخبرني المنذري عن أبي طالب النحوي أنه قال : التفيؤ لا يكون إلا بالعشي؛ ما انصرفت عنه الشمس ، وقد بينه الشاعر^(٢) فقال :

فلا الظلّ من بَرَدِ الضُّحَى تستطيعُهُ ولا الفَيءَ من بَرَدِ العُشِيِّ تَذَوُّقُ^(٣)

وقال أبو علي الفارسي : الظل ما كان قائماً لم تنسخه الشمس ، فإذا نسخته الشمس ثم زال ضياء الشمس الناسخ للظل فاء الظل ؛ أي رجع كما كان أولاً^(٤) ، فهذا هو الفيء ، ويُسمى الظل أيضاً ، ولا يسمى الأول فيئاً .

قال ثعلب : أخبرت عن أبي عبيدة أن رؤبة قال : كُلُّ ما كانت عليه الشمسُ فزالت عنه فهو فيءٌ وظلٌّ ، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظلٌّ^(٥) ، على أن أبا زيد أنشد للنابغة الجعدي :

فسلامُ الإلهِ يَغْدُو^(٦) عليهم وفيؤُ الفِرْدَوْسِ ذاتُ الظلالِ^(٧)

(١) تهذيب اللغة (فاء) ٣/ ٢٧١١ ، بنصه ، وفي المصدر : «وانتعال الأشياء ظلالها . قلت ومعناه : صار ظلها تحتها» .

(٢) هو حميد بن ثور . تقدمت ترجمته .

(٣) ديوانه ٧٠ ، وورد في إصلاح المنطق ٣٢٠ ، والصحاح (فيأ) ١/ ٦٣ ، (بعد) بدل (برد) الثانية ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٤٣٠ ، واللسان (فيأ) ٦/ ٣٤٩٥ ، وورد غير منسوب في الحجة للقراء ٥/ ٦٨ ، وتفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٤٠ ، وأبي حيان ٥/ ٩٦٤ ، والبيت قاله يصف سرحة شجر عظام طوال وكفى بها امرأة . والشاهد : أنه جعل الظل وقت الضحى ؛ لأن الشمس لم تنسخه في ذلك الوقت . وكلام الأزهري في تهذيب اللغة (فاء) ٣/ ٢٧١١ ، بنصه .

(٤) ولخصه ابن السكيت فقال : الظل : ما نسخته الشمس ، والفيء : ما نسخ الشمس . إصلاح المنطق ٣٢٠ .

(٥) الحجة للقراء ٥/ ٧٠ ، بنصه ، والصحاح (فيأ) ١/ ٦٤ ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٤٣٢ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٤٠ ، واللسان (فيأ) ٦/ ٣٤٩٥ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٩٦٤ .

(٦) في النسخ جميعها : «بعد» ، والصحيح المثبت لموافقة للمصادر وإفادته للمعنى .

(٧) شعر النابغة الجعدي ٢٣١ ، وورد في النوار في اللغة ٢٢٠ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٤٣١ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٤١ ، واللسان (ظلل) ٥/ ٢٧٥٣ .

فهذا الشعر قد أوقع فيه الفيء على ما لم تنسخه الشمس ، وجمعه على فيوء ، مثل بيت وبيوت ؛ لأن ما في الجنة يكون ظلًّا ولا يكون فيئًا ؛ لأن ضياء الشمس لم تنسخه ، ففاء بعد النسخ ، وأكثر ما تقول العرب في جمع^(١) أفياء ، وهو للعدد القليل ، وفيوء للكثير كالبيوت والعيون .

وقوله تعالى : ﴿ ظِلُّهُ ﴾ أضاف الظلال إلى مفرد ، ومعناه الإضافة إلى ذوي الظلال ؛ لأن الذي يعود إليه الضمير واحد يدل على الكثرة ، وهو قوله : ﴿ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ ﴾ ، وهذا مثل : ﴿ لِنَسْتَوِ عَلَى ظُهُورِهِ ﴾ [الزخرف : ١٣] ، فأضاف الظهور ، وهو جمع ، إلى ضمير مفرد ؛ لأنه يعود إلى واحد يراد به الكثرة ، وهو قوله : ﴿ مَا تَرَكُّبُونَ ﴾^(٢) [الزخرف : ١٢] .

وأما قول المفسرين في : ﴿ يَنْفَيْوُا ظِلُّهُ ﴾ . قال ابن عباس : يتميل^(٣) ، وهو معنى وليس بتفسير ؛ لأنه إذا قرن بقوله : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ صار المعنى : أنه يتميل عن الجوانب ، ومعنى تفيؤ الظلال : أن يعود الظل بعد نسخ الشمس إياه ، وأما معنى تفيؤها عن اليمين والشمال [فهو أن يكون للأشجار فيء عن اليمين والشمال]^(٤) ، إذا كانت الشمس يمين الشخص كان الفيء عن شماله ، وإذا كانت على شماله كان الفيء عن يمينه ، فهذا وجه ذكره بعض أهل التأويل^(٥) ، والذي عليه المفسرون ، قال قتادة والضحاك وابن جريج : أما

(١) الأولى : (في الجمع) ، أو (في جمع فيء) ، ولعل (فيء) ساقطة .

(٢) الحجة للقراء ٦٧/٥ - ٧٠ نقل طويل تصرف فيه بالحذف والإضافة ، والتقديم والتأخير ، والتهذيب والاختصار ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/٤٠ ، نقله بطوله عن الواحدي بتصرف يسير مع نسبته .

(٣) ورد في تفسير الطوسي ٦/٣٨٧ ، بلفظه .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .

(٥) ورد في الحجة للقراء ٥/٧٢ ، بنصه .

اليمين فأول النهار ، وأما الشمال فأخر النهار^(١) ، وقد بين الكلبي هذا ، فقال : إذا طلعت الشمس وأنت متوجه إلى القبلة كان الظل قدامك ، فإذا ارتفعت كان عن يمينك ، فإذا كان بعد ذلك كان خلفك ، فإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان على يسارك ، فهذا تفيؤه عن اليمين والشمال^(٢) ، ووحد اليمين والمراد الجمع ، ولكنه اقتصر فيه على الواحد في اللفظ للإيجاز ، كقوله : ﴿ وَيُولُونُ الدُّبُرُ ﴾ [القمر: ٤٥] وقول الفرزدق :

بِفي الشَّامِتِينَ الصَّخْرُ إِنْ كَانَ هَدَنِي

رَزِيَّةُ شَبْلِي مُخْدِرٍ فِي الضَّرَاغِمِ^(٣)

هذا قول الأخفش وجميع أهل المعاني^(٤) .

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٥٦/٢ بنصه عن قتادة ، والطبري ١١٥/١٤ بنصه عن قتادة من طريقين ، وبمعناه عن الضحاك وابن جريج من طريقين ، ورد في تفسير الثعلبي ١٥٧/٢ ب ، بنصه عن الضحاك و قتادة ، وتفسير الماوردي ١٩١/٣ ، والطوسي ٣٨٧/٦ ، عنهم ، وانظر : تفسير البغوي ٢٢/٥ ، عن قتادة والضحاك ، وابن عطية ٤٣٣/٨ ، عن قتادة وابن جريج ، والخازن ١١٧/٣ ، عن الضحاك ، وأبي حيان ٤٩٧/٥ ، عن قتادة وابن جريج .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ١٥٧/٢ ب ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٢٢/٥ ، وابن الجوزي ٤٥٢/٤ ، وأبي حيان ٤٩٨/٥ ، ورد في الأخيرين بلا نسبة .

(٣) ديوانه ٢٠٦/٢ ، وورد في تفسير الطبري ١١٧/١٤ ، والثعلبي ١٥٧/٢ ب ، والطوسي ٣٨٨/٦ ، والأساس ١٥٤ ، وابن عطية ٤٣٣/٨ . (الشامتين) : جمع شامت ؛ وهو الذي يفرح في بلية الإنسان ، هَدَنِي : أوهن أركاني ، المُخْدِر : الأسد ، وكذلك الضرغام ، يعني أنه يَتَجَلَدُ وَيَتَحَمَّلُ مصيبتيه في فقد ولديه حتى لا يشمت فيه الشامتون الحاقدون . والشاهد : كما قال الطبري : فقال : بفي الشامتين ، ولم يقل : بأفواه ، وهو الشاهد . والبيت يرثي فيه ابنتين له .

(٤) لم أفق عليه في معاني الأخفش ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤٥٢/٤ ، بلا نسبة .

وقال الفرّاء : كأنه إذا وَحَّد ذهب إلى واحد من ذوات الظلال ، وإذا جمع ذهب إلى كلها^(١) ، وذلك أن قوله : ﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ لفظه واحد ومعناه الجمع على ما بينا ، فيحمل كلا الأمرين .

وقوله تعالى : ﴿ سَجَّدَا لِلَّهِ ﴾ . قال المفسرون : ميلانها سجودها ،^(٢) وشرح ابن قتيبة هذا شرحاً شافياً ، فقال : أصل السجود التَّطَاطُؤُ والميل ، يقال : سجد البعير وأسجد إذا طأطأ رأسه لِيُرَكَّبَ ، وسجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل ، ثم قد يُستعارُ السجودُ فيوضع موضع الاستسلام والطاعة والذل ، ومن الأمثال المبتذلة : اسْجُدْ للقرَد في زمانه^(٣) ، يراد اخضع للئيم في دولته ، ولا يُراد معنى سجود الصلاة ، والشمس والظل خلقان مُسَخَّرَان لَأَنْ يُعَاقِبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ بغير فضل ، فالظلُّ في أول النهار قبل طلوع الشمس يَعُمُّ الأرضَ ، كما تَعُمُّها ظلمة الليل ، ثم تَطْلُعُ الشمسُ فَتَعُمُّ الأرضَ إِلَّا بِمَا^(٤) سترته الشُّخُوصُ ، فإذا سَتَرَ الشَّخْصُ شيئاً عاد الظلُّ ، فرجوع الظلِّ بعد أن كان شمساً ودورانه من جانب إلى جانب هو سُجُودُهُ ؛ لأنه مستسلم منقاد مطيع بالتسخير ، وهو في ذلك يميل ، والميل سجود ، وكذلك قوله : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن : ٦] ؛ أي يستسلمان لله بالتسخير^(٥) ، وهذه الآية كقوله : ﴿ وَظَلَّلَهُمْ بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴾ [الرعد : ١٥] ، وقد مر بيانه وشرحه .

(١) معاني القرآن للفرّاء ١٠٢/٢ ، بمعناه .

(٢) ورد في تفسير الطبري ١١٤/١٤ - ١١٥ ، بلفظه واختاره ، والسمرقندي ٢٣٧/٢ ، بنحوه ، والشعلبي ١٥٧/٢ ب ، بلفظه ، وانظر : تفسير البغوي ٢٢/٥ ، وابن عطية ٤٣٥/٨ ، والقرطبي ١١١/١٠ ، وأبي حيان ٤٩٨/٥ ، وابن كثير ٦٣٠/٢ .

(٣) ذكره الميداني في المجمع ، ونصه : اسْجُدْ لِقَرْدِ السُّوءِ في زمانه . انظر : مجمع الأمثال للميداني ٣٥٧/١ .

(٤) في المصدر : «إلا ما» .

(٥) تأويل مشكل القرآن ٤١٦-٤١٨ ، وهو نقل طويل تصرف فيه واختصر .

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ دَخِرُونَ﴾؛ أي صاغرون، وهذا لفظ المفسرين^(١)، يقال: دَخَرَ يَدْخُرُ دُخُورًا؛ أي صَغَرَ يَصْغُرُ صَغَارًا، وهو الذي يَفْعُلُ ما تأمره شاء أو (أبى)^(٢). قال الزَّجَّاج: هذه الأشياء مجبولة على الطاعة^(٣).

وقال الأخفش في قوله: ﴿وَهُمْ دَخِرُونَ﴾^(٤) ذَكَرَ، وهم من غير الإنس؛ لأنه لما وصفهم بالطاعة أشبهوا ما يعقل^(٥).

٤٩. قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية. قد ذكرنا السجود يكون على نوعين: سجود هو عبادة، كسجود المسلمين لله، وسجود هو خضوع واستكانة، وهو سجود ما [لا]^(٦) يعقل وسجود الجمادات، فإن هذه الأشياء بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى مُدَبِّرٍ وصانع ساجدة؛ أي خاضعة متذللة، وقال: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ لأن (ما) و(من) يتعاقبان، و(ما) أعمُّ من (من) ألا ترى أنه قد قال في أخرى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥].

(١) تفسير مقاتل ٢٠٣/١ ب، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٥٦/٢، بلفظه عن قتادة، والطبري ١١٦/١٤ بلفظه عن مجاهد وقاتدة من طريقين لكل منهما، وورد في تفسير هود الهواري ٣٧٣/٢، ومعاني القرآن للنحاس ٧٠/٤، وتفسير السمرقندي ٢٣٧/٢، والثعلبي ١٥٧/٢ ب، وتفسير الماوردي ١٩٠/٣، والطوسي ٣٨٨/٦، وانظر: تفسير البغوي ٢٢/٥، وابن عطية ٤٣٦/٨، وابن الجوزي ٤٥٣/٤، وتفسير القرطبي ١١١/١٠، والخازن ١١٨/٣، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢٢٣/٤، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد، وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن قتادة.

(٢) ورد في تهذيب اللغة (دخر) ١١٥٨/٢، بنصه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٢/٣، بنصه.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (د).

(٥) معاني القرآن للأخفش ٦٠٦/٢، بنصه، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٤٥٣/٤.

(٦) إضافة يقتضيها السياق ليستقيم المعنى، ويؤيده ثبوتها في تفسيره الوسيط، تحقيق سيسي ٤٠٠/٢.

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ . قال الفراء : دخل (من) هاهنا؛ لأن (ما) مُبْهِم ، فلو أسقطت (من) لأشبه أن تكون الدابة حالاً لها ، فأدخل (من) ليدل^(١) على أنه تفسير لـ (ما)^(٢) ، ومثل هذا كثير في كتاب الله ؛ قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ [النساء : ٧٩] ، وقال : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ ﴾ [النساء : ١٢٤] ، وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٤٨] لم يقل في شيء منه بطرح (من) ؛ لما ذكرنا من أن (ما) و (من) غير مؤقتتين^(٣) ، ومثله قول الشاعر :

فثبت الله ما آتاك من حسنٍ وحيث ما يقضٍ أمراً صالحاً يكن^(٤)

وقال آخر :

عُمرًا حيتَ ومن يشنأك من أحدٍ يلقَ الهوانَ ويلقَ الذلَّ والغِيرا^(٥)

فدلَّ مجيء (من) على أنه لم يرد أن يكون ما جاء من النكرات حالاً للأسماء التي قبلها ، ودلَّ على أنه مترجم على معنى (من) و (ما) ، ومثل هذا قوله : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [سبأ : ٣٩] ؛ لأن الشيء لا يكون حالاً ، ولكنه مترجم ، فأما قولهم : لله درّه رجلاً^(٦) ، فالرجل مترجم لما قبله وتفسير وليس بحال ، إنَّما الحال الذي ينتقل ؛ مثل القيام والقعود ، وجاز سقوط (من) في هذا الموضع^(٧) ؛ لأن الذي قبله مؤقت ،

(١) في (أ) و (د) : (البدل) ، والمثبت من (ش) و (ع) ، وهو الصواب ، يستقيم به المعنى ، ويؤيده المصدر .

(٢) في (ش) و (ع) : (لها) .

(٣) أي : غير محددين .

(٤) ورد غير منسوب في معاني القرآن للفراء ١٠٣ / ٢ بخلاف في رواية الصدر :

حازَ لك الله ما آتاك من حسنٍ

(٥) ورد غير منسوب في معاني القرآن للفراء ١٠٣ / ٢ .

(٦) ورد في جهمرة الأمثال ٢ / ٢١٠ ، وانظر : مجمع الأمثال ٢ / ١٩٠ ، واللسان (عجب) ٥ / ٢٨١٢ ،

(درر) ٣ / ١٣٥٦ ، وورد برواية : « الله درُك » ، والأصل فيه أن الرجل إذا كثُر خيرُه وعطاؤه قيل له

ذلك ، إشادة وتعجباً ، ثم قيل لكل مُتَعَجِّبٍ منه .

(٧) أي في المثل ؛ لأن أصله أن يقال : لله درّه من رجل .

فجاز أن يُذكر بطرح (من) كالحال^(١)، وقال الأخفش في قوله: ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ يريد: [من الدواب، واجتزأ بالواحد، كما تقول: ما أتاني من رجل مثله^(٢)]، وقال ابن عباس في قوله: ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾^(٣): يريد كل ما^(٤) دَبَّ على الأرض^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُوتُ﴾ أخرجهم بالذكر تخصيصاً وتفصيلاً، كقوله: ﴿فِيهَا فَتَكُهُمْ وَخَلُّهُمْ وَمَوَانٌ﴾^(٦) [الرحمن: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ وَمَلَكُوتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾^(٧) [البقرة: ٩٨] وقال الزَّجَّاج: المعنى: والله يسجد ما في السموات من الملائكة، وما في الأرض من دابة والملائكة؛ أي وتسجد ملائكة الأرض^(٨)، وفي الأرض ملائكة موكلون بالعباد^(٩)، وقيل: إنما ذكرهم على التخصيص لخروجهم من صفة الديب بما جعل لهم من الأجنحة^(١٠)، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾. قال ابن عباس: يريد عن عبادة الله^(١١)، وهذا صفة من يسجد لله سجود عبادة، فأما من له سجود الخضوع دون سجود

-
- (١) معاني القرآن للفرأء ٢/ ١٠٣-١٠٤، نقل طويل تصرف فيه بالتقديم والتأخير، والاختصار والتهديب، والتمثيل والتوضيح.
- (٢) أي: ما أتاني من الرجال مثله، فأفاد الأفراد معنى الجمع. معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٠٦، بنصه.
- (٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د).
- (٤) في النسخ جميعها: «كلمة»، وهو تصحيف ظاهر.
- (٥) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٤٤، وأبي حيان ٥/ ٤٩٨، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٢، بلا نسبة.
- (٦) يقصد ذكر الخاص بعد العام؛ فذكر الفاكهة عموماً، ثم فصل في أنواعها وخص من الأنواع النخل والرمان.
- (٧) وهنا كذلك، أجل الملائكة، ثم فصلهم وخص منهم جبريل وميكائيل بالذكر.
- (٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٢، بنصه.
- (٩) لقوله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْ رَقِيبٍ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وغيرها من الأدلة.
- (١٠) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٨، بنحوه، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٢، بنحوه، وانظر: تفسير البغوي ٥/ ٢٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٣.
- (١١) انظر: تفسير القرطبي ١٠/ ١١٣، وابن كثير ٢/ ٦٣٠، وأبي السعود ٥/ ١١٩، والشوكاني ٣/ ٢٣٨، وتفسير الألوسي ١٤/ ١٥٨، كلها بلا نسبة.

العبادة ، فمعنى لا يستكبرون في صفتهم أنهم يذعنون للخالق والصانع بالتسخير والتذليل وما فيهم من الضرورة إلى صانع فطرهم وخلقهم وأنشأهم ودبرهم ، ويجوز أن يكون قوله : ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ من صفة الملائكة خاصة^(١) ؛ لأن الآية التي بعد هذا تختص بصفتهم .

٥٠ . قوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ . ذكر أهل العلم وأصحاب المعاني في هذه الآية ، قولين^(٢) ؛ أحدهما : أن الآية من باب حذف المضاف ، على تقدير يخافون عقاب ربهم من فوقهم^(٣) ؛ لأن أكثر ما يأتي العقاب المهلك من فوق ، سَيِّئاً والآية في صفة الملائكة ، والآخر : أن الله تعالى لما كان موصوفاً بأنه عليٌّ ومتعال علو الرتبة في القدرة ، حَسُنَ أن يقال : ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ليدل على أنه في أعلى مراتب القادرين^(٤) ، وهذا معنى قول أبي إسحاق : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ ﴾ خوف مُجَلِّين^(٥) ، ويدل على صحة هذا

(١) ورد في تفسير مقاتل ٢٠٣/١ ب ، بنحوه ، وهود الهواري ٣٧٣/٢ ، بمعناه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤٥٤/٤ ، والشوكاني ٢٣٨/٣ .

(٢) ورد القولان في تفسير الماوردي ١٩٢/٣ ، بنحوه ، والطوسي ٣٨٩/٦ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير الزمخشري ٣٣١/٢ ، وابن عطية ٤٣٧/٨ ، وابن الجوزي ٤٥٥/٤ ، وأبي حيان ٤٩٩/٥ ، والدر المصون ٢٣٤/٧ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ٢٠٣/١ ب ، بمعناه ، والطبري ١١٧/١٤ - ١١٨ ، بمعناه ، والثعلبي ١٥٨/٢ ، بنحوه ، وانظر : تفسير القرطبي ١١٣/١٠ .

(٤) ورد في تفسير السمرقندي ٢٣٨/٢ ، بمعناه .

والقولان باطلان ؛ لأن فيهما تعطيلاً وتأويلاً ؛ فالأول تعطيل ظاهر لصفة الفوقية ، والثاني تأويل وصرف لظاهر النص من فوقية العلو إلى فوقية القدرة والعظمة ، وهو خلاف مذهب أهل الحق ، يقول ابن القيم : ومما ادعى المعطلة مجازه : الفوقية ، وقد ورد به القرآن ، كقوله : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ، وحقيقة الفوقية علو ذات الشيء على غيره ، فادعى الجهمي أنها مجاز في فوقية الرتبة والقهر ، كما يقال : الذهب فوق الفضة ، والأمير فوق نائبه ، وهذا وإن كان ثابتاً للرب تعالى ، لكن إنكار حقيقة فوقيته سبحانه وحملها على المجاز باطل من وجوه عديدة ، وقد ذكر سبعة عشر وجهاً . انظر : مختصر الصواعق المرسلة ٣٥٥-٣٦٣ ، والفتاوى ١٢٦/٥ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٣/٣ ، بنصه . وقد ردّ الألوسي القول بأن خوفهم ليس إلا خوف إجلال =

المعنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقوله إخباراً عن فرعون: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، وقد روى مجاهد عن ابن عباس في قوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ قال: ذاك مخافة الإجلال^(١)، وذهب بعض الناس إلى أن قوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ من صفة الملائكة^(٢)، والمعنى: أن الملائكة الذين هم فوق بني آدم وفوق ما في الأرض من دابة يخافون الله مع علو رتبته، فلأن يخاف من دونهم أولى^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾. قال المفسرون: يعني الملائكة^(٤)، وهذا كقوله في آية أخرى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ [التحریم: ٦].

٥١. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا إِلَهِينِ اثْنَيْنِ﴾. قال الزجاج: ذكر اثنين تأكيداً لقوله: ﴿إِلَهِينِ﴾، كما ذكر الواحد في قوله: ﴿إِلَهِهَا وَاحِدًا﴾^(٥) [التوبة: ٣١]. وقال صاحب النظم: فيه تقديم وتأخير،

ومهاية لا خوف وعيد وعذاب، بقوله: ﴿وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٦٨) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ [الأنبياء: ٢٨-٢٩].

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٥، وعزاه إلى الخطيب في تاريخه، ولم أقف عليه. وانظر: تفسير الرازي ٢٠/ ٤٤، وتفسير الألوسي ١٤/ ١٥٩، وأورداه بصيغة التمریض، وانتصر له الفخر الرازي وردّه الألوسي، كما مرّ في الحاشية السابقة، وورد بلا نسبة في تفسير أبي حيان ٥/ ٤٩٩، وأبي السعود ١١٩/٥.

(٢) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٣ب، بنحوه، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٣، وأبي حيان ٥/ ٤٩٩.

(٣) وفي هذا المعنى تكلف وصرف اللفظ عن ظاهره؛ فالفوقية هنا صفة لله وليس للملائكة.

(٤) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٣ب، بنحوه، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٢، بمعناه، وانظر: تفسير البغوي ٥/ ٢٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٣، والشوكاني ٣/ ٢٣٨.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٤، بنصه، لكنه استشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ بالآية نفسها.

يريد : لا تتخذوا اثنين إلهين^(١)؛ أي الاثنان لا يكونان ولا واحدٌ منهما إلهاً ، ولكن اتخذوا الواحد الذي لا يجوز أن يكون له ثانٍ إلهاً ، يدل على هذا قوله : ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ ، وقوله : ﴿فَإِنِّي فَأَرْهَبُون﴾ من تلوين الخطاب .

٥٢ . وقوله تعالى : ﴿وَلَهُ الْدِّينُ وَاصِبًا﴾ ، الدين : الطاعة هاهنا ، والواصب : الدائم ، و[هو]^(٢) قول ابن عباس وجميع المفسرين^(٣) ، يقال وصب الشيء يصب وصوباً إذا دام^(٤) ، قال الله تعالى : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصفات : ٩] ويقال : واظب على الشيء وواصب عليه إذا داوم^(٥) ، قال أبو إسحاق أي طاعته واجبة أبداً^(٦) ، وقال

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ٤٧/٢٠ ، بنصه ، والظاهر نقله عن الواحدي ، والخازن ٣/١١٨ ، بنحوه .

(٢) ساقطة من النسخ جميعها ، ولا يستقيم الكلام إلا بها .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ١/٢٠٣ ب ، بنحوه ، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٢/٣٥٧ بلفظه عن قتادة ، وورد في الغريب لابن قتيبة ٢٤٣ ، بلفظه ، وأخرجه الطبري ١٤/١١٩ بلفظه عن ابن عباس ، وعن عكرمة من طريقين ، وعن مجاهد من طريقين ، وعن الضحاك من طريقين ، وعن قتادة ، وعن ابن زيد ، وأخرجه ، بلفظ : واجباً ، عن ابن عباس ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/٧٢ ، بلفظه عن قتادة وعن مجاهد ، وعن ابن عباس قال : واجباً ، وتفسير السمرقندي ٢/٢٣٨ ، بلفظه ، وهو الهواري ٢/٣٧٣ ، بلفظه ، والثعلبي ٢/١٥٨ أ ، بنحوه ، وفيه عن ابن عباس قال : واجباً ، وتفسير السمرقندي ٣/١٩٣ ، بلفظه عن الحسن ومجاهد وقاتة والضحاك ، وعن ابن عباس قال : واجباً ، والطوسي ٦/٣٩٠ ، بنحوه عن ابن عباس ، وقال : وبه قال الحسن ومجاهد والضحاك وقاتة وابن زيد .

(٤) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/٧٢ ، بنصه ، وانظر : جهمرة اللغة (وصب) ١/٣٥١ ، والمحيط في اللغة ٨/٢٠٢ ، والصحاح ١/٢٣٣ ، واللسان ٨/٤٨٤٨ ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/٤٩ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٢٢٥ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (وصب) ٤/٣٩٠٠ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/٤٩ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٠٣ ، بنصه .

عبد الله بن مسلم^(١) : ليس من أحد يُدان له ويطاوع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلكة ، غير الله عز وجل ؛ فإن الطاعة تدوم له^(٢) ، ثم قال : ﴿ أَغْيَرَ اللَّهُ نَفَقُونَ ﴾ ؛ أي أغير الله الذي قد أبان لكم أنه واحد ، وأنه خالق كل شيء ، وأمر ألا يتخذ معه إله ، تتقون .

٥٣ . قوله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ . قال ابن عباس : يريد من نعمة الإسلام وصحة الأبدان^(٣) ؛ أي ما أعطاكم الله من صحة في جسم أو سعة في رزق أو متاع بهال وولد ، فكل ذلك من الله ، ودخلت الفاء في قوله : ﴿ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ ؛ لأن الباء في : ﴿ بِكُمْ ﴾ متصلة بفعل مضمر ، المعنى : ما يكن بكم أو ما حل بكم من نعمة فمن الله^(٤) ، وقد شرحنا هذه المسألة في قوله : ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٥٨] ، وفي قوله : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ [البقرة : ٢٧٤] .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ ﴾ . قال ابن عباس : يريد الأسقام والأمراض والحاجة^(٥) ، ﴿ فَإِلَيْهِ يَجْتَرُونَ ﴾ ؛ أي (ترفعون أصواتكم بالاستغاثة ،

(١) هو ابن قتيبة ، توفي ٢٧٦ هـ .

(٢) الغريب لابن قتيبة ١ / ٢٤٥ ، بنصه .

(٣) انظر : تفسير الخازن ٣ / ١١٩ ، بنصه غير منسوب .

(٤) ورد في معاني القرآن وإعراجه ٣ / ٢٠٤ ، بنحوه ، وتفسير الطبري ١٤ / ١٢٠ - ١٢١ ، بنحوه ، وانظر :

تفسير الرازي ٢٠ / ٥١ ، والإملاء ٢ / ٨٢ ، والفريد في إعراب القرآن ٣ / ٢٣٢ .

(٥) أخرجه الطبري ١٤ / ١٢١ من طريق أبي طلحة صحيحة بلفظ : السقم ، وكذلك ورد في تفسير

الماوردي ٣ / ١٩٣ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٤٥٧ ، بنصه ، والفخر الرازي ٢٠ / ٥١ ، والخازن

٣ / ١١٩ .

وهو معنى قول المفسرين : يتضرعون بالدعاء^(١) ، يقال : جَارَ وَيَجَارُ^(٢) جُؤَاراً ، وهو الصوت الشديد ، كصوت البقرة^(٣) ، قال الأعشى يصف بقرة :

وَكَانَ النَّكِيرُ أَنْ تُضِيفَ وَتَجَارَا^(٤)

فهذا^(٥) في جُؤَار البقرة ، وقال عدي بن زيد في جُؤَار الإنسان :

إِنِّي وَاللَّهِ فَاقْبَلْ حَلْفَتِي بِأَيْلِ كُلِّمَا صَلَّى جَاؤُ^(٦)

(١) ورد في تفسير مقاتل ٢٠٣/١ ب ، بلفظه ، وأخرجه الطبري ١٤/١٢١ ، بلفظه عن مجاهد من طريقتين ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/٢٣٨ ، بلفظه ، وهود الهواري ٢/٣٧٣ ، بلفظه عن مجاهد ، والثعلبي ٢/١٥٨ أ ، بمعناه ، وتفسير الماوردي ٣/١٩٣ ، بلفظه ، والطوسي ٦/٣٩١ ، بلفظه ، قال : وهو قول مجاهد ، وانظر : تفسير البغوي ١/٥١٩ ، وابن عطية ٨/٤٤١ ، وابن الجوزي ٢٠/٥١ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (جأر) ١/٥١٩ ، والمحيط في اللغة ٧/١٧٢ ، واللسان ٢/٧٢٢ ، ونقله الفخر الرازي ٢٠/٥١ ، بنصه .

(٤) لم أجده في ديوانه ، وورد منسوباً إليه في تفسير الثعلبي ٢/١٥٨ أ ، وتفسير القرطبي ١٠/١١٥ ، برواية :

فَطَافَتْ ثَلَاثًا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَكَانَ النَّكِيرُ أَنْ تُضِيفَ وَتَجَارَا
والصحيح أن البيت للنابغة الجعدي كما في شعر النابغة الجعدي ٤١ ، وصدره :

فَجَالَتْ عَلَى وَحْشِيَّتِهَا مَسْتَبَّةٌ

ونسب إليه كذلك في الكتاب ٣/٥٦٣ ، وأدب الكاتب ٢٧٥ ، والاقتضاب ٣٦٧ ، والخزانة ٧/٤٠٧ ، وبرواية : «أقامت» بدل «فطافت» في إصلاح المنطق ٢٩٨ ، وتهذيب إصلاح المنطق ٦٤١ ، واللسان (خمس) ٢/١٢٦٢ ، (ضيف) ٥/٢٦٢٧ . (مستبّة) : واهنة ضعيفة ، يقال : استبَّيْتُ : استضعفني ، وأتب الله قوتها ؛ أي أوهنها . والنابغة يصف بقرة وحشية أكل السبع ولدها ، فطافت ثلاثة أيام وثلاث ليال تطلبه ولا إنكار عندها ولا غناء إلا الإضافة ، وهي : الجزع والإشفاق ، و(الجؤار) : الصياح ، و(النكير) : الإنكار . وانظر : المحيط في اللغة (تب) ٩/٤١٦ .

(٥) في (أ) و(د) : «بهذا» .

(٦) ورد في الأغاني ٢/١٠٥ ، وفيه : «لأبيل» ، ومقاييس اللغة ١/٤٢ ، وتفسير الطوسي ٦/٣٩١ ، واللسان (أبل) ١/١١ ، وفيه «فاسمع حَلْفِي» ، وشعراء النصرانية قبل الإسلام ٥٣ . الأبل :

الراهب ، سمي به لتأبله عن النساء وترك غشيانهن ، والفعل منه : أبَلُ يَأْبُلُ أبَالَةً : إذا تنسك وترهب ، =

(أي رئيس النصارى) ^(١).

٥٤. قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ﴾ الآية . قال ابن عباس في قوله : ﴿إِذَا فَرِيقٌ﴾ يريد أهل النفاق ^(٢) ، وقال الكلبي : يعني الكفار ^(٣) ، وهو اختيار الزجاج ، قال : هذا خاص في من كفر ^(٤) ، وقابل كشف الضُّر عنه بالحدود والكفر .

٥٥. قوله تعالى : ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ﴾ ؛ أي ليحجدوا نعمة الله في كشف الضُّر عنهم ، واللام هاهنا يحتمل أن تكون لام كي ^(٥) ، ويكون المعنى : أنهم أشركوا بالله غيره ليحجدوا نعمته ، فاللام بيان عما هو بمنزلة العلة التي يقع لأجلها الشرك ، وهؤلاء أشركوا بالعبادة ليكفروا النعمة ^(٦) ، ويحتمل أن تكون اللام للعاقبة ^(٧) ، ويكون المعنى : أنهم جعلوا ما رزقناهم وأنعمنا به عليهم سبباً إلى الكفر ، كما قلنا في قوله : ﴿رَبَّنَا

وفي اللسان : الأبليل : رئيس النصارى ، وقيل : هو الراهب ، وقيل : الراهب الرئيس ، وقيل : صاحب النافوس ، وكانوا يسمون عيسى - عليه السلام - أبليل الأبليلين ، وكانوا يعظمون الأبليل فيحلفون به كما يحلفون بالله .

(١) ما بين القوسين كتب على الهامش في نسخة (أ) .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥٧ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٢ .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥٧ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٢ ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٨ ، والزخشري ٢/ ٣٣٢ ، وابن عطية ٨/ ٤٤٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٤ ، بنصه .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٥٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٥ ، والخازن ٣/ ١١٩ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٠ .

(٦) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٣٩٢ ، بنحوه .

(٧) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٥٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٥ ، والخازن ٣/ ١١٩ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٠ .

إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ [يونس : ٨٨] وقد مر ، وذكر أبو إسحاق الوجهين أيضاً في اللام هاهنا^(١) .

وقوله تعالى : ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ لفظ أمر لتهدد ، كقوله : ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ [الإسراء : ١٠٧] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب .

٥٦ . قوله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني الأوثان ؛ لا يعلمون ضرراً ولا نفعاً ، ومفعول العلم هاهنا محذوف ، والتقدير : لما لا يعلمون له حقاً ولا فيه ضرراً ونفعاً ، قال مجاهد : يعلمون أن الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ، ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه ينفعهم ويضرهم^(٢) ، ونحو هذا قال قتادة وابن زيد : هم مشركو العرب جعلوا لأوثانهم جزءاً من أموالهم^(٣) ، وقد بينا^(٤) مذهبهم في هذا عند قوله : ﴿هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِكَ﴾ [الأنعام : ١٣٦] جعلوا نصيباً من الحرث والأنعام يتقربون به إلى الله تعالى ، ونصيباً يتقربون به إلى الأصنام والحجارة على ما يجب أن يتقربوا إلى الله ، وعلى هذا : العلمُ مسند إلى المشركين ، وهو قول عامة المفسرين^(٥) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٤ باختصار .

(٢) ليس في تفسيره ، وأخرجه الطبري ١٢٢/ ١٤ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥٨ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٥٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٦ .

(٣) أخرجه الطبري ١٢٢/ ١٤ بنحوه عن قتادة ، وبمعناه عن ابن زيد ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥٨ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٦ ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٤) في (أ) و(د) : «ساء» ، ولا معنى له ، والصحيح المثبت كما في (ش) و(ع) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٢٢/ ١٤ - ١٢٣ ، والسمرقندي ٢/ ٢٣٨ ، وهود الهواري ٢/ ٣٧٤ ، والثعلبي ٢/ ١٥٨ ، والطوسي ٦/ ٣٩٢ ، والزنجشري ٢/ ٣٣٢ ، وابن عطية ٨/ ٤٤٤ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٨ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٥٣ ، وذكر مسوغات ترجيح من رجحه ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٥ ، والخازن ٣/ ١١٩ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٣ .

وقال صاحب النظم : قوله : ﴿يَعْلَمُونَ﴾ هاهنا لازم ليس بمتعدّد؛ لأنه الأصنام ومضاف إليها ، والتأويل لما ليس لها^(١)؛ لأنها موات لا معارف لها ولا حس ، وأخرجها في قوله : (ما) مخرج غير الآدميين ومن [لا]^(٢) يفهم ، وفي قوله : ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ مخرج من يفهم ، ومثله قوله : ﴿وَتَرْنَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ﴾^(٣) [الأعراف: ١٩٨] ، وحمله المعنى ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾؛ أي المشركون ، ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي للشركاء الذين لا يعلمون شيئاً ولا معرفة لهم ولا حس ، ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ ، هذا كلامه ، ولعل هذا القول أقرب؛ لأنه لا يحتاج فيه إلى تقدير محذوف ، قال صاحب النظم : ولو كان هذا العلم مضافاً إلى المشركين لاستحال المعنى؛ لأنه لا يحتمل أن يجعلوا نصيباً من رزقهم لما لا يعلمونه^(٤) ، ثم خاطبهم بعد الخبر عنهم ، فقال : ﴿تَأَلَّه لْتَشْكُنَ﴾؛ أي سؤال توبيخ حتى يعترفوا به على أنفسهم؛ لأن سؤال التوبيخ هو الذي لا جواب لصاحبه إلا ما يظهر فيه فضيحة^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾؛ أي تتقولونه على الله من أنه أمركم بذلك .

-
- (١) أي لما ليس لها علم ولا فهم .
 (٢) إضافة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام ، ولعلها التيسر على النساخ بما بعدها .
 (٣) قال الواحدي : والأكثرون على أن المراد بالآية الأصنام ، وبيان صفات ما هي عليه من النقص .
 (٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ٥٣ / ٢٠ ، ذكر القولين بوصفها مسوغين لترجيح القول الثاني من دون نسبته لصاحب النظم أو الواحدي .
 (٥) ورد في تفسير الطوسي ٣٩٢ / ٦ ، بنحوه .

٥٧. قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ . قال المفسرون : هؤلاء خزاعة^(١) وكنانة^(٢) زعموا أن الملائكة بنات الله^(٣) ، ثم نَزَّه نفسه فقال : ﴿سُبْحَنَهُ﴾ ؛ أي تنزيهاً عما زعموا .

وقوله تعالى : ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ . أجاز الفراء في (ما) وجهين؛ أحدهما : أن يكون في محل النصب على معنى : ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون ، والثاني : أن يكون رفعاً على الابتداء ، كأنه تم الكلام عند قوله : ﴿سُبْحَنَهُ﴾ ، ثم ابتداء فقال : ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني البنين ، وهذا كقوله : ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾^(٤) [الطور : ٣٩] ، ثم اختار الوجه الثاني فقال : لو كان نصباً لقال : ولأنفسهم ما يشتهون ؛ لأنك تقول : جعلت لنفسك كذا وكذا ، ولا تقول : جعلت لك^(٥) ،

(١) خزاعة : قبيلة من الأزد من القحطانية ، وهم بنو عمرو بن ربيعة ، وهو لحِي بن عامر بن قَمْعَة بن إلياس ، وهو أول من بَحَرَ البحيرة وسَيَّب السائبة . . سُمُوا بذلك لأنهم انخزعوا عن جماعة الأسود أيام سيل العرم لمَّا صاروا إلى الحجاز ، فافترقوا بالحجاز ، فصار قومٌ إلى عُثْمَان وآخرون إلى الشام ، وبطونهم هي : بنو كعب ، وبنو عدي ، وبنو نصر ، وبنو مُلَيْح ، وبنو جفنة ، وبنو المُصْطَلِق ، وبنو الحياء . انظر : الاشتقاق ٤٦٨ ، وجمهرة أنساب العرب ٤٦٧ ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٢٢٨ ، ومعجم قبائل العرب ٣٣٨/١ .

(٢) كنانة : قبيلة عظيمة من العدنانية ، وهم بنو كنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكَة بن إلياس ، كانت ديارهم بجهات مكة ، وُلِدَ له : النَّضْر ، ومَلِك ، ومَلِكَان ، وعبد مناة ، وترجع جميع أنساب كنانة إلى هؤلاء ، ويرجع نسب قريش إلى النَّضْر بن كنانة ، ومنه يتفرع نسب نبينا محمد ﷺ . انظر : جمهرة أنساب العرب ١١ ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٣٣٦ ، ومعجم قبائل العرب ٩٩٦/٣ .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ١٥٨/٢ ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٢٤/٥ ، والزحشري ٣٣٢/٢ ، وابن الجوزي ٤/٥٨ ، والفخر الرازي ٥٤/٢٠ ، وتفسير القرطبي ١١٦/١٠ ، وتفسير البيضاوي ١٨٤/٣ ، والحازن ١٢٠/٣ ، وأبي حيان ٥٠٣/٥ .

(٤) حيث تم الكلام على الآية السابقة [٣٨] ، وهي : ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَبْعِمُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ، ثم ابتداء بهذه الآية .

(٥) معاني القرآن للفراء ١٠٥/٢ ، بتصرف .

و^(١) الزَّجَّاجُ أجاز^(٢) الوجه الأول^(٣) وقال : (ما) في موضع رفع لا غير ، المعنى : ولهم الشيء الذي يشتهونه ، ولا يجوز النصب ؛ لأن العرب تقول : جَعَلَ لِنَفْسِهِ ما يشتهي ، ولا تقول جَعَلَ زَيْدٌ له ما يَشْتَهِي ، وهو يعني نفسه^(٤) .

٥٨ . قوله تعالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ﴾ ؛ أي أخبر بولادة بنت ، والتبشير هاهنا بمعنى الإخبار أو بمعنى حقيقة التبشير على ما بينا في قوله : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة : ٢٥] ؛ لأن الحزن يؤثر في البشارة كما يؤثر السرور ، يدل على هذا قوله : ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا﴾ . قال الزَّجَّاجُ أي متغيراً تَغَيَّرَ مغتم ، ويقال لمن لقي مكرهاً : قد اسود وجهه غماً وحُزناً^(٥) ، وشرح أبو علي هذا فقال : ليس المعنى على السواد الذي هو خلاف البياض ، ولكن على ما يلحق من غضاضة عن مذمة^(٦) ، ونَزَّلُوا ولادة الأنثى – وإن لم يكن من فِعْلِهِمْ – منزلة ما يكون من فِعْلِهِمْ مما يلحق من أجله العار ، وعلى ضِدِّ هذا يمدحون بالبياض من لم يلحقه عار ، من ذلك قوله^(٧) :

وَأَوْجُوهُهُمْ بَيَضُ الْمَسَافِرِ غُرَّانُ^(٨)

-
- (١) ورد في النسخ جميعها : «وابن الزَّجَّاجُ» ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته .
 (٢) في النسخ جميعها : «أجازه» ، والصحيح المثبت .
 (٣) الصحيح أنه أجاز الوجه الثاني كذلك .
 (٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٦/٣ ، بتصرف يسير .
 (٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٦/٣ ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٢٤/٥ ، وابن الجوزي ٤٥٨/٤ ، والفخر الرازي ٥٥/٢٠ .
 (٦) لم أقف عليه ، وورد نحوه في تفسير القرطبي ١١٦/١٠ .
 (٧) البيت لامرئ القيس .
 (٨) صدره :

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ

شرح ديوان امرئ القيس ١٦٧ ، وفيه : «عند المشاهد» بدل «بيض المسافر» ، وورد في العين ١٩/٤ ، =

يريد أنهم لا يرتكبون ما يُدَنَسُ الوجه ، وعلى هذا المعنى وصفهم الرجل بالبياض في المدح لا على معنى بياض اللون ونصوعه ، قال قتادة في هذه الآية : هذا صنيع مشركي العرب ، فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ ؛ أي ممتلئ غمًّا ^(٢) ، وفسرنا هذا الحرف في سورة يوسف [٨٤] .

٥٩ . قوله تعالى : ﴿ يَنۡوَرَيۡنِ ﴾ ؛ أي يختفي ويتغيب ، وقد ذكرنا هذا الحرف وتفسيره في قوله : ﴿ مَا وَرِىۡ عَنۡهُمَا ﴾ [الأعراف : ٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿ مِّنَ الْقَوٰمِۖنَ سَوَءٍ مَّا بَشِّرۡ بِهِۦ ﴾ . قال المفسرون : كان الرجل في الجاهلية إذا ضرب امرأته المخاض توارى إلى أن يعلم ما يؤلِّدُ له ، فإن كان ذكراً سرَّ به وابتهج ، وإن كانت أنثى اكتأب لها وحزن ولم يظهر للناس أيماً ، يُدبَّر كيف يصنع في أمرها ^(٣) ، وهو قوله : ﴿ ائۡمِسۡكُۡ عَلٰى هُوۡبٍ ﴾ ؛ أي أجبسه ، والإمساك هاهنا بمعنى الحبس ، كقوله : ﴿ اَمۡسِڪْ عَلَیۡكَ زَوۡجَكَ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، والكناية تعود على ما في قوله : ﴿ مَّا بَشِّرۡ بِهِۦ ﴾ ، والهون : الهوان ^(٤) .

وفي تهذيب اللغة (غرر) ٢٦٥٢/٣ ، والصحاح ٧٦٧/٢ ، واللسان ٣٢٣٤/٦ ، والتاج ٣٠١/٧ ، وفيه : (المشاهد) بدل (المسافر) ، ومقاييس اللغة ٤٢٨/٣ ، برواية : «عند المسافر» ، الأساس ٢٩٨ . المسافر؛ أصله : سفر أي أشرق ، يقال : سفر وجهه حسناً ، وأسفر : أشرق ، ومنه : ﴿ وَجُوۡهُ يُّوۡمَیۡذِیۡنَ مُسۡفِرَةٌ ﴾ ؛ أي مشرقة ، ومسافر الوجه : ما يظهر منه ، المشاهد : الوقائع والحروب ، غرآن : جمع أغر ، ورجل أغر الوجه إذا كان أبيض الوجه .

(١) أخرجه الطبري ١٢٣/١٤ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢٢٦/٤ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ١٥٨/٢ ، بنصه .

(٣) ورد في معاني القرآن للنحاس ٧٥/٤ ، بنحوه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٤٤٦/٨ ، وابن الجوزي ٤٥٨/٤ ، والفخر الرازي ٥٥/٢٠ ، والخازن ١٢٠/٣ ، وأبي حيان ٥٠٤/٥ .

(٤) لم يفرق بعضهم بين الهون والهون ، وذهب الكثير إلى التفريق بينهما ؛ فقال بعضهم : الهون : الهوان ،

والهون : الرفق . وقال آخرون : الهون : العذاب ، والهون : الرفق . وقال الليث : الهون : مصدر =

قال ابن شميل : إنه لَيَهُونَ عَلَيَّ هَوْنًا وَهَوَانًا^(١) ، وأهنته هَوْنًا وَهَوَانًا ، وذكرنا هذا في سورة الأنعام عند قوله : ﴿عَذَابَ آلِهَونٍ﴾ [آية : ٩٣] .

قال المفسرون : كان أحدُهم في الجاهلية إذا وُلِدَتْ له بنتٌ ضاق بها ذرعاً ، فلم يدر ما يصنع بها ، أَيْدُسُهَا تحت التراب أو يتهاون بها فَيُلْقِيهَا^(٢) ، والهَوَانُ على قول أكثرهم يعود إلى المولودة على معنى أنه سيهينها في التعب والعمل ، ويمسكها على هوان منه لها .

وقال عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿أَيْمُسُكُمُ عَلَى هُونٍ﴾ يريد على رغم أنفه وعلى الكراهية منه^(٣) ، وعلى هذا القول الهوان راجع إلى الوالد^(٤) ؛ لأنه يمسكه على رضا بهوان نفسه وكرهاته ، واختاره الفراء ، فقال : لا يدري أيدفنها أم يصبر عليها وعلى مكروهاها^(٥) .

الهِينُ في معنى السكينة والوقار . وقال شمر : الهَوْنُ : الرفق والدعة . وقال الفراء : الهَوْنُ في لغة قريش : الهَوَانُ ، وبعض تميم يجعل الهَوْنُ مصدراً للشيء الهين ؛ أي القليل . انظر : معاني القرآن للفراء ١٠٦/٢ ، وتهذيب اللغة (هان) ٣٦٩٩/٤ ، واتفق المباني وافتراق المعاني ٩٩ .

(١) ورد في تهذيب اللغة (هان) ٣٦٩٩/٤ ، بنصه .

(٢) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/٢٠٤ ، والطبري ١٤/١٢٤ ، والسمرقندي ٢/٢٣٩ ، وهود ٢/٣٧٤ ، والثعلبي ٢/١٥٨ ، ولعل المقصود بقوله : «فيلقيها» ؛ أي يلقيها من شاطئ ، فقد ذكر الرازي وسائل عدة كانوا يسلكونها في قتل البنات ، أشهرها : أن يحفر لها الحفرة ويدفنها حتى تموت ، ومنهم من يرميها من شاطئ جبل ، ومنهم من يغرقها ، ومنهم من يذبحها . انظر : تفسير الرازي ٥٦/٢٠ .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٥٥/٢٠ .

(٤) في النسخ جميعها : (الولد) والصحيح (الوالد) ؛ لأن هذا هو المعنى الثاني ، وفي الأول عاد الهوان على الولد ، ويؤيده التعليل بعده .

(٥) معاني القرآن للفراء ١٠٧/٢ ، بنصه .

وقوله تعالى : ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ ؛ أي يخفيه ، والدُّسُّ : إخفاء الشيء^(١) ، وهذا على ما كانوا يفعلونه من الوأد في الجاهلية ، والجملة التي وقع عليها الاستفهام من الإمساك أو^(٢) الوأد متعلقة بمحذوف يدل عليه القَسَم في الاستفهام ، على تقدير ﴿يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ﴾ مقدراً أي مسكه أم يدسه ، أو مفكراً أو مدبراً ؛ أي يُقَلَّبُ رأيه في أحد الأمرين .

وقال صاحب النظم : قوله : ﴿أَيْمِسْكُهُ﴾ متصل في النظم بقوله : ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ، والكظيم بمعنى الكاظم ، ومعنى الكظم : ستر الشيء في القلب وترك إظهاره^(٣) ، ومنه : ﴿وَالْكَظِيمِينَ الْغَيْظُ﴾ [آل عمران : ١٣٤] ، والتأويل : وهو كاظم ، ﴿أَيْمِسْكُهُ عَلَى هَوْنٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ ؛ أي إن هذا المعنى في قلبه من شدة الغم وهو يكظمه ولا يظهره .

وقوله تعالى : ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : بس ما حكموا أن جعلوا لمن يعرفون بأنه خالقهم البنات ؛ اللاتي محلهن منهم هذا المحل ، ونسبوه إلى اتخاذ الولد ، وجعلوا لأنفسهم البنين^(٤) ، نظير هذه الآية قوله : ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ ﴿٥﴾ تِلْكَ إِذَا قَسَمْتَ ضِرَى﴾ [النجم : ٢١-٢٢] .

(١) انظر : تهذيب اللغة (دس) ٢/ ١١٨٣ ، والمحيط في اللغة ١٢/ ٢٣٥ ، والأساس ١/ ٢٧١ ، وعمدة الألفاظ ٨/ ٢ .

(٢) في النسخ جميعها : (و) ، وما أثبتته هو الصواب ، والظاهر أن الألف سقطت أو تصحفت .

(٣) أصل الكظم : اجتراع الغيظ ، والكظم : مخرج النفس ، يقال : أخذ بكظمه ، والكُظوم : السكوت ، والكُظوم : إمساك البعير عن الجيرة . انظر : العين (كظم) ٥/ ٣٤٥ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣١٥١ ، والمحيط في اللغة ٦/ ٢٣٣ ، ومجمل اللغة ٢/ ٧٨٦ ، وعمدة الحفاظ ٣/ ٤٦٩ .

(٤) ورد بمعناه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ١٢٠٤ ، والطبري ١٤/ ١٢٤ ، والسمرقندي ٢/ ٢٣٩ ، والثعلبي ٢/ ١٥٨ ، والطوسي ٦/ ٣٩٤ ، وانظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٣٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٨ ، والخازن ٣/ ١٢٠ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٤ .

٦٠. قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾. قال ابن عباس والكلبي: يريد العذاب والنار.

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ شهادة أن لا إله إلا الله^(١)، وهذا قول قتادة، ورُوي عنه ﴿الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾: الإخلاص والتوحيد^(٢)، وهذا قول المفسرين في هذه الآية، لا أدري لم قيل للعذاب: المثل السَّوْءِ، وللإخلاص: المثل الأعلى.

وقال قوم: المثل السَّوْءِ: الصفة السَّوْءِ؛ من احتياجهم إلى الولد وكرهيتهم الإناث خوف العيلة والعار^(٣)، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ الصفة العليا من تنزُّهه وبراءته عن الولد، وهذا قول صحيح، والمثل يَرُدُّ^(٤) كثيراً بمعنى الصفة، وقد بيَّنا ذلك مستقصى في قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ في سورة الرعد [آية: ٣٥] وإن أنكر ذلك بعض المتأخرين^(٥)، فقد رُوي عن المتقدمين من أئمة اللغة المثل بمعنى الصفة^(٦).

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٥٧/٢، بنصه عن قتادة، والطبري ١٢٥/١٤، بنصه عن قتادة، وورد في معاني القرآن للنحاس ٧٧/٤، بنصه عن قتادة، وتفسير الثعلبي ١٥٨/٢، بنصه عن ابن عباس، وانظر: تفسير البغوي ٢٤/٥، عن ابن عباس، وابن عطية ٤٤٨/٨، عن قتادة، وتفسير القرطبي ١١٩/١٠، عن ابن عباس، والخازن ١٢٠/٣، عن ابن عباس، وأبي حيان ٥٠٥/٥، عن ابن عباس وفتادة، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢٢٦/٤، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري ١٢٥/١٤، بنصه، ورد في معاني القرآن للنحاس ٧٧/٤، بنصه، وتفسير الماوردي ١٩٥/٣، بنصه، وانظر: تفسير القرطبي ١١٩/١٠، وورد بنصه غير منسوب في تفسير هود الهواري ٣٧٥/٢، والثعلبي ١٥٨/٢، والطوسي ٣٩٤/٦، والقولان عن قتادة متطابقان.

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ١٥٨/٢، بنصه تقريباً، وانظر: تفسير البغوي ٢٥/٥، وابن الجوزي ٤٥٩/٤، والفخر الرازي ٥٦/٢٠، والبيضاوي ٢٧٨/١.

(٤) في: (أ) و(د): (يريد)، والمثبت من (ش) و(ع)، وهو الصحيح.

(٥) يقصد محمد بن يزيد المبرِّد، (ت ٢٨٥هـ). فقد قال عند قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ [الرعد: ٣٥]: فمن قال: إنها معناه: صفة الجنة فقد أخطأ؛ لأن (مَثَل) لا يوضع في موضع صفة، وإنما المثل مأخوذ من المثال والحذو، والصفة تحلية ونغت. انظر: المقتضب ٢٢٥/٣.

(٦) كيونس بن حبيب، المتوفى ١٨٢هـ، والفرَّاء المتوفى ٢٠٧هـ، ومحمد بن سلام الجمحي المتوفى ٢٣١هـ، =

وقال ابن كيسان : ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ ما ضَرَبَ اللهُ للأصنام وعبدتها من الأمثال^(١) ، مِثْلُ قَوْلِهِ : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ﴾ الآية [العنكبوت : ٤١] ، وقوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ الآية [الحج : ٧٣] ، والله المثل الأعلى نحو قوله : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾ الآية [النور : ٣٥] .

فإن قيل : كيف جاء ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ مع قوله : ﴿فَلَا تَضُرُّهُمُ إِلَهِ الْأَمْثَالِ﴾ ؟ [النحل : ٧٤] قيل : لأنه بمعنى الأمثال التي توجب الأشباه ، فأما الأمثال التي يضر بها الله من غير شبه له بخلقه فحق وصواب ؛ لما فيها من الحكم^(٢) .

٦١ . قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ﴾ . قال ابن عباس : يريد المشركين ، ﴿يُظْلِمُهُمُ﴾ قال : يريد بافترائهم على الله ، ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ قال : يريد من^(٣) مفتر ، هذا قوله في رواية عطاء^(٤) ، ومعناه : أنه لو عاجلهم بالعقوبة على كفرهم ما أمهلهم طرفة عين ، ولأخلى وجه الأرض عنهم ، والكناية في : ﴿عَلَيْهَا﴾ تعود إلى الأرض ولم يسبق لها ذكر ، ولكن ذكر الدابة تدل على الأرض ؛ فإنها تدب عليها ، وكثير ما يُكَنَّى عن الأرض وإن لم يتقدم ذكرها ؛ لأنه لا يُشْكِل ، يقولون : ما عليها مثل فلان ، وما عليها أكرم من فلان ، يعنون على الأرض^(٥) ، وعلى هذا التفسير الدابة

وإليه ذهب ابن جرير عند آية الرعد [٣٥] ، ومال إليه الأزهري ونصره . انظر : معاني القرآن للفرّاء ٦٥ / ٢ ، وتفسير الطبري ١٣ / ١٦٢ ، وتهذيب اللغة (مثل) ٤ / ٣٣٤١ .

(١) لم أقف عليه .

(٢) ورد في تفسير الطوسي ٦ / ٣٩٤ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ٥٦ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ١١٩ .

(٣) موضع طمس في (ع) وغير واضح .

(٤) انظر : تفسير الزمخشري ٢ / ٣٣٣ ، وأبي حيان ٥ / ٥٠٦ ، وفيها قال : ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ ؛ أي من مشرك يدب عليها .

(٥) نقله الفخر الرازي بنصه من دون عزو ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ٦٠ .

تختص بالمفتري ، وقال سائر المفسرين : يعنى دواب الأرض ، روى السدي عن أصحابه في قوله : ﴿ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ يقول : لأقحط المطر ، فلم يبق في الأرض دابة إلا هلكت ^(١) ، ورؤي عن ابن مسعود أنه قرأ هذه الآية ، فقال : كاد ^(٢) أن يهلك الجعل ^(٣) في جحره بذنب ابن آدم ^(٤) ، وقال قتادة في هذه الآية : قد فعل ذلك زمان نوح ^(٥) ، والمعنى على هذا : أن شؤم ذنوب المشركين كاد أن يصيب دواب الأرض حتى تهلك بسبب ذلك ، لولا حلم الله وتأخير العقوبة ، كما روى عن أبي حمزة الثمالي ^(٦) أنه قال : يحبس المطر فيهلك كل شيء ^(٧) .

وقال أهل المعاني : معنى الآية ، أن الله تعالى لو أهلك الآباء بكفرهم لم يكن الأبناء ^(٨) ، فكانت الأرض تبقى خالية ، وقد ضرب الله لهلاك الخلق وخلو الأرض

(١) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/٤٥٩ ، وأبي حيان ٥/٥٠٦ ، وورد في تفسير مقاتل ١/٢٠٤ ، بنحوه غير منسوب .

(٢) في (أ) و(د) : (كان) ، والمثبت من (ش) و(ع) يتفق مع السياق والمعنى .

(٣) الجعل : دويبة سوداء صغيرة تألف المواضع النديّة ، وهي من الخنافس ، أو هو الحرباء ، وكنيته أبو جحران ، وأبو وجزة في لغة طيء ، وجمعه جعلان . انظر : المحيط في اللغة (جعل) ١/٢٥٦ ، ومتن اللغة ١/٥٣٨ .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/١٢٦ بنصه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/٢٣٩ ، بنحوه ، والثعلبي ٢/١٥٨ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٣/٧٤ ، والزنجشري ٢/٣٣٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/١٢٠ ، والبيضاوي ١/٢٧٨ ، والخازن ٣/١٢١ ، وابن كثير ٢/٦٣١ .

(٥) انظر : تفسير البغوي ٥/٢٦ ، وابن الجوزي ٤/٤٥٩ ، والخازن ٣/١٢٠ ، وأبي حيان ٥/٥٠٦ .

(٦) أبو حمزة ثابت بن أبي صفية الثمالي ، اسم أبيه دينار ، وقيل : سعيد ، مولى المهلب بن أبي صفرة ، كوفي ضعيف رافضي ، روى عن أنس والشعبي ، وعنه : وكيع وأبو نعيم ، مات في خلافة أبي جعفر . انظر : الجرح والتعديل ٢/٤٥٠ ، وميزان الاعتدال ١/٣٦٣ ، والكاشف ١/٢٨٢ ، وتقريب التهذيب ١٣٢ ، ٨١٨ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) ورد في تفسير الماوردي ٣/١٩٦ ، بنصه ، والطوسي ٦/٣٩٦ ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي = ٥/٢٦ ، والزنجشري ٢/٣٣٣ ، والفخر الرازي ٢٠/٥٩ ، ونسبه إلى أبي علي الجبائي ، وتفسير =

عن سكانها أجلاً، فهو يؤخرهم إلى أجل مُسمًى كي يتوالدوا، والأجل المسمى في هذه الآية: القيامة، في قول عطاء عن ابن عباس^(١)، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ يريد أجل القيامة، وفي قول الآخرين: يعني منتهى الأجل وانقضاء العمر^(٢)، ولعل الأقرب هذا؛ فإن المشركين يؤاخذون بالعقوبة إذا انقضت أعمارهم وخرجوا من الدنيا، ووجه القول الأول: أن معظم العذاب يوافيهم يوم القيامة، وذكرنا معنى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ في سورة الأعراف [٣٤].

٦٢. قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾، معنى ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ هاهنا يصفونه بذلك ويحكمون به له، لقولك: جعلت زيدا أعلى الناس، وذكرنا معاني الجعل عند قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿مَا يَكْرَهُونَ﴾ يعني البنات في قول جميع المفسرين^(٣)، والمعنى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم، ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾

القرطبي ١١٩/١٠، والبيضاوي ٢٧٨/١، والخازن ١٢١/٣.

(١) انظر: تفسير الفخر الرازي ٦٠/٢٠، وورد غير منسوب في تفسير هود الهواري ٣٧٥/٢، وتفسير الماوردي ١٩٥/٣، والخازن ١٢١/٣.

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ١٥٨/٢ ب، بنصه، والطوسي ٣٩٦/٦، بمعناه، وانظر: تفسير البغوي ٢٦/٥، وابن الجوزي ٤٦٠/٤، والفخر الرازي ٦٠/٢٠، وتفسير البيضاوي ٢٧٨/١، والخازن ١٢١/٣، وذهب بعضهم إلى أنه الوقت الذي قدره الله لإزالة العذاب بهم في الدنيا، فيكون الناس من العام المخصوص؛ أي أهل المعاصي والكفر، كما في قول ابن عباس القول الأول. انظر: تفسير مقاتل ١/٢٠٤، والطبري ١٢٥-١٢٦، وتفسير الماوردي ١٩٥/٣، والفخر الرازي ٦٠/٢٠، والقرطبي ١١٩/١٠، والخازن ١٢٠/٣.

(٣) ورد بلفظه في تفسير مقاتل ١/٢٠٤، والطبري ١٢٦/١٤، ومعاني القرآن للنحاس ٧٨/٤، وتفسير السمرقندي ٢٣٩/٢، وتفسير هود الهواري ٣٧٥/٢، والثعلبي ١٥٨/٢، والطوسي ٣٩٦/٦.

أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى ﴿١﴾ قال الفراء والزجاج : موضع (أَنَّ) نصب؛ لأنه عبارة عن الكذب وبدل منه ، المعنى : وتصف ألسنتهم أن لهم الحسنى ^(١) .

وأما تفسير ﴿الْحُسْنَى﴾ فكثير من المفسرين على أنه الغلمان والبنون ، وهو ^(٢) قول السدي ومجاهد وقتادة ^(٣) ، قال يمان بن رثاب ^(٤) : ﴿الْحُسْنَى﴾ : الجنة ^(٥) ، وهو معنى قول ابن عباس في رواية عطاء ^(٦) ، واختيار الزجاج ^(٧) ، قال : المعنى يصفون أن لهم مع قولهم هذا القبيح من الله الجزاء الحسن ^(٨) ، فحصل في ﴿الْحُسْنَى﴾ هاهنا قولان؛ الأول : على أنهم قالوا : لله البنات ولنا البنون ، والثاني : على أنهم حكموا لأنفسهم بالجنة والثواب من الله إن كان محمد صادقاً ^(٩) في البعث؛ لأنهم كانوا لا

-
- (١) معاني القرآن للفراء ١٠٧/٢ ، بنحوه ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٠٧/٣ ، بنحوه .
- (٢) في النسخ جميعها : (وهي) ، والصواب ما أثبتته؛ لأن الضمير يعود على القول ، وهو مذكور .
- (٣) تفسير مجاهد ٤٢٢ بلفظه ، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٥٧/٢ بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٢٧/١٤ بلفظه عن مجاهد وقتادة من طريقين لكل ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٧٨/٤ ، بلفظه عن مجاهد ، وتفسير الماوردي ١٩٦/٣ ، بنحوه عن مجاهد ، والطوسي ٣٩٧/٦ ، بنحوه عن مجاهد ، وانظر : تفسير الزمخشري ٣٣٣/٢ ، عن مجاهد ، وابن الجوزي ٤/٤٦٠ ، عن مجاهد وقتادة ، والقرطبي ١٠/١٢٠ ، عن مجاهد ، وأبي حيان ٥/٥٠٦ ، عن مجاهد ، وابن كثير ٢/٦٣٢ ، عن مجاهد وقتادة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٢٢٨ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة . ولم أقف عليه منسوباً إلى السدي .
- (٤) في النسخ جميعها : (رباب) ، وكذا في لسان الميزان ، والصحيح رثاب كما ذكره الدارقطني والذهبي ، وقد صوّب محقق كتاب الضعفاء للدارقطني هذه الرواية ورجحها على رواية اللسان .
- (٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢/١٥٨ بلفظه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/٢٦ وورد بلفظه غير منسوب في معاني القرآن للنحاس ٤/٧٨ ، وتفسير السمرقندي ٢/٢٣٩ ، وابن عطية ٨/٤٥١ ، والفخر الرازي ٢٠/٦٠ ، والخازن ٣/١٢١ .
- (٦) انظر : تنوير المقباس ٢٨٨ .
- (٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٧/٣ ، بنصه .
- (٨) في (أ) و(د) : (الحسنى) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو الموافق للمصدر .
- (٩) في (أ) و(د) : «صادق» ، وهو خطأ نحوي ظاهر ، لعله من النسخ ، والمثبت من (ش) و(ع) . تفسير الثعلبي ٢/١٥٨ ب .

يؤمنون بالمعاد، ولعل الأقرب في تفسير الحسنی : الجنة، وفي الآية ما يدل على هذا، وهو قوله : ﴿لَا جَزَاءَ لَكُمْ أَنَّ لَكُمْ النَّارَ﴾ ، فردَّ عليهم قولهم وأثبت لهم النار ، فدلَّ هذا أنهم حكموا لأنفسهم بالجنة ، قال الزَّجَّاج : (لا) ردُّ لقولهم ، المعنى ليس ذلك كما وصفوا ، جَرَمَ فعلُهم هذا؛ أي كَسَبَ النَّارَ^(١) ، فعلى هذا (أَنَّ) يكون في محل النصب بوقوع الكسب عليه ، وقال قطرب : (أَنَّ) في موضع رفع ، المعنى : وجب أَنَّ لهم النار^(٢) ، وقيل : لا بُدَّ ولا محالة أن لهم النَّار ، وذكرنا في ما تقدم استقصاء الكلام في هذا الحرف^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ ؛ أي مُتْرَكُونَ^(٤) مَنَسِيُونَ في النار ، قاله الكلبي ومجاهد والضحاك^(٥) .

-
- (١) أي : كَسَبَ فعلُهم هذا لهم النار .
 - (٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٧/٣ ، بتصرف يسير .
 - (٣) سورة هود : الآية [٢٢] ، وتفسير السمرقندي ١٦٩/١ ، والنحل الآية [٢٣] .
 - (٤) هكذا في النسخ جميعها ، ولعلها (متروكون) كما في مجاز القرآن ٣٦١/١ ، وتفسير الطبري ١٢٧/١٤ ، والحجة للقراء ٧٣/٥ .
 - (٥) تفسير مجاهد ٤٢٢ ، بنصه ، وأخرجه الطبري ١٢٨/١٤ من ثلاث طرق عن مجاهد بلفظ : مَنَسِيُونَ ، وعن الضحاك بلفظ : متروكون في النار ، ورد في معاني القرآن للنحاس ٧٩/٤ ، بلفظه عن مجاهد ، وتفسير الماوردي ١٨٦/٣ ، بلفظه عن مجاهد والضحاك ، والطوسي ٣٩٥/٦ ، بنصه عن مجاهد والضحاك ، وانظر : تفسير ابن عطية ٤٥٢/٨ ، عن مجاهد ، وأبي حيان ٥٠٦/٥ عن مجاهد ، وابن كثير ٦٣٢/٢ ، عن مجاهد .

وقال قتادة: مُعَجَّلُونَ إلى النار^(١)، وهو قول الحسن، والقول الأول اختيار أبي عبيدة^(٢) والفرّاء^(٣)، قال الكسائي: يقال: ما أَفْرَطْتُ من القوم أحداً^(٤)، وقال الفرّاء: العرب تقول: أَفْرَطْتُ منهم ناساً؛ أي خَلَفْتَهُمْ ونَسِيتَهُمْ^(٥)، ومَنْ قال: مُعَجَّلُونَ، وهو الاختيار^(٦)؛ فَوَجْهُهُ^(٧) ما قال أبو زيد وغيره: فَرَطَ الرجلُ

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٧، بلفظه عن قتادة، والطبري ١٤/ ١٢٨-١٢٩، بنصه عن قتادة من طريقين، ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٧٩، بنصه عن الحسن، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٩ بنصه عن قتادة، والثعلبي ٢/ ١٥٨، بنصه عن قتادة، والماوردي ٣/ ١٩٦، بمعناه عن قتادة، والطوسي ٦/ ٣٩٥، بمعناه عنها، وانظر: تفسير البغوي ٥/ ٢٧، عن قتادة، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٢١، والخازن ٣/ ١٢١، عن قتادة، وابن كثير ٥/ ٢٧، عن قتادة، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٨، وزاد نسبه إلى ابن المنذر عن قتادة، وأورده وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم عن الحسن.

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٦١، بنصه.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٠٧، بنصه.

(٤) أي ما تركت أحداً، ورد في تهذيب اللغة (فرط) ٣/ ٢٧٧٣، بنصه تقريباً، وانظر: تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٦١، ورجح الطبري هذا القول ١٤/ ١٢٩.

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٠٧، بنصه.

(٦) وقد رجحه النحاس كذلك، وقال: قول الحسن أشهر في اللغة وأعرف، وأيده بقول القطامي كما في ديوانه ٩٠:

وَاسْتَعْجَلُونَا وَكَانُوا مِنْ صَحَابَتِنَا كَمَا تَعَجَّلَ فُرَّاطٌ لِرَوَّادٍ

وهذا الذي ذكره أوضح دلالة مما ذكره الواحدي رحمه الله، كما يؤيده حديث رسول الله ﷺ: «أنا فَرَطُكُمْ على الحوض . . .». أي متقدمكم وسابقكم إليه حتى تردوه. أخرجه البخاري (٦٥٧٥): الرقاق، في الحوض، ومسلم (٢٢٨٩)، كتاب: الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، وقد جمع ابن كثير بين القولين (مفرطون)، وقال: ولا منافاة؛ [أي بينهما]، لأنهم يعجل بهم يوم القيامة إلى النار وينسون فيها؛ أي يخلدون. تفسير ابن كثير ٢/ ٥٩٥.

(٧) في النسخ جميعها: «فوجه»، والصحيح ما أثبتته، وينسجم مع السياق.

أَصْحَابَهُ يُفَرِّطُهُمْ فِرَاطًا وَفَرُوطًا ، إِذَا تَقَدَّمَهُمْ إِلَى الْمَاءِ لِيَصْلَحَ الدَّلَاءُ وَالْأَرْسَانُ^(١) ،
وَأَنْشَدُوا^(٢) :

فَأَثَارَ فَارِطُهُمْ غَطَاطًا جُثْمًا أَصْوَاتُهَا كَتَرَاطِنِ الْفُرْسِ^(٣)
وَأَفَرَطَ لِلْقَوْمِ الْفَارِطُ ، وَفَرَّطُوهُ : إِذَا قَدَّمُوهُ ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿مُقَرَّطُونَ﴾ مِنْ
هَذَا ، كَأَنَّهُمْ أَعْجَلُوا إِلَى النَّارِ ، فَهَمَّ فِيهَا فَرَطٌ لِلَّذِينَ يَدْخُلُونَ بَعْدَهُمْ^(٤) .

(١) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٧٣ ، بنحوه ، ونقله الفخر الرازي ٢٠/ ٦١ ، بنصه ونسبه إلى الواحدي .
(الْأَرْسَانُ) هكذا في النسخ جميعها ، جمع رَسَنٍ ؛ وهو الحبل تقاد به الدابة ، ويحتمل أن يكون (الْأَرْسَانُ)
جمع رَشَنٍ يسكون الشين وفتحها ، وهي مَشْرَبُ الْمَاءِ مِنَ النَّهْرِ ؛ أي الثُّلَمَةُ في النهر يُسْتَقَى مِنْهَا ، وذكر
الطبري نحواً من هذا القول بلفظة (الأرشية) وهو جمع الرِّشَاءِ : وهو حبل الدلو ، وهو الأقرب لولا
اختلاف مبنى الكلمة ، انظر : تفسير الطبري ١٤/ ١٢٨ ، بمعناه ، والمحيط في اللغة ٧/ ٣٢٠ ، ٣٧٤ ،
٨/ ٣٠٥ ، واللسان (رشن) ٣/ ١٦٥٢ ، (رشا) ٣/ ١٦٥٣ ، والمعجم الوسيط ١/ ٣٤٧ ، ومتن اللغة
٢/ ٥٨٨ ، ٥٩٢ .

(٢) لطفة بن العبد (جاهلي) .

(٣) لم أجده في ديوانه ، وذكر محقق مستدرک التهذيب (غط) ١٦/ ٤٩ ، أنه ليس في ديوانه ، ولكنه مما
نسب إليه في زيادات [ط : أوربا/ باريس] ، ورد في لسان العرب (رطن) ٣/ ١٦٦٦ ، وورد بلا نسبة
في : شرح القصائد السبع لابن الأنباري ٥٧٢ وفيه : «فأراد» بدل «فأثار» ، وتهذيب اللغة (فرط)
٣/ ٢٧٧٣ ، (غط) ٣/ ٢٦٧٦ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٠٤ ، ٤/ ٣٨٤ ، واللسان (غطط) ٦/ ٣٢٧١ ،
(فرط) ٦/ ٣٣٩٠ ، والتاج (غطط) ١٠/ ٣٥٣ ، (فرط) ١٠/ ٣٦٠ . (الفارط) : المتقدم السابق ،
(الغَطَاطُ) بفتح الغين كَسَحَاب ، هي القَطَا أو ضرب منه ، وقيل : ضربٌ من الطير ليس من القطا ،
هَنَّ غَيْرُ الظهور والبُطون والأبدان ، سُوْدُ بُطون الأجنحة ، طَوَالُ الأرجل والأعناق ، لطافٌ ، لا
تجتمعُ أسراباً ، أكثرُ ما تكونُ ثلاثاً أو اثنين ، وواحدتها : غَطَاطَةٌ ، سميت لصوتها غطاطاً ، (جُثْمًا)
يقال : جثم الإنسان والظاهر ، يَجْثِمُ وَيَجْثِمُ جَثْمًا وَجُثْمًا ، فهو جائِمٌ أي لزم مكانه فلم يبرز ؛ أي تلبّد
بالأرض ، (تراطن) من الرطانة بفتح الراء وكسرها ، والتراطن : كلام لا يفهمه الجمهور ، إنما هو
مُؤَاوَعةٌ بين اثنين أو جماعة ، والعرب تخص بها غالباً كلام العجم . وانظر : اللسان (جثم) ١/ ٥٤٥ .
(٤) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٧٣ ، بنصه .

وقال أبو إسحاق : معنى ﴿مُفْرَطُونَ﴾ : مُقَدَّمُونَ إِلَى النَّارِ ^(١) ، وقرأ نافع بكسر الراء ^(٢) .

قال الفرءاء : يقول : كانوا مُفْرَطِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي الذُّنُوبِ ^(٣) ، ونحوه قال الزَّجَّاج : المعنى على أنهم أَفْرَطُوا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ^(٤) .

قال ابن عباس في رواية عطاء : أفرطوا في الافتراء على الله .

وقال أبو علي : كأنه من أَفْرَطَ؛ أي صارَ فَرَطٌ ، مِثْلُ : أَقْطَفَ ^(٥) وَأَجْرَبَ ؛ أي هم ذوو فَرَطٍ إِلَى النَّارِ ^(٦) ، كأنهم قد أَرْسَلُوا مِنْ يُهَيِّ لَهِمْ مواضعهم منها .

٦٣ . قوله تعالى : ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ . قال ابن عباس : يعزي الله نبيه ﷺ بهذا ^(٧) يقول ^(٨) : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ﴾ يعني رسلاً وأنبياء من قبلك ، ﴿فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ : حتى عَصَوْا وكذبوهم ، ﴿فَهُوَ وَلِيَهُمْ الْيَوْمَ﴾ [يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ ؛ أَحَدُهُمَا : أَنْ الْمُرَادَ بِهَذَا كُفَّار

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٨/٣ ، بنصه .

(٢) قرأ نافع وحده : ﴿مُفْرَطُونَ﴾ من أَفْرَطْتُ ، وقرأ الباقيون : ﴿مُفْرَطُونَ﴾ بفتح الراء ، من أَفْرَطُوا فهم مُفْرَطُونَ . انظر : السبعة ٣٧٤ ، وعلل القراءات ٣٠٦/١ ، والحجة للقراء ٧٣/٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٥ ، والتيسير ١٣٨ .

(٣) معاني القرآن للفرءاء ١٠٨/٢ ، بنصه تقريباً .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٨/٣ ، بنصه .

(٥) في (ش) و(ع) : «قُطِفَ» . قال صاحب ابن عباد : يقال : أَقْطَفَ الرجل ؛ أي صار صاحبَ دابةٍ قَطُوفٍ ، والقُطُوف من الدواب والإبل : هو البطيئُ المقاربُ . انظر : المحيط في اللغة (قطف) ٣٣٠/٥ .

(٦) الحجة للقراء ٧٤/٥ ، بنصه تقريباً .

(٧) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤٦٢/٤ ، والفخر الرازي ٦١/٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٢١/١٠ ، والخازن ١٢١/٣ ، وأبي حيان ٥٠٧/٥ ، وابن كثير ٦٣٢/٢ ، وأبي السعود ١٢٣/٥ ، وهو بلا نسبة في المصادر كلها .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

قريش ، يقول : الشيطان وليهم اليوم^(١)؛ يتولى إغواءهم وصر فهم عنك كما فعل بكفار الأمم قبلك^(٢) ، فيكون قد رجع عن الإخبار عن^(٣) الأمم الماضية إلى الإخبار عن كفار مكة . الثاني : أنه أراد باليوم يوم القيامة ، يقول : فهو ولي أولئك الذين زَيَّن لهم أعمالهم يوم القيامة^(٤) ، ومن كان الشيطان وليَّه ذلك اليوم دخل^(٥) النار ، وأطلق اسم اليوم على يوم القيامة لشهرة ذلك اليوم .

٦٤ . قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ إِلَّا كِتَابٌ ﴾ . قال ابن عباس : يريد ما قص من أخبار الأمم الخالية في القرآن ، ﴿ إِلَّا لِنُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ ، قال : يريد لاتخاذ الحجة عليهم ، كأن المعنى : إلا لتبين لهم ما يختلفون فيه من الدين والأحكام ، فيذهبون فيها إلى خلاف ما يذهب إليه المسلمون ، فتقومُ الحجةُ عليهم بدعائك وبيانك .

وقوله تعالى : ﴿ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً ﴾ . قال أبو إسحاق : بنصب ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ ؛ لأن المعنى : وما أنزلنا عليك الكتاب إلا للهداية والرحمة ، فهو مفعول له^(٦) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٢) ورد في تفسير الطبري ١٢٩/١٤ - ١٣٠ ، بمعناه ، والثعلبي ١٥٨/٢ ب ، بمعناه ، والطوسي ٣٩٧/٦ ، بمعناه ، وانظر : الكشف ٣٣٤/٢ ، وابن عطية ٤٥٤/٨ ، وابن الجوزي ٤٦٢/٤ ، والبيضاوي ٢٧٨/١ ، وأبي حيان ٥٠٧/٥ ، ونسبه إلى الزمخشري ، واستبعده بحجة اختلاف الضمائر من غير ضرورة ، وهذا تحامل منه على الزمخشري كما هو معروف عنه ؛ لأن القول قديم كما هو واضح في المصادر ، والقول ليس بضعيف ، بل هو محتمل كما قال الواحدي رحمه الله .

(٣) في النسخ جميعها : (إلى) ، وما أثبتته هو الصواب ، كما في تفسير الفخر الرازي ٦٢/٢٠ .

(٤) ورد في تفسير مقاتل ٢٠٤/١ ب ، بنحوه ، والطوسي ٣٩٧/٦ ، بمعناه ، وانظر : تفسير الزمخشري ٣٣٤/٢ ، وابن الجوزي ٤٦٢/٤ ، والفخر الرازي ٦٢/٢٠ ، نقل القولين بنصهما بلا نسبة ، وأبي حيان ٥٠٧/٥ ، والدر المنصون ٢٤٩/٧ ، وابن كثير ٦٣٢/٢ .

(٥) في (أ) و(د) : (ذلكل) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو الصحيح الذي يستقيم به الكلام .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٨/٣ ، بنصه .

٦٥. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ إلى قوله: ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أخبر الله تعالى أنه هو الذي أنزل المطر فأخصبت الأرض به بعد جُذُوبتها ويُبُوستها، وفي ذلك آية ودلالة على قدرته على البعث والإحياء بعد الإماتة لمن سمع ذلك سماع اعتبارٍ وتفكيرٍ.

٦٦. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾. ذكرنا معنى العبرة في سورة آل عمران عند قوله: ﴿لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آية: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿شَقِيقُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ مَنْ فُتِحَ النُّونُ^(١) فحجته ظاهرة يقول: سقيته حتى روي، أسقيه، قال الله تعالى: ﴿وَسَقَّيْنَاهُمْ مِنْ شَرَابٍ طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، وقال: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾ [الشعراء: ٧٩]، وقال: ﴿وَشَقَّوْا مَاءَ حَمِيمًا﴾ [محمد: ١٥]، وما كان للشفة فهو بفتح النون، ومن ضَمَّ النون^(٢) فهو من قولك: أسقاه إذا جعل له شرباً كقوله: ﴿وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧]، وقوله: ﴿فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢]، والمعنى هاهنا أنا جعلناه في كثرته وإدامته كالسقيّا، واختار أبو عبيدة الضمّ، وقال: لأنه شَرِبَ دائم^(٣)، وأكثر ما يقال في هذا المعنى: أسقيت، وذكرنا الكلام في سقى وأسقى في سورة الحجر^(٤).

واختلف النحويون في علة تذكير الكناية في قوله: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾، وهي راجعة إلى الأنعام، فقال أبو إسحاق: الأنعام لفظه جمع، وهو اسم للجنس

(١) وهم ابن عامر ونافع وعاصم في رواية أبي بكر. انظر: السبعة ٣٧٤، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/٣٥٧، وعلل القراءات ١/٣٠٧، والحجة للقراء ٥/٧٤، والمبسوط في القراءات ٢٢٥، والموضح في وجوه القراءات ٢/٧٣٩.

(٢) وهم: ابن كثير وأبو عمرو وحمة والكسائي. انظر: المصادر السابقة.

(٣) لم أجده في مجازه، وورد في تفسير الثعلبي ٢/١٥٨، بنصه، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٤/٦٤.

(٤) آية: [٢٢].

يذكر ويؤنث ، يقال : وهو الأنعام ، وهي الأنعام ، ﴿سُقِّكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ ، وفي موضع آخر : ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾^(١) [المؤمنون : ٢١] .

وهذا مذهب سيبويه ، قال في ذكره أن الاسم الواحد يجيء على أفعال ، قال : يقال : هو الأنعام ، وقال : ﴿فِي بُطُونِهِ﴾^(٢) ، فذهب إلى أنه اسم مذكر يقع للجميع كالقوم والنفر والرهط ، وقال الفراء : النَّعَمُ والأنعام شيء واحد ، فرجع التذكير إلى معنى النَّعَم إذ كان يؤدي عن معنى الأنعام ، وأنشد^(٣) :

وطابَ ألبانُ اللِّقَاحِ وَبرَدُ^(٤)

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٩/٣ ، بنصه .

(٢) الكتاب ٢٣٠/٣ ، بنحوه ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٤٠١/٢ .

(٣) لم أقف على القائل ، وفي تفسير الثعلبي ١١٥٩/٢ ، أنه رجز لبعض الأعراب .

(٤) وصدره :

بَالٌ سُهَيْلٌ فِي الْفَضِيخِ فَفَسَدُ

ورد بلا نسبة في معاني القرآن للفراء ١٢٩/١ ، ١٠٨/٢ ، وتفسير الطبري ١٣١/١٤ ، والثعلبي ١١٥٩/٢ ، والطوسي ٤٠٠/٦ ، وابن الجوزي ٤٦٣/٤ ، واللسان (خرت) ١١٢٤/٢ ، (كتد) ٣٨١٩/٦ ، والدر المصون ٢٥٧/٧ ، والتاج (خرت) ٤٤-٤٥/٣ ، (كتد) ٢١٨/٥ ، وفي المصادر جميعها عدا الدر : (فبرد) . سهيل : كوكب يُرى في ناحية اليمن والعراق ، ولا يُرى بخراسان ، الفضيخ : عصير العنب ، وهو أيضاً شراب يتخذ من البُسر المفصوخ وحده من غير أن تمسه النار ، وهو المشدوخ . ومعنى البيت : يقول لما طلع سُهَيْلُ ذهب زمن البسر وأرطب ، فكأنه بال فيه ، وعندها تطيب ألبان النوق ، والشاهد : أنه لم يقل : وبردت ؛ لأنه رده إلى اللبن؛ المفرد . انظر : تهذيب اللغة (سهل) ١٧٨٦/٢ ، ١٧٨٧ ، واللسان (فضخ) ٣٤٢٦/٦ .

فرجع إلى اللبن^(١)؛ لأن اللبن والألبان في معنى واحد^(٢)، والدليل على أن التَّعَمَّ مذكر قول الراجز^(٣) :

أَكَلَّ عَامٍ نَعَمٍ تَحْوُونَهُ يُلْقِيهِ قَوْمٌ وَتَتَجَوَّنُهُ^(٤)

قال الكسائي : أراد مما في بطون ما ذكرنا^(٥)، قال الفرّاء : وهو صواب ، أنشدني بعضهم :

مِثْلُ الْفِرَاحِ تَنْتَقَتْ حَوَاصِلُهُ^{(٦)(٧)}

(١) في النسخ جميعها : (اللبن والألبان) بزيادة الألبان ، وقد أدى زيادتها إلى اضطراب المعنى ، ويؤيد أنها زائدة ، عدم وجودها في المصدر والوسيط ، تحقيق سيبى ٤١٠ / ٢ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ١٠٨ / ٢ ، بنصه تقريباً .

(٣) هو قيس بن حصين بن يزيد الحارثي (جاهلي) .

(٤) ورد في الخزانة ٤٠٧ / ١ ، ٤١٢ ، وورد بلا نسبة في الكتاب ١٢٩ / ١ ، ومجاز القرآن ٣٦٢ / ١ ، وتفسير الطبري ١٣٢ / ١٤ ، والمذكر والمؤنث للأنباري ٤٢٦ / ١ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢١٧ / ٢ ، وتهذيب اللغة (نعم) ٣٦١٧ / ٤ ، وتفسير الثعلبي ١٥٩ / ٢ ، والمخصص ١٩ / ١٧ ، وتفسير الزمخشري ٣٣٤ / ٢ ، وأبي حيان ٥٠٩ / ٥ ، والدر المصون ٢٥٣ / ٧ ، وتخليص الشواهد ١٩١ ، وفي بعض هذه المصادر ورد برواية : « في كل » بدل « أكل » .

(٥) ورد في معاني القرآن للفرّاء ١٠٩ / ٢ ، بنصه ، وإعراب القرآن للنحاس ٤٠١ / ٢ ، بنصه ، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٤٢٧ / ١ ، بنصه ، وتهذيب اللغة (نعم) ٣٦١٥ / ٤ ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٧٥ / ٣ ، والفخر الرازي ٦٤ / ٢٠ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ١٠٩ / ٢ ، بنصه .

(٧) رجز ورد بلا نسبة في معاني القرآن للفرّاء ١٣٠ / ١ ، وتفسير الطبري ١٣٢ / ١٤ ، وتهذيب اللغة (نعم) ٣٦١٦ / ٤ ، والمحتسب ١٥٣ / ٢ ، وتفسير ابن عطية ٤٥٦ / ٨ ، وابن الجوزي ٤٦٣ / ٤ ، وشرح شواهد الإيضاح ٣٤٧ ، وتفسير القرطبي ١٢٤ / ١٠ ، واللسان (خلف) ١٢٣٧ / ٢ ، (نعم) ٤٤٨٢ / ٧ ، وتفسير أبي حيان ٥٠٩ / ٥ . نتقت : سمتت وامتلاّت شحماً . حواصله : جمع حوصلة ؛ أسفل البطن ، وهي للطير والنعام كالمعدة للإنسان ، وهي المصارين لذي الظلف والخُفّ ، والشاهد : أنه أعاد على الفراخ ضمير الواحد ؛ لأنها في معنى الفرخ ، إذا أريد به الجنس والكثرة ، وقال الطبري : لم يقل : حواصلها ؛ أي ذكرها . انظر : المحيط في اللغة (نتق) ٣٦٧ / ٥ ، ومتن اللغة ١٠٦ / ٢ ، ووردت برواية : « تَنْتَقَتْ » .

وقال المبرد : هذا فاش في القرآن وفي كلامهم ، مثل : ﴿ فَلَمَّا رَأَى السَّمَاسَ بَارِزَةً ﴾ قَالَ هَذَا رَأْيِي ﴿ [الأنعام : ٧٨] ، بمعنى هذا الشيء الطالع ، وكذلك قوله : ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴾ ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴾ [الدثر : ٥٤-٥٥] ؛ أي ذَكَرَ هذا الشيء ، وكذلك : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ﴾ [النمل : ٣٥] ، ثم قال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ ﴾ [النمل : ٣٦] ، ولم يقل : جاءت ؛ لأن المعنى : جاء الشيء الذي ذكرنا^(١) .

قال أبو عبيد : وسمعت الكسائي يُشَدُّ ما هو أشد من هذا^(٢) :

وَعَفْرَاءُ أَذْنَى النَّاسِ مِنِّي مَوَدَّةً وَعَفْرَاءُ عَنِّي الْمُعْرِضُ الْمُتَوَانِي^(٣)
قال وأنشدنا الأهر^(٤) :

إِذْ^(٥) النَّاسُ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بَغْرَةٌ وَإِذْ أُمُّ عَمَّارٍ صَدِيقُ مُسَاعِفُ^(٦)

(١) لم أقف على مصدره ، وورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤١٠ ، بنحوه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٦٣ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٤ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٩ ، والدر المصون ٧/ ٢٥٦ ، وورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٤/ ١٣٣ ، بنصه تقريباً ، والثعلبي ٢/ ١٥٩ ، بنحوه .

(٢) البيت لعروة بن حزام ، المتوفى ٣٠ هـ ، شاعر إسلامي ، أحد المتبیین ، لا يُعرف له شعرٌ إلا في عَفْرَاءَ بنتِ عمه .

(٣) ورد في المذكر والمؤنث للأبناري ١/ ١٨٧ ، برواية :
فعفراء أرجى الناس عندي مودةً

وورد في الأغاني برواية :

فعفراء أحظى الناس عندي مودةً

وورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٤/ ١٣٣ ، والثعلبي ٢/ ١٥٩ ، والشاهد : أنه لم يقل : المعرضة المتوانية ، وذكر المعرض ؛ لأنه أراد التشبيه ؛ أي وعفراء عني مثل المعرض ، والمؤنث قد يشبه بالمذكر .
(٤) هو لأوس بن حجر ، كما في ديوانه واللسان .

(٥) في النسخ جميعها : (إذا) والتصويب من الديوان والمصادر جميعها عدا الثعلبي .

(٦) ديوانه ٧٤ ، وفيها : (الزمان) بدل (البلاذ) ، و(بغزة) بدل (بغرة) ، وورد في اللسان (سعف)

٤/ ٢٠١٨ ، وفيه : والزمان ، وورد بلا نسبة في تهذيب اللغة (سعف) ٢/ ١٦٩٦ ، كاللسان ، وورد برواية : «بغطة» بدل «غرة» في تفسير الطبري ١٤/ ١٣٣ ، والثعلبي ٢/ ١٥٩ ، وفي الخزنة =

فهذا التذكير في هذه الأشياء أشدُّ منه في الأنعام، ومثله كثير^(١)، وإنما توجَّه على معنى هذا الشخص والسواد وكل شيء، فالشيء يَشْرُكُه في اسمه، فالأصل التذكير؛ لأن الشيء مذكَّر، غير أن الشيء إذا كان تأنيثه حقيقياً فلا بد من أن يؤنث في مستقيم الكلام، لا يحسن أن يقول: جَارِيتُك ذهب ولا غلامك ذهبت، بحمله على النَّسَمَةِ^(٢)، وذهب المؤرج في هذا إلى وجه آخر؛ وهو أن الكناية تعود إلى ما في قوله: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ وأضمر اللبن، كأنه قيل: نسقيكم مما في بطونه اللبن، ﴿مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمْرٍ لَبَنًا﴾ أراد أنه يُسْقَى من أيِّها كان ذا لبن؛ لأنه ليس لكلها لبن^(٣)، واختار صاحب النظم هذا الوجه وزاده بياناً، فقال: الأنعام يقع على الذكر والأنثى، والصغير والكبير، والحائل^(٤) والحامل، وذات الدَّرِّ والبَلَى^(٥)، فلما ذَكَرَ - عز وجل - مُجْمَلَةً في أول الفصل، وليس الدَّرُّ إلا لبعضها؛ مَيَّزَ واختص منها في الخبر ذات الدَّرِّ دون سائرها. فقوله: ﴿مِمَّا﴾ مِثْلُ قولك: مِنْ النَّيِّ، إلا أنه لَمَّا ذَكَرَ (النَّيِّ) بلفظ (ما) ذَكَرَ الكناية؛ لأن (ما) لا تبين فيه تذكير ولا تأنيث،

٤٢٩/٥، برواية: «الزمان بعزة»، (غرة) بكسر الغين: الغفلة، يقال: غَرَّ الرجلُ غَرَارَةً وَغَرَّةً: جهلَ الأمور وغفل عنها، مساعف: قريب، والإسعاف: قضاء الحاجة، وهو المقصود.

(١) لم أقف على مصدره.

(٢) النَّسَمَةُ: النَّفْسُ، والنسمة في العتق: المملوك ذكراً كان أو أنثى. المحيط في اللغة ٨/٣٤٥.

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٢/١٥٩، بنحوه، والطبري ١٤/١٣١، بنحوه غير منسوب، وورد في إعراب القرآن للنحاس ٢/٢١٧، بنحوه منسوباً إلى أبي عبيدة عن أبي عبيد، وانظر: تفسير البغوي ٥/٢٨، ووضح البرهان ٥٠٧.

(٤) الحائل: التي لا تحمل تلك السنة، حَالَتْ تَحُولُ حَوْلًا وَحِيَالًا، والمُحْتَالَة: الحائل من ذوات الحَمَلِ. انظر: المحيط في اللغة (حول) ٣/٢١٠.

(٥) يقال: ناقة بَلَيَّة: هي التي يموت صاحبها، فيحفر لها حفرة وتشدُّ رأسها إلى خلفها، وتُبَلَّى؛ أي تترك هناك لا تعلف ولا تسقى حتى تموت جوعاً وعطشاً. انظر: المحيط في اللغة (بلى) ١٠/٣٥٤، واللسان (بلا) ١/٣٥٥.

فكأنه مذكر ، والتقدير : نُسْقِيكُمْ مِنْ التِي فِي بَطُونِهَا لَبَنٌ ، ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنًا﴾ ، وأضمر ذِكْرَ اللَّبَنِ لَعَلَّ الْمَخَاطَبَ بِذَلِكَ ، ولمجيء^(١) ذِكْرِ اللَّبَنِ فِي مَا بَعْدَهُ .

وقوله تعالى : ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ ، الْفَرْثُ : سِرَجِينَ الْكَرَشِ^(٢) ، قال ابن عباس : يريد العلف الذي يكون في الكرش ، وروى الكلبي عن أبي صالح عنه أنه قال : إذا استقر الْعَلْفُ فِي الْكَرَشِ صار أسفله فَرْثًا وأعلاه دمًا وأوسطه لبنًا ، فيجري الدَّمُ فِي الْعُرُوقِ وَاللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ ويبقى الْفَرْثُ كما هو^(٣) ، فذلك قوله : ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنًا خَالِصًا﴾ لَا يَشْوِبُهُ الدَّمُ وَلَا الْفَرْثُ ، ﴿سَائِبًا لِلشَّرِيرِينَ﴾ جائزًا فِي حُلُوقِهِمْ لَذِيذًا هَنِئًا ، يقال : سَاغَ الشَّرَابُ فِي الْحَلْقِ وَأَسَاغَهُ صَاحِبُهُ^(٤) ، ومنه قوله : ﴿وَلَا يَكَاذُ يَاسِغُهُ﴾ [إبراهيم : ١٧] ، وقد مر ، والآية بيان عن إقامة الدلالة على الصانع حيث جعل الْعَلْفَ وهو جنس واحد أنواعًا فِي بطن الدابة ، فإذا تفكر الْعَاقِلُ عِلْمَ أَنَّ ذَلِكَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، قال أصحابنا : وهذه

(١) فِي النسخ جميعها : (والمجيء) ، ويستقيم الكلام بالمثبت .

(٢) يقال : سرجين بالجيم ، وسرجين بالقاف ، ويسمى فَرْثًا ما دام أنه بالكرش ، فإذا خرج لا يسمى فَرْثًا ، انظر : العين (فرث) ٨/ ٢٢٠ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٧٥٧ ، والمحيط في اللغة ١٠/ ١٣٨ ، ومجمل اللغة ٢/ ٧١٩ ، واللسان ٦/ ٣٣٦٩ .

(٣) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٠ ، والثعلبي ٢/ ١١٥٩ ، بنحوه ، وهذه أوهى الطرق إلى ابن عباس ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٤ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٢٥ ، وتفسير البيضاوي ١/ ٢٧٩ ، والخازن ٣/ ١٢٣ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٩ ، وهذا التفسير مردود لضعف الأثر ، وزاد الفخر الرازي تضعيفه لمخالفته للحس ، فقال : وقد دللنا على أن هذا القول على خلاف الحس والتجربة ، ولأن الدم لو كان يتولد في أعلى المعدة والكرش ، كان يجب إذا قاء أن يقيء الدم ، وذلك باطل قطعاً ، ثم بين كيفية تولد اللبن حسياً . الفخر الرازي ٢٠/ ٦٥ .

(٤) انظر : جهرة اللغة (سوغ) ٢/ ٨٤٦ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٥٩٧ ، والمحيط في اللغة ٥/ ١٠٧ ، ومجمل اللغة ١/ ٤٧٨ ، ومقاييس اللغة ٣/ ١١٦ ، والصحاح ٤/ ١٣٢٢ ، والعياب الزاخر : غ/ ص ٤٨ ، واللسان ٤/ ٢١٥٢ .

الآية تدل على أن مَنِيَّ الآدمي لا يكون نجساً وإن كان في باطنه مجاوراً للنجاسات كاللبن ، فإنه يخرج طاهراً من بين نجسين^(١) .

(١) هذا مشهور لكن فيه نظر؛ لأن الدم مختلف في نجاسته ، فالمذاهب الأربعة على نجاسته ، وقد حكى النووي في ذلك الإجماع فقال : « وفيه أن الدم نجس ، وهو بإجماع المسلمين » . شرح مسلم ٢٠٠ / ٣ ، وانظر : أحكام النجاسات في الفقه الإسلامي ١٨٧ ، لكن الذي عليه المحققون - كابن تيمية والشوكاني وصديق خان - أن الدم المسفوح ليس بنجس ، وعمدة القائلين بالنجاسة أمران ؛ أحدهما : قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ مِمَّا أَوْحَى إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزير فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ [الأنعام : ١٤٥] ، والثاني : حديث أسماء قالت : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ، فقالت : « إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيضة كيف تصنع به ؟ » قال : « تَحْتُهُ ثُمَّ تَقْرُصُهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ تَنْضَحُهُ ثُمَّ تُصَلِّي فِيهِ » . شرح مسلم ١٩٩ / ٣ .

وقد رد المحققون على هذين الدليلين : أما الآية فدلالته على نجاسة الدم غير صريحة ؛ لأن كون تناول الدم المسفوح محرم لا يقتضي نجاسته ، وكلمة ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ وإن كان من معانيها في اللغة النجاسة ، إلا أنه مختلف في عودة الضمير ، وإذا وقع الاحتمال بطل الاستدلال . أما الحديث فالكلام فيه على دم الحيض ولا خلاف في نجاسته ؛ لأنه خارج من أحد السيلين ، لذلك كان قياس سائر الدماء عليه قياساً مع الفارق ، لذلك قال صديق خان : « وأما سائر الدماء فالأدلة فيها مختلفة مضطربة ، والبراءة الأصلية مستصعبة حتى يأتي الدليل الخالص عن المعارضة » . الروضة الندية شرح الدرر البهية ١ / ٨٢ ، وحتى على القول بنجاسة الدم فإن الدم قبل انفصاله عن الجسم يعد طاهراً ، وهو ما ذهب إليه ابن تيمية في الفتاوى ٢١ / ٥٩٨ - ٦٠٠ ، ونصره من وجوه عدة ، فقال : « إنا لا نسلم أن الدم قبل ظهوره وبروزه يكون نجساً ، فلا بد من الدليل على تنجيسه » ، ثم ذكر وجوهاً على طهارته ، وهي : أن النجس هو المستقذر المستخبث ، وهذا الوصف لا يثبت لهذه الأجناس إلا بعد مفارقتها مواضع خلقها ، فوصفها بالنجاسة فيها وصف بما لا تتصف به . أن الدماء في الأبدان وغيرها هي أحد أركان الحيوان التي لا تقوم حياته إلا بها حتى سميت نفساً ، فالحكم بأن الله يجعل أحد أركان عباده من الناس والدواب نوعاً نجساً في غاية البعد . أن الأصل الطهارة ، فلا تثبت النجاسة إلا بدليل ، وليس في هذه الدماء شيء من أدلة النجاسة ، وخصائصها . أما روث الحيوان فالأرجح فيه الطهارة أيضاً ، وهو مذهب الخنابلة والمالكية والهادوية وغيرهم . انظر : نيل الأوطار ١ / ٥٩ - ٦٠ ، والروضة الندية ١ / ٧١ ، وأحكام النجاسات ٥٠ - ٩٨ . ومن أدلتهم : حديث أنس في الصحيحين : « أن النبي ﷺ أمر العَرَبِيِّينَ بِأَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِ الْإِبِلِ » ، البخاري ٢٣٣ ، كتاب الوضوء ، أبوال إيل والذباب ، مسلم ١٦٧١ : القسامة ، حكم المحاريين والمرتدين ، واستدلوا كذلك بأن النبي ﷺ كان يصلي قبل أن يبنى المسجد في مرايض الغنم . أخرجه البخاري ٢٣٤ بالباب نفسه ، كذلك استدلال ابن تيمية السابقة على طهارة الدم تنطبق على طهارة الروث .

كذلك يجوز أن يخرج المنى طاهراً، وإن جرى في طريق النجاسة^{(١)(٢)}.

٦٧. قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ الآية .

قال صاحب النظم: تأويل الآية: ولكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكرًا^(٣)؛ لأنه لو كان مبتدأً ومنقطعاً مما قبله لوجب أن يقال: منها؛ لأن تأويله يكون راجعاً على قوله: ﴿ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ على ما نظم، وتتخذون من ثمرات النخيل والأعناب سكرًا.

(١) الكلمة ساقطة من (أ) و(د) .

(٢) نسبه القرطبي إلى النقاش من الشافعية، المتوفى ٣٥١هـ، وقال: وقاله أيضاً غيره، وهذا الاستدلال على طهارة المنى فيه تكلف وبُعد، والقياس الوارد قياس مع الفارق، لذا أنكره ابن العربي وشكك في أهلية المستدل على الدعوى بهذه الآية. انظر: تفسير ابن العربي ٣/ ١١٥٢، وقد أنكر ابن تيمية هذه الدعوى في معرض الرد على القائلين بنجاسة المنى، فقال: لا نسلم أنه يجري في مجرى البول، فقد قيل: إن بينها جلدة رقيقة، وإن البول إنما يخرج رشحاً، وهذا مشهور. الفتاوى ٢١/ ٦٠٢، أما طهارة المنى فمختلف فيها، وقد بسط العلماء القول فيها في كتبهم في مظانها. وانظر: أحكام النجاسات ٩٩- ١٢٤، ومن أقوى أدلة القائلين بطهارته -وهو الراجح- قول عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يسئل المنى من ثوبه بعرق الإذخر ثم يصلي فيه، ويحتم من ثوبه يابساً ثم يصلي فيه». صحيح ابن خزيمة، باب: سلت المنى من الثوب بالإذخر إذا كان رطباً ١/ ١٤٩.

(٣) وإلى هذا ذهب الطبري في تفسيره ١٤/ ١٣٨، وانظر: تفسير البغوي ٥/ ٢٨، وابن عطية ٨/ ٤٥٨، قال البغوي: يعني: ولكم أيضاً عبرة في ما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والأعناب، ﴿نَنخِذُونَ مِنْهُ﴾ والكناية في ﴿مِنْهُ﴾ عائدة إلى (ما) محذوفة؛ أي ما تتخذون منه ﴿سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾.

والعرب تضمّر (ما) و(من) كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾^(١) [الإنسان: ٢٠] ،
﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ﴾^(٢) [الصفّات: ١٦٤] وذكرنا^(٣) هذا قديماً .

والأعناب عطف على الثمرات لا على النخيل؛ لأنه يصير التقدير : ومن
ثمرات الأعناب ، والأعناب ثمار ، ولكنه ومن الأعناب ، وأمّا السكر فروى
سعيد بن جبير وشهر بن حوشب وعمرو^(٤) بن سفيان^(٥) عن ابن عباس أنه قال :
السَّكَّرُ ما حُرِّمَ من ثمرتيهما ، والرزق الحسن ما أحلَّ من ثمرتيهما^(٦) ، وقال في
رواية عطاء : سَكَّراً يريد ما أسكَّر ، وهذا قبل أن يحرم الخمر .

-
- (١) قال الفرّاء أي ما ثَمَّ رأيت . معاني القرآن للفرّاء ٢١٨/٣ ، وانظر : الدر المنصون ٦١٤/١٠ .
(٢) وتقديره عند الكوفيين : وما مِنَّا إِلَّا مَنْ لَهُ ، فحذف الموصول وأبقى الصلة ، وأباه البصريون؛ لأن
الموصول عندهم لا يحذف . انظر : البيان في غريب إعراب القرآن ٣١٠/٢ ، والفريد في إعراب
القرآن ١٤٦/٤ .
(٣) ساقطة من (أ) و(د) .
(٤) في النسخ جميعها : (عمر) ، والصحيح المثبت كما في تفسير الطبري ١٣٤/١٤ ، ومعاني القرآن
للنحاس ٨١/٤ .
(٥) عمرو بن سفيان الثقفي ، روى عن ابن عباس وابن عمر وعن أبيه رضي الله عنه ، وروى عنه
الأسد بن قيس ، صحح له الحاكم حديثاً في تفسير السكر ، وضعفه النحاس في معانيه . انظر : الجرح
والتعديل ٢٣٤/٦ ، وتهذيب التهذيب ٢٧٣/٣ ، وتقريب التهذيب ٥٠٣٨ .
(٦) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٥٧/٢ ، بنصه ، والطبري ١٣٤/١٤ ، بنصه من طرق كثيرة ،
والخصاص ١٨٥/٣ ، بنحوه ، والحاكم : التفسير/ النحل ٣٥٥/٢ ، بنصه وصححه ، وورد في
الناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٨٥/٢ ، بنصه ، ومعاني القرآن للنحاس ٨١/٤ ، بنصه ، وقال :
وهي رواية تضعف من جهة عمرو بن سفيان ، وتفسير هود الهواري ٣٧٦/٢ ، بنصه ، والثعلبي
١١٥٩/٢ ، بنصه ، وتفسير الماوردي ١٩٨/٣ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٢٩/٥ ، وابن الجوزي
٤٦٤/٤ ، وابن كثير ٦٣٣/٢ ، والدر المشور ٢٢٨/٤ ، وزاد نسبته إلى الفريابي وسعيد بن منصور
وأبي داود في ناسخه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

﴿وَرَزَقًا حَسَنًا﴾ يريد الخَلَّ والزبيب والتمر وكل ما يُتَّخَذُ مِنَ النخيل والأعْنَاب^(١)، وهذا قول عامة المفسرين، قالوا: السكر هي الخمر بعينها، والسكر حرام، والرزق الحسن حلال، وقالوا: نزلت هذه قبل تحريم الخمر^(٢)، ونزل تحريمها في سورة المائدة^(٣).

- (١) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ٢٥٢، بنحوه من طريق الحجاج عن ابن جريج صحيحة، ومن طريق أبي طلحة صحيحة، والطبري ١٤/١٣٤-١٣٥ بنحوه من طريق عمرو، ومن طريق أبي طلحة، والجصاص ٣/١٨٥، بنحوه من طريق الحجاج، والسمرقندي ٢/٢٤١، بمعناه، وانظر: تفسير ابن عطية ٨/٤٥٨.
- (٢) أخرجه الطبري ١٤/١٣٥، بنحوه من طرق عن سعيد بن جبير وأبي رزين والحسن ومجاهد، ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/٨٢، بنحوه، وتفسير السمرقندي ٢/٢٤١، بنحوه، وتفسير الماوردي ٣/١٩٨، بنحوه، والطوسي ٦/٤٠١، بنحوه، وانظر: تفسير البغوي ٥/٢٨.
- (٣) في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَاللَّبِيسُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، وعلى هذا فآية النحل منسوخة بآية المائدة، وهو ما ذهب إليه ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن والشعبي والنخعي وأبو رزين وجمهور المفسرين، وقد ردَّ هذه الدعوى جماعة من العلماء، وبينوا أن هذا خبر، ولا يجوز فيه النسخ، قال مكي: وقيل: إن هذا لم ينسخ؛ لأن الله لم يأمرنا باتخاذ ذلك، ولا أباحه لنا في هذه الآية، وإنما أخبرنا بما كانوا يصنعون من النخيل من السكر الذي حرَّمه الله في المائدة. اهـ. ومن القائلين بعدم النسخ الطبري، لكنه حمل السكر على أن معناه: كل ما حلَّ شربه، مما يتخذ من ثمر النخل والكرم، وفَسَدَ أن يكون معناه الخمر أو ما يُسكر من الشراب. انظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ٢٥٢، وتفسير الطبري ١٤/١٣٤-١٣٦، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/٤٨٦، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي ٣٣١، وأسباب النزول للواحدي ٢٠٨، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ١٨٦، وتفسير القرطبي ١٠/١٣٠.

وَالسَّكَرُ فِي اللُّغَةِ : الْخَمْرُ^(١) ، وَقَالَ جَرِير :

إِذَا رَوَيْنَ عَلَى الْخَنْزِيرِ مِنْ سَكْرٍ نَادَيْنَ يَا أَعْظَمَ الْقَسَّيْنَ جُرْدَانًا^(٢)
وهذا القول هو اختيار الفراء^(٣) والزجاج^(٤) .

وقال أبو عبيدة بوحده : السَّكَرُ : الطعام ، واحتج بقوله^(٥) :

جَعَلَتْ أَغْرَاضَ الْكَرَامِ سَكْرًا^(٦)

أي : جعلت ذمهم^(٧) طعاماً لك^(٨) .

(١) أصل السَّكَر في اللغة : السَّدُّ ، ومنه سَكَرَ فلانٌ ؛ لأنه سَدَّ عقله ومنع منه ، والسَّكَرُ : الخمر نفسها ، وكلُّ ما يُسَكَّرُ ، وقيل : هو شراب يُتخذ من التَّمْرِ والكُثُوثِ ، والسُّكْرُ : حالةٌ تعرض بين المرء وعقله ، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب المُسَكَّر ، انظر : تهذيب اللغة (سكر) ١٧٢٠ / ٢ ، والمفردات ٤١٦ ، والأساس ٣٠٢ ، واللسان (سكر) ٢٠٤٧ / ٤ ، وعمدة الحفاظ ٢٣٧ / ٢ ، والتاج (سكر) ٥٣٤ / ٦ ، ومتن اللغة ١٧٩ / ٣ .

(٢) ديوانه ١٦٧ / ١ ، وفيه : (لماً) بدل (إذا) ، وورد في تهذيب اللغة (سكر) ١٧٢٠ / ٢ ، واللسان (جرد) ٥٩٠ / ١ ، (سكر) ٢٠٤٨ / ٤ ، (جردانا) : الجردان بالضم : من أساء الذِّكْر ، وهو قضيب ذوات الخواصر ، والجمع : جرادين .

(٣) معاني القرآن للفراء ١٠٩ / ٢ ، بلفظه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٩ / ٣ ، بلفظه .

(٥) نسبه في المجاز إلى جندل ، وهو ابن المثنى الطَّهَوِي .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (سكر) ١٧٢٠ / ٢ ، وتفسير الزمخشري ٣٣٥ / ٢ ، والفخر الرازي ٦٨ / ٢٠ ، واللسان : (سكر) ٢٠٤٨ / ٤ ، وورد برواية : «جَعَلَتْ عَيْبَ الْأَكْرَمِينَ سَكْرًا» في مجاز القرآن ١ / ٣٦٣ ، وتفسير الطبري ١٣٨ / ١٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٨٣ / ٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢ / ٢٣٨ ، وتفسير الثعلبي ١٥٩ / ٢ ب ، والطوسي ٤٠١ / ٦ ، وابن الجوزي ٤٦٤ / ٤ ، والقرطبي ١٢٩ / ١٠ .

(٧) في معاني القرآن وإعرابه ٢٠٩ / ٣ : دَمَهُمْ ، ولعل الخطأ من المحقق ، والمثبت هو الصحيح المتفق مع المعنى .

(٨) مجاز القرآن ١ / ٣٦٣ ، بنحوه ، وورد في التهذيب (سكر) ١٧٢٠ / ٢ ، بنصه ، والظاهر أنه نقله من التهذيب .

قال الزَّجَّاج : هذا بالخمر أشبه منه بالطعام ، المعنى : جعلت تتخمر بأعراض الكرام ، وهو أبين في ما يقال : يترك^(١) في أعراض الناس^(٢)؛ يتخمر بهم .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قال ابن عباس : يريد عقلوا عن الله قدرته وما لا يقدر عليه أحدٌ غيره وحده ، فصَدَّقُوا نَبِيَّهَ وَأَيَّقُنُوا بِالثَّوَابِ والعقاب .

٦٨ . قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ﴾ الآية . وَحَى وَأَوْحَى واحد^(٣) ، وهو الإلهام هاهنا ، قال المفسرون : ألهمها وقذف في نفسها^(٤) ، وذكرنا معنى الوحي والإيحاء^(٥) عند قوله : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [النساء : ١٦٣] وفي مواضع .

(١) يقال : بارك على الشيء : واظب ، وأبرك في عدوه : أسرع مجتهداً ، والاسم : البرُّوك ، يقال : ابترَكَ الرجلُ في عرض أخيه : إذا اجتهد في ذمِّه وشتمه وانتقاصه ، والابتراك في العدو : الاجتهاد فيه . انظر : تهذيب اللغة (برك) ٣١٩ / ١ ، والمحيط في اللغة ٢٦٠ / ٦ ، واللسان ٢٦٧ / ١ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٩ / ٣ ، بنحوه ، وورد في تهذيب اللغة (سكر) ١٧٢٠ / ٢ ، بنصه تقريباً ، والظاهر أنه نقله منه .

(٣) يقال : أَوْحَى لها وَوَحَى لها ، لكن اللغة الفاشية في القرآن بالألف ، وأما في غير القرآن فوحيُّ إلى فلان هو المشهور . انظر : تهذيب اللغة (وحي) ٣٨٥٢ / ٤ ، والمحيط في اللغة ٢٤١ / ٣ ، والصاح ٢٥١٩ / ٦ .

(٤) ورد في تفسير مقاتل ٢٠٤ / ١ ب ، بنحوه ، والطبري ١٣٩ / ١٤ بنصه عن معمر من طريقين ، ومعاني القرآن للنحاس ٨٣ / ٤ ، بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢٤١ / ٢ ، بنحوه ، وهود الهواري ٣٧٧ / ٢ ، بنحوه ، والثعلبي ١٥٩ / ٢ ب ، بنصه ، والماوردي ١٩٩ / ٣ ، بنحوه ، والطوسي ٤٠٢ / ٦ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٢٩ / ٥ ، وابن الجوزي ٤٦٥ / ٤ ، والفخر الرازي ٦٩ / ٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٣٣ / ١٠ .

(٥) في (أ) و(د) : (إيحاء) ، والمثبت من (ش) و(ع) .

وقوله تعالى: ﴿إِلَى النَّحْلِ﴾ ، النَّحْلُ : زنبور^(١) العسل ، والواحدة نَحْلَةٌ^(٢) .

قال الرَّجَّاج : جائز أن يكون سمي نحلاً؛ لأن الله - عز وجل - نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها ، وقال غيره : النَّحْلُ يذكر ويؤنث^(٣) ، وهي مؤنثة في لغة الحجاز؛ ولذلك أنثها الله تعالى ، وكذلك كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء .

وقال أهل المعاني : الله تعالى أوحى إلى كل دابة وذو روح وحي الإلهام في التماس منافعها واجتناب مضارها ، فذكر من ذلك أمر النحل؛ لأن فيها من لطيف الصنعة وبديع الخلق ما فيه أعظم معتبر ، بأن ألهما اتخاذ المنازل والمساكن^(٤) ، وذلك قوله : ﴿أَنْ أُنْخِذَ مِنْ أَلْبَالٍ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ﴾ ، قال ابن عباس : هي تتخذ من الجبال لأنفسها إذا كانت لا أصحاب لها^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ؛ أي يبنون ويسقفون ، وفيه لغتان : قُرئ بها ضَمُّ الرَّاء^(٦) وكسرها^(٧) مثل يَعْكِفُونَ وَيَعْكُفُونَ .

(١) في (أ) و(د) : (زبر) ، وفي كتب اللغة : (دَبَّرُ العسل) ، قال الخازن : «النحل : زنبور العسل ، ويسمى الدَّبَرُ أيضاً» . تفسير الخازن ١٢٣/٣ .

(٢) انظر : العين (نحل) ٢٣٠/٣ ، وتهذيب اللغة ٣٠٣٢/٤ ، والمحيط في اللغة ١٠٣/٣ ، والصحاح ١٨٢٦/٥ ، واللسان ٤٣٦٨/٧ .

(٣) ليس في معانيه ، وورد في تهذيب اللغة ٣٥٣٢/٤ ، بنصه ، وقال الأزهري في مادة (نحل) «فمن ذكر النحل فلأن لفظه مذكر ، ومن أنث فلأنه جمع نَحْلَةٌ» .

(٤) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٢١٠/٣ ، بنحوه .

(٥) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سبسي ٤١٤/٢ ، بنصه .

(٦) قرأ بضم الراء : ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر : ﴿يَعْرِشُونَ﴾ ، انظر : السبعة ٣٧٤ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٥٨/١ ، والحجة للقراء ٧٦/٥ ، وحجة القراءات ٣٩٢ ، والموضح في وجوه القراءات ٧٤٠/٢ .

(٧) قرأ الباقون بكسر الراء : ﴿يَعْرِشُونَ﴾ ، وروى حفص عن عاصم بكسر الراء أيضاً . انظر : المصادر السابقة .

قال ابن عباس : يريد ما يعرش الناس لها من الجَبَاح^(١) ، وهو : خلايا النحل^(٢) .

وقال ابن زيد في قوله : ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ هو الكروم^(٣) ، ولا معنى للكروم هاهنا؛ لأنها لا تأوي الكُرومَ ، والمعنى ما قاله ابن عباس أن معنى يعرشون : يبنون لها من خلاياها ، ويعرشون صحيح في البناء للكروم ، ولكن المراد هاهنا في البناء للنحل لا الكرم .

قال أهل المعاني : لولا التسخير وإلهام الله تعالى ما كانت تأوي إلى ما يبنى لها الناس من بيوتها^(٤) .

٦٩ . قوله تعالى : ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ . قال ابن قتيبة أي من الثمرات ، وكل هاهنا لا يقع على العموم ، كقوله : ﴿وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل : ٢٣] ، وقوله : ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٥) [الأحقاف : ٢٥] .

(١) الأَجْبُحُ : مواضع النحل في الجبل ، والواحد : جَبْحٌ وجَبْحٌ . انظر : المحيط في اللغة (جبع) ٤١٦/٢ ، ومجمل اللغة ٢٠٥/١ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٧٠/٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٣٤/١٠ ، وأبي حيان ٥١٢/٥ ، كلها بنحوه وبلا نسبة .

(٣) أخرجه الطبري ١٣٩/١٤ بلفظه ، ورد في تفسير الثعلبي ١٥٩/٢ ب ، بلفظه ، وتفسير الماوردي ١٩٩/٣ ، بلفظه ، والطوسي ٤٠٢/٦ بلفظه ، وانظر : تفسير البغوي ٢٩/٥ ، وتفسير ابن عطية ٤٦١/٨ ، وابن الجوزي ٤٦٥/٤ ، وأبي حيان ٥١٢/٥ .

(٤) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤٦٥/٤ .

(٥) الغريب لابن قتيبة ٢٤٦ ، بنصه ولم يستشهد إلا بالآية الثانية .

وقوله تعالى: ﴿فَأَسْأَلُكَ سُبُلَ رَبِّكَ﴾. قال ابن عباس: يريد طُرُقَ رَبِّكَ^(١)، تطلب فيها الرعي، ﴿ذُلُلًا﴾ جمع ذُلُول، وهو المنقاد اللين المُسَخَّر، يقال: فرس ذلول يَبْنُ الذَّلُّ^(٢).

قال مجاهد: لا يتوَعَّرُ عليها مكان سلكته^(٣)، فعلى هذا الذَّلُّ من صفة السُّبُل، والنحل يرعى الأماكن البعيدة ذات الغِيَاض^(٤)، الْأَشْبَةُ: لا تتوَعَّر عليها لتذليل الله لها إياها، وهذا القول اختيار الزَّجَّاج؛ لأنه قال في قوله: ﴿سُبُلَ رَبِّكَ ذُلُلًا﴾؛ أي قد ذُلِّلها الله لك وسَهَّلَ عليك مَسَالِكَهَا^(٥).

وقال قتادة: ذُلُلًا يعني مطيعة^(٦)، وهو اختيار ابن قتيبة؛ لأنه قال: منقادة بالتَّسْخِير^(٧)، وعلى هذا الذَّلُّ من نعت النحل، وحكى الفراء القولين؛ فقال:

(١) ورد بلفظه بلا نسبة في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤١، وهود الهواري ٢/ ٣٧٦، والثعلبي ٢/ ١٥٩ ب، والقرطبي ١٠/ ١٣٥، وأبي حيان ٥/ ٥١٢.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (ذل) ٢/ ١٢٩٠، والمحيط في اللغة ١٠/ ٥٧، ومجمل اللغة ١/ ٣٥٤، والصحاح ٤/ ١٧٠١.

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٣٤٩، بنصه، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٤٠ بنصه من طريقين، ورد في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٧٧، بنصه، والثعلبي ٢/ ١٥٩ ب، بنصه، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٩، بنصه، والطوسي ٦/ ٤٠٤، بنحوه، وانظر: تفسير البغوي ٥/ ٢٩، وابن عطية ٨/ ٤٦٢، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٦، والدر المنثور ٤/ ٢٣٠، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) جمع غَيْضَة: وهي الأجمة؛ وهي مَغِيضُ ماء يجتمع فينب فيه الشجر. انظر: الصحاح (غِيض) ٣/ ١٠٩٧، واللسان ٦/ ٣٣٢٧.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٠، بنصه.

(٦) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٧ بلفظه، والطبري ١٤/ ١٤٠ بلفظه من طريقين، وورد بلفظه في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٩ ب، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٩، والطوسي ٦/ ٤٠٤، وانظر: تفسير أبي حيان ٥/ ٥١٢، والدر المنثور ٤/ ٢٣٠، وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٧) الغريب لابن قتيبة ٢٤٦، بنصه.

ذُلِّلَا نَعْتُ لِلْسَّبِيلِ ، ويقال : نعت للنحل ؛ أي ذُلِّلْتُ لأن يخرج الشراب من بطنها^(١) .

وقوله تعالى : ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا﴾ رجوع من الخطاب إلى الخبر ، ﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ﴾ . قال ابن عباس : منه أحمر وأبيض وأصفر^(٢) .

قال أبو إسحاق : هي تأكل الحامض والمُر وما لا يُوصف طعمه فيحيل الله ذلك عَسَلًا يخرج من بطونها ، إلا أنها تلقيه من أفواهها ، كالريق الذي يخرج من فم ابن آدم^(٣) .

قوله تعالى : ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ أكثرُ المفسرين على أن الكناية تعود إلى قوله : ﴿شَرَابٌ﴾ ، وهو العسل ، وقالوا : إن في العسل شفاء للناس^(٤) ، فإن قيل : قد رأينا من يضره العسل ، فكيف يكون فيه شفاء للناس؟! أجاب عن هذا الزجاج ، وقال : الماء حياة كل شيء ، وقد رأينا من يقتله الماء إذا أخذه على ما يضاده من علة في البدن^(٥) ، وهذا معنى قول السدي : فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه^(٦) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٠٩ ، بتصرف يسير ، وكذلك النحاس ذكر القولين في معانيه ٤/ ٨٤ ، بنحوه ، وأورد الطبري الروايات على القولين ، ثم قال : وكلا القولين غير بعيد من الصواب . . . غير أنا اخترنا أن يكون نعتاً للسبيل ؛ لأنها إليها أقرب . تفسير الطبري ١٤/ ١٤٠ .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٦٦ ، وتنوير المقباس ٢٨٨ ، وورد بلفظه بلا نسبة في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٤ ب ، والسمرقندي ٢/ ٢٤١ ، والثعلبي ٢/ ١٥٩ ب ، والطوسي ٦/ ٤٠٤ ، والبغوي ٥/ ٢٩ ، وابن العربي ٣/ ١١٥٧ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٧٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣٥ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٠ ، بتصرف يسير .

(٤) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٨٥ ، والثعلبي ٢/ ١٥٩ ب ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٠٠ ، والطوسي ٦/ ٤٠٤ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٤٦٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣٦ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١١ ، بنصه ، لكنه في المصدر قال : «ما يصادف من علة» .

(٦) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٢ ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٦٧ .

وروي عن مجاهد: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾؛ أي في القرآن^(١).

قال أبو [إسحاق]^(٢) وهذا القول إذا فُسِّرَ عُلِمَ أنه حَسَنٌ، المعنى في ما قصصنا عليكم من قصة النحل في القرآن وسائر القصص التي تدل على أن الله واحد، شفاء للناس^(٣)، وعلى هذا كون القرآن شفاء؛ أن فيه بيان الحلال والحرام، والدليل على وحدانية الله تعالى، ونفيًا لما يتخالج ويعترض من الشكوك، يدل على هذا قوله تعالى [في]^(٤) وصفه القرآن: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

[وقال ابن مسعود: العسل فيه شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور]^(٥)، وذكر الفراء والزجاج القولين جميعاً^(٦).

(١) أخرجه الطبري ١٤٠/١٤ بلفظه، وورد بلفظه في تفسير السمرقندي ٢/٢٤٢، والثعلبي ٢/١٥٩ ب، والماوردي ٣/١٩٩، والطوسي ٦/٤٠٤، وانظر: تفسير البغوي ٥/٢٩، وابن العربي ٣/١١٥٧، واستبعده، وقال: ولو صح نقلاً لم يصح عقلاً، وذكره أيضاً ابن عطية ٨/٤٦٣، وابن الجوزي ٤/٤٦٧، والفخر الرازي ٢٠/٧٣، وضعفه. لا خلاف أن القرآن شفاء بنص آية الإسراء [٨٢]، لكن السياق هنا لا يساعد على حمل الشفاء على القرآن، بل هو محمول على العسل.

(٢) في (أ) و(ش) و(د) بياض مكان (إسحاق)، وفي (ع): (علي)، والصحيح المثبت؛ لوروده في معاني القرآن وإعرابه بنصه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢١١، بنصه.

(٤) إضافة يقتضيها السياق.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/١٢٧)، بنصه، والطبري ١٤/١٤١، بنصه، والثعلبي ٢/١٥٩ ب، بنصه، وورد في تفسير السمرقندي ٢/٢٤٢، بنصه، وانظر: تفسير البغوي ٥/٢٩، والخازن ٣/١٢٤.

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/١٠٩، بنصه، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/٢١١، بنصه.

واختار قوم القول الأول ، وقالوا : إنه أليق بظاهر الكتاب^(١) ، واحتجوا بما أخبرناه أبو إسحاق بن أبي منصور المقرئ^(٢) أنا عبد الله بن حامد^(٣) ، أنا مكى بن عبدان^(٤) ، أنا عبد الرحمن بن بشر^(٥) ، أنا يحيى بن سعيد^(٦) ، عن شعبة عن قتادة عن أبي المتوكل^(٧) ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن أخي يشتكى بطنه فقال : « اسقه عسلاً » فذهب ثم رجع فقال : قد سقيته فلم يغن عنه شيئاً ، فقال عليه السلام : « اذهب واسقه عسلاً ، فقد صدق

(١) منهم : الطبري ١٤ / ١٤١ ، وقال : لأن قوله : ﴿ فِيهِ ﴾ في سياق الخبر عن العسل ، فإن تكون الماء من ذكر العسل ، إذ كانت في سياق الخبر عنه أولى من غيره ، واختاره الثعلبي ٢ / ١٥٩ ب ، بنصه ، ورجحه البغوي ٥ / ٢٩ ، وابن العربي ٣ / ١١٥٩ ، والرازي ٢٠ / ٧٣ ، وابن كثير ٢ / ٦٣٤ ، وغيرهم ، وذكروا نحو قول ابن جرير .

(٢) هو الثعلبي ، وقد تقدمت ترجمته ضمن شيوخه .

(٣) عبد الله بن حامد بن محمد ، أبو محمد النيسابوري ، الواعظ الفقيه الشافعي ، ولد في نيسابور ، وتفقه على أبي محمد علي البيهقي ، سمع مكى بن عبدان ، ورحل إلى أبي علي بن أبي هريرة ، روى عنه أبو عبد الله الحاكم ، توفي سنة ٣٨٩ هـ ، وعاش ٨٣ سنة . انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٣ / ٣٠٦ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٧ / ١٨٢ .

(٤) أبو حاتم مكى بن عبدان التميمي النيسابوري ، ثقة مأمون مقدم على أقرانه ، سمع عبد الله بن هاشم ومحمد بن يحيى الذهلي ، مات سنة ٣٠٥ هـ . انظر : تاريخ بغداد ١٣ / ١١٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٥ / ٧٠ ، وشذرات الذهب ٢ / ٣٠٧ .

(٥) عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري ، أبو محمد ، محدث حافظ ثقة ، روى عن سفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد ، وعنه : البخاري ومسلم ، مات سنة ٢٦٠ هـ . انظر : الجرح والتعديل ٥ / ٢١٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٢ / ٣٤٠ ، وتهذيب التهذيب ٣ / ٤٩٠ .

(٦) يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص ، إمام محدث ثقة ، روى عن الأعمش وسفيان الثوري ، وروى عنه : أحمد بن حنبل وعبد الرحمن بن مهدي ، مات سنة ١٩٤ هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٩ / ١٥٠ ، وسير أعلام النبلاء ٩ / ١٣٩ ، وتذكرة الحفاظ ١ / ٣٢٥ ، وتقريب التهذيب ٥٩٠ (٧٥٥٤) .

(٧) علي بن داود ، أبو المتوكل الناجي البصري ، مشهور بكنيته ، ثقة ، حدث عن أبي سعيد وأبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما ، وعنه : قتادة وحُميد الطويل ، مات سنة ١٠٢ هـ . انظر : التاريخ الكبير ٦ / ٢٧٣ ، والجرح والتعديل ٦ / ١٨٤ ، وسير أعلام النبلاء ٥ / ٨ ، وتقريب التهذيب ٤٠١ ، ٤٧٣١ .

الله وكذب بطن أخيك ، وسقاه فبراً كأنها أنشط من عقال»^(١) ، وتأولوا في قوله : «صدق الله» قوله تعالى : ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَنْفَكُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد في عظمة الله وقدرته^(٢) .

٧٠ . قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ﴾ الآية . قال المفسرون : ولم تكونوا شيئاً^(٣) ، ﴿ ثُمَّ يَنْفَكُكُمْ ﴾ عند انقضاء آجالكم ، ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ وهو أرذاه وأوضعه ، يقال : رذل الشيء يرذل رذالةً ، وأرذله غيره^(٤) ، ومنه قوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ [هود : ٢٧] ، ﴿ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذِلُونَ ﴾ [الشعراء : ١١١] . روى أسباط عن السدي : ﴿ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ قال : الخرف^(٥) ، ونحوه قوله : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ [التين : ٥] ، ونظير هذه

(١) أخرجه بنحوه عبد الرزاق ٣٥٨/٢ ، عن قتادة مرسلاً ، وأحمد ١٩/٣ ، والبخاري ٥٦٨٤ : الطب ، الدواء بالعسل ، ومسلم ٢٢١٧ في السلام ، باب : التداوي بسقي العسل ، والترمذي ٢٠٨٣ : الطب ، ما جاء في التداوي بالعسل ، والطبري ١٤/١٤١ من طريقين عن قتادة مرسلاً ، والحاكم : الطب/العسل لشفاء المعدة ، والبيهقي ٩/٣٤٤ ، والثعلبي ٢/١٥٩ ب ، بنصه وإسناده ، والبعوي : ٢٩/٣٠-٢٩/٥ ، بنحوه ، وورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢/٢٤١ ، وهود الهواري ٢/٣٧٨ ، والماوردي ٣/٢٠٠ ، ومشكاة المصابيح ٤٥٢١ ، والرازي ٢٠/٧٣ ، والخازن ٣/١٢٤ ، والدر المنثور ٤/٢٣١ ، وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ٢/٤١٩ ، بنصه بلا نسبة ، وبنحوه غير منسوب في تفسير ابن كثير ٢/٦٣٥ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ١/٢٠٤ ب ، بنصه ، والطبري ١٤/١٤١ ب ، بنصه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/٧٧ ، والخازن ٣/١٢٥ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (رذل) ٢/١٣٩٨ ، والمحيط في اللغة ١٠/٧١ ، والصحاح ٤/١٧٠٨ ، واللسان ٣/١٦٣٣ .

(٥) انظر : تفسير الرازي ٢٠/٧٧ ، والدر المنثور ٤/٢٣٢ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وتصحفت الكلمة فيه إلى (الخوف) .

الآية لفظاً ومعنى في الحج^(١)، وقال مقاتل: ﴿أَزْدَلِ الْعُمَرِ﴾ الهرم^(٢)، وقال قتادة: تسعون سنة^(٣)، روي عن علي رضي الله عنه قال: ﴿أَزْدَلِ الْعُمَرِ﴾ خمس وسبعون سنة^(٤).

قوله تعالى: ﴿لَيْتَى لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عَلِيمٍ شَيْئًا﴾؛ أي ليرجع إلى حال الطفولية بنسيان ما كان علم؛ للكبر، قال ابن عباس: كي يصير كالصبي الذي لا عقل له^(٥).

وقال أبو إسحاق: معنى قوله: ﴿لَيْتَى لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عَلِيمٍ شَيْئًا﴾؛ أي ليريك من قدرته أنه كما قدر إمامته وإحياءه، إنه على نقله من العلم إلى الجهل قادر^(٦).

قال عطاء عن ابن عباس: ليس هذا في المسلمين، والمسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء عند الله إلا كرامة وعقلاً ومعرفة^(٧)، وقال في قوله: ﴿ثُمَّ

(١) آية [٥]: وهي: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤَفِّقُ وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْهِلُ﴾ أَرْدَلِ الْعُمَرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا.

(٢) تفسير مقاتل ١/ ٢٠٤ ب، بلفظه

(٣) في النسخ جميعها: (تسعون)، وكذلك في تفسير الثعلبي ٧/ ١٩٩ أ، نسخة المحمودية، لكن في نسخة الحرم النبوي ٢/ ١٥٩ ب، ذكرت أنها سبعون سنة، والصحيح الأول كما دلت عليه المصادر الأخرى، انظر: تفسير البغوي ٥/ ٣٠، والزخشي ٢/ ٣٣٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٧، والفخر الرازي ٢٠/ ٧٧، والخازن ٣/ ١٢٥، وأبي حيان ٥/ ٥١٤.

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٤١ بنصه، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٩ ب، بنصه، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٠٠، بنصه، والطوسي ٦/ ٤٠٥ بنصه، وانظر: تفسير البغوي ٥/ ٣٠، والزخشي ٢/ ٣٣٦، وابن عطية ٨/ ٤٦٤، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٧، والفخر الرازي ٢٠/ ٧٧، والخازن ٣/ ١٢٥، وأبي حيان ٥/ ٥١٤، وابن كثير ٢/ ٦٣٥، والدر المنثور ٥/ ٢٣٢، وما ذكره علي رضي الله عنه - هو الأغلب، والأمر يختلف من إنسان لآخر؛ فمنهم من يرد إلى أرذل العمر قبل ذلك، ومنهم من يتعدى ذلك وهو بكامل قواه العقلية مثل العلماء. انظر: تفسير ابن عطية ٨/ ٤٦٤، وأبي حيان ٥/ ٥١٤.

(٥) انظر: تفسير القرطبي ١٠/ ١٤٠، بنصه، والخازن ٣/ ١٢٥، بنصه، وورد في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٧٨، بنحوه بلا نسبة.

(٦) معاني القرآن وإعراجه ٣/ ٢١١، بنصه.

(٧) انظر: تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٦٨، بنصه، والخازن ٣/ ١٢٥، بنصه، والفخر الرازي ٢٠/ ٧٧، بلا نسبة.

رَدَدَتْهُ أَسْفَلَ سَفِيلَيْنِ ﴿التين: ٥﴾ يريد الكافر ، ثم استثنى المؤمنين فقال : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(١) [التين: ٦] .

ونحو هذا روى عاصم^(٢) عن عكرمة ، قال : من قرأ القرآن لم يُردَّ إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً^(٣) ، وقال في قوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ : قرؤوا القرآن^(٤) .

(١) الاستدلال بهذه الآية فيه نظر؛ فقد اختلف السلف في تأويلها وفي المراد بقوله تعالى : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَفِيلَيْنِ﴾ ، فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك والنخعي : معناه الهرم والخرف وذهاب العقل ، وهو اختيار ابن جرير ، واستحسنه ابن عطية ، وقال الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد وأبو العالية : معناه رددناه إلى النار ، وهو اختيار ابن كثير والسعدي والشنقيطي . انظر : تفسير الطبري ٣٠ / ٢٤٤ ، وابن عطية ١٥ / ٥٠٤ ، وابن كثير ٤ / ٥٥٩ ، والسعدي ١٥٩٩ ، والشنقيطي ١٠ / ٣٣٨ . والراجح القول الأول ، وهو رده إلى الهرم ، وعليه فيكون الاستثناء في قوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ منقطعاً ، ويكون المراد أن المؤمن وإن ردَّ إلى الهرم فإن أجر عمله الصالح لا ينقطع لعجزه ، بل يستمر على ما كان عليه قبل الهرم . أملاه عليّ شيخي .

(٢) عاصم بن سليمان الأحول ، البصري الحافظ الثقة ، من أكبر شيوخه عبدالله بن سرجس ، وأنس ، وعمر بن سلمة ، وروى عنه شعبة ويزيد بن هارون ، كان على قضاء الدائن ، وولي حاسبة الكوفة ، مات سنة ١٤٢ هـ . انظر : الجرح والتعديل ٦ / ٣٤٣ ، وميزان الاعتدال ٣ / ٦٤ ، والكاشف ١ / ٥١٩ ، ٢٥٠١ ، وتقريب التهذيب ٢٨٥ ، ٣٠٦٠ .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦ / ١٢١ ، بنصه ، والطبري ١٤ / ١٤١ - ١٤٢ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥ / ٣٠ ، بنحوه ، وابن الجوزي ٤ / ٤٦٨ ، بنصه ، والفخر الرازي ٢٠ / ٧٧ ، بنصه ، والخازن ٣ / ١٢٥ ، بنصه ، وأبي حيان ٥ / ٥١٤ ، ونسبه إلى قتادة ، فلعله وهم في ذلك ، والدر المنثور ٤ / ٢٣٢ ، وزاد نسبه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم .

وذكره الألويسي في روح المعاني ١٤ / ١٨٨ ، وهذا القول غير صحيح وواقع الناس على خلافه؛ فكم رد من المسلمين إلى أرذل العمر ، وقد يكونون من العلماء ، ومشهور بين علماء الحديث مصطلح اختلط بآخرة . وقد رده الألويسي قائلاً : والمشاهدة تكذب كلا القولين؛ أي عدم رد المسلمين ومن قرأ القرآن ، فكم رأينا مسلماً قارئاً القرآن قد رد إلى ذلك ، والاستدلال بالآية على خلافه فيه نظر ، وكان من دعائه ﷺ : «اللهم إني أعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك أن أرد أرذل العمر» . رواه البخاري ٦٣٧٠ ، كتاب : الدعوات ، باب : التعوذ من البخل .

(٤) انظر : تفسير الخازن ٣ / ١٢٥ ، بنصه .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: يريد بها صنع بأوليائه وأعدائه، ﴿قَدِيرٌ﴾: على ما يريد^(١).

٧١. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾: كَثُرَ وَقَلَّلَ، وَبَسَطَ وَقَبَضَ، وَوَسَّعَ وَضَيَّقَ، ﴿فَمَا اللَّذِينَ فَضَّلُوا﴾ في الرزق وأعطوا الفضل، ﴿بِرَأْدَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾، يقول: لا يرُدُّ المولى على ما ملكت يمينه مما رُزق شيئاً حتى يكون المولى والمملوك في المال سواء.

قال أبو إسحاق أي قد فَضَّلَ اللهُ المُلَّاكَ على مَمَالِيكِهِمْ، فجعل المملوك لا يقدر على مِلْكٍ من مَوْلَاهُ، وأعلم أن المالك ليس يَرُدُّ على مملوكه من فضل ماله حتى يستوي حالهما في الملك^(٢)، وهذا مَثَلٌ ضرب به الله مثلاً للمشرِكين في تَصْغِيرِهِمْ عباد الله شركاء له، فقال: إذا لم يكن عبيدكم معكم سواء في الملك، فكيف تجعلون عبيدي معي سواء؟! وقال صاحب النظم: معنى الفاء في قوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ حتى^(٣)؛ لأن التأويل: ﴿فَمَا اللَّذِينَ فَضَّلُوا﴾ بجاعلي رزقهم لعبيدهم

(١) انظر: تفسير الفخر الرازي ٧٧/٢٠ بنصه، والخازن ١٢٥/٣، بنصه غير منسوب.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢١٢/٣، بنصه تقريباً.

(٣) أشار المرادي إلى أن الفاء قد تأتي بمعنًى (حتى) عند بعض النحويين، كما في قوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ [الأنعام: ١٣٩] لكنه ضعف هذا القول، وعدَّ الفاء هنا عاطفة. الجنى الداني ٧٧، وهذا القول الذي ذكره صاحب النظم قول جيد، وقد انفرد به، فلم أجده في كتب إعراب القرآن، وقد ذكر المنتجب في الفريد في إعراب القرآن ٢٣٩/٣، عند قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ ثلاثة أقوال: أن الجملة من المبتدأ والخبر جملة اسمية واقعة في موضع جملة فعلية، ومحلهما النصب على جواب النفي بالفاء، والتقدير: فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيماهم فيستووا مع عبيدهم، أو على الحال على تقدير زيادة الفاء. أن محلها الرفع، إما على الاستثناف؛ أي هم سواء في أني رزقت الجميع، أو على العطف على موضع برادي، على تقدير: فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيماهم فما يستوون. أنه على إضمار ألف الاستفهام؛ أي أفهم فيه سواء؟ على سبيل التوبيخ والتقريع، ومعناه النفي؛ أي ليسوا مستوين فيه.

حتى يكون عبيدهم فيه معهم سواء في الملك ، فقلوه : ﴿ فَهَمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ صفة لما تَقَدَّمَ من الخبر لا جواب له ؛ ولو كان جواباً له لكان قد أوجب أن يكون المولى والعبيد في ذلك سواء ، وهو - عز وجل - إنما أراد أنهم لا يستون في الملك ، ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ [الروم: ٢٨] بمعنى : حتى أنتم فيه سواء إليّ ، هل يشاركونكم في أموالكم حتى تكونوا أنتم وهم فيه سواء ؟

وهذا الذي ذكرنا هو قول جميع المفسرين في هذه الآية ؛ قال مجاهد : هذا مَثَلُ آلهة الباطل مع الله ^(١) .

وقال السدي : يقول : فكما لا يرد أحدهم على مملوكه مما رزقه الله حتى يكون مثله ، فلذلك لا أكون أنا وهذا الصنم الذي هو من خلقي ومما ملكت سواء في ما خلقت ^(٢) .

وقال قتادة : يقول : هذا الذي فُضِّل في المال والولد لا يشرك عبده في ماله وزوجته ، يقول : قد رضيت بذلك لله ولم ترض به لنفسك ، فجعلت لله شريكاً في خلقه وملكه ^(٣) .

(١) تفسير مجاهد ٣٤٩ ، بنصه ، وأخرجه الطبري ١٤٣/١٤ ، بنصه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/٢٤٢ ، بنحوه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢/٦٣٦ ، والدر المنثور ٤/٢٣٣ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/٣٥٨ ، بنصه ، والطبري ١٤٣/١٤ ، بنصه ، ومن طريق آخر بمعناه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/٢٤٢ ، بنحوه ، وورد بمعناه في تفسير الجصاص ٣/١٨٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/٨٦ ، وتفسير الثعلبي ٢/١٥٩ ب ، والطوسي ٦/٤٠٦ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/٣١ ، وتفسير القرطبي ١٠/١٤١ ، والخازن ٣/١٢٦ ، وأبي حيان ٥/٥١٤ ، وابن كثير ٢/٦٣٦ ، والدر المنثور ٤/٢٣٣ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

وروي عن ابن عباس أنه قال : نزلت هذه الآية في نصارى نجران حين قالوا : عيسى ابن مريم ابن الله ^(١) .

قال الفرّاء : فهذا مثل ضربه الله للذين قالوا : إن عيسى ابنه ، فقال : أنتم لا تُشركون عبيدكم في ما ملكتم ، فتكونون سواءً فيه ، فكيف جعلتم عبده شريكاً له تعالى ^(٢) ، وتلخيص معنى الآية ، أنه يقول : إنكم كلكم [من بني آدم وأنتم بينكم في ما ملكت أيانكم ، وأنتم ^(٣) كلكم] ^(٤) بشر ، فكيف تشركون بين الله وبين الأصنام وأنتم لا ترضون لأنفسكم في من هو مثلكم بالشركة .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ قرأه العامة : يجحدون بالياء ^(٥) ؛ لأنه يراد به غير المسلمين ، والمسلمون لا يخاطبون بجحدهم نعمة الله ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بالتاء ^(٦) ؛ على تقدير : قل لهم : أفبنعمة الله - بهذه الأشياء التي تقدم اقتصاصها - تجحدون بالإشراك به .

-
- (١) ورد في تفسير الثعلبي ١٦٠ / ٢ ، بنصه بلا إسناد ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤٦٨ / ٤ ، بنصه ، وتفسير القرطبي ١٤١ / ١٠ ، بنصه ، وورد بلا نسبة في تفسير السمرقندي ٢٤٢ / ٢ ، ولم أجده في أسباب النزول ، ولم يورده المؤلف في أسباب النزول ، كما أنه ورد من دون إسناد ، فلا يثبت .
- (٢) معاني القرآن للفرّاء ١١٠ / ٢ ، بنصه .
- (٣) (أنتم) ساقطة من (ش) .
- (٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) ، وهو أشبه بكلام معترض ، ويستقيم الكلام من دونه ، بل من دونه أوضح .
- (٥) انظر : السبعة ٣٧٤ ، إعراب القراءات السبع وعللها ٣٥٨ / ١ ، وعلل القراءات ٣٠٨ / ١ ، والحجة للقراء ٧٦ / ٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٥ ، وشرح الهداية ٣٨١ / ٢ ، والتيسير ١٣٨ .
- (٦) انظر : المصادر السابقة .

وذكر الزَّجَاج في هذا وجهين؛ أحدهما : أَفْبَانُ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكُمْ اتَّخَذْتُمْ النَّعَمَ لتجحدوا وتشركوا به الأصنام؛ فعلى هذا النعمة بمعنى الإنعام .

والثاني : قال أفبما أنعم الله به عليكم بأن يَبَيِّنَ لكم ما تحتاجون إليه تجحدون^(١) ، وعلى هذا ، النَّعْمَةُ : اسم لما أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ لا مصدر ، والباء في : ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ ﴾ يجوز أن تكون زيادة^(٢) ؛ لأن الجحود لا يُعَدَّى بالباء ، وهذا قول المفضل كما يقول : خذ الخطام وبالخطام ، وتعلقت زيدا وبه^(٣) ، ويجوز أن يراد بالجحود : الكفر^(٤) ، فَعُدِّيَ بالباء لمعنى الكفر^(٥) .

٧٢ . قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ . قال المفسرون : يعني النساء؛ خَلَقَ حِوَاءَ مِنْ ضَلَعِ آدَمَ^(٦) ، ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٢ ، بنصه .

(٢) انظر : التعليق على دعوى الزيادة في القرآن ، عند آية [١٠] من سورة إبراهيم .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٨٠ ، بنصه بلا نسبة .

(٤) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٢ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٣/ ٧٧ ، وتفسير البيضاوي ٣/ ١٨٧ ، وأبي السعود ٥/ ١٢٧ .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٨٠ ، بنصه من دون عزو للواحد .

(٦) ورد في تفسير الطبري ١٤/ ١٤٣ ، بنصه ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٨٧ ، بنصه ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦٠ ، بنصه ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٠٢ ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٣/ ٧٧ ، والزغشري ٢/ ٣٣٦ ، وابن عطية ٨/ ٤٦٦ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٠ ، وقد ذهب ابن عطية إلى أن الأظهر من قوله : ﴿ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ؛ أي من نوعكم وعلى خلقكم ، كما قال : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [التوبة : ١٢٨] ، وكذلك ضعف الفخر الرازي هذا القول ، وقال : وهذا ضعيف؛ لأن قوله : ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ خطاب مع الكل ، فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل ، بل الحكم عام في جميع الذكور والإناث ، والمعنى : أنه تعالى خلق النساء ليتزوج بهن الذكور ، ومعنى : ﴿ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ مثل قوله : ﴿ فَأَقْنَلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة : ٥٤] وقوله : ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ [النور : ٦١] ؛ أي بعضكم على بعض ، ونظير هذه الآية ، قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [الروم : ٢١] . انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٦٩ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٠ ، وابن كثير ٢/ ٥٩٩ .

وَحَفَدَةً ﴿١﴾ اختلفوا في تفسير الحفدة ، فقال ابن عباس في رواية الوالبي : هم الأختان^(١) ، وهو قول ابن مسعود وإبراهيم وسعيد بن جبير ، قالوا : هم الأصهار؛ أختان [الرجل]^(٢) على بناته^(٣) ، وقال في رواية

(١) أخرجه الطبري ١٤٤ / ١٤ بنصه من طريق عكرمة ، (جيدة) ، وأخرج عنه من طريق ابن أبي طلحة ، (صحيحة) بلفظ : الأصهار ، وورد في تفسير الثعلبي ١٦٠ / ٢ ، بنصه ، وانظر : فتح الباري ٢٣٨ / ٨ ، والأختان : جمع ختن ، وهو زوج فتاة القوم ومن كان من قبله من رجل أو امرأة ، فهم كلهم أختان لأهل المرأة ، وأم المرأة وأبوها ختنان للزوج ، وقال الأصمعي : الأحماء من قبل الزوج ، والأختان من قبل المرأة ، والصهر يجمعهما ، وقيل : الختن : الزوج ومن كان من ذوي رحمه ، والصهر : من كان من قبل المرأة؛ نحو أبيها وعمها وخالها ، وقيل العكس ، ومن العرب من يجعلهم كلهم أصهاراً . انظر : تهذيب اللغة (ختن) ١١٠٢ / ٢ ، والمحيط في اللغة ٣١٢ / ٤ ، والصحاح ٢١٠٧ / ٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ٨٨ / ٤ .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق ، وهي ثابتة في تفسير الثعلبي .

(٣) ورد في غريب الحديث ٩٦ / ٢ ، عن ابن مسعود : الأصهار ، وأخرجه الطبري ١٤٣ / ١٤ - ١٤٤ من طرق عنهم قالوا : الأختان ، وعن ابن مسعود : الأصهار ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٨٨ / ٤ ، عن ابن مسعود قال : الأختان ، وورد عنه وعن النخعي : الأصهار ، وتفسير هود الهواري ٣٧٩ / ٢ ، عن ابن مسعود : الأختان ، والجصاص ١٨٦ / ٣ ، عنهم : الأختان ، والسمرقندي ٢٤٢ / ٢ ، عن ابن مسعود : الأختان ، وعنه : الأصهار ، والثعلبي ١٦٠ / ٢ ، بنصه عنهم ، وتفسير الماوردي ٢٠٢ / ٣ ، بنصه عنهم ، والطوسي ٤٠٧ / ٦ ، بنحوه عنهم ، وانظر : تفسير البغوي ٣١ / ٥ ، بنصه عن ابن مسعود والنخعي ، وابن الجوزي ٤٦٩ / ٤ ، عنهم ، قال البغوي : فيكون معنى الآية على هذا القول : وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجوهم فيحصل بسببهم الأختان والأصهار ، وفتح الباري ٢٣٨ / ٨ ، عنهم .

أبي حمزة^(١) عنه : من أعانك فقد حفدك؛ أما سمعت قول الشاعر^(٢) :

حَفَدَ الْوَلَائِدُ حَوْهَنَّ وَأَسْلَمْتُ بِأَكْفَهِنَّ أَزِمَّةَ الْأَجْمَالِ^(٣)^(٤)

فعلى هذا الحفدة : الأعوان ، وهذا قول مجاهد والحسن والسدي وعكرمة ، قالوا : هم الأنصار والأعوان والخدم^(٥) ، غير أن السدي وعكرمة قالوا : هم ولده

(١) أبو حمزة السكري ، هو محمد بن ميمون المَرْوُزي ، إمام مشهور ، ثقة فاضل ، روى عن الأعمش والسدي ، وروى عنه : عبدان ونعيم بن حماد ، لقب بالسكري لحلاوة منطقه ، توفي سنة ١٦٧ هـ . انظر : الجرح والتعديل ٨ / ٨١ ، وميزان الاعتدال ٥ / ١٧٨ ، والكاشف ٢ / ٢٢٦ ، وتقريب التهذيب ٥١٠ ، وتفسير الطبري ، تحقيق شاکر ٢ / ٣٧٢ .

(٢) نسبه أبو عبيد إلى الأخطل ، وليس في ديوانه ، ونسبه أبو عبيدة إلى جميل ، وهو جميل بثينة ، وليس في ديوانه ، ونسبه الطبري إلى حميد .

(٣) ورد في : غريب الحديث لأبي عبيد ٢ / ٩٦ ، ومجاز القرآن ١ / ٣٦٤ ، وتفسير الطبري ١٤ / ١٤٤ ، ونسب إلى جميل كذلك في تفسير الماوردي ٣ / ٢٠٢ ، وتفسير ابن عطية ٨ / ٤٦٧ ، وابن كثير ٢ / ٦٣٦ ، وتفسير الألوسي ١٤ / ١٩٠ ، وورد بلا نسبة في العين ٣ / ١٨٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢١٣ ، وتفسير الطبري ١٤ / ١٤٤ ، وجمهرة اللغة ١ / ٥٠٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤ / ٩٠ ، وتهذيب اللغة (حفد) ١ / ٨٦١ ، وتفسير الزمخشري ٢ / ٣٣٦ ، وابن العربي ٣ / ١١٦٣ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ١٤٣ ، وأبي حيان ٥ / ٥٠٠ ، واللسان (حفد) ٢ / ٩٢٣ ، وفي بعض المصادر برواية «بينهن» بدل «حوهن» . الولائد : الخدم ، مفردها : وليدة ، والبيت يصور ما يقوم به الولائد من خدمة وسعي ، ومن إمساك بأزمة الأجمال .

(٤) أخرجه الطبري ١٤ / ١٤٤ ، بنصه ، ورد في تهذيب اللغة (حفد) ١ / ٨٦١ بنصه ما عدا عجز البيت ، والثعلبي ٢ / ١١٦٠ ، بنصه ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠ / ١٤٣ ، واللسان (حفد) ٢ / ٩٢٣ ، والدر المنثور ٥ / ١٤٩ .

(٥) تفسير مجاهد ٣٤٩ بنصه ، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢ / ٣٥٨ ، عن الحسن : هم الخدم ، ورد في غريب الحديث ٣ / ٣٧٤ ، عن مجاهد : هم الخدم ، وأخرجه الطبري ١٤ / ١٤٥ بنصه عن مجاهد ، ومن طرق عن الحسن ومجاهد قالوا : هم الخدم ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤ / ٨٩ ، عن الحسن : هم الخدم ، وتفسير الجصاص ٣ / ١٨٦ ، عن مجاهد : هم الخدم ، والسمرقندي ٢ / ٢٤٢ ، بنصه عن مجاهد ، والثعلبي ٢ / ١٦٠ ، عن عكرمة والحسن : هم الخدم ، وعن مجاهد : هم الأنصار والأعوان ، وتفسير الماوردي ٣ / ٢٠٢ ، عن الحسن : الأعوان ، وعن مجاهد : الخدم ، والطوسي ٦ / ٤٠٦ ، عن مجاهد : هم الخدم ، وانظر : تفسير البغوي ٥ / ٣١ ، وابن عطية ٨ / ٤٦٧ ، وأبي حيان ٥ / ٥١٥ ، عن =

الذين يعينونه^(١)، ونحوه قال قتادة وعطاء^(٢)، وقال في رواية سعيد بن جبير ومجاهد: إنهم ولد الولد^(٣)، وقال في رواية العوفي: هم بنو امرأة الرجل، ليسوا منه، وهو قول ابن زيد والضحاك^(٤).

- =
- (١) مجاهد، وابن كثير ٦٣٦/٢، عن مجاهد، وقد استحسن النحاس من قال أنهم الخدم، ثم قال: إلا أنه يكون منقطعاً مما قبله عند أبي عبيد - لم أقف عليه - ويؤتى به التقديم والتأخير، كأنه قال: وجعل لكم حفدة، أي خدماً، وجعل لكم من أزواجكم بنين، وجعل ابن الأباري التقدير: وجعل لكم من أزواجكم بنين، وجعل لكم حفدة من غير الأزواج. تفسير ابن الجوزي ٤/٤٧٠.
- (٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣٥٨/٢، بمعناه، والطبري ١٤٥/١٤، ١٤٦، من طرق بنصه وبمعناه عن عكرمة، وعن السدي، قال: الأعوان، ورد في معاني القرآن للنحاس ٨٩/٤، بمعناه عن عكرمة، وتهذيب اللغة (حذف) ٨٦٢/١، بمعناه عن عكرمة، وانظر: اللسان (حذف) ٩٢٣/٢، عن عكرمة.
- (٣) أخرجه الطبري ١٤٥/١٤، بنحوه عن قتادة، ورد في تفسير الثعلبي ١١٦٠/٢، بنصه عن عطاء، وبنحوه عن قتادة، وانظر: تفسير البغوي ٣١/٥، عنهما، والخازن ١٢٦/٣، عن عطاء.
- (٤) أخرجه الطبري ١٤٦/١٤ بنصه عن سعيد، وعن مجاهد من طريقين قال: البنون، ورد في تفسير الثعلبي ١١٦٠/٢، بنصه من طريقهما، وتفسير الماوردي ٢٠٢/٣، بنصه، والطوسي ٤٠٦/٦، بمعناه، وانظر: تفسير البغوي ٣١/٥، وابن الجوزي ٤/٤٧٠، وتفسير القرطبي ١٤٣/١٠، والخازن ١٢٦/٣. وقد نصر ابن العربي هذا القول، فقال: فالظاهر عندي من قوله: ﴿بَيْنَ﴾: أولاد الرجل من صلبه، ومن قوله: ﴿وَحَفْدَةً﴾: أولاد ولده، وليس في قوة اللفظ أكثر من هذا، ويكون تقدير الآية: والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً، ومن أزواجكم بنين، ومن البنين حفدة. تفسير ابن العربي ٣/١١٦٢.
- (٤) أخرجه الطبري ١٤٦/١٤ بنصه عن ابن عباس ضعيفة، وورد في تهذيب اللغة (حذف) ٨٦٢/١، بنحوه عن الضحاك، والثعلبي ١١٦٠/٢، بنصه عن ابن عباس ضعيفة، وبنحوه عن ابن زيد، وتفسير الماوردي ٢٠٢/٣، بنحوه عن ابن عباس، والطوسي ٤٠٦/٦، بنحوه عن ابن عباس، وانظر: تفسير البغوي ٣١/٥، عن ابن عباس، وابن عطية ٤٦٧/٨، عن ابن عباس، وابن الجوزي ٤/٤٧٠، عن ابن عباس والضحاك، واللسان (حذف) ٩٢٣/٢، عن الضحاك، وتفسير الخازن ١٢٦/٣، عن ابن عباس، والدر المنثور ٤/٢٣٣-٢٣٤، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

وأصلُ الحَفْدَةِ من الحَفْدِ ، وهو : الحَفَّةُ في الخدمة والعمل ، يقال : حَفِدَ يَحْفِدُ حَفْدًا وَحَفُودًا وَحَفْدَانًا إِذَا أَسْرَعَ^(١) ، ومنه الدعاء : «وإليك نسعى ونحفد»^(٢) ، قال أبو عبيدة : الحَفْدُ : الأعوان ، يقال : حَفِدَنِي ، وهو حافدي^(٣) ، وأنشد لطرفة :

يَحْفِدُونَ الضيفَ فِي أَيْبَاتِهِمْ كَرَمًا ذَلِكَ مِنْهُمْ غَيْرُ ذُلٍّ^(٤)

قال أبو عبيد : وفيه لغة أخرى ؛ أَحْفَدَ إِحْفَادًا ، وأنشد للراعي :

أَخَبَّ بَيْنَ الْمُخْلِفَانِ وَأَحْفَدَا^(٥)

- (١) ورد في تفسير الطبري ١٤ / ١٤٧ ، بنحوه ، ومعاني القرآن للنحاس ٤ / ٩٠ ، بنحوه ، وانظر : تهذيب اللغة (حفد) ١ / ٨٦٢ ، والمحيط في اللغة ٣ / ٤٢ ، واللسان ٢ / ٩٢٣ ، والتاج (حفد) ٤ / ٤٢٣ .
- (٢) هذا جزء من دعاء القنوت الذي ورد عن عمر - رضي الله عنه - موقوفاً عليه ، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه : الدعاء / ما يدعوه به في قنوت الفجر ٦ / ٩١ من طرق عدة ، والبيهقي : الصلاة / دعاء القنوت ٢ / ٢١٠ ، وورد في الأذكار للنووي ٩٦ ، وكنز العمال ٨ / ٧٤-٧٥ .
- (٣) مجاز القرآن ١ / ٣٦٤ ، بنحوه .
- (٤) ليس في ديوانه ، وورد في تفسير الماوردي ٣ / ٢٠٢ ، وورد غير منسوب في تفسير أبي حيان ٥ / ٥٠٠ ، والدر المصون ٧ / ٢٦٥ ، وتفسير الألوسي ١٤ / ١٩٠ .
- (٥) وصدرة :

مَزَايِدُ خَرْقَاءِ الْبَيْدَيْنِ مُسَيِّفَةٌ

شعر الراعي النميري ٦١ ، وورد في تهذيب اللغة (حفد) ١ / ٨٦١ ، (ساف) ٢ / ١٥٩٨ ، ومجمل اللغة ١ / ٤٨١ ، ومقاييس اللغة ٣ / ١٢٢ ، واللسان (حفد) ٢ / ٩٢٣ ، (سوف) ٤ / ٢١٥٣ ، (سيف) ٤ / ٢١٧٢ ، والتاج (حفد) ٤ / ٤٢٤ ، ويروى : (مزائد) ، وقياسها : مزاود ؛ لأنها جمع مزادة : وهي وعاء الزاد وراوية يحمل فيها الماء ، (خرقاء) : بَيِّنَةُ الخرق ، وهو الجهل والحمق ، (مسيفة) : المُسَيِّفُ ، المتقلد بالسيف ، وأساف الخرز ؛ أي خرقه ، (أخب) : يقال : أخبَّ فلان في الأمر : أسرع فيه ، (المخلفان) : المُخْلِفُ : الذي لم تُصَبْ ماشيته الربيع ، وقيل : هو الذي يحمل الماء العذب إلى القوم ليس معهم ماء عذب ، أو يكونون على ماء ملح ، ولا يكون الإخلاف إلا في الربيع ، وهو في غيره مستعار منه .

قال : حَدَمًا^(١) ، قال الليث : ومثله الاختِفَادُ^(٢) ، فالحفدة جمع الحافد ، والحافد : كل من يخف في خدمة أو يسرع في العمل بطاعتك ، ويقال في جمعه : الحَفْدُ ، بغير هاء ، كما يقال : الرصد والعيب ، فمعنى الحفدة في اللغة : الأعوان والخدم ، ثم هؤلاء الأعوان مَنْ هم على ما ذكره المفسرون ، والأولى بأن يفسر بأعوان حصلوا للرجل [نَ قَبِلَ المرأةَ ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَيْنَ وَحَفَدَةٍ﴾ وأعوان الرجل لا]^(٣) مَنْ قَبِلَ امرأته لا يكونون ممن عناهم^(٤) الله بقوله هاهنا : ﴿وَحَفَدَةٍ﴾^(٥) .

قوله تعالى : ﴿وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ . قال ابن عباس : يريد من أنواع الشمار والحبوب والحيوان^(٦) ، ﴿أَفَيَا بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ﴾ . قال ابن عباس : يعني بالأصنام^(٧) ، وقال مقاتل : يعني بالشیطان^(٨) ، وقال عطاء : يعني^(٩) تُصَدِّقُوا أَنَّ لِي شريكاً وصاحبة وولداً^(١٠) ، ﴿وَيَنْعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ، رُوي عن ابن عباس : أنه قال :

- (١) غريب الحديث ٩٦/٢ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تهذيب اللغة ١/ ٨٦١ ، بنصه تقريباً .
- (٢) ورد في تهذيب اللغة (حفد) ١/ ٨٦١ ، وفيه ، «قال الليث : الاختِفَادُ : السَّرعَةُ في كُلِّ شَيْءٍ» .
- (٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .
- (٤) في (أ) و(د) : (عبادهم) ، والمثبت من (ش) و(ع) هو الصحيح .
- (٥) اختلفت ترجيحات العلماء في المقصود بـ (حفدة) وقد ذكرتها مقترنة بالأقوال ، وهنا يرجح الواحدي - رحمه الله - نوعاً خاصاً من الأعوان ؛ هم مَنْ كانوا مِنْ قَبْلِ المرأة ، ولم يرتض الطبري تخصيص المقصود بالحفدة بأحد الأقوال الواردة ؛ لأن المنَّة تحصل بكل ذلك ، لذلك قال : فكل الأقوال التي ذكرنا عن ذكرنا وجه في الصحة ، ونُخرج في التأويل ، وهو الصحيح . تفسير الطبري ١٤٧/١٤ .
- (٦) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٧٠ ، بنصه ، وبلا نسبة في تفسير القرطبي ١٠/ ١٤٥ ، والخازن ٣/ ١٢٦ ، وأبي حيان ٥/ ٥١٥ ، وتفسير الألويسي ١٤/ ١٩١ .
- (٧) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٠ ، بلفظه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٧٠ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٨١ ، والقرطبي ١٠/ ١٤٥ .
- (٨) تفسير مقاتل ١/ ٢٠٥ ، بلفظه .
- (٩) ساقطة من : (أ) و(ش) و(ع) .
- (١٠) لم أقف عليه .

يعني التوحيد^(١)، وقيل: أراد بها أنعم الله عليهم مما أحل لهم يكفرون؛ فيحرمونه ويحبدون تحليله^(٢)، يعني ما حَرَّمُوا على أنفسهم من الأنعام والحَرث، وذكرنا وجهين في قوله: ﴿أَفِينِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾، والوجهان هاهنا جائزان.

٧٣. قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ﴾، يعني الغيث الذي يأتي من جهتها، ﴿وَالْأَرْضِ﴾ يعني النبات والثمار التي تخرج منها.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، (من) صفة النكرة التي هي: ﴿رِزْقًا﴾ كأنه قيل: لا يملك لهم رزقاً من الغيث والنبات.

وقوله تعالى: ﴿شَيْئًا﴾. قال الأخفش: جعل الشيء بدلاً من الرزق، وهو في معنى: لا يملكون رزقاً قليلاً ولا كثيراً^(٣)؛ أي لا يملكون أن يرزقهم شيئاً من السموات والأرض، وقال الفرّاء: نصب ﴿شَيْئًا﴾ بوقوع الرزق عليه^(٤)، كما قال: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾^(٥) أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا [المرسلات: ٢٥-٢٦]؛ أي تَكْفِتُ الأحياء والأموات، ومثله: ﴿أَوْ إِطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾^(٦) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ^(٧) [البلد: ١٤-١٥].

(١) ورد في تفسير الثعلبي ١٦٠/٢، بلفظه، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٤/٤٧٠، وورد بلفظه غير منسوب في تفسير البغوي ٧٧/٣.

(٢) ورد في تفسير الطبري ١٤/١٤٧، بنحوه، والثعلبي ١٦٠/٢، بنحوه، وانظر: تفسير البغوي ٣١/٥.

(٣) معاني القرآن للأخفش ٦٠٦/٢، بنصه، وأورده الطبري ١٤٨/١٤ بنصه.

(٤) أي أن ﴿شَيْئًا﴾ منصوبة بالمصدر ﴿رِزْقًا﴾ على أنه مفعول به.

(٥) معاني القرآن للفرّاء ١١٠/٢، بنصه، وأورده الطبري ١٤٨/١٤ بنصه، والشاهد: أنه نصب ﴿يَتِيمًا﴾ بالمصدر ﴿إِطْعَمُ﴾.

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ؛ أي لا يقدرُونَ على شيء ، وليست لهم استطاعة ، وجمع هاهنا ؛ لأن (ما) في مذهب جمع لأهتهم التي يعبدون ، فَوَحَّدَ ﴿يَمْلِكُ﴾ على لفظ (ما) ^(١) وجمع يستطيعون على المعنى ^(٢) .

٧٤ . وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ . قال المفسرون : يعني لا تُشَبِّهُهُ بخلقه ^(٣) ، وقال الزَّجَّاجُ أي لا تجعلوا لله مثلاً ؛ لأنه واحدٌ لا مثلاً له ^(٤) ، فعلى هذا ضَرَبَ المَثَل ، اسْتُعْمِلَ في التَّشْبِيهِ ؛ لأن أكثر ما يُضْرَبُ المَثَلُ إنما يُضْرَبُ لتشبيهه وصف بوصف أو ذات بذات ، وتعالى الله عن أن يُشَبَّهَ شيئاً أو يُشَبِّهَهُ شيءٌ في ذاته وصفاته .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ . قال ابن عباس : يريد ما يكون قبل أن يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة ^(٥) ، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قَدَّرَ عَظَمَتِي ؛ حيث أشركتم بي وَعَجَزْتُمُونِي أن أبعث خلقي .

٧٥ . قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ؛ أي بَيَّنَّ الله شَبْهًا فيه بيانٌ للمقصود ، ثم ذكر ذلك فقال : ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ إلى قوله : ﴿سِرًّا وَجَهْرًا﴾ . قال

(١) ساقطة من (أ) و(د) .

(٢) ورد في معاني القرآن للقرآء ١١٠ / ٢ ، بنصه ، وأغلب الظن أنه اقتبسه منه من دون عزو .

(٣) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١ / ٢٠٥ ، والطبري ١٤ / ١٤٨ ، وهود الهواري ٢ / ٣٧٩ ، والثعلبي ٢ / ١١٦٠ ، والطوسي ٦ / ٤٠٨ ، وانظر : تفسير البغوي ٣ / ٧٨ ، وابن الجوزي ٤ / ٤٧١ ، والفخر الرازي ٢٠ / ٨٢ ، والخازن ٣ / ١٢٦ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢١٣ ، بنصه .

(٥) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيبسي ٢ / ٤٢٢ ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٤٧١ ، وورد عن بعض المفسرين قول آخر في الآية ، لعله أكثر مناسبة للسياق ، قالوا : المعنى : والله يعلم ما يستحقه وما يليق به من وصف الكمال وأنتم لا تعلمون ؛ لذلك تجعلون له أشباهاً وأمثالاً لا تليق به سبحانه . انظر : تفسير الطبري ١٤ / ١٤٨ ، والثعلبي ٢ / ١١٦٠ ، وابن الجوزي ٤ / ٤٧١ .

مجاهد في هذه الآية والتي تليها : كل هذا مَثَلٌ إله الحق وما يُدعى من دونه من الباطل ^(١) .

وقال السُّدي : هذا مَثَلٌ ضربه الله للآلهة؛ يقول : كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حُرٌّ قد رُزِقَ رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرّاً وجَهراً لا يخاف من أحد ، فكذلك أنا وهذه الآلهة التي تدعون ، ليست تملك شيئاً وأنا الذي أملك وأرزق مَنْ شئت ^(٢) ، وهذا القول هو اختيار الفراء ^(٣) ، والزَّجاج قال : بيّن الله لهم أمر ضلالتهم وبعدهم عن الطريق في عبادتهم الأوثان ، فذكر أن المالك المقتدر على الإنفاق والعاجز الذي لا يقدر أن ينفق لا يستويان ، فكيف يُسَوَّى بين الحجارة التي لا تتحرك ولا تعقل وبين الله الذي هو على كل شيء قدير ، وهو رازقٌ جميع خلقه ^(٤) .

وفي الآية قول آخر ، وهو : أن هذا مثل للمؤمن والكافر ، قال عطاء عن ابن عباس : يريد أبا جهل بن هشام وأبا بكر الصديق ^(٥) ، وقال قتادة : هو الكافر

(١) ليس في تفسيره ، وأخرجه الطبري ١٤ / ١٥٠ بنصه من طريقين ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨ / ٤٧٥ ، والدر المنثور ٤ / ٢٣٥ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢ / ٤٢٢ ، بنصه .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢ / ١١١ ، بمعناه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢١٣ ، بتصرف يسير .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢ / ١٦٠ ب ، بنصه عن ابن جريج عن عطاء ضعيفة ، وانظر : تفسير البغوي

٥ / ٣٣ ، وابن الجوزي ٤ / ٤٧٢ ، وقد روي عن ابن عباس أنها : هشام بن عمرو ، ومولاه الذي كان ينهيه ، انظر : معاني القرآن للنحاس ٤ / ٩٣ ، وتفسير ابن الجوزي ٤ / ٤٧٢ ، والدر المنثور :

٤ / ٢٣٥-٢٣٦ ، وعزه إلى ابن جرير - روايته ليس فيها الشاهد - وابن أبي حاتم وابن مردويه ،

وابن مردويه وابن عساكر وليس لتخصص الآية بهما داع ، بل الآية عامة ، وكفى بتضارب الأقوال

المُعَيَّنة دليلاً على عدم التعيين ، وقد أشار الواحدي - رحمه الله - إلى التعميم بقوله : المراد بقوله :

﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا﴾ ، الشُّيُوع في الجنس لا التخصيص ، وقد ردَّ

الخصاص هذا التخصيص بأمرين : بضعف الحديث السوار ، وبظاهر اللفظ ، فقال : وظاهر اللفظ

ينفيها ؛ لأنه لو أراد عبداً بعينه لعرّفه ولم يذكره بلفظ منكور ، وأيضاً معلوم أن الخطاب في ذكر عبدة =

لا يعمل بطاعة الله ولا ينفق خيراً ، ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو المؤمن يطيع الله في نفسه وماله ^(١) ، فعلى هذا القول : الكافر لمَّا لم ينفق في طاعة الله صار كالعبد الذي لا يملك شيئاً ، والمؤمن ينفق في الخير وفي طاعة الله ، فليسا يستويان ، كذلك قال الله تعالى : ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ وجمع الفعل ؛ لأن المراد بقوله : ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا﴾ ، الشُّيُوع في الجنس لا التخصيص ^(٢) .

واختار ابن قتيبة القول الأول ^(٣) ، فقال : هذا مثل ضربه الله لنفسه ولمن عبد دُونَهُ ، فقوله : ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ مثلٌ من عُبدٍ من دونه ؛ لأنه عاجزٌ مُدَبَّرٌ مملوكٌ لا يقدر على نفع ولا ضرر ، ثم قال : ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ﴾ إلى قوله : ﴿وَجَهْرًا﴾ وهذا مثله جلٌّ وعزٌّ ؛ لأنه الواسع الجواد القادر الرزاق عباده جَهْرًا من حيث يعلمون وسراً من حيث لا يعلمون ، قال : وهذا القول أعجب إليّ ؛ لأن المسئل توسَّط كلامين ؛ هما الله جلٌّ وعزٌّ ؛ أما الأول فقوله : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾

= الأوثان والاحتجاج عليهم ... إلخ . انظر : تفسيره ١٨٧/٣ وهو كلام نفيس في الردّ على تخصيص هذا المثل والذي يليه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٤٧٦/٨ ، والفخر الرازي ٨٤/٢٠ ، وأبي حيان ٥١٩/٥ .

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣٥٩/٢ بنصه ، والطبري ١٤/١٥٠-١٥١ من طريقين بنصه وبنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٩٢/٤ ، بمعناه ، وتفسير الطوسي ٤٠٨/٦ ، بمعناه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/٤٧٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/١٤٧ ، والدر المنثور ٤/٢٣٤-٢٣٥ ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم . والغريب أن لابن عباس قولاً مثله - حتى إن كثيراً من المفسرين نسبوا القول إليهما ، بل إن بعضهم اكتفى بنسبه إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - ومع ذلك لم يذكره واكتفى بنسبه إلى قتادة .

(٢) قال الثعلبي : ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ ، ولم يقل : هل يستويان ؛ لكان (مَنْ) لأنه اسم مبهم يصلح للواحد والاثنتين والجمع والمذكر والمؤنث . تفسير الثعلبي ٢/١٦٠ ب .

(٣) وكذلك رجحه ابن عطية ٤٧٦/٨ ، والفخر الرازي ٨٤/٢٠ ، وأبو حيان ٥١٩/٥ ، وابن القيم في الأمثال ٢٠٥ .

الآية . فهذا^(١) لله ومن عُبِدَ من دونه ، (وأما الآخر فقوله)^(٢) بعد انقضاء المثل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٣) ، ومعنى قوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ هاهنا : أنه بَيَّنَّ أن له الحمد على ما فعل بأوليائه ، وأنعم عليهم بالتوحيد ، هذا معنى قول ابن عباس^(٤) .

وقال غيره : بَيَّنَّ أن له جميعَ الحمد ، وأنه المستحق للحمد دون ما يعبدون من دونه ؛ لأنه لا يَدُ للأصنام عندهم ، ولا نعمة لها عليهم^(٥) ، ومعنى قوله : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يقول : أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون أن الحمد لي ؛ لأن جميع النعمة مني ، وذكر الأكثر وهو يريد الجميع .

قال أهل المعاني : عزل البعض احتقاراً له أن يُذكَر ، وقال آخرون : هو من الخاص في صِغِهِ ، الذي هو عموم في معناه ، والمعنى : بل هم لا يعلمون^(٦) ، ثم زاد في البيان ، فقال :

٧٦ . ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ ﴾ قال أبو زيد : رجل أبكم وهو العَيِّي المَفْحَمُ ، وقد بَكِمَ بَكْمًا وَبَكَامَةً ، وقال أيضاً : الأَبْكَمُ :

(١) في النسخ جميعها : (عهد الله) ، وهو تصحيف ، والتصويب من المصدر .

(٢) ما بين القوسين كتب على الهامش في نسخة (أ) .

(٣) تأويل مشكل القرآن ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، بتصرف واختصار ، وورد نحوه في معاني القرآن للنحاس ٩٢/٤ .

(٤) قال : الحمد لله على ما فعل بأوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد . انظر : تفسير الفخر الرازي ٨٥/٢٠ ، بنصه ، وأبي حيان ٥١٩/٥ ، بنصه .

(٥) ورد في تفسير الطبري ١٤/١٤٩ ، بنحوه ، والثعلبي ٢/١٦٠ ب ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/٣٣ ، وابن الجوزي ٤/٤٧٣ ، والفخر الرازي ٨٥/٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/١٤٨ ، والخازن ٣/١٢٧ .

(٦) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/٤٧٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/١٤٨ ، وأبي حيان ٥١٩/٥ .

الْأَقْطَعُ اللَّسَانِ؛ وهو الْعَيُّ بِالْجَوَابِ الَّذِي لَا يُحْسِنُ وَجْهَ الْكَلَامِ^(١)؛
لأنه لَا يَفْهَم وَلَا يُفْهَمُ عَنْهُ .

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾؛ أي هذا الأبكم ثِقْلٌ وَوَبَالٌ عَلَى
صاحبه وقرينه وابن عمه وَوَلِيِّهِ ، والكُلُّ: الذي هو عِيَالٌ وَثِقْلٌ عَلَى صاحبه^(٢) .

قال أهل المعاني: وأصله من الغَلْظ الذي هو نقيض الحدة ، يقال: كَلَّ
السَّكِينُ كَلْوًا ، إِذَا غَلْظَ شَفْرَتُهُ فَلَمْ يَقْطَعْ ، وَكَلَّ لِسَانُهُ إِذَا لَمْ يَنْبَعِثْ فِي الْقَوْلِ
لِغَلْظِهِ وَذَهَابَ حَدُّهُ ، وَكَلَّ عَنْ الْأَمْرِ يَكَلُّ إِذَا ثَقُلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَنْبَعِثْ فِيهِ ، فَهُوَ يَكَلُّ
إِذَا لَمْ يَنْفِذْ فِي الْأَمْرِ^(٣) .

وقوله تعالى: ﴿يَنْمَآ يُوجِّهُهُ﴾؛ أي أينما^(٤) يرسله ، ومعنى التوجيه: أن
ترسل صاحبك في وجهه من الطريق ، يقال: وجهته إلى موضع كذا فتَوَجَّهَ إِلَيْهِ^(٥) .

وقوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ لأنه عاجز لا يُحْسِنُ وَلَا يَفْهَمُ مَا يُقَالُ لَهُ وَلَا
يُفْهَمُ عَنْهُ ، ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾؛ أي هذا الأبكم الذي هو بهذا الوصف ، ﴿وَمَنْ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾؛ أي ومن هو قادر تام التمييز متكلم ناطق بالحق ، أَمْرٌ بِالْعَدْلِ قَادِرٌ
عَلَى الْأُمُورِ مُصَرِّفٌ لَهَا عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ ، ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ . قال
ابن عباس: يريد على دين مستقيم^(٦) .

(١) لم أجده في نواتره ، وورد في تهذيب اللغة (بكم) ٣٧٩/١ ، بنصه .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (كل) ٣١٧٦/٤ ، بنصه .

(٣) ورد بنحوه في أدب الكاتب ٣٣٣ ، وتفسير الطوسي ٤١٠/٦ ، والفخر الرازي ٨٦/٢٠ ، وتفسير
القرطبي ١٥٠/١٠ ، والخازن ١٢٧/٣ ، وانظر: المحيط في اللغة (كل) ١٤١/٦ ، ومجمل اللغة
٧٦٥/٢ ، والصاحح ١٨١١/٥ .

(٤) في النسخ جميعها: (إنما) ، والمثبت هو الصحيح .

(٥) انظر: تفسير الفخر الرازي ٨٦/٢٠ ، بنصه تقريباً .

(٦) انظر: تفسير الخازن ١٢٧/٣ ، وأبي حيان ٥١٩/٥ ، بلا نسبة فيها .

وللمفسرين في هذه الآية قولان كما ذكرنا في الآية الأولى ، فمن قال في المثل الأول أنه مَثَلُ الأوثان والله تعالى ، قال في هذه الآية أيضاً : إن هذا مَثَلُ كالأول ، وهو قول مجاهد والسدي و قتادة^(١) ، واختيار الفرّاء^(٢) والزّجاج^(٣) وابن قتيبة^(٤) .

قال مجاهد : كل هذا مَثَلٌ إله الحق وما يُدعى من دونه من الباطل^(٥) .

وقال السدي : أما الأبكم فَمَثَلُ الصنم ؛ لأنه أَبْكَم لا ينطق ، وهو كُلُّ على عابديه ؛ يُنْفِقُونَ عليه ولا يُنْفِقُ هو عليهم ولا يَرْزُقُهُمْ ، ﴿أَيْنَمَا يُوجَّهْ﴾ : الصنم من شرق أو غرب لا يأت بخير ، يقول : لا يرزقهم ولا ينفعهم ، ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ ، والذي يأمر بالعدل : الله تبارك وتعالى ، ونحو هذا قال قتادة^(٦) .

وقال الزّجاج : هل يستوي القادرُ التامُّ التمييز والعاجزُ الذي لا يُحْسِن ولا يأتي بخير ، فكيف تُسَوُّون بين الله - عز وجل - وبين الأحجار^(٧) .

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٥٩/٢ بمعناه عن قتادة ، والطبري ١٤/١٤٩-١٥٠ بنصه عن مجاهد من طريقين ، وبنحوه عن قتادة ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/٢٤٤ ، بنحوه عن السدي ، والثعلبي ٢/١٦٠ ب بمعناه عن مجاهد ، وتفسير الماوردي ٣/٢٠٤ بمعناه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/٤٧٣ ، عن مجاهد و قتادة ، والفخر الرازي ٢٠/٨٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/١٤٩ ، عن مجاهد ، وأبي حيان ٥/٥١٩ ، عن قتادة ، وابن كثير ٢/٦٣٧ ، ٦٣٨ ، عن مجاهد ، والدر المنثور ٤/٢٣٦ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر عن قتادة .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/١١١ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢١٤ .

(٤) الغريب لابن قتيبة ١/٢٤٨ .

(٥) سبق توثيقه .

(٦) أخرجه الطبري ١٤/١٥٠ ، بنحوه عن قتادة ، والدر المنثور ٤/٢٣٥-٢٣٦ ، وعزاه إلى ابن أبي

حاتم ، بنحوه عن السدي .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢١٤ ، بنصه .

وقال ابن قتيبة: هذا مثلُ آلهتهم؛ لأنها بُكِّمَ صُمٌّ عُمِّيٌّ، ثَقُلَ على من عبدها في خدمتها، وهي لا تأتيه بخير^(١).

ثم قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، فجعل هذا المثلَ لنفسه، وقال في قوله: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ هذا مثل للصنم الذي عبده، ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾؛ لأنه يحملُه إذا ظَعَنَ، ويَحْوِلُه من مكان إلى مكان إذا تحرك، فقال الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾ هذا الصنم الكَلُّ ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾، وهو استفهام معناه التوبيخ، كأنه قال: لا تُسَوُّوا بين الصنم الكَلِّ وبين الخالق عز وجل^(٢).

وقال آخرون: هذا مثل للمؤمن والكافر، وهو قول ابن عباس في رواية عطية^(٣).

ثم اختلفوا في من نزل، فروى يَعْلَى بن مُثَنَّى^(٤) عن ابن عباس: أنها نزلت في عثمان بن عفان ومولاه؛ كان عثمان -رضي الله عنه- ينفق عليه ويكفيه المؤونة، وكان مولاه يكره الإسلام، وينهاه عن الصدقة ويمنعه من النفقة^(٥).

(١) تأويل مشكل القرآن ٣٨٥، بنصه تقريباً.

(٢) ورد في تهذيب اللغة (كل) ٣١٧٦/٤، بنصه تقريباً.

(٣) أخرجه الطبري ١٤/١٥٠، بنحوه ضعيفة، وورد في تفسير الثعلبي ٢/١٦٠ ب، بنصه، وتفسير الماوردي ٣/٢٠٤، وانظر: تفسير البغوي ٥-٢٣-٣٤، وابن الجوزي ٤/٤٧٣، وأبي حيان ٥/٥١٩، وابن كثير ٢/٦٣٧.

(٤) يَعْلَى بن أُمَيَّة التيمي -رضي الله عنه- ينسب حيناً إلى أبيه وحيناً إلى أمه مُثَنَّى، وقيل: هي أم أبيه، جزم بذلك الدار قطني، أبو صفوان، صحابي، أسلم يوم الفتح وشهد حيناً والطائف وتبوك، شهد صفين مع علي رضي الله عنه، مات سنة بضع وأربعين. انظر: الاستيعاب ٤/١٤٧، وأسد الغابة ٥/٥٢٣، والإصابة ٣/٦٦٨، (٩٣٥٨)، وتقريب التهذيب ٦٠٩، (٧٨٣٩).

(٥) أخرجه الطبري ١٤/١٥١، بنصه تقريباً، ورد في تفسير الثعلبي ٢/١٦٠ ب، بنصه، وتفسير الماوردي ٣/٢٠٤، بمعناه، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٤/٤٧٣، والفخر الرازي ٢٠/٨٧، وتفسير القرطبي ١٠/١٤٩، وابن كثير ٢/٦٣٨، والدر المنثور ٤/٢٣٥-٢٣٦، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر.

وقال في رواية عطاء ، الأبكى : أبي بن خلف الجمحي ، ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ ، يريد : كَلٌّ عَلَى قَوْمِهِ ، كان يؤذيهم ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ ، يريد أبي ابن خلف ، ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ ، يريد : حمزة وعثمان بن مطعون^(١) .

٧٧ . قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ﴾ . قال أبو إسحاق : معناه : والله عِلْمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ والأرض^(٢) ، وذكرنا الكلام في معنى غيب السموات والأرض في آخر آية من سورة [هود : ١٢٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ : الوقت الذي تقوم فيه القيامة ، سُمِّيت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة ، فيموت الخلق في صيحة^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا كَلَمَجٍ أَلْبَصَرِ﴾ . قال ابن الأعرابي : اللحم : النظر بسرعة^(٤) ، يقال : لمح به بصره لمحا ولمحانا^(٥) ، أنشد الفراء :

لمحان أقنى فوق طودٍ يافع
بعض العُدَاةِ دُجْنَةً وظلالاً^(٦)

(١) ورد في تفسير الثعلبي ١٦٠ / ٢ ب ، بنصه مختصراً ، وانظر : تفسير البغوي ٣٣ / ٥ - ٣٤ ، وابن الجوزي ٤٧٣ / ٤ ، والقرطبي ١٤٩ / ١٠ ، وهذا كالمثل الأول ؛ لا دليل صحيح على تخصيصه بأحد بعينه ، وحسبك تضارب الروايات لرده ، والصحيح حمل الآية على العموم . انظر : التعليق على آية [٧٥] ، وتفسير أبي حيان ٥٢٠ / ٥ ، وتفسير الألوسي ١٩٧ / ١٤ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢١٤ / ٣ ، بنصه .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٨٨ / ٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٥٠ / ١٠ ، بنصه غير منسوب .

(٤) ورد في (لمح) ٩٨ / ٥ ، بمعناه .

(٥) اللَّمَجُ : هو النظر الخاطف كرجوع الطَّرف ، يُشَبَّه بَلَمَعَانِ البرق ، يقال : لَمَحَ البرقُ والنجمُ ؛ أي لمع ، ويقال : لمح به بصره وألمحه ، والاسم : اللَّمَحَةُ . انظر : العين (لمح) ٢٤٣ / ٣ ، وتهذيب اللغة ٣٢٩٦ / ٤ ، والمحيط في اللغة ١١٦ / ٣ ، والصاحح ٤٠٢ / ١ .

(٦) لم أفق عليه . أقنى : يبرز ، الطَّوْدُ : الجبل العظيم ، يافع : هو التُّلُّ المُشْرِفُ ، وقيل : ما ارتفع من الأرض ، الدُّجْنَةُ : الظُّلُمَاءُ .

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا أَمُرُ السَّاعَةِ﴾ ، يريد: القيامة ، ﴿إِلَّا كَلَمَجِ الْبَصْرِ﴾ ، يريد: النظر .

وقال قتادة: هو أن يقول: كن ، فهو ﴿كَلَمَجِ الْبَصْرِ﴾^(١) .

وقال السدي: هو كلمح العين من السرعة ، ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ : من ذلك إذا أردناه^(٢) ، وشرح أبو إسحاق معنى هذا ، فقال: الساعةُ اسم لإماتة الخلق وإحيائهم ، أعلم الله تعالى أنَّ البعثَ والإحياءَ في قدرته ومشيتته ، ﴿كَلَمَجِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ ، ليس يريد أنَّ السَّاعَةَ تأتي في أقرب من لمح البصر ، ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها^(٣) ، ومعنى (أو) في قوله: ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ أن أمرها يكون على إحدى منزلتين: إما لمح البصر ، وإما أقرب ، فأدخل (أو) لشك المخاطب؛ أي كونوا في تقدير سرعة كونها على هذا الشك ، وهذا معنى قول قطرب: أراد أن يطويه عتًا^(٤) ، وقيل: إنَّ (أو) هاهنا بمنزلة بل^(٥) .

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٥٩/٢ ، بنصه ، والطبري ١٥١/١٤ ، بنصه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٩٥/٤ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢٣٦ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٤٢٤/٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢١٤/٣ ، بنصه .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) بذلك فسرهما مقاتل ٢٠٥/١ ب ، والسمرقندي ٢٤٤/٢ ، وهود الهواري ٣٨٠/٢ ، وانظر: تفسير البغوي ٣٤/٥ ، والفخر الرازي ٨٨/٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٥٠/١٠ ، وأورده أبو حيان في تفسيره ، وأبطله بحجة أن الإضراب هنا يؤدي إلى فساد المعنى ، وتعقبه الألوسي وصححه ، انظر: تفسير أبي حيان ٥٢١/٥ ، وتفسير الألوسي ١٩٨/١٤ ، وفي كتب حروف المعاني أن (أو) تأتي بمعنى (بل) ، ومنهم من أطلق القول ، ومنهم من قيده بشروط ، انظر: حروف المعاني للزجاجي ١٣ ، والجني الداني ٢٢٩ ، ومغني اللبيب ٩١ .

وَأَشْدُوا^(١) :

أَوْ أَنْتِ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ^(٢)

٧٨. قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ ؛ أي أخرجكم غير عالمين ، بمعنى : أخرجكم جاهلين .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ عطف^(٣) على قوله : ﴿أَخْرَجَكُمْ﴾ ، وجعلُ السمع كان قبل الإخراج ولم يكن بعده ، وتأخيرهُ في الذكر وتَقْدُّمُ الإخراج لا يدل على أَنَّ الجَعْلَ للسمع تأخر عن الإخراج ؛ لأن الواو لا توجب الترتيب^(٤) ، ذكرنا هذا في مواضع ، والمعنى : خلق لكم الحواس التي بها تعلمون وتقفون على ما تجهلون ، قال ابن عباس في هذه الآية : يريد لتسمعوا مواعظ الله وتُبصروا ما أنعم الله به عليكم منذ أخرجكم من بطون أمهاتكم إلى أن صرتم رجالاً ، وتعقلوا عظمة الله^(٥) ، ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ جمع الفؤاد ، نحو غراب وأغربة^(٦) .

(١) نُسب إلى ذي الرُّمَّة ، ولم أجده في ديوانه ، وقال محقق الخزانة : عبدالسلام هارون : بل هو في ملحقات الديوان ٦٦٤ .

(٢) تمام البيت :

بدتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْقِ الضُّحَى وَصُورَتِهِمْ

وردي المحتسب ٩٩/١ ، والخصائص ٤٥٨/٢ ، والأزهية ١٢١ ، واللسان (أو) ١٨١/١ ، والخزانة ٦٥/١١ ، وورد بلا نسبة في معاني القرآن للقرأء ٧٢/١ ، والصحاح (أو) ٢٢٧٥/٦ ، والإنصاف ٣٨٣ ، والشاهد : وورد (أو) بمعنى (بل) والمعنى : بل أنت في العين أملح .

(٣) وجعلها الطبري مستأنفة ؛ لأن الكلام تم بقوله : ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ ، ثم ابتدأ بقوله : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ﴾ . انظر : تفسير الطبري ١٥٢/١٤ ، والبغوي ٣٤/٥ .

(٤) وللخازن توجيه جيد ، يقول : لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن ، فكأنها خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه ، وإن كانت قد خلقت قبل ذلك . تفسير الخازن ١٢٨/٣ .

(٥) انظر : تفسير الخازن ١٢٨/٣ ، بنصه ، وتفسير الألوسي ٢٠١/١٤ ، بنصه .

(٦) قال الزمخشري : وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة . انظر : تفسير الزمخشري ٣٣٩/٢ .

قال الزَّجَّاج : ولم يجمع فؤاد على أكثر العدد؛ لم يُقَل فيه : فُئْدَان ، كما قيل في غُرَابِ وَغُرَبَان^(١) .

٧٩ . قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ ﴾ ؛ أي مذلات في جَوِّ السماء ، وهو الهواء ، قال الزَّجَّاج : ﴿ جَوَّ السَّمَاءِ ﴾ الهواء البعيد من الأرض^(٢) ، وهذا حث على الاستدلال بها على مُسَخَّرِ سَخَّرَهَا ، ومُدَبَّرٍ مَكَّنَهَا من التصرف في جو السماء ، وهو الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، يعني في حال القَبْضِ والبَسْطِ والاصطفاف ، كقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾ [الملك : ١٩] .

٨٠ . قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ الآية . السَّكَنُ : المسْكَن ، أنشد الفراء^(٣) :

جاء الشتاء ولما أَخَذُ كِنْنًا^(٤)

يا وَيْحَ نَفْسِي^(٥) من حَفَرِ القراميص^(٦)

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٤ ، بنصه .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٤ ، بنصه .

(٣) نسبه الأزهري إلى ابن الأعرابي .

(٤) في (أ) و(د) : (كننا) ، والمثبت من : (ش) و(ع) ، وقد انفرد الواحدي برواية «كننا» ، بينما ورد في غيره «سنكننا» و«ربضاً» ، وليس في رواية الواحدي ولا رواية «ربضاً» شاهد إلا بالمعنى ، إنما الشاهد في رواية «سكننا» كما سيأتي في توثيق البيت .

(٥) في (أ) و(د) زيادة كلمة (قلبي) مثل الآتي : «يا ويح قلبي نفسي» ، والمثبت من : (ش) ، (ع) ، وهو الصحيح ؛ لإغناء كلمة نفسي عنها ، ويؤكد ذلك خلو رواية التهذيب منها .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (قرمص) ٣/ ٢٩٤٦ ، وفيه : (رَبْضًا) بدل (كننا) ، ومن دون كلمة (قلبي) ، وورد بلا نسبة برواية :

جاء الشتاء ولما أَخَذُ رِبْضًا يا وَيْحَ كَفِّي من حَفَرِ القراميص

في جهرة اللغة ١/ ٣١٤ ، ٢/ ١٢٠١ ، وتهذيب اللغة (ربض) ٢/ ١٣٤٤ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٧٨ ، =

وَالسَّكَنُ : مَا سَكَنْتَ ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ أَيُّ مَوْضِعًا تَسْكُنُونَ فِيهِ ^(١) ، قَالَ مجاهد وغيره : يعنى المساكن من الحجر والمدر ^(٢) .

وقال ابن عباس : يريد مساكن تستر عوراتكم وحرَمَكم ، وذلك أن الله تعالى خلق الخشب والمدر والآلة التي بها يمكن تسقيف البيوت وبناءها ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ ﴾ يعنى الأنطاع ^(٤) ، والأدم ، ﴿ بِيُوتًا ﴾ يعنى القباب والحِيام والفساطيط ^(٥) ﴿ تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ﴾ ؛ أي يخفُّ عليكم حملها في أسفاركم ^(٦) ، قال ابن عباس : يريد إذا ظعنتم الربيع ، وفيه قراءتان :

والصحيح (قمرص) ١٠٥١/٣ ، (ربض) ١٠٧٦/٣ ، وتفسير الفخر الرازي ٩١/٢٠ ، وفيه : (سكناً) بدل (ربضاً) ، والأساس ٢٤٧/٢ ، واللسان (قمرص) ٣٦٠٦/٦ ، (ربض) ١٥٥٩/٣ ، والتاج (قمرص) ٣٣٣/٩ ، وتفسير أبي حيان ٥٢٣/٥ ، والدر المصون ٢٧٣/٧ ، فيها برواية : «سكناً» و«نفسى» ، (ربض) : قال ابن فارس : الراء والباء والضاد أصل يدل على سكون واستقرار ، والربض : ما حول المدينة ، ومسكن كل قوم ربض ، ويقال : لفلان ربض يأوي إليه : وهو كل ما سكن إليه من امرأة أو قرابة أو بيت . (قمرص) : قال ابن السكيت : القراميص : حفر صغار يستكن فيها الإنسان من البرد ، الواحدة : قُرْمُوص .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢١٥/٣ ، بنصه .

(٢) ورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٥٤/١٤ ، بنصه ، والثعلبي ١١٦١/٢ ، بنصه ، والبغوي ٣٥/٥ ، والخازن ١٢٨/٣ ، والذي في تفسير مجاهد ٤٢٣ ، قال : تسكنون فيها ، وأخرجه الطبري عن مجاهد بهذه الرواية ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢٣٧/٤ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤٧٦/٤ ، بنحوه وبلا نسبة .

(٤) جمع : نَطْعٌ ونِطْعٌ ونَطْعٌ ونِطْعٌ ، هو بساط من الجلد . انظر : المحيط في اللغة ٤٠٦/١ ، والمعجم الوسيط ٩٣٠/٢ .

(٥) جمع الفسطاط والفسطاط ؛ وهو ضرب من الأبنية ؛ وهو بيت يتخذ من الشعر . انظر : المحيط في اللغة ٢٧١/٨ .

(٦) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٢١٥/٣ ، بنصه .

تسكين العين^(١) وتحريكها^(٢)، وهما لغتان؛ كالشعر والشعر، والنهر والنهر، قال
الفراء: والعرب تفعل ذلك بما كان ثانيه إحدى الستة الأحرف^(٣)، وأنشد^(٤):

لَه نَعْلٌ لَا تَطْبِي الكَلْبَ رِيْجُهَا

وإن وُضِعَتْ بَيْنَ المَجَالِسِ شُمَّتْ^(٥)(٦)

قال أبو علي: لا يجوز أن يكون الظعن مخففاً من الظعن، كعَضْد من عَضْد،
ألا ترى أن من خفف عَضْداً لم يخفف نحو: حَمَلٌ^(٧) وَرَسَيْنٌ^(٨)، قال الأزهري:
والظعن: سير البادية لئجة أو حضور ماء أو طلب مَرْتَع أو تحوُّل من ماء إلى ماء

(١) قرأ بها: عاصم وحمة والكسائي وابن عامر. انظر: السبعة ٣٧٥، وإعراب القراءات السبع وعللها
٣٥٩/١، وعلل القراءات ٣٠٨/١، والحجة للقراء ٧٧/٥، والمبسوط في القراءات ٢٢٥، والتيسير
١٣٨.

(٢) بفتح العين، قرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو. انظر: المصادر السابقة.

(٣) يريد الحروف الحلقية، وهي: الهمزة والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء.

(٤) لكثير بن عبد الرحمن بن الأسود، المعروف بكثير عزة، المتوفى ١٠٥هـ.

(٥) معاني القرآن للفراء ١١٢/٢، بنصه تقريباً.

(٦) ديوانه ٨٥، وروايته:

إذا طُرِحَتْ لَمْ تَطْبِ الكَلْبَ رِيْجُهَا وإن وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ القَوْمِ شُمَّتْ
وورد في المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٥٠٢/١، والخصائص ٩/٢، وفيه: (جُعِلَتْ وَسْطَ) بدل
(وُضِعَتْ بَيْنَ)، واللسان (نعل) ٤٤٧٧/٧، وفيه: (وسط) بدل (بين)، وورد في البيان والتبيين
برواية ليس فيها الشاهد ٧٨٨/٣، (نطبي): يقال طبى فلان فلاناً عن رأيه وأمره؛ أي صرفه، وأطباه
وطبأه: دعاه واستماله، (شُمَّتْ): يُقْبَلُ شُمُّهَا؛ لأن جلد لها جيد الدباغة لا تفوح منه روائح كريهة
منتنة تستميل الكلاب، والشاعر يصف نعله برقتها وطيب ريحها، وأنها لطيب ريحها وعدم انبعاث
الروائح الكريهة عنها لا تستميل الكلاب. والشاهد: أنه حَرَكَ حرف الحلق (ع) لانفتاح ما قبله.
وانظر: المحيط في اللغة (طبي) ٢٢٨/٩.

(٧) هكذا في النسخ جميعها بالحاء، وفي المصدر «جل» بالجيم، وهو خطأ؛ لأن (جل) لا تأتي في الفصحح
إلا بحركة. انظر: متن اللغة ٥٧١/١.

(٨) الحجة للقراء ٧٧/٥، بتصرف يسير. رسن؛ الرسن: الحبل تقاد به الدابة؛ وهو ما كان على الأنف من
الأزمة. انظر: اللسان (رسن) ١٦٤٧/٣، ومتن اللغة ٥٨٨/٢.

ومن بلد إلى بلد ، وقد ظَعَنُوا يَظْعَنُونَ ، وقد يقال لكل شاخص لسفر : ظاعن ، وهو ضدُّ الخافض^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾ . قال مقاتل : «أي : لا يثقل عليكم الحاليتين»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا ﴾ . قال المفسرون وأهل اللغة : الأصواف للضأن ، والأوبار للإبل ، والأشعار للمعز^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ أَثْنًا ﴾ . الأثاث : أنواع المتاع من متاع البيت ، من الفرش والأكسية^(٤) ، قال الفرّاء : ولا واحد له ، كما أن المتاع لا واحد له ، قال : ولو جمعت لقلت : أثثة في القليل وأثث في الكثير^(٥) .

(١) تهذيب اللغة (ظعن) ٣/ ٢٢٤١ ، بنصه .

(٢) تفسير مقاتل ١/ ٢٠٥ ب ، بمعناه ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦١ أ ، بنصه .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٥ ب ، بنصه ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٥ ، بنصه ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٦ ، بنصه ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦١ أ ، بنصه ، والطوسي ٦/ ٤١٣ ، وانظر : تهذيب اللغة (صاف) ٢/ ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ ، (وبر) ٤/ ٣٨٢٦ ، ٣٨٢٧ ، والمحيط في اللغة (صوف) ٨/ ١٩٦ ، (وبر) ١٠/ ٢٧٢ ، واللسان (وبر) ٨/ ٤٧٥٢ ، ٤٧٥٣ ، (صوف) ٤/ ٢٥٢٧ ، ٢٥٢٨ .

(٤) ورد في الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٤٨ ، بنصه ، ورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٦ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦١ أ ، وانظر : العين (أث) ٨/ ٢٥٣ ، وتهذيب اللغة ١/ ١١٨ ، واللسان (أث) ١/ ٢٤-٢٥ ، والتاج (أث) ٣/ ١٦٤ .

(٥) لم أجده في معانيه ، وورد في تهذيب اللغة (أث) ١/ ١١٨ ، بنصه تقريباً ، وفيه : ولو جمعت لقلت : ثلاثة أثثة ، وأثث كثيرة . وانظر : اللسان (أث) ١/ ٢٤ ، ٢٥ ، والتاج (أث) ٣/ ١٦٤ ، وأورد السمين قول الفرّاء ، وقال عن جمع الكثرة : فيه نظر ؛ إذ يلزم هذا الوزن جمعه على أفْعَلَةٍ في القلة والكثرة ، ولا يجمع على فُعْلٍ . انظر : الدر المصون ٧/ ٢٧٥ .

وقال أبو زيد : واحدتها أَثَاثَةٌ^(١) .

قال ابن عباس في قوله : ﴿ أَثَثْنَا ﴾ يريد طَنَافَسَ^(٢) وبُسْطًا وثيابًا وكسوة^(٣) ، قال الخليل : وأصله من قوهم : أَثَّ الثَّبَاتُ والشَّعْرُ إذا كثر^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَتَّعًا ﴾ ؛ أي ما يتمتعون به .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد إلى حين البلى^(٥) .

(١) لم أجده في نواتره ، وورد في تهذيب اللغة (أث) ١ / ١١٨ ، بلفظه ، وورد عنه بنحوه في الغريب لابن قتيبة ١ / ٢٤٨ ، وأدب الكاتب له ٦١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤ / ٩٧ ، وتفسير الثعلبي ٢ / ١٦١ ، والدر المصون ٧ / ٢٧٥ ، وأورد الطبري قول أبي زيد بلا نسبة ، ورده قائلاً : ولم أر أهل العلم بكلام العرب يعرفون ذلك ؛ أي أن الأثاث واحد ، والحق أن أبا زيد إمام وحجة في العربية ، والذين أوردوا قوله - وهم من أهل اللغة - لم أجد من اعترض عليه ، وحسبك بابن قتيبة وقد أورد قوله مستشهداً به .

(٢) جمع طَنَفَس ، وهي البساط الذي له خَلٌّ رقيق ، وقيل : هو ضرب من السجاد . انظر : اللسان (طنفس) ٥ / ٢٧١ ، ومتن اللغة ٣ / ٦٣٧ .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ٩٢ بنصه ، والمشهور عن ابن عباس أنه فَسَّرَ ﴿ أَثَثْنَا ﴾ بالمال ، أخرجه الطبري ١٤ / ١٥٥ - ١٥٦ من طريق العوفي ضعيفة ، والدر المنثور ٤ / ٢٣٧ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٤) العين (أث) ٨ / ٢٥٣ ، بنصه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ٩٢ ، وقد نقل المقطع كله ، من بداية قول الأزهري بنصه تقريباً من دون نسبته إلى الواحدي .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٢٩٠ ، وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١ / ٢٠٥ ب ، والثعلبي ٢ / ١٦١ أ ، والبغوي ٥ / ٣٥ ، والزخشري ٢ / ٣٣٩ ، وابن الجوزي ٤ / ٤٧٧ ، والفخر الرازي ٢٠ / ٩٢ ، والخازن ٣ / ١٢٩ .

وروي عنه : ﴿إِلَى حِينٍ﴾ الموت^(١) ، ومثله قال مجاهد ، وأبهم قتادة ، فقال : إلى أجل^(٢) ، وحكى الفراء القولين فقال : يقول : يكتفون بأصوافها إلى أن يموتوا ، ويقال : إلى الحين بعد الحين^(٣) .

٨١. قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظُلُمًا﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد ظلال الغمام والسحاب^(٤) ، كما قال : ﴿وَوَضَعْنَا عَلَى كُفِّكُمْ الْغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧] يريد : لتقيكم من حر الشمس ومن شدة البرد ، وقال الكلبي : ﴿مِمَّا خَلَقَ﴾ يعني البيوت^(٥) ، وقال قتادة : يعني الشجر^(٦) ، واختاره الزجاج ، فقال أي جعل لكم من الشجر ما تَسْتَظِلُّونَ به^{(٧)(٨)} .

(١) أخرجه الطبري ١٤ / ١٥٥ بلفظه عن مجاهد ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٤٧٧ ، عن ابن عباس ومجاهد ، وأبي حيان ٥ / ٥٢٤ ، عن ابن عباس ، وتفسير الألوسي ١٤ / ٢٠٤ ، عن ابن عباس ، وورد غير منسوب في تفسير هود الهواري ٢ / ٣٨١ ، والثعلبي ٢ / ١١٦١ ، والبغوي ٥ / ٣٥ ، والزنجشري ٢ / ٣٣٩ ، والفخر الرازي ٢٠ / ٩٢ ، والخازن ٣ / ١٢٩ ، وورد عن ابن عباس تفسيره بقوله : ينتفعون به إلى حين ، أخرجه الطبري ١٤ / ١٥٤ - ١٥٥ من طريق العوفي ضعيفة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٢٣٧ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٢ / ٣٥٩) ، بلفظه ، والطبري ١٤ / ١٥٥ ، بلفظه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤ / ٩٧ ، بلفظه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٢٣٧ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢ / ١١٢ . بنصه .

(٤) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٤٧٧ ، وتفسير أبي حيان ٥ / ٥٢٤ ، وتفسير الألوسي ١٤ / ٢٠٥ .

(٥) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٤٧٧ ، وأبي حيان ٥ / ٥٢٤ ، وتفسير الألوسي ١٤ / ٢٠٥ .

(٦) أخرجه الطبري ١٤ / ١٥٥ بلفظه من طريقين ، ورد في تفسير السمرقندي ٢ / ٢٤٥ بلفظه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٤٧٧ ، وأبي حيان ٥ / ٥٢٤ ، والدر المنثور ٤ / ٢٣٨ ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢١٥ ، بنصه .

(٨) هذه الأقوال - في معنى الظلال - من اختلاف التنوع ، ولا يجوز تخصيصها بأي منها ، والأولى حملها على العموم ؛ لعدم وجود مخصص ، ولكونه جاء على سبيل الامتنان ، والمنة حاصلة بكل ذلك ، لذلك =

وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَناً﴾. قالوا: يعني الغيران والأسراب^(١)، وواحد الأكنان كنٌّ، على قياس حمل وأحمال^(٢)، والكنُّ: كل شيء وقى شيئاً، ويقال: استكنَّ واكتنَّ، إذا صار في كنٍّ^{(٣)(٤)} ﴿وَجَعَلَ لَكُم سُرَبِلَ تَقِيَكُمْ الْحَرَ﴾ السرايل: القُمص، واحدها سربال^(٥)، قال الفراء: سربلت الرجل إذا لبسته سربلة وسربالاً^(٦)، وأنشد:

عمِّي أبو مالك بالمجدِ سربلني ودنس العبدُ عبدَ القيسِ سربالي^(٧)

فالأرجح ما قاله أبو سليمان الدمشقي: إنه كل شيء له ظل؛ من حائط، وسقف، وشجر، وجبل، وغير ذلك. تفسير ابن الجوزي ٤/٤٧٧.

(١) ورد في تفسير السمرقندي ٢/٢٤٥، بنصه، والثعلبي ٢/١٦١ أنصه، وانظر: تفسير البغوي ٥/٣٦، وابن الجوزي ٤/٤٧٨، وتفسير القرطبي ١٠/١٥٩، والخازن ٣/١٢٩، (الغيران): جمع غار؛ وهو مغارة في الجبل كالسرب، وقيل: الغار كالكهف في الجبل، الأسراب: جمع سرب؛ وهو المسلك في خفية، وأصله جحر الثعلب والوحشي، وهو حفير تحت الأرض، وقيل: بيت تحت الأرض. انظر: المحيط في اللغة (سرب) ٨/٣١٢، واللسان ٤/١٩٨٠، (غور) ٦/٣٣١٣، ومتن اللغة ٣/١٣٣.

(٢) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/٢١٥، بنصه.

(٣) ورد في تهذيب اللغة (كن) ٤/٣١٩٦، بنصه، وهو قول الليث.

(٤) انظر: تهذيب اللغة (كن) ٤/٣١٩٦، والمحيط في اللغة ٦/١٤٤، والصحاح ٦/٢١٨٨، واللسان ٧/٣٩٤٢، وانظر: تفسير الفخر الرازي ٢٠/٩٣، بنصه بلا نسبة.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (سربل) ٢/١٦٦٤، والصحاح ٥/١٧٢٩، واللسان ٤/١٩٨٣، وانظر: تفسير الفخر الرازي ٢٠/٩٣، وتفسير القرطبي ١٠/١٦٠.

(٦) ليس في معانيه.

(٧) لم أقف عليه.

قال أبو إسحاق : كلُّ ما لَبِسْتَهُ فهو سربالٌ؛ من قميص أو درع أو جوشن أو غيره^(١)، قال ابن عباس وقتادة : هي القُمُص من الكتَّان ، والقطن ، والصوف^(٢) ، قال الفرَّاء : ولم يقل : والبرد ، وهي تقي الحرَّ والبرد ، فترك ؛ لأن معناه معلوم^(٣) ، قال الزَّجاج : ولم يقل : وتقيكم البرد ؛ لأن ما وقى من الحرِّ وقى من البرد^(٤) ، فعندهما أنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر لدلالة المذكور على الآخر ، وقال عطاء الخرساني : الذين خوطبوا بهذا أهل حَرٍّ في بلادهم فحاجتهم إلى ما يقي الحرَّ أشد ، لذلك لم يذكر البرد ؛ لأن القوم خُوطبوا على قدر معرفتهم ، كما قال : ﴿ وَمِنْ أَصْوَافَها وَأَوْبَارِها وَأَشْعَارِها ﴾ وما جعل من غير ذلك أعظم ، ولكنهم كانوا أصحابَ وَبرٍ وشعر ، وكذلك قوله : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ ﴾ [النور : ٤٣] يُعْجِبُهُمْ بذلك ، وما أنزل من الثلج أعظم ، ولكنهم كانوا لا يعرفونه^(٥) ، قال المبرد : والقرآن قد أحاط بمن يخاطب وبمن يكون بعده ، وأحاط بالغائب كما أحاط بالحاضر ، ولكن العرب من شأنها إذا كان الشئان مجازهما واحد في ضر أو

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٥ ، بنصه . جوشن : درع أو زردٌ يُلبَس على الصدر ، والجمع : جواشن . انظر : متن اللغة ١/ ٦٠٣ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٩ ، بنحوه ، والطبري ١٤/ ١٥٥-١٥٦ ، بنصه من طريقين ، وبنحوه من طريق ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٧ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٥ ، والطوسي ٦/ ٤١٣ ، بنحوه ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٦ ، والثعلبي ٢/ ١٦١ ، وهود الهواري ٢/ ٣٨١ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٢ ، بنصه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١١٢ ، بنصه .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٣-١٥٥ بنصه تقريباً مع تقديم وتأخير ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٨ ، مختصراً ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦١ ، بنصه تقريباً مع تقديم وتأخير ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٠٧ ، مختصراً ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣٦ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٩٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٠ ، والخازن ٣/ ١٢٩ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٩ ، وهذا القول هو الذي رجَّحه الطبري .

نفع فذكروا أحدهما عَلِمَ أن الآخر مثله ، فلما ذكر الحرَّ صار كأنه ذكر البرد أيضاً ، لما يعلم أنها لا تقي شيئاً دون شيء^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَسَرَّيِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ﴾ . قال المفسرون : يعني دروع الحديد^(٢) ، ومعنى البأس : الشدة ، ويريد هاهنا شدة الطعن والضرب والرمي^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ﴾ ؛ أي مثل ما جعل هذه الأشياء ، وخلقها لكم وأنعم بها عليكم ، ﴿يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يريد : نعمة الدنيا ؛ لأن^(٤) الخطاب لأهل مكة يدل على هذا .

قوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْلُمُونَ﴾ . قال ابن عباس : لعلكم يا أهل مكة تُخلصون لله الربوبية وتعلمون أنه لا يقدر على هذا أحدٌ غيره^(٥) ، فتوحدوه وتصدقوا أنبياءه ، ثم قال بعد أن بيَّن لهم الآيات :

٨٢ . ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُمِينُ﴾ ؛ أي عليك أن تُبلِّغ الرسالة والآيات الدالة على التوحيد وصدقك ، ولا يلزمك تقصيرٌ من أجل توليهم ، وهذا تسلية للنبي ﷺ عما يلحقه عند توليهم عنه .

(١) أورده في التعازي والمراثي ٣٩ ، مختصراً جداً ، قال : وكذلك قوله تعالى : ﴿وَسَرَّيِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ﴾ ، ولم يذكر البرد ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٩٤ / ٢٠ ، عنه بمعناه ، وأبي حيان ٥٢٤ / ٥ مختصراً ، وتفسير الألوسي ٢٠٥ / ١٤ ، مختصراً .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ٢٠٦ / ١ ، بلفظه ، والسمرقندي ٢٤٥ / ٢ ، بنصه ، وهود الهواري ٣٨١ / ٢ ، بلفظه ، والثعلبي ١٦١ / ٢ ، بنحوه ، وانظر : تفسير الزمخشري ٣٣٩ / ٢ ، وابن كثير ٦٣٩ / ٢ - ٦٤٠ .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٩٤ / ٢٠ ، بنصه بلا نسبة .

(٤) في (أ) و(د) : (أن) ومطموسة في (ع) ، والمثبت من (ش) .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٩٤ / ٢٠ ، والخازن ١٢٩ / ٣ ، بلا نسبة .

٨٣. قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾. قال السدي: يعني محمداً ﷺ^(١)، وهذا القول اختيار أبي إسحاق؛ قال: يعرفون أن أمر النبي ﷺ حق ثم يُنكرون ذلك^(٢)، وقال مجاهد: يعني ما عدّد من النعم في هذه السورة، يعرفون أنها كلّها نعم عليهم، ولكن ينكرون أنها من الله تعالى، يقولون: هذه النعم كانت لآبائنا فورثناها منهم^(٣)، وقال الكلبي: أقرّوا بأنها كلّها من الله، وقالوا: لكنها بشفاعتنا^(٤)، [وهذا]^(٥) القول اختيار الفراء، قال: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ يعني الكفار، إذا قيل لهم مَنْ رزقكم؟ قالوا: الله، ثم يقولون: بشفاعتنا فيشركون، فذلك إنكارهم نعمته^(٦)، ونحو هذا روى عطاء عن ابن عباس، قال: يُقرّون أنه لا يفعل هذا أحدٌ غيره، وهو المستحق للعبادة؛ لأنه المنعم عليهم دون غيره^(٧).

(١) أخرجه الطبري ١٥٧/١٤ بنصه من طريقين، وورد في معاني القرآن للنحاس ٩٩/٤، بنصه، وتفسير السمرقندي ٢٤٥/٢، بنصه، والثعلبي ١٦١/٢ ب، بنصه، وتفسير الماوردي ٢٠٧/٣، بنحوه، وانظر: تفسير البغوي ٣٦/٥، وابن عطية ٤٨٧/٨، وابن الجوزي ٤٧٩/٤، وتفسير القرطبي ١٦١/١٠، والخازن ١٢٩/٣، وأبي حيان ٥٢٤/٥، والدر المنثور ٢٣٨/٤، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢١٦/٣، بنصه.

(٣) تفسير مجاهد ٣٥٠، بمعناه، أخرجه الطبري ١٥٨/١٤ بمعناه من طريقين، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٠٠/٤، بمعناه، وتفسير السمرقندي ٢٤٥/٢، بمعناه، وهود الهواري ٣٨٢/٢، مختصراً، والثعلبي ١٦١/٢ ب، بنحوه، وتفسير الماوردي ٢٠٧/٣ بنحوه، وانظر: تفسير البغوي ٣٦/٥، وابن الجوزي ٤٧٩/٤، وتفسير القرطبي ١٦١/١٠، والخازن ١٢٩/٣.

(٤) ورد في تفسير السمرقندي ٢٤٥/٢، بنحوه، وتفسير الثعلبي ١٦١/٢ ب، بنحوه، وانظر: تفسير البغوي ٣٦/٥، وابن الجوزي ٤٧٩/٤، وتفسير القرطبي ١٦٢/١٠، والخازن ١٢٩/٣.

(٥) في النسخ جميعها: (وقال)، ولا يستقيم بها الكلام، والصحيح المثبت.

(٦) معاني القرآن للفراء ١١٢/٢، بنصه.

(٧) انظر: تنوير المقباس ٢٩٠، وتفسير القرطبي ١٦٢/١٠، بلا نسبة.

وقوله تعالى : ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ . قال أصحاب التأويل : إنما قال وأكثرهم ؛ لأن فيهم من لم تقم عليه الحجة ممن [لم]^(١) يبلغ حدَّ التكليف ، ومنهم من هو ناقص العقل مأووف^(٢) فأراد بالأكثر : البالغين الأصحاء الذين هم المقصودون بالخطاب وإقامة الحجة عليهم^(٣) ، وقال الحسن : المعنى : وجميعهم الكافرون^(٤) ، وعلى هذا ذكر الأكثر والمراد الجميع ؛ لأن عظم الشيء يقوم مقام جميعه ، فذكر الأكثر كذكر الجميع ، وهذا كقوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٧٥] ، وذكرنا هناك وجهين آخرين ، وهذه الآية تدل على أن المعاند كافرٌ ، وإن عرف بقلبه إذا لم يُقرَّ بلسانه وأنكر في الظاهر .

٨٤ . قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ ؛ أي وذكرهم يوم نبعث أو وأنذرهم يوم نبعث ، قال ابن عباس : يريد يوم القيامة^(٥) ، ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ ؛ يريد الأنبياء يشهدون على الأمم بما فعلوا من التصديق والتكذيب .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . قال الكلبي : لا يؤذن لهم في الكلام والاعتذار^(٦) ، كقوله : ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات : ٣٦] .

(١) إضافة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام .

(٢) في اللسان : (مأووف) و(مؤوف) : وهو الذي أصابته آفة ؛ أي عاهة ، يقال : آفت البلاد تؤوف أوفاً وآفةً وأوُوفاً : صارت فيها آفة ، والمقصود هنا : العاهة العقلية التي تعيقه عن الفهم والتمييز . انظر : اللسان (أوف) ١ / ١٧١ .

(٣) ورد في تفسير الطوسي ٦ / ٤١٤ ، بنحوه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ٩٥ ، وقد ذكر تعليقات أخرى .

(٤) ورد بنصه في تفسير الماوردي ٣ / ٢٠٧ ، والطوسي ٦ / ٤١٥ ، وانظر : ابن الجوزي ٤ / ٤٧٩ ، وأبي حيان ٥ / ٥٢٥ .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ٩٥ ، والخازن ٣ / ١٣٠ ، بلا نسبة فيها .

(٦) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ٩٥ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ١٦٢ ، والخازن ٣ / ١٣٠ ، كلها بلا نسبة .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ، استعتب فلان إذا طلب أن يُعتَبَ؛ أي يُرَضَى^(١) ، واستعتبت فلاناً إذا طلبت منه أن يرجع إلى رضا صاحبه^(٢) ، فمعنى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾؛ أي لا يُطلب منهم أن^(٣) يرجعوا إلى ما يُرضي الله؛ لأن الآخرة ليست بدار تكليف، كما قال ابن عباس في هذه الآية، قال: يريد انقطع العتاب وانقطعت المَعذرة وحلَّ بهم الخزي، تلخيص معنى الآية: أنهم لا يُمكنون من عذر فيتكلمون به، ولا يُكَلِّمون أيضاً في الرجوع في العُتْبَى، وأصل هذا الحرف من العتب وهو الموجدة، يقال: عتب عليه إذا وجد عليه، وأعتبه إذا زال عنه عتبه؛ بأن ترك ما كان يعتب عليه من أجله، واستعتبه إذا طلب منه الإعتاب^(٤).

٨٥. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ . قال ابن عباس: يريد أشركوا^(٥)، ﴿أَلْعَذَابُ﴾ يريد النار، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾؛ أي العذاب، ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾؛ أي لا يؤخرون ولا يمهلون؛ لأن التوبة هناك غير مرجوة؛ لانقضاء الأمد المضروب لقبول التوبة ودخول وقت العذاب، وهذه الآية تأكيد لما قبلها، يريد أنهم يعجل لهم العقوبة في الآخرة من غير إنصات^(٦) لعذر منهم أو عتاب معهم.

(١) ورد في تهذيب اللغة (عتب) ٣/ ٢٣١٤، بنصه، وهو قول الليث.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (عتب) ٣/ ٢٣١٤، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٢٦، واللسان ٥/ ٢٧٩١.

(٣) (أن) ساقطة من (أ) و(د) وفي (ع): (أي).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (عتب) ٣/ ٢٣١٤، والمحيط في اللغة ١/ ٤٤٦، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٢٦، واللسان ٥/ ٢٧٩١.

(٥) انظر: تنوير المقباس ٢٩١، ورد بنحوه غير منسوب في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٨٢، والثعلبي ٢/ ١٦١، والبعوي ٥/ ٣٧، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٠، والفخر الرازي ٢٠/ ٩٦، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٢، والخازن ٣/ ١٣٠.

(٦) في النسخ جميعها: (أنصار)، والصواب ما أثبتته، ويدل عليه ما بعده، ولعلها تصحفت.

٨٦. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾. قال ابن عباس: يريد الذين اتخذوهم^(١) من دون الله آلهة^(٢)، وذلك أن الله يبعث كل من كان يعبدون من دون الله، فيتبعوهم حتى يوردوهم النار، ووصفوا بأنهم شركاؤهم: لأنهم جعلوا لهم نصيباً في أموالهم، ولأنهم جعلوهم شركاء في العبادة^(٣)، ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ﴾؛ أي كنا نعبدهم من دونك، ﴿فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾. قال الكلبي: أجابوهم^(٤)، وقال مجاهد: حدثوهم^(٥)، وقال الفراء: رَدَّتْ عليهم قولهم^(٦): ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٧)، وذكر المفسرون في تكذيب الأصنام إياهم وجوهاً؛ أحدها: أنها كذبتهم في استحقاق العبادة، والمعنى: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: في أننا نستحق العبادة^(٨)، الثاني: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في أننا دعوناكم إلى العبادة، وهذا قول الفراء^(٩)، وقيل: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: في تسميتنا آلهة وأرباباً^(١٠)، وكل هذا تكذيب من الآلهة^(١١) للكفار بها لم يُخبر به عنهم؛ لأنه ليس في

(١) في (أ) و(د): (اتخذوهم)، وفي (ش) و(ع): (اتخذواهم)، والمثبت هو الصحيح وينسجم مع السياق.

(٢) انظر: تفسير أبي حيان ٥/٥٢٦، وتفسير الألوسي ١٤/٢٠٨، بنحوه غير منسوب.

(٣) ورد في تفسير الطوسي ٦/٤١٦، بنصه.

(٤) ورد بلا نسبة في تفسيره الوسيط، تحقيق سيسي ٢/٤٢٨، وابن الجوزي ٤/٤٨٠.

(٥) تفسير مجاهد ٣٥٠، بلفظه، أخرجه الطبري ١٤/١٥٩ بلفظه من طريقين، والدر المنثور ٤/٢٣٩، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) في النسخ جميعها: (قوله)، والتصويب من المصدر.

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/١١٢، بنصه.

(٨) ورد في تفسير الطوسي ٦/٤١٦، بنصه، وانظر: تفسير الفخر الرازي ٢٠/٩٧.

(٩) معاني القرآن للفراء ٢/١١٢، بمعناه.

(١٠) ورد في تفسير الطوسي ٦/٤١٧، بنحوه، وانظر: تفسير الخازن ٣/١٣٠.

(١١) في النسخ جميعها: (الإله)، والصحيح الآلهة؛ لأنها هي التي كذبت عابديها.

الآية أن الكفار ادعوا أنها دعوتهم إلى عبادتها ، ولا أنها كانت تستحق العبادة ، ولا أنهم سموها آلهة ، وإن كانوا قد فعلوا ذلك ، ولكن لم يُخبر عنهم في هذه الآية بهذه الأشياء حتى ينصرف التكذيب إلى ذلك ، والمفسرون قالوا هذا على الاحتمال ، ولم أرَ لواحد من أئمة التفسير قولاً منسوباً إليه مما حكيت غير الفرّاء ، والذي يوافق الظاهر أن يقال : إن الشركاء كانت جماداً مواتاً ما كانت تعرف عبادة عابديها ، فقالت : ﴿ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ : في عبادتكم إيانا ، ما كنا نعرف ذلك ولا علم لنا بعبادتكم ، فظهر عند ذلك فضيحة الكفار ، حيث عبدوا من لم يشعر بالعبادة ، يدل على هذا قوله : ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ [مريم: ٨٢] ، والله أعلم .

٨٧. قوله تعالى : ﴿ وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ يُؤْمِنُ السَّلَامُ ﴾ . قال ابن عباس : يريد استسلموا وأقروا لله بالربوبية^(١) ، قال الكلبي : استسلم العابد والمعبود^(٢) ، وقال قتادة : يقول : ذُلُّوا واستسلموا يومئذ لحكم الله^(٣) ، وذكرنا معنى إلقاء السَّلَم عند قوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ ﴾ [النساء: ٩٤] .

(١) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/٢٠٦، والسمرقندي ٢/٢٤٦، والثعلبي ٢/١٦١ ب، وابن الجوزي ٤/٤٨١ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/٩٧، بنصه، وابن الجوزي ٤/٤٨١، بمعناه، وأبي حيان ٥/٥٢٧، بمعناه، وتنوير المقباس ٢٩١، بنصه .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/١٦٠، بنحوه، ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/١٠١، بنحوه، وتفسير الطوسي ٦/٤١٧، بنحوه، وانظر : تفسير ابن كثير ٢/٦٤٠، والدر المنثور ٤/٢٣٩، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

وقوله تعالى : ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد ذهب ما زَيْنَ لهم الشيطان أن الله شريكاً أو ولداً وصاحبة^(١) ، وقال غيره : بطل ما كانوا يُؤمِّلُون ويكذبون من أن آلهتهم تشفع لهم^(٢) .

٨٨ . قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : يريد عن طاعة الله^(٣) ، ﴿زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ . قال ابن مسعود : عقارب لها أنيابٌ أمثالُ النخلِ الطَّوَالِ^(٤) ، وروى عنه : أفاعي^(٥) ، وقال السدي : إن أهل النار إذا جزعوا من حرِّها استغاثوا ، بضحضاح ماءٍ في النار ، فإذا أتوه بلغتهم عقارب كأنها البغال ، وأفاعي كأنها البَخَاقِي^(٦) ،

- (١) ورد بنصه غير منسوب في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٢٩ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٨١ ، والفخر الرازي ٩٧/ ٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٣ .
- (٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٩٧/ ٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٣ .
- (٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٨١ ، وتنوير المقياس ٢٩١ .
- (٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٠ بنصه من طرق عدة ، والطبراني في الكبير ٩/ ٢٥٨ ، بنحوه من طرق عدة ، والحاكم ٢/ ٣٥٦ بنحوه ، وقال : على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، والعلبي ٢/ ١٦١ ب ، بنصه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠١ ، بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٦ ، بنحوه ، وهود الهواري ٢/ ٣٨٣ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٤١٧ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٤ ، والخازن ٣/ ١٣٠ ، وأبي حيان ٥/ ٥٢٧ ، وابن كثير ٢/ ٦٤١ .
- (٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٠ ، بلفظه من طرق عدة ، والسمرقندي ٢/ ٢٤٦ ، بلفظه ، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤١٧ ، وهو جزء من الرواية السابقة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٣٩ ، وعزاه إلى هناد .
- (٦) جمع بُخْتُ ، وهي الإبلُ الحُرَّاسَانِيَّةُ ، وهي طوال الأعناق . انظر : تهذيب اللغة (بخت) ١/ ٢٨٣ ، والتاج ٣/ ١٢ .

فضربتهم فذلك الزيادة^(١)، وقال أبو المنهال^(٢) : إنهم يستغيثون بالنار فراراً من تلك الأفاعي والعقارب وهرباً^(٣).

٨٩. قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ . قال ابن عباس : يريد الأنبياء^(٤) ، قال المفسرون : كل نبي شاهد على أمته ، وهو أعدل شاهد عليها^(٥) ، ووجه انتصاب (ويوم) ذكرنا عند قوله : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ [النحل : ٨٤] و﴿ فِي كُلِّ أُمَّةٍ ﴾ هاهنا كقوله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾ [النحل : ٣٦] فيجوز أن يكون من صلة الشهيد ، كأنه قيل : ويوم نبعث شهيداً في كل أمة .

وقوله تعالى : ﴿ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ الأنبياء شهداء^(٦) على أعمهم بما فعلوا ، وهم من أنفسهم ؛ لأن كل نبي بُعث من قومه إليهم ، ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ﴾ . قال ابن عباس : يريد على قومك^(٧) ، وتم الكلام هاهنا ، ثم قال : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ . قال مجاهد : « يعني لما أمر به وما نهى

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٢٣٩/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وانظر : تفسير الألوسي ٢١٢/١٤ .

(٢) أبو المنهال هو سيار بن سلامة الرياحي البصري ، ثقة ، روى عن أبي العالية وشهر بن حوشب ، وروى عنه شعبة وحامد ، مات سنة ١٢٩ هـ . انظر : الجرح والتعديل ٢٥٤/٤ ، والكاشف ٤٧٥/١ ، وتقريب التهذيب ٢٦١ (٢٧١٥) ، وتفسير الطبري ، تحقيق شاکر ٢١٧/٥ .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٤٣٠/٢ ، بنصه .

(٤) انظر : تفسير الخازن ٣/١٣١ ، وورد بلا نسبة في تفسير الماوردي ٣/٢٠٨ ، وتفسير القرطبي ١٦٤/١٠ .

(٥) ورد في معاني القرآن وإعراجه ٣/٢١٦ بنصه ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/١٠٠ ، بنحوه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٩٨/٢٠ ، والخازن ٣/١٣١ .

(٦) في (أ) و(د) : (شهِيداً) .

(٧) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/٤٨٢ ، وتنوير المقباس ٢٩١ ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/٢٠٦ ب ، والطبري ١٤/١٦١ ، والسمرقندي ٢/٢٤٦ ، والطوسي ٦/٤١٨ ، والخازن ٣/١٣١ .

عنه»^(١). وقال أهل المعاني: «يعني لكل شيء من أمور الدين بالنص عليه أو الإحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبي ﷺ أو إجماع، فهو الأصل والمفتاح لعلوم^(٢) الدين»^(٣)، أخبرني سعيد بن محمد بقراءتي عليه عن ابن مفسر عن الزجاج، قال: تبيان اسم في معنى البيان، ومثل التبيان^(٤) [التلقاء]^(٥)، وأخبرني أبو الحسين الفسوي^(٦) في ما قرأته عليه عن حمد بن محمد عن أبي عمر^(٧) عن ثعلب عن الكوفيين، والمبرد عن البصريين، قالوا: لم يأت من المصادر على تفعال إلا حرفان: تبيان وتلقاء، فإذا تركت هذين استوى لك القياس، فقلت في كل مصدر: تفعال بفتح التاء، مثل: تسيار وتهمام، وقلت في كل اسم: تفعال بكسرها، مثل: تقصار وتمثال^(٨)، وانتصاب قوله: ﴿تَيَكَّنَا﴾ على أنه مفعول له؛ أي للبيان.

(١) أخرجه الطبري ١٤/١٦١، ١٦٢ بنصه وبنحوه، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/١٠١، بنحوه، وانظر: تفسير الخازن ٣/١٣١، وابن كثير ٢/٦٤١، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/٢٠٦ ب، والسمرقندي ٢/٢٤٦ وهود الهواري ٢/٣٨٣، والثعلبي ٢/١٦١ ب، والدر المنثور ٤/١٤٠ وزاد نسبه إلى ابن المنذر.

(٢) في (أ) و(د): (بعلوم)، والمثبت من (ش) و(ع)، هو الصحيح المناسب للسياق، وهكذا وردت في تفسيره الوسيط.

(٣) ورد في تفسيره الوسيط ٢/٤٣١، بنصه، وتفسير الطوسي ٦/٤١٨، بنحوه، وانظر: تفسير الزمخشري ٢/٣٤١، وابن الجوزي ٤/٤٨٢، والخازن ٣/١٣١، وأبي حيان ٥/٥٢٧، وتفسير الألوسي ١٤/٢١٥.

(٤) معاني القرآن وإعراجه ٣/٢١٧، بنصه.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها الكلام، ومن دونها يبدو الكلام ناقصاً، وهي ثابتة في المصدر، فلعلها سقطت.

(٦) أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي ثم النيسابوري، كان عالماً عابداً جليل القدر عُمر طويلاً، روي صحيح مسلم عن أبي عمرو به وغريب الخطابي عن المؤلف، توفي سنة ٤٤٨ هـ، وله ٩٦ سنة. انظر: المنتخب من السياق ٣٦١، ٣٨٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/١٩، وشذرات الذهب ٣/٢٧٧.

(٧) أبو عمر محمد بن عبد الواحد، اللغوي الزاهد، المعروف بغلام ثعلب، تقدمت ترجمته.

(٨) ورد في تهذيب اللغة (بان) ١/٢٦٤، بنحوه غير منسوب، وانظر: تفسير الفخر الرازي ٢٠/٩٩، بنحوه ونسبه إلى الواحدي، وأبي حيان ٥/٥٢٧، وتفسير الألوسي ١٤/٢١٤.

٩٠. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾. قال ابن عباس في رواية الوالبي: العدل: شهادة أن لا إله إلا الله، والإحسان: أداء الفرائض^(١)، وقال في رواية عطاء: العدل: خلع الأنداد، والإحسان: تعبد الله كأنك تراه^(٢)، وأن تحب للناس ما تحب لنفسك؛ إن كان مؤمناً أحببت أن يزداد إيماناً، وإن كان كافراً أحببت أن يكون أخاك في الإسلام^(٣).

وقال في رواية باذان^(٤): العدل: التوحيد، والإحسان: الإخلاص فيه^(٥)، وقال آخرون: يعني بالعدل: في الأفعال، والإحسان: في الأقوال^(٦)، ولا يفعل إلا ما هو عدل ولا يقول إلا ما هو حسن^(٧).

(١) أخرجه الطبري ١٤ / ١٦٢، بنصه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، والبيهقي في الأسماء والصفات ١٣٤، مجملًا، ورد في تفسير الثعلبي ٢ / ١٦١ ب، بنحوه، وانظر: تفسير البغوي ٥ / ٣٨، وابن عطية ٨ / ٤٩٤، وابن الجوزي ٤ / ٤٨٣، والفخر الرازي ٢٠ / ١٠١، وتفسير القرطبي ١٠ / ١٦٥، والخازن ٣ / ١٣١، وأبي حيان ٥ / ٥٢٩، وابن كثير ٢ / ٦٤٢، والدر المنثور ٤ / ٢٤١ وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ٢ / ١٦١ ب، بنصه، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٤ / ٤٨٣، والفخر الرازي ٢٠ / ١٠١.

(٣) نقله الفخر الرازي والخازن بنصه من دون عزو. انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ١٠١، والخازن ٣ / ١٣١.

(٤) باذان: هو أبو صالح مولى أم هانئ، وقد تقدمت ترجمته.

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢ / ١٦١ ب، بنحوه، وانظر: تفسير البغوي ٥ / ٣٨، وابن الجوزي ٤ / ٤٨٣، والفخر الرازي ٢٠ / ١٠١، والخازن ٣ / ١٣١.

(٦) ورد في تفسير الثعلبي ٢ / ١٦٢ أ، بنصه.

(٧) نقله الفخر الرازي والخازن بنصه من دون عزو. انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ١٠١، والخازن ٣ / ١٣١.

وقوله تعالى: ﴿وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد صلة القرابة^(١) من فضل ما رزقك الله ، فإن لم يكن عندك فضل فدعاء^(٢) ، وروى أبو سلمة^(٣) عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : «إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَاباً صَلَوةُ الرَّحِمِ ، [حتى]^(٤) إِنْ أَهْلَ الْبَيْتِ لِيَكُونُونَ فُجَّاراً فَتُنَمَى أَمْوَالُهُمْ وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا وَصَلُوا أَرْحَامَهُمْ»^(٥) .

- (١) أخرجه الطبري ١٤ / ١٦٢ من طريق ابن أبي طلحة ، قال : الأرحام ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ١٠٠ ، وتنوير المقياس ٢٩١ ، والدر المنثور ٤ / ٢٤١ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢ / ٢٤٧ ، والماوردي ٣ / ٢٠٩ ، والطوسي ٦ / ٤١٩ ، والبخاري ٥ / ٣٨ ، وابن عطية ٨ / ٤٩٥ ، وابن الجوزي ٤ / ٤٨٣ ، والخازن ٣ / ١٣١ .
- (٢) نقله الفخر الرازي بنصه من دون عزو . انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ١٠١ .
- (٣) أبو سلمة عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف ، أحد الأعلام بالمدينة ، روى عن أبيه وعن زيد بن ثابت وأبي هريرة ، وعنه : ابنه عمر والزهرري ، كان ثقة فقيهاً كثير الحديث ، مات سنة ٩٤ هـ ، وقيل ١٠٤ هـ ، والأول أصح ، وعمره ٧٢ سنة . انظر : طبقات ابن سعد ٥ / ١٥٥ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٢٨٧ ، والكاشف ٣ / ٤٣١ ، وتقريب التهذيب ٦٤٥ ، (٨١٤٢) .
- (٤) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق ، وهي ثابتة في مكارم الأخلاق ، وفي بعض المصادر زيادة (واو) بدل (حتى) .
- (٥) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق ، باب : ما جاء في صلة الأرحام ١ / ٢٦٤ بالنص سنداً ومتناً ، وابن حبان ، موارد الظمان ، البر والصلة ، صلة الرحم وقطعها ٤٩٩ بنصه تقريباً عن أبي بكر ، والطبراني في الأوسط ، مجمع البحرين ٥ / ١٦٧ ، بنحوه عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، والبيهقي في السنن ١٠ / ٣٥ ، ٣٦ ، بنحوه عن أبي هريرة ، بنحوه مرسل عن مكحول ، وورد في تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ١٠١ ، بنصه ، وأورده الهيثمي في المجمع ٨ / ١٥٢ ، بنصه ، وقال : وفيه أبو الدهماء البصري ، وهو ضعيف جداً ، وورد في كنز العمال ٣ / ٣٦٤ ، وقد ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢ / ٦٧٠ ، ٦٧١ تحت ٩٧٨ ، وأورد طرقه وشواهد جميعها ، ثم قال : وجملته القول أن الحديث بمجموع هذه الطرق والشواهد صحيح ثابت .

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَنَّ مِنَ الْفَحْشَاءِ﴾ . قال في رواية علي: يقول: الزنى^(١)، وقال في رواية عطاء: يريد البخل عن حقوق الله، وجميع الذنب صغيره وكبيره^(٢)، وقال آخرون: الفحشاء: ما قبح من قول أو فعل^(٣).

(وقوله تعالى: ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ . قال في الروايتين: الشرك والكفر بالله^(٤)، وقال غيره: المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة^(٥))^(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَالْبَغْيِ﴾ . قال علي عن ابن عباس: الكِبَرُ والظلم^(٧)، وقال عطاء عنه: أن تبغي على أخيك^(٨).

(١) أخرجه الطبري ١٦٣/١٤ بلفظه من طريق علي صحيحة، ورد في تفسير الثعلبي ١١٦٢/٢، بلفظه، وانظر: تفسير البغوي ٣٨/٥، وابن عطية ٤٩٦/٨، وابن الجوزي ٤٨٣/٤، وتفسير القرطبي ١٦٧/١٠، والحاازن ١٣١/٣، والدر المنثور ٢٤١/٤، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٠١/٢٠، بلا نسبة.

(٣) انظر: تفسير القرطبي ١٦٧/١٠، والحاازن ١٣١/٣، وأبي حيان ٥٣٠/٥، وهو الأرجح لكونه عامًّا وشاملاً لكل الفواحش.

(٤) انظر: تفسير ابن الجوزي ٤٨٤/٤، والحاازن ١٣١/٣، والدر المنثور ٢٤١/٤، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، وتفسير الفخر الرازي ١٠١/٢٠، بلا نسبة.

(٥) ورد في تفسير السمرقندي ٢٤٧/٢، بنصه، والثعلبي ١١٦٢/٢، بنصه، وانظر: تفسير البغوي ٣٨/٥، وابن الجوزي ٤٨٤/٤، والفخر الرازي ١٠١/٢٠، وتفسير القرطبي ١٦٧/١٠، والحاازن ١٣١/٣، والأولى ترك اللفظ على عمومته ليشمل كل منكر قولي أو فعلي، عرف بالشرع أو العقل أو العرف، كما أنه ليس كل ما لم يعرف في شريعة أو سنة يُعدُّ منكراً.

(٦) ما بين القوسين مكتوب على الهامش الأيمن من نسخة (ش).

(٧) أخرجه الطبري ١٦٣/١٤ بنصه من طريق علي صحيحة، وانظر: تفسير البغوي ٣٨/٥، وابن الجوزي ٤٨٤/٤، والدر المنثور ٢٤١/٤، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، وورد غير منسوب في تفسير الثعلبي ١١٦٢/٢، بنصه، والفخر الرازي ١٠١/٢٠، وتفسير القرطبي ١٦٧/١٠، والحاازن ١٣١/٣.

(٨) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٠١/٢٠.

وقال أهل المعاني في هذه الآية : إنما جمعت الأوصاف الثلاثة للبيان عن تفصيل المنهي عنه؛ فالفحشاء قد تكون بما يفعله الإنسان مما لا يظهر أمره وهو مما يعظم قبحه ، والمنكر : ما يظهر للناس مما يجب إنكاره ، والبغي : ما يتناول به من الظلم لغيره ، ولا يكون إلا من الفاعل على غيره ، والظلم قد يكون ظلم الفاعل لنفسه^(١) ، وفي حديث أبي سلمة عن أبيه : « وإن أعجل المعصية عقاباً : البغي واليمين الفاجرة ؛ تذهبُ المالَ وتتركُ البيتَ بِلَاقِعٍ »^(٢) .

وروى مجاهد عن ابن عباس قال : لو^(٣) أن جبلاً بغى على جبل لُدَّكَ الباغي منهما^(٤) ، وقال خالد الربيعي^(٥) : إن مما يعجل عقوبته ولا يؤخر الأمانة تُخَان ، والإحسانُ يُكْفَر ، والرحم تُقْطَع ، والبغي على الناس^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ يَعْظُمُ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد ينهاكم عن هذا كله ويأمركم أن تتحاضوا على ما فيه لله رضا؛ لكي تتعظوا^(٧) ، قال

(١) ورد في تفسير الجصاص ٣ / ١٩٠ ، بنحوه ، وتفسير الطوسي ٦ / ٤١٩ ، بنصه .

(٢) سبق تخريجه قريباً ، أما هذه الزيادة فقد وردت بنحوها عن أبي هريرة : في معجم الطبراني الأوسط ، مجمع البحرين ٤ / ٦٨ ، والسنن للبيهقي ١٠ / ٣٥ ، بِلَاقِع : جمع بَلَقَعَ وبلقعة ، وهي الأرض القفر التي لا شيء بها ، يريد أن الخالف بها يَفْتَقِر ويذهب ما في بيته من الرزق ، وقيل : هو أن يفرق الله شمله ويُغَيِّر عليه ما أولاه من نِعَمِهِ . النهاية ١ / ١٥٣ ، وانظر : اللسان (بلقع) ١ / ٣٤٨ .

(٣) في النسخ جميعها : (لو قال) ، ولا معنى لها ، والظاهر أنها تكررت .

(٤) ورد في تفسير هود الهواري ٢ / ٣٨٤ ، بنصه ، وانظر : هـ بلا نسبة في تفسير القرطبي ١٠ / ١٦٧ ، والخازن ٣ / ١٣١ .

(٥) خالد بن باب الربيعي الأحذب ، روى عن شهر بن حوشب وصفوان بن محرز ، وروى عنه أبو الأشهب وحيد بن مهران ، قال أبو زرعة : متروك الحديث . انظر : التاريخ الكبير ٣ / ١٤١ ، والجرح والتعديل ٣ / ٣٢٢ ، وميزان الاعتدال ٢ / ١٥١ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) أخرجه الطبري ١٤ / ١٦٣ من طريق ابن أبي طلحة ، قال : يوصيكم ، وانظر : تفسير الخازن ٣ / ١٣١ ، بنحوه غير منسوب .

ابن مسعود : إن أجمع آية في القرآن لخير وشر هذه الآية^(١) ، وقال أهل المعاني : ذكر الله تعالى في الآية الأولى ، فقال : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، ثم بين في هذه الآية المأمور به والمنهي عنه مجملًا ، فما من شيء يُحتاج إليه في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك إلا وقد اشتملت عليه هذه الآية^(٢) .

٩١ . قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ . قال المفسرون وأهل العلم : العهد الذي يجب الوفاء به فهو الذي يحسن فعله ، فإذا عاهد يجب الوفاء به^(٣) ، قال ابن عباس في هذه الآية : والوعد من العهد^(٤) ، وقال ميمون بن مهران : من عاهدته فف له بعهدة مسلمًا كان أو كافرًا ؛ فإنما العهد لله^(٥) .

(١) أخرجه البخاري ١٦٦ ، ٤٨٩ في الأدب المفرد/الألباني ، باب : الظلم ظلمات ، بنحوه ، والطبري ١٦٣/١٤ ، بنصه وبنحوه ، والطبراني في الكبير ٩/١٤٢ ، من طرق عدة بنصه وبنحوه ، والحاكم ، تفسير النحل ٢/٣٥٦ ، بنصه ، وقال : على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الشعب ٢/٤٧٣ ، بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/١٦٢ أ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/٣٩ ، وابن عطية ٨/٤٩٣ ، وابن الجوزي ٤/٤٨٤ ، والفخر الرازي ٢٠/١٠٠ ، والخازن ٣/١٣١ ، والدر المنثور ٤/٢٤١ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور ومحمد بن نصر في الصلاة ، وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) انظر : تفسير الخازن ٣/١٣١ ، بنصه ، وحُلَّ الآية على العموم أولى من التخصيص ، خاصة أن بعض الروايات ضعيفة ، وقد صَعَّفَ الفخر الرازي تخصيص الآية بها ورد من أقوال منسوبة أو مطلقة ، ورأى أن تخصيص الآية تحكُّم من دون داع أو دليل ، وقبله ضعف ابن عطية القول الأول في تفسير العدل والإحسان لكونه مخالفًا لتفسير الرسول ﷺ للإحسان ، وعزا ذلك إلى احتمال ضعف الأثر عن ابن عباس ، وقال : فإن صح هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما -وقد صح- فإنما أراد أداء الفرائض مكملًا . انظر : تفسير ابن عطية ٨/٤٩٤ ، والفخر الرازي ٢٠/١٠١ ، وتفسير القرطبي ١٠/١٦٦ .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/٤٣٣ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/٤٨٤ ، بنصه .

(٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/١٠٦ ، بنصه ، وبلا نسبة في تفسير ابن الجوزي ٤/٤٨٤ .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/١٠٧ ، بنصه ، وأبي حيان ٥/٥٣٠ .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْضُوا أَلَيْمَنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ . قال مجاهد : يعني تغليظ الحلف^(١) ، وقال ابن عباس بعد تشديدها^(٢) ، وإنما قال : بعد توكيدها؛ فرقاً بين الأيمان المؤكدة بالعزم والعقد ، وبين لغو اليمين^(٣) .

قال أبو إسحاق : يقال : وَكَّدْتُ وَأَكَّدْتُ لغتان جيدتان ، والأصل الواؤ والهمزة بدل منها^(٤) .

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ ، هذه واو الحال؛ أي لا تنقضوها ، وقد جعلتم الله كفيلاً عليكم بالوفاء ، وذلك أن من حلف بالله تعالى فكأنه أكفل الله تعالى بالوفاء بما حلف عليه^(٥) ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ قال ابن عباس : يريد لا يخفى عليه شيء^(٦) .

٩٢. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا﴾ . قال ابن عباس : هي امرأة من قريش كان لها وسوسة ، وكانت تغزل عند الحجر يومها ثم تغدو فتنفضه^(٧) ، وقال الكلبي : كان يقال لها : رابطة ، وقيل :

(١) تفسير مجاهد ٤٢٤ ، بنحوه ، أخرجه الطبري ١٦٤ / ١٤ ، بنحوه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٠١ / ٤ ، بنحوه ، والدر المنثور ٢٤٢ / ٤ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢٤٩ / ٢ ، وهود الهواري ٣٨٤ / ٢ ، والثعلبي ١٦٢ / ٢ ، والبغوي ٣٩ / ٥ ، وابن الجوزي ٤٨٤ / ٤ ، وأخرجه الطبري ١٦٤ / ١٤ بلفظه عن قتادة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢٤٢ / ٤ ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة .

(٣) نقله الفخر الرازي والقرطبي بنصه من دون عزو . انظر : تفسير الفخر الرازي ١٠٧ / ٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٧٠ / ١٠ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢١٧ / ٣ ، بنصه .

(٥) نقله الفخر الرازي بنصه تقريباً من دون عزو . انظر : تفسير الفخر الرازي ١٠٨ / ٢٠ .

(٦) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيبسي ٤٣٣ / ٢ ، بنصه .

(٧) ورد بنحوه بلا نسبة في تفسير ابن عطية ٥٠٠ / ٨ ، والتعريف والإعلام بما أهم في القرآن للسهيلى ١٧٢ ، وعُزِّي إلى المهدي في تفسير مبهمات القرآن للبلنسي ١١٥ / ٢ ، بنحوه ، وعُزِّي إلى السدي في مُفحِّمات الأقران ٩٧ ، مختصراً .

رَيْطَة^(١)، وتُلَقَّب جعر^(٢)، وكانت حمقاء تغزل الغزل هي وجواربها،
فإذا غزلت وأبرمت أمرتهن فنقضن ما غزلن^(٣).

(١) قال ابن الأنباري: واسمها ريطه بنت عمرو المريّة. تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٨٥، وفي تفسير أبي حيان ٥/ ٥٣١ أنها بنت سعد بن تيم، وفي المبهمات في القرآن للبلنسي ٢/ ١١٥: أنها بنت سعد بن زيد بن مناة بن تميم بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة، ولم يظهر لي إن كانت صحابية أم لا، ولم يتبين لي إن كانت هي رَيْطَة أو رائطة بنت الحارث بن جُبيلة بن سعد بن تيم بن مرة القرشية، وقد ذكرت - من دون الإشارة إلى قصة الغزل - في الاستيعاب ٤/ ٤٠٤، وأسد الغابة ٧/ ١٠٥، والإصابة ٤/ ٢٩٩.

(٢) في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٦ ب، والتعريف والإعلام ١٧٢: (جعراة)، وفي تفسير مبهمات القرآن للبلنسي ٢/ ١١٥: (الجعرانية)، وفي تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٣ ب: (جَعْر)، وفي تفسير الماوردي ٣/ ٢١١: (جعدة)، وفي تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٨٥: (جعراء)، وكلمة (جعر) تستعمل في الذم ووصف الدُّبر والرجيع، يقال: جَعَرَ الكلبُ جَعْرًا يَجْعَرُ، والجاعران حيث يَكوى من الحمار من مؤخّره، وفي اللسان: والجعرى: كلمة يلام بها الإنسان؛ كأنه يُنسب إلى الاست، وبنو الجعراء: حيٌّ من العرب يُعَيرون بذلك، وقال ابن السكيت: تُشتم المرأة، فيقال لها: قومي جَعَارٍ، تُشَبّه بالضبع. انظر: مقاييس اللغة ١/ ٤٦٣، واللسان (جعر) ٢/ ٦٣٣.

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٢ ب، بنحوه، وانظر: تفسير البغوي ٥/ ٣٩، والهازن ٣/ ١٣٣، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٢١، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٦ ب، ومعاني القرآن للقرّاء ٢/ ١١٣، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٢، وتفسير الطوسي ٦/ ٤٢١، والزمخشري ٢/ ٣٤٢، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٥، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠٨، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧١ وسواءً تعينت هذه المرأة - كما في رواية الكلبي - أم لم تعين كما في رواية ابن عباس، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والمقصود من الآية تشبيه الناقضين للعهود مع الله تعالى أو مع الرسول ﷺ أو مع خلقه بهذه الحالة العجيبة التي يستنكرها العقلاء، تنفيراً لهم من هذا الخلق الذميمة والفعل الشنيع.

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ﴾ . قال مجاهد : من بعد إمرار^(١) وقتل^(٢) ، يعني من بعد قوة للغزل ، بإمرارها^(٣) وقتلها .

وقوله تعالى : ﴿ أَنْكَثًا ﴾ قال : واحدها نَكَثٌ ، وهو الغَزْلُ من الصوف والشَّعْرُ ؛ يُبْرَمُ وَيُنْسَجُ ، فإذا أخلقت النَّسِيجَةَ ، قُطِعَتْ وَنُكِثَتْ خُيُوطُهَا المُسْبَرمة وَخُلِطَتْ بالصوفِ وَمِيشَتْ^(٤) ، ثم غُزِلَ ثانية ، والنَّكْثُ المصدر ، ومن هذا قيل : نَكَثَ فلانٌ عَهْدَهُ إذا نقضه بعد إحكامه ، كما يُنْكَثُ خِيطُ الصوف بعد إبرامه^(٥) ، وأنشد أبو عبيدة^(٦) للمسيَّب بن عَلس^(٧) :

عن غيرِ مَقْلِيَةٍ وَأَنْ جَبَّالَهَا لَيْسَتْ بِأَنْكَاثٍ وَلَا أَقْطَاعٍ^(٨)

(١) في (ش) و(ع) : (إبرام) ، وكلاهما صحيح ؛ لأن معنهما واحد ، ففي اللغة : المِرَّةُ : شِدَّةُ القَتْلِ ، والمَسَرِير : الحبلُ المُفْتُول ، أَمَرَزْتُهُ إِمْزَارًا وَقَتَلَ الحبلَ فَتَلًا : لَوَاهُ وَبَرَّمَهُ ، والبرمة : اسم من إبرام الحبل ، وبرمتُ الحبلَ وأبرمته ، والمِبْرَمُ : شيءٌ كالمِغْزَلِ . انظر : المحيط في اللغة (مر) ١٠ / ٢١٨ ، (برم) ١٠ / ٢٤٢ ، والمعجم الوسيط ٢ / ٦٧٣ .

(٢) تفسير مجاهد ٤٢٤ ، بنحوه ، أخرجه الطبري ١٤ / ١٦٦ ، بنحوه من طريقين ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨ / ٥٠١ ، وأبي حيان ٥ / ٥٣١ .

(٣) في (ش) و(ع) : (بإمرارها) ، والمعنى واحد كما سبق .

(٤) في (ش) و(ع) : (وَنُفِشَتْ) ، ومعنى (المِيشُ) : خَلَطَ الصُّوفَ والشَّعْرَ . المحيط في اللغة (ميش) ٧ / ٤٠٠ .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (نكث) ٤ / ٣٦٥٨ ، بنحوه ، وانظر : اللسان (نكث) ٨ / ٤٥٣٦ ، والتاج ٣ / ٢٧٣ .

(٦) في النسخ جميعها : أبو عبيد ، والصحيح المثبت .

(٧) زهير بن عَلس ، ولقبه المَسَيَّب ، وهو خال الأعشى ، وكان الأعشى راويته ، وهو جاهلي ولم يدرك الإسلام ، عدّه الجُمُحِي في الطبقة السابعة من فحول شعراء الجاهلية ، وكان من المُقْلِينَ . انظر : طبقات فحول الشعراء ١ / ٢١ ، والشعر والشعراء ٩٥ ، وشرح اختيار المفضل ١ / ٣٠٢ ، والخزانة ٣ / ٢٤٠ .

(٨) مجاز القرآن ١ / ٣٦٧ ، وورد برواية : (بأرمام) بدل (بأنكاث) ، في المفضليات ٦١ ، وأمالى القالي ٣ / ١٣٠ ، وشرح اختيارات المفضل ١ / ٣٠٤ ، وفي كل المصادر ما عدا الأمالي : (من) بدل (عن) .

المقلية : البغض ، حبّالها : ما احتلبته من مودة ، حبْلُ أرمام ، وحبْلٌ أَقْطَاعٌ : إذا كان قِطْعاً مُوَصَّلاً . =

قال أبو إسحاق: ﴿أَنْكَثْنَا﴾ منصوب؛ لأنه بمعنى المصدر؛ لأن معنى نكثت: نَقَضْتُ، ومعنى نقضت: نكثت^(١)، وهذا غلط منه لأن الأنكاث جمع نكث، وهو^(٢) اسم لا مصدر، فكيف يكون الأنكاث بمعنى المصدر؟ ولو كان^(٣) نكثاً لصح ما قال، ولكن أنكاثاً مفعول ثانٍ، كما تقول: كسره أقطاعاً، وفرقه أجزاءً على معنى جعله أقطاعاً وأجزاءً^(٤)، وهاهنا تم الكلام، والآية متصلة بما قبلها، والمعنى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ فتكونوا إن فعلتم كامراً غزلت غزلاً وقوت مِرَّتَهُ فلما اسْتَحْكَمَ نقضته فجعلته أنكاثاً، وهذا كلام [ابن]^(٥) قتيبة^(٦)، ثم قال: ﴿نَتَّخِذُوكَ أَيْمَنُكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ الدَّخْلُ والدَّغْلُ: الغش والخيانة^(٧)، قال الليث: ويخفف الدَّخْلُ وَيُثْقَلُ^(٨)، قال الفرَّاء: يعني دَغْلًا وخديعة^(٩).

والشاعر يخاطب نفسه معاتباً إياها على الرحيل من أرض سلمى وديارها ولمَّا يستمتع بها أو يرى منها مكروهاً، ويواصل عتابه في هذا البيت قائلاً: آثرت ذلك، وهوى النفس كما كان لم يتسلط عليه تحيُّفٌ، وحبل الوصل برُمته لم يضعُف.

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢١٧/٣، بنصه.

(٢) في (د): (وهم).

(٣) (كان) ساقطة من (د).

(٤) نقله الفخر الرازي ١٠٨/٢٠، وعزاه إلى الواحدي.

(٥) ساقطة من النسخ جميعها.

(٦) تأويل مشكل القرآن ٣٨٦، بنصه تقريباً.

(٧) ورد في تفسير الثعلبي ١٦٢/٢ ب، بنحوه، والطوسي ٤٢١/٦، بنحوه، ونقله الفخر الرازي

١٠٨/٢٠، بنصه وعزاه إلى الواحدي. وانظر: تهذيب اللغة (دخل) ١١٥٩/٢، والصحاح

١٦٩٦/٤، واللسان ١٣٤٢/٤.

(٨) ورد في تهذيب اللغة (دخل) ١١٥٩/٢، بنحوه.

(٩) معاني القرآن للفرَّاء ١١٣/٢، بنصه.

[وقال الزَّجَّاجُ أَي غَشًّا وَغَلًّا، وكل ما دخله عيب قيل : هو مَدْخُول، وفيه دَخَلَ، قال : و﴿دَخَلًا﴾ منصوب^(١)؛ لأنه مفعول له، والمعنى : تتخذون أيمانكم للغش والدَّغْل^(٢)، قال غيره : الدَّخَلَ : ما أُدْخِلَ في الشيء على فساد^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ ، أَرْبَى ؛ أي أكثر، من رَبَا الشيء يُرَبُّو إذا كثر^(٤)، قال مجاهد : كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعزّ، فينقضون حلف هؤلاء، ويحالفون هؤلاء الذين هم أعزّ، فنهوا عن ذلك^(٥)، والمعنى : بأن يكون أو لأن يكون، فموضع (أن) نصب بإسقاط الخافض، على قول من نصب، [ومن أبقى حُكْمَ الخافض]^(٦) قال موضعه خفض، قال ابن قتيبة أي لأن يكون قوم أغنى من قوم، وقوم أعلى من قوم، تريدون أن تَقْتَطِعُوا بأيمانكم حقوقاً لهؤلاء، «فتجعلوها لهؤلاء»^(٧)، وقال الفرّاء : معناه لا تغدروا بقوم لقلتهم وكثرتكم أو قللتكم وكثرتهم، وقد غَرَّرْتُمُوهم بالأيمان فسكنوا إليها^(٨) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (د) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢١٧/٣، بتصرف يسير بالتقديم والتأخير .

(٣) ورد في تفسير الطوسي ٤٢١/٦، بنصه، وقال : وإنما قيل : الدخل؛ لأنه داخل القلب على ترك الوفاء، والظاهر على الوفاء .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (ربا) ١٣٣٤/٢، والمحيط في اللغة (ربو) ١٥٤٥/٣، واللسان (ربا) .

(٥) تفسير مجاهد ٣٥١، بنصه، وأخرجه الطبري ١٦٧/١٤ بنصه من طريقين، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٠٣/٤، بنحوه، وتفسير السمرقندي ٢٤٨/٢، بنحوه، وهود الهواري ٣٨٥/٢، بنصه، والثعلبي ١٦٢/٢، بنحوه، والطوسي ٤٢٢/٦، بنصه، وانظر : تفسير البغوي ٤٠/٥، وابن الجوزي ٤٨٦/٤، والفخر الرازي ١٠٩/٢٠، وابن كثير ٦٤٤/٢، والدر المنثور ٢٤٣/٤، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .

(٧) تأويل مشكل القرآن ٣٨٦، بنصه، وما بين التنصيص مصوّب من المصدر، وفي النسخ : (فتجعلونها كهؤلاء) .

(٨) معاني القرآن للفرّاء ١١٣/٢، بنصه .

وبيان هذه الجملة : أن القوم إذا عاهدوا قوماً أكثر من الذين عاهدوا ، فهم أمة أربى من أمة ، لا يجوز لهم أن يغدروا ، وكذلك إن كان على القلب من هذا^(١) وعاهدوهم ، دخلوا في حلفهم خوفاً منهم لم يجوز لهم الغدر ، وتلخيص التأويل : النهي عن أن يحلف على ما هو منطوق على خلافه وأن يغتر غيره بيمينه .

وقوله تعالى : ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ ﴾ ظاهره إخبار ومعناه النهي ، والتقدير : لا تكونوا كتلك المرأة متخذين أيمانكم للغش ، بأن يكون قوم أكثر من قوم ، قال الفراء : وموضع ﴿ أَرَبْنِ ﴾ نصب ، وإن شئت رفعت ، كما تقول : أظن رجلاً يكون هو أفضل منك ، و(أفضل) نصب على العمد^(٢) ، والرفع على أن تجعل (هو) اسماً^(٣) ، قال الزجاج : موضع ﴿ أَرَبْنِ ﴾ رفع ولا يجوز أن تكون نصباً ، وهي تكون عماداً ؛ لأن العماد والفصل لا يكون مع النكرات وإنما يكون مع المعارف ، كقوله : ﴿ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ ﴾ [المزمل : ٢٠] ، والهاء في تجدوه معرفة ، و﴿ أُمَّةٌ ﴾ هاهنا نكرة^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتْلُوَكُمْ اللَّهُ يَهْءِءُ ﴾ ؛ أي بما يأمركم وينهاكم ، وقد تقدّم ذكر الأمر والنهي ، والكناية راجعة إلى الأمر ؛ أي يختبركم الله بالأمر بالوفاء ، وقال بعضهم : الكناية راجعة إلى التكليف^(٥) ، وأمره ونهيه بمعنى التكليف ،

(١) أي على العكس من الحالة الأولى ؛ بأن كانوا هم الأكثر والأقوى .

(٢) العماد تسمية كوفية لضمير الفصل ، سمي بذلك لأنه يعتمد عليه في التفرقة بين النعت والخبر ؛ إذ يأتي ليبين أن ما بعد المبتدأ هو الخبر لا التابع ، وله شروط . انظر : البيان في غريب إعراب القرآن ٨٣ / ٢ ، والدر المصون ٧ / ٢٨٢ ، ومعجم القواعد العربية للدقّر ٢٩٤ ، والمعجم المفصل في النحو العربي ٦٩٦ / ٢ ، ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية ١٧٣ .

(٣) معاني القرآن للفراء ١١٣ / ٢ ، بنصه .

(٤) ليس في معانيه ، وورد في تفسير الطوسي ٤٢١ / ٦ ، بنحوه .

(٥) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٤٨٦ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ١٧١ ، وأبي حيان ٥ / ٥٣١ .

ومعنى ﴿يَبْلُوكُمْ﴾ : يعاملكم معاملة المختبر ، وذكرنا هذا في قوله :
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَيَبْيَنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ؛ أي في الدنيا ،
قال المفسرون أي من شأن البعث والقرآن^(١) ، وقال أهل المعاني : هو عام في ما
يقع الاختلاف فيه من الأصول والفروع^(٢) .

٩٣ . قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ . قال ابن عباس :
يريد على ملة وعلى دين واحد^(٣) ، ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ﴾ . قال : يريد الضلالة بعينها والهدى بعينه ، ﴿وَلَسْتَ لَنْ عَمَّا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال : يريد في الدنيا ، وهذه الآية صريحة^(٤) في تكذيب
القدرية ؛ حيث أضاف الضلالة والهداية إلى نفسه ، وجعلها لمن شاء
من خلقه بالمشيئة الأزلية التي لا يجوز عليها الحدوث ، ثم أخبر أنهم
يسألون عن أعمالهم ، فبان أن الأمر على ما أخبر الله تعالى في قوله : ﴿لَا
يُسْأَلُ عَمَّا يَقَعُلْ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ، وقد قال نوف البكالي : قال
[عزير]^(٥) : يا رب تخلق خلقاً فتضل من تشاء وتهدي من تشاء ، فقيل :
يا عزير أعرض عن هذا ، فأعاد ذلك ، فقيل : أعرض عن هذا ، فأعاد

(١) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢ / ٤٣٥ ، بنصه .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢ / ٤٣٥ ، مختصراً .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٩٢ ، بنحوه ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير الطبري ١٤ / ١٦٨ ،
والسمرقندي ٢ / ٢٤٨ ، والثعلبي ٢ / ١٦٢ ب ، والبعوي ٥ / ٤٠ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ١٧٢ ،
والخازن ٣ / ١٣٢ .

(٤) في النسخ جميعها : (صريح) ، وما أثبتته هو الصواب ؛ لكون الآية مؤنثة ، والخبر يتبع المبتدأ في التذكير
والتأنيث .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من النسخ جميعها ، وقد ذكرها الفخر الرازي نقلاً عن الواحدي .

ف قيل : أعرض عن هذا وإلا مُحِيتَ عن التُّبوة ، أنا لا أسئل عما أفعل وهم يسألون^(١) .

٩٤ . قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْخَظُوهَا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾ الآية . استأنف نهياً عن أيان الخديعة والمكر ، تأكيداً للمنع عنها ، ولما ذكر من الوعيد بعدها ، وهو قوله : ﴿ فَزَلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ . قال ابن عباس : يريد تزل عن الإيمان بعد المعرفة بالله ، قال أبو عبيدة : وزليل القدم مثل لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في ورطة بعد سلامة^(٢) ، وأنشد ابن جرير على هذا :

سَيَمْنَعُ مِنْكَ السَّبْقُ إِنْ كُنْتَ سَابِقاً وَتُقْتَلُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمَانُ^(٣)

لم يُرد حقيقة زلة القدم ، ولكن أراد إن تأخر فرسك عن غاية السباق وقعت في ورطة التأخر ، وهذا البيت في قصة رهان داحس^(٤) ، قال المفسرون : وهذا في نهي الذين بايعوا رسول الله ﷺ عن نقض عهده^(٥) ؛ لأن هذا الوعيد إنها يُستحقُّ

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٠٩/٢٠ ، بنصه وعزاه إلى الواحدي ، وليس لهذه الرواية سند ، ويبدو أنها من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب .

(٢) مجاز القرآن ١/٣٦٧ ، بنصه تقريباً .

(٣) تفسير الطبري ١٤/١٦٩ ، برواية : (تُلَطَّعُ) بدل (تُقْتَلُ) ، و(النَّعْلَانِ) بدل (القدمان) ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/١٦٢ ب ، برواية : (تُلَطَّمُ) ، وتفسير القرطبي ١٠/١٧٢ .

(٤) يوم داحس والغبراء من أيام العرب المشهورة ، بدايتها حرب وقعت بين قبيلتي عبس وذبيان ، بسبب خلاف على سباق خيل بين أفراس لحذيفة سيد ذبيان ، وأخرى لقيس بن زهير سيد عبس ، لكنها شملت قبائل أخرى هي شيبان وضبة وأسد وقبائل أخرى ، واستمرت فترة طويلة ، وامتدت حتى بزوغ فجر الإسلام ، وكثرت وقائعها ، واقترن بها شهرة بعض الأبطال ، كعنبرة بن شداد ، وقيل فيها شعر كثير . انظر : أحداث الحرب وأسبابها وملابساتها بالتفصيل في الأغاني ١٧/١٩١-٢١٠ ، والكمال في التاريخ ١/٣٤٣-٣٥٥ ، وتاريخ العرب القديم ٢١٦ .

(٥) ورد بنحوه في تفسير الطبري ١٤/١٦٩ ، وهود الهواري ٢/٤٢٣ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/٤٨٧ ، والفخر الرازي ٢٠/١١٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/١٧٢ ، والخازن ٣/١٣٣ .

في نقض معاهدة رسول الله ﷺ لا^(١) في نقض عهد قبيلة ، [ولكن من عاهد رسول الله ﷺ]^(٢) على الإسلام ونصرة الدين ، ثم نقض العهد سقط عن درجة الإيمان ، يدل على هذا قوله : ﴿ وَتَذَوُّوا السُّوءَ ﴾ ؛ أي العذاب ، ﴿ يَمَّا صَدَدْتُمْ ﴾ ؛ أي بصدكم عن سبيل الله ، (يريد أنهم إذا نقضوا العهد مع النبي ﷺ)^(٣) صدوا الناس عنه واستحقوا العذاب ، فنهوا عن ذلك بذكر الوعيد عليه .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . قال ابن عباس : يريد في الآخرة^(٤) ، وهذا قطع بإيجاب العذاب إن فعلوا ما نهوا عنه ، كأنه قيل : ﴿ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ إن اتخذتم أيمانكم دخلاً ، ودل ما تقدّم من النهي على هذا المحذوف ، ثم زاد تأكيداً ، فقال :

٩٥ . ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ . قال ابن عباس : يريد عرض الدنيا وإن كان كثيراً^(٥) ؛ لأن ما يذهب وبيلي قليل ، وذكرنا ما في هذا عند قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٧٧] . قال المفسرون : يقول : لا تنقضوا عهودكم ، تطلبون بنقضها عوضاً من الدنيا^(٦) ﴿ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ من الثواب على الوفاء ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك ، ثم بين أن ما عنده خير بقوله :

-
- (١) (لا) ساقط من (أ) و(د) .
 (٢) ما بين المعقوفين ساقط من (د) .
 (٣) ما بين التنصيص كتب على هامش لوحة ٢٥٩ ، من نسخة (ع) .
 (٤) انظر : تنوير المقياس ٢٩٢ ، وورد غير منسوب في تفسير الطبري ١٤ / ١٦٩ ، والسمرقندي ٢ / ٢٤٩ ، والزخشي ٢ / ٣٤٣ ، وابن الجوزي ٤ / ٤٨٧ ، وتفسير الألوسي ١٤ / ٢٢٤ .
 (٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ١١١ ، بلا نسبة .
 (٦) ورد بنحوه في تفسير الطبري ١٤ / ١٦٩ ، وانظر : تفسير البغوي ٥ / ٤١ ، وابن الجوزي ٤ / ٤٨٨ ، والخازن ٣ / ١٣٣ .

٩٦. ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾؛ أي يفنى وينقطع ، يعني الدنيا ، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ أي من الثواب والكرامة ، ﴿بَاقٍ﴾ دائم لا ينقطع ، قال ابن عباس : يريد لا ينفد ، كلما أخذت منه وأكلت منه صار مكانه مثله ، فمعنى [لا] ^(١) يفنى هذا ، وهذا ردُّ على من قال : إن نعيم أهل الجنة ينقطع ، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ . قال ابن عباس : يريد على دينهم وعملاً نهاهم الله ^(٢) ، ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يعني الطاعات ، وجعلها أحسن أعمالهم ؛ لأن ما عداها من الحسن مباح ، فما كان مباحاً من العمل فهو حسن ولا يستحق عليه جزاء ^(٣) ، وما كان طاعة لله تعالى فهو الأحسن الذي وعد الله عليه الجزاء ، ومن جزاه الله بأحسن عمله غفر له ذنوبه ، وهذه الآيات زجر عن الأيمان الكاذبة في ما كانت ، وحثُّ على الوفاء بالعهود والأيمان ، وذكر الكلبي : أن هذه الآيات نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي ^(٤) ، وفي خصمه

(١) إضافة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام ، واحتمال أن الجملة انقلبت على النسخ ، وأصلها : «فهذا معنى لا يفنى» .

(٢) ورد بنصه غير منسوب في تفسيره الوجيز ٦١٩/١ .

(٣) إلا إذا انضمت إليه النية الصالحة ، فإنه يصبح عملاً مباحاً متقرباً به إلى الله ، فينال صاحبه الأجر من الله ، كما في حديث «وفي بضع أحدكم صدقة» . أخرجه مسلم (١٠٠٥) ، كتاب : الزكاة ، باب : بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف .

(٤) امرؤ القيس بن عابس الكندي - رضي الله عنه - صحابي ، وفد إلى النبي ﷺ فأسلم ، وثبت على إسلامه ، ولم يكن في من ارتد من كندة ، وكان شاعراً نزل الكوفة في أواخر عمره ، وتوفي بها نحو سنة ٢٥ هـ . انظر : الاستيعاب ١/ ١٩٤ ، وأسد الغابة ١/ ١٣٧ ، والأعلام ٢/ ١١ .

عيدان بن أشوع^(١)؛ كان يدّعي عليه أرضاً اقتطعها له ، وأراد امرؤ^(٢) القيس أن يحلف ، فلما سمع هذه الآيات بكى وأقرّ له بحقه^(٣) .

٩٧ . قوله تعالى : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً ﴾ . قال ابن عباس في رواية أبي الربيع^(٤) وأبي مالك : هي الرزق الطيب الحلال^(٥) ، ونحو هذا روى الكلبي عن أبي صالح عنه قال : لنجعلن رزقه حلالاً^(٦) .

وقال في رواية عطاء : يريد عبادة الله وأكل الحلال^(٧) .

- (١) عيدان بن أشوع - رضي الله عنه - هو ربيعة بن عيدان بن ذي العرف بن وائل الكندي ، ويقال : الحضرمي ، شهد فتح مصر ، وله صحبة ، وهو الذي تخاصم مع امرئ القيس في أرض إلى النبي ﷺ . انظر : أسد الغابة ٢/ ٢٦٦ ، والإصابة ٣/ ٥١ .
- (٢) في النسخ جميعها : (امرئ) ، وهو خطأ نحوي ظاهر .
- (٣) أخرج القصة الطبراني في الكبير ١/ ٢٣٣ ، عن الأشعث ، ووردت في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٩ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٨٧ ، عن ابن عباس ، وتنوير المقباس ٢٩٢ ، ووردت بلا نسبة في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٧ ، باختصار ، وهود الهواري ٢/ ٣٨٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٣ .
- (٤) لم أقف عليه .
- (٥) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٦٠ ، بنحوه من طريق أبي الربيع ، والطبري ١٤/ ١٧٠ ، بنحوه بروايات عدة من الطريقين ، وطريق أبي مالك ضعيفة ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٣ ، بنحوه ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦٢ ب بنصه ، والماوردي ٣/ ٢١٢ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٤٢٤ ، بنحوه ، وانظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٤٣ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٥٠٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٨ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٤ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٥٣٤ ، وابن كثير ٢/ ٦٤٥ ، والدر المنثور ٤/ ٢٤٤ وزاد نسبته إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم .
- (٦) لم أقف عليه ، وهي أوهى الطرق إلى ابن عباس .
- (٧) لم أقف عليه ، وهي طريق متقطعة .

وقال في رواية عكرمة : هي القناعة^(١) ، وهو قول القرظي ووهب^(٢) ومجاهد .
وقال في رواية الوالبي : هي السعادة^(٣) .

وقال قتادة : هي رزق يوم بيوم^(٤) .

وكان النبي ﷺ يقول في دعائه : «قنعني بما رزقتني»^(٥) .

وفي ما روى أبو هريرة : أن النبي ﷺ كان يدعو : «اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً»^(٦) .

(١) ورد في معاني القرآن للنحاس ١٠٤/٤ ، بلفظه ، وتفسير الثعلبي ١٦٢/٢ ، بلفظه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/٤٨٨ ، وتفسير القرطبي ١٠/١٧٤ ، وأبي حيان ٥/٥٣٤ ، وابن كثير ٢/٦٤٥ ، وطريق عكرمة جيدة .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/٤٨٨ ، عن وهب ، وتفسير القرطبي ١٠/١٧٤ ، عن وهب ، وتفسير أبي حيان ٥/٥٣٤ ، عن وهب ، وتفسير ابن كثير ٢/٦٤٥ ، عن وهب ، والدر المنثور ٤/٦٤٥ ، ونسبه إلى وكيع في الغرر عن القرظي .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/١٧١ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة عن ابن عباس ، ورد في تفسير الثعلبي ٢/١٦٢ ، بلفظه ، وتفسير الماوردي ٣/٢١٢ ، بلفظه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/٥٠٦ ، وابن الجوزي ٤/٤٨٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/١٧٤ ، والدر المنثور ٥/٦٤٥ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) انظر : تفسير أبي حيان ٥/٥٣٤ ، وتفسير الخازن ٣/١٣٣ ، بلا نسبة .

(٥) جزء من دعاء النبي ﷺ ، رواه ابن عباس رضي الله عنهما ، وطرفه : «اللهم قنعني . . .» ، وقد أخرجه السهمي في تاريخ جرجان ٩١ ، والحاكم ، كتاب الدعاء ١/٥١٠ ، والتفسير : النحل ٢/٣٥٦ ، وقال : «صحيح» ، ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الشعب ٧/٢٩١ ، وورد في تفسير الفخر الرازي ٢٠/١١٢ ، وتلخيص الخبير ٢/٢٤٨ ، والدر المنثور ٥/٦٤٥ ، وزاد نسبه إلى ابن جرير - لم أقف عليه - وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وتفسير الألوسي ١٤/٢٢٧ .

(٦) أخرجه مسلم (١٩/١٠٥٥) ، كتاب : الزهد والرقائق بنصه ، وورد في الكنز ٦/٤٩٠ ، ٦١٢ ، وأخرجه برواية : (قوتاً) بدل (كفافاً) . أحمد ٢/٤٤٦ ، ٤٨١ ، والبخاري ٦٤٦٠ : الرقاق/ كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه ، وتخليهم عن الدنيا ، ومسلم ١٠٥٤ : الزكاة/ في الكفاف والقناعة ، والترمذي ٢٣٦٢ ، كتاب : الزهد/ ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله ، وابن ماجه ٤١٣٩ ، كتاب : الزهد/ القناعة ، والبيهقي في : السنن : النكاح/ ما أمره الله تعالى به من اختيار الآخرة ٧/٤٦ ، والشعب ٧/٢٩١ ، والدلائل : باب زهده في الدنيا وصبره على =

فقول من قال : إنه القناعة ، حسن مختار؛ لأنه لا يطيب في الدنيا إلا عيش القانع ، والمكدود بطلبها لا تطيب حياته^(١) .

وقال السدي : ﴿ حَيَوَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ يعني في القبر^(٢) .

قال الحسن وسعيد بن جبير : ﴿ حَيَوَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ في الآخرة^(٣) ، فعلى هذا هذه الحياة في الجنة ، روى عوف^(٤) عن الحسن قال : لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة^(٥) .

٩٨ . قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ الآية . قال الزَّجَّاج وجميع أصحاب المعاني : معناه : إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ^(٦) ، ليس

القول ١/ ٣٣٩ ، وفي باب دعائه لأهله وهو يريد نفسه ٦/ ٨٧ ، وورد في الشفا ١/ ٢٧٨ ، والكنز ٦/ ٤٩٠ .

(١) وهذا القول هو الذي اختاره الطبري وصوّبه . انظر : تفسير الطبري ١٤/ ١٧٢ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١١٣ ، والخازن ٣/ ١٣٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٩ ، عن شريك .

(٣) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٤ ، عن سعيد ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٥٠٦ ، عن الحسن ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٩ ، عنهما ، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٣ ، عنهما .

(٤) عوف بن أبي جميلة العبدي البصري ، المعروف بالأعرابي ، صاحب الحسن وابن سيرين ، ثقة ثبت ، روى عن أبي العالية ، وروى عنه شعبة والقطان ، مات سنة ١٤٧ هـ . انظر : الجرح والتعديل ٧/ ١٥ ، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٢٥ ، والكاشف ٢/ ١٠١ ، وتقريب التهذيب ٤٣٣ ، وتفسير الطبري ، تحقيق شاکر ١/ ١٣٤ .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٧١ ، بنصه وبنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٤ ، بنصه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٩ ، بنصه ، والثعلبي ٢/ ١٦٢ ب ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٢/ ٤٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٤ ، والخازن ٣/ ١٣٣ ، والدر المنثور ٤/ ٢٤٥ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

وهذا قول صحيح ، لكن السياق يدل على أن الحياة الطيبة في الدنيا ، يقابلها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [طه : ١٢٤] ، وهذه المعيشة الضنك هي في الدنيا ، أما الأقوال التي ذكرت أنها : الرزق الحلال ، أو القناعة ، أو السعادة ، . . . فهي من باب التفسير بالمثل ؛ لأن الحياة الطيبة تشمل كل ذلك .

(٦) بعض الكلمات هنا ساقطة من (أ) و(د) .

معناه استعذ بعد أن تقرأ القرآن؛ ومثله إذا أكلت فقل : بسم الله^(١) ، وقد ذكرنا هذا عند قوله : ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦] ، وبيننا حكم (إذا) في وقوع (ما) بعدها مستقبلاً في أوائل سورة البقرة وإجماع الفقهاء أن الاستعاذة تكون قبل القراءة^(٢) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٨ ، بتصرف يسير ، وورد بنحوه في تفسير الطبري ١٤/ ١٧٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٥ ، وتفسير الجصاص ٢/ ١٩١ ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٠ ، والثعلبي ٢/ ١٦٣ ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢١٢ ، والطوسي ٦/ ٤٢٤ ، وانظر : تفسير الكياهراسي ٤/ ١٧٥ ، والبغوي ٢/ ٤٢ ، والزنجشيري ٢/ ٣٤٣ ، وابن عطية ٨/ ٥٠٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٩ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٥ .

(٢) في دعوى الإجماع نظر ، وقد خالفه بعض السلف وكبار الفقهاء ، وإن كان استدلالهم ضعيفاً أو مشكوكاً في نسبته إليهم ، قال الثعلبي : اختلف الفقهاء في وقت الاستعاذة ، فقال أكثرهم : قبل القراءة ، وهذا قول الجمهور ، وهو الصحيح المشهور ، وقال أبو هريرة رضي الله عنه : يتعوذ بعد القراءة ، وإليه ذهب داود ، وقال مالك يتعوذ بعد القراءة ، واحتجوا بظاهر الآية ، وقال الكياهراسي : ونقل عن بعض السلف التعوذ بعد القراءة مطلقاً ، احتجاجاً بالآية ، وقال النووي : وأما محله فقال الجمهور هو قبل القراءة ، وقال أبو هريرة وابن سيرين والنخعي : يتعوذ بعد القراءة ، وكان أبو هريرة يتعوذ بعد فراغ الفاتحة لظاهر الآية ، وقال الجمهور معناه : إذا أردت القراءة فاستعذ ، وهو اللائق السابق إلى الفهم ، وقال القرطبي : روي عن أبي هريرة أن الاستعاذة بعد القراءة ، وقاله داود ، وقال ابن كثير : حكى عن حمزة وأبي حاتم السجستاني أنها تكون بعد التلاوة ، واحتجوا بهذه الآية ، وأبهم ابن العربي القائلين ووصفهم وصفاً قاسياً لا يليق بهم ، قال : انتهى العيُّ بقوم إلى أن قالوا : إن القارئ إذا فرغ من قراءة القرآن حينئذ يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، فهذه الأقوال تجعل دعوى الإجماع غير صحيحة ، بل الصحيح أنه قول الأكثر والجمهور ، كما نص الثعلبي والنووي . انظر : تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٣ ، والكياهراسي ٤/ ١٧٥ ، وابن العربي ٣/ ١١٧٥ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٤ ، وتفسير القرطبي ٨٨/ ١ ، والمجموع ٣/ ٣٢٥ ، وتفسير ابن كثير ١- ١٤/ ١٧ ، ٢/ ٦٤٥ .

وبه وردت الأخبار^(١)، وذهب أبو هريرة - رضي الله عنه - إلى أن الاستعاذة بعد القراءة، وهو مذهب مالك^(٢)، وداود^(٣)، كأنهم أخذوا بظاهر الآية^(٤)، وذلك جهل بمقاييس العربية^(٥).

٩٩. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والمفسرون: ليس له حجة^(٦).

- (١) منها: ما رواه أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر، ثم يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك»، ثم يقول: «الله أكبر كبيراً»، ثم يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه» ثم يقرأ. وقد أخرجه أبو داود ٧٧٥، كتاب: الصلاة، باب: من رأى الاستفتاح بسبحانك، والترمذي ٢٤٢، كتاب: أبواب الصلاة، باب: ما يقول عند افتتاح الصلاة، [قال عمر رضي الله عنه: همزه الموتة؛ وهي الجنون، نفخه: الكبر، نفثه: الشعر. تفسير البغوي ٤٢/٥].
- (٢) وقد استغرب ابن العربي نسبة هذا القول إلى مالك، وقال هذه دعوى عريضة لا تُشبه أصول مالك ولا فهمه، والله أعلم بسر هذه الرواية. انظر: تفسير ابن العربي ١١٧٦/٣.
- (٣) داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، فقيه حافظ، أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، وإليه ينسب المذهب الظاهري، وكان فاضلاً صدوقاً ورعاً، سمع من إسحاق بن راهويه ومسدد بن مسرهد، وعنه: ابنه محمد ويوسف بن يعقوب، من مصنفاته: الإفصاح، الأصول، ولد في الكوفة سنة ٢٠٢هـ، وسكن بغداد، ومات سنة ٢٧٠هـ. انظر: الفهرست ٢٩٩، والأنساب للسمعي ٩٩/٤، ووفيات الأعيان ٢٠٥/٢، وتذكرة الحفاظ ٥٧٣/٢.

- (٤) لا شك أن ظاهر الآية يقتضي ذلك، ولكنه مدفوع ومفسرٌ بفعل النبي ﷺ. يقول الجصاص: يقتضي ظاهره أن تكون الاستعاذة بعد القراءة، ولكنه قد ثبت عن النبي ﷺ وعن السلف الاستعاذة قبل القراءة، وقد جرت العادة بإطلاق مثله. انظر: تفسير الجصاص ١٩١/٢، والمحلى ٣٥٠/٣، وتفسير الكياهراسي ١٧٥/٤، ومن توجيهات القائلين بهذا القول، أن الاستعاذة بعد القراءة هي لوقاية العمل من الحبوط، إذ ربما أورت حسن القراءة العجب في نفس القارئ، والعجب من الشيطان، فكان من المناسب أن يؤمر بالاستعاذة منه. انظر: تفسير ابن كثير ١٤٧-١٤٨.

- (٥) عبارته هذه قاسية، ولا يليق وصف الصحابة وأئمة الأمة بالجهل.

- (٦) تفسير مجاهد ٣٥٢، وأخرجه الطبري ١٧٤/١٤، بلفظه عن مجاهد، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٠٥/٤، بلفظه عن مجاهد، وتفسير الماوردي ٢١٣/٣، بلفظه عن مجاهد، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٤٩٠/٤، عن مجاهد، وتفسير القرطبي ١٧٥/١٠ عن مجاهد، وورد بلفظه غير منسوب =

وقال أهل المعاني : طريق يتسلط به عليهم^(١) ، وقد بينا هذا عند قوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ في سورة الحجر [٤٢] ، والمختار أن يقال : ليس له سلطان الإغواء ، وهو معنى قول المفسرين : ليس له حجة ؛ أي لا حجة له على المؤمنين في إغوائهم إلى الضلالة .

١٠٠ . ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ﴾ . قال ابن عباس : يطيعونه^(٢) ، يقال : تَوَلَّيْتُهُ ؛ أي أطعته ، وَتَوَلَّيْتُ عَنْهُ ؛ أي أعرضت عنه ، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المائدة : ٥٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ . قال مجاهد : يعني يعدلون برب العالمين^(٣) ، فعلى هذا الكناية في به تعود إلى اسم الله تعالى .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد يطيعونه في الشرك ، وعلى هذا الكناية راجعة إلى الشرك ، وهذا قول الربيع^(٤) ، والمعنى على هذا القول : والذين هم

في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٠ والثعلبي ٢/ ١٦٣ ب ، والطوسي ٦/ ٤٢٥ ، ولم أقف عليه عن ابن عباس وعكرمة .

(١) ورد نحوه في تفسير البغوي ٥/ ٤٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٥ ، وتفسير البيضاوي ٢/ ٢٨٣ ، والخازن ٣/ ١٣٤ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٣٠ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١١٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٤٦ بمعناه عن ابن عباس وعزه إلى الطبري - لم أقف عليه - وابن أبي حاتم ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٧٤ ، بلفظه عن مجاهد وقتادة ، وابن كثير ٢/ ٦٤٦ ، عن مجاهد ، وورد بلفظه بلا نسبة في : تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٠ ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٣٨٨ ، والثعلبي ٢/ ١٦٣ ب ، والبغوي ٥/ ٤٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٩١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٦ .

(٣) تفسير مجاهد ٣٥١ ، بنحوه ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٧٥ ، بنصه وبنحوه ورجحه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٥ ، بنصه ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢١٣ ، بمعناه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٩١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٦ ، والدر المنثور ٤/ ٢٤٦ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وعن الربيع أخرجه الطبري ١٤/ ١٧٥ ، بنحوه ، وورد في تفسير =

بسببه وطاعته في ما يدعو إليه مشركون ، قال صاحب النظم : وهذا كما تقول للرجل إذا تكلم بكلمة مؤدية إلى الكفر : كفرت بهذه الكلمة؛ أي من أجلها وبقولك إياها^(١) ، فلذلك قوله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ﴾ ؛ أي من أجله وحمله إياه مشركون بالله^(٢) .

١٠١ . قوله تعالى : ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ . قال الكلبي وغيره : كان إذا نزلت آية ألين منها ، يقول كفار قريش : والله ما محمد إلا يسخر بأصحابه ، يأمرهم اليوم بأمر وغداً بأمر ، وإنه ليتكذبه ويأتيهم به من عند نفسه ، فأنزل الله : ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾^(٣) ، قال مجاهد : رفعناها وأنزلنا غيرها^(٤) ، وقال قتادة : هو كقوله : ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾^(٥) الآية [البقرة: ١٠٦] ، وقال الفراء : إذا نسخنا آية فيها تشديد مكان آية ألين منها^(٦) ، ومعنى التبديل : رَفْعُ الشيء مع

- = الماوردي ٢١٣/٣ ، بمعناه ، والطوسي ٤٢٥/٦ ، بنحوه ، وانظر : تفسير القرطبي ١٧٦/١٠ ، والدر المنثور ٢٤١/٤ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم .
- (١) ورد بمعناه غير منسوب في الغريب لابن قتيبة ٢٤٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ١٠٥/٤ .
- (٢) ورد في تفسير الثعلبي ١٦٣/٢ ب ، بنحوه .
- (٣) لم أقف عليه منسوباً إلى الكلبي ، وورد منسوباً إلى ابن عباس من طريق أبي صالح وهي طريق الكلبي ، [وهي ضعيفة] ، وانظر : تفسير السمرقندي ٢٥٠/٢ ، بنحوه عن ابن عباس ، وابن الجوزي ٤٩١/٤ ، عن أبي صالح عن ابن عباس ، والفخر الرازي ١١٦/٢٠ ، عن ابن عباس ، وورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ٢٠٧/١ ب ، بنحوه ، وتفسير هود الهواري ٣٨٨/٢ ، بمعناه عن الحسن ، والثعلبي ١٦٣/٢ ب ، بنحوه ، والبغوي ٤٣/٥ ، والزنجشري ٣٤٤/٢ ، والخازن ١٣٤/٣ .
- (٤) تفسير مجاهد ٤٥٢ ، بنصه ، أخرجه الطبري ١٧٦/١٤ ، بنصه وبنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٠٦/٤ ، بنحوه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٦٤٦/٢ .
- (٥) أخرجه الطبري ١٧٦/١٤ ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٦٤٦/٢ .
- (٦) معاني القرآن للفراء ١١٣/٢ ، بنصه .

وضع غيره مكانه^(١)، وتبديل الآية : رفعها^(٢) بآية غيرها ، وهو نسخها بآية سواها .

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ﴾ ؛ أي من النسخ والمنسوخ ، والتغليظ والتخفيف ، هو أعلم بجميع ذلك في مصالح العباد ، وهذا اعتراض دخل في الكلام يتضمن توبيخ الكفار على قولهم : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ ؛ أي إذا كان هو أعلم بما ينزل ، ما بالهم ينسبون محمداً إلى الافتراء لأجل التبديل والنسخ .

وقوله تعالى : ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ؛ أي لا يعلمون حقيقة القرآن ، وفائدة النسخ والتبديل في أن ذلك لمصلحة العباد ، كالاتصال بإرسال نبي بعد نبي ، والكلام في ذكر أكثرهم دون جميعهم قد مضى في موضعين من هذه السورة^(٣) .

١٠٢ . قوله تعالى : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾ ؛ أي نزل به ؛ أي بالقرآن ﴿رُوحَ الْقُدُسِ﴾ وهو جبريل ، ومضى تفسير روح القدس في سورة البقرة [٨٧] ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ . (من) صلة للقرآن ؛ أي نزل القرآن من ربك ؛ أي من كلام ربك جبريل ، ﴿بِالْحَقِّ﴾ ؛ أي بالأمر الحق الصحيح الثابت لا الباطل ، ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بما فيه من الحجج والآيات ، فيزدادوا بها تصديقاً و يقيناً .

وقوله تعالى : ﴿وَهَدَى﴾ ؛ أي وهو هدى ، فهو خبر ابتداء محذوف .

١٠٣ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ ، اختلفوا في هذا البشر الذي نسب المشركون النبي ﷺ إلى التعليم منه ، فقال

(١) انظر : المحيط في اللغة (بدل) ٣١٨/٩ ، واللسان ٢٣١/١ ، وتفسير الفخر الرازي ١١٦/٢٠ ،

وتفسير القرطبي ١٧٦/١٠ .

(٢) في النسخ جميعها : (ورفعها) بزيادة (و) ، والصواب ما أثبتته كما في تفسير الفخر الرازي ١١٦/٢٠ .

(٣) عند آية : [٧٥] و [٨٣] .

ابن عباس في رواية عكرمة : هو عَبْدُ لَبْنِي عامر بن لُؤْيٍ ، يقال له : يعيش^(١) ، وهذا قول قتادة إلا أنه قال : كان لبني الحضرمي ، وكان يقرأ الكتب ، وقال في رواية عطاء : يريد عداس ؛ غلام عتبة بن ربيعة^(٢) .

وروى طلحة بن عمرو^(٣) عن عطاء أن خديجة^(٤) كانت تختلف إلى صَيْقَلٍ^(٥) على الصفا والمروة ؛ عبد لبني الحضرمي صاحب كتب ، فكانت تجربها بما كان يرى محمد ﷺ ، فكان يقول لها : لئن كنت صادقة ليوشكن نبي العرب أن يخرج ، وكان اسمُه جَبْرٌ ، وكانت قريش تقول : إنما عبد بني الحضرمي يعلم خديجة ،

(١) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٩٢ ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٧٨ ، بنحوه عن عكرمة ، وفيه أنه غلام لبني المغيرة ، وأخرجه بنصه عن قتادة ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٦ ، بنصه عن عكرمة ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦٣ ب ، بنصه عن عكرمة و قتادة ، لكنه قال : لبني المغيرة ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٤٤ ، عن عكرمة ، وابن عطية ٨/ ٥١٠ ، عن عكرمة ، والقرطبي ١٠/ ١٧٧ ، عن عكرمة ، والخازن ٣/ ١٣٥ ، عن عكرمة ، وابن كثير ٢/ ٦٤٦ ، عن عكرمة و قتادة ، والدر المنثور ، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم عن قتادة .

(٢) ورد بلا نسبة في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٨٩ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٨ ، والخازن ٣/ ١٣٥ .

(٣) في النسخ جميعها : (طلحة بن عمرو) ، وفي تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥١ : (طلحة بن عمير) ، ولم أجد له ترجمة ، والصحيح المثلث كما في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٤ أ ، ويؤيده أن طلحة هذا مشهور الرواية عن عطاء ، وصفه الذهبي بصاحب عطاء . وطلحة بن عمرو : هو الحضرمي المكي ، روى عن عطاء وسعيد بن جبير ، وروى عنه الثوري ووكيع ، وهو ضعيف بل متروك ، كما قال أحمد والنسائي ، مات سنة ١٥٢ هـ . انظر : الجرح والتعديل ٤/ ٤٧٨ ، وميزان الاعتدال ٣/ ٥٤ ، والكاشف ١/ ٥١٤ ، وتقريب التهذيب ٢٨٣ ، (٣٠٣٠) .

(٤) أم المؤمنين ، خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية - رضي الله عنها - أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ، وكان ذلك قبل البعثة بخمس عشرة سنة ، وهي أول من أسلم على الإطلاق ، وكانت امرأة موسرة ، وهي أم أولاد النبي ﷺ ، ومناقبها كثيرة معروفة ، توفيت بعد البعثة بعشر سنين ، وهي بنت خمس وستين سنة . انظر : الاستيعاب ٤/ ٣٧٩ ، وأسد الغابة ٧/ ٧٨ ، والإصابة ٤/ ٢٨١ .

(٥) الصَّقْلُ : مصدر صَقَلْتُ السيفَ والثوبَ ، والصَّيْقَلُ : صَقَلَ السيفُ أي شَحَّذَ السُّيُوفَ وجَلَّأَها ، والجمع : صياقل وصياقلة . انظر : جمهرة اللغة (صقل) ٢/ ٨٩٤ ، وتهذيب اللغة ٢/ ٢٠٣٥ ، واللسان ٤/ ٢٤٧٤ .

وتعلم خديجة محمداً، زاد شبل : وكان يتكلم بالرومية^(١)، وهذا قول مجاهد وابن إسحاق^(٢).

وروي عن ابن عباس أنه قال : هذا كان قيناً^(٣) بمكة نصرانياً أعجمي اللسان اسمه بَلْعَامُ^(٤).

وقال السدي : هو رجل نصراني كان بمكة، يقال له : أبو ميسرة، يتكلم بالرومية^(٥).

-
- (١) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥١، بنحوه، والثعلبي ٢/ ١٦٤، بنحوه.
- (٢) تفسير مجاهد ٣٥٢، مختصراً، وليس فيه ذكر خديجة رضي الله عنها، وسيرة ابن هشام، بنحوه، من دون ذكر خديجة رضي الله عنها. وأخرجه الطبري ١٤/ ١٧٨، ١٧٩، عنها بنحوه من دون ذكر خديجة رضي الله عنها، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٦، مختصراً عن مجاهد، وتفسير هود الهواري ٢/ ٣٨٩، عن مجاهد مختصراً، وورد بنحوه منسوباً إلى ابن إسحاق في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٤، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٤٤، عن ابن إسحاق، وابن عطية ٨/ ٥١٠، عن ابن إسحاق، والقرطبي ١٠/ ١٧٧، عن ابن إسحاق، والخازن ٣/ ١٣٥، عن ابن إسحاق، والدر المنثور ٤/ ٢٤٧، وزاد نسبه إلى آدم بن أبي إياس وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب، عن مجاهد.
- (٣) قال الليث : الْقَيْنُ : الْحَدَّادُ، وقيل : كُلُّ صَانِعٍ قَيْنٌ، وقيل : كل عامل بالحديد عند العرب قَيْنٌ، والجمع قُيُونٌ وأَقْيَانٌ، وقال الليث : الْقَيْنُ وَالْقَيْنَةُ : الْعَبْدُ وَالْأَمَةُ. انظر : تهذيب اللغة (قين) ٣/ ٢٨٦٦، والمحيط في اللغة ٦/ ٣٥، واللسان ٦/ ٣٧٩٨.
- (٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٧٧، بنحوه من طريق مجاهد جيدة، ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٣، بنحوه، والطوسي ٦/ ٤٢٧، بنحوه، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٤٤، وابن عطية ٨/ ٥١٠، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٣، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٨، والخازن ٣/ ١٣٥، وأبي حيان ٥/ ٥٣٦، والدر المنثور ٤/ ٢٤٧، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه، بسند ضعيف.
- (٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٤، بنحوه، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١١٧، بلا نسبة، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٨، عن ابن قتيبة، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٤٧ وعزه إلى ابن أبي حاتم عن السدي، لكنه قال : واسمه : (أبو يسر)، وفي الإصابة ١/ ١٦٥ : (أبو البشر)، فلعلها تصحفت من (أبو ميسرة).

وقال الكلبي: هو عايش غلام حويطب بن عبد العزى، ويسار، أبو فكيهة مولى ابن الحضرمي، وكانا قد أسلما فأنزل الله تعالى رداً عليهم وتكذيباً لهم في ما قالوا: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾^(١).

معنى الإلحاد في اللغة: الميل، يقال: لَحَدَ وَأَلْحَدَ؛ إذا مال عن القصد، ومنه يقال للعادل عن الحق: ملحد^(٢)، وقراءة العامة ضم الياء من الإلحاد^(٣) وهو أشهر اللغتين، وقرئ بفتح الياء من لحد^(٤)، والأولى ضم الياء؛ لأنه لغة التنزيل^(٥)، يدل عليه قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ [الحج: ٢٥]، والإلحاد قد يكون بمعنى: الإمالة، ومنه يقال: أَلْحَدْتُ لَهُ لَحْدًا إذا حفرته في جانب القبر مائل عن الاستواء،

(١) أخرج الطبري ١٧٧/١٤، نحوه من طرق عن عبدالله بن مسلم الحضرمي، لكنه قال: كان يقال لأحدهما: يسار، والآخر: جبر، وكانا يقرآن التوراة، وورد هذا الخبر في الإصابة ٢٢١/١، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وعبد بن حميد، وقال: ولم يذكر أنها أسلما. وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ٢٠٧/١، أنه أبو فكيهة، ومعاني القرآن للقرآء ١١٣/٢، أنه عايش، وتفسير الطوسي ٤٢٧/٦ أنه عايش أو يعيش، وتفسير القرطبي ١٧٨/١٠، عنهما. وهذه الأقوال في اسم البشر المعني -وقد بلغت تسعة عند ابن الجوزي- لا تعارض بينها -كما قال النحاس في معانيه؛ لجواز أن يكونوا قد أواموا إلى هؤلاء جميعاً؛ بسبب تخطيهم وحيرتهم في الطعن في القرآن، ولاحتيال مجالسة الرسول ﷺ لهؤلاء كلهم لتعليمهم. انظر: معاني القرآن للنحاس ١٠٧/٤، وتفسير ابن الجوزي ٤٩٢/٤.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (لحد) ٣٢٤٢/٤، والمحيط في اللغة ٤١/٣، واللسان ٤٠٥/٧، والتاج ٢٣٧/٥.

(٣) أي: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ من أَلْحَدَ، قرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر. انظر: السبعة ٣٧٥، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٥٩/١، والحجة للقراء ٧٨/٥، والمبسوط في القراءات ٢٢٦، والتيسير ١٣٨، والموضح في وجوه القراءات ٧٤٥/٢.

(٤) أي: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ من لَحَدَ، قرأ بها حزة والكسائي. انظر: المصادر السابقة.

(٥) وكذلك فتح الياء لغة التنزيل؛ فالفتح والضم قراءتان سبعيتان، ليس إحداهما بأولى من الأخرى، ولا فرق حقيقياً في المعنى -بين القراءتين، قال الطبري: وهما عندني لغتان بمعنى واحد. تفسير الطبري ١٧٩/١٤.

وَقَبْرٌ مُلْحَدٌ وَمُلْحُودٌ^(١)، وَفُسِّرَ الإِلْحَادُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْقَوْلَيْنِ، فَقَالَ الْفَرَّاءُ :
يُمِيلُونَ مِنَ الْمِيلِ^(٢).

وَقَالَ الزَّجَّاجُ : لِسَانُ الَّذِي يُمِيلُونَ الْقَوْلَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ^(٣).

وَقَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ أَيُّ يَوْمِئِثُونَ إِلَيْهِ وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُ يُعَلِّمُكَ^(٤).

وقوله تعالى : ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ قال أبو الفتح الموصلي : اعلم أن (ع ج م) إنما وضعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء، وضد البيان والإيضاح، من ذلك قولهم : رجل أعجم وامرأة عجماء، إذا كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما، وكذلك^(٥) العُجْمُ والعَجَمُ، وعَجَمُ الزبيب^(٦) سُمِّيَ لاستتارته وخفائه بما هو عَجَمٌ له، والعجماء : البهيمة؛ لأنها لا توضح عما في نفسها، ومن ذلك تسميتهم صلاتي الظهر والعصر العجماءتين؛ لما كانتا لا يفصح فيهما بالقراءة، قال أبو علي : ومن ذلك : عَجَمَتِ الْعُودَ؛ إما لأنك لما أدخلته لتَعْضَهُ^(٧) وقد أخفيت، وإما لأنك قد ضغطت بعض أجزائه بالعجم، وأدخلت بعضها في بعض فأخفيت، وربما سَمَّتِ^(٨) العرب الأخرس الأعجم، وعُجْمَةُ الرمل^(٩) : أشدُّ تراكمًا، سُمِّيَ

(١) ورد بنحوه في تفسير الطوسي ٤٢٧/٦، وانظر : تفسير الزمخشري ٣٤٥/٢، والفخر الرازي ١١٧/٢٠ بنصه، وتفسير الألوسي ٢٣٣/١٤.

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ١١٣/٢، بنحوه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢١٩/٣، بنصه.

(٤) الغريب لابن قتيبة ٢٥٠/٢، وفيه : (يميلون).

(٥) في النسخ جميعها : (ولذلك)، وهو تصحيف، والتصويب من المصدر، وبه يستقيم المعنى.

(٦) هو النَّوَى الذي في جوفه، الواحدة : عَجْمَةٌ، مثل : قَصْبة وقصب. انظر : اللسان (عجم) ٢٨٢٥/٥.

(٧) في النسخ جميعها : (لبعضه)، والتصويب من المصدر.

(٨) في النسخ جميعها : (سميت)، والتصويب من المصدر.

(٩) أي كثرته، وقيل : آخره، وقيل : ما تعقَّد منه. انظر : اللسان (عجم) ٢٨٢٥/٥.

بذلك لتدخله واستبهاً أمره على سُلاكِه ، يقال : استعجمت الدارُ إذا صَمَّتْ فلم تجب سائلها ، قال امرؤ القيس :

صَمَّ صَداها وعَفَا رَسْمُها واستَعَجَمْتُ عن مَنطِقِ السائلِ^(١)

وأما قولهم : أعجمتُ الكتاب ، فمعناه : أزلت عجمته واستعجابه بالإيضاح والتبين ، وأفعلتُ قد يأتي والمراد به : السَّلْب ، كقولهم : أشكيت ، إذا أزلت ما يشكوه^(٢) ، وهذا الذي ذكرنا هو أصل معنى هذا الحرف^(٣) ، والعرب تسمي كل من لا يعرف لغته^(٤) ولا يتكلم بلسانهم أعجم وأعجمياً ، قال كثير :

وما زالَ كتمانِكَ حتَّى كَأَنِّي بِرَدِّ جَوَابِ السَّائِلِ عَنْكَ أعجمُ^(٥)

قال الفراء وأحمد بن يحيى : الأعجم : الذي في لسانه عجمة وإن كان من العرب ، والأعجمي والعجمي : الذي أصله من العجم^(٦) .

- (١) ديوانه ١٣٣ ، وورد في تهذيب اللغة (صم) ٢/٢٠٥٩ ، (صدي) ٢/١٩٩٤ ، والأساس ٢/١٠١ ، واللسان (صمم) ٤/٢٥٠٢ ، (عجم) ٥/٢٨٢٧ ، (صدي) ٤/٢٤٢٢ ، وورد بلا نسبة في العين (صدي) ٧/١٣٩ : الصَّدَى : ما يرجع من صوت الجبل ، وصَمَّ صداها ؛ أي غدت مقفرة لا حياة بها ولا أنيس ، وهو يصف داراً دَرَسَتْ ، عفا رسمها : أمست وليس لها رسم ولا بها أثر .
- (٢) سر صناعة الإعراب ١/٣٦ ، ٣٧ ، نقل طويل تَصَرَّف فيه بالاختصار والتهذيب .
- (٣) انظر : العين (عجم) ١/٢٣٧ ، وجمهرة اللغة ١/٤٨٤ ، وتهذيب اللغة ٣/٢٣٤٢ ، والمحيط في اللغة ١/٢٧٤ ، واللسان ٥/٢٨٢٧ .

- (٤) هكذا في النسخ جميعها ، والأولى (لغتهم) حتى تنسجم مع السياق .
- (٥) لم أجده في ديوانه ، وورد في الأغاني ١٥/١٦٧ ، منسوباً لنصيب بن رباح أبي محجن مولى عبد الملك المتوفى ١٠٨ هـ ، وقد ورد في شعر نصيب بن رباح ١٢٣ وفيها : (بي الكتان) بدل (كتمايك) ، (برجع) بدل (برَدِّ) .
- (٦) لم أجده في معاني الفراء ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/١١٨ ، بنصه عنها ، وورد نحوه غير منسوب في المحتسب ٢/١٢ ، وتفسير ابن عطية ٨/٥١١ ، قال ابن قتيبة : لا يكاد عوام الناس يفرقون بين العجمي والأعجمي ، والعربي والأعراي ؛ فالأعجمي الذي لا يُفصح وإن كان نازلاً بالبادية ، والعجمي : منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً ، والأعراي : هو البدوي ، والعربي : منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدوياً . تفسير ابن الجوزي ٤/٤٩٤ .

قال ابن الأنباري : وقولهما هو الصحيح عندنا .

وقال أبو علي الفارسي : الأعجمي : الذي لا يُفصح من العرب كان أو من العجم ، ألا تراهم أنهم قالوا : زياد الأعجم ؛ لأنه كانت في لسانه عُجمة^(١) وكان عربياً^(٢) ، وقال^(٣) لصلاة النهار عَجَمَاءَ ؛ أي تُخْفَى فيها القراءة ولا تُبَيَّن ، وتُسمي العربُ من لا يتبين كلامه من أي صنف كان من الناس أعجم ، ومنه قول الحماني^(٤) :

سَلُومٌ : لو أَصْبَحَتْ وَسَطَ الْأَعْجَمِ
بالرومِ أو بالترْكِ أو بالديلمِ
إِذَا لَزَرْنَاكَ وَلَوْ بِسُلْمٍ^(٥)

(١) (عجمة) ساقطة من (أ) و(د) ، وفي المخصص : «رُتَّةٌ» .

(٢) ورد في المخصص ١٢١/٢ ، بنصه ، وانظر : تفسير الرازي ١١٨/٢٠ بنصه ، والحاظ ١٣٥/٣ ، بلا نسبة .

(٣) هكذا في النسخ جميعها ، والأظهر : (يقال) أو (قيل) .

(٤) هو أبو الأخرز الحناني ، ولم أقف على ترجمته .

(٥) ورد في المخصص ١٢١/٢ شطران ، ١٠٢/١٦ ، وشرح شواهد الإيضاح ٤٤٠ ، وفيه حرف الجر (في) بدل الباء في الكلمات الثلاث ، وورد الشطر الأول فقط في اللسان (وسط) ٤٨٣٢/٨ ، والتاج (وسط) ٤٤٥/١٠ ، وورد بلا نسبة في اللسان (عجم) ٢٨٢٥/٥ ، وورد في الاقتضاب باختلاف في الشطرين الأخيرين برواية :

في الرومِ أو فارسَ أو في الديلمِ

إِذَا لَزَرْنَاكَ وَلَوْ لَمْ نَسْلَمْ

(سَلُومٌ) : منادى مرخم ، أراد : يَاسَلُومَةُ ، (الديلم) : الجماعة الكثيرة من الناس ، وقيل : جيل من الناس ، وقيل : هم من ولد ضَبَّةَ بن أدَد ، قال ابن بري : وقوله : بِسُلْمٍ ، أي لتسبينا إلى زيارتك بكل سبب ، ف ضرب السُّلْمِ مثلاً لذلك .

وقال ابن السيد : وهذا البيت يصحفه كثير من الناس فيروونه ولو بسُلْمٍ ، ولا وجه لذلك ؛ لأن السُّلْمَ لا يستعمل في قطع المسافات وإنما يستعمل في صعود العلاي المشرقات والمواضع المرتفعات ، ولو قال =

قال : وسط الأعجم ، ولم يقل : وسط العجم ؛ لأنه جعل كل من لا يتبين كلامه أعجم ، فكأنه قال : وسط القليل الأعجم ، وينبغي أن يكون الأعجمي بالياء فيه للنسب ، نسب إلى الأعجم الذي لا يُفصح ، وهو في المعنى كالأعجمي ، ويجوز أن يقال : رجل أعجمي فيراد به ما يراد بالأعجم بغير ياء النسب ، كما يُقال : أحمر وأحمري ، ودَوَّارٌ ودَوَّاريٌّ^(١) .

ومعنى الآية هو^(٢) أن الله تعالى قال : لسان هذا البشر الذي يزعمون أنه يعلمك أعجمي لا يُفصح ولا يتكلم بالعربية ، فكيف يُتعلَّم عنه ما هو أعلى طبقات البيان؟! وهو قوله : ﴿وَهَذَا﴾ يعني القرآن ، ﴿لِسَانُ عَكْرِيثٍ مُبِينٌ﴾ ، قال ابن عباس : يريد الذي نزل على محمد عربي مبين ، أفصح ما يكون من العربية ، وأُثْبِنَ لسان سعد بن بكر بن هوازن الذين أَرْضَعُوا النَّبِيَّ ﷺ^(٣) ، واللسان بمعنى الكلام واللغة ، وذكرنا هذا مستقصى عند قوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم : ٤] ، ومعنى العربي واشتقاقه ذكرنا عند قوله : ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾ [التوبة : ٩٧] ، وقال الفرَّاء والزَّجَّاج في هذه الآية : يقال : عَرَبَ لِسَانُهُ عَرَابَةً وَعُرُوبَةً^(٤) .

١٠٥ . قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾ . قال الكلبي : نافح الله تعالى بهذه الآية عن رسول الله ﷺ ودافع عنه ، حيث قالوا : تَقَوْلُهُ وَاخْتَرَعَهُ وَأَتَى

قائل لصاحبه : لو كنت ببغداد لنهضت إليك ولو بسلم لم يكن له معنى يعقل ، وقد يستعمل السلم بمعنى السبب ، وليس له هاهنا أيضاً وجه ؛ لأنه كان يجب أن يقول : ولو بغير سبب يوجب النهوض .

وانظر : اللسان (دلم) ٣ / ١٤١٥ .

(١) ورد نحوه في المحتسب ١٢ / ٢ .

(٢) في (أ) و(د) : (وهو) بزيادة الواو ، ويستقيم الكلام من دونها .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢ / ٤٤٥ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٢٠ ، بنحوه ، وفيه : (عرب الإنسان) ، وهو خطأ وتصحيف ظاهر ، ولم أجده في معاني الفرَّاء ، وانظر : الرازي ٢٠ / ١١٨ ، بنصه عنهما .

به من عند بشر وافتراه ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ ﴾ المشركون ، ثم سَمَّاهُم الكاذبين ، وحصر فيهم الكذب بقوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴾ ، وقال أبو إسحاق أي إنما يفترى الكذب الذين إذا رأوا الآيات التي لا يقدر عليها إلا الله كَذَّبُوا بها ، فهؤلاء أكذب الكَذِبَةِ^(١) ، وفي الآية أبلغ زجر عن الكذب ؛ حيث أخبر الله تعالى أنه إنما يفترى الكذب من لا يؤمن ، ولذلك قال النبي ﷺ ، حين قيل له : «هل يَكْذِبُ المؤمن؟ قال : «لا» ، ثم قرأ هذه الآية»^(٢) .

وقال صاحب النظم في هذه الآية : أعلم الله أن الذي يفترى الكذب هو الذي لا يؤمن بآيات الله ، ثم عطف على هذا قوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴾ وفائدة ذلك أن قوله : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ ﴾ فِعْلٌ وليس بنعت ، وقوله تعالى : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴾ نَعَتْ ، والفعل قد يكون لازماً وقد لا يكون ، والنعت^(٣) لا يكون إلا دائماً ، يبين هذا أنه تعالى قال : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [طه : ١٢١] ، ولا يجوز أن يقال : إن آدم عاص و غاوى ؛ لأن النعت أبلغ من الفعل ، ولهذا قال الله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴾ ؛ أي إن هذا نعت لازم لهم وعادة

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢١٩/٣ ، بنصه .

(٢) جزء من حديث رواه عبد الله بن جراد ، وطرفه : قلت : يا رسول الله ، المؤمن يزني؟ قال : «قد يكون» . وقد أخرجه بنحوه الثعلبي ١٦٤/٢ ، والواحدي في الوسيط ٤٤٦/٢ ، والبغوي ٤٥/٥ ، وورد في إحياء علوم الدين ١٣٥/٣ ، وتفسير الرازي ١٢٠/٢٠ ، والخازن ١٣٦/٣ ، قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : أخرجه ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف ، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ٢٤٣ ، مقتصراً على الكذب ، والسائل أبو الدرداء ، والرواية التي أشار إليها العراقي أخرجه مالك عن صفوان بن سليم أنه قيل لرسول الله ﷺ أيكون المؤمن جباناً . . . فقيل له أيكون المؤمن كذاباً؟ فقال : «لا» . موطأ مالك ، شرح الزرقاني ، باب : ما جاء في الصدق ٤٠٨/٤ ، والتمهيد ٢٥٣/١٦ ، وقال : لا أحفظ هذا الحديث مسنداً بهذا اللفظ من وجه ثابت ، وأخرجها ابن أبي الدنيا في الصمت ٢٤٨ ، عن ابن مسعود وسعد رضي الله عنهما ، موقوفاً ، قال : كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب . والحديث ضعيف .

(٣) في (أ) و(د) : (البعث) .

من عاداتهم ، لا فِعْلٌ يزول عن قريب ، وهذا كما تقول : كذبت وأنت كاذب ، فيكون قولك : أنت كاذب ، زيادة في الوصف بالكذب^(١) .

١٠٦ . قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ ﴾ الآية . أكثر المفسرين على أن الآية نزلت في عمار بن ياسر ، أخذه المشركون فلم يتركوه حتى سَبَّ النبي ﷺ ، وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه ، فلما أتى رسول الله ﷺ قال : « ما وراءك ؟ قال : شرُّ يا رسول الله ، ما تُرَكْتُ حتى نلتُ مِنْكَ ، وذكرتُ آلهتهم بخير . قال : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئناً بالإيمان . قال : إن عادوا لك فعد لهم بما قلت »^(٢) .

واختلفوا في محل (مَنْ) من الإعراب ، فقال الأخفش : هو ابتداء ، وخبره محذوف مكتفى منه بخبر (مَنْ) الثانية في قوله : ﴿ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾^(٣) ، كقولك : من يأتينا فمن يحسن نكرمه^(٤) ، فجواب الأول محذوف قد كفى منه الثاني ، وقال أبو إسحاق : (مَنْ) في موضع رفع على البدل من الكاذبين^(٥) ، ولا

(١) ورد بنحوه مختصراً في تفسير البغوي ٥/ ٤٥ ، والرازي ٢٠/ ١١٩ ، والقرطبي ١٠/ ١٧٩ .

(٢) أخرجه ابن سعد ٣/ ٢٤٩ ، بنصه ، وعبدالرزاق ٢/ ٣٦٠ ، بنحوه ، والطبري ١٤/ ١٨١ ، بنحوه عن ابن عباس من طريق العوفي ضعيفة ، وأخرجه بنحوه عن قتادة وأبي مالك وغيرهما ، والحاكم ٢/ ٣٥٧ ، بنصه ، وصححه وقال : على شرط الشيخين ، والبيهقي : المرتد/ المكره على الردة ٨/ ٢٠٨ ، بنصه ، وورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٢ ، وهود الهواري ٢/ ٣٩٠ ، والثعلبي ٢/ ١٦٤ ب ، عن ابن عباس ، والطوسي ٦/ ٤٢٨ ، وانظر : أسباب النزول للواحدي ٢٨٨ ، عن ابن عباس ، وتفسير البغوي ٥/ ٤٥ ، عن ابن عباس ، والزنجشري ٢/ ٣٤٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٨٠ ، عن ابن عباس ، والخازن ٣/ ١٣٦ ، وابن كثير ٧/ ٦٤٧ ، عن ابن عباس ، والدر المنثور ٤/ ٢٤٨ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٠٨ ، بمعناه ، وانظر : تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٤ ب ، بنحوه بلا نسبة .

(٤) ورد بنصه في تفسير الطبري ١٤/ ١٨٠ ، والثعلبي ٢/ ١٦٤ ب ، والطوسي ٦/ ٤٢٨ ، ومعناه : من يحسن ممن يأتينا نكرمه .

(٥) وتقديره : إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ، وقد رده الطبري ، وقال : هذا قول لا وجه

له ، وحجته أن ذلك يقتضي تخصيص وصف افتراء الكذب بمن آمن ثم ارتد دون من نشأ على الكفر =

يجوز أن يكون رفعاً بالابتداء؛ لأنه لا خبر هاهنا للابتداء؛ لأن قوله : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ﴾ ، ثم استثنى فقال : ﴿إِلَّا مَنْ أَكْزَرَهُ﴾ على الكفر ، يكفر بلسانه وقلبه مطمئن^(١) بالإيمان^(٢) ، والقول الأول أظهر في معنى الآية؛ لأن^(٣) هذه قصة مستأنفة ، وكلام لا تعلق له بما تقدم ، يدل عليه من التفسير ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : أخبر الله سبحانه أنه من كفر بعد إيمانه فعليه غضب من الله ، وله عذاب عظيم ، فأما من أكره فتكلم بلسانه وخالفه قلبه بالإيمان لِيَنْجُوْا بِذَلِكَ مِنْ عَذَابِهِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ إِنَّمَا يَأْخُذُ الْعِبَادَ بِمَا عَقَدْتَ عَلَيْهِ قُلُوبَهُمْ^(٤) ، فجعل ابن عباس قوله : ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ خبر قوله : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ ؛ أي فتحه ووسعه لقبول^(٥) الكفر ، وذكرنا معنى الشرح في سورة الأنعام^(٦) ، وانتصب صدرًا على أنه مفعول للشرح ، والتقدير : ولكن من شرح بالكفر صدره ، وحذف الهاء منه لأنه لا يُشْكِلُ بصدر غيره ؛ إذ البشر لا يقدر على شرح صدر غيره ، فهو نكرة يراد بها المعرفة ، ويدل عليها معنى الكلام ، وهذه الآية تدل على أَنَّ الْمُسْكِرَةَ على كلمة

أصلاً ، ودل على ذلك أن الآية جاءت في سياق الرد على الذين نسبوا الكذب والافتراء إلى رسول الله ﷺ في الآية السابقة ، وهم الكفار الأصليون . انظر : تفسير الطبري ١٤ / ١٨١ .

- (١) في (أ) و(د) زيادة (واو) : (ومطمئن) .
- (٢) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢١٩ ، بتصرف يسير .
- (٣) في (أ) و(د) : (أن) .
- (٤) أخرجه الطبري ١٤ / ١٨٢ ، بنصه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، والبيهقي ، كتاب : المرتد ، باب : المكره على الردة (٨ / ٢٠٩) بنصه ، والدر المنثور ٤ / ٢٥٠ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .
- (٥) في (أ) و(د) : (لقول) ، والمثبت من (ش) و(ع) أصح .
- (٦) آية [١٢٥] .

الكفر إذا تَلَفَّظَ بها مُكْرَهًا لا يحكم بكفره إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان^(١)، ولذلك أبطل الشافعي طلاق المكره وعتاقه وعقوده، ولم يجعل لها حكماً^(٢)، ودلَّت الآية على أن حقيقة الكفر إنما تكون بالقلب دون اللسان^(٣).

١٠٧. قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا﴾؛ أي ذلك الشرح وذلك الكفر^(٤)، بأنهم أحَبُّوا الدنيا واختاروها على الآخرة، قال الكلبي: والمراد بقوله: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ عبدالله بن سعد بن أبي سرح، ومن ارتد عن الدين وطابت نفسه بالكفر^(٥)، وذلك باستحبابهم الدنيا، وبأن الله لا يهديهم ولا يريد هدايتهم، ثم وصفهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم.

١٠٨. فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ﴾ الآية. والكلام في هذا مضي.

(١) ورد في تفسير الثعلبي ١٦٥/٢، بنحوه، وانظر: تفسير البغوي ٤٦/٥، وتفسير القرطبي ١٨٢/١٠.

(٢) وهذا القول هو قول جمهور العلماء خلافاً للحنفية، وقد ذكره الثعلبي في تفسيره ١٦٥/٢، ونسبه أيضاً إلى بعض الصحابة ومالك والأوزاعي، انظر بسط المسألة في: تفسير الجصاص ١٩٢/٣، والمحلى ٣٣١/٨، وتفسير ابن العربي ١١٨٠/٣، والمجموع ٦٥/١٧، والمغني ٣٥٠/١٠، وتفسير القرطبي ١٨٤/١٠، ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية ٢٤٦، والإكراه وأثره في التصرفات الشرعية ١٩٦، وعوارض الأهلية عند الأصوليين ٤٩٦.

(٣) ذكره الثعلبي ١٦٤/٢ ب، بنحوه.

(٤) مطموسة في: (ش).

(٥) انظر: تنوير المقباس ٢٩٣، وورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ٢٠٨/١، والسمرقندي ٢٥٢/٢، وهود الهواري ٣٩٠/٢، وفي إدراج عبدالله بن أبي السرح مع الذين انشروا صدورهم للكفر نظر؛ لأنه قد رجع إلى الإسلام وحسن إسلامه، كما أن الآية التالية قد حكمت عليهم بالطبع على قلوبهم، ولا يليق هذا الوصف بمن أسلم ومن الله عليه بالهداية، ويؤيده أن الرواية وردت عن طريق الكلبي، وحسبك بهذا؛ فروايات الكلبي محكوم عليها بالضعف بل بالوضع.

وقوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰفِقُونَ﴾ . قال ابن عباس : عما يراد بهم ^(١) ، ثم حكم لهم بالخسار وأكد ذلك .

١٠٩ . فقال : ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ . قال ابن عباس : يريد حقاً إنهم في الآخرة هم المغبونون ^(٢) ، قال أبو إسحاق : (أَنَّ) يصلح أن تكون في موضع رفع ، على أَنَّ (لا) ردُّ للكلام ، والمعنى : وجب أَنَّهُمْ ، قال : ويجوز أن تكون في موضع نصب على أن المعنى : جَرَمَ فَعَلُهُمْ هذا ، ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾ ؛ أي كَسَبَ ^(٣) .

١١٠ . قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ . قال المفسرون : نزلت في المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا بمكة؛ عَمَّاراً وصُهييب وبلال ، ودونهم الذين عُدُّوا في الله وارتدوا على الكفر وأعطوهم بعض ما أرادوا لِيَسْلَمُوا من شرِّهم ، ثم [هاجروا إلى النبي ﷺ] ^(٤) .

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٢٤/٢٠ ، وأبي حيان ٥/٥٤٠ ، وتفسير الألوسي ٢٣٩/١٤ ، والخازن ١٣٧/٣ ، بلا نسبة .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢٩٣ ، وتفسير البغوي ٤٧/٥ ، بلا نسبة .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٢٠ ، بنصه تقريباً .

(٤) أخرجه الطبري ١٨٤/١٤ ، بنحوه عن ابن إسحاق ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٠٨/٤ مختصراً ، وتفسير السمرقندي ٢/٢٥٢ ، بنحوه عن ابن عباس ، والثعلبي ٢/١٦٥ أ ، مفصلاً ، والطوسي ٦/٤٣١ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٤٧/٥ ، وابن الجوزي ٤/٤٩٧ ، عن ابن عباس ، والفخر الرازي ٢٠/١٢٥ ، عن الحسن ، والخازن ٣/١٣٧ ، وابن كثير ٢/٦٤٩ ، ولا يثبت هذا سبباً للنزول ؛ لأن إسناده منقطع ، أخرجه الطبري بسنده إلى ابن إسحاق ، وهو ضعيف كما في تقريب التهذيب ٤٦٧ ، (٥٧٢٥) .

[قال ابن عباس : يريد الذين كانوا يُعَذَّبُونَ بمكة ، ﴿هَاجَرُوا﴾^(١) مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴿قَالَ : مِنْ بَعْدِ مَا عُذِّبُوا ، ﴿ثُمَّ جَهِدُوا﴾ مع النبي ﷺ﴾^(٢) ، ﴿وَصَبَرُوا﴾ على الدين والجهاد^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ إعادة وتكرير لما ذكر في الآية؛ وذلك لتطاول الكلام ، وأجيب كلاهما بجواب واحد ، وهذا من القبيل الذي ذكرنا في قوله : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾ الآية .

وقوله تعالى : ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾ تلك الفتنة وتلك الفعلة التي فعلوها وهي تلفظهم بكلمة الكفر ، ﴿لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ، وذلك أن الرخصة لم تكن نازلة في ذلك الوقت حين تلفظوا بالكفر تقية ، وإنما نزلت بعد ذلك فأخبر الله تعالى بعد ذلك أنه قد غفر لهم ذلك ، هذا قول عامة أهل التأويل^(٤) .

وقال عطاء عن ابن عباس : ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ يريد من بعد ما خرجوا إلى النبي ﷺ ، وصاروا عنده بالمدينة ، غفر الله لهم مقامهم بمكة وتشبثهم بها ، عفا الله ذلك عنهم^(٥) ، فعلى هذا الكناية في ﴿بَعْدِهَا﴾ تعود إلى الهجرة ، ودلَّ عليها : ﴿هَاجَرُوا﴾ ، والمغفرة لمقامهم بمكة وتحلفهم عن النبي ﷺ بعد

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (د) .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٩٧ ، والدر المنثور ٤/ ٢٥٠ ، وعزاه إلى البيهقي في سننه - لم أجده - وابن مردويه ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٨ ، والثعلبي ٢/ ١٦٥ ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٢ ، والبغوي ٥/ ٤٧ ، والخازن ٣/ ١٣٧ .

(٤) ورد مختصراً في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٨ ، والطبري ١٤/ ١٨٣ ، والثعلبي ٢/ ١٦٥ ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٣ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٤٧ ، وابن عطية ٨/ ٥٢٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٨ ، والخازن ٣/ ١٣٧ .

(٥) ورد مختصراً غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٣ ، والزخشري ٢/ ٣٤٥ ، وابن عطية ٨/ ٥٢٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٩ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٢٦ .

خروجه ، وقرأ ابن عامر فتنوا ، بفتح الفاء^(١) ، ومعنى هذا (للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) أنفسهم بإظهار ما أظهروا للتقية ، وجعل ذلك فتنة ؛ لأن الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد^(٢) .

وذهب قوم من المفسرين إلى أن الآية نزلت في قوم من الذين كانوا يُعذَّبون المستضعفين بمكة ، آمنوا وهاجروا إلى النبي ﷺ^(٣) ، فقال الله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَدَّهُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الآية .

١١١ . قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ ﴾ . قال أبو إسحاق : ﴿ يَوْمَ ﴾ منصوب على أحد شيئين ؛ على معنى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، ﴿ يَوْمَ تَأْتِي ﴾ ، ويجوز ذكْرهم يوم ، أو اذْكر يوم ؛ لأن معنى القرآن العِظة والإِنْذار والتَّذْكير^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ ، أراد كلَّ إنسان وكلَّ واحد ، ولقوله : ﴿ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ ، ولم يقل : يُجَادِلُ عنها ، قال المفسرون : وهذا يوم القيامة كل أحد لا يهتم إلا نفسه ، فهو مخاصم ومحتج عن نفسه لا يتفرغ إلى غيره ؛ وذلك أن

(١) انظر : السبعة ٣٧٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٠ ، وعلل القراءات ١/ ٣٠٩ ، والحجة للقراء ٥/ ٧٩ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٦ ، والتبصرة ٤٦٦ ، والتيسير ٣٨ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٤٥ .

(٢) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٧٩ ، بنصبه تقريباً ، لكنه قال : لأن الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد ، وقد تصحفت في المصدر (الرخصة) إلى (الرحمة) . وورد بنحوه في الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٤١ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٤٣١ ، وانظر : المُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٤٥ ، وتفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٢٥ .

(٣) ورد بنحوه في إعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦١ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٤١ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦٥ ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٢٥ ، ويفتقر هذا القول إلى دليل صحيح مسند .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢١ ، بتصرف يسير .

لجهنم زفرة يقع كل أحد جاثياً على ركبتيه ، حتى إن إبراهيم ليدلي بالخلّة ، فيقول : يا رب ، أنا خليلك إبراهيم ، لا أسألك إلا نفسي ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَتُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ . قال ابن عباس : يريد ثوابها غير منتقص ، والتقدير : ثواب ما عملت أو جزاء ما عملت ، فحذف المضاف ، ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ، قال : يريد لا ينقصون .

١١٢ . قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ الآية . معنى ضَرَبَ المثل بيان المُشَبَّهِ والمُشَبَّهِ به ، وهاهنا ذَكَرَ المُشَبَّهِ به ولم يذكر المُشَبَّهِ لوضوحه عند المخاطبين ، والآية عند عامة المفسرين : نازلة في أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع ، بعد الأمن والنعمة ، بتكذيبهم النبي ﷺ ، وتقدير الآية : ضَرَبَ اللَّهُ لقريبتكم مثلاً ؛ أي بين الله لها شَبَهاً ، ثم قال : ﴿ قَرْيَةً ﴾ فيجوز أن تكون القرية بدلاً من مثلاً ؛ لأنها هي الممثل بها ، فهي المثل ، ويجوز أن يكون المعنى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ مثل قرية ، فحذف المضاف وهذا قول الزّجاج ^(٢) .

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٣٦٣/٢) ، بنحوه عن قتادة ، والواحدي في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٤٥٠/٢ ، بنحوه عن كعب ، وورد بنحوه في معاني القرآن وإعرابه ٢٢١/٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ١٠٨/٤ عن كعب ، وتفسير السمرقندي ٢٥٣/٢ ، والثعلبي ١٦٥/٢ ، عن كعب ، وانظر : تفسير البغوي ٤٨/٥ عن كعب ، وابن الجوزي ٤٩٩/٤ عن كعب ، والفخر الرازي ٢٠/١٢٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/١٩٣ ، والخلازن ٣/١٣٨ ، والدر المنثور ٤/٢٥١ وعزاه إلى ابن المبارك وابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن كعب . والظاهر أن هذا الخبر من الإسرائيليات ، خاصة أنه موقوف على كعب ، وهو من مصادر الإسرائيليات .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٢١/٣ ، بنصه .

والمفسرون كلهم قالوا : [أراد بالقرية مكة ، يعنون أنه أراد مكة في تمثيلها بقرية صفتها ما ذُكر^(١) ، كما قالوا]^(٢) في قوله : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] ، أراد بالذي استوقد المنافقين؛ أي أرادهم بهذا المثل ، لا أنهم كانوا يستوقدون النار ، ولكن أشبه حالهم حاله ، كذلك أشبهت حال مكة حال هذه القرية ، والكلام في جميع صفات القرية جرى على القرية ، والمراد أهلها؛ لأن الطمأنينة والأمن وإتيان الرزق حقيقتها لأهلها لا لها ، يدل على هذا قوله في آخر الآية : ﴿يَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ، ولم يقل : بما صنعت .

وقوله تعالى : ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ ؛ أي ذات أمن ، يأمن فيها أهلها لا يُغَارَ عليهم ، كما قال : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُنْخِطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] ، وجاز وصفها بالأمن وإن كان لأهلها؛ لأنها مكان الأمن وظرف له ، والظروف من الأزمنة والأمكنة توصف بمحالتها ، كما يقال : يوم طيب وبارد وحرار .

وقوله تعالى : ﴿مُطْمَئِنَّةٌ﴾ ؛ أي قارة ساكنة بأهلها ، لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق ، وهو قوله : ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ ؛ لأن الله جعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ، فأرزاقهم تأتيهم في بلدهم ، يُجْلَب إليها من كل بلد ، كما قال تعالى : ﴿يُجْبَىٰ إِلَيْهِ تُمَرَّتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [القصص: ٥٧] .

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٦٠ / ٢ ، بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٨٦ / ١٤ ، بلفظه عن ابن عباس ، [طريق العوفي] ، ومجاهد و قتادة وابن زيد ، وورد بلفظه في تفسير مقاتل ٢٠٨ / ١ ، ومعاني القرآن للنحاس ١٠٩ / ٤ ، وتفسير السمرقندي ٢٥٣ / ٢ ، وهود الهواري ٣٩٢ / ٢ ، والثعلبي ١٦٥ / ٢ ، وتفسير الماوردي ٢١٧ / ٣ ، والطوسي ٤٣٢ / ٦ ، وانظر : تفسير البغوي ٤٨ / ٥ ، وابن عطية ٥٢٦ / ٨ ، وابن الجوزي ٤٩٩ / ٤ ، والفخر الرازي ١٢٧ / ٢٠ ، والخازن ١٣٨ / ٣ ، وابن كثير ٦٤٩ / ٢ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .

وقوله تعالى: ﴿فَكَفَرْتَ بِأَنْعَمِ اللَّهِ﴾ ، الأنعم : جمع نعمة ، مثل شدة وأشد ، هذا قول سيبويه^(١) ، وقال غيره : يجوز أن يكون جمع نُعمى ، كما يقال : بؤسى وأبؤس^(٢) ، وأنشد :

وعندي قروض الخير والشر كله
فبؤسي لذي بؤسى ونُعمى بأنعمي^(٣)
وكفرانهم بأنعم الله تكذيبهم النبي ﷺ ، ومخالفتهم أمر الله في ما يأمرهم به .
وقوله تعالى: ﴿فَإَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ . قال المفسرون : عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة والعلهز^(٤) .

(١) الكتاب ٥٨٢ / ٣ ، بلفظه .

(٢) قال الفراء في المقصور والمدود ٤١ ، باب : ما يفتح فيمد ويضم فيقصر ، ومثل لذلك بقوله : وكذلك . . ، والنعمى والنعماء ، والبؤسى والبأساء ، وهي بالالف المدودة أشهر منها بالمقصورة ، وفي القرآن : ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسْتَه﴾ [هود : ١٠] ، وكذلك نقل الطبري عن بعض أهل الكوفة - ولعله يقصد الفراء - أن أنعم جمع نعماء ، مثل بأساء وأبؤس ، لكنه استشهد بالبيت على أن أنعم جمع نُعم كطعم ، وهو قول أبي عبيدة وابن قتيبة ، ورد ابن قتيبة قول سيبويه ، قائلاً : وليس قول من قال : إنه جمع نعمة بشيء ؛ لأن فعلة لا يجمع على أفعل . انظر : مجاز القرآن ١ / ٣٦٩ ، والغريب لابن قتيبة ١ / ٢٥٠ ، وتفسير الطبري ١٤ / ١٨٦ ، وورد في تفسير الثعلبي ٢ / ١٦٥ ب ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير البغوي ٥ / ٤٩ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ١٩٤ .

(٣) ورد غير منسوب في تفسير الطبري ١٤ / ١٨٦ .

برواية :

فبؤس لذي بؤس ونُعم بأنعم

وورد في تفسير الطوسي ٦ / ٤٣٣ ، برواية :

فبؤس لذي بؤس ونُعمى بأنعم

(٤) ورد في تفسير مقاتل ١ / ٢٠٨ ب ، بمعناه ، ومعاني القرآن للفراء ٢ / ١١٤ ، بنحوه ، والطبري ١٤ / ١٨٧ ، بنحوه ، والثعلبي ٢ / ١٦٥ ب ، بنحوه ، وتفسير الماوردي ٣ / ٢١٧ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥ / ٤٩ ، وابن الجوزي ٤ / ٥٠١ ، والفخر الرازي ٢٠ / ١٢٨ ، وتفسير القرطبي ١٠ / ١٩٥ ، والخازن ٣ / ١٣٩ ، وابن كثير ٢ / ٦٤٩ ، قال الطبري : العلهز : الوبر يعجن بالدم والقراد يأكلونه ، قلت : والقراد : دويبة متطفلة .

وقوله تعالى: ﴿وَالْخَوْفُ﴾ ، قالوا: يعني من النبي ﷺ ومن السرايا التي كان يبعثها إليهم فيطوفون بهم^(١).

قال ابن قتيبة: وأصل الذَّوَاقِ بالفم، ثم قد^(٢) يُستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختبار، تقول في الكلام: نَاطِرُ فُلَانًا وَذُقْ ما عنده؛ أي تعرّف واختبر، واركبِ الفرسَ وذقه، وأنشد الشماخ في وصف قوس:

فَذَاقَ فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ جَانِبًا كَفَى^(٣) وَلَهَا أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ^(٤)
يريد أنه راز^(٥) القوس بالنزع ليعلم؛ أَلَيْتَهُ هي أم صُلْبَةٌ.

قال: ولباس الجوع والخوف: ما ظهر عليهم من سوء آثارهما بالضُّمَرِ والشُّحوبِ، ونَهَكَةِ^(٦) البدن، وتغيّر الحال، وكُسُوفِ البال، فكما يقول: تَعَرَّفْتُ

(١) ورد بنحوه في الطبري ١٨٧/١٤، والسمرقندي ٢/٢٥٣، والثعلبي ٢/١٦٥ ب، وانظر: البغوي ٥/٤٩، وابن الجوزي ٤/٥٠١، والقرطبي ١٠/١٩٤، والخازن ٣/١٣٩، وابن كثير ٢/٦٤٩، وهذا التفسير مشهور بين المفسرين، وهو من قبيل التفسير بالمثال، والآية عامة في كل زمان ومكان.

(٢) ساقطة من (د).

(٣) في النسخ: (لفي)، ورواية الديوان والمصادر جميعها: (كفى)، وظاهر أنها تصحفت إلى (لفي).

(٤) ديوانه ١٩٠، وورد في جمهرة أشعار العرب ٢٩٩، والحيوان ٥/١٧٩، والشعر والشعراء ١٩٥، والمعاني الكبير ٢/١٠٤٢، والأساس ١/٣٠٦، واللسان (ذوق) ٣/١٨٩١، وفيه: «النبل» بدل «السهم»، قال في اللسان أي ولها حاجز يمنع من الإغراق؛ أي فيها لبن وشدة. وأغرقتُ النبل: إذا بلغت به غاية المدّ في القوس. المحيط في اللغة (غرق) ٤/٥٢٨.

(٥) في (أ) و(د): (زار)، وفي المصدر: ذاق، والمثبت من (ش) و(ع)، وهو الصحيح الذي يؤدي المعنى، وهكذا في المعاني الكبير: (راز) من الروز: التجربة، يقال: رَزُ ما عند فلان. المحيط في اللغة (روز) ٨٤/٩.

(٦) في (ش) و(ع): «وبهلكة»، من الهلاك، والمثبت أصح وموافق للمصدر.

سوء أثر الخوف والجوع على فلان ، وذقت بمعنى : تعرفت ، واللباس بمعنى : سوء الأثر^(١) ، كذلك تقول : ذقت لباس الجوع والخوف ، وأذاقني الله ذلك^(٢) .

وقال أبو علي : ﴿لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ المعنى فيه : مقارنة^(٣) الجوع لهم ومُسَّه إِيَّاهُمْ ، كمخالطة الذائق ما يذوقه ، واللباس ما يلبسه ، واتصاله بما وقع عليه الذوق ، وكذلك لباس الجوع هو مُسَّه لهم كمس الثوب للابس ، وأنشد لجرير :

وقَدْ لَبِسْتُ بَعْدَ الزُّبَيْرِ مُجَاشِعَ ثِيَابِ الَّتِي حَاضَتْ وَلَمْ تَغْسِلِ الدَّمَ^(٤)

يريد أن العار والسُّبَّة لحقتهم ، واتصل بهم لغدرهم ، فجعل ذلك لباساً^(٥) ، فعلى ما ذكر ابن قتيبة معنى ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ عَرَفَهَا سُوءَ أثرهما ، وعلى ما ذكر أبو علي ، جعل الجوع والخوف تَمَسَّانَهَا وتَلَابَسَانَهَا .

وروي عن أبي^(٦) عمرو أنه قرأ : ﴿وَالْخَوْفِ﴾ نصباً^(٧) بأن على الإذاقة^(٨) ، والوجه قراءة العامة على معنى : فأذاقهم الله لباس الجوع ولباس الخوف ، يدل

(١) في (أ) و(د) : (الأثر) .

(٢) تأويل مشكل القرآن ١٦٤-١٦٥ ، نقل طويل تصرّف فيه ، واختصره .

(٣) في (أ) و(د) : (مفارقة) ، والمثبت من : (ش) و(ع) ، وفي المصدر : (مقاربة) ، وهو أيضاً تصحيف .

(٤) ديوانه ٤٤٨ ، وورد في : المعاني الكبير ١/٥٩٣ ، وتفسير ابن عطية ٨/٥٢٨ ، وورد بلا نسبة في تفسير أبي حيان ٥/٥٤٣ ، والدر المصون ٧/٢٩٥ ، وجرير هنا يهجو البغيث ، ومجاشع : قبيلة الفرزدق والبغيث .

(٥) الحجة للقراء ٥/٨٠ ، بتصرف يسير .

(٦) في النسخ جميعها : (ابن) ، والصحيح المثبت ، وهو أبو عمرو أحد القراء السبعة .

(٧) انظر : السبعة ٣٧٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/٣٦٢ ، وعلل القراءات ١/٣٠٩ ، والحجة للقراء ٥/٨٠ ، وتفسير الثعلبي ٢/١٦٥ ، والطوسي ٦/٤٣٣ ، وابن عطية ٨/٥٢٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/١٩٤ .

(٨) الثعلبي : ﴿وَالْخَوْفِ﴾ بالنصب بإيقاع أذاقها عليه ، وذكر السمين أربعة أوجه - غير هذا الوجه - في نصب ﴿وَالْخَوْفِ﴾ . انظر : تفسير الثعلبي ٢/١٦٥ ، والدر المصون ٧/٢٩٣ .

عليه أن في حرف أبي: لباس الخوف والجوع^(١)، فقد جعل للخوف لباساً كما جعل للجوع، وحمله على الخفض باللباس أولى من حمله على الإذاقة؛ لأن اللباس أقرب إليه، فحمله على الأقرب أولى، وليكونا محمولين على عامل واحد، كما كان في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ [البقرة: ١٥٥] الحمل على عامل واحد^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَمَّا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. قال ابن عباس: يريد: بفعلهم بالنبي ﷺ، حيث كذبه وأخرجوه من مكة وما هموا به من قتله^(٣).

قال الفراء: ولم يقل بما صنعت، ومثله في القرآن كثير، منه قوله: ﴿فَجَاءَهَا بِأُسْنَانَيْنِ أَوْ هُم قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، ولم يقل: قائلة، فإذا قال: ﴿قَائِلُونَ﴾ ذهب إلى الرجال، وإذا قال: قائلة، فإنها يعني أيضاً أهلها، ومثله: ﴿فَحَاسَبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿فَذَاقَتْ﴾^(٤) [الطلاق: ٨-٩].

١١٣. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ يعني أهل مكة، ﴿رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني من نسبهم يعرفونه بأصله ونسبه، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾، قال

(١) انظر: تفسير أبي حيان ٥/ ٥٤٤، وقال: وهذا عندي في مصحفه قبل أن يجمعوا على ما في سواد المصحف الموجود الآن، وعليه فهي قراءة شاذة.

(٢) الحجة للقراء ٥/ ٨٢، بنصه تقريباً.

(٣) انظر: تفسير الرازي ٢٠/ ١٢٩ بنصه، وابن الجوزي ٤/ ٥٠١، بنحوه بلا نسبة.

(٤) معاني القرآن للقراء ٢/ ١١٤، بنصه تقريباً.

ابن عباس : يعني الجوع الذي كان بمكة^(١) ، وقال مجاهد : يعني القتل بيدر^(٢) ، وهو اختيار الزجاج^(٣) .

١١٤ . قوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ الآية .

قال ابن عباس : ﴿ فَكُلُوا ﴾ يا معشر المؤمنين ، ﴿ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ ، يريد من الغنائم^(٤) .

وقال الكلبي : إن رؤساء أهل مكة كلّموا رسول الله ﷺ حين جُهدوا ، قالوا : عادت الرجال فما بال النساء والصبيان ، وكانت الميرة^(٥) قد قطعت عنهم بأمر رسول الله ﷺ ، فأذن في الحَمْل إليهم ، فَحَمِل إليهم الطعام^(٦) ، فقال الله تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ الآية . والقول ما قاله ابن عباس ، يدل عليه قوله بعد هذه الآية :

(١) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥٠١ / ٤ ، والفخر الرازي ١٣٠ / ٢٠ ، وأخرجه الطبري ١٨٧ / ١٤ ، بنحوه عن قتادة ، وورد بلا نسبة في تفسير القرطبي ١٩٥ / ١٠ ، وتفسير الألوسي ٢٤٥ / ١٤ ، ورجحه .

(٢) ورد في تفسير الطوسي ٤٣٤ / ٦ ، بنحوه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥٠١ / ٤ ، بنصه ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير الطبري ١٨٧ / ١٤ .

(٣) معاني القرآن وإعراجه ٢٢١ / ٣ ، بنحوه .

(٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٣٠ / ٢٠ ، بنصه ، والخازن ١٣٩ / ٣ ، وتفسير الألوسي ٢٤٥ / ١٤ ، وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ٢٠٨ / ١ ب ، بنحوه ، وتفسير الطبري ١٨٨ / ١٤ ، بمعناه ، وتفسير ابن الجوزي ٥٠١ / ٤ ، وتفسير القرطبي ١٩٥ / ١٠ ، وهذا من قبيل التفسير بالمثال ، والآية عامة في جواز الأكل من كل طيب .

(٥) الميرة : جلب الطعام للبيع وللعيال ، وهم يَمِيرُون غيرهم وَيَمْتَارُون لأنفسهم . المحيط في اللغة (مير) ٢٨٥ / ١٠ .

(٦) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٣٠ / ٢٠ ، بنصه ، والخازن ١٣٩ / ٣ ، بنحوه ، وتفسير الألوسي ٢٤٥ / ١٤ ، بنصه ، وعزياه إلى الواحدي ، ورد بنحوه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢٥٥ / ٢ ، والثعلبي ١٦٥ / ٢ ب ، والبغوي ٤٩ / ٥ ، وابن الجوزي ٥٠١ / ٤ ، وتفسير القرطبي ١٩٥ / ١٠ .

١١٥. ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ وهذا خطاب للمسلمين لا لكفار مكة ، وهاتان الآيتان سبق تفسيرهما في سورة البقرة^(١) .

١١٦. قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ الآية . قال مجاهد : يعني البحيرة والسائبة^(٢) .

وقال ابن عباس : يعني قولهم : ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُنُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾^(٣) [الأنعام: ١٣٩] واختلفوا في وجه انتصاب الكذب ، فقال الأخفش : جعل (ما تصف) اسماً للفعل ، كأنه قال : ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب^(٤) ، ونحو هذا قال الكسائي^(٥) والزجاج^(٦) ، سوى أن قال صاحب النظم : واللام في (لِمَا) لأم سبب وأجل ، كما يقال : فعلت هذا لك ؛ أي لأجلك وبسببك^(٧) ، والمعنى : ولا تقولوا لأجل وصفكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ؛ أي إنكم تُحِلُّونَ وتُحَرِّمونَ لأجل الكذب لا لغير ، فليس لتحريمكم وتحليلكم معنى وسبب إلا الكذب فقط ، فلا تفعلوا ذلك ، هذا معنى قوله : إن دخول اللام في (لِمَا) سبب لقوله : ﴿هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ ، وذكر وجهين آخرين في انتصاب

(١) آية [١٧٢-١٧٣] .

(٢) تفسير مجاهد ٣٥٤ ، بنصه ، أخرجه الطبري ١٨٩ / ١٤ بنصه من طريقين ، وورد في : معاني القرآن للنحاس ٤ / ١١٠ ، بنحوه ، وانظر : تفسير الخازن ٣ / ١٤٠ ، والدر المنثور ٤ / ٢٥٢ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وورد بلا نسبة في تفسير الثعلبي ٢ / ١٦٥ ب ، والبغوي ٥٠ / ٥-٤٩ / ٥ .

(٣) انظر : تفسير الخازن ٣ / ١٤٠ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٠٨ ، بنصه .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ١٣١ ، وأبي حيان ٥ / ٥٤٥ ، والدر المصون ٧ / ٢٩٧ ، وتفسير الألويسي ١٤ / ٢٤٧ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٢٢ ، بنصه .

(٧) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤ / ٥٠٢ ، بنحوه عن ابن الأنباري .

الكذب : أحدهما : أن نصبه على نفي الخافض^(١) ، على تأويل لما تصف ألسنتكم كذباً على جهة التفسير^(٢) أو الحال ، ثم ألحق به الألف واللام ، كما قال الشاعر^(٣) :

وما قومي بثعلبة بن بكرٍ ولا بفزارة الشعر الرقاب^(٤)

انتصب الرقاب على معنى التفسير ، هذا كلامه^(٥) ، والقول قول الأخفش والكسائي ، والإشارة بقوله : ﴿هَذَا﴾ و﴿وَهَذَا﴾ إلى ما كانوا يحلون ويحرمونه .

وقوله تعالى : ﴿لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ ، وذلك أنهم كانوا ينسبون ذلك التحريم إلى الله تعالى ، ويقولون : إنه أمرنا بذلك ، وقوله : ﴿لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بدل من قوله : ﴿لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ ؛ لأن وصفهم الكذب هو افتراء على الله ، ففسر ذلك الوصف والكذب بالافتراء على الله ، ثم أوعد المفتريين ، وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ .

١١٧ . ثم بين أن ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب ، فقال : ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ ، قال الزجاج : المعنى : متاعهم متاع قليل ؛ أي

(١) أي لما تصف ألسنتكم من الكذب . تفسير القرطبي ١٠/ ١٩٦ .

(٢) أي التمييز . انظر : المعجم المفصل في النحو العربي ١/ ٣٦٥ .

(٣) هو الحارث بن ظالم (جاهلي) .

(٤) ورد في الكتاب ١/ ٢٠١ ، والبيان والتبيين ٤/ ١٠٠٨ ، والمقتضب ٤/ ١٦١ ، والأغاني ١١/ ١٢٣ ، والإنصاف ١٠٩ ، ١١٠ ، وأمالى ابن الشجري ٢/ ٣٩٨ ، وشرح المفصل ٦/ ٨٩ ، وفي بعض المصادر برواية : «الشُّعْرَى رِقَاباً» ، وفي المصادر جميعها ما عدا الإنصاف : (سعد) بدل (بكر) ، قال في الانتصاف من الإنصاف : والمحفوظ (بثعلبة ابن سعد) ، وكذلك هو في نسب ثعلبة ؛ فإنه ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، وفزارة هو ابن ذبيان أخو سعد بن ذبيان أبي ثعلبة ، والشاعر في هذا البيت ينتفي من بني سعد بن ذبيان . (الشُّعْرَى) : جمع أشعر ، والشعرى مؤنث الأشعر ، والأشعر : الكثير شعر القفا ومقدم الرأس ، فهذا عندهم مما يتشاءم به ، ويحمدون التزع ، وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس . والشاهد : أنه نصب الرقابا بقوله : (الشُّعْرَى) جمع أشعر ، وهو هنا صفة مشبهة .

(٥) ذكر الواحدى أن صاحب النظم ذكر وجهين آخرين للنصب ، ولم يذكر إلا وجهاً واحداً ، وذكر السمين أربعة أوجه للنصب . انظر : الدر المصون ٧/ ٢٩٧ .

يَتَمَتَّعُونَ^(١)، وقال ابن عباس : يريد متاع الدنيا قليل^(٢)، وقيل : لهم متاع قليل ثم يردون إلى عذاب أليم^(٣)، وهو قوله : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤).

١١٨ . قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا فَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ . قال السدي و قتادة : يعني ما ذكر في سورة الأنعام : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كَلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾^(٥) [الآية : ١٤٦] .

وقوله : ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ ؛ أي بتحريم ما حرّمنا عليهم ، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ، ثم عطف على هذا بالمغفرة لمن تاب منهم ومن غيرهم بعد المعصية ، فقال :

١١٩ . ﴿تُعَرِّينَ رَبِّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ يَجْهَلُونَ﴾ ، قال ابن عباس في [هذه الآية : يريد بـ ﴿الشُّوْءَ﴾ : الشرك^(٦) ، ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ :

-
- (١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٢ ، بتصرف يسير .
- (٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٣٢ ، ورد بنحوه غير منسوب في تفسير الطبري ٧/ ٦٥٨ ، وهود الهواري ٢/ ٣٩٣ ، والثعلبي ٢/ ١٦٥ ب ، والبيهقي ٥/ ٥٠ .
- (٣) ورد في تفسير الطبري ١٤/ ١٨٩ ، بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٦٥ ب ، بنحوه ، وانظر : تفسير البيهقي ٥/ ٥٠ ، والقرطبي ١٠/ ١٩٦ .
- (٤) نقل الفخر الرازي هذا المقطع بنصه تقريباً مع العزو للواحدي . انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٣٢ .
- (٥) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٦٠ ، بنحوه عن قتادة ، والطبري ١٤/ ١٨٩ ، بنحوه عن قتادة ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١١٠ ، بنحوه عن قتادة ، وتفسير الطوسي ٦/ ٤٣٦ ، بنصه عن قتادة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٥٢ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٩٣ ، والثعلبي ٢/ ١٦٦ أ ، والبيهقي ٥/ ٥٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٥٠٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٩٧ ، والخازن ٣/ ١٤٠ ، وابن كثير ٢/ ٦٥١ .
- (٦) انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ١٩٧ ، وأبي حيان ٥/ ٥٤٦ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٤٩ ، والتعميم أولى من هذا التخصيص .

السوء ، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ، قال ابن عباس^(١) : يريد آمنوا وصدقوا وقاموا لله بفرائضه وانتهوا عن معاصيه^(٢) .

وقال أهل المعاني : شَرَطَ مع التوبة الإصلاح ؛ للاستدعاء إلى الصلاح وترك الاغترار بما سلف من التوبة^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ ؛ أي من بعد تلك الجهالة^(٤) ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

١٢٠ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ . قال ابن مسعود وابن عباس في رواية الكلبي : مُعَلِّماً للخير ، وهو قول أكثر أهل التفسير^(٥) .

قال ابن الأعرابي : يقال للرجل العالم : أُمَّة ، والأُمَّة : الرجل الجامع للخير^(٦) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (د) .

(٢) انظر : تفسير أبي حيان ٥/ ٥٤٦ ، بنحوه بلا نسبة .

(٣) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٣٧ ، بنصه تقريباً .

(٤) ورد بلفظه في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٩٣ ، والثعلبي ٢/ ١٦٦ أ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٥٠ ، وبمعناه قال السمرقندي ٢/ ٢٥٤ ، قال : من بعد السيئة ، وفي هذا التفسير نظر ؛ لأن المغفرة لا تحصل بعد تلك الجهالة أو السيئة ، بل بعد التوبة من الجهالة والسيئة ، لذلك قال الطبري وغيره ١٤/ ١٩٠ أي من بعد توبتهم .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٩١ ، بنحوه من طرق عن ابن مسعود ، وورد بنحوه عن ابن مسعود في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١١٠ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٤ ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢١٨ ، والطوسي ٦/ ٤٣٧ ، كذلك ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٩ أ ، بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٦٦ أ ، بلفظه ، وانظر بنحوه عن ابن مسعود في : تفسير البغوي ٥/ ٥٠ ، والزنجشيري ٢/ ٣٤٨ ، وابن عطية ٨/ ٥٤٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٥٠٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٩٨ ، والحازن ٣/ ١٤١ ، وأبي حيان ٥/ ٥٤٧ ، عنهما ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٤٩ ، بنحوه عن ابن عباس .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (أم) ١/ ٢٠٣ ، بنصه .

وقال ابن عباس في رواية^(١) الضحاك في قوله: ﴿كَانَ أُمَّةً﴾ قال: كان على الإسلام ولم يكن في زمانه أحدٌ على الإسلام غيره^(٢)، فلذلك قال الله تعالى: ﴿كَانَ أُمَّةً﴾.

وقال مجاهد: كان مؤمناً وحده والناس كفار كلهم، وهو قول إبراهيم^(٣)، وقال ابن قتيبة: أي إماماً يَقْتَدِي به الناس؛ لأنه ومن اتبعه أُمَّةٌ، فَسُمِّيَ أُمَّةً؛ لأنه سبب الاجتماع^(٤)، هذا وجه قول من قال: أُمَّةٌ: معلماً للخير.

ومن قال: أُمَّةٌ؛ أي مؤمناً وحده؛ فلأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثله في أُمَّة، ومن هذا يقال: فلان أُمَّةٌ وحده؛ أي هو يقوم مقام أمة^(٥)، والكلام في وجوه الأمة ومعانيها قد تقدم^(٦).

(١) ساقطة من (أ) و(د).

(٢) انظر: تفسير ابن الجوزي ٥٠٣/٤، والدر المنثور ٢٥٣/٤، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وورد في تفسير السمرقندي ٢٥٤/٢، بنحوه بلا نسبة.

(٣) لم أجده في تفسير مجاهد، وورد عنه في معاني القرآن للنحاس ١١١/٤، بنصه، وتفسير الثعلبي ١١٦٦/٢، بنصه، وانظر: تفسير البغوي ٥٠/٥، والفخر الرازي ١٣٤/٢٠، والخازن ١٤١/٣، وأبي حيان ٥٤٧/٥، وابن كثير ٦٥٢/٢، والدر المنثور ٢٥٣/٤، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، ولم أقف عليه منسوباً إلى إبراهيم.

(٤) تأويل مشكل القرآن ٤٤٥، بنصه.

(٥) المصدر السابق بنصه.

(٦) سورة البقرة [١٢٨].

وقوله تعالى: ﴿قَارِئَتَا لِلَّهِ﴾ . قال ابن عباس والجميع : مطيعاً لله^(١) .

وقوله تعالى: ﴿حَنِيفًا﴾ . قال ابن عباس : يريد أنه أول من اختتن وأقام مناسك الحج وضَحَّى ، هذه صفة الحنيفية^(٢) ، والقنوت والحنيفية مما تقدم القول فيه^(٣) .

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد أخلص لله التوحيد صبيّاً وكبيراً^(٤) ، وذكرنا وجه حذف النون من يكن عند قوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَتُولَاءُ﴾^(٥) في سورة هود [١٠٩] .

١٢٢ . قوله تعالى: ﴿وَعَايَنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يقول : الذكر الحسن^(٦) ، وقال في رواية عطاء : يريد الصدق والوفاء والعبادة^(٧) .

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٣٥ / ٢٠ ، وتنوير المقياس ٢٩٥ ، والدر المنثور ٢٥٣ / ٤ ، وعزاه إلى ابن المنذر ، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٦٠ / ٢ ، بنحوه عن قتادة ، وورد بلفظه في تفسير مقاتل ١٢٠٩ / ١ ، وتأويل مشكل القرآن ٤٥٢ ، وتفسير الطبري ١٩٢ / ١٤ ، عن مجاهد ، وهود الهواري ٣٩٤ / ٢ ، والماوردي ٢١٩ / ٣ ، عن ابن مسعود ، والطوسي ٤٣٧ / ٦ ، وانظر : تفسير البغوي ٥٠ / ٥ ، والخازن ١٤١ / ٣ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٣٥ / ٢٠ ، بنصه ، والخازن ١٤١ / ٣ ، بلا نسبة .

(٣) سورة البقرة آية : [٢٣٨ ، ١٣٥] .

(٤) انظر : تفسير الخازن ١٤١ / ٣ ، بنحوه بلا نسبة .

(٥) منها أنها حذف لكثرة استعمال هذا الحرف ، وهو قول سيويه وجُلّ البصريين .

(٦) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥٠٤ / ٤ ، وأبي حيان ٥٤٧ / ٥ .

(٧) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٣٦ / ٢٠ ، بنصه بلا نسبة .

وقال الحسن : النبوة^(١) . وقال مجاهد : لسان صدق في الآخرين^(٢) .

وقال الكلبي : الشاء الحسن من بعده^(٣) .

وقال مقاتل : يعني الصلوات عليه مقروناً بالصلاة على محمد ﷺ ، وهو قول المتشهد : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم^(٤) ، وهذه الأقوال متقاربة وجملتها تعود إلى تنويه الله بذكره في الدنيا بطاعته لربه ، ومسارعته إلى مرضاته ، وإخلاصه في عبادته ، حتى صار إماماً يُقْتَدَى به ، قال قتادة : فليس من أهل دين إلا يتولونه ويرضون به^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وهو أيضاً كان في الدنيا من الصالحين ، فلذلك قال : إن [من]^(٦) بمعنى (مع) ، وقال أهل المعاني : إنما قال : ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ، ولم يقل : في أعلى منازل الصالحين بحسب ما

(١) ورد في تفسير الماوردي ٢١٩/٣ ، بلفظه ، والطوسي ٤٣٨/٦ ، بلفظه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥٠٤/٤ ، وأبي حيان ٥٤٧/٥ ، والقرطبي ١٩٨/١٠ ، بلا نسبة .

(٢) تفسير مجاهد ٣٥٤ ، بنحوه ، أخرجه الطبري ١٩٣/١٤ ، بنحوه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١١١/٤ ، بنحوه ، وتفسير الماوردي ٢١٩/٣ ، بنحوه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥٠٤/٤ ، وأبي حيان ٥٤٧/٥ ، وابن كثير ٦٥١/٢ ، والدر المنثور ٢٥٣/٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢٥٥/٢ ، وهود الهواري ٣٩٤/٢ ، والثعلبي ١١٦٦/٢ ، والبغوي ٥١/٥ ، وتفسير القرطبي ١٩٨/١٠ ، والخازن ١٤١/٣ ، وتنوير المقياس ٢٩٥ .

(٤) الخبر عن مقاتل بن حيان كما صرح البغوي وابن الجوزي ؛ لذلك لم أجده في تفسير مقاتل بن سليمان ، وقد ورد في تفسير الثعلبي ١١٦٦/٢ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥١/٥ ، وابن الجوزي ٥٠٤/٤ ، والفخر الرازي ١٣٦/٢٠ ، بلا نسبة ، والخازن ١٤١/٣ بلا نسبة .

(٥) أخرجه الطبري ١٩٣/١٤ ، بنحوه ، ورد في تفسير الثعلبي ١١٦٦/٢ ، بنصه تقريباً ، وتفسير الماوردي ٢١٩/٣ ، بنحوه ، والطوسي ٤٣٨/٦ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥١/٥ ، والزمخشري ٣٤٨/٢ ، وابن الجوزي ٥٠٤/٤ ، والخازن ١٤١/٣ ، والدر المنثور ٢٥٣/٤ ، وزاد نسبته إلى

عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) إضافة يقتضيها السياق ليستقيم المعنى ، ولعلها سقطت .

تقتضيه حاله من الفضل؛ لمدح من هو منهم ، والترغيب في الصلاح ليكون صاحبه في جَنَبِهِ إبراهيم ، وناهيك بهذا الترغيب في الصلاح ، وبهذا المدح لإبراهيم أن يُشَرَّفَ جُمْلَةً هو فيها ، حتى يصير الاستدعاء إليه بأنه فيها^(١) .

١٢٣ . قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ الآية . هذا يدل على أن دين محمد ﷺ دين إبراهيم ، وشريعته كشريعته ؛ حيث أمر باتباعه وأمرنا باتباعه ، وهو الأفضل بسبقه إلى القول بالحق والعمل به من غير تقصير ، وفيه قال عبدالله بن عمرو : أمر باتباعه في مناسك الحج كما علم جبريل إبراهيم عليهما السلام^(٢) .

١٢٤ . قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ الآية . قال مجاهد : اختلفوا فيه واتبعوه وتركوا الجمعة^(٣) .

وقال السدي : إن الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا ، وقالوا : يا موسى ، إن الله لم يخلق يوماً أثقل علينا ولا أبغض إلينا من يوم الجمعة ، فاجعل لنا يوم السبت ، فلما جعل لهم السبت استحلوها منه ما حرم عليهم^(٤) .

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : أمرهم موسى بالجمعة ، فقال : تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوماً واحداً فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئاً

(١) ورد في تفسير الطوسي ٤٣٨/٦ ، بنصه تقريباً .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه ٣/٣١٧ ، مفصلاً عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ ، والثعلبي ٢/١٦٦ ، مفصلاً عنه عن النبي ﷺ ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/١٩٨ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٢٥٤ ، مفصلاً ، وزاد نسبته إلى عبدالرزاق في المصنف وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب موقوفاً .

(٣) تفسير مجاهد ٣٥٥ ، بنصه ، أخرجه الطبري ١٤/١٩٣ ، بنصه من طريقين ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/٢٥٥ ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢/٦٥٢ .

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٢٥٤ ، بنحوه وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

من صنعتكم ، فأبوا أن يقبلوا ذلك ، وقالوا : لا نبغي إلا اليوم الذي فرغ فيه من الخلق ؛ يوم السبت ، فجعل عليهم السبت وشُدَّ عليهم فيه ، ثم جاءهم عيسى بالجمعة ، فقال النصراني : لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الأحد ، هذا الذي ذكرنا هو قول أكثر المفسرين في هذه الآية^(١) ، وهو معنى ما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : «إن الله كتب الجمعة على من كان قبلنا ، فاختلفوا فيه ، وهدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد»^{(٢)(٣)} .

وعلى هذا القول معنى قوله : ﴿عَلَى الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ ؛ أي اختلفوا فيه على نبيهم موسى ؛ حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت ، فاختلافهم في السبت كان اختلافاً على نبيهم في ذلك اليوم^(٤) ؛ أي لأجله لأنهم اختاروه ولم يختلفوا في اختياره ، وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم : معنى الاختلاف في السبت أن بعضهم قال هو أعظم الأيام حرمة ؛ لأن الله فرغ فيه من خلق الأشياء ، وقال آخرون : لا بل الأحد ؛ لأن الله ابتداء خلق الأشياء

(١) ورد بنحوه منسوباً إلى الكلبي في تفسير هود الهواري ٣٩٥/٢ وليس فيه الخبر عن عيسى عليه السلام ، والثعلبي ١٦٦/٢ ، وانظر : تفسير البغوي ٥٢/٥ ، وابن الجوزي ٥٠٥/٤ ، والفخر الرازي ١٣٧/٢٠ ، والخازن ١٤١/٣ ، وورد في تفسير مقاتل ١٢٠٩/١ ، بنحوه ، ومعاني القرآن للفرأء ١١٤/٢ ، بنحوه ، والسمرقندي ٢٥٥/٢ ، بنحوه .

(٢) في النسخ جميعها : (غداً) ، وهو خطأ نحوي ظاهر .

(٣) ورد في جميع المصادر بزيادة ، وطرفه : «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة» . أخرجه أحمد ٢٤١/٢ ، ٢٤٩ ، ٢٧٤ ، والبخاري ٨٧٦ ، كتاب : الجمعة ، باب : فرض الجمعة ، ومسلم ٨٥٥ ، كتاب : الجمعة ، باب : هداية هذه الأمة ، والدارقطني ٣/٢ ، والثعلبي ١٦٦/٢ ، والبيهقي ، كتاب : الطهارة ، باب : الغسل على من أراد الجمعة ٢٩٧/١ ، والبيهقي في الدلائل ٤٧٥/٥ ، والبغوي ٥٢/٥ ، والبغوي في شرح السنة ، كتاب : الجمعة ، باب : فرض الجمعة ٢٠٠/٤ ، وورد في تفسير السمرقندي ٢٥٥/٢ ، وهود الهواري ٣٩٥/٢ ، والخازن ١٤١/٣ ، وابن كثير ٦٥٢/٢ .

(٤) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١٢٠٩/١ ، وهود الهواري ٣٩٥/٢ .

فيه^(١)، وهذا غلط؛ لأن اليهود لم يكونوا فريقين في يوم السبت، وإنما اختار الأحد النصارى بعدهم بزمان طويل.

وقال بعض المفسرين أيضاً: أكثر اليهود قالوا: نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق الأشياء، وكان شريعة منهم يرغبون في الجمعة، فهذا اختلافهم^(٢)، وهذا القول أيضاً في الفساد كالأول، ولم يرو^(٣) أحد أن اليهود اختلفوا في اختيار السبت حتى مال بعضهم إلى الجمعة، ولكن لما أشكل على هؤلاء وجه اختلافهم في السبت تخبطوا واضطربوا حتى أتوا بما لا وجه له.

وفي الآية قول ثانٍ وهو ما رواه عطاء عن ابن عباس قال: ﴿عَلَى الَّذِينَ اختلفوا فيه﴾، يريد تهاونوا وصادوا فيه وتعدوا^(٤).

وقال قتادة: استحله بعضهم، وحرمه بعضهم^(٥).

وهذا قول سعيد بن جبير، وعلى هذا معنى اختلافهم في السبت: اختلافهم في استحلاله بالصيد فيه، وتحريمه: ما ذكر الله تعالى قصتهم في سورة الأعراف [١٦٣] زمن داود، والوجه هو القول الأول؛ لأن السبت جعل عليهم من أول ما اختاروه لا من زمن داود عليه السلام، ومعنى فجعل عليهم؛ أي جعل ذلك

(١) ورد في تفسير الطبري ١٤/١٩٣، بنصه، والثعلبي ٢/١٦٦، بنصه، وتفسير الماوردي ٣/٢٢٠، بنصه، والطوسي ٦/٤٣٨، بنصه.

(٢) انظر: تفسير الزمخشري ٢/٣٤٨، وتفسير ابن عطية ٨/٥٤٤، وتفسير أبي حيان ٥/٥٤٨، وتفسير الألوسي ١٤/٢٥٣.

(٣) في (ش) و(ع): (يروا) من الرؤية، والمثبت أصح من الرواية، كما هو السياق.

(٤) ورد غير منسوب في تفسير الطوسي ٦/٤٣٨، بمعناه.

(٥) أخرجه الطبري ١٤/١٩٤، بنصه، عن سعيد عن قتادة، ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/١١٢، بنصه، عن سعيد عن قتادة، وتفسير الثعلبي ٢/١٦٦، بنصه عن قتادة، وانظر: تفسير البغوي ٥/٥٢، عن قتادة، وابن الجوزي ٤/٥٠٥، عن قتادة، والخازن ٣/١٤٢، عن قتادة، وورد غير منسوب في تفسير هود الهواري ٢/٣٩٥، بنصه.

اليوم عقوبة وتشديداً عليهم ، ولم يجعل لهم ذلك اليوم كما ذكر الكلبي : أنهم لما تركوا الجمعة وأرادوا السبت بدَّها ، جعل عليهم السبت وشدَّد عليهم فيه ، والآية تدل على نسخ ما سبق من الشريعة في السبت بشريعة محمد ﷺ ، حيث أخبر أن السبت جعل عليهم ولم يجعل علينا .

وذكر بعض أهل المعاني أن وجه اتصال معنى هذه الآية بمعنى الآية السابقة هو : أنه لما أمر النبي ﷺ باتباع الحق ، حذر من الاختلاف عليه فيه بما ذكر من حال الذين اختلفوا على نبيهم في السبت بما ليس لهم أن يختلفوا فيه ، فشدد عليهم أمره وضيق^(١) .

وذكر أبو إسحاق القولين في هذه الآية ، فقال : جاء في التفسير أنهم أمروا بأن يتخذوا الجمعة عيداً ، فخالفوا وقالوا : نريد يوم السبت ، واختار القول الأول ، فقال : هو أدل على ما جاء في الاختلاف في السبت^(٢) .

١٢٥ . قوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ . قال ابن عباس : دين ربك^(٣) .

﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ قال أهل التفسير : بالنبوة^(٤) ، ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ يعني مواعظ القرآن ، ﴿وَحَدِّثْ لَهُمْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ؛ أي افتلهم عما هم عليه ، غير فظ

(١) ورد في تفسير الطوسي ٤٣٨/٦ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير القرطبي ٢٠٠/١٠ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٣/٣ ، بنصه .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٩٥ ، وورد بلفظه غير منسوب في تفسير مقاتل ٢٠٩/١ ، والسمرقندي ٢٥٥/٢ ، والثعلبي ١٦٦/٢ ب ، والخازن ١٤٢/٣ .

(٤) ورد بلفظه في معاني القرآن وإعرابه ٢٢٣/٣ ، وتفسير السمرقندي ٢٥٥/٢ ، وتفسير الماوردي ٢٢٠/٣ ، والطوسي ٤٤٠/٦ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥٠٦/٤ ، والخازن ١٤٣/٣ ، وأبي حيان ٥٤٩/٥ .

ولا غليظ القلب في ذلك؛ أي ألن لهم جانبك^(١)، ومعنى: ﴿يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالكلمة التي هي أحسن .

قال مجاهد أي أعرض عن أذاهم إياك كله^(٢)، قال : لا تقابلهم بسوء ، وهذا قبل الأمر بالقتال .

وقال عطاء عن ابن عباس : ﴿يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بلا إله إلا الله^(٣)، كأنه قال : جادلهم بهذه الكلمة ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ إلى آخرها ، معناه : هو أعلم بالفريقين ، فهو يأمرك فيهما بما فيه الصلاح .

١٢٦ . قوله تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾ الآية . هذه الآية فيها ثلاثة أقوال للمفسرين :

أحدها : وهو الذي عليه العامة ، أنها نزلت لمّا قال النبي ﷺ حين نظر إلى حمزة وقد مثّل به : «والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك» ، فنزل جبريل ، والنبي ﷺ واقف بعد ، بخواتيم سورة النحل ، فصبر رسول الله ﷺ وكفر عن يمينه وأمسك عما أراد ، هذا قول ابن عباس في رواية عطاء وأبي بن كعب والشعبي^(٤) ،

(١) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٢٢٣/٣ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥٠٦/٤ .

(٢) تفسير مجاهد ٣٥٥ ، بنصه ، أخرجه الطبري ١٩٤/١٤ ، بنصه من طريقين ، والدر المنثور ٢٥٥/٤ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥٠٦/٤ ، بنصه ، وتنوير المقباس ٢٩٥ ، بنصه .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٦٦/٧ ، بمعناه عن الشعبي ، وأحمد ١٣٥/٥ ، بنحوه من طريقين عن أبي ، والترمذي ، كتاب : التفسير ، باب : النحل ، بمعناه عن أبي وحسنه ، والنسائي في التفسير ٦٤١/١ ، بمعناه عن أبي ، والطبري ١٩٥/١٤ ، بنحوه عن عطاء بن يسار ، إلا أن فيها : «لنمثلن بثلاثين رجلاً منهم» ، والطبراني في الكبير ٦٢/١١ ، بنحوه عن ابن عباس ، وفيه : «لأمثلن بثلاثين» ، والحاكم : التفسير ، النحل ٣٥٩/٢ بمعناه عن أبي ، وقال : صحيح الاسناد ، والبيهقي في الدلائل ٢٨٨-٢٨٩ ، بنحوه عن ابن عباس ، وبمعناه عن أبي ، والواحد في أسباب النزول ٢٩١ ، بنحوه عن أبي هريرة وابن عباس ، وورد بنحوه في سيرة ابن هشام ٤٧/٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ١١٣/٤ =

وعلى هذا قالوا : سورة النحل كلها مكية إلا هذه الآيات الثلاث ، فإنها نزلت بالمدينة^(١) .

القول الثاني : أن هذا كان قبل الأمر بالسيف والجهاد حين كان المسلمون قد أمروا بقتال من يقاتلهم ولا يبدؤوا بالقتال ، وهو قوله : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا﴾ [البقرة: ١٩٠] ، وفي هذه الآية أمروا أن يعاقبوا بمثل ما أصابهم من العقوبة ولا يزيدوا ، فلما نزلت سورة براءة نسخت هذه الآية ، كما نسخ قوله : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . وهذا قول ابن عباس والضحاك^(٢) .

وقال : فأما حديث أبي هريرة وابن عباس فإسنادهما ضعيف ، وورد في تفسير الجصاص ١٩٤/٣ ، بنحوه عن الشعبي وعطاء ، والسمرقندي ٢٥٦/٢ ، بنحوه عن ابن عباس ، والطوسي ٤٤٠/٦ ، عن الشعبي وعطاء ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥٠٧/٤ ، عن ابن عباس وأبي ، وابن كثير : ٦٥٢/٢ ، ٦٥٣ ، عن عطاء بن يسار ، وقال : وهذا مرسل ، وفيه رجل مبهم لم يسم ، كما ذكر أنه روي متصلاً وعزاه إلى البزار عن أبي هريرة ، وقال : وهذا إسناد فيه ضعف ؛ لأن صالحاً هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة ، وقال البخاري هو منكر الحديث ، وأورده كذلك بنحوه عن الشعبي وأبي ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢٥٥/٤ ، بمعناه ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه عن أبي بن كعب ، وأورده بنحوه ٢٥٥/٤ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس ، والحديث يرتقي بكثرة طرقه إلى الحسن لغيره ، وقد حسنه الترمذي كما صححه الحاكم ، وقال الألباني : حسن صحيح الإسناد . صحيح سنن الترمذي (٣١٢٩) .

(١) ورد في تفسير الثعلبي ١٦٦/٢ ب ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤٢٥/٤ ، والفخر الرازي ٢١٧/١٩ .

(٢) أخرجه الطبري ١٩٦/١٤ ، بمعناه عن ابن عباس من طريق العوفي ضعيفة ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ١١٢/٤ ، عن الضحاك ، وتفسير الثعلبي ١٦٧/٢ ، عنهما ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير الطوسي ٤٤١/٦ ، وانظر : تفسير البغوي ٥٣/٥ ، عنهما ، وابن الجوزي ٥٠٨/٤ ، عنهما ، والحاظ ١٤٣/٣ ، عنهما ، والدر المنثور ٢٥٦/٤ ، وزاد نسبه إلى ابن مردويه عن ابن عباس ، وقد مضى الرد على المبالغة في دعوى نسخ بعض الآيات بأية السيف عند آية [٨٥] من الحجر ٣٥٩/١ .

القول الثالث : أن هذه الآية نزلت في نهي المظلوم أن ينال من ظالمه أكثر مما نال منه ، وهذا قول مجاهد وإبراهيم وابن سيرين وسفيان^(١)؛ قال مجاهد في هذه الآية : لا تعتدوا^(٢) .

وقال ابن سيرين : يقول : إِنَّ أَخَذَ رَجُلٌ مِنْكَ شَيْئًا فَخُذْ مِنْهُ مِثْلَهُ^(٣) ، ونحوه لفظ إبراهيم .

وقال سفيان : لا تأخذ ديناراً مكان درهم^(٤) ، وعلى هذا القول : الآية محكمة^(٥) .

غير أن علي بن أبي طلحة روى عن ابن عباس أنه قال : نزلت هذه الآية وقوله : ﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] وقوله : ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ [الشورى: ٤١] ، وقوله : ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا﴾ الآية [الشورى: ٤٠] بمكة ، والمسلمون يومئذ قليل ، ليس لهم سلطان يقهر المشركين ، فأمر الله المسلمين أن يجازوا بمثل ما أتى إليهم أو يصبروا فهو أمثل ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وأعز الإسلام ، أمر المسلمين أن ينتهوا في مظالمهم إلى^(٦) سلطانهم ، وأن لا يعدو بعضهم على بعض كأهل الجاهلية ، فقال : ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء: ٣٣]

-
- (١) ورد في تفسير الثعلبي ١٦٧/٢ ، بنحوه عنهم ، والطوسي ٤٤١/٦ ، بنحوه عنهم عدا سفيان .
 (٢) تفسير مجاهد ٣٥٥ ، بلفظه ، أخرجه الطبري ١٩٧/١٤ ، بلفظه من طريقين ، وورد في تفسير الجصاص ١٩٤/٣ ، بمعناه ، وتفسير الماوردي ٢٢١/٣ ، بمعناه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٦٥٢/٢ ، والدر المنثور ٢٥٦/٤ ، وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .
 (٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣٦١/٢ ، بنصه عنهما ، والطبري ١٩٧/١٤ ، بنصه عنها ، وورد في تفسير الجصاص ١٩٤/٣ ، بمعناه ، وتفسير الماوردي ٢٢١/٣ ، بمعناه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٦٥٢/٢ ، والدر المنثور ٢٥٦/٤ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .
 (٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣٦١/٢ ، بمعناه ، والطبري ١٩٧/١٤ ، بمعناه .
 (٥) وهو ما رجحه الطبري ١٩٧/١٤ ، والفخر الرازي ١٤٣/٢٠ .
 (٦) في (أ) و(د) : (أي) ، والمثبت هو الصحيح وموافق للمصادر .

يقول : ينصره السلطان حتى ينصفه من ظالمه ، فمن انتصر لنفسه دون السلطان فهو عاص مسرف قد عمل بحمية الجاهلية ولم يرض بحكم الله^(١) ، فعلى هذا نُسَخ من الآية أن يتولى المظلوم أخذَ القصاص ، بل يجب أن يرفع ذلك إلى السلطان حتى يعاقب خصمه بمثل ما عاقبه ، ثم أخبر أن الصبر خير وأفضل ، فقال : ﴿وَلَيْنَ صَبْرٌكُمْ﴾ ؛ أي عن المجازاة بالمثلة ، أو على ما يصيبكم من أذى المشركين ، أو على ظلم من ظلمكم ، ﴿لَهُوَ﴾ ؛ أي الصبر ﴿خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ .

١٢٧ . ثم أمر نبيه - عليه السلام - بالصبر عزمًا ، فقال : ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ ؛ أي بتوقيفه ومعونته ، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ ؛ أي على المشركين بإعراضهم عنك ، وقيل : على قتلى^(٢) أحد؛ فإنهم أفضوا إلى رحمة الله وكرامته^(٣) .

وقوله : ﴿وَلَا تَأْكُفِي صَبْرٌكُمْ﴾ ، قراءة العامة بفتح الضاد^(٤) ، واختاره أبو عبيد ، وقال : لأن الضيق بالكسر في قلة المعاش والمساكن ، وما كان في القلب فإنه الضيق^(٥) .

(١) أخرجه الطبري ١٩٩/٢ ، بنحوه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، والبيهقي في السنن ، كتاب : الجنائيات ، باب : الولي لا يستبد بالقصاص دون الإمام (٦١/٨) ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٧٣/١ ، بنصه ، وزاد نسبه إلى أبي داود في ناسخه وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) في النسخ جميعها : (قتل) ، والصحيح المثبت .

(٣) انظر : تفسير ابن عطية ٥٥٠/٨ ، وصوب الأول ، وعليه يكون عود الضائر على جهة واحدة ، وذكر كذلك ابن الجوزي ٥٠٨/٤ ، الوجهين ، ونسب الأول إلى ابن عباس ، وعزا الثاني إلى الواحدي .

(٤) انظر : السبعة ٣٧٦ ، وعلل القراءات ٣١٠/١ ، والحجة للقراء ٨٠/٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٦ ، والكشف عن وجوه القراءات ٤١/٢ ، والتيسير ١٣٩ ، وتلخيص العبارات ١١١ ، والموضح في وجوه القراءات ٧٤٦/٢ .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ١١٦٧/٢ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير الخازن ١٤٤/٣ .

وقال أبو عمرو : الضَّيِّقُ بفتح الضاد : العَمُّ ، والضَّيِّقُ بالكسر : الشدة^(١) ، ونحو هذا قال الفراء : الضَّيِّقُ : ما ضاق عنه صدرك ، والضَّيِّقُ : ما يكون في الذي يتسع ، مثل الدار والثوب وأشباه ذلك^(٢) .

وقال أبو عبيدة : ضَيَّقَ تخفيف ضَيَّقَ ، مثل مَيَّتَ ، يقال : أمر ضَيِّق وضَيِّق^(٣) .
وقال أبو الحسن الأخفش : الضيق : مصدر ضاق يضيق ضَيْقاً ، وضَيْقاً ، لغتان في المصدر^(٤) .

قال أبو علي : وينبغي أن يحمل ضيق هاهنا على أنه مصدر لا على ما قال أبو عبيدة ؛ لأن فيه^(٥) إقامة الصفة مقام الموصوف من غير ضرورة^(٦) ، ولأن المعنى : لا تكن في ضيق ؛ أي لا يضيق^(٧) صدرك من مكرهم ، كما قال : ﴿ وَضَاقُ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ [هود : ١٢] ، وليس المعنى : ولا تَكُ في أمرٍ ضَيِّق^(٨) ، وقرأ ابن كثير : (ضَيِّق) بكسر

(١) ورد في تفسير الثعلبي ١٦٧/٢ ، بنصه ، وفي علل القراءات ٣١١/١ ، عن أبي عمرو : والضَّيِّقُ : الشيء الضَّيِّقُ ، والضَّيِّقُ المصدر .

(٢) معاني القرآن ١١٥/٢ ، بنصه ، وانظر : تهذيب اللغة (ضيق) ٢٠٨٢/٣ ، بنصه .

(٣) مجاز القرآن ٣٦٩/١ ، بنحوه ، وهو قول ابن قتيبة كذلك . انظر : الغريب لابن قتيبة ٢٤٩ .

(٤) لم أجده في معانيه ، وورد في الحجة للقراء ٨٠/٥ ، بنحوه ، وفي تفسيره الوسيط ، تحقيق سيبسي ٤٦١/٢ ، بنصه ، وانظر : تفسير القرطبي ٢٠٣/١٠ .

(٥) أي في حمله على أنه مخفف من ضَيَّقَ .

(٦) ودعواه هذه يبينها ابن عطية ، فقال : إن الصفة إنما تقوم مقام الموصوف إذا تخصص الموصوف من الصفة نفسها ، كما تقول : رأيت ضاحكاً فإنما تخصص الإنسان ، ولو قلت : رأيت بارداً لم يحسن ، كما قال سيبويه : وضيق لا يخص الموصوف ، وقد أجاز الفخر الرازي إقامة الموصوف مقام الصفة في هذه الآية لفائدة ، وهي أن الضيق إذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالإنسان من الجوانب كلها ، وصار كالقميص المحيط به ، فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ هذا المعنى . انظر : تفسير ابن عطية ٥٥١/٨ ، والفخر الرازي ١٤٣/٢٠ ، وأبي حيان ٥٥٠/٥ .

(٧) في النسخ جميعها : (لا يضيق) ، وهو خطأ نحوي ، والتصويب من المصدر .

(٨) الحجة للقراء ٨٠/٥ ، بتصرف يسير .

الضاد^(١)، وهما لغتان كما قال أبو الحسن، فمن كسر في معنى من فتح^(٢)، وذكرنا أبلغ وأتم من هذا في سورة [النمل: ٧٠].

١٢٨. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾. قال ابن عباس: يريد خافوني ولم يشركوا بي شيئاً، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ يريد: موحدون، وقال الحسن: اتقوا الله في ما حرم عليهم، وأحسنوا في ما افترض عليهم^(٣)، ونحوه قال الكلبي: اتقوا الفواحش والكبائر^(٤).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾: في العمل. وقال الزجاج في هذه الآية: قد وعدوا النصر^(٥)؛ أي أن الله ناصرهم كما قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

* * *

(١) انظر: السبعة ٣٧٦، وعلل القراءات ٣١٠/١، والحجة للقراء ٧٩/٥، والمبسوط في القراءات ٢٢٦، والكشف عن وجوه القراءات ٤١/٢، والتيسير ١٣٩، وتلخيص العبارات ١١١، والموضح في وجوه القراءات ٧٤٦/٢.

(٢) ورد في الحجة للقراء ٨٠/٥، بنصه تقريباً، وإليه ذهب ابن السكيت في الإصحاح ٣٢، فقال: ويقال في صدر فلان ضيقٌ وضيقٌ، ومكانٌ ضيقٌ وضيقٌ، وكذلك ابن قتيبة في أدب الكاتب ٥٢٨، وقال السمرقندي ٢٥٦/٢: ومعناها واحد؛ أي لا يضيق صدرك مما يقولون لك ويصنعون بك.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٦٤/٢، بنصه، وأخرجه الطبري ١٩٨/١٤، بنصه من طريقين، وورد في معاني القرآن للنحاس ١١٤/٤، بنحوه، وانظر: الدر المنثور ٢٥٦/٤، وزاد نسبه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) ورد بنصه غير منسوب في تفسير الوسيط، تحقيق سيسي ٤٦١/٢، وتفسير القرطبي ٢٠٣/١٠، وتنوير المقباس ٢٩٥.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٤/٣، بنحوه.

تفسير



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۚ لَيْلًا﴾ الآية . قال النحويون : ﴿سُبْحَنَ﴾ اسم موضوع في موضع مصدر سَبَّحْتُ الله تسييحاً وسبحاناً ، فالتسييح هو المصدر ، وسبحان اسم منه^(١) ، كقولك : كَفَرْتُ اليمين تكفيراً وكُفْراناً^(٢) ، وتأويله في المعنى : أنه البراءة والتنزيه لله مما يُنْفَى عنه ، والتسييح يُذكر بمعنى الصلاة ، ومنه قوله : ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣]؛ أي من المصلين^(٣) ، والسُّبْحَةُ : الصلاة

(١) انظر : الكتاب ١/ ٣٢٢ ، والمقتضب ٣/ ٢١٧ ، وتفسير الطبري ١٥/ ١ ، والمخصص ١٧/ ١٦٣ ، وأما ابن الشجري ٢/ ١٠٧ ، وشرح المفصل ١/ ٣٧ ، والخزانة ٧/ ٢٤٥ .

(٢) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٤٤ بنصه وعزاه إلى أبي عبيد ، وليس في غريبه ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٤٥ ، والقرطبي ١٠/ ٢٠٤ .

(٣) ورد في غريب الحديث ١/ ١٩٨ ، بلفظه ، والغريب لابن قتيبة ٢/ ٩٦ ، بلفظه ، أخرجه الطبري ١٥/ ١ ، بلفظه عن ابن عباس وابن جبير والسدي ، وورد بلفظه في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣١٣ ، =

النافلة^(١)، وإنما قيل للمصلي: مُسَبِّح؛ لأنه معظم لله بالصلاة تعظيم المنزه له عما لا يجوز في صفته، وورد التسبيح بمعنى الاستثناء في قوله عز وجل: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْزَأْفَلْ لَكَ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]؛ أي [لو]^(٢) لا تستثنون^(٣)، وهو لغة لبعض اليمن، وتأويله يعود إلى تعظيم الله في الاستثناء بمشيئته^(٤).

وجاء في الحديث: «لولا ذلك لأخرقت سُبُحاتُ وجهه ما أدركت من شيء»^(٥) فيقال: إنه نور وجهه^(٦).

وتهذيب اللغة (سبح) ١٦١٠/٢، والمفردات ٣٩٢، وتفسير الماوردي ٢٢٤/٣، والطوسي ٤٤٥/٦، وانظر: تفسير الفخر الرازي ١٤٦/٢٠.

(١) ورد بنحوه في غريب الحديث ١٩٨/١، وتهذيب اللغة (سبح) ١٦١٠/٢، عن الليث، والمحيط في اللغة (سبح) ٤٩٥/٢، وتفسير الطوسي ٤٤٥/٦، وانظر: تفسير الفخر الرازي ١٤٦/٢٠، واللسان (سبح) ١٩١٦/٤.

(٢) ما بين المعقوفين إضافة ليتلاءم لفظ التفسير مع لفظ الآية.

(٣) أخرجه الطبري ١/١٥، بنحوه عن مجاهد من طريقين، وورد في معاني القرآن وإعرابه ٢٠٩/٥، بنحوه، والمحيط في اللغة (سبح) ٤٩٥/٢، بنحوه، والمفردات ٣٩٣، بنحوه، وتفسير الماوردي ٢٢٤/٣، بنصه، والطوسي ٤٤٥/٦، بنحوه.

انظر: تفسير الفخر الرازي ١٤٦/٢٠، وعمدة الحفاظ ١٨٩/٢.

(٤) قال الزجاج: فالاستثناء تعظيم الله والإقرار بأنه لا يقدر أحد أن يفعل فعلاً إلا بمشيئة الله عز وجل. انظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٠٩/٥.

(٥) طرفه: «إن الله لا ينالم ولا ينبغي له أن ينالم...». عن أبي موسى، أخرجه أحمد ٤٠١/٤، ٤٠٥، بنحوه، ومسلم ١٧٩، كتاب: الإيمان، باب: قوله: «إن الله لا ينالم» بنحوه، ابن ماجه ١٩٥، كتاب: المقدمة في ما أنكرت الجهمية ٣٩/١، وابن أبي عاصم في السنة ١/٢٧٢، بنحوه، والآجري في الشريعة ٢٩١، ٣٠٤، والسهمي في تاريخ جرجان ١٣٠، بنحوه، والبيهقي في الأساء والصفات ٣٩١، بنحوه، والبغوي في شرح السنة، كتاب: الإيمان، باب: الرد على الجهمية ١/١٧٣، بنحوه، وورد في غريب الحديث ١/٤٥٧، بنحوه، وتفسير الطبري ٨/٣، بنصه.

(٦) ورد في تهذيب اللغة (سبح) ١٦١٠/٢، بنصه، قاله ابن شميل.

قال أبو عبيد : ولم نسمع هذه الكلمة ولا نعرف لها شاهداً في كلامهم إلا في الحديث^(١).

وقال غيره : «سُبُحات وجهه» : نور وجهه الذي إذا رآه الرائي قال : سبحان الله^(٢) ، قال سيبويه معنى سبحان الله : براءة الله من السوء^(٣) ، وسبحان : اسم لهذا المعنى معرفة ، يدل على ذلك قول الأعشى :

سَبْحَانَ مِنْ عُلُقَمَةِ الْفَاجِرِ^(٤)

أي براءة منه ، وهو ذِكْرُ بَعْظَمِ اللَّهِ لا يصلح لغيره ، وإنما ذَكَرَهُ الشاعرُ نادراً ؛ بأن رَدَّهُ إلى الأصل وأجراه كالمثل^(٥).

(١) غريب الحديث ١٧٣/٣ ، بنحوه .

(٢) ورد في تفسير الطوسي ٤٤٥/٦ ، بنصه ، وعزاه إلى المبرّد .

(٣) الكتاب ١/٣٢٤ ، بنصه ، وورد في تهذيب اللغة (سيح) ١٦٠٩/٢ ، بنصه .

(٤) وصدره :

أقول لما جاءني فجرُهُ

ديوانه ٩٣ ، وورد في الكتاب ١/٣٢٤ ، ومجاز القرآن ١/٣٦ ، وجمهرة اللغة ١/٢٧٨ ، والخصائص ٢/٤٣٥ ، وتهذيب اللغة (سيح) ١٦٠٩/٢ ، ومجمل اللغة ١/٤٨٢ ، وأملّي ابن الشجري ٢/١٠٧ ، ٥٧٨ ، وتفسير الثعلبي ٧/١٩٣ ، والطوسي ٦/٤٤٥ ، والأساس ١/٤١٨ ، وشرح المفصل ١/٣٧ ، واللسان (سيح) ٤/١٩١٤ ، والدر المنثور ٤/٢٥٨ ، والخزانة ٧/٢٣٧ ، وورد بلا نسبة في المقتضب ٣/٢١٨ ، والخصائص ٢/١٩٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/١١٨ ، والمخصص ١٥/١٨٧ ، والمفردات ٣٩٣ ، وتفسير الماوردي ٣/٢٢٣ ، وعمدة الحفاظ ٢/١٨٨ . وفي المصادر جميعها عدا الديوان : فخره ، الفاخر ، فلعلها تصحفت فيه ، فرواية المصادر أصح ؛ لأن الكلام في الفخر لا الفُخْر ، كما قال أبو عبيدة : قال الأعشى : تبرؤاً وتكذيباً لفخر علقمة . مجاز القرآن ١/٣٦ .

(٥) ورد في تفسير الطوسي ٦/٤٤٥ بنصه تقريباً ، قال الراغب : تقديره سُبحان علقمة ، على طريق التهكم ، فزاد فيه (من) رداً إلى أصله ، وقيل : أراد سبحان الله من أجل علقمة ، وقد اعترض السمين والبغدادى على قوله الأول ، فقال السمين : وفيه نظر ، وقال البغدادى : وهو ضعيف لغةً وصناعةً ، انظر : الدر المنصور ١/٢٥٩ ، والخزانة ٧/٢٤٥ .

وقال صاحب النظم : السبح في اللغة : التباعد ، يدل عليه قوله عز وجل : ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل : ٧]؛ أي متباعداً في المذهب والمدة لما تريد من قضاء حوائجك ، ومعنى سَبَّحَ الله : بَعَّده ونزَّهه عما لا يليق به^(١) ، والتنزيه معناه : التباعد^(٢) ، و﴿سُبْحَنَ﴾ اسم بمعنى المصدر ، موضوع موضع الفعل ، وكثيراً ما تضع العرب المصادر مواضع الأفعال ، كقوله عز وجل : ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابَ﴾ [حمد : ٤]؛ أي اضربوها ، ومثله : ﴿وَقِيلَ يَرْبِّ﴾ [الزخرف : ٨٨]؛ أي ويقول ، فعلى هذا معنى ﴿سُبْحَنَ﴾؛ أي سَبَّحوه ونزَّهوه عن الشريك والولد و^(٣) ما لا يجوز في صفته ، ويجوز أن يكون هذا التنزيه راجعاً إلى الله تعالى ، وبذلك فسَّر ابن عباس ، فقال : نزَّه^(٤) نفسه^(٥) ، وعلى هذا يجوز أن ينتصب ﴿سُبْحَنَ﴾ على النداء بمعنى : يا سبحان الذي أسرى بعبده .

قال الزَّجَّاج : معناه سَيَّرَ عبده^(٦) ، يعني محمداً ﷺ ، ومضى الكلام في الشرى والإسراء^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿لَيْلًا﴾ قال مقاتل : كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة^(٨) ، ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ اختلفوا فيه ، فقال الحسن وقتادة : يعني نفس المسجد^(٩) ،

-
- (١) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ١٤٥ بنصه .
 (٢) انظر : تهذيب اللغة (سبح) ٢ / ١٦٠٩ ، واللسان ٤ / ١٩١٤ .
 (٣) الواو ساقطة من (أ) و(د) .
 (٤) في النسخ جميعها : (نزَّهه) ، والصحيح المثبت كما في سورة النحل [آية : ١] عن ابن عباس أيضاً .
 (٥) انظر : تنوير المقباس ٢٨٢ ، وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١ / ٢٠٠ ، وهود الهواري ٢ / ٣٥٩ ، والسمرقندي ٢ / ٢٢٨ ، والفخر الرازي ١٩ / ٢١٨ .
 (٦) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٢٥ ، بنصه .
 (٧) سورة هود آية [٨١] .
 (٨) تفسير مقاتل ١ / ٢١٠ ب ، بنصه .
 (٩) ورد في تفسير الجصاص ٣ / ١٩٥ بنصه عنهما ، والطوسي ٦ / ٤٤٦ ، بنصه عنهما ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥ / ٤ ، عنهما .

يدل عليه ما روى أنس والحسن : أن النبي ﷺ قال : «بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق»^(١) . وذكر حديث المعراج .

وقال عامة المفسرين : أُسري برسول الله ﷺ من دار أم هانئ^(٢) ، وعلى هذا أراد بالمسجد الحرام مكة ، ومكة والحرم كله مسجد^(٣) ، وهو اختيار الفراء^(٤)

(١) ثبت حديث الإسراء والمعراج بروايات عدة مختصرة ومطولة ، وفي بعض الروايات زيادات لا تصح ، فرواه أنس بن مالك ومالك بن صعصعة - رضي الله عنهما - برواية : «بينا أنا في الحطيم - الحجر - مضطجعا إذ أتاني» . أخرجه أحمد ٢٠٨ / ٤ ، والبخاري ٣٢٠٧ ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة ١١٧٣ / ٣ ، وفي كتاب : فضائل الصحابة ، باب : المعراج ١٤١٠ / ٣ ، والبيهقي في الدلائل ٣٧٧ / ٢ ، وابن عبد البر في التمهيد ٣٨ / ٨ ، والبغوي في شرح السنة الفضائل ، باب : المعراج ٣٣٦ / ١٣ ، ورواه أنس بن مالك وأبو سعيد برواية : «أتيت بالبراق» ، و«أتيت بدابة» . أخرجه أحمد ١٤٨ / ٣ ، ومسلم ١٦٢ ، كتاب : الإيمان ، باب : الإسراء ، وعبد الرزاق ٣٦٥ / ٢ ، والطبري ٣ / ١٥ - ٤ ، والبيهقي في الدلائل ٣٨٢ / ٢ ، والبغوي في شرح السنة ٣٤٣ / ١٣ ، ورواه أبو ذر برواية : «فُرج سقف بيتي وأنا بمكة» ، وأخرجه مسلم ١٦٣ ، كتاب : الإيمان ، باب : الإسراء ، والبغوي ٦٠ / ٥ ، ورواه مالك بن صعصعة برواية : «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان» . أخرجه مسلم ١٦٤ ، كتاب : الإيمان ، باب : الإسراء ، والطبري ٣ / ١٥ ، والبيهقي في الدلائل ٣٧٣ / ٢ ، وورد بنحوه في تفسير مقاتل ١ / ٢١١ ، وسيرة ابن هشام ٢ / ٢ - ١٠ ، وتفسير السمرقندي ٢ / ٢٥٨ ، وهود الهواري ٢ / ٣٩٧ ، والثعلبي ٧ / ٩٣ ، وتفسير البغوي ٥ / ٥٩ ، والقرطبي ١٠ / ٢٠٥ ، والخازن ٣ / ١٤٥ ، وابن كثير : ٣ / ٢٨ - ٣ ، ومجمع الزوائد ١ / ٦٤ - ٧٣ ، والدر المنثور ٤ / ٢٥٨ ، والكنز ١١ / ٣٨٥ - ٣٩١ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١ / ٣٨٠ .

(٢) أخرجه الطبري ٢ / ١٥ ، بنحوه عن الكلبي عن أبي صالح عنها طريق واهية ، وورد بنحوه في تفسير الجصاص ٣ / ١٩٤ ، عنها ، والسمرقندي ٢ / ٢٥٨ ، عن ابن عباس ، والثعلبي ٧ / ٩٣ ، عن الكلبي ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥ / ٤ ، والفخر الرازي ٢٠ / ١٤٦ . تقدمت ترجمتها .

(٣) ورد في تفسير الجصاص ٣ / ١٩٥ ، بنصه ، والماوردي ٣ / ٢٢٥ ، بنحوه عن أبي صالح عن أم هانئ ، انظر : تفسير الزمخشري ٢ / ٣٥٠ ، عن ابن عباس ، وابن الجوزي ٥ / ٥ ، عن أبي يعلى ، والفخر الرازي ٢٠ / ١٤٦ ، عن ابن عباس .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢ / ١١٥ ، بنحوه .

وَالزَّجَّاجُ^(١)، ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ قالوا كلهم: يعني بيت المقدس^(٢)، وقيل له: الأقصى؛ لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام^(٣).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾، الأكثرون قالوا: باركنا حوله بالشار والأنهار^(٤)، وقيل: بمن جعلنا حوله من الأنبياء والصالحين^(٥)، وهو قول مجاهد، قال: لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة^(٦).

وقوله: ﴿لَنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَأْتَنَّا﴾، يعني ما رأى في تلك الليلة من العجائب والآيات التي تدل على قدرة الله وعظمته، وأخبر بها الناس من غد تلك الليلة (وهي معروفة مشهورة في الأخبار).

﴿إِنَّهُ﴾ أي الذي أسرى بعبده، ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، قال العلماء في هذه الآية: أخبر الله تعالى عن إسرائئه بعبده^(٧) إلى بيت المقدس ليلاً، وأصبح بمكة

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٥/٣، بنحوه.

(٢) ورد بنصه في تفسير مقاتل ٢١٠/١، والسمرقندي ٢٥٨/٢، وهود الهواري ٣٩٧/٢، والثعلبي ٩٣/٧، والماوردي ٢٢٦/٣، والطوسي ٤٤٦/٦، وانظر: تفسير الخازن ١٤٥/٣.

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٩٣/٧ بنصه، والماوردي ٢٢٦/٣ بنصه، والطوسي ٤٤٦/٦، وانظر: تفسير ابن عطية ٩/٩، وابن الجوزي ٥/٥، والفخر الرازي ١٤٦/٢٠، والقرطبي ٢١٢/١٠، والخازن ١٤٥/٣.

(٤) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ٢١١/١، ومعاني القرآن للفرّاء ١١٥/٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٢٥/٣، ومعاني القرآن للنحاس ١١٩/٤، وتفسير السمرقندي ٢٥٩/٢، والثعلبي ٩٣/٧، والماوردي ٢٢٦/٣، والطوسي ٤٤٦/٦، وانظر: تفسير ابن عطية ٩/٩، وابن الجوزي ٥/٥، والفخر الرازي ١٤٦/٢٠، والقرطبي ٢١٢/١٠، والخازن ١٤٥/٣، وابن كثير ٣/٣، والدر المنثور ٢٣٦/٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٥) ورد في تفسير الطوسي ٤٤٧/٦، بنصه، انظر: تفسير القرطبي ٢١٢/١٠.

(٦) ليس في تفسيره، وورد في تفسير الثعلبي ٩٣/٧ بنصه، والماوردي ٢٢٦/٣ بنصه، انظر: تفسير البغوي ٥٨/٥، وبلا نسبة في تفسير ابن الجوزي ٥/٥، والفخر الرازي ١٤٦/٢٠، والخازن ١٤٥/٣.

(٧) ما بين القوسين كتب على الهامش في نسخة (أ).

وأخبر أهلها بذلك فلم يصدقوه حتى بَيَّنَّ لهم العلامات التي رآها في الطريق ، ووصف لهم المسجد ، ولم يكن رآه قبل ذلك ، وكان الأمر على ما قال فثبت بذلك صدقه وظهر إعجازه^(١) ، ثم أخبر هو ﷺ أنه عرج به تلك الليلة إلى السماء على ما يروى في الحديث^(٢) واجتمعت الرواة أصحاب الأخبار على صحته ، فيثبت عروجه إلى السماء بخبر الصادق الذي يجب قبول قوله .

٢. قوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الآية . ذكر الله تعالى في الآية الأولى كرامة محمد ﷺ بأن أسرى به ، ثم ذكر أنه أكرم موسى أيضاً قبله بالكتاب الذي آتاه ، فقال : ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة^(٣) .

﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ . قال قتادة : جعله الله هدى لهم ، يخرجهم من الظلمات إلى النور^(٤) .

وقال الزَّجَّاجُ أي دللناهم به على الهدى^(٥) .

(١) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢١١أ ، ومعاني القرآن للفرأء ٢/ ١١٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٦ ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٤٠٦ ، والشعلي ٧/ ٩٩ ب ، والطوسي ٦/ ٤٤٦ .

(٢) سبق ذكر الحديث وعزوه .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢١٢أ ، بلفظه ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٩ ، والماوردي ٣/ ٢٢٧ ، والطوسي ٦/ ٤٤٧ .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٨ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٢٩٤ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٦ ، بنصه .

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾. قرأ أبو عمرو بالياء^(١)؛ لأن المتقدم^(٢) ذكرهم على لفظ الغيبة، والمعنى: هديناهم؛ لئلا يتخذوا من دوني وكيلًا، ومن قرأ بالتاء^(٣) فهو على الانصراف إلى الخطاب بعد الغيبة، مثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ١]، ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^(٤) [الفاتحة: ٥].

قال أبو علي الفارسي: يجوز في (أَنْ) في قوله: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ [ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن تكون (أَنْ) الناصبة للفعل، فيكون المعنى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾ لئلا تتخذوا]^(٥).

والآخر: أن تكون معنى (أي) التي للتفسير، وانصرف الكلام من الغيبة إلى الخطاب في قراءة العامة، كما انصرف منها إلى الخطاب والأمر في قوله: ﴿وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾ [ص: ٦]، فكذلك انصرف من الغيبة إلى النهي في قوله: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾.

والثالث: أن تكون زائدة^(٦)، ويحمل ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ على القول المضمّر، فيكون التقدير: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فقلنا: لا تتخذوا من دوني شريكاً^(٧).

(١) انظر: السبعة ٣٧٨، وعلل القراءات ٣١٣/١، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٦٣/١، والحجة للقراء ٨٣/٥، والمبسوط في القراءات ٢٢٧، والكشف عن وجوه القراءات ٤٢/٢، والتيسير ١٣٩.

(٢) في النسخ جميعها: (التقدم)، والمثبت هو الصحيح والموافق للمصدر.

(٣) وهم الباقون. انظر: المصادر السابقة.

(٤) ورد بنصه تقريباً في الحجة للقراء ٨٣/٥.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د).

(٦) انظر: التعليق على القول بالزيادة في القرآن، عند آية [١٠] من سورة إبراهيم.

(٧) الحجة للقراء ٨٤/٥ تصرف فيه بالتقديم والتأخير والاختصار.

قال المبرّد: ولا أعرف لهذا وجهاً في العربية^(١)؛ لأنه لا يكون الوكيل الذي يوكله موكله ليخلفه في ما وكله فيه شريكاً، والوكيل هو الذي يفعل ما يفعله الموكّل، والله - عز وجل - يتعالى عن أن يكون دونه من يُدعى كما يُدعى، ويُفعل كما يفعل، فمنهاهم أن يضعوا أحداً بهذا الموضع؛ إذ لا كافي غيره^(٢).

قال أبو علي: أفرد الوكيل وهو في معنى الجميع؛ لأن فعلاً يكون مفرداً في اللفظ والمعنى على الجميع، كقوله: ﴿وَحَسَنَ أَوْلَٰدِكَ رَفِيقًا﴾^(٣) [النساء: ٦٩]، وقد مر.

٣. قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾، يجوز في نصب ذرية وجهان؛ أحدهما: أن يكون منصوباً على النداء، يعني: يا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ، وهذا قول مجاهد، قال: هذا نداء^(٤)، وإنما يصح هذا على قراءة من قرأ بالتاء، كأنه قيل لهم: لا تتخذوا من دوني وكيلاً يا ذرية من حملنا مع نوح في السفينة، [قال قتادة: الناس كلهم ذرية نوح ومن أنجى الله في تلك السفينة^(٥)].

(١) أي تفسير (وكيلاً) بـ (شريكاً)، وهو قول مجاهد، أخرجه الطبري ١٨١٧/١٥، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٢٠/٤، وتفسير الماوردي ٢٢٧/٣، والطوسي ٤٤٧/٦، والدر المنثور ٢٩٤/٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم. وقد ورد قول المبرّد في تفسير الطوسي ٤٤٧/٦، بنحوه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) الحجة للقراء ٨٥/٥، بنصه.

(٤) انظر: تفسير البغوي ٦٧/٥، وابن الجوزي ٦/٥، والفخر الرازي ١٥٤/٢٠، والقرطبي ٢١٣/١٠، والدر المنثور ٢٩٤/٤، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري ١٩/١٥، بنصه، وتضمن الخبر قول الحسن اللاحق بنحوه، انظر: تفسير ابن الجوزي ٦/٥، والفخر الرازي ١٥٤/٢٠، مثل الطبري.

وقال الحسن : وكان معه في السفينة^(١) ثلاثة بنين : يافث وسام وحام ، والناس كلهم من ذرية أولئك^(٢) .

قال الزَّجَّاج : وإنما ذُكِّرُوا بنعمة الله عندهم ؛ إذ أنجى آباءهم^(٣) من الغرق بأنهم حُمِلُوا مع نوح^(٤) ، الوجه الثاني في نصب ذرية : أن يكون مفعول الاتخاذ ؛ لأنه فعلٌ يتعدى إلى مفعولين ، كقوله : ﴿وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(٥) [النساء : ١٢٥] ، ويجوز هذا الوجه في القراءتين جميعاً ، والمعنى : لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح من دوني وكيلاً ، ذكر هذا أبو إسحاق وأبو علي^(٦) .

ثم أثنى على نوح فقال تعالى : ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ، قال المفسرون : كان نوح إذا أكل طعاماً أو لبس ثوباً حمد الله تعالى ، فَسُمِّيَ عبداً شكوراً^(٧) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (د) .

(٢) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير هود الهواري ٤٠٧/٢ .

(٣) في النسخ جميعها : (آباءهم) ، وهو خطأ نحوي ظاهر ، وفي المصدر : (أبناءهم) ، وهو خطأ كذلك ، لكن في اللفظ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٦/٣ ، بنصه تقريباً .

(٥) ورد في الحجة للقراء ٨٥/٥ ، بنصه .

(٦) انظر : المصدرين السابقين .

(٧) أخرجه الطبري ١٩/١٥ ، بنصه وبنحوه من طرق عدة ، ورد بنحوه في تفسير مقاتل ٢١٢/١ ، والسمرقندي ٢٥٩/٢ ، وهود الهواري ٤٠٧/٢ ، والثعلبي ١١٠٠/٧ ، والماوردي ٢٢٨/٣ ، والطوسي ٤٤٧/٦ ، وانظر : تفسير البغوي ٦٧/٥ ، والزنجشري ٢٥١/٢ ، وابن الجوزي ٧/٥ ، والفخر الرازي ١٥٥/٢٠ ، والقرطبي ٢١٣/١٠ .

٤. قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾. قال ابن عباس والمفسرون: أعلمناهم وأخبرناهم^(١).

قال أبو إسحاق: معناه أعلمناهم في الكتاب وأوحينا إليهم، ومثل ذلك: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦] معناه أعلمناه وأوحينا إليه^(٢)، ومعنى القضاء في اللغة: قطع الأشياء عن إحكام^(٣)، ومنه قوله: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢]. وقول الشاعر^(٤):

وعليهما مسرودتانِ قضاهما^(٥)

(١) أخرجه الطبري ٢١/١٥، بلفظه عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٢٢/٤، بلفظه عن ابن عباس، وتفسير السمرقندي ٢/٢٦٠ بلفظه، وهود الهواري ٢/٤٠٨، بنحوه، والثعلبي ٧/١٠٤، بلفظه، والماوردي ٣/٢٢٨، بنحوه، والطوسي ٦/٤٤٨ بنصه، انظر: تفسير البغوي ٥/٦٧، وابن عطية ٩/١٥، وابن الجوزي ٥/٧، عن ابن عباس، والفخر الرازي ٢٠/١٥٥، والخازن ٣/١٥٢، وأبي حيان ٦/٨، عن ابن عباس، والدر المنثور ٤/٢٩٥-٢٩٦، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٢٧، بنصه تقريباً.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (قضى) ٣/٢٩٨٦، والمحيط في اللغة ٥/٤٦٢، ومجمل اللغة ٢/٧٥٧، والصاحح ٦/٢٤٦٣، واللسان ٦/٣٦٦٥.

ذكر أصحاب الوجوه والنظائر أن قضى وردت في القرآن على عشرة أوجه، ونقل ابن حجر في الفتح عن إسماعيل النيسابوري أنها وردت في القرآن على خمسة عشر وجهاً، كما ذكر ضابطاً معنى القضاء، نقله عن الأزهرى، وهو: كل ما أحكم عمله أو ختم أو أكمل أو وجب أو أهم أو أنفذ أو مضى فقد قضى. انظر: التصاريف ٣٤٠، وإصلاح الوجوه والنظائر ٣٨٥، وفتح الباري ٨/٢٤١.

(٤) هو أبو ذؤيب الهذلي، مخضرم، توفي ٢٧هـ.

(٥) وعجزه:

داوُدُ أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغُ تُبَّعُ

ديوان الهذليين ١٩، وورد في تأويل مشكل القرآن ٤٤١، وتهذيب اللغة (قضى) ٣/٢٩٨٦، واللسان ٦/٣٦٦٥.

وورد برواية: «تعاورا مسرودتين قضاها» في المعاني الكبير ٢/١٠٣٩.

وورد غير منسوب في معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٢٧، مسرودتان: درعان، قضاها: فرغ منها؛ أي داود عليه السلام، أو صَنَعَ السَّوَابِغُ، الحاذق بالعمل، والصَّنَعُ هاهنا: تُبَّعُ.

قال ابن قتيبة في هذه الآية : أعلمناهم ؛ لأنه لما خَبَّرَهم أنه^(١) سيفسدون في الأرض ، حَتَمَ بوقوع الخبر^(٢) ، و﴿إِلَى﴾ في هذه الآية من صلة الإيجاء ؛ لأن معنى ﴿وَقَضَيْنَا﴾ : أوحينا ، فالمعنى : إنا أوحينا إليهم ، كذا قال أبو إسحاق^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿لَنُفْسِدَنَّ﴾ . قال ابن عباس : يريد المعاصي وخلاف أحكام التوراة^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ . قال الكلبي : يعني أرض مصر^(٥) ، ﴿وَلَنَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ . قال الزجاج : معناه لَتَعْظُمَنَّ وَلَتَبْغُنَّ ؛ لأنه يقال لكل مُتَجَبِّرٍ : قَدْ عَلَا وَتَعَظَّمَ^(٦) .

٥ . قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ ، يعني أولى^(٧) المرتين ، ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ . قال عطية : أفسدوا المرة الأولى فأرسل الله عليهم جالوت ، وعاد ملكهم كما كان ، وهذا قول قتادة

(١) الأولى أنهم كما في المصدر .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٤٤١ ، بنصه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٧/٣ ، بنصه .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٢٩٦ ، بنحوه ، وتفسير البغوي ٧٩/٥ ، بنحوه عن قتادة ، وورد بنصه وبنحوه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/٢٦٠ ، والثعلبي ٧/١٠٤ ، وابن الجوزي ٧/٥ ، والفخر الرازي ٢٠/١٥٥ ، والقرطبي ١٠/٢١٤ ، والخازن ٣/١٥٢ .

(٥) انظر : تفسير ابن الجوزي ٧/٥ ، والفخر الرازي ٢٠/١٥٥ بلا نسبة فيها ، وهو تفسير غريب للأرض المعنية بأنها مصر ؛ لأن الأحداث كلها تدور في بيت المقدس والشام ، كما نصت عليه الروايات وأشار إليها بعض المفسرين ، كالْبغوي ٧٩/٥ ، والقرطبي ١٠/٢١٤ ، والخازن ٣/١٥٢ ، والغريب أن أبا حيان نسب إلى الكلبي خلافة ، فقال : وقال الكلبي : لتعصن في الأرض المقدسة . انظر : تفسير أبي حيان ٦/٩ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٧/٣ ، بنصه .

(٧) ساقطة من (ش) و(ع) .

ورواية عطية عن ابن عباس^(١)، وعلى هذا القول: ﴿عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بِأَيْسَ شَدِيدٍ﴾ هم جالوت وجنوده .

ومعنى: ﴿أُولَىٰ بِأَيْسَ شَدِيدٍ﴾ . قال ابن عباس: البأس: القتال^(٢)، ومنه قوله: ﴿وَجِئْنَا بِأَبَاسٍ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

ومعنى ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾: أرسلنا عليكم وخَلَّيْنَا بينكم وبينهم خاذلين إياكم^(٣) .

وقال مجاهد في قوله: ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ الآية . قال: جند جاءهم^(٤) من فارس ، يتحسسون أخبارهم ويسمعون حديثهم ، معهم بختنصر فوعى^(٥) حديثهم من بين أصحابه ، ثم رجعت إلى فارس ولم يكن قتال ، ونُصر عليهم بنو إسرائيل ، فهذه وعد الأولى ، وهذا قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير^(٦) .

(١) أخرجه عبدالرزاق ٣٧٣/٢ ، بنحوه عن قتادة ، والطبري ٢٨/١٥ ، بنحوه عن ابن عباس من طريق عطية (ضعيفة) وبنحوه من طريقين عن قتادة ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٢٣/٤ ، بنحوه عن قتادة ، وتفسير الثعلبي ١٠٤/٧ ، بنحوه عن ابن عباس ، والطوسي ٤٤٨/٦ ، بنحوه عنهما ، انظر: تفسير ابن الجوزي ٩/٥ ، عنهما ، والقرطبي ٢١٥/١٠ ، عن قتادة ، وابن كثير ٢٩/٣ ، عنهما ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢٩٩/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن عطية ، وأورده وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، وأورده ٢٤٤/٥ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن قتادة .

(٢) انظر: تفسير الفخر الرازي ٤٥/٥ بلفظه ، وأخرجه الطبري ٢٧/١٥ بلفظه من طرق عدة عن ابن مسعود ومجاهد وقتادة والضحاك ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣١٥/١ وزاد نسبته إلى وكيع وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم وصححه عن ابن مسعود .
(٣) ورد في تفسير الماوردي ٢٢٩/٣ ، بنحوه عن الحسن ، انظر: تفسير الزمخشري ٣٥٢/٢ ، والفخر الرازي ١٥٥/٢٠ .

(٤) هكذا في النسخ جميعها ، والأولى: جاؤوهم؛ لأن جند جمع ، ويتناسب مع قوله: يتحسسون ، وهكذا في المصدر .

(٥) في (د): (مرفوعاً) .

(٦) تفسير مجاهد ٤٢٨ وعبارته مضطربة ومخالفة للمصادر جميعها ، وأخرجه الطبري ٣٠/١٥ ، بنصه عن مجاهد من ثلاثة طرق ، انظر: تفسير القرطبي ٢١٥/١٠ ، والدر المنثور ٢٩٩/٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد ، ولم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس .

وقوله تعالى : ﴿فَجَاسُوا خَلَلِ الدِّيَارِ﴾ . قال الليث : الجوس والجوسان : التردد خلال الدور والبيوت في الغارة ونحو ذلك^(١) ، ومعنى جاسوا : ترددوا وتخللوا^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿خَلَلِ الدِّيَارِ﴾ يعني ديار بيت المقدس ، والخلال : الانفراج بين الشيئين^(٣) واختلفت العبارات في تفسير جاسوا ، فقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يقول : مشوا^(٤) .

وقال أبو عبيدة : طلبوا مَنْ فيها^(٥) .

وقال الفراء : يقول : قتلوكم بين بيوتكم^(٦) .

وقال ابن قتيبة : عاثوا وأفسدوا^(٧) .

وقال الزَّجَّاجُ أي فطافوا خلال الدِّيَارِ هل بقي أحدٌ لم يقتلوه ، والجَّوْسُ : طلب الشيء باستقصاء^(٨) ، هذا كلامهم ، والجَّوْسُ يحتمل هذه المعاني التي

(١) ورد في تهذيب اللغة (جاس) ٥٢١/١ ، بنصه تقريباً .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (جوس) ٥٢١/١ ، والمحيط في اللغة ١٤٦/٧ ، ومجمل اللغة ٢٠٣/١ ، والصاحح ٩١٥/٣ ، واللسان (جوس) ٧٢٦/٢ .

(٣) انظر : المحيط في اللغة (خل) ١٧٥/٤ ، ومجمل اللغة ٢٧٦/١ ، والصاحح (خلل) ١٦٨٧/٤ ، والمحكم (خلل) ٣٧١/٤ ، واللسان ١٢٤٩/٢ .

(٤) في النسخ جميعها : (فتشوا) ، والتصويب من المصادر ، فقد أخرجه الطبري ٢٧/١٥-٢٨ ، بلفظه من الطريق نفسه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٢٣/٤ بلفظه ، وتفسير الثعلبي ١٠٤/٧ ، بلفظه ، والماوردي ٢٢٩/٣ ، بلفظه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٩/٥ ، والقرطبي ٢١٦/١٠ ، والدر المنثور ٢٩٩/٤ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ليس في مجازه ٣٧٠/١ ، والذي فيه قال : قتلوا . وقد ورد بنصه في تفسير الثعلبي ١٠٤/٧ .

(٦) معاني القرآن للفراء ١١٦/٢ ، بنصه .

(٧) الغرب لابن قتيبة ٢٥٢/١ ، بنصه تقريباً .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٧/٣ ، بنصه تقريباً .

ذكروها ، إِنَّ معنى الجوس هو التردد للطلب ، فيحتمل أنهم جاسوا لطلب الخبر على قول مجاهد^(١) ، ويحتمل أنهم جاسوا بالقتل والعبث وطلب من يقتلونه^(٢) ، ويشهد لهذا قول حسان :

وَمِنَّا الَّذِي لَا قَى بِسَيْفٍ مُحَمَّدٍ
فَجَاسَ بِهِ الْأَعْدَاءَ عَرَضَ الْعَسَاكِرِ^(٣)
أَي تَحْلِلُهُمْ قِتْلًا بِسَيْفِهِ .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ . قال قتادة : قضاء قضاءه على القوم كما تسمعون^(٤) .

٦ . قوله تعالى : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطية : وقتل داود جالوت وعاد ملكهم كما كان^(٥) .

وقال مجاهد : نُصِرَ عليهم بنو إسرائيل^(٦) .

(١) تقدم قوله في الصفحة السابقة حاشية (٢) .

(٢) ورد في تفسير الطبري ٢٨/١٥ ، بنحوه .

(٣) لم أجده في ديوانه المطبوع ، وورد في تفسير الطبري ٢٨/١٥ ، والماوردي ٢٢٩/٣ ، والطوسي ٤٤٩/٦ ، والقرطبي ٢١٦/١٠ ، والشوكاني ٣٠٠/٣ ، والدر المنثور ٣١٤/٧ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٨/١٥ بنصه .

(٥) أخرجه الطبري ٣٠/٣١ ، مفصلاً من طريق العوفي (ضعيفة) ، انظر : تفسير ابن كثير ٢٩/٣ ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير الماوردي ٣/٢٣٠ ، والزنجشري ٢/٣٥٢ ، وابن الجوزي ١٠/٥ ، والفخر الرازي ٢٠/١٥٦ ، والقرطبي ١٠/٢١٧ ، وأبي حيان ٦/١٠ ، والألوسي ١٨/١٥ .

(٦) ليس في تفسيره ، أخرجه الطبري ٣٠/٣١ ، جزء من أثر بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٢٩٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم .

والكرة معناها : الرجعة والدولة^(١) ، وهذه الآية تدل على أنهم هُزِمُوا في المرة الأولى وقُتِلَ منهم .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ، قال أبو عبيدة : النفير : العدد من الرجال^(٢) .

[وقال الزَّجَّاج أي جعلناكم أكثر منهم نُصَّارًا^(٣) .

قال ابن قتيبة : أكثر عدداً ، وأصله مَنْ يَنْفِرُ مع الرجل مِنْ عشيرته وأهل بيته ، وهو^(٤) النَّفِيرُ والنافر واحد ، كما يقال : قدير وقادر^(٥) ، وذكرنا معنى نفر عند قوله : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾^(٦) [التوبة : ١٢٢] ، وقوله : ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا﴾^(٧) [التوبة : ٤١] .

(١) ورد بنحوه في غريب القرآن لليزيدي ٢١١ ، والغريب لابن قتيبة ٢٥٢ / ١ ، وتهذيب اللغة (كر) ٤٤٢ / ٩ ، والمحيط في اللغة (كر) ١٣٨ / ٦ ، ومجمل اللغة ٧٦٧ / ٢ ، والصحاح (كرر) ٨٠٤ / ٢ ، وتفسير الثعلبي ١٠٤ / ٧ ب ، بنصه ، والطوسي ٤٤٩ / ٦ ، وانظر : تفسير البغوي ٧٩ / ٥ ، وابن الجوزي ١٠ / ٥ ، والقرطبي ٢١٧ / ١٠ .

(٢) ليس في مجازه ٣٧١ / ١ والذي فيه ، قال : مجازه : من الذين نفروا معه ، وورد نحو من هذا القول عن أبي عبيد ، قال : النفر والرَّهْط : ما دون العشرة من الرجال . تهذيب اللغة (نفر) ٣٦٢٧ / ٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٢ / ٣ بنصه .

(٤) ضمير الفصل هو غير موجود في المصدر .

(٥) الغريب لابن قتيبة ٢٥٢ / ١ ، بنصه .

(٦) في كلا الموضعين لم يتكلم على المعنى اللغوي لنفر .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

وقال الرَّجَّاجُ : ويجوز أن يكون النفيّر جمعاً^(١) ، كالكلب والعبيد والصّئين والمعيّز^(٢) ، و(نفيراً) منصوب على التّمييز^(٣) .

٧. قوله تعالى : ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ الآية . يحتاج هاهنا إلى إضمار القول على تقدير : وقلنا : ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ ، قال ابن عباس : يريد إن أطعتم الله في ما بقي عفا عنكم المساوي ، ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ قال : يريد الفساد وعصيان الأنبياء وقتلهم ، ﴿فَلَهَا﴾ . قال : يريد فعلى أنفسكم يقع الوبال .

قال النحويون : إنما قيل : ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ للتقابل ، والمعنى : فإليها أو فعليها^(٤) ، مع أن حروف الإضافة تقع بعضها موقع بعض إذا تقاربت ، كقوله : ﴿يَا رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة ٥]؛ أي إليها .

(١) قال ابن عطية : وعندي أن النفيّر اسم للجمع الذي ينفّر ، سُمّي بالمصدر ، ومنه قول أبي سفيان لبني زهرة : لا في العير ولا في النفيّر؛ أي ولا في جمع قريش الخارج من مكة إلى بدر . انظر : تفسير ابن عطية ٢١/٩ .

(٢) الصّئين : جمع ضأن ، والضّأن ذوات الأصواف من الغنم . انظر : جهمرة اللغة (ضأن) ١٠٧٨/٢ ، وتهذيب اللغة ٢٠٨٣/٣ ، والمحيط في اللغة ٤٧/٨ ، والصحاح ٢١٥٣/٦ . والمعيز : جمع معزى وما عز ، والمعز : ذوات الشعر من الغنم . انظر : جهمرة اللغة (معز) ٨١٦/٢ ، وتهذيب اللغة ٣٤٢٠/٤ ، والمحيط في اللغة ٣٩٨/١ ، والصحاح ٨٩٦/٣ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٨/٣ ، بنصه .

(٤) ورد بنحوه في تفسير الطبري ٣١/١٥ ، والثعلبي ١٠٤/٧ ب ، والطوسي ٤٥١/٦ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ١٠/٥ ، والفخر الرازي ١٥٨/٢٠ ، بنصه ، والدر المصون ٣١٦/٧ .

وذهب النحاس إلى أن (لها) على بابها ، وقال : ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ ؛ أي يحصل العقاب لها ، ثم قال : و(لها) بمعنى (عليها) لا يقوله النحويون الخذاق ، وقد رجحه العكبري والمتجب ، قال العكبري : وقيل : هي على بابها ، وهو الصحيح ؛ لأن اللام للاختصاص ، والعامل مختص بجزاء عمله حسنة وسيئة . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٣١ ، والإملاء ٨٨/٢ ، والفريد في إعراب القرآن ٢٦٠/٣ .

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾؛ أي وعد المرة الآخرة من إفسادكم، قال المفسرون: فأفسدوا المرة، فقتلوا يحيى بن زكريا، فبعث الله عليهم (بخت نصر) البابلي المجوسي^(١) -أبغض خلقه إليه- فَسَبَا وقتل وَخَرَّبَ بيت المقدس، وسامهم سوء العذاب^(٢).

(١) هذا القول مشهور، بل قال الطبري ٢٧/١٥: لا اختلاف بين أهل العلم أن إفسادهم في المرة الآخرة كان قتلهم يحيى بن زكريا، ومع ذلك فقد رده كثير من العلماء، قال الثعلبي: ومن روى أن بختنصر هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا، فغلط عند أهل السير والأخبار؛ لأنهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم شَعْيًا وفي عهد أرمياء، قالوا: ومن عهد أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا -عليهما السلام- أربع مائة سنة وإحدى وستون سنة، وقال السهيلي: وهذا لا يصح؛ لأن قتل يحيى كان بعد رفع عيسى، وبختنصر كان قبل عيسى بن مريم عليهما السلام بزمان طويل، . ولكنه أريد بالمرة الأخرى حين قتلوا شَعْيًا؛ فقد كان بختنصر إذ ذاك حيًّا، فهو الذي قتلهم وَخَرَّبَ بيت المقدس. وقال الفخر الرازي: التواريخ تشهد بأن بختنصر كان قبل وقت عيسى عليه السلام، ويحيى بن زكريا -عليهما السلام- بسنين متطاولة. انظر: تفسير الثعلبي ٧/١٠٣، وابن الجوزي ١١/٥، والفخر الرازي ٢٠/١٥٨، والقرطبي ١٠/٢٢٠.

(٢) أخرجه الطبري ١٥/٣٥-٤٣، بنحوه عن ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقناة وابن جبير، وورد بنحوه في تفسير هود الهواري ٢/٤٠٩، وانظر: تفسير البغوي ٥/٨٠، وابن الجوزي ١١/٥. اختلف في فساد بني إسرائيل من حيث الوقوع وعدمه على ثلاثة أقوال:

الأول: أن كلا الفسادين وقع قبل بعثة النبي ﷺ ونزول القرآن، ووقعا في بيت المقدس، وإليه ذهب القدامى من المفسرين، واختلفوا في الفساد الأول؛ فذهب علي وابن مسعود وابن عباس وابن زيد -رضي الله عنه- إلى أنه قتلهم زكريا عليه السلام، وروى ابن إسحاق أنه كان قتلهم شعياً، وأيد قوله بأن بعض أهل العلم أخبره أن زكريا مات موتاً، ولم يُقتل، أما فسادهم في المرة الآخرة، فقد ذكر ابن جرير أنه لا خلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام. انظر: تفسير الطبري ١٥/٢٧، ٢٨، والدر المنثور ٤/٢٩٦.

القول الثاني: أن الفساد الأول مضى قبل الإسلام، والثاني هو فسادهم الحالي، قاله بعض المعاصرين، ومنهم الدكتور مصطفى مسلم، فقد ذكر أن الإفساد الأول كان بعد مملكة سليمان عليه السلام، وأن الإفساد الثاني لمَّا يأت بعد، لكنه قال: وبدأت بذوره من بداية مؤتمر اليهود في بال بسويسرا عام ١٨٩٧م وقد وضعوا فيها المخطط المدروس لإفساد العالم، ويرى أن اللبنة الأولى قيام دولة إسرائيل، ومنذ ذلك الوقت -إلى الآن- وعلو بني إسرائيل في تزايد مستمر. انظر: معالم قرآنية في الصراع مع اليهود ٢٥٢.

وأما الشيخ سعيد حوى فقد وضع ضابطاً لترجيح أي قول حول إفسادهم، فقال: إن النص يحدثنا =

وجواب قوله : ﴿فَإِذَا جَاءَ﴾ محذوف ، تقديره : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ﴾ بعثنا ﴿لِيَسْئَلُوا وَجُوهَكُمْ﴾ ، ودل عليه ما تقدم من قوله : ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ فُحذف لتقدم ذكره ، ولأنه جواب (إذا) وشرطها يقتضيه ، فُحذف للدلالة عليه ، قاله الفراء^(١) وأبو علي^(٢) وصاحب النظم .

عن إفسادتين لبنى إسرائيل يرافقهما علو كبير ، وهذا مهم جداً في فهم الموضوع ، لقد أفسد بنو إسرائيل إفسادات كثيرة ولكن لم يكن يرافق كل ذلك علو كبير لهم ودولة ، كما أنهم قد علوا علواً كبيراً في مراحل - كما حدث في زمن داود وسليمان - عليهما السلام - ولكنه علو لا يرافقه فساد . ثم قال : ويبدو بها لا يقبل الجدل أن الإفسادة الأولى هي التي سلط عليهم بها بختصر ، فهي الإفسادة التي رافقها بغى وطغيان وعتو ، ثم قال : فهل الإفسادة الثانية هي ما نراه الآن؟ إذ هم دولة وسلطان ، وإفساد وطغيان . . وبعد مناقشات رجح أن الإفسادة الثانية هي الآن ، فقال : والآن إفسادهم في الأرض كلها معروف ، وسيطرتهم الخفية على بعض بلدان العالم معروفة ، واجتمع لهم سلطان ودولة . انظر : الأساس في التفسير ٦ / ٣٠٣٧ ، وعلى هذا القول يكون مكان الإفسادتين بيت المقدس أيضاً .

القول الثالث : أن الفسادين وقعا بعد بعثة النبي ﷺ ونزول القرآن ، فالأول وقع إبان بعثة النبي ﷺ ، والثاني هو الحالي ، قاله أيضاً بعض المعاصرين . يقول الشيخ سعيد حوى : ويمكن أن نفهم المسألة فهماً آخر ، بأن نعد الإفسادة الأولى هي محاولتهم الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية ، وتسليط الله المسلمين عليهم وعلى ديارهم حول المدينة المنورة ، والإفسادة الثانية هي الإفسادة الحالية ، ويكون المسلمون الذين غلبوهم أول مرة هم الذين سيغلبونهم المرة الثانية ، إذا اجتمع لهم العبودية لله والبأس الشديد . انظر : الأساس في التفسير ٦ / ٣٠٤٠ .

وقد انتصر الدكتور صلاح الخالدي للقول الثالث ، بل لم ير غيره ، وناقش قول القدامى ورد عليه ، وأهم منطلقاته أن قول القدامى اعتمد على الإسرائيليات وعلى روايات تاريخية لم تثبت تاريخياً ولا علمياً ، ودل على أن إفسادهم الأول المقرون بالعلو الكبير لم يكن في أثناء وجودهم في بيت المقدس ، إنما كان أول إفسادهم مقروناً بالعلو الكبير بالحجاز قبل بعثة النبي ﷺ وبعدها ، وذكر صورا من مظاهر إفسادهم الأول ، ثم دل على أن الإفسادة الثانية هي الحالية بتحليل مفردات الآية السادسة ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ ، والاستدلال بواقعهم المعاصر الذي وصلوا فيه الذروة في العلو الكبير . انظر : حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية (١٥٠ - ١٩٠) ، والشخصية اليهودية من خلال القرآن ٣٢٧ - ٣٤٩ .

(١) معاني القرآن للفراء ٢ / ١١٦ ، بنحوه .

(٢) الحجة للقراء ٥ / ٨٦ ، بنصه تقريباً .

وقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا أَوْجُوهَكُمْ﴾. يقال: ساء يسوؤه؛ أي أحزنه، وذكرنا ذلك في مواضع^(١)، قال أبو علي: قال: ﴿وَجُوهَكُمْ﴾ على أن الوجوه مفعول ﴿لَيْسُوا﴾، وعُدِّي إلى الوجوه، ولأن الوجوه قد يُراد بها ذوو الوجوه؛ لقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وكأن الوجوه إنما خُصَّت بذلك؛ لأنها تدل على ما كان من ذوي الوجوه من الناس من حزنٍ ومسرةٍ وبشارةٍ وكآبةٍ^(٢)، والمعنى: بعثناهم ليسوؤوا^(٣)، وهذه قراءة العامة^(٤)، وهي وفق المعنى واللفظ؛ أما المعنى: فإن المبعوثين هم^(٥) الذين يسوؤونهم في الحقيقة؛ لقتلهم إيّاهم وأسرهم لهم، وأما اللفظ: فإنه يوافق قوله: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾، وقرأ حمزة: (لَيْسُوا) على واحد بالياء^(٦)، وفاعلٌ يسوء يجوز أن يكون أحد شيئين: إما اسم الله سبحانه؛ لأن الذي تقدم بعثنا ورددنا وأمددنا، وإما أن يكون البعث، ودل عليه ﴿بَعَثْنَا﴾ المتقدم^(٧)، والفعل يدل على المصدر، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٠]. وقال الزجاج: ليسوء الوعد وجوهكم^(٨)، وقرأ الكسائي بالنون^(٩)، وهذا على إسناد الفعل إلى الله تعالى لقوله: بعثنا وأمددنا.

(١) منها في سورة البقرة آية [٤٩].

(٢) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٥٠، بنصه تقريباً.

(٣) الحجة للقراء ٨٦/٥ بتصرف واختصار.

(٤) وهم: أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم، قرؤوا بالياء وضم الهمة وإشباعها، انظر: السبعة ٣٧٨، وعلل القراءات ١/ ٣١٣، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٣، والحجة للقراء ٨٥/٥، والمبسوط في القراءات ٢٢٧، والتبصرة ٥٦٧، والنشر ٢/ ٣٠٦.

(٥) ساقطة من (د).

(٦) أي (لَيْسُوا)، وقرأ بها كذلك عاصم وابن عامر. انظر: المصادر السابقة.

(٧) ورد في الحجة للقراء ٨٦/٥، بنصه تقريباً.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٨، بنصه.

(٩) أي (لَيْسُوا). انظر: المصادر نفسها، الصفحة السابقة، حاشية رقم (٥).

وقوله تعالى : ﴿وَلِيَسْتَرْوُوا مَا عَلَوْا تَتَّبِرًا﴾ يقال : تَبَرَّ الشَّيْءُ يُتَبَرُّ تَبَارًا إِذَا هَلَكَ ، وَتَبَّرَهُ : أَهْلَكَه^(١) .

قال أبو إسحاق : وكل شيء كَسَرْتَهُ وَفَتَقْتَهُ فَقَدْ تَبَّرْتَهُ^(٢) ، ومن هذا تَبَرُّ الزَّجَّاجِ وَتَبَرُّ الذَّهَبِ لِمُكْسَرِهِ^(٣) ، قال المفسرون أَي لِيُدْمَرُوا وَيُخَرَّبُوا مَا غَلَبُوا عَلَيْهِ^(٤) ، جعلوا (ما) بمنزلة الذي ، وهذا قول قتادة^(٥) .

وقال الزَّجَّاجُ : معناه لِيُدْمَرُوا^(٦) في حال غُلُوِّهِمْ^(٧) ، (ما فجعل ظرفاً)^(٨) . قال أبو علي : ولهذا عبارة أجود مما ذكر وأوضح في المعنى ، وهو أن يقول : وليتبروا في وقت علوهم ؛ لأن هذه (ما) التي أصلها المصدر ، ثم يتسع فيها وتستعمل ظرفاً من الزمان^(٩) .

(١) انظر : جهمرة اللغة (تبر) ١/ ٢٥٣ ، والمحيط في اللغة ٩/ ٤٢٩ ، والصاحح ٢/ ٦٠٠ ، واللسان ٤١٦/ ١

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٨ ، بمعناه ، وورد في تهذيب اللغة (تبر) ١/ ٤٢٤ ، بنصه .

(٣) في النسخ جميعها (لتكسره) ، والمثبت هو الصحيح ، ويؤيده ما في التهذيب ، قال : ومن هذا قيل لِمُكْسَرِ الزَّجَّاجِ .

(٤) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢١٢ أ ، والطبري ١٥/ ٣٦ ، بنصه ، والسمرقندي ٢/ ٢٦١ ، وهود الهواري ٢/ ٤٠٩ ، والطوسي ٦/ ٤٥١ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ١١ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٥٩ ، بنصه .

(٥) أخرجه بنحوه عبد الرزاق ٢/ ٣٧٣ ، والطبري ١٥/ ٣٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٩٩ وزاد نسخته إلى ابن أبي حاتم .

(٦) في (ع) زيادة (ما) ؛ أي (ليدمروا ما) ، وأغلب الظن أنه خطأ من النساخ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٨ ، بنصه .

(٨) هكذا وردت (العبارة) في النسخ جميعها ، ويبدو أن (ما) تقدمت على (فجعل) ، فتكون العبارة فجعل (ما) ظرفاً .

(٩) الإغفال ٢/ ١٥٣ ، بنصه تقريباً ، ولا فرق كبير بين المعنيين ، مع وصفه لعبارته بأنها أجود وأوضح .

٨. قوله تعالى : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ . هذا مما أخبر الله تعالى أنه قضى به إلى بني إسرائيل في كتابهم ، والمعنى : لعل ربكم أن يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم يا بني إسرائيل ، قال المفسرون : فعاد الله بعائده ورحمته عليهم حتى كثروا وانتشروا^(١) .

قال الأخفش : في الآية محذوف ، تقديره : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ إن فعلتم ذلك ، يعني أحسستم وتركتكم المعاصي^(٢) ، ثم قال : ﴿وَلَٰنَ عُدْتُمْ عَدْنَآ﴾ . قال الحسن : وإن عدتم بالمعصية عدنا بالعقوبة^(٣) .

قال قتادة وإبراهيم وغيرهم : فعاد^(٤) القوم لشر ما يحضر بهم ، فبعث الله عليهم من شاء لنقمته وعقوبته^(٥) ، ثم كان آخر ذلك أن بعث عليهم هذا الحي من العرب فهم في عذاب منهم أبداً إلى يوم القيامة ، يُعْطُونَ الجزية عن يد وهم صاغرون ، وهو معنى قوله : ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُكُوبُكَ لِبِعْتَنَ عَلَيْهِمْ﴾^(٦) [الأعراف: ١٦٧] .

(١) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦١ ، بمعناه ، وهود الهواري ٢/ ٤١٠ ، بنحو مختصراً ، وانظر :

تفسير ابن الجوزي ٥/ ١٢ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٣ .

(٢) ليس في معانيه .

(٣) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢٦ ، بنصه .

(٤) في (أ) و(د) : (فعادو) .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ٤٣ ، بنصه تقريباً عن قتادة ، وبمعناه عن ابن عباس و قتادة ، ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٤ ، بمعناه عن قتادة ، والماوردي ٣/ ٢٣١ ، بمعناه عن قتادة ، والطوسي ٦/ ٤٥٢ ، بمعناه عن ابن عباس و قتادة ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٠ ، عن قتادة ، وابن الجوزي ٥/ ١٢ ، عن قتادة ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٤ ، عن قتادة ، وأبي حيان ٦/ ١١ ، وابن كثير ٣/ ٣٠ .

(٦) أورد المؤلف في تفسير هذه الآية قول ابن عباس والحسن وابن جبير و قتادة ، قالوا : هم العرب ومحمد ﷺ وأمته ، بعثهم الله على اليهود يقاتلونهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية .

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾. قال ابن عباس والمفسرون كلهم: سجنًا ومحبسًا^(١)، وذكرنا الكلام في الحصر عند قوله: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦]، قال الأخفش في قوله: ﴿حَصِيرًا﴾؛ أي محبسًا ومحصراً^(٢)، وهو قول جميع أهل اللغة، قال الليث: يُقَسَّرُ على أنهم يُحْصَرُونَ فيها^(٣)، وقال ابن قتيبة: هو فعيل بمعنى فاعل^(٤).

وقال أبو إسحاق: حصيراً معناه حبساً من حصرتَه؛ أي حبسْتَه فهو محصور، وهذا حصيرُهُ؛ أي محبِسُهُ^(٥)، والحصير الملك لأنه محجوب فكأنه محصور^(٦)، والحصير الجنب؛ لأن بعض الأضلاع محصور مع بعض^(٧)، ومن هذا يقال للذي يُقَرَّشُ: حصير؛ لحصر بعضه على بعض بالنسج^(٨).

(١) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢١٢ ب، بلفظه، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٤، بلفظه عن قتادة، وورد بلفظه في غريب القرآن لليزيدي ٢١٢، والغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٢، وأخرجه الطبري ١٥/ ٤٥ بلفظه عن ابن عباس - من طريق ابن أبي طلحة - وأبي عمران وقاتدة وابن زيد، وبمعناه عن ابن عباس وقاتدة ومجاهد، وورد كذلك في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢٦، بلفظه عن قتادة، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٦١، بنصه، وهود الهواري ٢/ ٤١٠، بلفظه، والثعلبي ٧/ ١٠٤ ب، بلفظه، والطوسي ٦/ ٤٥٢، بلفظه ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقاتدة، وانظر: تفسير البغوي ٥/ ٨٠، وابن الجوزي ٥/ ١٢، والقرطبي ١٠/ ٢٢٤، والخازن ٣/ ١٥٨، وابن كثير ٣/ ٣٠.

(٢) ليس في معانيه، وورد في تهذيب اللغة (حصر) ١/ ٨٣٩، بنصه.

(٣) ورد في تهذيب اللغة (حصر) ١/ ٨٣٩، بنصه.

(٤) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٢، بنصه.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٨، بتصرف يسير.

(٦) ورد بنصه تقريباً في تفسير الطبري ١٥/ ٤٥، والثعلبي ٧/ ١٠٤، والطوسي ٦/ ٤٥٢، وانظر: الصحاح: (حصر) ٢/ ٦٣١، ومجمل اللغة ١/ ٢٣٩، واللسان: (حصر) ٢/ ٨٩٦، وعمدة الحفاظ ١/ ٤٨٢.

(٧) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٩ بنصه، الجنب: شق الإنسان وغيره. انظر: اللسان (جنب) ١/ ٢٧٥.

(٨) قاله القشيري، كما في تفسير القرطبي ١٠/ ٢٢٤، وانظر: تهذيب اللغة (حصر) ١/ ٨٣٩، واللسان ٢/ ٨٩٧، وعمدة الحفاظ ١/ ٤٨١، وقال: سمي الحصير حصيراً لكونه يحصر من يجلس عليه.

وإلى هذا ذهب الحسن في تفسير هذه الآية . فقال في قوله : ﴿لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ ؛ أي مهاداً وفراشاً^(١) ، كما قال تعالى : ﴿هُم مِّنْ جَهَنَّمَ مَهَادٌ﴾ [الأعراف : ٤١] .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ﴾ إلى آخر الآية . فصلٌ يحتمل أن يكون ابتداءً إخبارٍ عن الله تعالى في عقاب جميع الكافرين ، ويحتمل أن يكون عطفاً على ما قبله ؛ فيتضمن الإخبار عن تمام عقابهم على عودهم ، والمراد بالكافرين اليهود ، كأنه قيل : وإن عدتم للمعاصي والفساد عدنا عليكم بالتسليط ، هذا في الدنيا ، وجعلنا جهنم لكم محبساً في الآخرة ، وصرف الخطاب إلى المعينة في قوله : ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾

٩ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي﴾ ؛ أي يُرشد ويدعو للتي ؛ أي إلى التي ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ ؛ أي أعدل وأرشد^(٢) وأصوب ، من قولهم : رمح قويم وقوام ؛ أي مستقيم^(٣) ، وفلان أقوم كلاماً من فلان ؛ أي أعدل ، و﴿لِلَّتِي﴾ نعت لموصوف محذوف على تقدير : يهدي للكلمة التي هي أقوم أو الطريقة والحالة ، وهي كلمة التوحيد على ما قاله المفسرون^(٤) ،

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٤ ، بنصه ، والطبري ١٥/ ٤٥-٤٦ ، بنصه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢٦ ، بنصه ، وتصحفت فيه : (مهاداً) إلى (معاداً) ، والمفردات ٢٣٨ ، بلفظه ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٤ ، بنصه ، والماوردي ٣/ ٢٣١ ، بنصه ، والطوسي ٦/ ٤٥٢ ، بلفظه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٠ ، وابن الجوزي ٥/ ١٢ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٤ ، وعمدة الحفاظ ١/ ٤٨٢ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٠ .

وقد رجح الطبري قول الحسن هذا ، وقال : إن الحصير بمعنى البساط في كلام العرب أشهر منه بمعنى الحبس ، كما أن فعلاً في الحصر بمعنى وصفه بأنه الحاصر لا وجود له في كلام العرب ، وقال الثعلبي : وهو وجه حسن .

(٢) في (أ) و(ش) و(ع) : (أشد) ، والمثبت من (د) ، وهو المناسب للسياق .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (قام) ٣/ ٢٨٦٤ ، بنصه .

(٤) ورد في معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١١٧ ، بمعناه ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢٧ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٦١ ، والثعلبي ٧/ ١٠٤ ، والماوردي ٣/ ٢٣٢ بمعناه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٠ ، وابن عطية ٨/ ٢٦ ، والخازن ٣/ ١٥٨ .

وإن شئت قلت طريقة التوحيد والإسلام^(١)، وقال الزَّجَّاج : للحال التي هي أقوم الحالات ، وهي توحيد الله والإيمان بِرُسُلِهِ والعملُ بطاعته^(٢).

١٠. قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ الآية . فيجب ﴿أَنَّ﴾ للعطف بها على ﴿أَنَّ﴾ الأولى ؛ وذلك أنهم بُشِّروا بالنَّعيم الذي لهم والعذاب الذي لأعدائهم ، قال الفرَّاء : أوقعت^(٣) البشارة على قوله : ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا﴾ وعلى قوله : ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية . على أن يكون المؤمنون بُشِّروا بهما جميعاً ، كما تقول : بُشِّرْتُ عبد الله أنه سيعطى وأن عدوه سيُمنع^(٤) ، وذلك أن المؤمنين كانوا في أذى من المشركين ، فجعل الله لهم البشرى في الدنيا بعقاب الكافرين .

١١. قوله تعالى : ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ الآية . القياس إثبات الواو في (ويدعو) ، وحذف في المصحف من الكتابة ؛ لأنها لا تظهر في اللفظ ، ولم تحذف في المعنى ؛ لأنها في موضع رفع ، فكان [حذفها باستقبالها اللام الساكنة ، ومثلها : ﴿يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ [ق : ٤١] و﴿فَمَا تُغْنِ التُّدْرُ﴾ [القمر : ٥] ، فلو كان بالياء والواو كان صواباً ، هذا كلام الفرَّاء^(٥) ، والمعنى : أن الإنسان ربما دعا عند الضجر والغضب على نفسه وأهله وولده بما لا يحب أن يستجاب له ، كما يدعو لنفسه

(١) ورد نحوه في تفسير الطوسي ٤٥٣/٦ ، وهو أعظم من الأول ، ورجحه ابن عطية ٢٦/٩ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٩/٣ ، بنصه تقريباً .

(٣) في (ش) و(ع) : (وقعت) ، والمثبت موافق للمصدر .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ١١٧/٢ ، بتصرف يسير .

(٥) ما بين المعقوفين إضافة من المصدر ليتضح المراد ، ويبدو أنها سقطت .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ١١٧/٢ ، بتصرف .

بالخير^(١)، والمعنى: كدعائه بالخير، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْبُولًا﴾؛ أي في طلب ما هو شرٌّ له؛ يَعَجَلُ بالدعاء في الشر عجلته بالدعاء في الخير، هذا قول مجاهد وقتادة وعامة المفسرين^(٢)، والإنسان في هذه الآية اسم الجنس.

وقال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ﴾ يعني النضر بن الحارث، قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَاهُ الْآلَةُ الْحَقَّ﴾^(٣) [الأنفال: ٣٢] دُعَاةُ بِالْخَيْرِ يريد كما يدعو المؤمنون بالمغفرة والرحمة، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْبُولًا﴾ يعني آدم حين نهض قبل أن يجري الروح فيه؛ وذلك أن آدم لما انتهت النفخة إلى سرته نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى، فذهب لينهض فلم يقدر، وهو قوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْبُولًا﴾^(٤).

١٢. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتٍ لِلنَّهَارِ وَآيَاتٍ لِللَّيْلِ﴾. قال المفسرون وأهل المعاني: جعلناها علامتين تدلان على قدرة خالقهما ووحدانيته^(٥).

(١) ورد نحوه في تفسير الطبري ٤٧/١٥، والثعلبي ١١٠٥/٧، انظر: تفسير ابن الجوزي ١٣/٥، والفخر الرازي ١٦٢/٢٠، والقرطبي ٢٢٥/١٠، وأبي حيان ١٣/٦.

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٣٧٤/٢ بمعناه عن قتادة، والطبري ٤٨/١٥، بمعناه عن قتادة ومجاهد، وورد بمعناه في معاني القرآن للنحاس ١٢٧/٤، والثعلبي ١١٠٥/٧، والماوردي ٢٣٢/٣، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، والطوسي ٤٥٣/٦، بنحوه، انظر: تفسير البغوي ٨١/٥، وابن عطية ٢٧/٩، عن ابن عباس وقتادة ومجاهد، والفخر الرازي ١٦٢/٢٠، والقرطبي ٢٢٦/١٠، وابن كثير ٣٠/٣.

(٣) انظر: تنوير المقباس ٢٩٧، وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ٢١٣/١ بنصه، والسمرقندي ٢٦٢/٢، بنصه، وابن عطية ٢٨/٩، وابن الجوزي ١٣/٥، والفخر الرازي ١٦٢/٢٠، والقرطبي ٢٢٦/١٠، وأبي حيان ١٣/٦.

(٤) ورد في تفسير مقاتل ٢١٣/١، بنحوه، أخرجه الطبري ٤٧/١٥-٤٨، بنحوه عن ابن عباس وسليمان، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ١٢٨/٤، عن سليمان، والسمرقندي ٢٦٢/٢، عنهما، والثعلبي ١١٠٥/٧، عنهما، والماوردي ٢٣٢/٣، وانظر: تفسير ابن عطية ٢٨/٩، وابن الجوزي ١٣/٥، والفخر الرازي ١٦٣/٢٠، والقرطبي ٢٢٦/١٠، وأبي حيان ١٣/٦، وابن كثير ٣٠/٣، وأغلب الظن أن هذا الخبر من الإسرائيليات.

(٥) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ٢١٣/١، والسمرقندي ٢٦٢/٢، والثعلبي ١١٠٥/٧، انظر: تفسير البغوي ٨١/٥، وابن الجوزي ١٤/٥، والقرطبي ٢٢٧/١٠، والخازن ١٥٨/٣، وأبي حيان ١٤/٦، والدر المصون ٣٢١/٧.

وقال آخرون : المعنى جعلناهما ذوي آيتين^(١) ، فحذف المضاف ، يدل عليه أنه قال : ﴿فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ ، ولم يقل : فمحونا الليل ولا فمحونا أحدهما ، فلما أضاف الآية إلى الليل والنهار دل على أن الآيتين المذكورتين لهما لا هما .

وقوله تعالى : ﴿فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ ؛ أي طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد ، وهذا قول عامة المفسرين^(٢) ، قالوا : السواد الذي يُرى في القمر هو أثر المحو^(٣) ، وروي في حديث مرفوع : «إن الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء ، فأرسل الله - عز وجل - جبريل فأمرَ جناحه على وجه القمر فطمس عنه

(١) انظر : الإملاء ٢/ ٨٩ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٦٢ ، وتفسير أبي حيان ٦/ ١٤ ، والدر المصون ٣٢١/ ٧ ، وتفسير الألوسي ١٥/ ٢٦ .

(٢) ذكر الفخر الرازي قول الجمهور وذكر قولاً آخر ورجحه ؛ وهو : أن المراد منه ما يظهر في القمر من الزيادة والنقصان في النور ؛ يبدأ هلالاً ولا يزال يكبر حتى يصير بدراً كاملاً ، ثم يبدأ في الانتقاص قليلاً قليلاً ، وذلك هو المحو ، ثم ذكر مسوغات ترجيح هذا القول . انظر : الرازي ٢٠/ ١٦٤ ، ويضاف إلى ما ذكره أن الأثر الذي اعتمد عليه عامة المفسرين أثر ضعيف عن علي وابن عباس ، فهو عن ابن عباس من طريق العوفي (ضعيف) ، وعن علي من طريق ابن الكوّاء الخارجي من رؤوس الخوارج ، قال عنه البخاري : لم يصحّ حديثه . انظر : لسان الميزان ٣/ ٣٢٩ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ١/ ١٢١٣ ، بنحوه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ٤٩-٥٠ ، بنحوه عن علي وابن عباس ومجاهد من طرق عدة ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٢٨ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٢ ، والثعلبي ٧/ ١٠٥ ، والماوردي ٣/ ٢٣٢ ، والطوسي ٦/ ٤٥٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٨١ ، وابن عطية ٩/ ٣٠ ، وابن الجوزي ٥/ ١٤ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٨ ، وابن كثير ٣/ ٣١ ، والدر المنثور ٤/ ٣٠٢ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف عن علي رضي الله عنه ، وأورده كذلك وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما .

الضوء»^(١). ومعنى المحو في اللغة : إذهاب الأثر ، يقول : محوته أمحوته وأحماه ، وامحى الشيء وامتحى : إذا ذهب أثره^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ؛ أي يبصر فيها ، فكأن المعنى أنها مضيئة ، كما قال : ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس : ٦٧] ؛ أي مضيئاً ، وقد مر ، قال أبو عبيد : هذا قول الفراء^(٣) .

وفيه وجه آخر يقال : قد أبصر النهار ، إذا صار الناس يبصرون فيه فهو مبصر ، كقولك : رجلٌ مُحِبٌّ إذا كان أصحابه خُبَّاء ، ورجلٌ مُضْعِفٌ إذا كانت دوابُّه ضعافاً ، وكذلك النهار مبصراً ؛ أي أهله بُصْرَاء^(٤) ، وهذا كقوله : ﴿وَأَيْنَا نَمُودُ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء : ٥٩] ، وسنذكر ما فيها إن شاء الله .

وقوله تعالى : ﴿لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ؛ أي لتبصروا كيف تتصرفون في أعمالكم ، ﴿وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ﴾ بمحو آية الليل ، ولولا ذلك ما كان يُعرف الليل من النهار ، وكان لا يَتَبَيَّن^(٥) العدد ، ونظير هذه الآية قوله : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ الآية [يونس : ٥] .

-
- (١) ورد بنحوه موقوفاً على ابن عباس في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٢ ، والثعلبي ٧/ ١٠٥ ، مفصلاً ، والبغوي ٥/ ٨١ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٧ مرفوعاً وموقوفاً ، والخازن ٣/ ١٥٨ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٠٢ وعزا إلى ابن أبي حاتم - وابن مردويه - بسند رواه عن ابن عباس مرفوعاً .
- (٢) انظر : تهذيب اللغة (محا) ٤/ ٣٣٤٧ ، والمحيط في اللغة (محو) ٣/ ٢٣١ ، واللسان (محا) ٧/ ٤١٥٠ .
- (٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٢٦ ، بلفظه ، وورد في تهذيب اللغة (بصر) ١/ ٣٤٢ ، بلفظه عن الفراء .
- (٤) ورد في تفسير الطبري ١٥/ ٥٠ ، بنحوه ، لكنه قال : كقولهم : رجلٌ مجبن ، إذا كان أهله جبناء ، ورجلٌ مضعف ، إذا كانت رواه ضعفاء ، وورد بنصه تقريباً في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٥ ، والطوسي ٦/ ٤٥٤ ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٦٦ ، والقرطبي ١٠/ ٢٢٨ ، وأبي حيان ٦/ ١٤ .
- (٥) العبارة في النسخ جميعها : (فكان الآيتين) ، وهو تصحيف ، وفي تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٥ : (ولا يتبين العدد) ، والمثبت من تفسيره الوسيط ، تحقيق سيبوي ٢/ ٤٧٧ .

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ﴾ ، أي مما يُحتاج إليه ، ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ : بيناه تبييناً لا يَلْتَبِسُ معه بغيره^(١) ، وهذا معنى قول ابن عباس : يريد فَصَّلْنَا ما خلقت^(٢) للنافع تفصيلاً .

١٣ . قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ الآية . روى الحكم عن مجاهد قال : مكتوب في ورقة شقي أو سعيد معلقة في عنقه^(٣) ، وهذا كما روي عن الحسن في قوله: ﴿طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ . قال : شَقَاوَتُهُ وسعادته^(٤) .

وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد قال : عمله من شَقَاوَةٍ أو سعادة^(٥) .

وقال السدي : ما كُتِبَ له من خير أو شر^(٦) .

-
- (١) في النسخ جميعها : (لغيره) ، والتصويب من تفسيره الوسيط ، تحقيق سيبوي ٢/ ٤٧٧ .
 (٢) هكذا في النسخ جميعها : (ما خلقت) ، والأولى : ما خلقنا لينسجم مع فصلنا .
 (٣) أخرجه الطبري ١٥ / ٥١ ، بنحوه ، وورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢ / ٢٦٢ ، والثعلبي ٧ / ١٠٥ ب ، انظر : تفسير البغوي ٥ / ٨٢ ، وابن الجوزي ٥ / ١٥ ، والدر المنثور ٤ / ٣٠٣-٣٠٤ ، وزاد نسبته إلى أبي داود في كتاب القدر [لم أجده في سنته] وابن المنذر وابن أبي حاتم .
 (٤) ورد في تفسير مجاهد ١ / ٣٥٩ ، بنصه عن الحسن ، أخرجه عبدالرزاق ٢ / ٣٧٤ ، بنحوه ، انظر : تفسير البغوي ٥ / ٨٢ ، وابن الجوزي ٥ / ١٥ .
 (٥) تفسير مجاهد ٩ / ٣٥٩ ، بمعناه ، وأخرجه الطبري ١٥ / ٥١ ، مختصراً من طريقتين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤ / ١٣٠ ، مختصراً .
 (٦) انظر : تفسير أبي حيان ٦ / ١٥ ، بمعناه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٣٠٣-٣٠٤ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم بمعناه .

وروي عن ابن عباس : أنه قال : عَمَلُهُ وَمَا قُدِّرَ عَلَيْهِ فَهُوَ مُلَازِمُهُ أَيْنَمَا كَانَ^(١) ، هذا قول المفسرين في هذه الآية ، وإنما قيل لما يَأْتِيهِ الْإِنْسَانُ ويعمله^(٢) من خير وشر : طائر ، على مذهب العرب وتعارفهم في ذلك ، نحو قولهم : جرى طائرُه بكذا من الخير ، وجرى له الطائرُ بكذا من الشر ، على طريق الفأل والطيرة ، أنشد أبو زيد لحسان بن ثابت :

ذَرِينِي وَعِلْمِي بِالْأُمُورِ وَسِيرَتِي فَمَا طَائِرِي فِيهَا عَلَيْكَ بِأَخْيَلٍ^(٣)

أي ليس رأيي بمشؤوم ، قال أبو زيد : كلما مرَّ من طائر أو ظبي أو غيره ، وكل ذلك عندهم طائر وطيْر^(٤) ، وأنشد لكثير :

جَرَتْ لِي بِهَجْرَانِكَ يَا عَزُّ لَا جَرَتْ ظَبَاءُ اللَّوَى لَوْ أَنَّ نِيَّ أَتَطِيرُ

(١) أخرجه الطبري ٥١ / ١٥ ، بنصه من طريق عطاء الخرساني (منقطعة) ، وأخرجه مختصراً من طريق العوفي (ضعيفة) ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٣٠ / ٤ ، بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢٦٢ / ٢ ، بمعناه ، والتعليبي ١٠٥ / ٧ ب ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٨٢ / ٥ ، وابن عطية ٣١ / ٩ ، والخازن ١٥٩ / ٣ ، وأبي حيان ١٥ / ٦ ، والدر المنثور ٣٠٣ / ٤ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) في (أ) و(د) تصحفت إلى : «يعلمه» .

(٣) ديوانه ٢٠٦ برواية : (وشيمتي) بدل (وسيرتي) ، (ويوماً) بدل (فيها) س ، وورد في الحجة للقراء ٨٩ / ٥ ، وتفسير الطوسي ٤٥٦ / ٦ برواية : (وشيمتي) ، وشرح شواهد الإيضاح ٣٩٢ عجزه ، واللسان (خيل) ١٣٠٦ / ٣ ، وشرح التصريح ٢١٤ ، وورد بلا نسبة في الاشتقاق ٣٠٠ عجزه ، وأوضح المسالك ١٢٠ / ٤ عجزه ، وشرح الأشموني ٤٣٦ / ٣ . الأخيل : طائر يُشَاءُ به ، وهو ما يسمونه الشَّقَرَّاق ، تقول العرب : أشأَم من أخيل .

(٤) ورد في تفسير الطوسي ٤٥٦ / ٦ ، بنصه تقريباً .

ذكر في هذا البيت الطباء ثم جعلهن طيراً ، فقال :

فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي ازْجُرُوا لَا أَبَا لَكُمْ

لَعَلَّكُمْ لِلطَّيْرِ مِنِّي أَزْجُرُ

فقالوا نراها طير صدق وقد جرى لي الطير منها بالذي كنتُ أحذر^(١)

ومذهبهم في العيافة والزجر^(٢) معروف ، وأشعارهم في ذلك كثيرة ، وهو باطل من أهل الجاهلية ، إلا أنهم لما كانوا يتفاءلون^(٣) في الخير والشر في الطائر والطير ، سموا ما تفاءلوا^(٤) به طائراً وطيراً ، وإن لم يكن من ذوات الأجنحة .

ثم سموا الخير والشر أيضاً طائراً وطيراً على مذهبهم في تسمية الشيء بما كان له سبباً ، فخطبهم الله بما يستعملون ، وهذا كلام ابن قتيبة^(٥) وأبي علي

(١) لم أجده في ديوانه ، ولم أقف عليه .

(٢) العيافة : زجر الطير ، وهو أن يرى طائراً أو غراباً فيتطير ، قاله الأزهري ، وفي اللسان ، العيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسسائها وأصواتها وتمرّها ، وهو من عادة العرب كثيراً ، وهو كثير في أشعارهم ، يقال : عاف يعيف عيفاً إذا زجر وحّدس وظن ، والعائف : الذي يعيف الطير فيزجرها .

انظر : تهذيب اللغة (عاف) ٣/ ٢٢٨٥ ، والمحيط في اللغة (عيف) ٢/ ١٧٢ ، واللسان (عيف) ٥/ ٣١٩٣ . الزجر للطير وغيرها : التيمّن بسُنوحها ، أو التشاؤم ببرُوحها ، وإنما سُمي الكاهن زاجراً ؛ لأنه إذا رأى ما يظن أنه يُشَاءم به زجر بالنهي عن المُضي في تلك الحاجة برفع صوت وشدة ، قاله الزجاج ، وقال الليث : الزجر : أن يزجر طائراً أو ظلياً سانحاً أو بارحاً فيتطير منه . [والسانح : ما ولّاك ميامنه ، والبارح : ضده] . انظر : تهذيب اللغة (زجر) ٢/ ١٥١٣ ، والمحيط في اللغة ٧/ ٢٠ ، واللسان ٣/ ١٨١٣ .

(٣) في النسخ جميعها : (يتألفون) ، والصحيح المثبت ؛ لأن الكلام في التفاؤل لا التألف ، فهو تصحيف .

(٤) في النسخ جميعها : (ما تعالوا) ، ولا معنى لذلك ، والصواب المثبت ، فعلها تصحفت عنها .

(٥) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٢ ، باختصار .

الفارسي^(١)، ويدل على صحة هذا الذي ذكرناه قراءة الحسن ومجاهد: (أَلَزَمْنَاهُ طَيْرَهُ فِي عُقْبِهِ)^(٢)، وعلى هذا معنى طائرته؛ أي عمله من خير وشر.

قال الفرّاء: الطائر معناه عندهم العمل^(٣).

وقال أبو عبيدة: الطائر عند العرب الحظ^(٤)، وهو الذي تسميه الفرس البخت، وعلى هذا يجوز أن يكون معنى الطائر: ما طار له من خير أو شر؛ أي صار له عند القسمة، من قولهم: أَطَرْتُ الْمَالَ وَطَيْرْتَهُ بَيْنَ الْقَوْمِ فَطَارَ لِكُلِّ مِنْهُمْ سَهْمُهُ؛ أي صار له^(٥)، وقد بيّنا هذا المعنى في سورة الأعراف عند قوله: ﴿أَلَّا إِنَّمَا طَئِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١].

قال الأزهري: والأصل في هذا أن الله تعالى لما خلق آدم عَلِمَ المطيع من ذريته والعاصي، فكتب ما علمه^(٦) منهم أجمعين، وقضى سعادة مَنْ عَلِمَهُ مطيعاً وشقاوة مَنْ عَلِمَهُ عاصياً، فصار لكل ما هو صائرٌ إليه عند خلقه وإنشائه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَزَمْتُهُ طَيْرَهُ فِي عُقْبِهِ﴾؛ أي ما طار له في علم الله بدءاً^(٧) من الخير والشر^(٨).

(١) الحجة للقراء ٨٨/٥، باختصار.

(٢) وهي قراءة شاذة وردت عن الحسن ومجاهد وأبي رجاء. انظر: القراءات الشاذة لابن خالويه ٧٩، وإعراب القراءات الشاذة ١/٧٧٨، وتفسير الرازي ٢٠/١٦٧، والقرطبي ١٠/٢٢٩، وأبي حيان ١٥/٦.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/١١٨، بنحوه.

(٤) مجاز القرآن ١/٣٧٢، بنحوه.

(٥) ورد في تهذيب اللغة (طار) ٣/٢١٤٩، بنصه.

(٦) في النسخ جميعها: (ما عمله)، وهو تصحيف.

(٧) في (أ) و(د): (بريسا)، وفي (ش) و(ع): (بمريا)، ولم أجد لذلك معنى في هذا السياق، والمثبت من المصدر.

(٨) تهذيب اللغة (طار) ٣/٢١٥٠ بتصرف، انظر: تفسير ابن الجوزي ٥/١٥، بنصه.

وقوله تعالى : ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ عبارة عن اللزوم ، قال أبو إسحاق : وإنما يقال للشيء اللازم : هذا في عنق فلان ؛ أي لزومه له كلزوم القلادة من بين ما يُلبَس في العنق^(١) .

وقال أبو علي : وهذا مثل قولهم : طَوَّقْتُكَ كذا وَقَلَّدْتُكَ كذا ؛ أي صرفته نحوك ، وألزمته^(٢) إياك ، ومنه : قَلَّده السلطان كذا ؛ أي صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة [و]^(٣) مكان الطوق^(٤) ، قال الأعشى :

قَلَّدْتُكَ الشُّعْرَى سَلَامَةً ذَا الـ

تَفَضَّلِ وَالشَّيْءُ^(٥) حَيْثُ مَا جُعِلَا^{(٦)(٧)}

هذا قول الجمهور^(٨) ، وقال بعض أهل المعاني : إنما خص العنق ؛ لأن عمله لا يخلو إما أن يكون خيراً يَزِيئُهُ أو شراً يَشِينُهُ ، وما يُزَيِّنُ كالطوق والحُلِي ، أو يَشِينُ

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٣٠ ، بنصه .

(٢) في النسخ جميعها : (ألزمت) من دون الضمير ، والسياق يقتضيه ، وهو كذلك في المصدر .

(٣) إضافة يقتضيهما السياق ، وهي مثبتة في المصدر .

(٤) في النسخ جميعها : (الطرق) ، والتصويب من المصدر .

(٥) في النسخ جميعها : (الشعر) ، والصواب ما أثبتته من الديوان وتفسير ابن عطية .

(٦) ديوانه ١٣٨ ، وورد في تفسير ابن عطية ٩ / ٣٣ ، التفضال : الإحسان .

(٧) الحجة للقرءاء ٨٩ / ٥ ، بنصه .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ١ / ٢١٣ ، والطبري ١٥ / ٥١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤ / ١٣٠ ، وتفسير

السمرقندي ٢ / ٢٦٢ ، والثعلبي ٧ / ١٠٥ ب ، والماوردي ٣ / ٢٣٣ ، والطوسي ٦ / ٤٥٥ ، والفخر الرازي ٢٠ / ١٦٨ .

كالغل ، فإضافته إلى الأعناق^(١) ، وعلى ما ذكر مجاهد^(٢) : ما قُسِمَ له أُثْبِتَ في ورقة وعُلِّقَت من عنقه ، غير أَنَا لا نشاهد ذلك مرئياً^(٣) ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾ . قال الحسن : يا ابن آدم ، بُسِطَت لك صحيفة ، ووُكِّلَ بك ملكان ، فهما عن يمينك وعن شمالك ، فأما الذي^(٤) عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، حتى إذا مِت طُوِيَت صحيفتُكَ وجُعِلَت معك في قبرك حتى تُخْرَجَ لك يوم القيامة^(٥) ، فعلى هذا معنى : ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ﴾ ؛ أي من قبره معه ، ويجوز أن يكون معنى : ﴿نُخْرِجُ﴾ : نظهر له ذلك ؛ لأنه لم ير كتابه في الدنيا ، فإذا بُعِثَ أظهر له ذلك وليبرز من الستر .

وقرأ يعقوب : (وَيَخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا)^(٦) على معنى وَيَخْرِجُ له طائرُه ؛ أي عمله ، ﴿كِتَابًا﴾ ؛ أي ذا كتاب ، ومعنى (ذا كتاب) أنه مثبت في الكتاب الذي قيل فيه : ﴿لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف : ٤٩] ، وعلى هذا المعنى قرأ

(١) ورد بنحوه في تفسير الطبري ٥١ / ١٥ ، والثعلبي ١٠٥ / ٧ ، والطوسي ٤٥٧ / ٦ ، وانظر : تفسير

البغوي ٨٢ / ٥ ، والفخر الرازي ١٦٨ / ٢٠ ، والحازن ١٥٩ / ٣ ، وأبي حيان ١٥ / ٦ .

(٢) تقدم قريباً .

(٣) في (ش) و(ع) : (بمريا) .

(٤) في النسخ جميعها : (الذين) ، والمثبت هو الصحيح .

(٥) أخرجه الطبري ٥٢ / ١٥ - ٥٣ ، بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ١٠٥ / ٧ ، بنحوه ، انظر : تفسير

الفخر الرازي ١٦٨ / ٢٠ ، وابن كثير ٣ / ٣٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٣٠٤ ، وتفسير

الألوسي ٣٢ / ١٥ .

(٦) قرأ يعقوب : (وَيَخْرِجُ) بالياء مفتوحة والراء مضمومة ، قال الطبري : وكأن من قرأ هذه القراءة

وجّه تأويل الكلام إلى : ويخرج له الطائر الذي ألزمنه عنق الإنسان يوم القيامة ، فيصير كتاباً يقرؤه منشوراً ، وقال الزخشي : والضمير للطائر ؛ أي يَخْرِجُ الطائرُ كتاباً ، وانتصاب (كتاباً) على الحال .

انظر : تفسير الطبري ٥٢ / ١٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٧ ، وتفسير الزخشي ٢ / ٣٥٤ ،

والموضح في وجوه القراءات ٢ / ٧٥٠ ، والنشر ٢ / ٣٠٦ ، والإتحاف ٢٨٢ .

أبو جعفر^(١) : (وَيَخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا)^(٢)؛ أي يُخْرِجُ له الطائر؛ أي عمله ، ﴿كَتَبْنَا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ كقوله : ﴿وَإِذَا الصُّعْفُ ثُثِرَتْ﴾ [التكوير : ١٠] ، وقرأ ابن عامر : (يُلْقَاهُ)^(٣) من قولهم : لَقِيتُ فلاناً الشيء؛ أي استقبلته به ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الذهر : ١١] ، وهو منقول بالتشديد؛ من لَقِيتُ الشيء وَلَقَّانِيهِ زيدٌ^(٤) .

١٤ . قوله تعالى : ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ . قال الفرّاء والكسائي : (يُقَال) هاهنا مضمرة كقوله : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا﴾ [غافر : ٤٦] ، وقوله : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾^(٥) [آل عمران : ١٠٦] ، وقد مر .

قال الحسن : يقرأه أُمِّيًّا كان^(٦) أو غير أُمِّيٍّ^(٧) .

(١) أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، أحد القراء العشرة ، تابعي مشهور ، انتهت إليه القراءة بالمدينة ، قرأ على زيد بن ثابت وسمع ابن عمر ، توفي سنة ١٣٠ هـ . انظر : وفيات الأعيان ٦ / ٢٧٤ ، ومعرفة القراء الكبار ١ / ٧٢ ، وغاية النهاية ٢ / ٣٨٢ ، والنشر ١ / ١٧٨ .

(٢) قرأ أبو جعفر : (وَيَخْرِجُ) بضم الياء وفتح الراء ، على ما لم يُسَمَّ فاعله ، ونائب الفاعل : ضمير الطائر . قال الطبري : وكأنه وجه معنى الكلام إلى : وَيُخْرِجُ له الطائر يوم القيامة كتاباً ، يريد : ويخرج الله ذلك الطائر قد صيّرهُ كتاباً . انظر : تفسير الطبري ١٥ / ٥٣ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٧ ، والنشر ٢ / ٣٠٦ ، والإتحاف ٢٨٢ .

(٣) قرأ ابن عامر : (يُلْقَاهُ) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف ، جعل الفعل لغير الإنسان؛ أي الملائكة تلقاه بالكتاب الذي فيه نسخة عمله وشاهده؛ أي يستقبل به . انظر : السبعة ٣٧٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ٣٦٤ ، وعلل القراءات ١ / ٣١٦ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٧ ، والنشر ٢ / ٣٠٦ .

(٤) ورد في الحجة للقراء ٥ / ٩٠ ، بنحوه .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١١٩ ، بنصه ، ولم أقف عليه منسوباً إلى الكسائي .

(٦) ساقطة من (د) .

(٧) ورد في تفسير الثعلبي ٧ / ١٠٦ أ ، بنحوه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥ / ١٦ ، والفخر الرازي ٢٠ / ١٦٩ ، والقرطبي ١٠ / ١٥٠ .

وقال قتادة : سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً^(١) .

وقال بكر بن عبدالله^(٢) : يؤتى المؤمن يوم القيامة صحيفة حسناته في ظهره يغبطه الناس عليها ، وسيئاته [في]^(٣) جوف صحيفته وهو يقرؤها ، حتى إذا ظن أنها قد أوبقتة ، قال الله له : اذهب فقد غفرتها لك في ما بيني وبينك ، فَيَسْرُ وَيُسْرِقُ لُونُهُ ويقول : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ ﴾^(٤) [الحاقة : ١٩] .

وقوله تعالى : ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ ، الحَسِيبُ بمعنى الحاسب ، كالشريك والنديم ، وقوله : ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٣٩] ؛ أي محاسباً .

قال الحسن : عدلٌ والله عليك ، مَنْ جعلك حَسِيبَ نَفْسِكَ^(٥) .

وقال السدي : يقول الكافر يومئذ : إنك قضيت أنك لست بظلام للعبيد ، فاجعني أحاسب نفسي ، فيقال : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾^(٦) .

(١) أخرجه الطبري ٥٣/١٥ ، بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ١٠٦/٧ ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ٨٢/٥ ، والزخشي ٣٥٤/٢ ، وابن عطية ٣٥/٩ ، وأبي حيان ١٥/٦ ، والدر المنثور ٣٠٤/٤ وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم ، وتفسير الشوكاني ٣٠٦/٣ ، والألوسي ٣٣/١٥ .

(٢) بكر بن عبدالله المزني البصري ، أبو عبدالله ، ثقة ثبت جليل ، روى عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما ، وروى عنه قتادة وحبيب بن الشهيد ، مات سنة ١٠٨ هـ . انظر : الجرح والتعديل ٣٨٨/٢ ، والكاشف ٢٧٤/١ ، ٦٢٨ ، وتقريب التهذيب ١٢٨ ، ٧٤٣ ، وتفسير الطبري ، شاكر ٢٧٤/١ ، ٦٢٨ .

(٣) إضافة يقتضيها السياق ، كما في تفسير الفخر الرازي ١٦٩/٢٠ .

(٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٦٩/٢٠ ، بنصه تقريباً ، وورد في تفسير السمرقندي ٢٦٢/٢ ، بنحوه عن ابن عباس .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ١٠٦/٧ ، بنصه تقريباً ، انظر : تفسير البغوي ٨٢/٥ ، والزخشي ٣٥٤/٢ ، وابن الجوزي ١٦/٥ ، والفخر الرازي ١٦٩/٢٠ ، والخازن ١٥٩/٣ ، وأبي حيان ١٦/٦ ، والألوسي ٣٣/١٥ .

(٦) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٦٩/٢٠ ، والدر المنثور ٣٠٤/٤ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، ومثل هذه الأخبار لا تثبت إلا بخبر صحيح عن المعصوم .

١٥ . قوله تعالى : ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ ؛ أي ثواب اهتدائه له ولنفسه ، يعني الخير باهتدائه ، ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَاتَّمَا يَضِلَّ عَلَيْهَا﴾ ؛ أي على نفسه عقوبة ضلاله ؛ فهُدَاه له كما أن ضلاله عليه ، ﴿وَلَا نَزْرُ وَلَا زِرَّةٌ وَزَرٌ أُخْرَىٰ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد أن الوليد بن المغيرة قال : اتبعوني وأنا أحمل أوزاركم^(١) .

قال قتادة : لا والله ، ما يحمل الله على عبدٍ ذنبٍ غيره ، ولا يؤخذ إلا بعمله^(٢) . قال أبو إسحاق : يقال : وَزَرَ يَزِرُ فهو وَازِرٌ وَزَرًا وَوَزَرًا ، [و] ^(٣) وَزَرَةٌ ، معناه : أَثِمَ يَأْتُمُ إثْمًا ، قال : وفي تأويل هذه الآية وجهان ؛ أحدهما : أن الأثِمَ والمُذْنِبَ لا يؤخذ بذنب غيره ، ولا يؤخذ بذنبه غيره ، والوجه الثاني : أنه لا ينبغي أن يعمل الإنسان بالاثِمَ لأن غيره عَمِلَهُ ، كما قالت الكفار : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾^(٤) [الزخرف : ٢٣] ، ومضى الكلام في معنى الوزر والأوزار في سورة الأنعام^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ . قال ابن عباس : يريد اتخاذ الحجة على خلقه .

(١) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢ / ٤٨١ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥ / ١٧ ، والقرطبي

١٠ / ١٥١ ، والألوسي ١٥ / ٣٥ ، وورد بلا نسبة في تفسير ابن عطية ٩ / ٣٦ ، وتفسير أبي حيان

١٦ / ٦ ، وحمل الآية على العموم أولى من التخصيص .

(٢) أخرجه الطبري ١٥ / ٥٤ ، بنصه .

(٣) هذه الواو إضافة يقتضيها المقام ، كما في تفسير ابن الجوزي ٥ / ١٧ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٣١ ، بنصه ، إلا أنه أورد الآية [٢٢] التي قبلها وهي : ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا

ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ .

(٥) آية [٣١] .

وقال قتادة : إن الله ليس معذباً أحداً حتى يسبق من الله إليه خبر^(١) ويأتيه من الله بينة^(٢) .

وقال أبو إسحاق أي حتى^(٣) نيين ما به نُعَذَّبُ وما من أجله نُذْخِلُ الجنةَ^(٤) ، وهذا يدل على أن الواجبات إنما تجب بالشرع لا بالعقل ؛ لأن الواجب ما لا يؤمن العقاب في تركه ، وقد أخبر أنه لا يعذب قبل بعثته الرسول ، فدل أنه إنما يُعرف الواجب بقول الرسول ، ولا يجب شيءٌ على أحدٍ قبل بعث الرسول^(٥) ، ولذا وجبت الدعوة قبل القتال ، حتى لو أن المسلمين أناخوا بساحة قوم لم تبلغهم الدعوة ، لم يجوز لهم أن يهجموا عليهم بالقتال والثبات^(٦) قبل تقديم الدعوة ، ولو فعلوا ذلك ضَمِنُوا دماءهم ، كذلك قال الشافعي رضي الله عنه^(٧) .

١٦ . قوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُنْرَفَهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ . هذا يتناول على وجهين :

- (١) في النسخ جميعها : (خير) ، والصحيح المثبت ، كما في المصادر .
- (٢) أخرجه الطبري ٥٤ / ١٥ ، بنصه تقريباً .
- (٣) في النسخ جميعها : (حين) ، والمثبت هو الصحيح ، وموافق للمصدر .
- (٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٣١ / ٣ ، بنصه .
- (٥) وهو بهذا يرد على المعتزلة القائلين بأن الواجبات تجب بالعقل أولاً ثم بالشرع انظر : فضل الاعتزال ١٣٩ نقلاً عن كتاب الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ١٦٦ / ١ .
- (٦) جمعٌ ثبته ، وهي الفرقة ، والمقصود النفي بفرق وسرايا . انظر : عمدة الحفاظ ٣١٧ / ١ .
- (٧) كتاب الأم ١٥٧ / ٤ ، بنحوه ، وقد نص على ذلك الماوردي ، وقال : فإن بدأ بقتالهم قبل دعائهم إلى الإسلام وإنذارهم بالحجة ، وقتلهم غرة وبياتاً ضمن ديات نفوسهم ، وكانت - على الأصح من مذهب الشافعي - كديات المسلمين ، وقيل : بل كديات الكفار على اختلافها اختلاف معتقدهم . الأحكام السلطانية للماوردي ٤٦ ، انظر : حواشي تحفة المحتاج على المنهاج ٢٤٢ / ٩ ، الجهاد في سبيل الله ، حقيقته وغايته ٢٠٦ / ١ .

أحدهما : أنهم أُمروا بالطاعة فعصوا ، وهذا قول سعيد بن جبير^(١) ، والمعنى على هذا : أَمَرْنَاهم على لسان رسولٍ بالطاعة ففسقوا ، هذا نحو قولك : أَمَرْتُكَ فَعَصَيْتَنِي ، فقد عَلِمَ أن المعصية مخالفة للأمر^(٢) ، ولذلك ؛ الفسق مخالفة أمر الله^(٣) ، فقوله : ﴿أَمَرْنَا﴾ يدل على أنه أمر بالطاعة وإن لم يُذكر ، كما تقول : أَمَرْتُكَ فَعَصَيْتَنِي ، معناه : أَمَرْتُكَ بطاعتي ، فإن قيل : لم خص المترفين بالأمر بالطاعة ، وأمره بالطاعة لا يكون مقصوراً على المترفين ، وقد أمر الله بطاعته جميع خلقه من مترف وغيره ؟ قيل : لأنهم الرؤساء الذين من عداهم تبع لهم ، كما أن موسى بُعث إلى فرعون ليأمره بطاعة الله ، وكان من عداه من القبط تبعاً له^(٤) ، هذا إذا قلنا : إن قوله : ﴿أَمَرْنَا﴾ من الأمر الذي هو ضد النهي .

الوجه الثاني : أن معنى قوله : ﴿أَمَرْنَا﴾ أكثرنا ، وهو قول مجاهد في رواية عبد الكريم^(٥) ، قال : ﴿أَمَرْنَا مُتَرَفِّهًا﴾ : أكثرنا فساقها^(٦) ، ونحوه روى سِمَاك^(٧) عن

(١) أخرجه الطبري ٥٥ / ١٥ ، بنحوه ، وورد في تفسير الجصاص ١٩٥ / ٣ ، بنصه ، والطوسي ٤٦١ / ٦ ، بنحوه .

(٢) في المصدر : (الأمر) .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (أمر) ١٩٧ / ١ ، بنصه تقريباً .

(٤) في النسخ جميعها : (لها) ، والصواب ما أثبتته ؛ لأن الضمير يرجع إلى فرعون ، وورد هذا التعليل في تفسير الجصاص ١٩٥ / ٣ ، بنحوه ، والطوسي ٤٦٠ / ٦ بنصه تقريباً .

(٥) ذكر محقق تفسير مجاهد ٣٥٩ / ٣ : أن راويين اسمهما عبد الكريم رويًا عن مجاهد ؛ أحدهما : عبد الكريم بن مالك الجَزَري ، وقد تقدمت ترجمته . والآخر : عبد الكريم بن أبي السُّمخارق : هو أبو أمية المعلم البصري ، نزيل مكة ، وهو ضعيف ، قال يحيى : ليس بشيء ، روى عن سعيد بن جبير ، وروى عنه مالك والسفيانان ، قال ابن حجر : وقد شارك الجَزَري في بعض المشايخ ، فربما التبس به على من لا فهم له ، مات سنة ١٢٦ هـ . انظر : الجرح والتعديل ٥٨ / ٦ ، وميزان الاعتدال ٣٦٠ ، ٣٦١ ، والكاشف ١ / ٦٦١ ، (٣٤٣٢) ، وتقريب التهذيب ٣٦١ ، (٤١٥٦) .

(٦) تفسير مجاهد ٣٥٩ / ١ ، بنصه ، أخرجه الطبري ٥٥ / ١٥ ، بنحوه عن عكرمة وسعيد ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤ / ١٣٤ ، بنحوه عن مجاهد ، وتفسير الجصاص ١٩٥ / ٣ ، بنحوه عن مجاهد وعكرمة ، والدر المنثور ٣٥٩ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

(٧) سِمَاك بن حرب بن أوس الهذلي الكوفي ، أبو المغيرة ، تابعي ، أدرك ثمانين رجلاً من أصحاب =

عكرمة وعمر بن ثابت^(١) عن أبيه عن سعيد بن جبير ، والعرب : تقول أمر القوم إذا كثروا ، وأمرهم الله؛ أي كثّرهم ، وأمرهم أيضاً بالمد^(٢) .

روى الجَرَمِيُّ^(٣) عن أبي زيد : أمر الله القوم وأمرهم؛ أي كثّرهم ، قال : مثل نصر الله وجهه وأنصره ، ومثل أمر القوم وأمرهم غيرهم ، ورجع ورجعته ، وسلك وسلكته ، قال الله تعالى : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ [المدر: ٤٢] ، وسترت^(٤) عينه وسترتها^(٥) .

قال أبو عبيدة^(٦) : وقد وجدنا تثبيتاً لهذه اللغة ، وهو قوله ﷺ : «سَكَّة مأبورة ، ومُهمرة مأمورة»^(٧) .

الني ﷺ ، صدوق صالح من أوعية العلم ، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة ، وقد تغير بأخرة ، مات سنة ١٢٣ هـ . انظر : الجرح والتعديل ٢٧٩/٤ ، وميزان الاعتدال ٤٢٢/٢ ، والكاشف ١/٤٦٥ ، ٢١٤١ ، وتقريب التهذيب ٢٥٥ ، (٢٦٢٤) .

(١) عمر بن ثابت الأنصاري الخزرجي ، ثقة ، سمع أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، وروى عنه الزهري ومالك بن أنس . انظر : الجرح والتعديل ١٠١/٦ ، والكاشف ٥٦/٢ ، وتقريب التهذيب ٤١٠ ، (٤٨٧٠) .

(٢) ورد بنحوه في غريب الحديث ٢٠٨/١ ، وتهذيب اللغة (أمر) ١٩٦/١ ، والحجة للقراء ٩٢/٥ .

(٣) أبو عمر ، صالح بن إسحاق الجَرَمِيُّ البصري ، مولى جَرَم بن زَبَان؛ من قبائل اليمن ، إمام في النحو ، ناظر الفراء في بغداد ، أخذ عن الأخفش وغيره ، ولقي يونس وأخذ عن أبي زيد اللغة ، وعن أبي عبيدة والأصمعي . انظر : أخبار النحويين البصريين ٨٤ ، ونزهة الألباء ١١٤ ، والبلغة ١١٣ ، والبلغة ٨/٢ .

(٤) الشتر : انقلاب في جفن العين فلما يكون خلقة . انظر : اللسان (ستر) ٢١٩٣/٤ .

(٥) ورد في الحجة للقراء ٩٢/٥ ، عن الجرهمي مختصراً ، والمحتسب ١٧/٢ ، عن أبي زيد مختصراً ، والمقصود بهذه الأمثلة ، التدليل على أن بعض الأفعال يعدى بالهمزة ، وبعضها - الذي من باب فعل بكسر العين - يتعدى بفتح العين والمعنى واحد . انظر : الموضح في القراءات ٧٥٢/٢ ، وتفسير الطوسي ٤٦١/٦ .

(٦) في النسخ جميعها : (أبو عبيد) ، والتصويب من الحجة للقراء ٩٢/٥ .

وهو في مجاز القرآن ٣٧٣/١ ، بمعناه ، وورد في الحجة للقراء ٩٢/٥ ، بنصه ، وواضح أنه نقله من الحجة ، لا من المجاز .

(٧) وطره : «خير المال سكة . . .» . أخرجه أحمد ٤٦٨/٣ ، بنصه عن سويد بن هبيرة عن النبي ﷺ ، =

قال أبو زيد : هي التي قد كَثُرَ نَسْلُهَا ، يقولون : أَمَرَ اللهُ المِهُرَةَ ؛ أي كَثُرَ وَلَدُهَا^(١) ، وأبى قوم أن يكون (أَمَرَ) بمعنى أَكْثَرَ ، وقالوا : أَمَرَ القوم إذا كَثُرُوا ، وأمرهم اللهُ بالمد ؛ أي أَكْثَرَهُمْ ، وتأولوا في قوله : (مهرة مأمورة) أنها على الإِتِّبَاعِ للمُبَوْرَةِ ؛ نحو الغدايا والعشايا^(٢) .

وروى أبو العباس^(٣) - ختن ليث - عن أبي عمرو أنه قرأ : (أَمَرْنَا) بالتشديد^(٤) ، وهو يوافق تفسير ابن عباس في ما روى عنه الوالبي ، يقول : سَلَطْنَا شرارها فَعَصَوْا^(٥) .

والطبري ٥١ / ٨ ، بنصه ، والطبراني في الكبير ٩١ / ٧ ، بنحوه من طريقين عن سويد بن هبيرة ، وورد بنصه في غريب الحديث ٢٠٨ / ١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٣٢ / ٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ١٣٥ / ٤ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٦٥ / ١ ، وعلل القراءات ٣١٧ / ١ ، وتهذيب اللغة (أمر) ١٩٧ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١٠٦ / ٧ ، والماوردي ٢٣٦ / ٣ ، وأورده الهيثمي في المجمع ٢٥٨ / ٥ وقال : رجال أحمد ثقات ، والسيوطي في الجامع ، فيض القدير ٤٩١ / ٣ ورمز له بالصحة ، وفي بعض هذه المصادر تقديم مهرة على سَكَّة ، السَّكَّة : السَّطْر من النَّخْل ، المَبَوْرَة : المِصْلَحَةُ المُلْقَحَةُ ، يقال : أَبْرَت النخل أَبْرَهُ أَبْرًا إذا لَقَّحْتَهُ وأصلحته ، المِهُرَة : قال الليث : المِهُر : ولد الرِّمَكَةِ - البرذون - والفرس ، والأنثى مُهْرَة ، والجميع مِهَار ، وقيل : أول ما نَبَج من الخيل والحُمُر الأهلية ، قال ابن خالويه : يعني بالمِهُرَة : الكثيرة النَّتَاج . انظر : أمالي القالي ١ / ١٠٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٦٥ / ١ ، وتهذيب اللغة (مهر) ٣٤٦٢ / ٤ ، ومتن اللغة ٣٣٣٩ / ٤ .

- (١) ورد في تهذيب اللغة (أمر) ١٩٧ / ١ ، بنصه .
- (٢) ورد بنحوه في إعراب القراءات السبع وعللها ٣٦٦ / ١ ، وتهذيب اللغة (أمر) ١٩٧ / ١ ، والطوسي ٤٦١ / ٦ .
- (٣) أحمد بن محمد بن عبدالله أبو العباس الليثي المعروف بختن ليث ، روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء ، وروى عنه هارون بن حاتم التيمي . غاية النهاية ١٢١ / ١ .
- (٤) انظر : السبعة ٣٧٩ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٦٦ / ١ ، وعلل القراءات ٣١٧ / ١ ، والحجة للقراء ٩١ / ٥ ، والمُوضَح في وجوه القراءات ٧٥٢ / ٢ .
- (٥) ورد في معاني القرآن للفرَّاء ١١٩ / ٢ ، بمعناه ، وأخرجه الطبري ٥٥ / ١٥ ، بنصه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٣٦ / ٤ ، مختصراً ، وتهذيب اللغة (أمر) ١٩٧ / ١ ، بمعناه ، والدر المشور ٣٠٧ / ٤ ، بنصه وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس .

وقال أبو إسحاق أي جعلنا لهم إمرةً وسلطاناً^(١)، وقال في رواية عطاء : يريد سَلَطْنَا مُلُوكَهَا^(٢).

قال أبو علي الفارسي : حَمَلَ أَمَرْنَا عَلَى أَنَّهُ مِثْلُ : أَمَرْنَا ، نَحْوُ : كَثَرَهُ اللَّهُ وَأَكْثَرَهُ ، وَلَا يُحْمَلُ أَمَرْنَا عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى : جَعَلْنَاهُمْ أُمَرَاءَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكَادُ يَكُونُ فِي قَرْيَةٍ وَاحِدَةٍ عِدَّةُ أُمَرَاءَ^(٣).

وهذا الذي قاله أبو علي لا يقدر في قول ابن عباس ؛ لِأَنَّ الْقَرْيَةَ الْوَاحِدَةَ قَدْ يَكُونُ فِيهَا أُمَرَاءُ كَثِيرٌ تَبَعًا لِوَاحِدٍ هُوَ أَكْبَرُهُمْ ، فَهُمْ يُسَمَّوْنَ أُمَرَاءَ وَيَكُونُونَ مُسَلِّطِينَ ، وَإِنْ كَانَ فَوْقَهُمْ غَيْرُهُمْ هُوَ الْأَعْظَمُ ، فَهَؤُلَاءِ لَا يَخْرُجُونَ عَنْ سِمَةِ الْإِمَارَةِ ، وَيُقَوَّى مَا قَالَهُ أَبُو عَلِيٍّ : أَنَّ يُونُسَ رَوَى عَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ : لَا يَكُونُ أَمَرْنَا مُخَفَّفَةً بِمَعْنَى كَثَرْنَا^(٤) ، وَلَمَّا أَرَادَ مَعْنَى الْكَثْرَةِ شَدَّدَ الْمِيمَ وَلَمْ يَقْرَأْ بِمَدِّ الْأَلْفِ لَمَّا لَمْ يَكُنْ بِالْمَصْحَفِ إِلَّا أَلْفٌ^(٥) وَاحِدَةٌ .

وروى حماد بن سلمة عن ابن كثير : أَمَرْنَا بِالْمَدِّ^(٦) ، وَهِيَ اللَّغَةُ الْعَالِيَةُ^(٧) ، يُقَالُ : أَمَرَ الْقَوْمَ وَأَمَرَهُمُ اللَّهُ ؛ أَيَّ أَكْثَرَهُمْ ، فَهُمْ مُؤَمَّرُونَ^(٨).

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٢ / ٣ ، بنصه .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢٩٨ ، بنحوه .

(٣) الحجة للقراء ٩٣ / ٥ ، بنصه .

(٤) الحجة للقراء ٩٢ / ٥ ، بنحوه .

(٥) في (أ) و(د) : (الألف) .

(٦) انظر : السبعة ٣٧٩ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٦٦ / ١ ، وعلل القراءات ٣١٦ / ١ ، والحجة للقراء ٩١ / ٥ .

(٧) قاله ابن قتيبة في غريبه ٢٥٣ / ١ .

(٨) ورد بنحوه في إعراب القراءات السبع وعللها ٣٦٥ / ١ .

ونحو هذا روى خارجة^(١) عن نافع^(٢)، قال أبو إسحاق: ويكون لقوله^(٣): ﴿أَمَرْنَا مُتَرَفِّهِهَا﴾ معنى آخر غير كثرة العدد، وهو أن تكثر^(٤) جدَّتْهم ويسَارُهم^(٥).

قال أبو عبيد: الوجه قراءة العامة؛ لاحتتماله معنى الأمر والكثرة^(٦)، فإنه يقال: أمير غير مأمور؛ أي غير مؤمَّر^(٧).

وأما المترف فمعناه في اللغة: المُتَعَمُّ الذي قد أبطرتة النعمة وسِعَةُ العيش^(٨).
والمفسرون يقولون في تفسيرها: الجبارين والمسلطين والملوك^(٩).

(١) خارجة بن عبدالله بن سليمان بن زيد بن ثابت، أبو زيد، وينسب إلى جده، ضعيف الحديث، روى عن أبيه ونافع، وروى عنه مَعْنُ والقَعْنَبِي، مات سنة ١٦٥ هـ. انظر: الجرح والتعديل ٣/ ٣٧٤، والكشاف ١/ ٣٦١ (١٣٠٢)، وميزان الاعتدال ١/ ٦٢٥، وتقريب التهذيب ١٨٦، (١٦/١).

(٢) انظر: السبعة ٣٧٩، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٦، وعلل القراءات ١/ ٣١٦، والحجة للقراء ٥/ ٩١.

(٣) في النسخ جميعها: (كقوله)، والصواب المثبت، كما يدل عليه السياق.

(٤) في النسخ جميعها: (أن يكون)، وهو تصحيف ظاهر، والتصويب من المصدر.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٢، بنصه تقريباً.

(٦) لم أجده في كتابه غريب الحديث، وأخرجه ابن خالويه عنه في إعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٦، بنحوه، والثعلبي ٧/ ١٠٦، بنحوه، وقد رجَّح الطبري القول الأول، وعلله: بأن الأغلب من معنى أمرنا، الأمر الذي هو خلاف النهي دون غيره، ثم قال: وتوجيه معاني كلام الله جل ثناؤه إلى الأشهر الأعراف من معانيه أولى - ما وجد إليه سبيل - من غيره. انظر: تفسير الطبري ١٥/ ٥٤، ٥٧.

(٧) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٦، بنصه.

(٨) انظر: المحيط في اللغة (ترف) ٩/ ٤٢٦، والصحاح ٤/ ١٣٣٣، والعباب الزاخر: [ف/ ٤٢]، واللسان ١/ ٤٢٩ وانظر: تفسير ابن الجوزي ٥/ ١٩، والفخر الرازي ٢٠/ ١٧٥.

(٩) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٣، بنحوه، وتهذيب اللغة (ترف) ١/ ٤٣٦، بلفظه عن قتادة، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٦، بمعناه، والماوردي ٣/ ٢٣٦، بلفظه، انظر: تفسير ابن الجوزي ٥/ ١٩.

وقوله تعالى : ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾؛ أي تمردوا في كفرهم ، إذ الفسق في الكفر : الخروج إلى أفحشه ^(١) .

﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ . قال ابن عباس : يريد استوجبت العذاب ^(٢) ، يعني قوله : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ﴾ [القصص: ٥٩] ، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِیُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ [هود: ١١٧] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، فقد قال عز وجل وحكم بأنه لا يهلك قرية حتى يخالفوا أمره ^(٣) في الطاعة ، فإذا خالفوا الأمر حق عليهم قوله بالعذاب .

وقوله تعالى : ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾؛ أي أهلكناها إهلاك الاستئصال ، والدمار هلاك بالاستئصال . وهذه الآية تأكيد لما سبق في الآية الأولى ؛ لأن الله تعالى ذكر وبين أن العقاب إنما يحق على الناس بعد مخالفتهم أمر الله .

١٧ . ثم ذكر سنته في إهلاك القرون الماضية تخويفاً لكفار مكة ، فقال : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ . وهذه الآية كقوله ^(٤) : ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ [الأنعام: ٦٠] ، وقد مر .

وقوله تعالى : ﴿وَكُنْزٍ رَبِّكَ﴾ . ذكرنا الكلام في هذه الباء في مواضع ^(٥) .

(١) ورد في تفسير الطوسي ٤٦١/٦ بنصه تقريباً ، انظر : تفسير ابن الجوزي ١٩/٥ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٢٣٤/١٠ ، بنحوه ، وورد غير منسوب في تفسير الثعلبي ١٠٦/٧ ، بنحوه ، والفخر الرازي ١٧٥/٢٠ ، بنصه .

(٣) في (أ) و(د) : (أمر) .

(٤) في النسخ جميعها : (لقله) ، وهو تصحيف ظاهر .

(٥) وقد ذكر الواحدي عند قوله تعالى : ﴿وَكُنْزٍ بِاللَّهِ حَسْبِيَ﴾ [النساء: ٦] أن استقصاء الحديث عن الباء في السورة نفسها عند قوله تعالى : ﴿وَكُنْزٍ بِاللَّهِ وَلِيَاً وَكُنْزٍ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [آية: ٤٥] ، لكن الجزء المتضمن لهذه الآية مفقود ، كما ذكر محقق هذا الجزء .

وقال الفرّاء : لو ألقيت الباء كان الحرف مرفوعاً ، وإنما يجوز دخول الباء في المرفوع إذا كان يُمدح به صاحبه أو يذم ، كقولك : كفاك به ، ونهاك به ، وأكرم به رجلاً ، وبئس به^(١) رجلاً ، ونعم به رجلاً ، وطاب بطعامك طعاماً ، وجاد بثوبك ثوباً ، ولو لم يكن مدحاً أو ذمّاً لم يجوز دخولها ، ألا ترى أنه لا يجوز : قام بأخيك ، وأنت تريد : قام أخوك ، ولا قعد به ، وأنت تريد : قعد هو^(٢) .

١٨ . قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ . قال المفسرون أي الدنيا^(٣) ، والعاجلة نقيض الآجلة ، وهي الدنيا عَجَلَتْ وكانت قبل الآخرة ، ﴿عَجَلْنَا لَهُ، فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ ، هذا ذم لمن أراد بعمله وطاعته وإسلامه الدنيا ومنفعتيها وعروضها ، وقد بين الله تعالى أن من أرادها^(٤) لم يدرك منها إلا ما قدره الله له إذا أراد أن يُقدّر له ؛ لأنه قال : ﴿عَجَلْنَا لَهُ، فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ ؛ أي القدر الذي نشاء ، نُعَجِّلْ له في الدنيا لا الذي يشاء هو .

ثم بيّن أن ما يُعَجَّل ليس عامّاً لكل أحد ، فقال : ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾ ؛ أي لمن نريد أن نعجل له شيئاً قدرناه له ، فإذا قد يخيب كثير ممن يتعب للدنيا ويطلبها بسعيه^(٥) ، والذي يدركها لا يدرك إلا ما قُدّر له ، ثم يدخل النار في الآخرة ﴿مَذْمُومًا﴾ ، قال ابن عباس : ملوماً^(٦) ، ﴿مَذْحُورًا﴾ : منفيّاً مطروداً ، وذكرنا معنى ﴿مَذْحُورًا﴾ في

(١) (به) ساقطة من (د) .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ١١٩/٢ ، بتصرف يسير ، انظر : تفسير الطبري ٥٨/١٥ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ٢١٣/١ ب ، بلفظه ، وأخرجه الطبري ٥٩/١٥ ، بلفظه عن ابن زيد ،

وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ١٣٨/٤ ، بلفظه ، وتفسير الجصاص ١٩٦/٣ ، والثعلبي ١٠٦/٧ ب ، والدر المنثور ٣٠٨/٤ وعزاه نسبه إلى ابن أبي حاتم عن الضحاك .

(٤) في النسخ جميعها : (أرادها) ، والصواب ما أثبتته بإسقاط الباء ؛ لأنها تجعل المعنى مضطرباً .

(٥) مطموسة في (ع) ، وفي (أ) و(د) : (بسعته) ، والمثبت من (ش) ، وهو الصواب .

(٦) أخرجه الطبري ٥٩/١٥ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، والدر المنثور ٣٠٩/٤ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

سورة الأعراف [١٨] ، ومعنى هذه الآية كقوله : ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [آل عمران : ١٤٥] ، وقد مر ، قال أبو إسحاق : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾ ؛ لأنه لم يرد الله بعمله^(١) ، ﴿مَدْحُورًا﴾ : مباحداً من رحمة الله .

١٩ . قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ . قال ابن عباس : يعني الجنة^(٢) . وقال أهل المعاني : يريد ثواب الآخرة أو خير الآخرة ، كما قال : ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران : ١٤٥] .

﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعِيَهَا﴾ . قال ابن عباس : يريد العمل بفرائض الله والقيام بحقوقه^(٣) ، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فإن الله لا يقبل حسنة إلا من مُصَدِّقٍ ، ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعِيُهُمْ مَّشْكُورًا﴾ . قال : يريد : يُضَعَّفُ لَهُمُ الْحَسَنَاتُ ، ويمحي عنهم السيئات ، ويرفع لهم الدرجات .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿كُلًّا نُّمِدُّ﴾ ، يعني من أراد العاجلة ، ومن أراد الآخرة ، ثم فصل الفريقين ، فقال : ﴿هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ ، قال الحسن : كلاً نعطي من الدنيا البرّ والفاجر^(٤) .

وقال قتادة : إن الله قَسَمَ الدنيا بين البرّ والفاجر ، والآخرة خصوصاً عند ربك للمتقين^(٥) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٣ ، بنصه .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢٩٨ ، بلفظه .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٩٨ ، بنحوه .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٠ ، بنصه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٤ ، بنصه ، والدر المنثور ٤/ ٣٠٨ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وأبي نعيم في الحلية ، لم أقف عليه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٢١/ ٥ .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٠ ، بنصه ، والدر المنثور ٤/ ٣٠٨ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

وقال أبو إسحاق : أعلم الله أنه يعطي المسلم والكافر ، وأنه يرزقهما ، فقال : ﴿كَلَّا نُمَدُّ﴾ ؛ أي نُمَدُّ المؤمنين والكافرين من عطاء ربك ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ؛ أي ممنوعاً ^(٢) ، يقال : حَظَرَهُ يُحْظَرُهُ حَظَرًا وَحِظَارَةً وَحِظَارًا ، وكل من حال بينك وبين شيء فقد حظره عليك ^(٣) .

٢١ . قوله تعالى : ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني : في الرزق ؛ فمن مُقِلٍّ وَمِنْ مَكْثَرٍ ، ومن مُوسَّعٍ عليه ومُقْتَرٍ ، ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ يحتمل معنيين :

أحدهما : أن هذا خاص في المؤمنين الذين يدخلون الجنة ، فتفاوت درجاتهم في الآخرة أكبر مما تفاوت درجات المرزوقين في الدنيا في الرزق ، وهذا التفضيل بين المؤمنين خاصة .

والثاني : أن هذا التفضيل بين المؤمنين والكافرين ، ويكون المعنى : أن المؤمنين يدخلون الجنة ، والكافرين يدخلون النار ، فتبين درجاتهم ، ويفضل ^(٤) أحد الفريقين على الآخر ، وعلى هذا لا تدل الآية على تفاوت درجات المؤمنين بينهم ، وإنما تدل على تفضيلهم على الكفار بدرجات الجنة ، والمفسرون على القول الأول :

قال ابن عباس : إذا دخلوا الجنان اقتسموا المنازل والدرجات على قَدَرِ أعمالهم ، ألا تسمع قوله : ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا﴾ الآية .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٣ ، بنصه .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ٦١ ، بلفظه عن ابن جريج وابن زيد ، وورد في تفسير الماوردي ٣/ ٢٣٧ ، عن ابن عباس .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (حظر) ١/ ٨٥٦ ، والمحيط في اللغة ٣/ ٥٩ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٨٠ ، واللسان ٢/ ٩١٨ .

(٤) في النسخ جميعها : (وتفضيل) ، والمثبت أصوب .

٢٢. قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾. المفسرون على أن هذا خطاب للنبي ﷺ، والمعنى عام لجميع المكلفين^(١)، على نحو: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١]، ويحتمل أن يكون الخطاب للإنسان، كأنه قيل: ﴿لَا تَجْعَلْ﴾ أيها الإنسان مع الله إلهاً آخر.

وقوله تعالى: ﴿فَقَعْدُ﴾ انتصب؛ لأنه وقع بعد الفاء جواباً للنهي، وانتصابه بإضمار (أن)، كقولك: لا تنقطع عنا فنجفوك، وتقديره: لا يكن منك انقطاع، فإن جوابه^(٢) فإن تنقطع نجفوك؛ أي فجفاء^(٣)، فما بعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة بالفاء التي هي حرف العطف، وإنما سماه النحويون جواباً – وإن كانت جملة واحدة ولم تكن كالجزاء – لمشابهته له في أن الثاني سببه^(٤) الأول؛ ألا ترى أن المعنى: إن انقطعت جفوتك، كذلك المعنى في الآية: إن جعلت مع الله إلهاً آخر قعدت ﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾، والمخذول: الذي لا عاصم له ولا ناصر، يقال: خذله يخذله خذلاً^(٥) وخذلاً، وقد مر.

٢٣. قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد وأمر ربك، ليس هو قضاء حكم، ونحو هذا روى عنه الوالبي^(٦)، وهو قول مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وعامة

(١) ورد بنحوه في الطبري ٦٢/١٥، والثعلبي ١٠٦/٧، والطوسي ٤٦٤/٦.

(٢) في النسخ جميعها: (صوابه)، والصواب ما أثبتته، ويدل عليه سياق الكلام بعده.

(٣) في (أ) و(د): (نجفا)، والمثبت من (ش) و(ع).

(٤) في (أ): (سنه)، وفي (د): (سنته)، وفي (ش) و(ع): (شبيهه)، والصواب ما أثبتته، وهو الأنسب للسياق.

(٥) ساقطة من (د).

(٦) أخرجه الطبري ٦٢/١٥، بلفظه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، وورد بلفظه في تفسير الثعلبي ١٠٦/٧، والماوردي ٢٣٧/٣، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٠٩/٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

المفسرين^(١) وأهل اللغة^(٢). قال الفراء: العرب تقول: تركته يقضي أمور الناس؛ أي يأمر فيها فينفذ أمره^(٣).

وقال أبو إسحاق: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ معناه أمر^(٤)؛ لأنه أمرٌ قاطعٌ حَتْمٌ، وذكرنا أن قضى في اللغة على وجوه، كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه^(٥).

وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس في هذه الآية، قال: إنما هو (ووصى ربك) فالتصقت إحدى الواوَيْن^(٦)، فقرئت: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ ولو كان على القضاء ما عصى الله أحد^(٧)، ونحو هذا روى عنه الضحاك وسعيد بن جبير^(٨)، وهو قراءة علي وعبد الله: (ووصى ربك)^(٩).

(١) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٠، بلفظه، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٦، بلفظه عن قتادة، والطبري ١٥/ ٦٢-٦٣، بلفظه عنهم ما عدا مجاهد، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٣٩، عن الحسن، وتفسير الجصاص ٣/ ١٩٦، والسمرقندي ٢/ ٢٦٤، وهود الهواري ٢/ ٤١٤، والثعلبي ٧/ ١٠٦، عن الحسن وقاتدة، والماوردي ٣/ ٢٣٧، عن الحسن وقاتدة.

(٢) انظر: مجاز القرآن ١/ ٣٧٤، وتهذيب اللغة (قضى) ٣/ ٢٩٨٦، والإملاء ٢/ ٩٠، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٦٦، واللسان (قضى) ٦/ ٣٦٦٥.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٢٠، بنصه.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٣، بلفظه.

(٥) انظر: ما تقدم في تفسير سورة البقرة [آية: ١١٧].

(٦) أي التصقت بالصاد.

(٧) ورد في القراءات الشاذة لابن خالويه ٧٩، مختصراً، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٠٩، بنحوه، وعزاه إلى أبي عبيد وابن منيع وابن المنذر وابن مردويه من طريق ميمون عن ابن عباس.

(٨) أخرجه الطبري ٨/ ٥٨، عن الضحاك، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٦، عن الضحاك، والماوردي ٣/ ٢٣٧، عن الضحاك، وانظر: غرائب التفسير ١/ ٦٢٤، عن ابن عباس والضحاك واستغفريه، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٢٥٧ وعزاه إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن الأباري في المصاحف من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وأورده -كذلك- وعزاه إلى ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس، وأورده، وزاد نسبته إلى أبي عبيد وابن المنذر عن الضحاك.

(٩) أخرجه عن ابن مسعود مقاتل ١/ ٢١٣، وعبدالرزاق ٢/ ٣٧٦، والطبري ١٥/ ٦٣، والطبراني =

وقوله تعالى : ﴿وَابْلَوْلَيْنِ إِحْسَنًا﴾ . قال الرَّجَّاجُ أي وأمر بالوالدين إحساناً^(١) ، والعرب تقول : أوصيك به خيراً ، وأمرك به خيراً ، وكأن معناه : أملك أن تفعل به ، ثم تحذف (أن) فينصب الخبر بالوصية وبالأمر ، وأنشد :

عَجِبْتُ مِنْ دَهْمَاءَ أَنْ تَشْكُونَا

وَمِنْ (أبي) دَهْمَاءَ أَنْ يُوصِينَا

خَيْرًا (بها كأننا)^(٢) جافونا^(٣)

فعلى هذا ينصب إحساناً بمضمر دلّ عليه الكلام ، و(الباء) في : ﴿وَابْلَوْلَيْنِ﴾ من صلة الإحسان ، وقُدِّمت عليه كما تقول : بزيد فامرر^(٤) ، ويجوز أن يكون العامل فيه ما أضمر من الإيصاء؛ كأنه : وأوصى بالوالدين إحساناً .

في الكبير ١٤٩/٩ ، ووردت عن ابن مسعود في معاني القرآن للنحاس ١٣٩/٤ ، وتفسير السمرقندي ٢٦٤/٢ ، والثعلبي ١٠٦/٧ ب ، عنهما ، وهذه القراءة شاذة ، وقد استتكرت وضعفت ، قال الكرمانى : وهذه القراءة عند القراء مقبولة في جملة الشواذ ، والحكاية مردودة على الراوي ، وقال ابن عطية : وهذا ضعيف ، وإنما القراءة مروية بسند ، ونقل تضعيف ابن أبي حاتم لها ، وقال : لو قلنا هذا لطعن الزنادقة في مصحفنا ، وقال ابن الجوزي : وهذا على خلاف ما انعقد عليه الإجماع ، فلا يلتفت إليه .

انظر : غرائب التفسير ١/٦٢٤ ، وتفسير ابن عطية ٩/٥٢ ، وابن الجوزي ٥/٢٢ ، وفتح الباري ٨/٢٤١ ، وتفسير الألوسي ١٥/٥٤ ، وهي أشبه بالتفسير من القراءة ، وبذلك فسرها مجاهد ، كما أخرجه الطبري ١٥/٦٢-٦٣ .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٣٤ ، بنحوه .

(٢) في النسخ جميعها : (أين) بدل (أبي) ، و(بها كأنها) بدل (بها كأننا) ، والتصويب من المصادر .

(٣) ورد ما بين التنصيص بنصه تقريباً في معاني القرآن للفرّاء ٢/١٢٠ ، وتفسير الطبري ١٥/٦٣ ، وبنحوه في تفسير الطوسي ٦/٤٦٧ ، وفي المصادر جميعها : (إذ) بدل (إن) ، والشاهد كما ذكره الطبري والطوسي : أعمل يوصينا في الخير ، كما أعمل في الإحسان .

(٤) أورد الفخر الرازي هذا الوجه وعزاه إلى الواحدي ، وتعقبه قائلاً : وهذا المثال الذي ذكره الواحدي غير مطابق ؛ لأن المطلوب تقديم صلة المصدر عليه ، والمثال المذكور ليس كذلك ، وقد أورد السمين =

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾، يرفع ﴿أَحَدُهُمَا﴾ بـ ﴿يَبْلُغَنَّ﴾، و﴿كِلاهُمَا﴾ عطف عليه، وقرأ حمزة والكسائي: (يبلغان)^(١) قال الفرّاء: ثنى؛ لأن الوالدين قد ذُكِرَا قبله، فصار الفعل على عددهما، ثم قال: ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ على الالتئاف، كقوله: ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ [المائدة: ٧١]، ثم استأنف فقال: ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾، وكذلك قوله: ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾، ثم استأنف فقال: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(٢) [الأنبياء: ٣]، وقال أبو علي: من قرأ: (يبلغان) جعل قوله: ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ معاداً على التأكيد، وعلى ذكر أفراد كل واحد منهما، ولا يكون الرفع فيها بمعنى الفعل كما يكون في قراءة الباقيين^(٣).

وقال أبو إسحاق: من قرأ: (يبلغان) [يكون ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ بدلاً من الألف، وموضع ﴿يَبْلُغَنَّ﴾ و(يبلغان)]^(٤) جزم بإمّا؛ لأن أصله (إن) التي للشرط، فأكدت بـ (ما) التي للشرط؛ نحو: ﴿مَا نَنْسَخُ﴾ [البقرة: ١٠٦] ليكون حرف الشرط مؤكّداً مثل توكيد الفعل بالنون، وعلامة الجزم لا تبين مع نون التأكيد^(٥)؛ لأن الفعل يُشْتَى معها، ألا ترى أنك تقول ليفعلنّ بفتح^(٦) اللام وبترك

= القولين، وبين أن كلا منهما صحيح من وجه. انظر: تفسير الفخر الرازي ١٨٦/٢٠، والدر المصون ٣٣٤/٧.

(١) انظر: السبعة ٣٧٩، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٦٨/١، وعلل القراءات ٣١٩/١، والحجة للقراء ٩٦/٥، والمبسوط في القراءات ٢٢٨.

(٢) معاني القرآن للقراء ١٢٠/٢، بنصه.

(٣) الحجة للقراء ٩٦/٥، بتصرف.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د).

(٥) أي المباشرة.

(٦) في النسخ جميعها: (ففتح)، والصواب المثبت؛ لأن به يستقيم الكلام.

الضمة ، وبترك النون التي تُلحق^(١) في التثنية والجمع والواحدة المؤنث علامة للرفع^(٢) ، كما تُركت الضمة في الواحدة .

ذكرنا هذا [عند]^(٣) قوله : ﴿وَلَنَجْذِثَّهُمْ﴾ [البقرة: ٩٦] وعند قوله : ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِ﴾ [يونس: ٨٩] .

وأما قوله : ﴿كِلَاهُمَا﴾ فإن كلا اسم مفرد يفيد^(٤) معنى التثنية^(٥) ، ووزنه فِعْل ، ولأمله بمنزلة لام حِجَى ورِضَى ، وهي كلمة وضعت على هذه الحلقة يُؤكِّدُ بها الاثنان خاصة ، ولا تكون إلا مضافة ، والدليل على أنها ليست تثنية : أنها لا تُفردُ فتقوم بنفسها ، ولو كانت تثنيةً لوجب أن تقال بالنصب والخفض ، والخفض مررت بكلي الرجلين بكسر الياء ، كما تقول بين يدي الرجل ، و﴿مِنْ ثُلَاثِ أَيْلٍ﴾ [المزمل: ٢٠] و﴿يَصْحَبِي السَّجْنِ﴾ [يوسف: ٣٩] و﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤] ، فدل هذا على أنها ليست بحلقة تثنية ، وأنها وضعت دلالة على التثنية لا أنها تثنية ، كما تقول في (كل) فإنه اسم واحد موضوع للجماعة ، فإذا أخبرت عنه بلفظه ، أخبرت كما تخبر عن الواحد ، كقوله : ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥] وكذلك إذا أخبرت عن كلا ، أخبرت عن الواحد ، فقلت : كلا أخويك كان قائماً ، وكلا عميكَ كان فقيهاً ، وقال الله تعالى : ﴿كِلْتَا الْجَنَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلُهُمَا﴾ [الكهف: ٣٣] ، ولم يقل : آتتا ، وقال :

كَلَا الرَّجُلَيْنِ أَفَّاكَ أَثِيمٌ^(٦)

(١) في (ش) و(ع) : (لحق) .

(٢) بسبب توالي النونات والثقل .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) في (أ) و(د) : (بعيد) .

(٥) في النسخ جميعها : (للتثنية) ، والصحيح المثبت ، والتصقت الألف باللام .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (كلا) ٣١٦٩ / ٤ ، بنصه بلا نسبة ، والشاهد : أنه أفرد أفَّاكَ ، وهي تعود على مثنى . وانظر أيضاً : لسان العرب (كلا) ، وتاج العروس ، باب : الواو الهاء ، فصل : الكاف .

وقال لييد :

فَعَدَّتْ كَلَا الْفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا^(١)

يريد كلا فرجيهما ، فأقام الألف واللام مقام الكناية ، وقال : أنه ، ولم يقل :
أنهما ، ثم ترجم عن كلا ، فقال : خلفها وأمامها ، يجوز أن يذهب إلى المعنى
فيقول : كلا الرجلين كانا قائمين ، كما يقول في كل ، كقوله تعالى : ﴿وَكُلُّ أُنثَىٰ
دَخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧] ؛ وهذا الذي ذكرنا في كَلا كلام أبي الهيثم الرازي^(٢) وأبي
الفتح الموصلي^(٣) وأبي علي الجرجاني ، وأمّا كلتا فالكلام فيه يأتي عند قوله : ﴿كَلَّتَا
الْجَنَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٣] إن شاء الله .

قال مجاهد في قوله : ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾ . قال : يخريان ويولان^(٤) ،
و﴿الْكِبَرُ﴾ هاهنا مصدر الكبير في السن .

(١) شرح ديوان لييد ٣١١ ، وورد في الكتاب ٤٠٧/١ ، والمقتضب ٤/٣٤١ ، وشرح القصائد السبع
الطوال ٥٦٥ ، وأمالى ابن الشجري ١/١٦٦ ، ٢/٥٨٢ ، والبسيط في شرح جمل الزّجاجي ١/٥٠٢ ،
والإيضاح للعضدي ٢١١ ، بلا نسبة . (فعدت) : من الغدوّ ، وتروى : (فعدت) : من العدو ، (كلا
الفرجين) : في كلا الفرجين ؛ والفرج : الواسع من الأرض أو الثّغور ؛ وهو موضع المخافة ، والفروج
هي الثّغور ، (مولى) : قال ثعلب : المولى في هذا البيت معناه : الأولى ؛ كأنها تحسب أن كلّ فرج أولى
بالمخافة من الثاني ؛ لحيرتها ، والضمير يعود على بقرة وحشية ، أضلت ولدها أو حُبست خيفة من
صائد ، فهي حذرة في خوف ، تحال كلا طريقها ، من خلفها وأمامها ثغرة له يسلك منها إليها .
وخلفها وأمامها رفع على البذل من كلا ؛ لأن كلا الفرجين هما خلفها وأمامها ، والتقدير : وخلفها
وأمامها تحسب أنه يلي المخافة ، وجائز رفعه بتقدير : هو خلفها وأمامها .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (كل) ٤/٣١٦٩ ، بتصرف .

(٣) المنصف ١٠٧/٢ ، مختصراً .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/٦٤ ، بنحوه .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ . قال أبو إسحاق : فيه سبع لغات؛ الكسر بغير تنوين وبتنوين ، والضم بغير تنوين وتنوين ، وكذلك الفتح بهما^(١) ، فأما الكسر فلا لتقاء الساكنين ، و(أف) غير متمكن^(٢) بمنزلة الأصوات ، فإذا لم يُنَوَّن فهو مَعْرِفَةٌ ، وإذا نُونَ فهو نكرة بمنزلة غاقٍ وغاقٍ^(٣) في الصوت ، والفتح لا لتقاء الساكنين أيضاً ، والفتح مع التضعيف حَسَنٌ ؛ لَخَفَةِ الْفَتْحَةِ وَثَقُلِ التَّضْعِيفِ وَالضَّمُّ ؛ لِأَن قَبْلَهُ مَضْمُومًا - حَسَنٌ^(٤) أيضاً - والتنوين فيه على جهة النكرة^(٥) .

واللغة الشائعة (أُفٍّ) بالياء ، قال الأخفش : كأنه أضاف هذا القول إلى نفسه^(٦) ؛ فقال : قَوْلِي هَذَا .

وزاد ابن الأنباري لغات ثلاثاً ، فقال : و(إف لك) بكسر الألف وفتح الفاء ، و(أُفَّة لك) بضم الألف وإدخال الهاء ، و(أُف لك) بضم الألف^(٧) وتسكين الفاء ، وأنشد لحسان :

فَأُفًّا لِلْحَيَانِ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ عَلَى ذِكْرِهِمْ فِي الذِّكْرِ كُلِّ عَفَاءٍ^(٨)

(١) ذكر الواحدي عن الرَّجَّاجِ أن في (أف) سبع لغات ، ولم يورد إلا ستة ، مع أن الرَّجَّاجِ ذكر اللغة السابعة ، فقال : وفيها لغة أخرى سابعة لا يجوز أن يقرأ بها ، وهي (أُفٍّ) بالياء . معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٢٤ ، لكن الواحدي أشار إلى هذه اللغة بعد ذكر كلام الرَّجَّاجِ بقوله : واللغة الشائعة (أُفٍّ) بالياء .

(٢) أي غير منصرف . انظر : المعجم المفصل في النحو العربي ٩٤٦ .

(٣) غاق : حكاية صوت الغراب ، فإن نكرته نَوْنَتُهُ ، ويقال : سمعت غاقٍ غاقٍ وغاقٍ غاقٍ ، ثم سمي الغراب غاقاً ، فيقال : سمعت صوت الغاق . اللسان (غوق) ٦ / ٣٣١٧ .

(٤) في (أ) و(د) : (ما حسن) بزيادة ما .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٣٤ ، بنصه تقريباً .

(٦) معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦١٠ ، بنصه .

(٧) ما بين التنصيص من (ش) و(ع) .

(٨) ديوانه ٢٥٩ ، وروايته :

فَأُفًّا لِلْحَيَانِ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ فذَكَرُهُمْ فِي الذِّكْرِ شُرْ ثَنَاءٍ
وورد في الزاهر ١ / ١٨١ ، وصدره :

فَأُفًّا لِلْحَيَانِ عَلَى كُلِّ آلَةٍ

وأنشد لأبي حية :

حَيَاءٌ وَبُقْيَا أَنْ تَشِيعَ نَمِيمَةٌ بِنَا وَبِكُمْ أَفٌّ لِأَهْلِ النَّمَائِمِ^(١)
ثم ذكر وجه كل لغة ، فقال : من قال : (أُفُّ) جعله بمنزلة قولهم : مُدَّ يدك ،
ومن قال : (أُفٌّ) جعله بمنزلة مُدٍّ ، ومن قال : (أُفٌّ) جعله بمنزلة مُدٍّ ، وأنشد^(٢) :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرَّ فَإِنَّمَا يُرَجِّى الْفَتَى كَيْمَا يَضُرَّ وَيَنْفَعَا^(٣)
قال : كذا رواه يونس بضم الراء^(٤) ، وأنشد :

قَالَ أَبُو لَيْلَى لِحَبْلِي مُدَّةً
حَتَّى إِذَا مَدَدْتُهُ فَشُدَّةً
إِنَّ أَبَا لَيْلَى نَسِيجٌ وَحْدِهِ^(٥)

ومن قال : (أُفًّا) ، نصبه على مذهب الدعاء ، كما يقال : ويلًا له ، ومن قال :
(أُفٌّ لَكَ) رفعه باللام ، كما قال الله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين : ١] ، ومن
قال [(أُفٌّ) خفضه على التشبيه بالأصوات كما يقال : صَبِهَ وَمَهْ]^(٦) ومن قال : (أُفَّةً

- (١) شعر أبي حَيَّة النُّمَيْرِي ٨٧ ، وورد في الكامل ١٠٠ / ١ ، والزاهر ١٨١ / ١ .
- (٢) اختلف في نسبة البيت ، فنسب إلى النابغة الجعدي ، وهو في شعر النابغة الجعدي ٢٤٦ ، ونسب إلى قيس بن الخطيم ، وهو في ديوانه ١٧٠ ، ونسب في شواهد المغني ٥٠٧ / ١ إلى النابغة الذبياني - وليس في ديوانه - أو النابغة الجعدي ، ونسب في الخزانة ٤٩٩ / ٨ إليهما وإلى قيس بن الخطيم ، ورجح البغدادى الأخير ، وكذلك نُسب في الصناعتين ٣١٥ ، وإعجاز القرآن للباقلائي ٨٣ إلى قيس بن الخطيم .
- (٣) وورد بلا نسبة في الزاهر ١٨١ / ١ ، والبغداديات ٢٩١ ، ٣٥٢ ، والجنى الداني ٢٦٢ ، ومغني اللبيب ٢٤١ .
- (٤) أي في كلمة : فَضُرَّ ، ووردت بالفتح ، وكذلك وردت يُضُرُّ وينفَعُ بالرفع . انظر : المصادر السابقة .
- (٥) ورد في الزاهر ١٨٢ / ١ .
- (٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

لك) نصبه أيضاً على مذهب الدعاء ، ومن قال (أُفِّيْ لكَ) إضافة إلى نفسه ، ومن قال : (أُفْ لَكَ) شَبَّهه بالأدوات ، نحو : (مَنْ) و(كَمْ) و(بَل) و(هَل) (١).

وقال الفرَّاء : العرب تقول : جَعَلَ فلان يَتَأَفَّف من ريح وجدها ، معناه : يقول : أُفُّ أُفُّ (٢) .

وقال الأصمعي : الأُفُّ : وسخ الأذن ، والتُّفُّ : وسخ الأظفار ، يقال ذلك عند استقذار الشيء ، ثم كثر حتى استعملوه عند كل ما يتأذون به .

وقال غيره : أُف معناه : قَلَّة ، وتُف إِتِّباع ، مأخوذ من الأفف ، وهو الشيء القليل (٣) .

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي : الأُفُّ : الضجر .

وقال القتيبي في قوله : ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ﴾ ؛ [أي لا تستثقل شيئاً من أمرهما ، قال : والناس يقولون لما يكرهون ويستثقلون : أُف] (٤) له .

وأصل هذا نَفْخَكَ للشيء يَسْقُط عليك من تراب أو رماد ، وللمكان تريد إمطة أذى عنه ، فقل لكل مُسْتَثْقَل (٥) .

(١) الزاهر ١ / ١٨١ ، ١٨٢ وهو نقل طويل من قوله : وزاد ابن الأنباري . . . نقله بنصه تقريباً .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢ / ١٢١ ، بنصه .

(٣) ورد في الزاهر ١ / ١٨٠ بتصرف ، وتهذيب اللغة (أف) ١ / ١٧٢ ، بنصه .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٥) تأويل مشكل القرآن ١٤٧ ، بتصرف يسير .

وقال الزَّجَّاج : معنى (أُفُّ) التَّنُّن ، ومعنى الآية : ولا تَقُلْ لهما ما فيه أدنى تَبَرُّمٍ إذا كَبُرَا وَأَسَنَّا؛ أُفُّ ، بل تَوَلَّ خدمتهما^(١) ، هذا قول أهل اللغة في معنى هذه الكلمة ووجوهها^(٢) .

قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد بالأُفُّ الرديء من الكلام؛ أن يقول لهما : أَمَا تَكُما الله ، أَرَا حَنِي الله مِنْكُما^(٣) ، فهذا الرديء من الكلام ، كقول إبراهيم لقومه : ﴿ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦٧] .

وروى ليث عن مجاهد : لا تتقدراهما كما كنت تحراً وتبول فلا يتقدرا نك^(٤) .

وروى أبو يحيى عنه قال : إذا وجدت منها رائحة تؤذيك فلا تقل لهما : (أُفُّ)^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْهَرُهُمَا ﴾ ، يقال : نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره^(٦) ، قال عطاء عن ابن عباس : يريد الجواب والغلظة^(٧) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٤ ، بنحوه ، وورد في تهذيب اللغة ١/ ١٧٢ ، وظاهر أنه نقله من التهذيب لا المعاني .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (أُفُّ) ١/ ١٧٢ ، بنصه تقريباً ، من قوله : وقال الأصمعي .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٨٨ ، بنصه ، انظر : تنوير المقباس ٢٩٨ ، مختصراً ، وورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ١/ ٢١٤ أ ، مختصراً .

(٤) ورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٤٠ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٧ أ ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٦ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٨٩ .

(٥) انظر : تفسير ابن عطية ٩/ ٥٦ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٨٩ ، بنصه ، والقرطبي ١٠/ ٢٤٢ ، وأبي حيان ٦/ ٢٧ .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (نهر) ٤/ ٣٦٧٤ بنصه ، وانظر : المحيط في اللغة (نهر) ٣/ ٤٧٦ ، ومجمل اللغة ٢/ ٨٤٥ ، واللسان ٨/ ٤٥٥٧ .

(٧) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٨٩ بنصه ، انظر : تنوير المقباس ٢٩٨ ، بنحوه .

وقال أبو إسحاق : لا يكلمهما ضَجْرًا صائِحًا في أَوْجُهِهٖمَا^(١) .

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ . قال ابن عباس : يريد لينا لطيفاً^(٢) .

وقال ابن جريج : أحسن ما تجد من القول^(٣) .

وقال عمر رضي الله عنه : أي لا تمتنع من شيء يريدانه^(٤) .

وقال عطاء : لا تُسَمِّهٖمَا ولا تُكَنَّهٖمَا ، وقل لهما : يا أبتاه ويا أماه^(٥) .

وقال أبو الهذاج التَّجِيبِي^(٦) : سألت سعيد بن المسيب ، فقلت : أصلحك الله ، كل ما ذكر الله في القرآن من برِّ الوالدين قد عرفته إلَّا قوله : ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ فما هو؟ قال^(٧) : قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ^(٨) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٤ ، بنصه .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢٩٨ .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٥ ، بنصه .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٥ ، بنصه .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٠٧ ، بنصه ، انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٢٤٣ .

(٦) في النسخ جميعها : (الهداد) ، والصحيح كما في تفسير الطبري ، والدر المنثور ، والجرح والتعديل : أبو الهذاج التجيبي ، سمع سعيد بن المسيب قوله ، روى عنه حرملة بن عمران . الجرح والتعديل ٩/ ٤٥٥ .

(٧) ساقط من (أ) و(د) .

(٨) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٥ ، بنصه تقريباً ، وورد في تفسير الجصاص ٣/ ١٩٧ ، بنصه ، والثعلبي ٧/ ١١٠٧ ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٨٦ ، وابن عطية ٤/ ٣١٠ ، وابن الجوزي ٥/ ٢٥ ، والقرطبي ١٠/ ٢٤٣ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣١٠ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

٢٤. قوله تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾. قال عروة بن الزبير في هذه الآية: يكون لهما ذلولاً، لا يمتنع من شيء أحبَّاه^(١).

وقال عطاء عن ابن عباس: لا يريدان منك أمراً إلا أجبتهما إليه.

وقال مقاتل: ألنَّ لهما جانبك واخضع لهما، ولا تستصعب عليهما^(٢)، هذا قول المفسرين.

والخفض في اللغة ضد الرفع، والجناح هاهنا استعارة، وخفض الجناح: عبارة عن السكون، ويريد هاهنا تَزَكَّ التعصب والإباء عليهم، والانقياد لهما، وأضاف الجناح إلى الذل؛ لأنه أراد تذلل لهما، كما قال أبو إسحاق: ألنَّ لهما جانبك مُتَذَلِّلاً لهما^(٣).

وقال عطاء بن أبي رباح في هذه الآية: لا ترفع يدك عليهما^(٤)، وهذا ظاهر؛ لأن الجناح يُستعار كثيراً في اليد، كقوله تعالى: ﴿وَأَضْمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قال الزَّجَّاج أي من مبالغتك في الرحمة لهما^(٥).

(١) أخرجه البخاري (٨)، الأدب المفرد: باب: لين الكلام لوالديه، بنحوه، وابن أبي شيبه ٢٢٠/٥، بنحوه، والطبري ٦٦/١٥، بنحوه من طرق عدة، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٤١/٤، بنحوه، وتفسير السمرقندي ٢/٢٦٥، بنصه، والثعلبي ١٠٧/٧، بنحوه، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣١٠/٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، وذكره الألباني في صحيح الأدب المفرد: رقم (٨)، الصفحة ١٥.

(٢) تفسير مقاتل ١/٢١٤، بمعناه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٣٥، بنصه.

(٤) ورد في معاني القرآن للنحاس ١٤١/٤ بنصه، وتفسير السمرقندي ٢/٢٦٥، بنحوه، والدر المنثور

٣١٠/٤، ونسبته إلى ابن جرير - لم أجده - وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٣٥، بنصه.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ الآية . قال قتادة : هكذا علمتم وبهذا أمرتم فخذوا بتعليم الله وأدبه^(١) ، والمعنى : ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ مثل تربيتهما إياي صغيراً؛ أي مثل رحمتها [إياي في صغري حتى ربياني ، ولكن ذكرت التربية لأنها^(٢) تدل على رحمتها]^(٣) ، وتذكر الولد شفقة الأبوين وما أصابها من النصب في تربيتها ، فكأنه قيل : ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ لرحمتها^(٤) إياي في صغري ، والكاف في موضع نصب؛ لأنه نعت مصدر محذوف^(٥) .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ثم أنزل الله بعد هذا قوله : ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾^(٦) الآية [التوبة: ١١٣] ، وقال قتادة : قوله : ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ [منسوخ؛ لا ينبغي للمسلم أن يستغفر لوالديه إذا كانا مشركين^(٧) ، ولا يقول : رب ارحمهما]^(٨) .

(١) أخرجه الطبري ٦٧/١٥ ، بنصه .

(٢) في (أ) و(د) : (أنها) ، والصحيح المثبت؛ لأنها تعليل .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من : (ش) و(ع) .

(٤) في (ش) : (كرحمتها) ، ومطموسة في (ع) .

(٥) أي الكاف في قوله : ﴿كَأَرْبَابِي﴾ ، وقد قدر المحذوف الحوفي بقوله : ارحمها رحمةً مثل تربيتها لي ، ووردت أقوال أخرى في الكاف وفي تقدير المحذوف . انظر : الفريد في إعراب القرآن ٣/٢٦٩ ، والدر المصون ٧/٣٤٤ .

(٦) أخرجه الطبري ٦٧/١٥ بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣١١ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٧) ورد في الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/٤٩٠ ، بنحوه ، انظر : غرائب التفسير ١/٦٢٥ ذكره واستغربه ورده ورجح عدم النسخ ، وتفسير القرطبي ١٠/٢٤٤ ، وتفسير أبي حيان ٦/٢٨ ، والدر المنثور ٤/٣١١ وعزاه إلى ابن المنذر والنحاس وابن الأنباري في المصاحف ، وروي النسخ عن ابن عباس كذلك ، انظر : الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٣٣٧ ، وتفسير البغوي ٥/٨٦ ، وابن عطية ٩/٥٨ ، وابن الجوزي ٥/٢٦ ، والقرطبي ١٠/٢٤٤ .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

وذهب قوم إلى تخصيص قوله : ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا﴾ ؛ يعنون أن هذا في الوالدين المسلمين^(١) ، فالآية عامة ، ومعناها خاص في المسلمين ، ونحو هذا روى عطاء الخرساني عن ابن عباس في قوله : ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ . قال : ثم استثنى ، فقال : ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ . فجعل النهي عن استغفار المشركين - وإن كانوا أقارب - استثناءً عن قوله : ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا﴾ في المعنى^(٢) ، وهذا أحسن من أن يحكم بالنسخ على الدعاء للوالدين بالرحمة^(٣) .

وقال سفيان ، وسئل كم يدعو لوالديه : في اليوم مرة أو في الشهر أو في السنة؟ قال : نرجو أن يجزيه إذا دعا لهما في دبر الصلوات ، كما أن الله تعالى قال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ الآية [الأحزاب : ٥٦] ، كانوا يرون أن التشهد يجزي من الصلاة على النبي ﷺ ، وكما أن الله قال : ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ، فهم يكبرون في دبر الصلوات^(٤) .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ الأعم من قولك : فلان أعلم ، له معنيان ؛ أحدهما : أكثر معلوماً ، والثاني : أثبت علماً ، وهذان يجوز في صفة الله تعالى ؛ فإنه أكثر معلوماً وأثبت علماً .

(١) ورد بنحوه في تفسير الطبري ٦٨ / ١٥ ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٩٠ / ٢ ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٣٣٧ .

(٢) ورد في الناسخ والمنسوخ للهروي ٢٨٣ ، بنحوه .

(٣) وهذا القول هو الراجح ، وأولى من دعوى النسخ ؛ لإمكان الجمع بين الدليلين ، ومتى أمكن الجمع فهو أولى من القول بالنسخ ؛ لأن في النسخ إبطال أحد الدليلين ، وفي القول بالتخصيص جمع بينهما ، وعليه فالآية محكمة غير منسوخة . انظر : الإيضاح لمكي ٣٣٨ .

(٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩٢ / ٢٠ ، بنصه .

قال سعيد بن جبير في قوله : ﴿يَمَّا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ هو البادرة تكون من الرجل إلى أبويه ، لا يريد بذلك بأساً^(١) ، فقال الله تعالى : ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ ؛ أي النية صادقة ببرّه ، ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ : البادرة التي بدرت منه .

والمعنى : ربكم أعلم بما تضمرون من البرِّ والعقوق؛ فمن بدرت منه بادرة وهو لا يضمّر عقوقاً فأغفر له ذلك ، وهو معنى قوله : ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد طائعين لله ، ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ قال : يريد الراجعين عن معاصي الله عز وجل ، التاركين لسخط الله ، النادمين على الزلات^(٢) .

وقال سعيد بن المسيب : هو الذي يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب^(٣) .

وقال الحسن : هو الذي يريد الله بقلبه وعمله^(٤) .

وقال سعيد بن جبير : يعني الراجعين إلى الخير^(٥) .

(١) أخرجه الطبري ٦٨/١٥ ، بنصه تقريباً من طريقين ، وورد في تفسير الثعلبي ١٠٧/٧ ، بنصه تقريباً ، انظر : تفسير البغوي ٨٨/٥ ، والزنجشري ٣٥٨/٢ ، والدر المنثور ٣١١/٤ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٤٩٠/٢ ، بلا نسبة .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٣٧٦/٢ ، بنصه ، والطبري ٦٩/١٥ - ٧٠ ، بنصه من طرق عدة ، وورد في تفسير الجصاص ١٩٧/٣ ، بنحوه ، والثعلبي ١٠٧/٧ ، بنصه ، والماوردي ٢٣٩/٣ ، بنحوه ، والطوسي ٤٦٨/٦ ، بنحوه .

(٤) ورد في تفسير السمرقندي ٢٦٥/٢ ، بنحوه .

(٥) أخرجه الطبري ٧٠/١٥ بنصه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٤٢/٤ ، بنصه ، وتفسير الجصاص ١٩٧/٣ ، بمعناه ، والثعلبي ١٠٧/٧ ، بنصه ، والماوردي ٢٣٩/٣ ، بنحوه ، وأخرجه البيهقي في الشعب ٤٣٨/٥ بنصه ، وورد في تفسير الطوسي ٤٦٨/٦ ، بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣١٠/٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا .

وقال عبيد بن عمير : الذين يذكرون لأبويهم ويستغفرون^(١) .

ورُوي أنه قال : الأَوَّابُ : هو الذي يقول : اللهم اغفر لي [ما]^(٢) أصبت في مجلسي هذا^(٣) .

وقال أبو إسحاق : الأَوَّاب : هو الراجع إلى الله سبحانه في كل ما أمر به ، المقلع عن جميع ما نهى عنه ، يقال : آب يؤوب أوباً : إذا رجع^(٤) .

٢٦ . قوله تعالى : ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْنَيْنَ حَقَّهُ﴾ . قال ابن زيد : بدأ الله تعالى بالوالدين ، فلما فرغ من الوالدين وحقهما ذكر هؤلاء^(٥) .

وقال ابن عباس : هذه الآية حُضُّ على صلة القرابة ، بدأ بحق القرابة لما جعل في الأرحام من الصلة^(٦) ، ونحو هذا قال الحسن : إن هذه الآية في بر الأقارب وصلة رحمهم بالإحسان إليهم^(٧) .

وقد فسّر النبي ﷺ هذه الآية في ما روى عنه أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله : إني ذو مال كثير ، وذو أهل وولد ، فكيف تحب لي أن أصنع أو أنفق؟ قال : «أدّ

(١) لم أقف على هذا القول ، والذي ورد عنه في المصادر ، أنه قال : الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء فيستغفرون الله . انظر : تفسير الطبري ٧٠ / ١٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ١٤٣ / ٤ ، وتفسير الثعلبي ١١٠٧ / ٧ ، وابن الجوزي ٢٦ / ٥ ، والقرطبي ٢٤٧ / ١٠ ، والدر المنثور ٣١٨ / ٤ وعزاه إلى هناد .

(٢) زيادة يقتضها السياق ، كما في المصادر جميعها ، وفي النسخ جميعها : أصبت من دون (ما) .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٣٧٧ / ٢ ، بنصه ، والطبري ٧١ / ١٥ ، بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ١١٠٧ / ٧ ، بنصه ، انظر : تفسير ابن كثير ٤١ / ٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٥ / ٣ ، بنصه ، وهذا القول — وهو قول ابن عباس وابن المسيب — هو الذي رجحه الطبري ، قال : لأن الأواب إنما هو فعّال ، من قول القائل : آب فلان من كذا؛ إما من سفره إلى منزله ، أو من حال إلى حال .

(٥) أخرجه الطبري ٧٤ / ١٥ ، بنصه .

(٦) انظر : تفسير ابن عطية ٦٠ / ٩ ، بنحوه .

(٧) انظر : تفسير ابن عطية ٦٠ / ٩ ، بنحوه .

الزكاة طُهْرَةً يطهرُك ، وآت صلة الرحم ، واعرف حق السائل والجار والمساكين وابن السبيل ، ولا تبذر تبذيراً^(١) .

ومعنى التبذير في اللغة : إفساد المال وإنفاقه في السرف^(٢) .

وقال ابن مسعود : التبذير : النفقة في غير حق^(٣) .

قال عثمان بن الأسود^(٤) : كنت أطوف مع مجاهد حول الكعبة ، فرفع رأسه إلى أبي قُبَيْس^(٥) فقال : لو أن رجلاً أنفق مثل هذا في طاعة الله لم يكن من المسرفين^(٦) .

(١) أخرجه الحاكم ٣٦٠ / ٢ ، بنحوه عن أنس ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي ، وأورده ابن كثير في تفسيره ٤٢ / ٣ ، بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٢٠ / ٤ ، بنحوه وزاد نسبته إلى أحمد ، ولم أجده ، وأورده في الكنز ٢٩٤ / ٦ ، بنحوه وعزاه إلى البيهقي ، ولم أجده .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (بذر) ٢٩٧ / ١ ، والمحيط في اللغة ٧٤ / ١٠ ، واللسان ٢٣٧ / ١ .

(٣) أخرجه الطبري ٧٣ / ١٥ ، بنصه من طرق عدة ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٤٤ / ٤ ، بنحوه ، وتفسير الجصاص ١٩٨ / ٣ ، بنصه ، والثعلبي ١٠٧ / ٧ ب ، بنصه ، والطوسي ٤٦٩ / ٦ ، بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٢٠ / ٤ .

(٤) عثمان بن موسى بن باذان المكسي ، مولى بني جُمَح ، ثقة ثبت ، روى عن مجاهد وعطاء ، وروى عنه الثوري وابن المبارك ، مات سنة ١٥٠ هـ .

انظر : الجرح والتعديل ١٤٤ / ٦ ، والكاشف ٥ / ٢ ، (٣٦٨٠) ، وتقريب التهذيب ٣٨٢ ، (٤٤٥١) .

(٥) بالتصغير ، هو الجبل المشرف على الصفا ، قال الأزرقى : وسمي أبا قبيس ؛ لأن أول من بنى فيه رجل يقال له : أبو قبيس ، هذا هو المشهور ، وقيل غير ذلك ، وهو أحد الأخشين ، وكان يسمى في الجاهلية (الأمين) ، ويقال : إنما سمي الأمين ؛ لأن الحجر الأسود كان فيه مستودعاً عام الطوفان .

انظر : أخبار مكة للأزرقي ٢٦٦ / ٢ ، ومعجم البلدان ٨٠ / ١ .

(٦) ورد في تفسير الطبري ٧٤ / ١٥ بمعناه ، والسمرقندي ٢٦٦ / ٢ ، بنحوه ، انظر : تفسير الفخر الرازي

٢٧. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا﴾؛ أي المنفقين في غير طاعة الله ، قاله ابن عباس^(١) ، ﴿كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ قال : يريد أولياءهم ، قال أبو إسحاق : أي يفعلون ما يُسَوِّل لهم الشيطان^(٢) .

وقال أهل المعاني : مؤاخاة الشيطان : موافقته في ما دعا إليه ، وكل من أجاب الشيطان إلى ما سَوَّل له ، فهو من إخوان الشياطين؛ [لأنه يتبع أثره ويمجري على سنته^(٣) .

وقيل : معنى إخوان الشياطين^(٤) : الذين يُقَرَّنون به في النار^(٥) .

ثم ذم الشيطان بقوله : ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾؛ ليرتدع المؤمن عن اتباعه في ما يدعو إليه ، وفيه أيضاً إشارة إلى ذم المبذر؛ حيث أخبر أنه أخو الشيطان ، ثم ذم الشيطان؛ فإنه كفور لربه ، فهو يتضمن أن المنفق في السرف كفور لربه في ما أنعم عليه .

قال ابن عباس في قوله : ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ يريد جاحداً لأنعمه .

(١) أخرجه الطبري ١٥/٧٣-٧٤ ، بنصه من طريق العوفي [ضعيفة] ، ومن طريق عكرمة [جيدة] ، وورد في تفسير الجصاص ٣/١٩٨ ، بنصه ، انظر : تفسير أبي حيان ٦/٣٠ .

(٢) معاني القرآن وإعراجه ٣/٢٣٥ ، بنصه .

(٣) ورد بنحوه في تفسير الجصاص ٣/١٩٨ ، والطوسي ٦/٤٦٩ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٥) ورد بنصه في تفسير الجصاص ٣/١٩٨ ، والطوسي ٦/٤٦٩ .

٢٨. قوله تعالى : ﴿وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾ . قال [ابن]^(١) زيد : أي عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم^(٢) ، ونحو هذا قال الزَّجَّاج ، فقال : هذه الهاء والميم ترجعان على القُربى والمساكين وابن السبيل^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿أَبْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ . قال الحسن وعكرمة : انتظار رزق من الله يأتيك^(٤) .

قال الزَّجَّاج : وهو نصب ؛ لأنه مفعول له ، المعنى : وإن أعرضت عنهم لابتغاء رحمة من ربك^(٥) ، لا يحتمل أن يكون سبباً لإعراضه على ظاهر اللفظ إلا أن يُرَدَّ إلى معناه الباطن ، ومعناه الباطن أن يكون قوله : ﴿أَبْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ ، قد أومئ به إلى الإضاقة والإعسار ؛ لأن معناه : رجاء صنيع الله وكفايته ، وفيه إشارة إلى الإضاقة ، فيكون المعنى أن تُعرض عن السائل إضاقة وإعساراً .

وذكر الكلبي وغيره : «أن النبي ﷺ كان إذا سأل فقراء أصحابه فلا يجد ما يعطيهم ، أعرض عنهم حياءً منهم ويسكت ، فعلمه الله كيف يصنع ، فقال : ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾»^(٦) .

وقال الزَّجَّاج : يُروى أن النبي ﷺ كان إذا سُئِلَ وليس عنده ما يعطي أمسك انتظار الرزق يأتي من الله ؛ كأنه يكره الرَّد ، فلما نزلت هذه الآية : كان إذا سُئِلَ

(١) التصويب من الطبري ، وفي النسخ جميعها : (زيد) .

(٢) أخرجه الطبري ٧٥ / ١٥ ، بنصه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٥ / ٣ ، بنصه .

(٤) أخرجه الطبري ٧٠ / ٨ ، بنصه عن عكرمة .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٥ / ٣ ، بنصه .

(٦) وورد بنحوه في تفسير مقاتل ١ / ٢١٤ أ .

ولم يكن عنده ما يعطي قال : «يرزقنا الله وإياكم من فضله»^{(١)(٢)} ، فذلك قوله : ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ ، قال ابن زيد : قولاً جميلاً؛ رزقك الله وبارك الله فيك^(٣) .

وقال الكلبي : عَدَمٌ حَسَنَةٌ^(٤) ، وهو قول الفرّاء ومجاهد^(٥) .

وأما الميسور فقال الكسائي : يَسَرْتُ أَيْسَرُ لَهُ الْقَوْلُ ؛ أَي لَيْسَتْهُ^(٦) .

وقال أبو الدُّقَيْش^(٧) : يَسَرَ فُلَانٌ فَرَسَهُ فَهُوَ مَيْسُورٌ ؛ مَصْنُوعٌ سَمِينٌ^(٨) ، فالقول الميسور : هو القول المصنوع اللين السهل .

٢٩ . قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الآية . روى المنهال بن عمرو قال : بعثت امرأة إلى رسول الله ﷺ ابنها فقالت : قل له : اكسني ثوباً ، فقال رسول الله ﷺ «ما عندي شيء» ، قالت : فارجع إليه ، وقل له : اكسني قميصك ، قال : فأتاه فقال : إنها تقول : اكسني قميصك ، قال : فنزع قميصه فأعطاه إياه ، فنزلت هذه الآية^(٩) .

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ، مجمع البحرين ٦/ ١٩٧ ، بنحوه عن علي ، وورد في تفسير الثعلبي ١٠٧/ ٧ بـ بنصه ، والقرطبي ١٠/ ٢٤٩ ، وابن عطية ٩/ ٦٢ ، وأورده الهيثمي في المجمع ٩/ ١٣ ، وقال : وفيه محمد بن كثير الكوفي ، وهو ضعيف . فالحديث ضعيف .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٥ ، بنصه .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ٧٥-٧٦ ، بنصه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٢٩ ، والدر المنثور ٤/ ٣٢١ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٤) ورد عن ابن عباس والحسن ، كما في تفسير ابن الجوزي ٥/ ٢٩ ، وتنوير المقياس ٢٩٩ ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٦ بنصه ، والطوسي ٦/ ٤٧٠ ، بنحوه .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٢٢ ، بنصه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٢٩ ، عن مجاهد .

(٦) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٩٤ .

(٧) أبو الدُّقَيْش القناني الغنوي ، لم أجد له ترجمة ، وذكره القفطي في إنباه الرواة ٤/ ١٢١ ، ولم يترجم له .

(٨) ورد في تهذيب اللغة (يسر) ٤/ ٣٩٨٠ بنصه ، ويعني بالصناعة هنا الاجتهاد في تغذيته وتربيته ، وفي المحيط في اللغة (صنع) ١/ ٣٣٧ : يقال : صنعت الفرس : أحسنت القيام عليه .

(٩) ورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٦٦ ، والثعلبي ٧/ ١٠٧ ، وأورده المؤلف في أسباب النزول ٢٨٧ ، =

قال أهل اللغة : معنى الغل : الإدخال^(١) ، قال امرؤ القيس :

لَهَا مُقْلَةً حَذْرَةٌ بِدْرَةٌ إِلَى حَاجِبٍ غُلٍّ فِيهِ الشُّفْرُ^(٢)

أي عورٌ وأدخل فيه الشُّفْرُ^(٣) ، ومنه قولهم : غُلٌّ فِي الْغَنِيْمَةِ إِذَا خَانَ ؛ لِأَنَّ مَا خَانَ شَيْئًا أَوْ سَرَقَهُ أَدْخَلَهُ فِي كَمِّهِ ، وَمَعْنَى غُلَّتْ يَدُ فُلَانٍ ؛ أَيِ أَدْخَلَتْ فِي الْحَدِيدِ ، وَلَعَلَّ هَذَا مِمَّا سَبَقَ ذَكَرَهُ^(٤) .

قال ابن عباس والمفسرون في قوله : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ يريد البخل ومنع حق الله في الزكاة والصلة^(٥) .

بنحوه من طريق ابن مسعود ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٢٢ / ٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وأورده بنحوه كذلك ، وعزاه إلى ابن جرير من طريق ابن مسعود ، ولم أجده ، وأورده في لباب النقول ١٣٦ ، بنحوه من طريق ابن مسعود وعزاه إلى ابن مردويه . وهذه الرواية مقطوعة ؛ لِأَنَّ الْمَنْهَالَ لَمْ يَحْفَظْ لَهُ سَمَاعٌ عَنِ الصَّحَابَةِ ، إِنَّمَا رَوَيْتَهُ عَنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ ، كَمَا فِي الْمِيزَانِ ، كَمَا أَنَّ إِسْنَادَ هَذَا الْحَدِيثِ - مِنْ طَرِيقِ ابْنِ مَسْعُودٍ - ضَعِيفٌ ، بِسَبَبِ ضَعْفِ سَلِيمَانَ بْنِ سَفْيَانَ الْجُهَنِيِّ ، وَقَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَسَدِيِّ . انظر : الضعفاء للبخاري ، رقم (٣٠١) ، وللنسائي رقم (٢٤٦) ، (٤٩٩) ، والضعفاء والمتروكين للدارقطني ، رقم ٢٥٤ ، وميزان الاعتدال ٢ / ٢٠٩ ، ٣ / ٣٩٣ .

(١) انظر : تهذيب اللغة (غلل) ٣ / ٢٦٩٠ ، ومقاييس اللغة ٤ / ٣٧٦ ، والصحاح ٥ / ١٧٨٤ ، واللسان ٣٢٨٨ / ٦ .

(٢) ورد في الديوان ٧٢ برواية أخرى ليس فيها الشاهد ، وهي :

وَعَيْنٌ لَهَا حَذْرَةٌ بِدْرَةٌ شُقَّتْ مَاقِيهَا مِنْ أُخْرٍ

وورد - بلا نسبة - في مقاييس اللغة ٤ / ٣٧٦ ، برواية :

وَعَيْنٌ لَهَا حَذْرَةٌ بِدْرَةٌ إِلَى حَاجِبٍ غُلٍّ فِيهِ الشُّفْرُ

وورد عجزه - بلا نسبة - في مجمل اللغة ٢ / ٦٧٩ ، (حذرة) : واسعة ، (بدرة) : تامة ، ومنه قيل : ليلة البدر لتام قمرها ، المأني : مؤخر العينين ، (أخر) : آخرهما ، (الشُّفْر) بالضم : شُفْرُ الْعَيْنِ ، وَهُوَ مَا نَبَتْ عَلَيْهِ الشَّعْرُ .

(٣) في النسخ جميعها : (الشعر) ، والصواب ما أثبتته ، ويبدو أنها تصحفت على النسخ .

(٤) عند قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِإِنِّي أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران : ١٦١] .

(٥) أخرجه الطبري ١٥ / ٧٧ مختصراً ، من طريق ابن أبي طلحة صحيح ، والدر المنثور ٤ / ٣٢٢ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

والمعنى : لا تمسك يدك عن البذل كل الإمساك ، حتى كأنها مقبوضة إلى عنقك بالغل لا تُبَسِّطَ لخير .

قال صاحب النظم : لا تكاد العرب تقول : جعلت يدي مغلوطة ، ولا جعلت رجلي مقيدة ، ولا جعلت رأسي معممًا ، إنما يقولون : غَلَلْتُ يدي ، وَقَيَّدْتُ رجلي ، وَعَمَّمْتُ رأسي ، والعلة في هذا النظم ؛ أن الفعل أقل من النعت ، والنعت ألزم وأكثر من الفعل ، كما قلنا في قوله : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [طه : ١٢١] ؛ لأنه قد كان منه ، ولا يجوز أن يقال : آدم عاص غاوا ؛ لأن هذا نعت لازم ، وكانوا يقولون : يد فلان مغلوطة ؛ أي إن المنع عادة له ، ولا يكادون يقولون : غَلَّتْ يده ؛ لأن هذا فعل غير لازم ، والأول لازم ، وقد يمنع الإنسان في مواضع المنع ولا يُرْجَع عليه بلوم ، فلذلك قال عز وجل : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ ؛ أي لا تكن ممسكاً عن البذل عادة ، ولم يُرَدَّ أَلَّا يمسك عند وقت الإمساك ، يدل على ذلك قوله : ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ ، ومما يشبه هذا النظم ، قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ ﴾ [إبراهيم : ٤٠] وقد مر ، وقوله تعالى : ﴿ إِن قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠] ، وسنذكره في موضعه إن شاء الله ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ . قال ابن عباس : يريد في النفقة والعطية ^(٢) .

(١) قال الواحدي عند تفسير هذه الآية : وذكر صاحب النظم وجهاً آخر من الهجر ، فقال : ويجوز أن يكون المهجور مصدراً ، كالهجر والهجير ، ويكون المعنى : اتخذوا هذا القرآن هُجْرًا ؛ أي إذا سمعوه قالوا فيه الهجير ، وقالوا : إنه هجر ، كما يقال : اتخذنا فلاناً ضحكة أو سُخْرَةً ؛ أي إذا رأيناه ضحكنا منه وسخرنا منه ، وهذا النظم أبلغ من أن لو قيل : هجروا القرآن ، أو هجروا فيه ؛ لأنه يدل على أنهم جعلوا عاداتهم هجر القرآن .

(٢) ورد في تفسير السمرقندي ٢/٢٦٦ ، بمعناه ، وتفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/٤٩٣ ، بنصه ، انظر : تنوير المقياس ٢٩٩ ، بنصه .

وقال مجاهد وقتادة : يعني التبذير والإنفاق في معصية الله تعالى ، وفي ما لا يصلح^(١) ، فحصل في قوله : ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ وجهان من التفسير ؛ أحدهما : أنه نهي عن بذل جميع ما يملك ، حتى لا يبقى له شيء ، وإن كان في طاعة الله ، على ما ذكر من سبب النزول ، وفي معنى قول ابن عباس . والثاني : أنه نهي عن التبذير على قول مجاهد وقتادة .

وقوله تعالى : ﴿فَنَقَعْدُ مَلُومًا﴾ . قال السدي : تلوم نفسك وتلام^(٢) ، ﴿مَحْسُورًا﴾ . قال ابن عباس : ليس عندك شيء^(٣) ، وقال مجاهد : مقطوعاً بك^(٤) .

قال الفرّاء : والعرب تقول للبعير : هو محسور إذا انقطع سَيْرُهُ ، وحسرت الدابة إذا سَيَّرْتَهَا حتى ينقطع سَيْرُهَا^(٥) .

وقال ابن قتبية أي تحسرك العطية وتقطعك ، كما يحسّر السفر البعير ، فيبقى منقطعاً^(٦) ، هذا هو الأصل ، ثم يُقال : حسرت الرجل بالمسألة حسرةً : إذا أفنيت جميع ما عنده ، وحسّر فهو يُحسّر : إذا لم يبق عنده شيء ، من قولهم : حسرت الدابة والعين^(٧) ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك : ٤] .

(١) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٤٩٣ / ٢ ، بنصه عن مجاهد ، انظر : تفسير ابن عطية ٦٤ / ٩ ، عن قتادة .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٤٩٣ / ٢ ، بنصه .

(٣) أخرجه الطبري ٧٧ / ١٥ بمعناه ، من طريق العوفي ضعيفة ، ورد في تفسيره الوسيط ، سيسي ٤٩٣ / ٢ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٢٢ / ٤ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٤) ورد في معاني القرآن للنحاس ١٤٦ / ٤ ، بنحوه .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ١٢٢ / ٢ ، بنصه .

(٦) الغرب لابن قتبية ٢٥٥ / ١ ، بنصه .

(٧) ساقطة من (ع) .

وقال قتادة في قوله : ﴿تَحْسُورًا﴾ ؛ [أي نادماً على ما سلف منك^(١) ، فجعله من الحسرة ، والفاعل من الحسرة يكون حسراً ، وحسراً ، ولا يقال في الفاعل منه : محسوراً^(٢) .

٣٠ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ . قال المفسرون : يوسع على من يشاء ويضيّق على من يشاء^(٣) ، والقَدْرُ في اللغة : التضيق^(٤) ، ومنه قوله : ﴿وَمَن قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق : ٧] ، وقوله : ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلُهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر : ١٦] ؛ أي ضَيّقَ ، فمعنى الآية : أنه يُوسِّعُ في الرزق ويُضَيِّقُ بحسب مصالح العباد ، كما قال : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ [الشورى : ٢٧] ، وهو معنى قوله : ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ، حيث أجرى رزقهم على ما علم فيه صلاحهم .

وقال عطاء عن ابن عباس في هذه الآية : يريد لو أردت أن أبسط^(٥) عليك الرزق وأجعل جبال الدنيا لك ذهباً وفضة لفعلت ، ولم أجعل لك الدنيا لكرامتك علي جعلت لك الآخرة .

٣١ . وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْنَلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ . سبق تفسير هذه الآية في أواخر سورة الأنعام^(٦) .

(١) أخرجه بنحوه عبد الرزاق ٣٧٧/٢ ، والطبري ٧٧/١٥ ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٤٦/٤ مختصراً ، والثعلبي ١٠٨/٧ ، بنحوه ، انظر : تفسير البغوي ٩/٥ ، والقرطبي ٢٥١/١٠ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٣) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ٢١٤/١ ب ، والطبري ٧٨/١٥ ، والسمرقندي ٢٦٧/٢ ، والثعلبي ١٠٨/٧ ، والطوسي ٤٧١/٦ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (قدر) ٢٨٩٧/٣ ، واللسان ٣٥٤٧/٦ ، والتاج ٣٧٣/١٧ .

(٥) في (أ) : (أسبط) .

(٦) آية [١٥١] .

وقوله تعالى: ﴿إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾. قال أبو إسحاق: معناه: إثماً كبيراً^(١)، يقال: خَطِيئٌ يُخْطِئُ خِطْئاً، مثل: أَثِمَ يَأْثُمُ إِثْماً، قال الله تعالى^(٢): ﴿إِنَّا كُنَّا خَطِيئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧]؛ أي آثمين، وقال: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: ٣٧].

وقرأ ابن عامر: (خَطَأً) بالفتح^(٣)، وهو اسم من أخطأ، يقال: أخطأ يُخْطِئُ، إِخْطَاءً وَخِطَاءً، إذا لم يصب عن غير تعمد^(٤)، وقد يكون الخطأ الاسم من هذا لا المصدر، ويكون المعنى على هذه القراءة: إن قتلهم كان على غير الصواب، هذا قول أبي إسحاق في معنى هذه القراءة^(٥).

وقال أبو علي: قد جاء أخطأ بمعنى خَطِيئٍ؛ أي آثم، كما جاء خَطِيئٌ بمعنى أخطأ، إذا لم يصب الصواب؛ فمن الأول قوله: ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] بمعنى خَطِئْنَا؛ لأن المؤاخذه عن المخطئ موضوع، وأنشد^(٦):

عبادُكُمُ يُخْطِئُونَ وَأَنْتَ رَبُّ كَرِيمٍ لَا تَلِيْقُ بِكَ الذَّمُّومُ^(٧)

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٦ بلفظه.

(٢) لعل الأولى أن يقول: قال الله تعالى، عن إخوة يوسف؛ حتى لا يوهم معنى غير مقصود.

(٣) أي بفتح الخاء والطاء وبالهَمْز من غير مدٍّ: (خَطَأً). انظر: السبعة ٣٧٩، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٧٠، وعلل القراءات ١/ ٣٢٠، والحجة للقراء ٥/ ٩٦، والمبسوط في القراءات ٢٢٨.

(٤) يقول ابن دريد: الخطأ مقصور مهموز: يقال: خَطِيئَ الشَّيْءُ يُخْطِئُ خَطَاءً وَخِطَاءً: إذا أَرَادَهُ فَلَمْ يُصِبْهُ، ويكون أيضاً خَطِيئَ الرَّجُلِ، إذا تَعَمَّدَ الْخَطَأَ، وَأَخْطَأَ يُخْطِئُ إِخْطَاءً: إذا لم يتعمد الخطأ فهو مخطئ، والأول خاطئ، ومنه قتل الخطأ؛ لأنه لم يُرْدْ قَتْلُهُ. جمهرة اللغة ٢/ ١٠٥٤، وانظر: معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١١، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٤٧، وتهذيب اللغة (خطئ) ١/ ١٠٦٠، وشرح الهداية ٢/ ٣٨٦، والعباب الزاخر: أ/ ٥٠، واللسان (خطأ) ٢/ ١٢٠٥، وتاج العروس (خطأ) ١٤٥/١.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٦ بتصرف يسير.

(٦) لأمية بن أبي الصلت، جاهلي من أهل الطائف، قدم على النبي ﷺ وسمع منه، ولم يسلم.

(٧) ديوانه ٤٨١، برواية:

ومن الثاني قول امرئ القيس :

يا وَيَحْ هِنْدٍ إِذْ خَطِئْنَ كَاهِلًا^(١)

وإذا كان أخطأ بمعنى خَطِئَ كان خَطَأً بمعنى خَطَأً^(٢) ، فيكون معنى قراءة ابن عامر كمعنى قراءة العامة ، وقرأ ابن كثير : (خِطَاءً) مكسور الخاء ممدوداً^(٣) ، وهو مصدر خاطأ وإن لم يسمع خَاطَأَ ، ولكن قد جاء ما يدل عليه ، وهو ما أنشده أبو عبيدة^(٤) :

تَخَاطَاتِ النَّبْلُ أَحْشَاءَهُ^(٥)

ورود برواية الديوان في تهذيب إصلاح المنطق ٦٣٢ ، والمحتسب ٢ / ٢٠ ، وورد برواية المؤلف بلا نسبة في تهذيب اللغة (خطئ) ١ / ١٠٦٠ ، وعلل القراءات ١ / ٣٢١ ، وتفسير الطوسي ٦ / ٤٧٢ ، وتفسير ابن عطية ٩ / ٦٨ ، واللسان (خطأ) ٢ / ١٢٠٥ . ورواية : «لَا تَمُوتُ» ، بدل «الختوم» في أدب الكاتب ٤٤٤ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ٣٧٠ . وعجزه :

(١)

تَاللهِ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلًا

ديوانه ١٣٦ ، وفيه وفي المصادر جميعها : (لهف) بدل (ويح) ، وورد في : معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦١١ ، وإصلاح المنطق ٢٩٤ ، وتهذيب اللغة (خطئ) ١ / ١٠٦٠ ، وتهذيب إصلاح المنطق ٦٣٢ ، والأساس ١ / ٢٣٨ ، والعباب الزاخر : أ / ٥٠ ، والتاج : (خطأ) ١ / ١٤٥ ، وورد غير منسوب في تفسير الطبري ١٥ / ٧٩ ، والحجة للقراء ٢ / ١١٥ ، ٥ / ٩٨ ، (يالْهَف) : يا حيرة هند ، وهي أخته وقيل : امرأة أبيه ، (خطئ) : أخطأ ولم يصب ، يعني : أن خيله التي أغار بها لم تصب بني كاهل ، وهم حي من بني أسد ، كان في من اشترك في قتل حُجْر والد امرئ القيس ، (شيعه) : أبوه ، (باطل) : هدر .

(٢) الحجة للقراء ٥ / ٩٧ ، بتصرف .

(٣) انظر : السبعة ٣٧٩ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ٣٧٠ ، وعلل القراءات ١ / ٣٢٠ ، والحجة للقراء ٥ / ٩٦ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٨ .

(٤) البيت لأَوْفَى بن مَطَر المازني ، جاهلي .

(٥) وعجزه :

وَأَخْرَ يَوْمِي فَلَمْ يَعْجَلْ

فتخاطأ يدل على خاطأ؛ لأن تفاعل مطاوعُ فاعل ، كما أن تفعل مطاوع فعل ، وهذا وجه بعيد ذكره أبو علي^(١) ، والقراءة هي الأولى .

٣٣. قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ . قال المفسرون^(٢) : حقها الذي تقتل به : كفر بعد إسلام ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بتعمد ، ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾^(٣) ؛ أي بغير أحد هذه الخصال ، ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾ يعني وارثه الذي بينه وبينه قرابة توجب له المطالبة بدمه ، فإن لم يكن له ولي فالسلطان وليه .

وقوله تعالى : ﴿سُلْطَانًا﴾ . قال ابن عباس : يريد حجة^(٤) ، قال مجاهد : سلطانه : حجته التي جعلت له أن يقتل قاتله^(٥) .

=
الديباج لأبي عبيدة ٣٩ ، وورد في ذيل الأمالي للقالبي ٩١ / ٣ ، والعياب الزاخر : أ / ٥١ ، واللسان (خطأ) ١٢٠٥ / ٢ ، وورد غير منسوب في الحجة للقراء ٩٧ / ٥ ، وتفسير الطوسي ٤٧٢ / ٦ ، وابن عطية ٦٩ / ٩ ، والقرطبي ٢٥٣ / ١٠ ، وأبي حيان ٣٢ / ٦ ، والدر المنصور ٣٤٧ / ٧ .
(١) الحجة للقراء ٩٧ / ٥ ، بنصه تقريباً .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٨٠ / ١٥ ، والسمرقندي ٢٦٧ / ٢ ، والثعلبي ١٠٨ / ٧ . وقد أخذوا هذه الخصال الثلاث - الموجبة للقتل - من الحديث الصحيح : «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة» . أخرجه البخاري (٦٤٨٤) ، كتاب : الديات ، باب قوله تعالى : ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ ، ومسلم (١٦٧٦) ، كتاب : القسامة ، باب : ما يباح به دم المسلم ، وأخرجه الطبري ٨٠ / ١٥ من طرق عدة .

(٣) ما بين المعقوفين معظمه مطموس في (ع) .

(٤) أخرجه الطبري ٨١ / ١٥ ، بمعناه من طريق العوفي (ضعيفة) ، ورد في تفسير الجصاص ٢٠٠ / ٣ ، بلفظه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٣٢ / ٥ .

(٥) ورد في معاني القرآن للنحاس ١٤٩ / ٤ ، بنصه ، ورد في تفسير الجصاص ٢٠٠ / ٣ ، بنحوه .

وقال الضحاك في قوله : ﴿سُلْطَنًا﴾ إن شاء قتل ، وإن شاء عفا ، وإن شاء أخذ الدِّية^(١) .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ ، اختلفوا في معنى الإسراف هاهنا ، فقال ابن عباس : هو أن يقتل غير القاتل^(٢) .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير : هو أن يقتل بالواحد الاثنین والثلاثة^(٣) .

قال طلق بن حبيب^(٤) : هو أن يمثل بالقاتل^(٥) .

(١) أخرجه الطبري ٨١ / ١٥ ، بنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٤٩ / ٤ ، بنصه ، وورد بنحوه في تفسير الجصاص ٢٠٠ / ٣ ، والماوردي ٢٤٠ / ٣ ، والطوسي ٤٧٥ / ٦ ، وورد بنصه غير منسوب في تفسير مقاتل ٢١٤ / ١ ب ، والسمرقندي ٢٦٧ / ٢ ، والثعلبي ١٠٨ / ٧ أ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٩١ / ٥ ، وابن الجوزي ٣٣ / ٥ ، والحاظن ١٦٣ / ٣ ، وأبي حيان ٣٣ / ٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٢٧ / ٤ وعزاه إلى ابن المنذر من طريق أبي صالح (ضعيفة) .

(٣) أخرجه عن سعيد عبدالرزاق ٣٧٧ / ٢ ، بمعناه ، وابن أبي شيبه ٤٥٤ / ٥ ، بنحوه ، والطبري ٨٢ / ١٥ ، بنحوه ، والبيهقي في السنن ، كتاب : الجنایات ، باب : إيجاب القصاص على القاتل دون غيره ٢٥ / ٨ ، بنحوه ، وورد بنحوه عن سعيد بن جبیر في معاني القرآن للنحاس ١٥٠ / ٤ ، وتفسير الثعلبي ١٠٨ / ٧ ب ، والماوردي ٢٤١ / ٣ ، والدر المنثور ٣٢٧ / ٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) طلق بن حبيب العنزي ، الزاهد البصري من صلحاء التابعين ، ثقة لكنه كان يرى الإرجاء ، روى عن ابن عباس وجندب بن سفيان ، وروى عنه عمرو بن دينار وسليمان التيمي ، مات بعد التسعين . انظر : الجرح والتعديل ٤ / ٤٩٠ ، وميزان الاعتدال ٣ / ٥٩ ، والكاشف ١ / ٥١٥ ، وتقريب التهذيب ٢٨٣ ، (٣٠٤٠) .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبه ٤٥٤ / ٥ ، بنحوه ، والطبري ٨٢ / ١٥ ، بنحوه من طريقين ، والبيهقي في السنن ، كتاب : الجنایات ، باب : إيجاب القصاص على القاتل دون غيره ٢٥ / ٨ ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ١٥٠ / ٤ ، وتفسير الجصاص ٢٠١ / ٣ ، والثعلبي ١٠٨ / ٧ ب ، انظر : تفسير القرطبي ١٠ / ٢٥٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٢٦-٣٢٨ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

وقال الحسن وابن زيد : هو ألا يرضى بالقاتل إذا كان خسيساً فيعمد إلى أشرف قبيلة القاتل فيقتله ، كفعل أهل الجاهلية^(١) ، وهذا معنى قول ابن عباس : هو أن يقتل غير القاتل ، والمعنى : فلا يسرف الولي في القتل ؛ أي لا يتجاوز ما حُدَّ له .

﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ ؛ أي إن الولي كان منصوراً بقتل قاتل وليه والاقتصاص منه ، وقد حكم الله تعالى بالسلطان والنصرة لولي المقتول ظلماً ، وقد روي عن زَهْدَمَ الْجَرْمِيِّ^(٢) عن ابن عباس : أنه قال : قلت لعلي بن أبي طالب : وأيم الله لَيُظْهَرَنَّ عَلَيْكُمْ ابْنُ أَبِي سَفْيَانَ ؛ لأن الله يقول : ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾^(٣) .

[وقال الحسن : والله ما نُصِرَ معاويةُ على علي إلا بقول الله : ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾] ^(٤) (٥) .

(١) أخرجه الطبري ٨٣/١٥ ، بنحوه عنهما ، والبيهقي في السنن ، كتاب : الجنائيات ، باب : إيجاب القصاص على القاتل دون غيره ٢٥/٨ ، بنحوه عن ابن زيد ، وورد في تفسير الثعلبي ١٠٨/٧ ، بنحوه عنهما ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٣٣/٥ ، عن ابن زيد .

(٢) زَهْدَمَ بن مضر أو مُضَرَّس - كما في التقريب - الجَرْمِيُّ ، أبو مسلم البصري ، ثقة ، روى عن ابن عباس وعمران بن حصين ، وروى عنه قتادة وأبو التياح .

انظر : الجرح والتعديل ٦١٧/٣ ، والكاشف ٤٠٦/١ ، وتقريب التهذيب (٢٠٣٩) .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠٣/٢٠ ، بنصه ، وابن كثير ٤٤/٣ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٤ وعزاه إلى الطبراني وابن عساكر ، لم أقف عليه .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠٤/٢٠ ، بنصه .

وروى العلاء^(١) عن مجاهد في قوله: ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾. قال: المسرف: الذي قتل القاتل الأول^(٢)، فهو الذي أسرف في القتل، وعلى هذا المنهي عن الإسراف القاتل الأول^(٣)، ويكون التقدير: فلا يُسرف القاتل في القتل، وجاز أن يضمم وإن لم يجر له ذكر؛ لأن الحال تدل عليه، ومعنى نهيه عن الإسراف: نهيه عن القتل؛ لأنه يكون بقتله مسرفاً، ويكون الضمير على هذا في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ للمقتول المذكور في قوله: ﴿وَمَنْ قُتِلَ﴾، ويكون التقدير: فلا يُسرف القاتل -الذي يبتدئ- بالقتل؛ لأن من قُتل مظلوماً كان منصوراً؛ بأن يقتصر له وليه، أو^(٤) السلطان إن لم يكن له ولي، وهذا الاقتصاص إنما هو للمقتول انتقل إلى الولي، بدلالة أن المقتول لو أبرأ من السبب^(٥) المؤدي إلى الهلاك؛ وهو الجراحة لم يكن للولي أن يقتصر، وتكون الآية على هذا ردعاً للقاتل عن القتل^(٦).

وقرأ حمزة والكسائي: (فَلَا تُسْرِف) بالتاء^(٧)، وهذه القراءة تحتمل أيضاً وجهين؛ أحدهما: أن يكون الخطاب للمبتدئ؛ القاتل ظلماً، قيل له: فلا تسرف

(١) العلاء بن عبد الكريم اليمامي، أبو عَزْون الكوفي، ثقة عابد، سمع مجاهد ومرة الهمداني، وروى عنه الثوري ووكيع، توفي في حدود سنة ١٥٠ هـ. انظر: التاريخ الكبير ٦/ ٥١٤، والجرح والتعديل ٦/ ٣٥٨، وتقريب التهذيب (٥٢٤٨).

(٢) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥١، بنحوه، انظر: تفسير ابن الجوزي ٥/ ٣٣، والقرطبي ١٠/ ٢٥٥.

(٣) في هذا القول تكلف وبعد عن الظاهر؛ فالخطاب -حسب الظاهر- موجه إلى ولي المقتول وليس إلى القاتل، وكيف يخاطب القاتل الأول ويقال له: لا تسرف في القتل؟! لذلك قال الألوسي: إن هذا الوجه غير وجيه فلا ينبغي التعويل عليه. انظر: تفسير الألوسي ١٥/ ٧٠.

(٤) في (ب) و(ع): (و).

(٥) في النسخ جميعها: (النسب)، وبالمثبت يستقيم الكلام.

(٦) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٩٩، ١٠٠، بتصرف.

(٧) انظر: السبعة ٣٨٠، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٧٢، وعلل القراءات ١/ ٣٢٢، والحجة للقراء ٥/ ٩٩، والمبسوط في القراءات ٢٢٨.

أيها الإنسان ، فتقتل ظلماً [من ليس]^(١) لك قتله؛ إن من قتل مظلوماً كان منصوراً بأخذ القصاص له .

والآخر : أن يكون الخطاب للولي ، فيكون التقدير : لا تسرف في القتل أيها الولي فتتعدى قاتل وليك إلى من لم يقتله ، إن المقتول ظلماً كان منصوراً ، وكل واحد من المقتول ظلماً ومن ولي المقتول قد تقدم ذكره في قوله : ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا﴾^(٢) .

وقال أبو إسحاق في قوله : ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ ؛ أي إن المقتول إذا قتل بغير حق فهو منصور في الدنيا والآخرة؛ فأما نصرته في الدنيا فقتل قاتله ، وأما في الآخرة فإزالة الثواب له وتعذيب قاتله في النار^(٣) .

٣٤ . قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ . قال الكلبي : يعني بالقيام عليه وأن يُثَمَّرَ مال اليتيم بالأرباح^(٤) .

وقال ابن زيد : يعني الأكل بالمعروف؛ أن تأكل معه إذا احتجت إليه ، كان أبيُّ يقول ذلك^(٥) .

وروى مجاهد عن ابن عباس قال : إن احتاج أكل بالمعروف ، [فإذا أُيسر قضاءه ، فإن لم يوسر فلا شيء عليه]^(٦) .

(١) هذه إضافة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام ، وهي ثابتة في المصدر .

(٢) ورد الوجهان في الحجة للقراء ١٠٠ / ٥ ، بنصه تقريباً .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٨ / ٣ ، بتصرف يسير لكنه مهم؛ إذ غير عبارة الزجاج : «ويُخلد قاتله النار» إلى : «وتعذيب قاتله في النار» ، هرباً من قول الوعيدية .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٢٩٩ ، بنحوه ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢ / ٢٦٨ .

(٥) أخرجه الطبري ٨٤ / ١٥ ، بنصه .

(٦) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ٢٠٤ ، بنصه .

وروى الحكم عن إبراهيم قال : يأكل بالمعروف^(١) وإن أتى على آخره^(٢) .

وقال قتادة : هذه الآية كانت جهداً عليهم ؛ لا يخالطوهم ، ثم أنزل الله : ﴿وَأِنْ تَخَاطَبُوهُمْ فَاِخْوَنُكُمْ﴾ [البقرة : ٢٢٠] ، فرخص لهم أن يخالطوهم^(٣) .

فمعنى ﴿يَا لَيْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ : الحالة التي هي أحسن ؛ وهو الكف عنه ، وتثميته في قول بعضهم ، وفي قول آخرين : الأكل بالمعروف عند الحاجة إليه ، على ما ذكرنا ، وهذه الآية ذكرنا تفسيرها في أواخر سورة الأنعام^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ . قال أهل المعاني : كل عقد يُقَدَّم للتوثق من الأمر فهو عهد^(٥) ، فدخل في قوله : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ كلُّ عقد من العقود بين المسلمين ، كعقد النكاح وعقد الشركة وعقد البيع وعقد اليمين وعقد الصلح بين المسلمين والمشركون ، وكل هذا مما يجب حفظه والوفاء به وترك الخيانة فيه .

وقال أبو إسحاق : كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ ذكر صاحب النظم وغيره في هذا وجهين^(٧) ؛ أحدهما : أن المعنى : كان مسؤولاً عنه بالجزاء ، فحذف الصلة ، كقوله : ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل : ٥٠] ؛ أي يؤمرون به ، وكقوله : ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل : ٦٠] ؛ أي يعدلون بالله .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) أخرجه الطبري ١٥ / ٨٤ ، بنحوه من طريقتين .

(٤) آية [١٥٢] .

(٥) ورد نحوه في تفسير الطوسي ٦ / ٤٧٦ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٣٨ ، بمعناه .

(٧) ورد بنحوه في تفسير الجصاص ٣ / ٢٠٣ ، والماوردي ٣ / ٢٤٢ ، والطوسي ٦ / ٤٧٧ ، وانظر : الفريد في إعراب القرآن ٣ / ٢٧٤ ، وتفسير الألوسي ١٥ / ٧١ .

والثاني : أن العهد يُسأل ، فيقال : لم^(١) نُقِضَتْ ، تبكيئاً للناقض ، كما تُسأل المؤودة تبكيئاً لوأندها وإنكاراً عليه ، كما جاء قوله : ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا فِي﴾ الآية [المائدة: ١١٦] والمخاطبة لعيسى^(٢) والإنكار على غيره .

٣٥ . وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ ؛ أي أتموه ولا تبخسوا منه ، ﴿وَرِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ قال الحسن : هو القَبَّان^(٣) ، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء^(٤) .

وقال مجاهد : هو العدل ، بالرومية^(٥) .

وقال الليث : هو أقوم الموازين^(٦) .

-
- (١) في (أ) و(د) : (لهم) ، والمثبت من (ش) و(ع) . وهو الصحيح المنسجم مع السياق .
- (٢) في (أ) و(د) : (بعيسى) ، والمثبت من (ش) و(ع) . وهو الصحيح .
- (٣) أخرجه الطبري ٨٥ / ١٥ ، بلفظه ، وورد في تفسير الجصاص ٢٠٣ / ٣ ، بلفظه ، والثعلبي ١٠٨ / ٧ ، بلفظه ، والماوردي ٢٤٢ / ٣ ، والطوسي ٤٧٦ / ٦ ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢٦٨ / ٢ . القَبَّان : الذي يوزن به ، وهو عربيٌّ أو معرب . انظر : تهذيب اللغة (قبن) ٢٨٨٠ / ٣ ، واللسان ٣٥٢٣ / ٦ .
- (٤) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٤٩٧ / ٢ ، بلفظه .
- (٥) أخرجه ابن أبي شيبه ١٢٢ / ٦ ، بنصه ، والطبري ٨٥ / ١٥ ، بنصه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٥٤ / ٤ ، بنحوه ، وتفسير الثعلبي ١٠٨ / ٧ ، بنصه ، والماوردي ٢٤٢ / ٣ ، بنحوه ، والطوسي ٤٧٦ / ٦ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨ / ٤ وزاد نسبته إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم . واختلف في أصل كلمة القسطاس : فقال الفخر الرازي ٢٠٦ / ٢٠ : وقيل إنه بلسان الروم أو السرياني ، والأصح أنه لغة العرب ، وهو مأخوذ من القسط ، وهو الذي يحصل فيه الاستقامة والاعتدال ، وبالجمله فمعناه المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الجانبين ، وقال الألوسي ٧٢ / ١٥ : وعلى القول بأنه رومي معرب وهو الصحيح ، لا يقدح استعماله في القرآن في عريبته المذكورة في قوله : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف : ٢] ؛ لأنه بعد التعريب والسجع في فصيح الكلام يصير عربياً ، فلا حاجة إلى إنكار تعريبه أو ادعاء التغليب أو أن المراد عربي الأسلوب .
- (٦) انظر : تفسير الألوسي ٧٢ / ١٥ .

وقال أبو إسحاق : هو ميزان العدل؛ أي ميزان كان من موازين الدراهم وغيرها^(١).

[ذكر أبو^(٢) علي جواز^(٣) اللغتين فيه؛ ضم القاف^(٤) وكسرها^(٥)، وهذا كقوله : ﴿وَأَقِيمُوا الزُّنْتَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩]، وكقوله : ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ﴾ [هود: ٨٥]، وقوله : ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ [هود: ٨٤]، وقوله : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا﴾ الآية^(٦) [المطففين: ٢].

وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ . قال عطاء : يريد أقرب إلى الله^(٧)، وقال قتادة : يقول : خيرٌ ثواباً، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ قال : وأحسن عاقبة في الخير^(٨)، المعنى : أحسن ما يؤول إليه أمر صاحب الوفاء .

٣٦. قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ الآية . تقف من قوله : قفوت أثر فلان ، أَقْفُو قَفْوًا^(٩) وَقُفُّوْا ، إِذَا اتَّبَعْتَ أَثَرَهُ ، وَسُمِّيتَ قَافِيَةَ الشَّعْرِ قَافِيَةً؛ لأنها تَقْفُو الْبَيْتَ ، ثُمَّ يُثْقَلُ قَفًّا بالتشديد ، فيصير واقعاً

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٨/٣ ، بنصه .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق .

(٣) في (ش) و(ع) : (جواب) .

(٤) أي (القُسْطاس) قرأها : ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر . انظر : السبعة ٣٨٠ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٨ ، وحجة القراءات ٤٠٢ ، والتيسير ١٤٠ ، والنشر ٣٠٧/٢ .

(٥) أي (القُسْطاس) قرأها : حمزة والكسائي وحفص عن عاصم . انظر : المصادر السابقة .

(٦) الحجة للقراء ١٠١/٥ ، بنحوه .

(٧) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٤٩٧/٢ .

(٨) أخرجه عبد الرزاق ٣٧٨/٢ ، بنحوه ، والطبري ٨٥/١٥ ، بنحوه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٥٥/٤ ، بنحوه ، انظر : تفسير ابن كثير ٤٥/٣ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٢٩/٤ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٩) ساقطة من (أ) و(د) .

كقوله : ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الحديد: ٢٧] ، هذا معنى القفو في اللغة^(١) .

قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في هذه الآية : لا تقل ما ليس لك به علم^(٢) ، وقال مجاهد : لا تَزِم^(٣) .

وقال قتادة : لا تقل : سمعت ، ولم تسمع ، ورأيت ، ولم تَرَ ، وعلمت ، ولم تعلم^(٤) .

وقال الحسن : لا تكذب على فؤادك ، تقول : علمت ما لم تعلم ، ولا على سمعك ، تقول : سمعت ما لم تسمع ، ولا على بصرك ، تقول : أبصرت ما لم تبصر^(٥) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : لا تشهد إلا بما رأته عينك وسمعته أذناك ووعاه قلبك ، ونحو هذا القول روي عن ابن الحنفية أنه قال : هذه الآية في شهادة الزور^(٦) ، هذا جملة ما ذكره المفسرون في هذه الآية ، وحقيقة تأويله ما قاله

(١) انظر : تهذيب اللغة (قفو) و(قفا) ٣/ ٣٠١٣ ، والمحيط في اللغة ٦/ ٣٨ ، والصحاح ٦/ ٢٤٦٦ ، واللسان ٦/ ٣٧٠٨ .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ٨٦ ، مختصراً من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥٥ ، بنصه ، انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥ ، والدر المنثور ٤/ ٣٢٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ٨٦ بلفظه من طريقين ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥٥ ، وتهذيب اللغة (قفا) ٣/ ٣٠١٥ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٨ ب ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٩٢ ، واللسان (قفا) ٦/ ٣٧٠٨ .

(٤) أخرجه بنصه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٨ ، والطبري ١٥/ ٨٦ من طريقين ، وورد بنصه في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٨ ب ، والماوردي ٣/ ٢٤٣ ، والطوسي ٦/ ٤٧٧ ، وأورده السيوطي في الدر ٤/ ٣٢٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) أخرجه الطبري ١٥/ ٨٦ ، بنصه ، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٥٥ ، وتهذيب اللغة =

الزَّجَّاج : لا تقولنَّ في شيء بما لا تعلم ، والتأويل لا تُتْبِعَنَّ لسانَكَ من القول ما ليس لك به علم^(١) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ﴾ إلى آخرها . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يسأل الله العباد في ما استعملوها^(٢) ، وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل ، والاستماع إلى ما يحرم ، وإرادة ما لا يجوز .

قال صاحب النظم : هذه أحساس هذه الأعضاء التي هي : أذن وعين وقلب؛ فالسمع حس الأذن ، والبصر حس العين ، والفؤاد حس القلب .

وقوله تعالى : ﴿كُلُّ أُولَئِكَ﴾ . قال أبو إسحاق : كل جمع أَشْرَتْ إليه من الناس وغيرهم من الموات ، فلفظه ﴿أُولَئِكَ﴾^(٣) ، ونحو هذا قال الأخفش^(٤) ، وأنشد لجرير :

ذُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنَزِلَةِ اللَّوَى وَالْعَيْشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الْأَيَّامِ^(٥)
أشار بأولئك إلى الأيام ، وكذلك أُشير في هذه الآية بأولئك إلى البصر والسمع والفؤاد .

(قفا) ٣/ ٣٠١٥ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٠٨ ب ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٣٥ ، والدر المنثور

٤/ ٣٢٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٩ ، باختصار .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٧ ، بنصه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٣٩ ، بنصه .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٢ ، بنحوه .

(٥) ديوانه ٤٥٢ وفيه : (الأقوام) بدل (الأيام) ، ولا شاهد في هذه الرواية ، وورد بهذه الرواية في

معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٠ ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٤٤ ،

وابن الجوزي ٥/ ٣٥ ، وورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٥/ ٨٧ ، والثعلبي ٧/ ١٠٨ ب ، والطوسي

٦/ ٤٧٨ ، وابن عطية ٩/ ٨٦ ، اللوى : اسم وادٍ من أودية بني سُليمان . المحيط في اللغة (لوى)

١٠/ ٣٧١ .

وقوله تعالى : ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ عادت الكناية إلى لفظ (كان) لا إلى معناه .

٣٧ . وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ ، المَرَحُ : شدة الفرح ، يقال : مَرِحَ يَمْرَحُ مَرَحًا ، وهو مَرِحٌ مَرُوحٌ^(١) ، قال ابن عباس : يريد بالكبرياء والعظمة .

وقال عبدالله بن مسلم أي بالكبر والفخر^(٢) .

وقال الزَّجَّاج : تأويل الآية : لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَخْتَالًا وَلَا فَخُورًا^(٣) ، قال الأخفش : ولو قرئ مَرَحًا بالكسر كان أحسن في القراءة^(٤) .

قال أبو إسحاق : مَرَحًا اسمُ الفاعل ، وَمَرَحًا مصدر ، وكلاهما في الجودة سواء ، غير أن المصدر أَوْكَدُ في الاستعمال ، تقول : جاء زيد رَكُضًا وراكضًا ، فركضًا أَوْكَدُ ؛ لأنه يدل على تأكيد الفعل^(٥) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (مرح) ٣٣٧١ / ٤ ، والمحيط في اللغة ٩٦ / ٣ ، ومجمل اللغة ٨٢٩ / ٢ ، واللسان ٤١٧٠ / ٧ .

(٢) الغريب لابن قتيبة ٢٥٦ / ١ ، بنصه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٠ / ٣ ، بنصه .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٦١٢ / ٢ ، بنحوه ، وخالفه الطبري ، فقال : وقيل : وَلَا تَمْشِ مَرَحًا ، ولم يقل : مَرَحًا ؛ لأنه لم يُرَدِّ بالكلام : لَا تَكُنْ مَرَحًا ، فيجعله من نعت المشاي ، وإنما أريد لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ، ففسّر المعنى المراد من قوله : ﴿وَلَا تَمْشِ﴾ تفسير الطبري ٨٨ / ١٥ ، وانظر : كلام الزَّجَّاج بعده ، فقد تضمن الردّ عليه أيضاً .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٠ / ٣ ، بتصرف يسير .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ﴾. الخرق معناه في اللغة كالشق، يقال: خرق الثوب إذا شقّه، وخرق الأرض إذا قطعها حتى بلغ أقصاها^(١).

قال ابن عباس: يريد ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾: يكبرك ومشيك عليها، ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾: بعظمتك، وإنما أنت مخلوق عبد ذليل^(٢).

قال الزّجاج: والتأويل: إن قدرتك لن تبلغ هذا المبلغ فيكون لك^(٣) وُصلة إلى الاختيال^(٤)، وهذا^(٥) الذي ذكره موافق لتفسير ابن عباس، والمعنى: إنك عبد لا تقدر أن تنقص الأرض حتى تبلغ آخرها، ولا أن تطاول الجبال، فمن أين تستحق الكبر والفخر؟!

قال ابن قتيبة: يريد أنه ليس ينبغي للعاجز^(٦) أن يَبْدَحَ^(٧) ويستكبر^(٨)، ومعنى خَرَقَ الأرض في هذه الآية: نَقَبُها لا قطعها بالمسافة، وذَكَرَ في هذه الآية معنى آخر، قال قتادة: لا تمش كبراً ولا فخراً، فإن ذلك لا يبلغ بك أن تبلغ الجبال، ولا أن تخرق الأرض بكبرك وفخرك^(٩)، ومعنى هذا أن مشي المرح يكون

(١) انظر: تهذيب اللغة (خرق) ١/١٠١٥، والمحيط في اللغة ٤/١٩٣، واللسان ٢/١١٤١.

(٢) ورد في تفسيره الوسيط، تحقيق سيسي ٢/٤٩٨، بنصه، انظر: تفسير ابن الجوزي ٥/٣٦، والقرطبي ١٠/٢٦١، بلا نسبة.

(٣) في المصدر: (ذلك).

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٤٠، بنصه.

(٥) ساقط من (د).

(٦) هذه الكلمة أصح مما في المصدر، وهي: (للفاجر)، ولعل ما في المصدر تصحيف.

(٧) البَدْخُ: الكبر، وتَبْدَحُ: تطاول وتكبر وفخر وعلا، والبَادِخُ: العالي، وشرف بادخ: عال، والبواذخ من الجبال: الشوامخ. انظر: المحيط في اللغة (بدخ) ٤/٣٢١، والصحاح ١/٤١٨، واللسان ٣١/٢٣٦.

(٨) الغريب لابن قتيبة ١/٢٥٦، بنصه تقريباً.

(٩) أخرجه عبدالرزاق ٢/٣٧٨، بنصه، والطبري ١٥/٨٨، بنصه تقريباً، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٣٠ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

على ضربين : مَشْيٌ باختيال على الأرض وتؤدة؛ بجر قدمه على الأرض كأنه يريد أن يخرجها ، ومَشْيٌ يتناول في السماء بذخاً ، فنهى الله تعالى في هذه الآية عنهما ، وأخبر أنه لا يبلغ مما يريد كبير مبلغ ، وإلى هذا أشار مجاهد ، فقال في قوله : ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ قال : الذي يمشي على عقبه ، ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ قال : الذي يمشي على صدور قدميه^(١) .

٣٨ . قوله تعالى : ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ . أشار إلى جميع ما تقدم ذكره مما أمر به ونهى عنه من قوله : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ إلى قوله : ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ يصلح للواحد والجميع ، والمؤنث والمذكر ، على ما ذكرنا في مواضع .

وقوله تعالى : ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾ قُرئ بالإضافة^(٢) والتنوين^(٣) ، قال أبو إسحاق : والإضافة أحسن^(٤) ؛ لأن في ما جرى من الآيات سيئاً وحسناً ، فسيئُهُ بلا تنوين أحسن^(٥) ، ويؤكد ما ذكره أبو إسحاق : ما روي أن الحسن كان يقرأ بالإضافة ، ويقول قد ذَكَرَ أموراً قَبْلُ ؛ منها حسن ومنها سيئ ، فقال : ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ﴾ لأن ما ذَكَرَ الْحَسَنُ ، وَالسَّيِّئُ من المذكور المكروه ، ويقوي ذلك قوله : ﴿مَكْرُوهًا﴾

(١) لم أقف عليه .

(٢) أي ﴿سَيِّئُهُ﴾ مضافاً مذكراً ، قرأ بها : عاصم وابن عامر وحزمة والكسائي . انظر : السبعة ٣٨٠ ، وعلل القراءات ١/ ٣٢٣ ، والحجة للقراء ٥/ ١٠٢ ، والميسوط في القراءات ٢٢٨ ، وتلخيص العبارات ١١٣ .

(٣) أي ﴿سَيِّئَةً﴾ متوناً مؤنثاً ، قرأ بها : ابن كثير ونافع وأبو عمرو . انظر : المصادر السابقة .

(٤) هذا مما يؤخذ على النحويين من المفاضلة بين القراءات ، مع أن كليهما سبعة متواترة .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٠ ، بنصه تقريباً .

والتذكير فيه ، ولو كان (سَيِّئَةً) غير مضاف لزم أن يكون مكروهةً ، سيِّئاً وقد تقدم
ذِكْرُ المؤنث ، ألا ترى أن قوله ^(١) :

ولا أرضَ ^(٢) أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا ^(٣)

مستقبح ^(٤) عندهم ، ولو قال : أبقل الأرض ، لم يُستقبح ، فليس ما تقدّم
ذكره مما أنث بمنزلة ما لم يتقدم ذكره ؛ لأن المتقدم الذكر ينبغي أن يكون الراجعُ
وَفَقَّه ، كما يكون وَفَقَّه في الثنية والجمع ^(٥) .

وأما من قرأ بالتنوين ، فقال أبو إسحاق : جعل كلاً إحاطة بالمنهي عنه قَطْ ،
المعنى : كل ما نهى الله عنه كان سيئاً ^(٦) ، ومعنى هذا أن من قرأ بالتنوين رأى
الكلام انقطع عند قوله : ﴿ ذَلِكْ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ، وكان الذي بعدُ ، من قوله :

(١) البيت لعامر بن جُوَيْن الطائي (جاهلي) .

(٢) في النسخ جميعها : (والأرض) ، والتصويب من المصادر .

(٣) وصدّره :

فلا مُزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا

وهو من شواهد سيبويه في الكتاب ٤٦ / ٢ ، وورد في شرح المفصل ٩٤ / ٥ ، واللسان (بقل)
٣٢٨ / ١ ، وورد غير منسوب في الخصائص ٤١١ / ٢ ، والمحتسب ١١٢ / ٢ ، والحجة للقراء
٢٣٨ / ٤ ، وأما لي ابن الشجري ٢٤٢ - ٢٤٦ ، وتفسير القرطبي ٢٦٣ / ١٠ ، والخزانة ٤٥ / ١ ،
٤٩ ، ٥٠ ، ٤٣٧ / ٧ .

(مُزْنَةٌ) : واحد المزن ، وهو السحاب يحمل الماء ، (الودق) : المطر ، (أبقل) : أخرج البقل ، وهو من
النبات ما ليس بشجر ؛ وهو الذي لا تبق له أرومة على الشتاء بعدما يُرعى .
والشاعر يصف أرضاً مخصبة بكثرة ما نزل بها من الغيث ، والشاهد : حذف علامة التأنيث مع إسناد
الفعل إلى ضمير المؤنث ، على تأويل أن الأرض مكان ، فكأنه قال : ولا مكان أبقل إبقالها ، والمكان
مذكر .

(٤) هكذا في النسخ جميعها ، وفي الحجة للقراء ١٠٢ / ٥ مستقيم ، وهو خطأ أو تصحيف .

(٥) الحجة للقراء ١٠٢ / ٥ ، بتصرف واختصار يسير .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٤١ / ٣ ، بنصه .

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ لا أمراً حسناً فيه ، فقال : ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ﴾ فأفرد ولم يضيف ، وعلى هذه القراءة قوله : ﴿مَكْرُوهًا﴾ ليس بنعت للسيئة ، وإنما هو بدل منها ، على تقدير : كان سيئةً وكان مكروهاً .

٣٩ . قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ يعني ما تقدم ذكره ، ﴿مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ ، قال ابن عباس : يريد من الفرائض والسُّنَنِ ^(١) .

وقال المفسرون : يعني من القرآن ومواعظه ^(٢) .

وقال أهل المعاني : الحكمة هاهنا الدلائل التي تؤدي إلى المعرفة بالحسن من القبيح ، والواجب مما لا يجب ^(٣) ، وذلك يعرف بإخبار الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلْ﴾ إلى آخر الآية . قال ابن عباس : هذا أدب من الله لخلقه ، ومخاطبة للمؤمنين ، يعني أن هذا خطاب لكل واحد من المؤمنين ، كأنه قيل : ولا تجعل أيها الإنسان مع الله إلهاً آخر ، وذكرنا معنى الملووم والمدحور في هذه السورة [آية ١٨ و ٢٩] .

٤٠ . قوله تعالى : ﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ﴾ . يقال : أصفاه بالشيء ؛ أي أثره به ، ويقال للضياع التي يستخلصها السلطان لخاصته : الصَّوافي ^(٤) .

قال أبو عبيدة في قوله : ﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ﴾ : خَصَّكُمْ ^(٥) .

(١) ورد بلا نسبة في الوسيط ، تحقيق سيبسي ٤٩٩/٢ ، وتفسير ابن الجوزي ٣٧/٥ .

(٢) أخرجه الطبري ٩٠/١٥ ، بلفظه عن ابن زيد ، ورد عند الثعلبي ١٠٩/٧ أنبصه .

(٣) ورد نحوه في تفسير الطوسي ٤٧٩/٦ .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (صفا) ٢٠٢٢/٢ ، بنحوه ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/٢١٥ ، واللسان (صفا) ٢٤٦٨/٤ .

(٥) مجاز القرآن ١/٣٨٠ ، بنحوه .

وقال المفضل : أخلصكم^(١) . وقال أبو إسحاق : كانت الكفرة من العرب تزعم أن الملائكة بنات الله ، فَوَبَّخُوا ، وقيل لهم : ﴿ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ ﴾ ؛ أي اختار لكم ربكم صفوة البنين^(٢) .

وقال النحويون : هذه الألف ألف إنكار على صيغة السؤال عن مذهب ظاهر العوار لا جواب لصاحبه ، إلا بما فيه أعظم الفضيحة^(٣) ، فإن قيل ما معنى ﴿ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ يَا بَنِينَ ﴾ مع أن لهم بنات ؟ قيل : معناه : أَخْلَصَ لكم البنين دونه ، وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه ، فاختصكم بالأجل ، وجعل لنفسه الأدون ؟!

٤١ . قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾ معنى التَّصْرِيف في اللغة : صَرَفُ الشيء من جهة إلى جهة ، نحو تَصْرِيفِ الرِّيحِ ، وتصريف الأمور والآيات^(٤) ، قال أبو إسحاق : ﴿ صَرَفْنَا ﴾ ؛ أي بينا^(٥) ، وهو قول ابن عباس^(٦) ، والأصل ما ذكرنا ، ثم يصير بمعنى التَّبَيِّن ؛ لأن تصريفه إنما هو لِيَتَبَيَّنَ ، ومفعول التصريف محذوف .

قال صاحب النظم : تأويله : ﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾ بما أوجب تصريفه ، كما قال في موضع آخر : ﴿ وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾

(١) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٤٩٩/٢ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٣٧/٥ ، والفخر الرازي ٢١٥/٢٠ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٤١/٣ ، بنصه تقريباً .

(٣) ورد نحوه في تفسير الطوسي ٤٨٠/٦ ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢١٥/٢٠ ، بنصه ، والفريد في إعراب القرآن ٢٧٨/٣ ، والدر المصون ٣٥٨/٧ .

(٤) انظر : المحيط في اللغة (صرف) ١٢٨/٨ ، والعباب الزاخر : ف/٣٤٩ ، واللسان ٢٤٣٤/٤ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٤١/٣ ، بلفظه .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٣٠٠ ، وورد بلا نسبة في تفسير الفخر الرازي ٢١٦/٢٠ ، والقرطبي ٢٦٤/١٠ .

[الكهف: ٥٤] قال : وفيه وجه آخر ، وهو أن تكون (في) زائدة ، كما في موضع آخر : ﴿وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: ١٥]؛ أي أصلح لي ذريتي ^(١) .

وقال أبو علي أي صرّفنا ضروب القول فيه؛ من الأمثال وغيرها مما يوجب الاعتبار به والتفكير فيه ، كما قال : ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ ^(٢) الآية [القصص: ٥١] ، فعند أبي علي تقدير الآية : ولقد صرّفنا القول ^(٣) في هذا القرآن .

قوله تعالى : ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ . قال ابن عباس : يريد ليتعظوا ^(٤) ، والأصل ليتذكروا ، فأدغمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما ، هذا قراءة العامة ^(٥) ، وقرأ حمزة والكسائي : لِيَذْكُرُوا ^(٦) من الذكر ، والتذكّر هاهنا أشبه ^(٧) من الذكر ؛ لأنه كأنّ يُرادُّ به التّدبّر وليس التذكر الذي بعد النسيان ، ولكن كما قال : ﴿وَلْيَتَذَكَّرْ أُولَؤُلَآلَآئِكَ﴾ [ص: ٢٩]؛ أي ليتدبروه بعقولهم ، وليس المراد ليتذكروه بعد نسيانهم ، ويدل على هذا ، أن التذكر قد لا يكون من النسيان ، كقوله ^(٨) :

تَذَكَّرَ مِنْ أَنِّي وَمِنْ أَيْنَ شَرِبُهُ يُؤَامِرُ نَفْسِيهِ كَذِي الْهَجْمَةِ الْأَبْلُ ^(٩)

(١) وقد رد هذا القول أبو حيان ، وقال : وهذا ضعيف لأن (في) لا تزداد . تفسير أبي حيان ٦ / ٣٩ .

(٢) الحجة للقراء ٥ / ١٠٤ ، مختصراً .

(٣) ساقط من (أ) و(د) .

(٤) ورد بلفظه بلا نسبة في تفسير السمرقندي ٢ / ٢٦٩ ، والثعلبي ٧ / ١٠٩ ، والخازن ٣ / ١٦٥ .

(٥) انظر : السبعة ٣٨٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ٣٧٤ ، والحجة للقراء ٥ / ١٠٤ ، والمبسوط

في القراءات ٢٢٩ ، والتبصرة ١٤٠ ، وتلخيص العبارات ١١٣ .

(٦) انظر : المصادر السابقة .

(٧) أي أولى .

(٨) للكميت بن زيد ، المتوفى ١٢٦ هـ .

(٩) ديوانه ١ / ٣٩٦ ، وورد في الحجة للقراء ١ / ٣١٧ ، واللسان (أبل) ١ / ١٠ ، والشاعر يذكر حاراً أراد

ورود الماء ، (يؤامر نفسه) : المؤامرة هي المشاورة ، والمعنى : يشاور نفسه متردداً بين ورود الماء أو

تركه ، فكأنه يشاور نفسه ؛ إحداهما تريد الورد ، والأخرى تأباه . (الهجمة) : الهجمة من الإبل : ما

بين التسعين إلى المائة ، وجمعها هَجَمَاتٌ وَهَجَامٌ ، (أبل) : قال الأصمعي : أبل الرجل يأبل أبالةً ، إذا =

يعني تَدَبَّرَ في ذلك وتَفَكَّرَ من أين يشرب ، وأَمَّا [مَنْ] ^(١) قرأ بالتخفيف ، فإن التخفيف قد جاء بهذا المعنى ، كقوله : ﴿ خُذُوا مَاءً آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا ﴾ [البقرة: ٦٣] هذا ليس على لا تنسوه ولكن تَدَبَّرُوهُ ^(٢) ، ويجوز أن يكون المراد ذكر اللسان ، والمعنى : صَرَّفْنَا في هذا القرآن ليدكره ، وإذا كان الكلام مُصَرِّفًا فيه على أنواع ، كان أقرب من الذكر وأبعد من السأمة .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ . قال ابن عباس : يريد ينفرون من الحق ويتبعون الباطل ^(٣) ، قال أبو علي أي ما يزيدهم تصريح الآيات إلا نفوراً ^(٤) ، أضمر الفاعل بدلالة ما تقدم عليه ، كقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [فاطر: ٤٢]؛ أي مجيء النذير .

قال أهل المعاني : إنما زادهم نفوراً ؛ لأنهم اعتقدوا أنها شبيهة وحيل ، فنفروا منها أشد النفور لهذا الاعتقاد الفاسد ، ومنعهم ذلك من التدبُّر لها ، وإدراك منزلتها في عظم الفائدة وجلالة المنزلة ^(٥) .

حَذَقَ مُصْلِحَةُ الإِبِلِ وَالشَّاءِ ، وَالْأَبْلُ وَالْأَبْلُ : الحاذق برعية الإبل الرفيق بسياستها ، انظر : تهذيب اللغة (أبل) ١/ ١٠٩ ، والمحيط في اللغة (هجم) ٣/ ٣٨٥ ، (أمر) ١٠/ ٢٨٤ ، (أبل) ١٠/ ٣٥٠ ، واللسان (أبل) ١/ ٩ .

(١) زيادة يقتضيها السياق ، ولعلها سقطت .

(٢) في النسخ جميعها : (تذكره) ، وهو تصحيف ولا يؤدي المعنى المستشهد له ، وما أثبتته هو الصواب ويؤيده ورودها في الحجة للقراء ٥/ ١٠٤ ، وهو مصدره .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٣٨ ، بنصه .

(٤) الحجة للقراء ٥/ ١٠٥ ، بتصرف يسير .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٠٩ ، بنحوه مختصراً ، والطوسي ٦/ ٤٨٠ بنصه تقريباً .

وقال أبو علي : هذا على أنهم ازدادوا نفوراً عند تفصيل الآي لهم؛ [لا]^(١) لأن تصريف الآي نفّرهم^(٢)؛ ولكنهم لما ازدادوا نفوراً عند تصريف الآي نُسب ذلك إليه على الاتساع ، كما قال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [فاطر : ٤٢] ، والمعنى : ازدادوا هم نفوراً عند مجيئه ، فُنُسب ذلك إلى مجيء النذير .

٤٢ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ﴾ . وقرأ ابن كثير بالياء^(٣) والمعنى : كما يقول المشركون من إثبات الآلهة من دونه ، فهو مثل قوله : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَيُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ ﴾^(٤) ؛ لأنهم غيب^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ إِذَا لَابَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ ذكر المفسرون في هذا قولين ؛ قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد منازعة وقتالاً ؛ كما يفعل ملوك^(٦) الدنيا^(٧) .

وقال سعيد بن جبير : لأزالوا ملكه^(٨) .

(١) إضافة من المصدر ليستقيم الكلام ، ومن دونهما يضطرب المعنى .

(٢) الحجة للقراء ١٠٥ / ٥ ، بنصه .

(٣) وكذلك قرأ حفص عن عاصم بالياء ، وقرأ الباقر بالتاء (كَمَا تَقُولُونَ) ، انظر : السبعة ٣٨١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ٣٧٥ ، وعلل القراءات ١ / ٣٢٣ ، والحجة للقراء ١٠٦ / ٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٩ .

(٤) [آل عمران : ١٢] قرأ حمزة والكسائي بالياء . انظر : السبعة ٢٠٢ ، وعلل القراءات ١ / ١٠٦ ، والمبسوط في القراءات ١٤٠ .

(٥) ورد في الحجة للقراء ١٠٦ / ٥ ، بنصه تقريباً .

(٦) (أ) و(د) : (مملوك) .

(٧) انظر : تفسير القرطبي ١٠ / ٢٦٥ .

(٨) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤ / ١٥٩ ، بنحوه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥ / ٣٨ ، والقرطبي ١٠ / ٢٦٥ .

وقال أبو بكر الهذلي : إذا لابتغت الآلهة أن تزيل مُلك صاحب العرش ^(١) ،
والمعنى على هذا القول : إذا لابتغوا سبيلاً إلى ممانعته ومضاداته ومعاداته ، كما
قال : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ فَسَدْنَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] .

القول الثاني : ما ذهب إليه السدي و قتادة ، قال السدي : إذا لابتغت الآلهة
الحوائج من الله ^(٢) ، وقال قتادة : لابتغوا التقرب إليه ، وعرفوا فضله ومرتبته
ومنزلة عليهم ^(٣) ، والمعنى على هذا القول : لابتغوا ما يقربهم إليه لِعُلُوِّهِ إِلَيْهِمْ ^(٤)
وَعِظَمِهِ عِنْدَهُمْ ، وهذا كقوله : ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩] ،
والأول هو قول الحسن والكلبي ^(٥) .

(١) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير الثعلبي ١٠٩/٧ ب .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) أخرجه - بنحوه مختصراً - عبد الرزاق ٣٧٨/٢ ، والطبري ٩٢/١٥ ، من طريقين ، وورد في معاني
القرآن للنحاس ١٥٩/٤ بمعناه ، وتفسير السمرقندي ٢٦٩/٢ بمعناه ، والثعلبي ١٠٩/٧ ب ،
بنحوه ، والطوسي ٤٨١/٦ بمعناه ، انظر : تفسير البغوي ٩٥/٥ ، والقرطبي ٢٦٦/١٠ .

(٤) الأصوب عليهم ؛ لأنه هو الأظهر في المعنى ، وقد جاءت في تفسير الطوسي ٤٨١/٦ : (عليهم) .

(٥) ورد في تفسير الطوسي ٤٨١/٦ ، بنحوه عن الحسن ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٣٨/٥ ، عن الحسن .
وقد رجح هذا القول الخازن والألوسي ، والشنقيطي وقال : ولا شك أن المعنى الظاهر المتبادر من
الآية بحسب اللغة العربية هو القول الأول ؛ لأن في الآية فرض المحال ، والمحال المفروض الذي
هو وجود آلهة مع الله مُشَارَكَةً له لا يظهر معه أنها تتقرب إليه ، بل تنازعه لو كانت موجودة ، ولكنها
معدومة مستحيلة الوجود .

انظر : تفسير الخازن ١٦٥/٣ ، والألوسي ٨٢/١٥ ، والشنقيطي ٥٩٤/٣ .

٤٤. قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ الآية . في هذه الآية مذهبان :

أحدهما : أن المراد بالتسبيح هاهنا حقيقة التسبيح ، فعلى هذا السموات السبع والأرضون تسبح لله تسبيحاً حقيقياً ، ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ : من الملائكة والجن والإنس ، والمراد بهذا التخصيص ؛ لأن الشياطين وعبداء الأصنام لا يسبحون لله تسبيحاً حقيقياً .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ . قال عكرمة : كل شيء حي^(١) ، ونحوه قال الحسن والضحاك : كل شيء فيه الروح^(٢) ، وقال قتادة : يعني الحيوانات والنَّامِيَّات^(٣) ، وقال بعضهم : هذا عام في كل شيء ، وكل ما خلق الله فهو يسبح بحمده ، وأن صَرِيرَ السَّقْفِ وَصَرِيرَ الْبَابِ من التسبيح لله^(٤) ، ولكل شيء تسبيح لا نفقه نحن ذلك ، كما قال الله تعالى : ﴿وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ .

(١) أخرجه الطبري ٩٢/١٥ ، بنحوه ، وورد بمعناه في معاني القرآن للنحاس ١٥٩/٤ ، وتفسير الثعلبي ١٠٩/٧ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٣٣/٤ وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه الطبري ٩٢/١٥ بنصه عنها ، وأبو الشيخ في العظمة ٥٢٣ بنصه عن الضحاك ، وورد في تفسير الثعلبي ١٠٩/٧ بـ بنصه ، والماوردي ٢٤٥/٣ - بمعناه ، والطوسي ٤٨٣/٦ - بمعناه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٣٩/٥ ، عنهما ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٣٣/٤ وعزاه إلى أبي الشيخ عن الحسن ، ولم أجده .

(٣) أخرجه بمعناه عبد الرزاق ٣٧٩/٢ ، والطبري ٩٣/١٥ ، وورد في تفسير السمرقندي ٢٧٠/٢ ، بمعناه ، والثعلبي ١٠٩/٧ بـ بنصه ، انظر : تفسير البغوي ٩٦/٥ .

والنَّامِيَّات : جمع نَام ، والنَّامِي : مثل النبات والشجر ونحوه ؛ أي كل ما ينمو ويكبر ، ويقابله الصامت ، كالحجر والجبل ونحوه . انظر : المحيط في اللغة (نمي) و(نمو) ٤١٧/١٠ ، واللسان ٤٥٥٢/٨ .

(٤) وهو قول النخعي ، كما في البغوي وغيره ، وورد بنحوه في معاني القرآن وإعراجه ٢٤٢/٣ ، وتفسير الطوسي ٤٨٣/٦ ، وانظر : تفسير البغوي ٩٦/٥ بلفظ : صرير الباب ونقيض السقف ، وابن الجوزي ٣٩/٥ ، والقرطبي ٢٦٨/١٠ .

المذهب الثاني : أن المراد بالتسبيح هاهنا : الدلالة على أن الله - عز وجل - خالقٌ حكيمٌ مُبرّرٌ من الأسواء^(١) ، فالمخلوقون والمخلوقات كلها تدل على أن الله - عز وجل - خالقها ، كما قال في قوله : ﴿وَلَنْ يَنْفَعَهُمْ﴾ أي يخشع له ويخضع^(٢) ، وقد ذكرنا هذا المعنى مستقصى عند ذكر سجود الجهادات في آيات قد مضت في هذا المعنى^(٣) ، وعلى هذا قوله : ﴿وَلَكِنْ لَا تَنْفَعُهُمْ﴾ مخاطبة للكفار؛ لأنهم لا يستدلون ولا يعتبرون .

٤٥ . قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ في هذه قولان؛ أحدهما : أن هذه نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله إذا قرأ القرآن ، قال الكلبي : وهم أبو سفيان ، والنضر بن الحارث ، وأبو جهل ، وأم جميل بنت حرب بن أمية؛ امرأة أبي لهب ، وحويطب ، حجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءة القرآن ، فكانوا يأتونه ويمرون به ولا يرونه^(٤) .

(١) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٢٤٢/٣ ، بنحوه ، وتفسير الثعلبي ١٠٩/٧ ب ، بنصه .

(٢) والقول الأول هو الراجح ، لموافقته لظاهر القرآن ، وتأيد السنة له ، فقد أسمع الله نبيه ﷺ وصحابته تسبيح الجهادات ، فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : إنكم تعدون الآيات عذاباً ، وإننا كنا نعدّها على عهد رسول الله ﷺ بركة ، لقد كنا نأكل الطعام مع النبي ﷺ ونحن نسمع تسبيح الطعام أخرجه مالك في الموطأ : [التمهيد] ٢١٩/١ ، والترمذي (٤٦٣٣) ، كتاب المناقب ، باب : آيات إثبات نبوة النبي ﷺ واللفظ له ، وقال : حسن صحيح ، وذكره الألباني في صحيح الترمذي (٤٦٣٣) ، وانظر : أمثلة أخرى في هذا الباب في الشفا ٥٨٨/١ .

وقد رجح هذا القول كثير من العلماء ، منهم : القرطبي ٢٦٨/١٠ ، والخازن ١٦٦/٣ ، وابن كثير ٤٨/٣ والألوسي ٨٤/١٥ ، وغيرهم .

(٣) سورة الرعد : آية [١٥] ، وسورة النحل : آية [٤٩] .

(٤) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤١/٥ بنصه ، وأبي حيان ٤١/٦ ، بنحوه ، والقرطبي ٢٧١/١٠ - بلا نسبة ، وورد بلا نسبة ومن دون ذكر المؤذنين للنبي ﷺ في تفسير الثعلبي ١١٠/٧ ، والماوردي ٢٤٦/٣ ، والطوسي ٤٨٣/٦ ، وابن الجوزي ٤١/٥ ، والفخر الرازي ٢٢٠/٢٠ . وأورد بعض المفسرين عند هذه الآية حادثة أم جميل مع النبي ﷺ التي شهدها أبو بكر ، وحجب الله رسوله عنها لما جاءت تريد إيذاءه ، قال أبو بكر رضي الله عنه : وقرأ قرآناً اعتصم به منها ، وهو هذه الآية . وهذا الخبر لا يعد من قبيل أسباب النزول عند أهل الفن ، بل ولا هو من صيغته ، أما قول الواحدي وغيره :

وقوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ . قال الأخفش: أراد: ساتراً، والفاعل قد يكون في لفظ المفعول، كما تقول: إنك لمَسْتُووم علينا ومِئْمُون، وإنما هو شَائِم ويَأْمِن؛ لأنه من قولهم: شَأْمَهُمْ وَيَمَنَّهُمْ، والحجابُ هاهنا هو الساتر، فقال: ﴿مَسْتُورًا﴾^(١)، وهذا نادرٌ أن يكون الفاعل في لفظ المفعول^(٢)، هذا قوله، وتابعه على هذا كثير من أهل اللغة^(٣).

- نزلت في قوم . . . فأيضاً لا يمكن عدُّه سبباً في النزول؛ لعدم تحقق شروط قبوله، وهي:
١. أن يثبت عن صحابي بإسناد صحيح، فيكون له حكم الرفع.
 ٢. إن ثبت عن تابعي فهو مرسل، ويشترط لقبوله صحة الإسناد، وأن يكون صريحاً، ويرد من طريقين عن أئمة التفسير، مثل مجاهد وعكرمة.
- ويؤيد رده أن الرواية وردت عن الكلبي، وهو مُضَعَّفُ عند العلماء، ودليل آخر أن الواحدي نفسه لم يوردها في أسباب نزوله، وكما قال ابن عطية: الآية إخبار من الله لنبيه أنه يحميه من الكفرة الذين كانوا يؤذونه، في وقت قراءته القرآن وصلاته في المسجد. فلا يلزم إذاً أن يكون للآية سبب نزول خاص. انظر: تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٠، والثعلبي ٧/ ١١٠، والبغوي ٥/ ٩٧، وابن عطية ٩/ ٩٨، وأبي حيان ٦/ ٤٢، وابن كثير ٣/ ٤٩، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٣٦-٣٣٧، وعزاه إلى أبي يعلى وابن أبي حاتم وصححه وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في الدلائل، والإتقان ١/ ٩٠-٩١، والتجوير ٨٦، ومباحث في علوم القرآن ٨٣.
- (١) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٣، بتصرف يسير.
- (٢) هذه الجملة ليست في معانيه، والظاهر أن الواحدي أراد تلخيص قوله؛ لأنه يفهم من قد هذا، ولأنه قال بعده: هذا قوله، لا أنه تقرير قاعدة.
- (٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٢، وجهرة اللغة ١/ ٢٦٣، وتهذيب اللغة (ستر) ٤/ ١٦٢٥، والإملاء ٢/ ٩٢، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٩١، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٧٩.
- ولم يرتض ابن عطية هذا التأويل وعدّه تكلّفاً من غير حاجة داعية إليه، وقال: وليس مثاله بمُسَلَّم، وكذلك رده السمين، وقال: هو على بابه كما حققناه. انظر: تفسير ابن عطية ٩/ ٩٩، وعمدة الحفاظ ٢/ ١٤، ١٩٦.

وقال آخرون : ﴿مَسْتُورًا﴾ هاهنا مفعول ، والمعنى أنه حجابٌ مستورٌ لا يُبصر ^(١) ، وإنما كان قُدْرَةً من قَدَرِ الله تعالى وأُخْذَةً من أُخْذِهِ ^(٢) حجبَ النبي ﷺ بحجاب ^(٣) يحجبه عنهم ، بحيث لا يرى النبي ﷺ ذلك الحجاب ولا المشركون ، حكى هذا صاحب النظم ، وهو حسن .

وقال الزَّجَّاجي : يجوز أن يكون المستور هاهنا بمعنى النسب ، كما تقول في الفاعل في مثل : لابن وتامر ^(٤) ^(٥) ، وتأويله : حجابٌ ذو سِترٍ ، كقولهم : جاريةٌ مَعْنُوجَةٌ ^(٦) ؛ أي ذات عُنَجٍ ، ولا يقال : عَنَجْتُهَا ، ومكان مَهُولٌ : فيه هَوْلٌ ، ولا يقال : هُلْتُ المكان ؛ جعلت فيه الهول ؛ ورجلٌ مَرْطُوبٌ : ذو رُطوبة ، ولا يقال : رَطَبْتُهُ ^(٧) .

القول الثاني : أن معنى الحجاب هاهنا : الطبع الذي على قلوبهم ، والمنع الذي منعهم عن أن يدركوا ما يأتي به من الحكمة في القرآن فيتنفعوا به ، وهذا

(١) ورد بنحوه في تفسير الطبري ٩٣ / ١٥ ، والثعلبي ١١٠ / ٧ ، أنظر : تفسير البغوي ٩٧ / ٥ ، والزخشري ٣٦٣ / ٢ ، والفريد في إعراب القرآن ٢٨٠ / ٣ ، وهذا القول هو الذي مال إليه الطبري - ولم يرد الأول - فقال : وهذا القول الثاني أظهر بمعنى الكلام ؛ أن يكون المستور هو الحجاب ، فيكون معناه : أن الله سترًا عن أبصار الناس فلا تدركه أبصارهم ، وإن كان للقول الأول وجه مفهوم .
(٢) الأخْذَةُ بالضم : رُقِيَةٌ تأخذ العين ونحوها كالسحر ، ويقال بعينه أُخْذٌ : وهو الذي لا يقدر صاحبه على النظر . انظر : المنتخب من غريب كلام العرب ٤٨٢ / ٢ ، واللسان (أخذ) ٣٦ / ١ ، والتاج (أخذ) ٣٤٦ / ٥ .

(٣) في النسخ جميعها : (حجاب) ، ولا معنى لها ، وما أثبتته هو الصواب وبه يستقيم الكلام .
(٤) أي ذو لبن ، وذو تمر .
(٥) لم أقف على مصدره ، وورد نحوه بلا نسبة في البيان في غريب إعراب القرآن ٩١ / ٢ ، والفريد في إعراب القرآن ٢٧٩ / ٣ ، وتفسير أبي حيان ٤٢ / ٦ ، والدر المصون ٣٦٢ / ٧ .
(٦) الغُنْجُ : الدَّلُّ ، والغنْج في الجارية : تَكْسُرُ وتَدُلُّ ، وقيل : الغنْج : ملاحَةُ العينين . انظر : اللسان (غنْج) ٣٣٠٥ / ٦ .
(٧) وردت هذه الأمثلة في تفسير الفخر الرازي ٢٠ / ٢٢٢ ، وأبي حيان ٤٢ / ٦ ، والدر المصون ٣٦٢ / ٧ .

قول قتادة ، قال : هو الأكنة^(١) ، وعلى هذا قوله : ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ﴾ ؛ أي بين قولك وقراءتك وفهم ما تأتي به ، ﴿وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ ، وهو ما لا يرونه ولا يعلمونه من الطبع على قلوبهم ، وإن شئت قلت : حجاباً ساتراً ، على ما ذكرنا .

٤٦ . قوله تعالى : ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةٌ﴾ جمع كنان ، وهو ما ستر الشيء^(٢) ، قال ابن عباس : يريد مثل كنانة النبل^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ ؛ أي كراهية أن يفقهوه ، وألاً يفقهوه ، وقد ذكرنا هذا في مواضع ، كقوله : ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء : ١٧٦] ، ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ : ثقلاً وصمماً ، وفيه إضمار حذف لدلالة الكلام عليه ، وهو : أن يسمعوه ، ودلّ عليه قوله : ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ ، وهذا صريح في الرد على القدرية ؛ إذ أخبر تعالى أنه حال بين قلوبهم وبين فهم القرآن ؛ بما جعل عليها من الأكنة بين آذانهم وبين استماع الوحي استماعاً يتنفعون به ، بما جعل فيها من الوقْر ، وهذه الآية مما سبق تفسيره في سورة الأنعام^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِرَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ . قال المفسرون : يعني قلت : لا إله إلا الله ، وأنت تتلو القرآن^(٥) .

(١) أخرجه بلفظه : عبدالرزاق ٣٧٩/٢ ، والطبري ٩٣/١٥ ، وورد بلفظه في تفسير السمرقندي

٢٧٠/٢ ، وانظر : تفسير البغوي ٩٧/٥ ، وابن الجوزي ٤٠/٥ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (كنز) ٣١٩٦/٤ ، والمحيط في اللغة ١٤٤/٦ ، والصاحح ٢١٨٨/٦ ، واللسان ٣٩٤٢/٧ .

(٣) ورد غير منسوب في تفسير ابن عطية ٩٩/٩ ، والفخر الرازي ٢٢٢/٢٠ .

(٤) آية [٢٥] .

(٥) ورد في تفسير مقاتل ١/٢١٥ ، بنحوه ، والطبري ٩٤/١٥ ، بنصه ، والسمرقندي ٢٧١/٢ ، بنحوه ، وهود الهواري ٤٢٢/٢ ، بنحوه ، والثعلبي ١١٠/٧ ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ٩٧/٥ ، وابن الجوزي ٤١/٥ .

﴿وَلَوْ أَعْلَمَ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ الآية . قال ابن عباس : يريد : كارهين أن يُوحَّد^(١) الله^(٢) .

وقال قتادة : إن النبي ﷺ لما قال : لا إله إلا الله ، أنكر ذلك المشركون وكبر عليهم^(٣) .

وقال أبو إسحاق في قوله : ﴿نُفُورًا﴾ يحتمل مذهبَيْن؛ أحدهما : المصدر ، المعنى : وَلَوْ نَافَرَيْنِ نُفُورًا ، والثاني : أن يكون (نفوراً) جمع نافر مثل شاهد وشهود^(٤) .

٤٧ . قوله تعالى : ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ الآية . قال المفسرون : أمر رسول الله ﷺ علياً - رضي الله عنه - أن يتخذ طعاماً ويدعو إليه أشراف قريش من المشركين ففعل ذلك علي ، ودخل عليهم رسول الله ﷺ وقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى التوحيد ، وقال : «قولوا : لا إله إلا الله ، لتطيعكم العرب وتدين لكم العجم ، فأبوا ذلك عليه»^(٥) .

(١) في الوسيط : يُوحِّدوا؛ أي هم الكارهون ، وعلى رواية البسيط : الضمير عام يعود عليهم وعلى غيرهم .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢ / ٥٠٤ ، بنصه تقريباً .

(٣) أخرجه الطبري ١٥ / ٩٤ ، بنحوه ، انظر : تفسير ابن كثير ٣ / ٤٩ ، وورد بنحوه بلا نسبة في تفسير هود الهواري ٢ / ٤٢٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٤٣ ، بتصرف يسير .

(٥) في النسخ جميعها : (عليهم) ، والصواب ما أثبتته ؛ لأن الضمير يعود على الرسول ﷺ .

وكانوا يسمعون من النبي ﷺ ، ويقولون بينهم متناجين : هو ساحرٌ ، وهو مسحور ، وما أشبه ذلك من القول ^(١) ، فأخبر الله نبيه - عليه السلام - بذلك ، وأنزل عليه : ﴿ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ﴾ ^(٢) . يحتمل أن تكون التاء زائدة .

والمعنى : نحن أعلم بما يسمعون إذ يسمعون إليك ، وأنت تقرأ القرآن وتدعوهم إلى الإسلام ، أخبر الله تعالى أنه عالمٌ بتلك الحالة ، وبذلك الذي كانوا يسمعون إذ يستمعون إلى الرسول .

(١) ورد هذا المقطع في معاني القرآن وإعرابه ٢٤٣/٣ ، بنصه .

(٢) ورد بنحوه مختصراً - ومن دون ذكر قول النبي ﷺ في تفسير الثعلبي ١١٠/٧ ب ، وورد بنصه ، ومن دون قول النبي ﷺ ، في الوسيط ، تحقيق سيسي ٥٠٥/٢ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤٢/٥ ، والفخر الرازي ٢٠/٢٢٣ بنصه ، والقرطبي ١٠/٢٧٢ ، ولم أقف على أثر ، في كتب أسباب النزول ولا في كتب التفسير المتقدمة المتداولة - غير الثعلبي - بأن الآية نزلت في هذه الحادثة ، والمعلوم أن إثبات سبب نزول آية ما يفتقر إلى دليل صحيح . وورد نحو من هذه الحادثة - وفيها قول النبي ﷺ في سبب نزول صدر سورة (ص) ؛ جاء في السيرة أن أشراف قريش جاؤوا أبا طالب في شأن النبي ﷺ فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه فقال : يا ابن أخي ، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عم ، كلمة واحدة يُعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » ، فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات ، قال : تقولون : لا إله إلا الله ، فنفروا وقالوا ما حكاه القرآن : ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ [ص : ٥] ، فأنزل الله صدر سورة (ص) . ورواية الطبري فقال أبو طالب : وإلام تدعوهم ؟ قال : أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم . وفي رواية أحمد والترمذي والبيهقي : « تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية » . قال الترمذي : هذا حديث حسن ، وصححه أحمد شاكر ، ورواية الحاكم والواحد في أسباب النزول : تدل ، بدل : تدين . قال الحاكم : هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . انظر : سيرة النبي لابن هشام ٢/٢٧ ، والمسند ١/٢٢٧ ، ٣٦٢ ، وسنن الترمذي (٣٢٣٢) ، تفسير سورة ص ، وتفسير الطبري : ط . شاكر ١٠/٥٥٣ ، والمستدرک ٢/١٠٨ ، ودلائل البيهقي ٢/٣٤٥ ، وأسباب النزول ٣٨٠ ، وتفسير ابن كثير ٣/٥٠ ، وشرح المسند ٢/٣١٤ ، وكل الروايات جاءت عن ابن عباس ما عدا رواية الطبري فهي عن السدي .

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجَوُا﴾. قال ابن عباس: يريد يتناجون بينهم بالكذب والاستهزاء^(١) قال أبو عبيدة:

نجوى مصدر ناجيت^(٢)، وذكرنا هذا الحرف عند قوله: ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠]. قال أبو إسحاق: النجوى اسم المصدر، والمعنى: وإذ هم ذُؤو^(٣) نجوى^(٤)؛ أي يتناجون ويُسَارُّ^(٥) بعضهم بعضاً.

﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾، قالوا: يعني الوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وأبا جهل وحويطبا، وقرناءهم من المشركين^(٦).

﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾: ما تتبعون، ﴿إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾، كلام المفسرين في هذه الآية يدل على أنهم قالوا هذا القول في ما بينهم مُسَارِّين، فأطلع الله نبيه على ذلك، وعلى هذا يحتاج إلى تقدير محذوف في الآية؛ لأن هؤلاء لم يتبعوا رسول الله ﷺ فيصح أن يقال لهم: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾، ولكن التقدير: إذ يقول الظالمون، إذا تبعتموه لم تتبعوا إلا رجلاً مسحوراً، وإن كان هذا القول منهم للمسلمين فهو ظاهر ولا يحتاجون إلى إضمار، والمسحور^(٧): الذي قد سحر فاختلط عليه أمره، وأزيل عن حد الاستواء، هذا قول أكثر أهل اللغة^(٨).

(١) ورد في تفسيره الوسيط، تحقيق سيسي ٢/ ٥٠٥، بنصه.

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٨١، بنصه.

(٣) في (ع) مطموسة، وفي باقي النسخ: (ذوي)، وهو خطأ نحوي ظاهر، والمثبت موافق للمصدر.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٣، بتصرف يسير.

(٥) من الإسرار، وهو: الكتم والإخفاء.

(٦) ورد بنحوه مختصراً في تفسير مقاتل ١/ ٢١٥ ب، والثعلبي ٧/ ١١٠ ب، والماوردي ٣/ ٢٣٧.

(٧) في النسخ جميعها: (المستحق)، والصواب ما أثبتته.

(٨) ورد في تهذيب اللغة (سحر) ٢/ ١٦٤٠، بنحوه، انظر: جهرة اللغة (سحر) ١/ ٥١١، والمحيط في

اللغة ٢/ ٤٧٩، ومجمل اللغة ١/ ٤٨٧، ومقاييس اللغة ٣/ ١٣٨، والصحاح ٢/ ٦٧٨، والمحكم

٣/ ١٣١.

وقال ابن الأعرابي : المسحور : الذَّاهِبُ الْعَقْلُ الْمُفْسَدُ ، وأنشد^(١) :

فَقَالَتْ : يَمِينُ اللَّهِ أَفْعَلُ إِنِّي

رَأَيْتُكَ مَسْحُورًا يَمِينُكَ فَاجِرَةٌ^(٢)

قال : وطعامٌ مَسْحُورٌ إذا أُفْسِدَ عَمَلُهُ ، وأَرْضٌ مسحورة : أصابها من المطر أكثر مما ينبغي فأفسدها^(٣) . وقال أبو عبيدة : يريد بشراً ذارِئَةً^(٤) .

قال ابن قتيبة : ولست أدري ما الذي اضطره إلى هذا التفسير المُستَكْرَه ، وقد سبق التفسير من السلف بما لا استكره فيه . قال مجاهد في قوله : ﴿رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ؛ أي مخدوعاً^(٥) ؛ لأن السحر حيلة وخديعة^(٦) .

وروى عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿مَسْحُورًا﴾ . قال : يريد مخلوقاً^(٧) .

(١) للناطقة الذبياني .

(٢) ديوانه ١٢١ ، وورد في تهذيب اللغة (سحر) ١٦٤٠ / ٢ ، واللسان (سحر) ١٩٥٢ / ٤ .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (سحر) ١٦٤٠ / ٢ ، بنصه تقريباً .

(٤) مجاز القرآن ٣٨١ / ١ ، باختصار ، ووضح أنه اقتبسه من الغريب لابن قتيبة ٢٥٦ / ١ لوروده بنصه .
وبقية كلام أبي عبيدة ، كما في تفسير القرطبي ٢٧٢ / ١٠ فهو لا يستغني عن الطعام والشراب ، فهو مثلكم وليس بملك ، وتقول العرب للجبان : قد انتفخ سحره ، ولكل من أكل من آدمي وغيره أو شرب مسحور ومُسَحَّر ، انظر : تفسير الطبري ٩٦ / ١٥ ، وأبي حيان ٤٤ / ٦ .

(٥) ورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ١٦١ / ٤ ، والسمرقندي ٢٧١ / ٢ ، والماوردي ٢٤٧ / ٣ ، وانظر : تفسير السمعاني ٢٤٦ / ٣ ، والبغوي ٩٨ / ٥ .

(٦) الغريب لابن قتيبة ٢٥٦ / ١ ، بنصه .

(٧) أي بشراً مخلوقاً .

وهذا يؤكد قول أبي عبيدة : ذو سحر^(١) ، ويجوز أن يكون من السَّحَر بمعنى :
الغذاء^(٢) ، ومنه قول امرئ القيس :

وَنُسَحَّرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ^(٣)

والاختيار هو القول الأول ؛ لقوله تعالى إخباراً عن فرعون : ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ
يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١] لا يجوز أن يكون أراد مخلوقاً ، وذا سحر ، وإنما أراد :
مخدوعاً ، والمشركون كانوا يذهبون إلى أن النبي ﷺ يُعَلِّمُ ما يأتي به ويُجَدِّعُ بذلك ،
يدلُّ على هذا قوله : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] ،
فلذلك قالوا له : ﴿مَسْحُورًا﴾ .

٤٨ . قوله تعالى : ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ ؛ أي بينوا لك الأشياء ،
حين شبهوك بالكاهن والساحر والشاعر والمعلم والمجنون .

(١) مجاز القرآن ١ / ٣٨١ ، بمعناه ، والظاهر أن القول مقتبس من الغريب لابن قتيبة ٢٥٦ لوروده بنصه .

(٢) وهو قول الليث ؛ ورد في تهذيب اللغة (سحر) ١٦٤١ / ٢ ، بلفظه .

(٣) صدره :

أَرَانَا مُؤْضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ

ديوانه ٤٣ ، وورد في : البيان والتبيين ١ / ١٩٨ ، والغريب لابن قتيبة ١ / ٢٥٦ ، وجهرة اللغة
١ / ٥١١ ، وتهذيب اللغة (سحر) ١٦٤١ / ٢ ، والصحاح (سحر) ٦٧٩ / ٢ ، والمحكم (سحر)
٣ / ١٣٢ ، وتفسير ابن عطية ٩ / ١٠٢ ، وابن الجوزي ٦ / ٤٢ ، واللسان (سحر) ٤ / ١٩٥٢ ، وفي
بعض المصادر : (لَحَمٌ) بدل (لَأَمْرٍ) ، قال ابن بري : (مُؤْضِعِينَ) : سائرين مسرعين ، (ولأمر غيب) :
يريد الموت ، وأنه قد غُيِّبَ عنا وقتُه ، ونحن نُلْهِى عنه بالطعام والشراب ؛ فكأننا نُخَدِّعُ .

قال ابن قتيبة : وهذه الآية تدل على أن المسحور في الآية الأولى بمعنى المخدوع؛ لأنهم لو أرادوا رجلاً ذا رِثَّةٍ لم^(١) يكن في ذلك مثلاً ضربوه ، ولكنهم لما أرادوا رجلاً مخدوعاً - كأنه بالخدعة سُحر - كان مثلاً ضربوه وتشبيهاً شبهوه^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ فَضْلُكُمْ ﴾ ؛ أي عن الحق والطريق المستقيم ، ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ ، قال مجاهد : مخرجاً^(٣) ، وقال ابن عباس : يريد سبيل الهدى^(٤) .

٤٩ . وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَمًا وَرُفْنًا ﴾ ، الرَّفْتُ : كَسْرُ الشيء بيدك ، يقال : رَفْتُهُ ، أَرْفَيْتُهُ بالكسر ، كما تَرَفْتُ المدَرَ والعَظْمَ البالي ، والرُّفَاتُ : الحُطَامُ من كل شيء تَكَسَّرَ ، ويقال : رَفَتْ عِظَامُ الْجَزُورِ رَفْتًا إِذَا كَسَرَهَا لِيُطْبَخَهَا ، ومن هذا يقال للثَّبْنِ : الرَّفْتُ^(٥) ؛ لأنه دَقَاقٌ^(٦) الزرع .

وقال الأخفش : يقال : رُفِتَ رَفْتًا فهو مرفوت ، نحو حُطِمَ حِطْمًا فهو محطوم^(٧) ، والرُّفَات والحُطَام الاسم ، كالجُذَاذ والرُّضَاض^(٨) .

(١) في النسخ جميعها : (ولم) ، وهذه الواو زائدة أدت إلى اضطراب المعنى ، ويستقيم من دونها ، كما في المصدر .

(٢) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٧ ، بنصه .

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٣ ، بلفظه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ٩٧ ، بلفظه ، وورد بلفظه في تفسير هود الهواري ٢/ ٤٢٣ .

(٤) ورد بلا نسبة في تفسير ابن عطية ٩/ ١٠٤ ، والقرطبي ١٠/ ٢٧٣ ، وأبي حيان ٦/ ٤٤ .

(٥) انظر : جهرة اللغة (رفت) ١/ ٣٩٣ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٤٣٦ ، ومجمل اللغة ١/ ٣٩٠ ، واللسان ٣/ ١٦٨٦ .

(٦) الدَّقَاقُ : فُتَاتُ كُلِّ شَيْءٍ دُقَّ ، وقيل : هو التراب اللَّيِّن الذي كسحته الريح من الأرض ، ومنه الدَّقِيقُ : الطحين . انظر : المحيط في اللغة (دقق) ٥/ ١٩٧ ، واللسان ٣/ ١٤٠١ .

(٧) ليس في معانيه ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢٢٤ ، بنصه ، والقرطبي ١٠/ ٢٧٣ ، وورد نحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦٢ منسوباً إلى الكسائي وأبي عبيدة وهو بمعناه في المجاز .

(٨) الرُّضُ : دُقُّ الشَّيْءِ ، ورُضَاضُ الشَّيْءِ : فُتَاتُهُ ، وكلُّ شَيْءٍ كَسَرْتَهُ فَقَدْ رَضَضْتَهُ . اللسان (رضض) ٣/ ١٩٥٦ .

وقال الفرّاء : الرفات لا واحد له ، نحو الدُّقاق والحُطام^(١) .

وقال ابن قتيبة : الرفات مثل الفُتات^(٢) ، هذا كلام أهل اللغة .

قال ابن عباس في رواية عطاء أي إذا ذهب اللحم والعروق والدم و^(٣) بقيت عظام قد رثّت^(٤) وبليّت ورَمّت^(٥) ، فإذا مسسته وجعلته بين إصبعيك انسحق^(٦) .

وقال في رواية الوالبي في قوله : ﴿وَرُفْنَا﴾ قال : غباراً^(٧) .

وقال مجاهد : تراباً^(٨) ، وهو قول الرّجّاج^(٩) والفرّاء^(١٠) .

وقوله تعالى : ﴿أَنَّا لَبَعُوْثُوْنَ خَلْقًا جَدِيْدًا﴾ انتصب خلقاً على المصدر؛ لأنه بمعنى : بعثاً جديداً؛ أي أُنْبِعثُ إذا صرنا تراباً؟!

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٢٥ ، بنصه تقريباً .

(٢) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٧ ، بنصه .

(٣) الواو ساقطة من (أ) و(د) .

(٤) الرث : الخَلَقُ الخَسِيسُ البالي من كل شيء ، ورث الشيء وأرث؛ أي خَلُقَ . انظر : المحيط في اللغة (رث) ١٠/ ١٢٤ ، واللسان (رث) ٣/ ١٥٨٠ .

(٥) قال ابن الأثير : أصل هذه الكلمة من رَمَ الميْتُ ، وأرَمَ : إذا بَلِيَ ، والرَّمة : العظم البالي . النهاية ٢/ ٢٦٦ .

(٦) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٠٦ ، بنصه .

(٧) أخرجه الطبري ١٥/ ٩٧ ، بلفظه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، وورد بلفظه في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٠ ، انظر : تفسير ابن عطية ٩/ ١٠٥ ، والقرطبي ١٠/ ٢٧٣ ، وابن كثير ٣/ ٥١ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٣٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٣ ، بلفظه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ٩٧ ، بلفظه من طريقين ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦٢ ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٤٢٣ ، والثعلبي ٧/ ١١٠ ، والطوسي ٦/ ٤٨٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٣٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٤ ، بلفظه .

(١٠) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٢٥ ، بلفظه .

٥٠-٥١. قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۖ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾. اختلفوا في معنى قوله: ﴿خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾. فقال ابن عباس في رواية عطاء: يعني الموت^(١)، وهو قول مجاهد في رواية خُصَيْف وعكرمة والحسن وابن جريج وسفيان وأبي صالح وابن عمر والكلبي، قالوا: ليس شيء أكبر في صدور بني آدم من الموت، يقول: لو كنتم الموت لأماتكم الله ثم أحياكم^(٢).

قال الكلبي: قالوا: يا محمد، أرأيت لو كنا الموت، من يمينتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾^(٣): يعني الموت.

وروي عن مجاهد أيضاً أنه قال: يعني السماء والأرض والجبال^(٤).

(١) أخرجه الطبري ٩٨/١٥ من طريق العوفي (ضعيفة)، قال: إن كنتم الموت أحييكم، والحاكم: تفسير، الإسرائ ٣٦٢/٢، بلفظه من طريق مجاهد (صحيحة)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وورد بلفظه في تفسير الماوردي ٢٤٨/٣، والطوسي ٤٨٧/٦، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٣٩/٤، وزاد نسبه إلى عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد.

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٣٧٩/٢، بنحوه عن الكلبي، وابن أبي شيبه ١٣٤/٧، بنحوه عن ابن عمر، والطبري ٩٨/١٥، بنحوه عن ابن عمر وابن جريج عن ابن جبير، وعن أبي صالح والحسن قالا: الموت، وأبو الشيخ في العظمة ٢١٢، مختصراً عن الحسن، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٦٣/٤، مختصراً عن ابن عمر ومجاهد وعكرمة وأبي صالح، وتفسير السمرقندي ٢٧٢/٢، بنحوه عن الكلبي والحسن وعكرمة، وهود الهواري ٤٢٤/٢، بنحوه عن الحسن، والثعلبي ١١٠/٧، مختصراً عن مجاهد وعكرمة، والماوردي ٢٤٨/٣، مختصراً عن ابن عمر، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٣٩/٤، بنحوه، وزاد نسبه إلى عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عمر.

(٣) لم أقف عليه، وقد انفرد المؤلف بإيراد هذا القول على أنه سببٌ في النزول، ولم يورده في كتابه أسباب النزول أو تفسيره الوسيط، وهذا القول لا يعتد به في باب أسباب النزول، لعدم وروده بسند، وحتى مع إسناده فإن الرواية عن طريق الكلبي ضعيفة كما هو معلوم.

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٣٧٩/٢، بنصه، وورد بنصه في تفسير الثعلبي ١١٠/٧، والماوردي ٢٤٨/٣، والطوسي ٤٨٧/٦، وانظر: تفسير السمعاني ٢٤٨/٣، وابن عطية ١٠٧/٩، وابن الجوزي ٤٤/٥.

وروي عن ابن [أبي] ^(١) نجيح عنه ، قال : ما شئتم فكونوا ، سيعيدكم الله كما كنتم ^(٢) .

قال أبو إسحاق : ومعنى هذه الآية فيه غموض ؛ لأن القائل يقول : كيف يقال لهم : ﴿ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ وهم لا يستطيعون ذلك ، فالجواب في ذلك أنهم كانوا يُقَرِّرون أن الله خالقهم وينكرون أن الله يعيدهم ^(٣) ، ف قيل لهم : إن تستشعروا أنكم لو خلقتكم من حجارة أو حديد أو كنتم الموت - الذي هو أكبر الأشياء في صدوركم - لأ ماتكم الله ثم أحياكم ؛ لأن القدرة التي بها أنشأكم ^(٤) بها يعيدكم ^(٥) ، وهذا معنى قوله : ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا ﴾ ، فقل : ﴿ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ فَسَيَنْفُضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ . قال الفراء : نَعَضَ فلان رأسه يَنْعُضُهُ إنغاضاً ؛ إذا حَرَّكَه إلى فوق وإلى أسفل ، ونَعَضَ رأسه إذا تَحَرَّكَ ، وَنَعَضَتْ

(١) ساقطة من النسخ جميعها .

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٢٦٣ ، بنصه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ٩٨ ، بنصه من طريقين ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦٣ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٧١ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٣٩ وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

وهذا القول هو الصحيح ، وهو الذي رجحه الطبري وتبعه ابن عطية ونصره ، وحجته أن الله - عز وجل - أطلق القول ولم يخصه بشيء ، لذلك فكل ما كبر في صدور بني آدم من خلقه يكون مقصوداً .

انظر : تفسير الطبري ١٥/ ٩٩ ، وابن عطية ٩/ ١٠٧ .

(٣) في النسخ جميعها : (يعيدكم) ، والصواب ما أثبتته ، وبه يستقيم الكلام وتنسجم الضمائر .

(٤) ساقطة من (أ) و(د) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٤ ، بتصرف يسير .

سِنَّهُ، تَنْغَضُ وَتَنْغَضُ وَتَنْغَضُ، نَغْضًا وَنَغْضَانًا وَنَغْضًا، وَسُمِّيَ الظَّلِيمُ ^(١) نَغْضًا
لأنه يُجْرِكُ رأسه ^(٢)، وأنشد ^(٣) للعجاج:

أَسْكَ نَغْضًا لَا يَنِي مُسْتَهْدَجًا
مُسْتَهْرَجٌ يَحْمِلُ عَلَى أَنْ يَهْرَجَ هَرْجَانًا ^(٤)

وهو ^(٥) ضرب من العدو.

(١) الظليم: هو الذكر من النعام، وجمعه: ظُلُمَان. انظر: التلخيص ٢/ ٦٤١، والصحاح (ظلم) ١٩٧٨/٥.

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٢٥، بنحوه بعض الفقرات، وورد بعضها بنحوه في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤، وتهذيب اللغة (نغض) ٤/ ٣٦٢١، ولعله قد ركب النص من هذه المصادر الثلاث، ولما كان أغلب النقل عن الفرّاء نسبة إليه من دونهم. والله أعلم.

(٣) الضمير يعود على الفرّاء، لكن الذي أنشد البيت هو الزّجاج، وليس الفرّاء.

(٤) ديوانه ١٧/ ٢، وروايته مختلفة ومقلوبة:

واستبدلت رُسُومُهُ سَفَنَجًا أَصْكَ نَغْضًا لَا يَنِي مُسْتَهْدَجًا

وورد برواية الديوان في المعاني الكبير ١/ ٣٢٩، والاقتضاب ٤٢٠، وورد صدره في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٥، وتهذيب اللغة (هدج) ٤/ ٣٧٣٨، والصحاح (نغض) ٣/ ١١٠٩، وتفسير الطوسي ٦/ ٤٨٧، واللسان (هدج) ٨/ ٤٦٣٠، (نغض) ٨/ ٤٤٨٩، وفي بعض هذه المصادر: (أصك) بدل (أسك)، (أسك)؛ السَّكْكُ: الصمم، يقال: ظليم أسك؛ لأنه لا يسمع، وقيل: السكك: صغر الأذن ولزوقها بالرأس، (أصك)؛ الصكك: اضطراب الركبتين والعرقوين، وظليم أصك: لتقارب ركبتيه؛ يصيب بعضها بعضاً إذا عدا، (سفنَجاً): يعني بالسفنَج الظليم؛ وهو ذكر النعام، (لا يَنِي): لا يزال، (مستهدجاً): يُحْمَلُ على الهدج؛ وهو تقارب الخطو مع سرعة المشي. قال ابن الأعرابي: مستهدجاً: مستعجلاً؛ أي أفزعَ فمراً، ومن رواه بكسر الدال أراد أنه لا يزال عجلاً في عدوه، (مستهرج): الهرجُ: الاختلاط؛ وأصل الهرج: الكثرة في الشيء. انظر: اللسان: (هرج، سكك، صكك).

(٥) الضمير يعود على الاستهداج.

وقال أبو الهيثم : يقال للرجل إذا أُخْبِرَ بشيءٍ فَحَرَّكَ رَأْسَهُ إنكاراً له : قد أَنْغَضَ رَأْسَهُ^(١) .

قال ابن عباس في رواية الوالبي ، في قوله : ﴿فَسَيَنْغْضُونَ﴾ . قال : يهزون^(٢) . وقال مجاهد : [فسيحركونها]^(٣) .

وقال عطاء عن ابن عباس : يحركون رؤوسهم تكذيباً لهذا القول^(٤) .

وقال الزَّجَّاج^(٥) : فسيحركون رؤوسهم تحريك من يبطل الشيء وَيَسْتَبْطِئُهُ^(٦) ، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ .

وقال ابن قتيبة أي يحركونها تحريك المستبعدِ رَأْسَهُ^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ ؛ أي البعث أو الإعادة ، وقد تقدَّم الفعل منها^(٨) ، والفعل يدل على المصدر ، ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ . قال المفسرون :

-
- (١) ورد في تهذيب اللغة (نغض) ٣٧٣٨/٤ ، بنصه تقريباً .
 (٢) أخرجه الطبري ١٥٠/١٥ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) .
 (٣) تفسير مجاهد ١/٣٦٤ ، بنحوه .
 (٤) أخرجه الطبري ١٥٠/١٥ ، بنحوه ، عن عطاء الخراساني (منقطعة) ، وورد بنحوه في تفسير الماوردي ٣/٢٤٨ ، والطوسي ٦/٤٨٧ ، وورد بنحوه عن عطاء في تفسير مجاهد ١/٣٦٤ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٣٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .
 (٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .
 (٦) في النسخ جميعها : (يستطيعه) ، ولا معنى لها ، والتصويب من المصدر ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/٢٤٤ ، بنصه .
 (٧) الغريب لابن قتيبة ٢٥٧ ، بنحوه .
 (٨) في قوله : ﴿أَنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ، وقوله : ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ .

يعني هو قريب^(١)، قال ابن عباس : وعسى من الله واجب^(٢)، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

٥٢ . قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ انتصب يوم على البدل من قوله : ﴿قَرِيبًا﴾ على معنى : قل عسى أن يكون يوم يدعوكم ، ويكون تأويله : عسى أن يكون البعث قريباً يوم يدعوكم ، وهذا معنى قول أبي إسحاق أي يعيدكم يوم القيامة^(٣) ، ومعنى يدعوكم أي بالنداء الذي يُسْمِعُكُمْ؛ وهو النفخة الأخيرة؛ كما قال : ﴿يَوْمَ يَنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١] .

وقوله تعالى : ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾؛ أي تجيبون ، والاستجابة : موافقة الداعي في ما دعا إليه؛ وهي الإجابة ، إلا أن الاستجابة تقتضي طلب الموافقة ، فهي أوكد من الإجابة^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿بِحَمْدِهِ﴾ . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يقول : بأمره^(٥) ، وهو قول سفيان^(٦) ، ولا أدري وجه هذا القول من اللغة ، وقال سعيد بن جبير : يخرجون من قبورهم يقولون : سبحانك وبحمدك ، فهو قوله :

(١) ورد بنحوه في تفسير الطبري ١٥/١٠١ ، والسمرقندي ٢/٢٧٢ ، والثعلبي ٧/١١١ أ ، والطوسي ٤٨٨/٦ .

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور ١/٤٣٨ بنصه ، وعزاه إلى ابن المنذر والبيهقي في سننه - لم أقف عليه - من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٤٥ ، بنصه .

(٤) ورد في تفسير الطوسي ٦/٤٨٩ ، بنصه تقريباً .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/١٠١ ، بلفظه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/١١١ بلفظه ، انظر : تفسير البغوي ٥/٩٩ ، وابن الجوزي ٥/٤٥ ، وابن كثير ٣/٥٣ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٣٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٦) ورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/١٦٥ ، والماوردي ٣/٢٤٩ .

﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾^(١)، وقال قتادة: يقول: بمعرفته وطاعته يوم القيامة^(٢)، ومعنى هذا أنهم إذا أجابوا بالتسبيح والتحميد كان ذلك معرفة منهم وطاعة، ولكنه لا ينفعهم الحمد.

وقال أبو إسحاق: يستجيبون مقرّين بأنه خالقهم^(٣)، وهذا معنى قول قتادة.

قال أهل المعاني: تستجيبون بحمده: تستجيبون حامدين^(٤)، كما تقول: جاء بغضبه؛ أي جاء غضبان، وخرج زيد بشيابه، وركب الأمير بسيفه؛ أي وسيفه معه^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد بين النفختين الأولى والثانية يُكْفُ عنهم العذاب فينامون^(٦)، مثل قوله: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، وهم يعذبون من حين يموتون إلى النفخة الأولى، فعلى هذا القول ظنهم اللَّبَثُ القليل يعود إلى لُبْثهم بين النفختين، وقيل: معنى هذا: تقريب وقت البعث، كما قال الحسن: كأنك بالدنيا لم تكن وبالأخرة لم

(١) ورد في تفسير الثعلبي ١١١/٧، بنحوه، انظر: تفسير الزمخشري ٣٦٤/٢، وابن الجوزي ٤٥/٥، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٣٩/٤، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري ١٥/١٠١، بنصه، وورد في تفسير الثعلبي ١١١/٧، بنصه، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٤٠، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٤٥، بنصه.

(٤) وقد ذكر الزمخشري ٣٦٣/٢ هذا القول وزاده بياناً، فقال: (بحمده) حال منهم؛ أي حامدين، وهي مبالغة في انقيادهم للبعث، مثل قولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع: ستركه وأنت حامد شاكر، يعني أنك تحمل عليه وتُقسر قسراً، حتى أنك تلين لين المسموح الراغب الحامد عليه. وإلى هذا القول نحا أبو حيان ٦/٤٧ أيضاً.

(٥) ورد في تفسير الطوسي ٦/٤٨٩، بنصه تقريباً، انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٠/٢٢٧.

(٦) ورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢/٢٧٢، والثعلبي ١١١/٧، والماوردي ٣/٢٤٩، وقال السمرقندي والثعلبي: هذا أصح ما قيل فيه؛ لأن بعض المبتدعة قالوا: إذا وضع الميت في قبره لا يكون عليه العذاب إلى وقت البعث، فيظنون أنهم مكثوا في القبر قليلاً.

تَزَلْ^(١)، فهو لاء إذا رأوا يوم القيامة وشاهدوا البعث، استقصروا مدة لُبْثِهِمْ مع ما يعلمون من طول لُبْثِهِمْ في الآخرة، وعند الحسن وقتادة: هذا اللَّبْثُ يعود إلى لُبْثِهِمْ في الدنيا لا إلى لُبْث البرزخ.

قال قتادة في قوله: ﴿وَتُظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾، ذاكم والله لما تحاقرت الدنيا في أنفسهم وقلَّت، حين عاينوا يوم القيامة^(٢).

وقال الحسن: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في الدنيا بطول لُبْثِكُمْ في الآخرة^(٣)، وهذه ثلاثة أقوال في معنى استقصارهم اللَّبْث^(٤).

ومن المفسرين من ذهب إلى أن هذا الخطاب للمؤمنين دون الكافرين، قال: وهذا أظهر في المؤمنين؛ لأنهم يستجيون^(٥) الله بحمده، ويحمدونه على إحسانه إليهم، ويستقلون مدة لُبْثِهِمْ في البرزخ؛ لأنهم كانوا غير معذبين^(٦)، والمفسرون على الأول.

-
- (١) ورد بنصه في تفسير الجصاص ٢٠٤/٣، والماوردي ٢٤٩/٣، والطوسي ٤٨٨/٦.
- (٢) أخرجه الطبري ١٠٢/١٥، بنحوه، وورد بنحوه في تفسير الجصاص ٢٠٤/٣، والماوردي ٢٤٩/٣، والطوسي ٤٨٩/٦، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٤٠/٤، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم.
- (٣) ورد بنصه في تفسير الماوردي ٢٤٩/٣، والطوسي ٤٨٩/٦.
- (٤) وأظهرها القول الثالث؛ قول قتادة وقول الحسن الثاني، وقد اقتصر الطبري وابن كثير على ذكره، وأيده ابن كثير بشواهد عدة قرآنية، أما القول الثاني فهو قريب من هذا، وأما القول الأول فطريقه إلى ابن عباس ضعيفة، لذلك نجد السمرقندي مع ترجيحه لهذا القول، فقد أورده بصيغة التمرّض.
- (٥) في النسخ جميعها: (لا يستجيون) بزيادة لا، ويضطرب المعنى بذلك، والتصويب من تفسيره الوسيط، ٥٠٨/٢.
- (٦) ورد في تفسيره الوسيط، تحقيق سيسي ٥٠٨/٢، بنصه، انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٢٨/٢٠، وأبي حيان ٤٨/٦.

٥٣. قوله تعالى : ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ . قال الأخفش : جعل ﴿يَقُولُوا﴾ جواباً للأمر^(١) في اللفظ ، كما قال : ﴿قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم : ٣١] .

قال الكلبي : كان المشركون يؤذون أصحاب النبي ﷺ بمكة^(٢) بالقول والفعل ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ وقالوا : يا رسول الله ، ائذن لنا في قتالهم ، فيقول لهم رسول الله ﷺ : «لم أؤمر فيهم بشيء» ، فأنزل الله هذه الآية^(٣) . ومعنى الآية : قل لعبادي المؤمنين يقولوا للكافرين الكلمة التي هي أحسن . قال الحسن : يقول له : يهديك الله^(٤) ، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ﴾ هو الذي يفسد بينهم^(٥) .

٥٤. قوله تعالى : ﴿زَيْكُمُ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنِّي يَشَأُ يَرْحَمُكُمْ﴾ الآية . فيها قولان ؛ أحدهما : أن هذا الخطاب للمشركين ، يقول : ﴿إِنِّي يَشَأُ يَرْحَمُكُمْ﴾ : يوفقكم فتؤمنوا ، ﴿أَوْ إِنِّي يَشَأُ يُعَذِّبُكُمْ﴾ : بأن يمتكم على الكفر فيعذبكم ، هذا قول ابن جريج^(٦) .

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٤ ، بنصه .

(٢) ساقطة من (د) .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١ ، بنصه تقريباً ، وأورده المؤلف في أسباب النزول ٤٩٥ ، بنحوه من دون إسناد ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٢ ، بنحوه عن ابن عباس ، والظاهر أن الكلبي يرويّه عنه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٩٩ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٦ ، عن أبي صالح عن ابن عباس ، والقرطبي ١٠/ ٢٧٧ ، عن الكلبي .

والحادثة تفتقر إلى إسناد لإثبات أنها سبب في النزول ، وهو ما لم أقف عليه ، وحسبك أنها رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، ومصدرها الثعلبي ، وهذه الطريق هي أوهى الطرق إلى ابن عباس .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٢ ، بمعناه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٤٨٩ ، بمعناه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٩٩ ، بنصه ، وابن الجوزي ٥/ ٤٧ ، بنصه ، والقرطبي ١٠/ ٢٧٧ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤٠ .

(٥) ورد بلفظه في تفسير الطبري ١٥/ ١٠٢ ، والثعلبي ٧/ ١١١ ، والطوسي ٦/ ٤٨٩ .

(٦) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٢ ، بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي بنصه تقريباً ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٩٩ ، والقرطبي ١٠/ ٢٧٨ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

القول الثاني: أن الخطاب للمؤمنين يقول: ﴿إِنْ يَشَأْ يُرَحِّمُكُمْ﴾: بالإنجاء من كفار مكة وأذاهم، ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾: بتسليطهم عليكم، وهذا قول الكلبي^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾؛ أي حافظاً وكفياً، يعني لا شيء عليك من كفرهم، فإن عليك التبليغ، وما وكل إليك إيمانهم، والله أعلم بهم إن شاء هديهم^(٢) وإن شاء خذهم.

٥٥. وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. قال ابن عباس: هو أعلم بهم؛ لأنه خلقهم، فهدى بعضهم، وأضل بعضهم، كما قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِرْتُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢].

وقال أهل المعاني: إنما ذكر أنه أعلم بهم بعد قوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾؛ ليدل به على أن تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض وقع موقع الحكمة؛ لأنه من عالم بباطن الأمر^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ كلام المفسرين في هذا يدل على أن المعنى فيه: أن كل واحد منهم خُصَّ بفضيلة، فقال قتادة: نعم فضل الله بعض النبيين على بعض؛ فاتخذ إبراهيم خليلاً، وكلم موسى تكليماً، وجعل عيسى كلمته وروحه، وآتى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبوراً، وغفر لمحمد ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(٤).

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١ أ، بنحوه، والماوردي ٣/ ٢٥٠، بنحوه، انظر: تفسير البغوي

٢/ ١٠٠، والقرطبي ١٠/ ٢٧٨، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٢.

(٢) مطموسة في (ع)، وفي (د): (يهديهم).

(٣) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٩٠، بنصه.

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٣، بنحوه، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١ أ، بنحوه، انظر: تفسير البغوي

٥/ ١٠٠، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤١، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم.

وقال الكلبي: فضّل موسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة، واصطفى محمداً ﷺ، وأتى داود زبوراً^(١).

وقال ابن عباس في هذه الآية: يريد لذلك فضّلت ولد آدم؛ فمنهم من عَصَمْتُ، ومنهم من خَذَلْتُ، وفضّلت داود حيث أعطيته الزبور، يعني أن ذكر تفضيل النبيين هاهنا يكون^(٢) يدلُّ على تفضيل ولد آدم.

وقال أبو إسحاق: معنى ذكر داود هاهنا، أن الله أعلم أنه فضّل بعض النبيين على بعض؛ أي فلا تُنكِروا تفضيل محمد، وإعطاءه القرآن، فقد أعطى الله داود الزبور^(٣)، وقرأ حمزة: (زبوراً) بضم الزاي^(٤)، وذكرنا وجه ذلك في أواخر سورة النساء^(٥).

٥٦. قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِي﴾. قال المفسرون: ابتلى الله قريشاً وأهل مكة بالقحط سنين، فشكوا إلى رسول الله ﷺ فأُنزل الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِي﴾^(٦) قال ابن عباس: كل شيء (زَعَمَ) في كتاب الله فهو كَذَبٌ^(٧)، فعلى هذا نظم الآية: الذين ادّعيتهم كذباً من دونه؛ أي ادّعيتهم أنهم آلهة.

(١) انظر: تنوير المقياس ٣٠١ مختصراً.

(٢) يكون ثابتة في النسخ جميعها، وقد أدت إلى اضطراب المعنى، والأولى حذفها؛ لأن الكلام يستقيم من دونها.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٥/٣ بنصه.

(٤) انظر: السبعة ٣٨٢، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٧٦/١، والحجة للقراء ١٠٨/٥.

(٥) آية [١٦٣].

(٦) ورد في تفسير الثعلبي ٧/١١١ ب مختصراً، انظر: تفسير السمعاني ٣/٢٥٠، والبغوي ٥/١٠٠، وابن الجوزي ٥/٤٨، والقرطبي ١٠/٢٧٩، ولا يُعدُّ هذا سبباً في النزول - وإن عبر عنها بالصيغة الصريحة - لعدم تحقق شروطه.

(٧) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٠/٢٣١، والألوسي ١٥/٩٧.

وقال أبو إسحاق أي اذعوا الذين زعمتم أنهم اهتكم^(١)، ثم أخبر عن الآلهة فقال: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾؛ أي فهم لا يملكون، ﴿كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ﴾، يعني البؤس والشدة.

﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾. قال ابن عباس: يريد من السقم والفقر إلى الصحة والغنى^(٢)، وفي هذا احتجاج عليهم وبيان أنهم في عبادتهم على الباطل، والتَّحْوِيل: النقل من حال إلى حال، ومكان إلى مكان، يقال: حَوَّلَهُ فَتَحَوَّلَ، ويُذكر تمام هذا الحرف عند قوله: ﴿لَا يَبْعَثُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]، إن شاء الله.

٥٧. قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾؛ أي أولئك الذين يدعونهم المشركون، واختلفوا فيهم؛ من هم؟ فرؤي بطرق مختلفة عن ابن مسعود أنه قال: كان نفر من الإنس - قال المفسرون: وهم خزاعة^(٣) - يعبدون نفراً من الجن، فأسلم النفر من الجن، واستمسك الإنس بعبادتهم، فنزلت: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ الآية^(٤). روى هذا قتادة عن عبد الله بن معبد الزماني^(٥) عن ابن مسعود.

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٥، بنصه.

(٢) ورد غير منسوب في تفسير الثعلبي ٧/ ١١١ ب، والسمعاني ٣/ ٢٥٠، والقرطبي ١٠/ ٢٧٩.

(٣) ورد في معاني القرآن للقرّاء ٢/ ١٢٥، وانظر: تفسير أبي حيان ٦/ ٥١.

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٧٩، بنحوه من طريقين، والبخاري (٤٧١٥)، كتاب: التفسير، الإسراء، باب: قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْعَثُونَ إِلَيْنَا رِبَّهُمْ﴾ بنحوه من طريق الأعمش، وليس فيه التصريح بالنزول، ومسلم (٣٠٣٠)، كتاب: التفسير، باب: في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾، بنصه من طريق الأعمش، والنسائي في تفسيره ١/ ٦٥٢، بنحوه، والطبري ١٥/ ١٠٤ بنصه وبنحوه من طرق عدة ورجحه، والحاكم: التفسير/ الإسراء ٢/ ٣٦٢، بنحوه من طريق الأعمش، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦٥، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٣، وهود الهواري ٢/ ٤٢٦، والثعلبي ٧/ ١١١ ب، والماوردي ٣/ ٢٥٠، والطوسي ٦/ ٤٩١، وانظر: لباب النقول ١٣٧.

(٥) عبد الله بن معبد الزماني البصري، من جلة التابعين، ثقة، روى عن أبي هريرة وعبد الله بن عتبة رضي الله عنهما وروى عنه قتادة وثابت. انظر: الجرح والتعديل ٥/ ١٧٣، وميزان الاعتدال ٣/ ٢٢١، والكاشف ٢/ ٦٠٠، وتقريب التهذيب ٣٢٤ (٣٢٤).

وقال أبو صالح عن ابن عباس في هذه الآية : هم عيسى وعزير والملائكة ، وما كان عَبْدٌ من دون الله وهو الله مطيع^(١) ، ونحو هذا قال مجاهد والسدي والحسن^(٢) ، قال الفرّاء : قوله : ﴿يَدْعُونَ﴾ فعلُ الآدميين العابدين ، وقوله تعالى : ﴿يَبْتَغُونَ﴾ فعلٌ للمعبودين الذين عبدوهم^(٣) .

ومعنى ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ . قال ابن عباس : يتضرعون إلى الله في طلب الجنة^(٤) ، والوسيلة : الدرجة العليا^(٥) .

وقال الزّجاج : الوسيلة والسؤال والطلبُ في معنى واحد^(٦) ، وقد مرَّ ذكر الوسيلة^(٧) ، ﴿أُولَٰئِكَ﴾ رُفِعَ بالابتداء ، و﴿الَّذِينَ﴾ صفة لهم ، و﴿يَدْعُونَ﴾ صلة ، و﴿يَبْتَغُونَ﴾ خبر الابتداء .

(١) أخرجه الطبري ١٥/١٠٥ من طريق أبي صالح (واهيّة) بروايتين ، وفيها قال : عيسى وأمه وعزير ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/١٦٦ مختصراً ، وتفسير السمرقندي ٢/٢٧٣ بنصه ، والثعلبي ٧/١١١ بزيادة وأمه والشمس والقمر والنجوم ، والماوردي ٣/٢٥١ ، مختصراً ، والطوسي ٦/٤٩١ ، بنحوه ، انظر : تفسير البغوي ٥/١٠١ ، والدر المنثور ٤/٣٤٣ بزيادة وحذف ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

(٢) تفسير مجاهد ١/٣٦٤ ، وأخرجه الطبري ١٥/١٠٦ ، عن السدي ومجاهد من طريقين ، وورد في تفسير هود الهواري ٢/٤٢٦ ، عن الحسن ، والثعلبي ٧/١١١ ب عن مجاهد ، والماوردي ٣/٢٥١ عن مجاهد ، والطوسي ٦/٤٩١ عن الحسن ، انظر : تفسير ابن كثير ٣/٥٣ ، عن السدي .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/١٢٥ ، بمعناه .

(٤) ورد بنصه غير منسوب في تفسير الثعلبي ٧/١١١ ب ، والقرطبي ١٠/٢٧٩ .

(٥) ومن ذلك ماورد في حديث الأذان : « . . . آت محمدًا الوسيلة والفضيلة . . . » . أخرجه البخاري (٤٧١٩) ، كتاب : التفسير ، باب : أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة . . . (٦١٤) ، كتاب : الأذان ، الدعاء عند النداء ، قال ابن الأثير : وسل في الأصل : ما يُتَوَصَّلُ به إلى الشيء ويُتَقَرَّبُ به ، والمراد بها في الحديث : القرب من الله تعالى ، وقيل : هي الشفاعة يوم القيامة ، وقيل : هي منزلة من منازل الجنة . انظر : النهاية ٥/١٨٥ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٤٦ ، بنصه تقريباً .

(٧) في قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة : ٣٥] .

وقوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾. قال الزَّجَّاج: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ لأنه بدل من الواو في ﴿يَبْتَغُونَ﴾، والمعنى: يبتغي أيُّهم هو أقرب الوسيلة إلى الله؛ أي يتقرب إليه بالعمل الصالح^(١)، ونحو هذا قال ابن عباس في قوله: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ قال: يتقربون إلى الله بصالح الأعمال؛ فيرجون رحمته، ويريدون جنته، ويخافون عذابه.

قال أبو إسحاق أي الذين يزعمون أنهم آلهة يرجون ويخافون^(٢).

وقرأ ابن مسعود: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالتاء^(٣)، ﴿يَبْتَغُونَ﴾ بالياء، قال أبو عبيد: ولولا كراهة الخلاف لكانت هذه القراءة أثر عندي للخطاب الذي قبلها^(٤)، وذهب بعضُ المفسرين إلى أن هذه الآية من صفة الأنبياء الذين تقدم ذكرهم^(٥).

وروى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية، قال: ثم ذكر أوليائه، فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾. وعلى هذا القول الآية صفة المؤمنين.

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٦/٣، بنصه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٦/٣، بنصه.

(٣) ورد في إعراب القرآن للنحاس ٢٤٥/٢، انظر: تفسير الثعلبي ١١١/٧، وذكر أن ﴿يَبْتَغُونَ﴾ أيضاً بالتاء، وهو مما انفرد به، وقد قال القرطبي: ولا خلاف في ﴿يَبْتَغُونَ﴾ أنه بالياء، وتفسير السمعاني ٢٥٠/٣، والبغوي ١٠١/٥، وابن عطية ١١٩/٩، والقرطبي ٢٧٩/١٠، ووردت ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء مبنياً للمجهول في القراءات الشاذة لابن خالويه ٨٠، وإعراب القراءات الشاذة ٧٩٢/١، والقراءة بالتاء في (تدعون) و(تبتغون) شاذة أيضاً.

(٤) لم أفق عليه، ويردُّ عليه بأن الالتزام بالقراءة السبعية المتواترة مقدم على مراعاة السياق.

(٥) ورد في تفسير الطوسي ٤٩١/٦ - منسوباً إلى أبي علي، ونسب إلى ابن فورك في تفسير ابن عطية ١٢١/٩، وأبي حيان ٥١/٩.

٥٨. قوله تعالى : ﴿وَلَنْ مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ الآية . قال مجاهد : كل قرية في الأرض سيصيبها بعض هذا^(١)؛ هلاك أو عذاب بالقتل والبلاء ، وقال قتادة : قضاء من الله كما تسمعون ، ليس منه بُدٌّ؛ إما أن يهلكها بموت ، فقد قال : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ، وإما أن يهلكها بعذاب مُستأصل إذا تركوا أمره وكذبوا رسله^(٢) .

وقال ابن مسعود : إذا ظهر الزنا والربا في أهل قرية أذن الله في هلاكها^(٣) .
وقال مقاتل : أما الصالحة فبالموت ، وأما الطالحة فبالعذاب^(٤) .

وقال ابن عباس في هذه الآية : فَهَلَكُ أَهْلِهَا قبل يوم القيامة أو يعذبهم مثل ما فعل بأهل مكة؛ عذبهم بالجوع حتى أكلوا العلهز^(٥) .

﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ قال : يريد مكتوباً في اللوح المحفوظ .

وقال أبو إسحاق أي ما من أهل قرية إلا سيهلك^(٦)؛ إما بموت وإما بعذاب يستأصلهم^(٧) .

(١) تفسير مجاهد ١/٣٦٤ بنصه ، أخرجه الطبري ١٥/١٠٦ ، بنصه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/٢٧٤ ، بنحوه .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/١٠٧ بنصه .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/١٠٧ بنصه عن عبد الرحمن بن عبدالله ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/١١١ ب ، بنصه ، انظر : تفسير السمعاني ٣/٢٥٢ ، والقرطبي ١٠/٢٨٠ ، والخازن ٣/١٦٨ .

(٤) تفسير مقاتل ١/٢١٦ أ ، بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/١١١ ب ، بنصه .

(٥) العلهز : هو الوبر يعجن بالدم والقُرَاد يأكلونه . والقُرَاد : دويبة متطفلة . انظر : تفسير الطبري ١٤/١٨٦-١٨٧ .

(٦) في المصدر : (سيهلكون) مراعاة لمعنى ما ، أما الواحدي فقد راعى لفظها .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٤٧ ، بنصه .

٥٩. قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ . قال ابن عباس وقتادة والمفسرون: «سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، وأن يُنحِّي الجبال عنهم فيزُدُّوعوا^(١) فأتاه جبريل ، فقال : إن شئت كان ما سأل قومك ، ولكنهم إن لم يؤمنوا لم ينظروا ، وإن شئت استأنيت بهم ، قال : لا بل أستأن بهم ، فأنزل الله هذه الآية»^(٢) .

قال أبو إسحاق : (أن) الأولى نصب والثانية رفع ، المعنى : ما منعنا الإرسال إلا تكذيب الأولين ، والتأويل : أنهم سألوا الآيات التي استوجب بها الأولون العذاب لما كذبوا بها^(٣) ، وحقيقة المعنى : إننا لم نرسل بالآيات؛ لئلا يكذب بها هؤلاء كما كذب مَنْ قبلهم ، فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة .

فإن قيل : ما معنى قوله : ﴿وَمَا مَنَعَنَا﴾ ، والله تعالى لا يجوز أن يكون ممنوعاً عن شيء؟! قلنا : معناه هاهنا المبالغة في أنه لا يفعل ذلك ، فكأنه قد مُنِع منه؛ وذلك أن الإرادة الأزلية قد سبقت بتدبير الأمور وإمضائها؛ لا يؤخرُ منها مَقْدَم ولا يُقَدِّم مؤخَّر ، فإذا منعت الإرادة والمشيئة أمراً جاز إطلاق لفظ المنع على الوجه

(١) يقال : ازدرع إذا زرع أو أمر به لنفسه خصوصاً . المحيط في اللغة (زرع) ١/ ٣٨٣ .

(٢) أخرجه -بنحوه عن ابن عباس من طريق ابن جبير (جيدة) - أحمد ١/ ٢٥٨ ، والبزار ، كشف الأستار ٣/ ٥٥ ، والنسائي في تفسيره ١/ ٦٥٥ ، والطبري ١٥/ ١٠٨ ، والحاكم : التفسير/ الإسرائ ٢/ ٣٦٢ ، وقال : صحيح الإسناد وأقره الذهبي ، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٢٧١ بروايات عدة ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٠٨ ، بنحوه عن قتادة ، وأخرجه المؤلف في أسباب النزول ٢٩٥ ، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٥٢ - بروايتين عن ابن عباس وقال : وهذا إسنادان جيدان ، وأورده الهيثمي في المجمع ٧/ ٥٠ ، عن ابن عباس بروايتين ، وقال : رجال الروايتين رجال الصحيح ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤٣ وزاد نسبه إلى ابن المنذر والطبراني وابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس ، وقال شاكراً في شرح المسند ٢/ ٩٦ : إسناده صحيح ، وورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٤ ، عن ابن عباس ، وهود الهواري ٢/ ٤٢٧ ، والثعلبي ٧/ ١١١ ب ، انظر : لباب النقول ١٣٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٧ ، بنصه .

الذي ذكرنا ، والباء في قوله : ﴿بِالْآيَاتِ﴾ زيادة^(١) ، والمعنى : أن نرسل الآيات ، والآية مختصرة ؛ لأن التقدير : ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ فأهلكناهم ، قال المفسرون : وسنة الله في الأمم إذا سألوا الآيات فأتتهم ، ثم لم يؤمنوا أن يعذبهم ولا يمهلهم^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ . قال ابن عباس : يريد كانت لهم عياناً ، وقال قتادة : بينة^(٣) ، وقال مجاهد : آية مبصرة^(٤) .

قال الأخفش : المُبْصِرَةُ : البَيِّنَةُ ، كما تقول : المَوْضِحَةُ والمُبَيِّنَةُ^(٥) ، فعلى هذا أبصر واقع بمعنى بصر^(٦) .

وقال الفرّاء : جعل الفعل لها ، ومعنى ﴿مُبْصِرَةً﴾ : مضيئة ، كما قال تعالى : ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس : ٦٧] ؛ أي مضيئاً^(٧) .

قال الأزهري : والقول ما قال الفرّاء ؛ أراد : آتينا ثمود الناقة آية مبصرة ؛ أي مضيئة^(٨) ، وقد ذكرنا هذا في سورة يونس^(٩) وفي هذه السورة عند قوله : ﴿آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [آية : ١٢] .

(١) يقصد زيادة للتأكيد ، انظر : التعليق على القول بالزيادة في القرآن ، عند آية [١٠] من سورة إبراهيم .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ١١١/٧ ب ، بنصه تقريباً ، انظر : تفسير الخازن ١٦٩/٣ .

(٣) أخرجه الطبري ١٠٨/١٥ ، بلفظه ، انظر : تفسير الخازن ١٦٩/٣ بلا نسبة .

(٤) تفسير مجاهد ١/٣٦٤ ، بلفظه ، أخرجه الطبري ١٠٩/١٥ ، بلفظه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/١٦٧ ، بلفظه ، وتفسير هود الهواري ٢/٤٢٧ ، بلفظه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٢٥ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر .

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/٦١٤ ، بنصه .

(٦) ساقطة من (أ) و(د) .

(٧) معاني القرآن للفرّاء ٢/١٢٦ ، باختصار .

(٨) تهذيب اللغة (بصر) ١/٣٤٢ ، بلفظه .

(٩) آية [٦٧] .

وقوله تعالى: ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾. قال الزَّجَّاج: أي فظلموا بتكذيبها^(١)، وعلى هذا المعنى: ظلموا أنفسهم بتكذيب تلك الآية، ويكون المضاف محذوفاً، وقال المفسرون: كذبوا وجحدوا بها^(٢).

قال ابن قتيبة: ويكون الظلم: الجحد، كقوله: ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾؛ أي جحدوا بأنها من الله، وكقوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩]؛ أي يجحدون^(٣)، وذكرنا معاني الظلم في سورة البقرة^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾؛ أي العبر والدلالات، ﴿إِلَّا تَخَوِيفًا﴾ للعباد؛ ليتعظوا ويخافوا، قال قتادة: إن الله يخوف الناس بما يشاء من آياته؛ لعلهم يعتبرون^(٥) أو يتذكرون أو يرجعون^(٦).

٦٠. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾. قال مجاهد: أحاط بالناس فهم في قبضته^(٧)، وقال قتادة: يقول: يمنعك من الناس حتى

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٤٧، بنصه.

(٢) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢١٧أ، والسمرقندي ٢/ ٢٧٤، والثعلبي ٧/ ١١١ ب.

(٣) تأويل مشكل القرآن ٤٦٨، بنصه.

(٤) آية [٣٥].

(٥) في النسخ جميعها: (يعينون)، وفي الدر المنثور والألوسي: (يعتبون)، والتصويب من تفسير الطبري والثعلبي، ويحتمل الرسم أنها يفيئون. والله أعلم.

(٦) أخرجه الطبري ١٥/ ١٠٩، بنصه، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٢أ، بنصه، وانظر: تفسير البغوي ٥/ ١٠٢، وابن كثير ٣/ ٥٥، والدر المنثور ٤/ ٣٤٥، وتفسير الألوسي ١٥/ ١٠٤.

(٧) تفسير مجاهد ٤٣٨، بنصه، وأخرجه الطبري ١٥/ ١١٠، بنصه من طريقتين، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ١/ ٣٦٤، وتفسير هود الهواري ٢/ ٤٢٨، والماوردي ٣/ ٢٥٣.

تبلغ رسالة ربك^(١)، وقال الحسن أي حال بينهم وبين أن يقتلوك^(٢)،
كما قال: ﴿وَاللَّهُ يَعَصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

فعلى هذه الأقوال: معنى الآية: أن الخلق في قبضة الله، وأنه محيط بهم بالعلم والقدرة، فهو مانعك منهم وحافظك، فامض لما أمرك من تبليغ الرسالة ولا تهتم.

وروي عن ابن عباس من طريق عطاء أن المراد بالناس هاهنا: أهل مكة^(٣)، وإحاطته بهم إهلاكه إيّاهم عن قريب؛ إمّا موتاً وإمّا قتلاً، وإلى هذا القول ذهب مقاتل والفرّاء وقالوا: أي إنها ستفتح لك^(٤)، وعلى هذا القول معنى الإحاطة بهم: الإهلاك؛ لقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦]، وقوله: ﴿وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة: ٨١]، وقد مرّ، والمعنى: أن الله أهلكهم؛ أي سيهلكهم، ولكن ذكر بلفظ الماضي لتحقيق كونه، وفي إهلاكه إيّاهم فتحها لمحمد ﷺ ثم أهلكهم يوم بدر قتلاً بالسيف، وأكثر ما يُذكر أهل مكة في القرآن بلفظ الناس.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ اختلفوا في معنى هذه الرؤيا، فأكثر المفسرين على أن المراد بها: ما أراه الله تعالى ليلة الإسراء^(٥).

(١) أخرجه عبدالرزاق ٣٨٠/٢، مختصراً، وأخرجه الطبري ١١٠/١٥، بنصه وبنحوه، وورد في تفسير السمرقندي ٢٧٤/٢، بنصه، والماوردي ٢٥٣/٣، بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري ١١٠/١٥، بمعناه من طريقين، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٦٨/٤، بمعناه، والماوردي ٢٥٣/٣، بمعناه. انظر: تفسير السمعاني ٢٥٣/٣ بنصه، وابن الجوزي ٥٣/٥، والفخر الرازي ٢٣٥/٢٠.

(٣) انظر: تفسير القرطبي ٢٨٢/١٠، وورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ٢١٦/١ ب، والفخر الرازي ٢٣٥/٢٠.

(٤) تفسير مقاتل ٢١٦/١ ب، بنحوه، ومعاني القرآن للفرّاء ١٢٦/٢، بنصه.

(٥) وهذا القول رجّحه الطبري ١٨٣/١٥، والفخر الرازي ٢٣٦/٢٠.

قال عكرمة : أما إنه ليس برؤيا ولكنه رأى عَيْن ، وهي رؤيا يقظة ليست رؤيا^(١) في المنام^(٢) ، وهو قول سعيد بن جبير وأبي مالك وإبراهيم والسدي ومجاهد وقتادة والحسن والضحاك وابن زيد وابن جريج^(٣) ، وابن عباس في رواية عكرمة : قال : هي رؤيا عين أُرِيهَا النَّبِيَّ ﷺ ليلة أُسري به إلى بيت المقدس^(٤) ، وهذا القول اختيار الفراء وابن قتيبة^(٥) ، وعلى هذا يصح أن يقال : رأيت بعيني رؤية ورؤيا^(٦) .

ومعنى قوله : ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ هو أنه ارتد بعضهم حين أعلمهم قصة الإسراء ، وأنكروا وكذبوا ، وازداد المؤمنون المخلصون إيماناً .

وقال ابن عباس في رواية الوالبي : هي رؤياه التي رأى أنه يدخل مكة وأخبر بذلك أصحابه ، فلما صُدَّ عن البيت عام الحُدَيْبِيَّةِ^(٧) كان ذلك فتنة لهم ، فلما كان

(١) في جميع النسخ : (ليسترونا) ، والظاهر أنها كلمتان اشتبكتا في الرسم ، والصحيح المثبت .

(٢) ورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ١٦٨/٤ ، وتفسير السمرقندي ٢/٢٧٤ .

(٣) تفسير مجاهد ١/٣٦٥ ، وأخرجه الطبري ٥/١١٠-١١٢ ، عنهم كلهم عدا السدي ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٦٨/٤ ، عن ابن جبير ومجاهد والضحاك ، وتفسير الثعلبي ٧/١١٢ ، عنهم عدا إبراهيم والسدي ، والماوردي ٣/٢٥٣ ، عنهم عدا أبي مالك وإبراهيم والسدي وابن جريج ، والطوسي ٦/٤٩٤ ، عنهم عدا أبي مالك والسدي .

(٤) أخرجه بنصه عبدالرزاق ٢/٣٨٠ ، والبخاري (٤٧١٦) ، كتاب : التفسير ، الإسراء ، والطبري ١٥/١١٠ من ثلاث طرق ، والسمرقندي ٢/٢٧٤ ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/١١٢ ، والماوردي ٣/٢٥٣ ، والطوسي ٦/٤٩٤ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/١٢٦ ، والغريب لابن قتيبة ١/٢٥٨ .

(٦) قال ابن الأنباري : لا فرق بين أن يقول القائل : رأيت فلاناً رؤيئة ، ورأيت رؤياً ، إلا أن الرؤيئة يقل استعمالها في المنام ، والرؤيا يكثر استعمالها في المنام ، ويجوز كل واحد منهما في المعنيين . تفسير ابن الجوزي ٥/٥٣ .

(٧) عام الحُدَيْبِيَّةِ كان في السنة السادسة من الهجرة ، والحُدَيْبِيَّة : قرية متوسطة سميت باسم بئر كانت هناك ، عند الشجرة التي حصلت تحتها بيعة الرضوان ، قال الخطابي : وسميت الحُدَيْبِيَّةَ بشجرة حذباء كانت في ذلك الموضع ، وبين الحُدَيْبِيَّةِ ومكة مسافة (٢٥) كم تقريباً ، ويقع بعضها في الحل وبعضها في =

العام المقبل دخلها ، وأنزل الله تعالى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾^(١) [الفتح: ٢٧] ، غير أن هذا القول يَضْعُفُ من حيث إن هذه الرؤيا كانت بالمدينة ، وهذه السورة مكية ، والله أعلم .

وقال سعيد بن المسيب : أُرِي بني أمية يَنْزُونَ^(٢) على منابرهم ، فسَاءَ ذلك ، فقيل له : إنما هي الدنيا أُعْطُواها فُسِّرِي عنه^(٣) ، ونحو هذا روي عن سهل بن سعد قال : «رأى رسول الله ﷺ بني أمية يَنْزُونَ على منبره نَزَوَ القِرَدَةُ فسَاءَ ذلك»^(٤) .

وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء قال : رأى رسول الله ﷺ في المنام أن ولد مروان يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة^(٥) ، وهذه الآية مكية ، ولم يكن

الحرم ، وتعرف الآن باسم الشمسي ، وتقع في طريق مكة جدة القديم . انظر : الروض المطار ١٩٠ ، ومعجم البلدان ٢/٢٢٩ .

(١) أخرجه الطبري ١٥/١١٢ ، بنحوه من طريق العوفي (ضعيف) ، وورد بنحوه في تفسير الثعلبي ٧/١١٢ ، والماوردي ٣/٢٥٣ ، والطوسي ٦/٤٩٤ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٩/١٢٧ ، وابن الجوزي ٥/٥٤ .

(٢) النَّزْوُ : هو الوَبْئَان ، والمقصود يتعاقبون . انظر : المحيط في اللغة (نزو) ٩/٩٣ ، واللسان (نزأ) ٧/٤٤٠٢ .

(٣) ورد في تفسير السمرقندي ٢/٢٧٤ ، بنحوه ، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٦/٥٠٩ ، بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/١١٢ ، بنصه ، وأورده ابن الجوزي ٥/٥٤ وقال : وإن كان مثل هذا لا يصح ، ولكن ذكره المفسرون عامة ، كذلك أشار ابن حجر إلى هذا القول ورواياته ، وقال : وأسانيد الكل ضعيفة . فتح الباري ٨/٢٥٠ .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/١١٢ ، بنصه تقريباً ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/١١٢ ، بنصه ، والماوردي ٣/٢٥٣ ، بنصه تقريباً ، والطوسي ٦/٤٩٤ ، بنحوه ، وهذا الأثر ضعيف كما قال ابن كثير ٣/٥٥ قال : وهذا السند ضعيف جداً؛ فإن محمد ابن الحسن بن زباله متروك ، وشيخه -أي عبدالمهيمن بن عباس- أيضاً ضعيف بالكلية ، وأورد الشوكاني الأثر وضعفه ، وقال : وفيه ضعف؛ فإنه لا فتنة للناس في هذه الرؤيا ، إلا أن يراد بالناس رسول الله ﷺ وحده ، ويراد بالفتنة ما حصل من المساءة لرسول الله ﷺ ، أو يحمل على أنه قد كان أخبر الناس بها فافتنوا . تفسير الشوكاني ٣/٣٤٢ ، وظاهر أن هذا القول وأمثاله من المحدث .

(٥) ورد بنصه بلا نسبة في تفسير الخازن ٣/١٦٩ ، وأبي حيان ٦/٥٥ .

للنبي ﷺ بمكة منبر ، غير أنه لا يبعد أن يرى بمكة رؤيا المنبر بالمدينة ، كأنه رأى أن له بالمدينة منبراً يتداوله بنو أمية .

قوله تعالى : ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ هذا على التقديم والتأخير ، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ ، ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ ، ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ ، واختلفوا في هذه الشجرة ، فالأكثر أن شجرة الزقوم التي ذكر في قوله : ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ ﴿طَعَامُ الْأَثِيرِ﴾ [الدخان : ٤٣-٤٤] ، وهذا قول مسروق وسعيد بن جبير وأبي مالك وإبراهيم ومجاهد وقتادة والكلبي وعكرمة والضحاك ، وقول ابن عباس في رواية عكرمة من طريق سفيان عن عمرو بن دينار عنه ^(١) ، وكانت فتنهم في هذه الشجرة ما ذكر قتادة قال : خَوَّفَ الله بها عباده ففتنوا ^(٢) بذلك ، حتى قال أبو جهل : زعم صاحبكم أن في النار شجراً ، والنار تأكل الشجر ، وقال ابن الزُّبَيْرِ ^(٣) : ما نعلم الزقوم إلا التَّمْرَ والزُّبْدَ ، فترقموا منه ، فأنزل الله حين عجبوا أن يكون في النار شجراً : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ الآيات ^(٤) [الصفافات : ٦٣-٦٦] .

(١) تفسير مجاهد ١/ ٣٦٥ ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨١ ، عن ابن عباس وابن جبير ، والبخاري (٤٧١٦) ، كتاب : التفسير ، الإسراء ، عن ابن عباس ، والطبري ١٥/ ١١٣-١١٥ ، عنهم كلهم عدا الكلبي ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٦٩ ، عن ابن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك ، وتفسير الجصاص ٣/ ٢٠٥ ، عنهم عدا مسروق وأبي مالك والكلبي وعكرمة ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٤٢٩ ، عن مجاهد ، والماوردي ٣/ ٢٥٣ ، عن مجاهد وقتادة والضحاك وابن جبير ، والطوسي ٦/ ٤٩٤ ، عنهم عدا الكلبي وعكرمة .

(٢) في جميع النسخ : (فَتْنُوا) ، والتصويب من تفسيره «الوسيط» ، تحقيق سيسي ٢/ ٥١٥ .

(٣) عبدالله بن الزُّبَيْرِ بن قيس السهمي ، أحد شعراء قريش ، كان شديداً على المسلمين في الجاهلية ، يهجوهم ويحرض عليهم كفار قريش في شعره ، فلما فتحت مكة هرب إلى نجران ، فقال فيه حسان بيتاً ، فلما بلغه عاد إلى مكة وأسلم ، واعتذر إلى النبي ﷺ ، فقبل عذره وحسن إسلامه ، وشهد ما بعد الفتح .

انظر : الأغاني ١٥/ ١٧٤ ، والاستيعاب ٣/ ٣٦ ، وأسد الغابة ٣/ ٢٣٩ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨١ مختصراً ، والطبري ١٥/ ١١٤ ، بنحوه ، وورد بنحوه بلا نسبة في تفسير

وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال : الشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية^(١) .

وقال في رواية عطاء : يعني الحكم بن أبي العاص^(٢) ، قال : «وكان رأى رسول الله ﷺ في المنام ولد مروان يتداولون منبره ، فقَصَّ رؤياه على أبي بكر وعمر ، وقد خلا في بيته معها ، فلما تفرقا سمع رسول الله ﷺ ، فاشتد ذلك عليه ، واتهم عمر في إفشاء سره ، ثم ظهر أن الحكم كان يَتَسَمَّعُ إليهم ، فنفاه رسول الله ﷺ»^(٣) ، وهذه القصة كانت بالمدينة والسورة مكية ، فيبعد هذا التفسير ، إلا أن تكون هذه الآية مدنية ، ولم يقل ذلك أحد ، والله أعلم . ويؤكد أن يكون المراد بالشجرة الملعونة : الحكم ، قول عائشة لمروان : لعن الله أباك وأنت في صلبه ، فأنت فَضُضٌ^(٤) من لعنة الله^(٥) . والأكثر على القول الأول ، وهو الظاهر^(٦) .

مقاتل ٢١٦/١ ب ، والثعلبي ١١٢/٧ أ .

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٣٧/٢٠ بنصه ، والقرطبي ٢٨٦/١٠ وقال : وهذا قول ضعيف محدث . وورد في تفسير الطوسي ٤٩٤/٦ ، بنصه عن أبي جعفر ، وقال ابن كثير ٥٥/٣ : وقيل : المراد بالشجرة الملعونة بنو أمية ، وهو غريب ضعيف .

(٢) الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي ، عمُّ عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو أبو مروان بن الحكم ، من مسلمة الفتح ، أخرجه رسول الله ﷺ من المدينة وطرده عنها ، فنزل في الطائف مع ابنه مروان ، ولم يزل بها حتى رده عثمان - رضي الله عنه - إلى المدينة في خلافته ، وبقي فيها ، وتوفي آخر خلافة عثمان . انظر : الاستيعاب ٤١٤/١ ، وأسد الغابة ٤٨/٢ ، والإصابة ٣٤٥/١ .

(٣) انظر : تفسير السمعاني ٢٥٥/٣ ، بنحوه ، وأشار ابن حجر إلى هذا القول ، وقال : وإسناده ضعيف . فتح الباري ٢٥١/٨ .

(٤) قال ثعلب : معناه ؛ أي خرجت من صُلبه متفرقاً ، يعني ما انفَضَّ من نطفة الرجل وتردد في صُلبه ، وقيل في قولها : فأنت فَضُضٌ من لعنة الله : أرادت إنك قِطْعَةٌ منها وطائفة منها . اللسان (فضض) ٣٤٢٧/٦ .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (فضض) ٢٨٠٠/٣ ، بنحوه ، والاستيعاب ٤١٥/١ ، بنحوه ، انظر : أسد الغابة ٣٨/٢ بنحوه ، واللسان (فضض) ٣٤٢٧/٦ بنصه ، وأورده الألويسي ١٠٧/١٥ ، بمعناه ، وعزاه إلى ابن مردويه عنها .

(٦) وهو ما رجحه الطبري ١١٥/١٥ ، وقال ابن حجر : وهذا هو الصحيح ، وذكره ابن أبي حاتم عن

قال أبو إسحاق : فإن قال قائل : ليس في القرآن ذكر لعنها ، فالجواب في ذلك أنه لعن الكفار ، وهم آكلوها ، فعلى هذا يكون التقدير : ﴿ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ ﴾ آكلوها ، قال : وجواب آخر : وهو أن العرب تقول لكل طعام مكروه ضارٌّ : ملعون^(١) .

وقال بعضهم : يعني الشجرة الملعونة التي ذكرت في القرآن ؛ وهي شجرة الزقوم^(٢) ، وعلى هذا (في) هاهنا ظرّف للذكر لا للعن .

وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ ﴾ قال : المذمومة^(٣) ، ويدل أن المراد بالشجرة هاهنا شجرة الزقوم : ﴿ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ ؛ أي نخوفهم بالزقوم ، فما يزدادون إلا كفراً وعتواً ، وهو ما زادوا من التكذيب والإنكار حين سمعوا بذكر هذه الشجرة في القرآن ، وقد روي عن ابن عباس : أنه فسر الشجرة الملعونة بالكشوث^(٤) ، وهو قول ضعيف وتفسير لا يليق بالآية .

٦١ . قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ الآية . ذكر أهل المعاني في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهين ؛ أحدهما : أنه على معنى ما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ، محققين لظن^(٥) إبليس فيهم ، مخالفين

بضعة عشر نفساً من التابعين . فتح الباري ٢٥١ / ٨ .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٨ / ٣ ، بنصه الكلام المعترض .

(٢) وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴾ [طعام الأثيم] [الدخان : ٤٣-٤٤] .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥٥ / ٥ ، بلفظه .

(٤) أخرجه الطبري ١١٥ / ١٥ ، بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ١١٢ / ٧ ، بنحوه ، والماوردي

٢٥٤ / ٣ ، بلفظه ، انظر : تفسير الزمخشري ٣٦٦ / ٢ ، وابن الجوزي ٥٦ / ٥ ، والقرطبي ٢٨٦ / ١٠ ،

والخازن ١٧٠ / ٣ .

(٥) في (أ) و(د) : «بظن» ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح ، والأصح ظن كما في تفسير الطوسي .

موجب نعمة ربهم على أبيهم وعليهم^(١)، والثاني : أن المعنى : واذكر بتمادي هؤلاء المشركين وازديادهم عتوًّا قصة إبليس حين عصى وأبى السجود^(٢)، وذكرنا معنى هذه الآية وهذه القصة في سورة البقرة^(٣).

وقوله تعالى : ﴿عَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ . قال المفسرون وأهل المعنى : امتنع إبليس من السجود لآدم ، وأنكر أن يسجد له ، وقال : أنا ناري ، وهذا طين^(٤) ، (وذلك أن الفروع ترجع إلى الأصول ، فتكون على قدرها في التكبير أو التصغير ، فلما اعتقد إبليس لعنه الله أن النار أكرم أصلاً من الطين خامنه أنه أكرم ممن خلق من طين ، وذهب عليه بجهله أن الجواهر كلها من جنس واحد ، وأن الله يُعرِّفها بالأعراض كيف شاء ، مع كرم جوهر الطين بكثرة ما فيه من المنافع التي تقاوم منافع النار أو تُوفي عليها)^(٥) ، وقال أبو إسحاق : المعنى : لمن خلقته طيناً ، وطيناً منصوب على الحال ، المعنى : أنك أنشأته في حال كونه من طين^(٦).

٦٢ . قوله تعالى : ﴿قَالَ﴾ يعني إبليس ، ﴿أَرَأَيْتَكَ﴾ قال الرَّجَّاج : هو في معنى أخبرني ، والكاف لا موضع لها ؛ لأنها ذكرت في المخاطبة توكيداً^(٧) ، وذكرنا الكلام في هذا الحرف مستقصى في سورة الأنعام^(٨) ، ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ لم كرمته عليّ ؟! قال : موضع هذا نصب بآرأيت ، والجواب محذوف ، والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمت عليّ

(١) ورد في تفسير الطوسي ٤٩٦/٦ ، بنصه تقريباً .

(٢) ورد نحوه في تفسير الطبري ١١٦/١٥ ، والثعلبي ١١٣/٧ ، والقرطبي ٢٨٧/١٠ .

(٣) آية [٣٤] .

(٤) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ٢١٦/١ ب ، والطوسي ٤٩٦/٦ ، وانظر : تفسير السمعاني ٢٥٦/٣ ، وابن الجوزي ٥٧/٥ ، والفخر الرازي ٣/٢١ .

(٥) ما بين القوسين ورد بنصه تقريباً في تفسير الطوسي ٤٩٦/٦ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٩/٣ ، بتصرف .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٩/٣ ، بنصه .

(٨) آية [٤٠] .

لم كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ ، وقد خلقتني من نار وخلقته من طين؟! فَحُذَفْ هَذَا؛
لأن في الكلام دليلاً عليه^(١) ، ومعنى ﴿كَرَّمَتْ عَلَيَّ﴾؛ أي فَضَّلَتْ ،
قال ابن عباس : والكرم اسم جامع لكل ما يحمد^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿لَا حَتَنَكَ ذُرِّيَّتُهُ﴾ . قال ابن عباس في رواية الوالبي :
لأستولين^(٣) .

وقال الحسن : لأغوين^(٤) ، وقال مجاهد : لأحتوين^(٥) ، وروي عنه أنه قال :
مثل الزِّيَاق^(٦) ، هذا قول المفسرين .

وقال ابن زيد : لأضللهم^(٧) ، وقيل : لأستأصلنهم بالإغواء^(٨) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٩/٣ ، بنصه .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٢٨٧/١٠ ، بلا نسبة .

(٣) أخرجه الطبري ١١٧/١٥ ، بلفظه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، وورد بلفظه في تفسير
الماوردي ٢٥٤/٣ ، والطوسي ٤٩٧/٦ ، وانظر : تفسير ابن كثير ٥٦/٣ ، وأورده السيوطي في الدر
المثور ٣٤٧/٤ وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) لم أقف على هذا القول ، وورد عنه تفسيره بـ : لأستأصلن ذريته ، في تفسير هود الهواري ٤٢٩/٢ .

(٥) تفسير مجاهد ٣٦٥/١ ، بلفظه ، وأخرجه الطبري ١١٧/١٥ ، بلفظه من طريقين ، وورد بلفظه في
تفسير هود الهواري ٤٢٩/٢ ، والطوسي ٤٩٧/٦ ، وأورده السيوطي في الدر المثور ٣٤٧/٤ وزاد
نسبه إلى ابن المنذر .

(٦) لم أقف عليه ، والزياق : هو ما أحاط بالعنق من القميص . انظر : الصحاح (زيق) ١٤٩٢/٤ ،
واللسان ١٩٠/٣ ، ومتن اللغة ٨٠/٣ .

(٧) أخرجه الطبري ١١٧/١٥ ، بنصه ، وورد في تفسير الطوسي ٤٩٧/٦ ، بلفظه ، وانظر : تفسير
ابن الجوزي ٥٧/٥ ، والقرطبي ٢٨٧/١٠ ، وأورده السيوطي في الدر المثور ٣٤٧/٤ ، وزاد نسبه
إلى ابن أبي حاتم .

(٨) ورد بنصه في تفسير الثعلبي ١١٣/٧ ب ، والماوردي ٢٥٤/٣ ، وانظر : تفسير الزخشي ٣٦٦/٢ ،
والفخر الرازي ٤/٢١ .

فأما كلام أهل اللغة في هذا الحرف ، فروى محمد بن سَلَام أنه سأل يونس عن هذه الآية ، فقال : يقال : كأن في الأرض كلاً فاحتنكه الجراد؛ أي أتى عليه ، ويقول أحدُهم : لم أجد لجاماً فاحتنكتُ دابَّتِي ؛ أي أَلقيتُ في حنكها حبلاً قُدْتُها به^(١) .

وتفسير هذا الحرف لا يخرج عن هذين الأصلين اللذين ذكرهما يونس ، فمن قال : لأستأصلنهم ولأستولين عليهم ، فأصله من احتناك الجراد الزرع ، وهو أن يأكلها ويستأصلها باحتناكها فيفسدها ، ومن هذا يقال للجعاة المنتجعين :

(١) ورد في تهذيب اللغة (حنك) ١ / ٩٤٤ ، بنصه .

الحنك ، يقال : ما ترك الأحنك في أرضنا شيئاً ، يعنون : الجماعات المارة ، ومنه قول أبي نُخَيْلَةَ^(١) :

إنا وكُنَّا حَنَكًا نَجْدِيًّا^(٢)^(٣)

هذا هو الأصل ، ثم يُسمى الاستيلاء على الشيء وأخذ كله احتناكاً ، حتى يقال : احتنك ما عند فلان ؛ أي أخذه كله من علم أو مال أو غير ذلك^(٤) ، واحتنكت السنّة [أموالنا]^(٥) إذا استأصلتها ، وأنشد أهل اللغة :

نَشْكُو إِلَيْكَ سَنَةً قَدْ أَجْحَفَتْ

واحتنكت أموالنا وجلّفت^(٦)

(١) الرّاجز أبو نُخَيْلَة ، اسمه يَعمُر ، وكني أبا نُخَيْلَة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة ، كما قال ابن قتيبة ، وفي الأغاني عن الأصمعي وابن حبيب أنه لا يعرف له اسم غيره ، وله كنيتان : أبو الجُنيد وأبو العرماس ، كان عاقاً لأبيه ففاه أبوه عن نفسه ، فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه ، مطعوناً عليه ، مات سنة ١٤٥ هـ . انظر : الشعر والشعراء ٣٩٩ ، والأغاني ٤٠٣ / ٢٠ ، والخزانة ١ / ١٦٥ .

(٢) وعجزه :

لَمَّا انْتَجَعْنَا الورقَ المَرْعِيَّ

ورد في الأساس ٢٠٣ ، واللسان (حنك) ١٠٢٨ / ٢ .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (حنك) ١ / ٩٤٣ ، بنصه .

(٤) ورد نحوه في مجاز القرآن ١ / ٣٨٤ .

(٥) زيادة يقتضيها السياق ، كما في معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٤٩ .

(٦) ورد بلا نسبة في مجاز القرآن ١ / ٣٨٤ ، وتفسير الطبري ١٥ / ١١٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٤٩ ، وتفسير الثعلبي ٧ / ١١٣ ب ، والماوردي ٣ / ٢٥٤ ، والطوسي ٦ / ٤٩٧ ، وابن عطية ٩ / ١٣٤ ، والقرطبي ١٠ / ٢٨٧ ، والدر المصون ٧ / ٣٨٠ ، في بعض الروايات : جَنَفَتْ واجتلفت بدل جَلَفَتْ ؛ (الجَلَفُ) : القَشْرُ ، والجالفُ : السنّة التي تذهبُ بأموال الناس ؛ من جلفت الشيءَ : إذا قلَعْتَه واستأصلْتَه . العباب الزاخر : ف / ٦٧ .

ومن قال : لأغويَنَّهُم ولأقودَنَّهُم إلى المعاصي ، كما روي عن مجاهد أنه قال :
مثل الزِّيَاق ، فأصله من قولهم : حَنَكَ الدَّابَّةَ يَحْنُكُهَا ، إذا ربط في حَنَكِهَا الأسفل
حَبْلًا يقودها به ^(١) ، ومثله : احتنك ، وأنشد ابن الأعرابي ^(٢) :

فإنَّ لَدَيْنَا مُلْجَمِينَ وَحَانِكَا ^(٣)

والمعنى على هذا الأصل : لأقودَنَّهُم حيث شئت ، كمن يُربط في حَنَكه الزِّيَاق
فيقاد .

قال الأخفش في قوله : ﴿لَاَحْتَنِكَ﴾ : لأستأصلَنَّهُم ولأستميلَنَّهُم ^(٤) ،
فذكر القولين ، ونحوه قال أبو عبيدة سواء ^(٥) ، واختار الفراء والزجاج وابن قتيبة
الأول ^(٦) ، وهو أنه مأخوذ من احتنك الجراد الزرع ، وكلا القولين مأخوذ من
الْحَنَك على ما بيَّنا .

- (١) ذكره ابن السكيت في الإصحاح ٧١ ، بنصه ، وورد بنحوه في الغريب لابن قتيبة ٢٥٨ / ١ ، ومعاني
القرآن للنحاس ١٧١ / ٤ ، وانظر : تهذيب اللغة (حنك) ٩٤٤ / ١ ، والمحيط في اللغة ٣٨٣ / ٢ .
(٢) البيت لزبان بن سيار الفزاري ، كما في تهذيب اللغة (حنك) ٩٤٤ / ١ ، وتصحفت في اللسان إلى :
زياد ، والصحيح أنه زبان ، كما في الاشتقاق ٢٨٣ .
(٣) صدره :

فإن كنت تُشَكِّي بالجماع ابن جعفر

- ورد في تهذيب اللغة (حنك) ٩٤٤ / ١ ، واللسان (حنك) ١٠٢٨ / ٢ .
(٤) ليس في معانيه ، وورد في تهذيب اللغة (حنك) ٩٤٤ / ١ ، بنصه .
(٥) مجاز القرآن ٣٨٤ / ١ ، بنصه .
(٦) معاني القرآن للفراء ١٢٧ / ٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٤٩ / ٣ ، والغريب لابن قتيبة ٢٦٠ / ١ .

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني المعصومين ، قال ابن عباس : يريد بالقليل أولياء الله الذين عصمهم^(١) ، وهم الذين استثناهم الله - عز وجل - في قوله : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] .

فإن قيل : كيف ظن إبليس هذا الظن الصادق بذرية آدم؟ فالجواب عن هذا : أن الله تعالى كان قد أخبر الملائكة أنه سيجعل في الأرض من يفسد فيها ويسفك^(٢) الدماء ، على قول بعض المفسرين^(٣) ، وكان إبليس قد علم بذلك ، وقيل : إنها قال ذلك لأنه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزماً ، فقال بنو هذا مثله في ضعف العزيمة ، وهذا معنى قول الحسن^(٤) .

٦٣. قوله تعالى: ﴿قَالَ أَذْهَبَ﴾؛ أي قال الله تعالى لإبليس : اذهب ، وهذا اللفظ يتضمن معنى إنظاره وتأخير أجله ، ﴿فَمَنْ بَعَكَ﴾؛ أي أطاعك واتبع أمرك وتسويلك ، ﴿مَنْهُمْ﴾؛ أي من ذرية آدم ، ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ﴾ الفاء تتضمن ها هنا جواب الشرط ، وهذه المسألة قد مضت في مواضع ، ﴿جَزَاءُكُمْ جَزَاءُ مَوْفُورًا﴾ من وفّرتَه أفّره وفراً وفرةً ، وهذا مُتَعَد ، واللازم قولك : وفّر المال يفّر وفوراً فهو وافر^(٥) ، قال

(١) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥٧/٥ ، بنصه .

(٢) في (أ) و(د) : (ولا يسفك) بزيادة (لا) والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح المتسق مع السياق .

(٣) ورد في تفسير الطوسي ٤٩٧/٦ ، بنصه .

(٤) ورد في تفسير الطوسي ٤٩٨/٦ بنصه ، انظر : تفسير القرطبي ٢٨٧/١٠ ، وأبي حيان ٥٨/٦ وقال : وهذا ليس بظاهر؛ لأن قول ذلك كان قبل وسوسته لآدم في أكل الشجرة . وما قاله أبو حيان متوجه ، إلا أن يكون الحسن أراد بقوله ما ورد عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «لَسَا صَوْرَ الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يُطِيف به ينظر ما هو ، فلما رآه أجوف عرف أنه خلُق خلقاً لا يتألك» أخرجه مسلم (٢٦١١) ، كتاب : البر والصلة ، باب : خلق الإنسان خلقاً لا يتألك .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (وفر) ٣٩٢٥/٤ ، بنصه .

الزَّجَّاجُ : ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾؛ أي مُوقَّراً ، يقال : وَفَرْتُهُ أَفْرُهُ وهو مَوْفُورٌ ،
وأنشد لزهير :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ

يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ^{(١)(٢)}

وانتصب جزاءً على المصدر .

٦٤ . قوله تعالى : ﴿وَأَسْتَفِرِّزُ مِنَ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ﴾ . قال الفراء : اسْتَخِفَّ^(٣) .

وقال أبو إسحاق : معناه : استدعه استدعاءً تستخفه به إلى جانبك^(٤) ، ويقال
له : فَرَّه^(٥) الخوف واستفزه ؛ أي أزعجه واستخفه ، قال أبو ذؤيب :

شَبَّبَ أَفَرَّتُهُ الْكَلَابُ مُرَوِّعٌ^(٦)

(١) شرح ديوان زهير ٣٠ ، وشرح القصائد السبع ٢٨٧ ، وورد في الأغاني ١٦٠ / ٢ ، وتفسير الطوسي ٤٩٧ / ٦ ، والفخر الرازي ٥ / ٢١ ، والدر المصون ٣٨١ / ٧ ، وورد بلا نسبة في معاني القرآن للنحاس ١٧٢ / ٤ ، والخزانة ٤١٠ / ٢ ، ١٢٧ / ٨ ، (يَفِرُّه) : يجعله وافرًا ، ومعناه : من اصطنع المعروف إلى الناس وقى عرضه .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٩ / ٣ ، بنصه .

(٣) معاني القرآن للفراء ١٢٧ / ٢ ، بلفظه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٥٠ / ٣ ، بنصه تقريباً ، وقد نقله من تهذيب اللغة (فز) ٢٧٨٥ / ٣ لوروده بنصه .

(٥) في (أ) و(د) : (أفروه) ، والمثبت من (ش) و(ع) هو الصواب .

(٦) صدره :

والدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ

ديوان الهذليين ١٠ ، وورد في الصحاح (فز) ٨٩٠ / ٣ ، واللسان (فز) ٣٤٠٩ / ٦ ، والتاج (فز) ١٢٣ / ٨ ، وورد بلا نسبة في تهذيب اللغة (فز) ٢٧٨٥ / ٣ ، والمخصص ٣٣ / ٨ ، الشَّيْب : الثور المسنُّ ، (أَفَرَّتُهُ) : استخفته وطردته .

ومعنى صيغة الأمر هاهنا : التهدد ، كما يقال للإنسان : اجتهد جهدك فسترى ما ينزل بك^(١) .

وقال الزَّجَّاج : الأمر إذا تقدمه نهي عما يؤمر به ، كان المعنى في الأمر : الوعيد ؛ لأنك قد تقول : لا تدخل هذه الدار ، فإذا حاول أن يدخلها قلت : ادخلها ، فَلَسْتُ تأمره بدخلوها ، ولكنك تُوعده ، وهذا في الاستعمال كثير ، ومثله : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت : ٤٠] ، وقد نهوا أن يتبعوا أهواءهم^(٢) .

ومعنى الآية يقول : أزعج واستخفف من استطعت من بني آدم .

﴿بِصَوْتِكَ﴾ . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : صوته كلُّ داعٍ دعا^(٣) إلى معصية الله تعالى^(٤) ، وقال عطاء عنه : كل متكلم في غير ذات الله فهو صوت الشيطان^(٥) .

وقال مجاهد : هو الغناء والمزامير^(٦) ، وهو قول عكرمة^(٧) .

-
- (١) ورد في تفسير الطوسي ٤٩٩/٦ ، بنصه تقريباً .
 (٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٥١/٣ ، بتصرف يسير .
 (٣) انقلب الكلام في النسخ جميعها كالآتي : صوته دعا كل داعٍ إلى . والتصويب من تفسير الطبري والدر المنثور .
 (٤) أخرجه الطبري ١١٨/١٥ ، بنصه ، وورد بنحوه في تفسير الجصاص ٢٠٥/٣ ، والثعلبي ١١٣/٧ ب ، والطوسي ٤٩٩/٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .
 (٥) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٥١٨/٢ ، بنصه .
 (٦) أخرجه الطبري ١١٨/١٥ ، بنحوه من طريقتين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٧٢/٤ ، بنصه ، وتفسير الجصاص ٢٠٥/٣ ، بنحوه ، والثعلبي ١١٣/٧ ب ، بنصه ، والماوردي ٢٥٥/٣ ، بنحوه ، والطوسي ٤٩٩/٦ ، بنحوه .
 (٧) لم أقف عليه .

وقوله تعالى : ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ﴾ . قال الفراء في كتاب المصادر ، يقال : أجلب : إجلاباً ، والجلبة : الصوت ، وربما قالوا : الجلب ، كما قالوا : الغلبة والغلب ، والشفقة والشفق^(١) .

وقال الليث : أجلبوا وجلبوا من الصياح^(٢) ، ونحوه قال أبو عبيدة^(٣) .

وقال أبو إسحاق في (فعل وأفعل) : وأجلب على العدو إجلاباً إذا جمع عليه الخيول^(٤) .

وقال ابن السكيت : يقال : هم يُجلبون عليه ، ويُجلبون عليه بمعنى ؛ أي يُعينون عليه^(٥) .

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي : أجلب الرجل الرجل ، إذا تَوَعَّده الشر وجمع عليه الجمع ، بالجيم^(٦) ، هذا قول أهل اللغة في معنى الإجلاب ، ومعنى الآية على قول الفراء وأبي عبيدة : (صَحَّ عَلَيْهِمْ بخيلك ورجلك)^(٧) ، وأخْبِثَهُمْ^(٨) عليهم بالإغواء ، وعلى قول أبي إسحاق ، معناه ما ذُكِرَ ؛ أي اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكائده^(٩) ، وتكون الباء في : ﴿يَخِيلُكَ﴾ زائدة في هذا القول ، وعلى قول ابن السكيت ، معنى الآية : أعن عليهم بخيلك ورجلك ؛ أي أعن نفسك عليهم

(١) لم أقف عليه ، وورد بنحوه في تفسير الطبري ١١٨/١٥ ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٦/٢١ .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (جلب) ١/٦٢٦ ، بنصه .

(٣) ليس في مجاز القرآن .

(٤) فعلت وأفعلت ٢١ ، بنصه تقريباً .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (جلب) ١١/٩٠ ، بنصه .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (جلب) ١١/٩٠ ، بنصه .

(٧) تكررت العبارة ما بين القوسين في (أ) و(د) ، انظر : تفسير البغوي ١٠٥/٥ .

(٨) يقال : أخبث فهو مُحْبَثٌ ؛ إذا صار ذا حُبٍّ وشرٍّ . تهذيب اللغة (خبث) ١/٩٧٣ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٥٠ ، بنصه .

بخيلك ، ومفعول الإجلاب على هذا القول محذوف ، كأنه يستعين على إغوائهم بخيله ورجله ، وهذا معنى قول مقاتل في هذه الآية ^(١) .

واختلفوا في تفسير الخيل والرجل ، فروى أبو الضحى عن ابن عباس قال : كل راكب أو راجل في معصية الله فهو من خيل إبليس وجنوده ^(٢) ، ونحو هذا القول روى مجاهد عنه ، والوالي وعطاء ^(٣) ، وروى ليث عن مجاهد قال : خيله : من استخف منهم معه على الخيل في المعاصي ، ورجله : من استخف منهم معه على رجليه في المعاصي ^(٤) .

وقال الفراء : يعني خيل المشركين ورجالهم ^(٥) ، ويدخل في هذا كل راكب وماش في معصية الله ، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَخُنُودٌ أَيْلِسَ آجَمُونَ ﴾ [الشعراء : ٩٥] ، والجنود يعظم الفارس والراجل ، هذا قول جماعة أهل التفسير وعامتهم ، ومن أهل التأويل من يقول : يجوز أن يكون هذا مثلاً ، كما تقول للرجل المجدد في الأمر : جئت بخيلك ورجلك ^(٦) ، والرجل جمع راجل ، كما قالوا : تاجر وتجّر ، وصاحب وصحب ، وراكب وركب ^(٧) ، ومضى الكلام في هذا عند قوله : ﴿ فَجَالَا أَوْ رُكْبَانَا ﴾ [البقرة : ٢٣٩] .

(١) تفسير مقاتل ١/٢١٧أ ، بنحوه .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/١١٨ ، بنحوه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/١٧٣ ، وتفسير الجصاص ٣/٢٠٥ ، والثعلبي ٧/١١٣ ب ، والطوسي ٦/٤٩٩ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) أخرجه الطبري ٨/١٠٨ ، بنحوه .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/١٢٧ ، بنصه .

(٦) ورد في الحجة للقراء ٥/١١١ ، بنصه .

(٧) ورد في تفسير الطبري ٥/١١٩ ، بنحوه ، والحجة للقراء ٥/١١٠ ، بنصه .

وروى حفص عن عاصم: ﴿وَرَجِلٌ﴾ مكسورة الجيم^(١)، قال أبو زيد: يقال: رَجُلٌ وَرَجِلٌ بمعنى واحد، ومثله: حَذَرٌ وَحَذِرٌ، وَنَدَسٌ وَنَدِسٌ^(٢)، وأنشد^(٣):

أَمَا أَقَاتِلُ عَنْ دِينِي عَلَى فَرَسٍ وَلَا كَذَا رَجُلًا إِلَّا بِأَصْحَابٍ^(٤)
 كأنه قال: أَمَا أَقَاتِلُ فَارِسًا وَرَاجِلًا^(٥)، وعلى هذه القراءة: ﴿وَرَجِلٌ﴾ واحدٌ يعني به الكثرة، وقال ابن الأنباري: أخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفرّاء قال: يقال هو رَاجِلٌ وَرَجِلٌ وَرَجِلٌ وَرَجْلَانٌ بمعنى^(٦)، وأنشد^(٧):

عَلَيَّ إِذَا أَبْصَرْتُ لَيْلَى بِخَلْوَةٍ أَنْ ازْدَارَ بَيْتَ اللَّهِ رَجْلَانِ حَافِيَا^(٨)

(١) انظر: السبعة ٣٨٢، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/٣٧٧، وعلل القراءات ١/٣٢٤، والحجة

للقراء ٥/١٠٩، والمبسوط في القراءات ٢٢٩، وقرأ أبو بكر عن عاصم والباقون ساكنة الجيم.

(٢) النَّدَسُ: الصوت الخفي، ورجل نَدَسٌ وَنَدَسٌ وَنَدِسٌ؛ أي فَهَمٌ، سريع السمع، فَطِنٌ، وقال يعقوب: هو العالم بالأمور والأخبار. وقال الليث: السريع الاستماع للصوت الخفي. اللسان (ندس) ٧/٤٣٨٣.

(٣) البيت لحيي بن وائل.

(٤) ورد في النوادر ١٤٨، واللسان (رجل) ٣/١٥٩٧، وورد بلا نسبة في الحجة للقراء ٥/١١٠، وشرح

ديوان الحماسة للمرزوقي ١/٤٦٤، وتفسير ابن عطية ٩/١٣٧، وشرح المفصل ٥/١٣٣، وفي النوادر، قال أبو حاتم: وقوله رَجُلًا: معناه رَاجِلًا، كما تقول العرب: جاءنا فلان حافيًا وَرَجُلًا؛ أي رَاجِلًا.

(٥) النوادر ١٤٨. ذكر البيت والتعليق، وورد في الحجة للقراء ٥/١١٠، بنحوه، والظاهر أنه نقله من الحجة.

(٦) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢١/٦، وفي اللسان (رجل) ٣/١٥٩٧ رَجُلَ الرَّجُلِ رَجُلًا، فهو راجل وَرَجُلٌ وَرَجِلٌ وَرَجِلٌ وَرَجْلَانٌ.

(٧) البيت لمجنون بني عامر، وهو قيس بن الملوّح، توفي ٦٨ هـ.

(٨) ورد في ديوانه ٣٠١، ٣٠٦. بروايتين:

الأولى:

حلفتُ لئنْ لَاقِيتُ لَيْلَى بِخَلْوَةٍ أَطُوفُ بَيْتَ اللَّهِ رَجْلَانِ حَافِيَا =

وقوله تعالى: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ . اختلفت الروايات في تفسير مشاركة الشيطان بني آدم في الأموال والأولاد عن ابن عباس ، فقال في رواية الوالبي : ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ وهو كل مال أصيب من حرام أو أنفق في حرام ، ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ ما قتلوا منهم وأتوا فيهم الحرام^(١) ، ونحو هذا روى عنه مجاهد ، فقال : كل مال أخذ بغير حقه ، وكل ولد زنا^(٢) ، وهو معنى ما روى عنه عطاء ، ويدخل في هذا : الزنا والغصب والمعاملات الفاسدة والربا وقتل الأولاد والوآد ، وروى عنه عكرمة في مشاركته في المال : بتبتكهم آذان الأنعام^(٣) .

وقال في رواية العوفي : هو ما كانوا يحرمونه من الأنعام^(٤) ، وهو قول قتادة قال : أما في الأموال : فأمرهم أن يجعلوا بحيرة وسائبة ، وأما في أولادهم : فإنهم هودوهم ونصروهم ومجسؤهم^(٥) .

والثانية :

- عليّ لَيْسَ لَاقِيْتُ لَيْلَى بِخُلُوةٍ زيارَةُ بَيْتِ اللَّهِ رَجُلَانِ حَافِيَا
 وورد بلا نسبة في اللسان (رجل) ٣/١٥٩٧ ، ومغني اللبيب ٦٠١ ، وشرح التصريح ١/٣٨٥ ،
 وشرح شواهد المغني ٢/٨٥٩ ، وشرح الأشموني ٢/٣١٢ ، وفي بعض الروايات : لَاقِيْتُ ، وَزُرْتُ ،
 وَجِئْتُ بدل أبصرت ، وَخُفِيَّةٍ بدل بخُلُوةٍ .
- (١) أخرجه الطبري ١٥/١٢١ ، من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، ولفظه : ما قتلوا من أولادهم وأتوا فيهم الحرام ، ومن الطريق نفسها في رواية أخرى ١٥/١١٩ . قال : كل مال في معصية الله ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/١١٣ ب ، وفيه ذكر الأموال فقط ، وفي رواية أخرى ذكر الأولاد فقط ، فلعل الواحدي - رحمه الله - جمع الروایتين في سياق واحد .
- (٢) ورد عن مجاهد في تفسيره ١/٣٦٦ ، قال : شركته في الأموال : الحرام ، وفي الأولاد : الزنا ، وأخرج الطبري ١٥/١٢٠ من طرق عدة عن مجاهد قال : أولاد الزنا .
- (٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/٦ ، بنصه .
- (٤) أخرجه الطبري ١٥/١٢٠ ، بنصه (ضعيفة) ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/١١٣ ب ، بمعناه ، والماوردي ٣/٢٥٥ ، بمعناه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/٥٨ .
- (٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/٣٨١ ، بنحوه ، وأخرجه الطبري ١٥/١٢١ في روايتين ، ذكر في إحداهما الأموال ١٥/١٢١ ، وفي الثانية الأولاد ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/١١٣ ب . من دون ذكر الأولاد .

وقال في رواية أبي صالح : مشاركته إياهم في الأولاد : تسميتهم أولادهم [عبد]^(١) الحارث وعبد شمس وعبد فلان^(٢) .

قال أبو إسحاق أي أمرهم بأن يجعلوا من أموالهم شيئاً لغير الله ، كما قال الله : ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلّٰهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦] ، والشركة في الأولاد : قولهم : عبد العزى وعبد الحارث^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَعِدُّهُمْ﴾ قال الفراء أي قل : لا جنة ولا نار^(٤) ، قال الزجاج : ﴿وَعِدُّهُمْ﴾ بأنهم لا يبعثون^(٥) ، ثم قال الله : ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ .

٦٥ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس والكلبي : يريد أوليائي ليس لك عليهم حجة في الشرك^(٦) .

وقال قتادة : عباده الذين لا سلطان له عليهم المؤمنون ، وقال في آية أخرى : ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾^(٧) [النحل: ١٠٠] .

وقوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ . قال أبو إسحاق : وكيلاً لأولياؤه يعصمهم من القبول من إبليس^(٨) ، وهذا يدل على أن المعصوم من عصمه الله .

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) أخرجه الطبري ١٥ / ١٢١ ، بنصه (ضعيفة) ، وورد في تفسير الجصاص ٣ / ٢٠٥ ، بنصه ، وتفسير الثعلبي ٧ / ١١٣ ب ، بنصه ، والماوردي ٣ / ٢٥٦ ، بنحوه ، والطوسي ٦ / ٤٩٩ ، بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٣٤٨ ، وزاد نسبه إلى ابن مردويه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٥٠ ، بتصرف يسير .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢ / ١٢٧ ، بنصه .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٥٠ ، بنصه .

(٦) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢ / ٥٢٠ ، بنصه عن ابن عباس .

(٧) أخرجه الطبري ١٥ / ١٢٢ ، بنصه .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٥١ ، بنصه .

٦٦. قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْفَلَكَ﴾ . الإزجاء : سوق الشيء حالاً بعد حال ، ذكرنا ذلك في قوله : ﴿يَصْنَعُ مَرْجَلَهُ﴾ [يوسف : ٨٨] ، قال السدي : يُسَيِّر^(١) ، ونحوه قال الزَّجَّاج^(٢) ، ﴿لِتَبْنِغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في طلب التجارة .

﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ . قال ابن عباس : يريد بأوليائه وأهل طاعته^(٣) ، والخطاب في قوله : ﴿رَبُّكُمْ﴾ عام ، وفي آخر الآية خاص .

٦٧. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ قال ابن عباس : يريد يا معشر المشركين ، يعني أن الخطاب للمشركين ، وفَسَّر الضر هاهنا بخوف الغرق .

وقوله تعالى : ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ﴾ ؛ أي زال وبطل من تدعون من الآلهة ، ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾ إلا الله تعالى ، و(إِيَّاهُ) استثناء بعد الإيجاب ، فيكون موضعه نصباً ، كما تقول : بطلت الآلهة إلا الله ، قال ابن عباس : نسيتم اتخاذ الأنداد والشركاء وتركتموهم وأخلصتم لله^(٤) ، ﴿فَلَمَّا تَخَنَّكَزْ﴾ من الغرق والبحر ، وأخرجكم ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن الإيمان والإخلاص ، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ . قال ابن عباس : يريد أهل مكة^(٥) .

(١) لم أقف عليه .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥١ ، بلفظه .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٢٠ ، بنصه .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٢١ ، بنصه .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٣٠٣ ، بلفظه .

وقال أبو إسحاق : الإنسان هاهنا يعني به الكفار خاصة^(١) ، وفي هذا احتجاج على الكفار حيث لَمَّا وقعوا في الشدة التي لا يُطَمَع في قدرة أحد على كشفها أخلصوا الدعاء لله بكشف ذلك البلاء ، فلما نَجَّاهم بطروا النعمة وكفروا به .

٦٨ . ثم يَبِّن أنه قادر أن يهلكهم في البر بمثل ما يهلك في البحر ، فقال : ﴿ أَفَأَمْنٌ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ﴾ . قال الليث : الخسف سُؤُوخُ الأرض بما عليها^(٢) ، يقال : خسف الله به الأرض ؛ أي غاب به فيها ، ومعنى الخسف والخسوف : الدخول في الشيء ، يقال : عين خاسفة ؛ وهي التي غابت حدقتها في الرأس ، وعين من الماء خاسفة ؛ أي غائرة الماء ، والشمس تُخْسَفُ خُسُوفاً ، وهو دخولها في السماء كأنها تكون في جُحْرٍ^(٣) ، فمعنى قوله : ﴿ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ﴾ يُغَيِّبُكُمْ وَيُذْهِبُكُمْ في جانب البر ، وهو الأرض ، وإنما قال : ﴿ جَانِبَ الْبَرِّ ﴾ ؛ لأنه ذكر البحر في الآية الأولى ، فهو جانب ، والبر جانب ، أخبر الله تعالى أنه^(٤) كما قدر أن يغيبهم في الماء قادر أن يغيبهم في الأرض ، قال ابن عباس في قوله : ﴿ أَفَأَمْنٌ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ ﴾ يريد : حيث أعرضتم حين سلمتم من هول البحر .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٥١ ، بنصه .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (خسف) ١ / ١٠٢٩ ، بنصه .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (خسف) ١ / ١٠٣٠ ، بنحوه ، انظر : المحيط في اللغة (خسف) ٤ / ٢٦٧ ، واللسان ٢ / ١١٥٧ .

(٤) في (أ) و(د) : (أنه قال) ، والظاهر أن (قال) زائدة ، وقد أدت إلى اضطراب المعنى ، والمثبت من (ش) و(ع) .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ معنى الحَصْبُ في اللغة الرمي ، يقال : حَصَبَ أَحْصَبُ حَصْبًا إِذَا رَمَيْتَ ، وَالْحَصْبُ : الرمي ^(١) ، ومنه قوله تعالى : ﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء : ٩٨] ؛ أي تلقون فيها ، ومعنى قوله : ﴿حَاصِبًا﴾ عذاباً يحصبهم ؛ أي يرميهم بحجارة ، ويقال للريح التي تحمل التراب والحصباء : حاصب ، وللسحاب يرمي بالثلج والبرد : حاصب ؛ لأنه يرمي بهما رمياً ، ومنه قول الفرزدق :

مُسْتَقْلِينَ شَمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا بِحَاصِبٍ كَنْدِيفِ الْقُطَنِ مَثُورٍ ^(٢)

أي سحاب حاصب ثلجاً كنديف القطن ، فحذف الموصوف والمشبه وأقام المشبه به ، وهو قوله : كنديف القطن ، وقال أبو إسحاق : الحاصب : التراب الذي فيه حصباء ^(٣) ، والحاصب على هذا ذو الحصباء ، مثل : اللابن والتامر ، وعلى هذا فُسِّرَ بَيْتُ الْأَخْطَلِ :

تَرْمِي الْخِصَالُ ^(٤) بِحَاصِبٍ مِنْ ثَلْجِهَا

حَتَّى يَبِيَّتَ عَلَى الْعِضَاهِ جِفَالًا ^(٥)

-
- (١) انظر : تهذيب اللغة (حصب) ٨٣٤ / ١ ، والصحاح ١١٢ / ١ ، واللسان ٨٩٤ / ٢ .
 (٢) ديوانه ٢١٣ / ١ ، وورد في مجاز القرآن ٣٨٥ / ١ ، والكامل ٥٧ / ٣ ، والموشح ١٢٧ وفيه : (تضربهم) ، وتفسير الثعلبي ٧ / ١١٤ أ ، والسمعي ٢٦٢ / ٣ ، وابن الجوزي ٦١ / ٥ ، والقرطبي ٢٩٢ / ١٠ ، وورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٢٤ / ١٥ ، والطوسي ٥٠٢ / ٦ ، وابن عطية ١٤٢ / ٩ .
 (٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٥١ / ٣ ، بنصه .
 (٤) في الديوان والمصادر جميعها : (العضاه) ، والمعنى واحد .
 (٥) ديوانه ١٠٨ / ١ ، وورد في تفسير الطبري ١٢٤ / ١٥ ، وابن عطية ١٤٢ / ٩ ، وشرح ديوان الأخطل ٣٨٧ . (ترمي) : الضمير يعود على ريح الشمال ، (الخصال) : جمع خَصْلَةٍ وَخُصْلَةٍ ؛ وهو العُنُقُود ، وَالْخَصْلَةُ وَالْخُصْلَةُ وَالْخَصْلَةُ كُلُّ ذَلِكَ : عُوْدٌ فِيهِ شَوْكٌ ، (العضاه) : من شَجَرِ الشَّوْكِ ؛ وهو ما كان له أرومة تبقى على الشتاء ، قيل : واحده عِصَّةٌ وَعِصَّةٌ وَعِصَاهُ ، جِفَالًا : الجفال : ما تراكم من الثلج بفضه فوق بعض . انظر : المحيط في اللغة (عضه) ١٠٩ / ١ ، واللسان (خصل) .

أي ترميها بذئ حصباء من ثلجها ، يعني : سحاباً فيه ثلج ، فهو يرمي بها .
 وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ . قال قتادة : يقول : مانعاً ولا
 ناصر^(١) ، والمعنى : لا تجدوا أحداً وكلتم إليه أموركم أو تكلون إليه أموركم فهو
 يمنعكم وينصركم .

٦٩ . قوله تعالى : ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ ؛ أي في البحر ، ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾ ؛
 أي مرة أخرى ، قال الليث : ﴿تَارَةً﴾ ألفها واو وجمعها تَيْرٌ ، وتجمع
 تارات أيضاً^(٢) ، قال الفراء : والفعل منها : أترت ؛ أي أعدت تارة
 وتارتين وتيراً ، مثل : قَامَةً وَقِيمَ^(٣) ، وقال لبيد يصف عيراً :

يُدِيمُ سَحِيلَهُ وَيُتِيرُ فِيهِ وَيُتْبِعُهَا خِنَافاً فِي زَمَالٍ^(٤)
 أي يديم نهيقه ويعيده مرة أخرى .

وقوله تعالى : ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ ، القاصف : الكاسر ، يقال :
 قَصَفَ الشيءَ يَقْصِفُهُ قَصْفًا ، إذا كسر^(٥) كسراً بشدة ، والقاصف من الريح التي^(٦)

(١) أخرجه الطبري ١٥/١٢٣ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٤٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (تار) ١/٤١٨ ، بنصه .

(٣) لم أقف عليه ، انظر : الشامل لمجموع التصحيح والتكسير ٣/٣١٩ .

(٤) شرح ديوان لبيد ٨٤ ، وورد في تهذيب اللغة ١/٤١٩ ، واللسان (تور) ١/٤٥٥ ، وفي الجمع (يُجد) بدل (يديم) ، (يُجد) : من أجدَّ يجد من الجدد في الأمر ، سحيلاً ؛ السحيل : الصوت يقطع في جوفه ، (خنافاً) : يقال خنفت الدابة مالت بيديها في أحد شقيها من النشاط ، والخناف : الذي يشمخ بأنفه من الكبر ، (زمال) ؛ الزمال : العدو في جانب . انظر : اللسان (خنف) ٢/١٢٧٩ .

(٥) هكذا في النسخ جميعها ، والأولى كسره .

(٦) ساقطة من (أ) و(د) .

تكسر الشجر ، وتدق كل شيء وتحطمه^(١) ، وأراد هاهنا ريحاً شديدة تقتصف الفلك وتغرقهم .

وقوله تعالى : ﴿فَيَغْرِقُكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ ؛ أي بكفركم ، حيث سلمتم ونجوتم في المرة الأولى ، ويُقرأ قوله : ﴿أَنْ يَخْسِفَ﴾ وأخواته من الأفعال^(٢) بالياء والنون ، فمن قرأ بالياء^(٣) لأن ما قبله على الواحد الغائب ، وهو قوله : ﴿إِلَّا آيَةً فَلَمَّا بَجَحْتُمْ﴾ ، ومن قرأ بالنون^(٤) فلأن هذا النحو قد ينقطع بعضه من بعض ، وهو سهل ؛ لأن المعنى واحد ، ألا ترى أنه قد جاء : ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا﴾ [الإسراء : ٢] ، فانتقل من الجمع إلى الأفراد ، كذلك هاهنا يجوز أن ينتقل من الغيبة إلى الخطاب ، والمعنى واحدٌ ، وكلُّ حَسَنٌ^(٥) ، ويؤكد النون :

٧٠ . قوله : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ قال ابن عباس : يريد فضلنا^(٦) ، وهو كقوله : ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء : ٦٢] . روى ميمون بن مهران عنه في قوله : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ قال ابن عباس : كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم يأكل بيديه^(٧) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (قصف) ٢٩٧٨ / ٣ ، والمحيط في اللغة ٢٧١ / ٥ ، والصحاح ١٤١٦ / ٤ ، واللسان ٣٦٥٤ / ٦ .

(٢) هي : (أو نرسل) و(أن نعيدكم) و(فترسل عليكم) و(فغرقكم)

(٣) هم : نافع وعاصم وابن عامر وحزمة والكسائي . انظر : السبعة ٣٨٣ ، وعلل القراءات ١ / ٣٢٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ٣٧٧ ، والحجة للقراء ٥ / ١١١ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٩ .

(٤) مثل ابن كثير وأبو عمرو ، انظر : المصادر السابقة .

(٥) الحجة للقراء ٥ / ١١١ ، بتصرف يسير ، وهناك توجيه آخر لابن خالويه : فالحجة لمن قرأه بالنون : أنه جعله من إخبار الله عن نفسه ، والحجة لمن قرأه بالياء : أنه جعله من إخبار النبي ﷺ عن ربه . الحجة في القراءات ٢١٩ .

(٦) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٥٢٢ / ٢ .

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيوان ٥ / ٧٧ ، مختصراً ، وهو في تفسير الثعلبي ٧ / ١١٤ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٣٥٠ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه . وورد بنحوه منسوباً للكلبي في تفسير الماوردي ٣ / ٢٥٧ .

وروى عنه أيضاً أنه قال : بالعقل^(١) .

وقال الضحاك : بالنطق والتمييز^(٢) .

وقال عطاء : بامتداد القامة وتعديلها^(٣) .

وقال يمان : بحسن الصورة^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْوَيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد في البحر على السفن ، وفي البر على الإبل والخيول والبغال والحمير^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ . قال : يريد الثمار والحبوب والمواشي .

وقال مقاتل : السمن والزُّبْدُ والحلاوى ، وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى عليكم^(٦) .

-
- (١) ورد في تفسير الثعلبي ١١٤ / ٧ ، بلفظه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٦٣ / ٥ ، والخازن ١٧٢ / ٣ .
- (٢) ورد في تفسير السمرقندي ٢٧٧ / ٢ ، لكنه قال : «بالعقل والتمييز» ، وتفسير الثعلبي ١١٤ / ٧ ، بنصه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٦٣ / ٥ ، والفخر الرازي ١٣ / ٢١ ، والقرطبي ٢٩٤ / ١٠ .
- (٣) ورد في تفسير الثعلبي ١١٤ / ٧ . لكنه قال : «بتعديل القامة وامتدادها» . انظر : المراجع السابقة .
- (٤) ورد في الثعلبي ١١٤ / ٧ ، بنصه ، وانظر : زاد المسير ، والقرطبي .
- (٥) ورد بنصه بلا نسبة في تفسير الثعلبي ١١٤ / ٧ ، وتفسيره الوسيط ٥٢٣ / ٢ .
- (٦) ليس في تفسيره ، وورد في تفسير الثعلبي ١١٤ / ٧ ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ١٠٨ / ٥ ، والقرطبي ٢٩٥ / ١٠ .

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ، روى مكحول عن ابن عباس في هذا ، قال : البهائم تأكل بأفواهها ، وابن آدم يأكل بيده^(١) ، ونحو هذا قال عكرمة^(٢) .

وقال محمد بن جرير : فضلناهم بتسليطهم على البهائم والوحوش ، وكثير من خلق الله سخرناها لهم^(٣) . وقال السدي : فَضَّلُوا عَلَى الْبَهَائِمِ وَالِدَوَابِّ وَالْوَحُوشِ ، وهم الكثير^(٤) .

وقال الكلبي : فضلوا على الخلائق كلهم إلا^(٥) عن طائفة من الملائكة؛ جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وأشباههم^(٦) .

وقال أبو إسحاق : قال : ﴿عَلَى كَثِيرٍ﴾ ، ولم يقل : على كل من خلقنا؛ لأن الله فضل^(٧) الملائكة^(٨) ، ولكن ابن آدم مفضل على سائر الحيوانات التي لا تعقل ولا تميز .

(١) ورد في معاني القرآن للنحاس ١٧٦/٤ ، بنحوه .

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب ٧٧/٥ مختصراً ، عن عكرمة عن ابن عباس .

(٣) تفسير الطبري ١٢٥/١٥ ، بنحوه .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٥٢٣/٢ ، بنصه .

(٥) ساقطة من (د) ، وفي (ش) و(ع) : (غير) .

(٦) ورد في تفسير الثعلبي ١١٤/٧ ، بنصه ، انظر : تفسير السمعاني ٢٦٣/٣ ، والبغوي ١٠٨/٥ ،

والخازن ١٧٢/٣ ، وورد عن ابن عباس في تفسير السمرقندي ٢٧٧/٢ ، وابن الجوزي ٦٢/٥ .

(٧) في النسخ جميعها : (لأن الله فضل الله الملائكة) ، بزيادة لفظ الجلالة بعد فضل .

(٨) لم ينقل الدليل على هذه الدعوى مع أنه أشار إليها في المصدر ، وهو قوله : ﴿وَلَا أَلْمَلِكَةُ الْمَقْرُونُونَ﴾

[النساء : ١٧٢] ، ودلالته ليست صريحة ، ولعل هذا السبب في عدم نقله إيَّاه ، ولذلك قال ابن عطية

في تفسيره ١٤٦/٩ : وهذا غير لازم من الآية ، بل التفضيل بين الإنس والجن لم تعن له الآية ، بل

يحتمل أن الملائكة أفضل ، ويحتمل التساوي .

ونحو هذا روى عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ ، قال : يريد غير ^(١) الملائكة في هذا الموضع ، لم يُفَضَّل وَلَدُ آدَمَ عَلَيْهِم .

وذهب قوم إلى تفضيل ولد آدم على الملائكة ، واحتجوا بما روي عن زيد بن أسلم في هذه الآية ، قال : قالت الملائكة : ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا ؛ يأكلون فيها ويتمتعون ، ولم تعطنا ذلك ، فأعطناه في ^(٢) الآخرة فقال : «وعزتي وجلالي ، لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له : كن فكان» ^(٣) .

(١) في (أ) و(د) : (عزل) ، والمثبت هو الصحيح المتسق مع السياق .

(٢) ساقطة من (د) .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٣/ ٣٨٢ ، بنصه ، والطبري ١٥/ ١٢٦ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٤ ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٥٨ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٠ ، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم . قال ابن كثير ٣/ ٥٨ : وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه ، وقد روي من وجه آخر متصلاً وذكره ، وكذلك أورده في التاريخ ١/ ٥٥ ، عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً ، وقال : هو أصح ، والحديث المرفوع رواه الطبراني بسنده عن عبدالله بن عمرو وهو بنحوه ، وللحديث طريقان يلتقيان عند صفوان بن سليم فمن بعده ، قال الطبراني كما في مجمع البحرين ١/ ١١٩ : لم يروه عن صفوان إلا طلحة وأبو غسان محمد بن مطرف . والحديث ضعيف بالروايتين ، قال الهيثمي في المجمع ١/ ٨٢ : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه إبراهيم بن عبدالله المصيبي ، وهو كذاب متروك ، وفي سند الأوسط طلحة بن زيد وهو كذاب أيضاً ، وقال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف بذييل الكشاف ٤/ ١٠٠ : وقد لفقوا أخباراً منها : أن الملائكة قالت : . الحديث . وذكر رواياته وعزاها إلى أصحابها . وللحديث شاهد عن ابن عمر ، وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٣٦ ، بنحوه ، وقال : هذا حديث لا يصح . والخلاصة أن الحديث برواياته جميعها وشواهده ضعيف لكونه مرسلًا كما هنا ، والموصول ضعيف لضعف رواته ، وحسبك إيراد ابن الجوزي له في العلل ، وقول ابن حجر فيه .

قال أبو هريرة : المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده^(١) ، وهذا الخلاف في التفضيل إنما يجري بين الناس في تفضيل صالحي المؤمنين على الملائكة ، ما عدا الرسل والأنبياء من بني آدم [وجبريل وميكائيل وإسرافيل^(٢) وعزرائيل^(٣) من الملائكة ، فإن هؤلاء في الملائكة كالرسل من بني آدم]^(٤) ، وأصحابنا أيضاً مختلفون في هذه المسألة؛ فمنهم من قال بتفضيل المؤمنين على الملائكة ، ومنهم من يأبى ذلك ، كما ذكرنا عن ابن عباس والسدي ، وهو اختيار أبي إسحاق .

قال العلماء من أصحابنا : هذه من المسائل التي لا يستحب الخوض فيها والإبلاغ ، وكذلك الكلام في تفضيل الأنبياء على مشاهير الملائكة^(٥) ، كما لا

(١) أخرجه البيهقي في الشعب ١/ ١٧٤ ، بنصه تقريباً ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٧ ، بنصه ، والثعلبي ٧/ ١١٤ ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٠٩ ، وابن عطية ٥/ ٦٤ ، مرفوعاً ، والخازن ٣/ ١٧٣ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٥٠ ، وورد في الكنز ١/ ١٤٥ ، ومثل هذا القول مما لا يقال بالعقل فله حكم الرفع ، وقد أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٤) : الفتن ، كتاب : باب : المسلمون في ذمة الله من طريق أبي المَهْزَم عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه . وهو ضعيف لضعف أبي المهزم ، قال عنه في التقریب ٦٧٦ ، رقم (٨٣٩٧) : متروك ، وقد ضعف الحديث الألباني وذكره في ضعيف ابن ماجه ٣١٨ ، (٨٥٧) .

(٢) في (أ) : (إسرايل) ، والمثبت من (د)

(٣) قال ابن كثير : وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح ، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل ، والله أعلم . البداية والنهاية ١/ ٤٧ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .

(٥) مسألة المفاضلة بين الملائكة والبشر مما تنازع فيها العلماء قديماً ، قال ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ٥٤ : وقد اختلف الناس في تفضيل الملائكة على البشر على أقوال ، فأكثر ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلمين ، والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم ، وأقدم كلام رأيته في هذه المسألة ما ذكره الحافظ بن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن العاص . ثم ساق حادثة جرت بين يدي عمر بن عبدالعزيز في المسألة . وقد فصل شارح العقيدة الطحاوية القول في المسألة وصنف الذين تكلموا في المسألة ، فقال : وقد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر ، وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحى البشر والأنبياء فقط على الملائكة ، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة ، وأتباع الأشعري على قولين : منهم من يفضل الأنبياء =

يستحب الكلام في المخايرة بين الأنبياء؛ لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «لا

والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً، وحكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة، وحكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية، وقالت الشيعة: إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة، ومن الناس من فصل تفصيلاً آخر، ولم يقل أحد من له قول يؤثر: إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض. ثم بين أن الإمام الطحاوي لم يتعرض إلى هذه المسألة بنفي أو إثبات، وعزا ذلك إلى متابعة أبي حنيفة - رحمه الله - حيث توقف في الجواب عن هذه المسألة، وقد مال هو كذلك إلى التوقف وقال: فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفيًا وإثباتاً. . . أولى. شرح العقيدة الطحاوية ٢٧٥، وإذا كان بعض السلف قد أمسك عن الحديث في هذه المسألة فإن آخرين قد تكلموا فيها، وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك، فقال: قد كان السلف يحدثون الأحاديث المتضمنة فضل صالحى البشر على الملائكة، وتروى على رؤوس الناس، ولو كان هذا منكراً لأنكروه، فدل على اعتقادهم ذلك مجموع الفتاوى ٤/ ٣٧١، ومن هؤلاء الذين تحدثوا في هذه المسألة: إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، فقد كان يقول: بنو آدم أفضل من الملائكة، ويقول أيضاً: يخطئ من فضل الملائكة، ومنهم الإمام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي، فقد قال: الصحيح تفضيل الأنبياء والصالحين على الملائكة، والملائكة أفضل من الفسقة، وقال أيضاً: الأنبياء أفضل من الملائكة، وجبريل وإسرافيل وميكائيل أفضل من الأولياء. انظر: لوامع الأنوار ٢/ ٣٩٨، ٣٩٩. وقد ذهب ابن تيمية إلى تفضيل صالحى البشر على الملائكة، وذكر ثلاثة عشر دليلاً على ذلك، ثم قال: فهذا - هداك الله - وجه التفضيل بالأسباب المعلومة، ذكرنا أنموذجاً نهجنا به السبيل، وفتحنا به الأبواب إلى درك فضائل الصالحين، من تدبر ذلك وأوتي منه حظاً رأى وراء ذلك ما لا يحصىه إلا الله، وإننا عدل عن ذلك قوم لم يكن لهم من القول والعلم إلا ظاهره، ولا من الحقائق إلا رسومها؛ فوقعوا في بدع وشبهات، وتاهوا في مواقف ومجازات، ثم رد على حججهم قائلاً: وما نحن نذكر ما احتجوا به. مجموع الفتاوى ٤/ ٣٥٠-٣٩٢.

وقال ابن القيم: سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن صالحى بني آدم أيهما أفضل؟ فأجاب بأن صالحى البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية؛ فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزوه عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فتصير حال صالحى البشر أكمل من حال الملائكة. قال ابن القيم: وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه. انظر: لوامع الأنوار البهية ٢/ ٣٩٨-٤٠٩. نقلاً عن بدائع الفوائد. ويضاف إلى هذا أن الملائكة خلقوا للعبادة لذلك لا يعصون الله ما أمرهم، في حين أن البشر خلقوا للعبادة أيضاً مع ابتلائهم بالشهر والخير فتنه، فهم معرضون للشهوات والأهواء، فلا يصل أحدهم إلى الطاعة إلا بجهد جهيد وصبر طويل، بخلاف الملائكة الذين جبلوا على الطاعة، فهل يستوي من طبع على الطاعة بمن يتكلف الطاعة وتتجاذبه الأهواء والشهوات الصارفة له عن الطاعة؟! أملاه علي شيعني.

تخايروا بين الأنبياء و^(١) لا تفضلوني على يونس بن متى» ، وحديث اليهودي الذي قال : لا والذي اصطفى موسى على البشر فلطم ، ثم أتى النبي ﷺ ، مشهور في الصحيح^(٢) ، فالأحسن التأدب بأدب رسول الله ﷺ ، ومثل هذه الطريقة حسن في الصحابة؛ بترك الخوض في تفضيل بعضهم على بعض^(٣) ، وإن كنت تعلم

(١) لم يتبين لي إن كانت هذه الواو عاطفة لمقطعين أو لحديثين ، وهو الأرجح لعدم ورود حديث واحد يجمع بين النهي عن التخير بين الأنبياء ، والنهي عن تفضيل رسولنا ﷺ على يونس عليه السلام في ما وقفت عليه في كتب التخريج ، ولم أجد هذا التركيب إلا ما ذكره ابن كثير - على سبيل الحكاية - في البداية والنهاية ١/ ٢٣٧ ، قال : كما قد ورد في بعض الأحاديث : « لا تفضلوني على الأنبياء ولا على يونس بن متى » . أما على اعتبار أنها مقطعان لحديثين فقد وردت روايات عدة للمقطعين كل على حدة؛ فمن روايات المقطع الأول : قول رسول الله ﷺ : « لا تخيروا بين الأنبياء » . أخرجه مسلم (٢٣٧٣/ ١٦٠) ، كتاب : الفضائل ، باب : فضائل موسى ٤/ ١٨٤٥ ، عن أبي سعيد الخدري ، وأبو داود (٤٦٦٩) ، كتاب : السنة ، باب : في التخير بين الأنبياء ٥/ ٥١ ، ومشكل الآثار ١/ ٤٥٢ ، وشرح السنة ، كتاب : الفضائل ، باب : فضائل سيد الأولين والآخرين ١٣/ ٢٠٤ ، وورد برواية : « لا تفضلوا بين أنبياء الله » في مشكل الآثار ١/ ٤٥٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٤٩٢ ، وشرح السنة ١٣/ ٢٠٤ . أما المقطع الثاني : قوله ﷺ : « لا تفضلوني على يونس بن متى » ، فقد ورد في الشفا ١/ ٢٦٥ ، وإتحاف السادة المتقين للزبيدي ٢/ ١٠٥ ، ومناهل الصفا ٢٢ . قال السيوطي : لم أقف عليه بهذا اللفظ ، والذي في صحيح البخاري : « لا يقولن أحدكم أي خير من يونس بن متى » . وفي الصحيحين من حديث ابن عباس وأبي هريرة : « ما ينبغي لعبد أن يقول : إني خير من يونس بن متى » . ولأبي داود من حديث عبد الله بن جعفر : « لا ينبغي أن يقول أنا أفضل من يونس بن متى » . انظر : الروايات الأخرى بنحوها في صحيح البخاري (٣٤١٣) ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب قوله : ﴿وَإِنْ يُوَسَّسْ لِيَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ ، ومسلم (٢٣٧٦ ، ٢٣٧٧) ، كتاب : الفضائل ، باب : في ذكر يونس عليه السلام ، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٤٩٤ .

(٢) ونصه : قال رسول الله ﷺ : « لا تخيروني على موسى ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يُنْفِق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدري أكان في من صَعِقَ فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله » ، ولهذا الحديث روايات عدة ، أخرجه أحمد ٣/ ٤١ ، والبخاري في أماكن عدة ، منها (٣٤٠٨) ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : وفاة موسى ، الرقاق ، باب : نفخ الصور (٧٤٧٢) ، كتاب : التوحيد ، باب : في المشيئة والإرادة ، ومسلم (٢٣٧٣/ ١٦٠) ، كتاب : الفضائل ، فضائل موسى ، وأبو داود : السنة ، باب : في التخير بين الأنبياء ، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٤٩٣ ، وورد في الشفا ١/ ٤٣٩ ، والكنز ١١/ ٥٠٧ .

(٣) دغلت نصوص القرآن على وجود التفاضل بين الناس ، كما في قوله تعالى : ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ =

بالدليل والاعتقاد ما تعلم^(١)، فالأحسن ترك الخوض والإبلاغ، والجري على مثل عادة بعضهم مع بعض.

٧١. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾. قال أبو إسحاق: يعني به يوم القيامة، وهو منصوب على معنى: اذكر يوم ندعو، قال: ويجوز أن يكون منصوباً بمعنى يعيدكم الذي فطركم يوم يدعو^(٢).

قال أبو علي الفارسي: الظرف هاهنا بمنزلة إذا؛ لأنه لا يجوز أن يكون العامل فيه ما قبله من قوله: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ﴾؛ لأنه فعل ماض، وليس العامل أيضاً يدعو؛ لأنه فعل مستقبل، فإذا لم يكن في هذا الكلام فعل ظاهر يتعلق به الظرف تعلق بما دلّ عليه قوله: ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^(٣)، كما أن قوله: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢] على تقدير: إذا متنا بعثنا، كذلك هاهنا يُجعل الظرف بمنزلة إذا، فيصير التقدير: إذا دُعي كل أناس لم يُظلموا، ومثل هذا سُويّ قوله: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ [فصلت: ١٩].

عَلَى بَعْضِ [الإسراء: ٢١]، كما وردت نصوص في الكتاب والسنة تدل على وقوع التفاضل بين الصحابة رضي الله عنهم، لذلك ذهب أهل السنة والجماعة إلى القول بالتفاضل بين الصحابة - رضي الله عنهم - عموماً والخلفاء الأربعة خصوصاً، بعد إثبات فضيلة الصحبة لكل صحابي. يقول شيخ الإسلام في بيان أصول أهل السنة والجماعة في الصحابة: ويقبلون ما جاء في الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، فيفضلون من أنفق من قبل الفتح، وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، كما أخبر النبي ﷺ؛ بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه ويقرون بما تواتر به النقل عن علي - رضي الله عنه - وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلاثون بعثان ويربعون بعلي كما عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة رضي الله عنهم على تقديم عثمان في البيعة. انظر: مجموع الفتاوى ٣/ ١٥٢، ٤/ ٤٢١.

(١) الظاهر من كلام الواحدي - رحمه الله - إثبات التفاضل على النحو السابق، لكنه يرى عدم الخوض في هذه المسألة على سبيل التعصب لأحدهم، مما قد يؤدي معه إلى انتقاص الآخرين.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٢، بنصه تقريباً.

(٣) لم أقف عليه، وذكر هذا القول في الإملاء ٢/ ٩٤، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٩٤.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، الإمام في اللغة معناه : كل من اتَّممَّ به قوم كانوا على هدى أو ضلالة ، والنبيُّ إمامُ أمته ، والخليفة إمام رعيته ، والقرآن إمام المسلمين ، وإمام الغلام في المكتب : ما يتعلمه كل يوم^(١) ، واختلفوا في معنى الإمام هاهنا؛ فروى معمر عن قتادة ، وشبل عن أبي نجیح عن مجاهد : بنبيهم^(٢) ، ورُوي ذلك مرفوعاً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ^(٣) .

ويكون المعنى على هذا : أن ينادي يوم القيامة فيقول : هاتوا متبعي إبراهيم ، هاتوا متبعي موسى ، هاتوا متبعي محمد ﷺ ، فيقوم أهلُ الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأيامهم ، ثم يقال : هاتوا متبعي الشيطان ، هاتوا متبعي الطغاة في عبادة الأوثان ، هاتوا متبعي رؤساء الضلالة في اعتقاد الجهالة ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبیر قال : إمام هدى أو إمام ضلالة^(٤) ، ونحو هذا روى علي بن أبي طلحة ، فقال : بأئمتهم في الخير والشر^(٥) .

وقال في رواية أبي صالح : برئيسهم^(٦) ، ويدخل في هذا كل من كانوا يأتمون به في الدنيا ، وعلى هذا التفسير قال أبو علي : الباء في إمامهم تكون على ضربين؛

(١) ورد في تهذيب اللغة (أم) ١/ ٢٠٥ ، بنصه ، انظر : العين (أمم) ٨/ ٤٢٨ ، ومقاييس اللغة ١/ ٢٨ ، واللسان (أمم) ١/ ١٣٣ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٨٢ بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٥/ ١٢٦ ، بلفظه عنهما من طرق ، وورد بلفظه في تفسير الجصاص ٣/ ٢٠٥ ، عنهما ، والسمرقندي ٢/ ٢٧٧ ، عن مجاهد ، والثعلبي ٧/ ١١٤ ب ، والماوردي ٣/ ٢٥٨ ، والطوسي ٦/ ٥٠٤ ، عنهما ، والدر المنثور ٤/ ٣٥١ وزاد نسبه إلى ابن المنذر عن مجاهد .

(٣) لم أقف عليه مسنداً ، وورد عنه بلفظه في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٤ ب ، والفخر الرازي ٢١/ ١٧ .

(٤) ورد في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥٢ بنصه ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٤ ب ، بنحوه ، انظر : تفسير السمعي ٣/ ٢٦٣ ، بنصه ، والبغوي ٥/ ١٠٩ ، وابن الجوزي ٥/ ٦٤ ، والدر المنثور ٤/ ٣٥١ وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٤ ب ، بنصه .

(٦) ورد في الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٦٠ ، بلفظه (ضعيفة) ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٦٤ .

أحدهما : أن تكون متعلقة بالفعل الذي هو ندعو في موضع المفعول الثاني؛ كأنه قيل : ندعو كل أناس بكونهم تبعة وشيعة لإمامهم ، كما تقول : أدعوك باسمك ، فيكون كقولك : أدعوك زيدا ، ويجوز أن تتعلق بمحذوف ، ذلك المحذوف في موضع الحال ، كأنه ندعو كل أناس مُخْلِطِينَ بِإِمَامِهِمْ؛ أي يُدْعُونَ وَإِمَامِهِمْ فِيهِمْ^(١) ، نحو : ركب شأنه^(٢) ، وجاء في جنوده^(٣) ، فيكون الدعاء على هذا الوجه متعدياً إلى مفعول واحد خلاف الوجه الأول .

وقال الضحاك وابن زيد : يعني بكتائبهم الذي أنزل عليهم^(٤) .

وهو رواية وَرَقَاء عن ابن أبي نجیح عن مجاهد^(٥) ، ونحوه قال أبو صالح^(٦) .

ويكون المعنى على هذا : أن ينادى يا أهل القرآن ، يا أهل التوراة ، يا أهل الإنجيل ، وتقدير الباء على ما ذكرنا .

-
- (١) في النسخ جميعها : (فيه) ، والصحيح المثبت؛ لأن الضمير يعود على جمع .
 (٢) أي قصده . القاموس (شأن) ١٢٠٨ .
 (٣) لم أقف عليه ، وذكر نحوه في مشكل إعراب القرآن ٣٢/٢ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٩٤/٢ ، وتفسير الفخر الرازي ١٧/٢١ ، والإملاء ٩٤/٢ ، والفريد في إعراب القرآن ٢٩١/٣ ، والدر المصون ٣٩٠/٧ .
 (٤) أخرجه الطبري ١٢٧/١٥ بلفظه عنهما ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٧٧/٤ ، بلفظه عن الضحاك ، وتفسير الثعلبي ١١٤/٧ ب ، بنصه عنهما ، والماوردي ٢٥٨/٣ ، بنصه عن ابن زيد ، انظر : تفسير البغوي ١٠٩/٥ .
 (٥) تفسير مجاهد ٣٦٧/١ ، بلفظه ، وأخرجه الطبري ١٢٧/١٥ بلفظه ، وورد بلفظه في إعراب القرآن للنحاس ٢٥٢/٢ ، وتفسير الثعلبي ١١٤/٧ ب ، انظر : تفسير ابن كثير ٥٩/٣ .
 (٦) ورد في تفسير الثعلبي ١١٤/٧ ب ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ١٠٩/٥ ، بنصه .

وقال الحسن : بكتابهم الذي فيه أعمالهم^(١) ، وهو قول الربيع وأبي العالية^(٢) ، وابن عباس في رواية عطية قال : إمامه ما عمل وأملى فكتب عليه^(٣) ، وعلى هذا سُمِّي الكتاب إماماً [لأنه يؤتم بما أحصاه ، قاله ابن قتيبة^(٤) ، وهذا كقوله : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢] فسمى الكتاب إماماً^(٥) ، وأما تقدير الباء على هذا القول ، فهو بمعنى مع ؛ أي يدعى كل أناس ومعهم كتابهم ، كقولك : ادفعه إليه برُمته^(٦) ؛ أي ومعه رُمته ، قاله أبو علي^(٧) ، وهذا القول اختيار أبي إسحاق ، قال : ويدل عليه سياق الآية^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يُظَلَّمُونَ فِتْيَلًا﴾ ، الفتيل : القشرة التي في شق النواة ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وعكرمة^(٩) ، وهو قول أكثر المفسرين^(١٠) .

(١) أخرجه عبدالرزاق ٣/ ٣٨٢ ، بنصه ، والطبري ١٥/ ١٢٧ ، بنصه ، وورد في الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٦٠ ، بنصه ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٧٧ ، بلفظه ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٢ ، بنصه ، وتفسير الجصاص ٣/ ٢٠٥ ، بنحوه ، والسمرقندي ٢/ ٢٧٧ ، بنصه .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/ ١٢٧ بلفظ بأعمالهم عنهما ، وورد بهذا اللفظ في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٣٤ ، عن أبي العالية ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٧٧ ، عن أبي العالية ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٠٩ ، عن أبي العالية .

(٣) أخرجه الطبري ١٥/ ١٢٦ ، بنصه (ضعيفة) ، وورد في الثعلبي ٧/ ١١٤ ب ، بنصه .

(٤) تأويل مشكل القرآن ٤٥٩ ، بنحوه .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٦) الرُمة : هي القطعة من الحبل ، وأصله البعير يُشد في عنقه حبل ، فيقال أعطاه البعير برُمته ، قال الجوهري : أصله أن رجلاً دفع إلى رجل بعيراً بحبل في عنقه ، فقبل ذلك لكل من دفع شيئاً بجملته . انظر : المحيط في اللغة (رم) ١٠/ ٢١٦ ، والصحاح (رمم) ٥/ ١٩٣٦ ، واللسان (رمم) ٣/ ١٧٣٦ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) ليس في معانيه .

(٩) ورد في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٥٢ ، بنحوه من طريق عكرمة (جيدة) .

(١٠) أخرجه بنحوه عن قتادة عبدالرزاق ٢/ ٣٨٢ ، والطبري ١٥/ ١٢٧ ، وورد بنحوه في الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٦٠ ، ونزهة القلوب ٣٥١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٧٧ ، والمفردات ٦٢٣ ، وتفسير المشكل ٢٣٠ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١١٤ ب ، بنصه .

وأهل اللغة قالوا : وهذا يضرب مثلاً للشيء الحقير التافه^(١) ، ومثله : القطمير والنقير في ضرب المثل به ، والمعنى : لا يُنْقِصُونَ مِنَ الثَّوَابِ بِمَقْدَارِ فِتِيلٍ . قال عطاء عن ابن عباس : ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ، يريد : لا يُنْقِصُونَ فِتِيلًا مِنَ الثَّوَابِ ، وروى مجاهد عن ابن عباس قال : الفتيل : ما خرج بين إصبعك فتفتله ، كالشئ الحقير^(٢) ، وهو فعيل ، من الفتل .

٧٢ . قوله تعالى : ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ الآية . قال عكرمة : جاء نفر من أهل اليمن إلى ابن عباس فسأله رجل عن هذه الآية ، فقال : اقرأ ما قبلها : ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزَيِّجُ﴾ إلى قوله : ﴿تَفْضِيلًا﴾ فقال ابن عباس : من كان أعمى في هذه النعم - التي قد رأى وعاین - فهو في أمر الآخرة - التي لم ير ولم يعاین - أعمى وأضل سبيلاً^(٣) .

وروى أبو رَوْق عن الضحاک عن ابن عباس قال : من كان في الدنيا أعمى عما يرى من قدرتي في خلق السماء والأرض والبحار والجبال والناس والدواب ، فهو عما وصفت لك في الآخرة ، ولم تره أعمى وأضل سبيلاً^(٤) ، يقول : وأبعد

(١) ورد في تهذيب اللغة (فتل) ٢٧٣٨/٣ ، بنصه ، انظر : مقاييس اللغة (فتل) ٤٧٢/٤ ، والصحاح ١٧٨٨/٥ ، واللسان ٣٣٤٤/٦ .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (فتل) ٢٧٣٨/٣ ، بنحوه ، انظر : تفسير الفخر الرازي ١٨/٢١ ، وتنوير المقباس ٣٠٣ .

(٣) ورد في معاني القرآن للنحاس ١٧٧/٤ ، بنحوه ، والثعلبي ١١٤/٧ ب ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ١١٠/٥ ، وابن الجوزي ٦٦/٥ ، والفخر الرازي ١٨/٢١ ، والقرطبي ٢٩٨/١٠ ، والدر المنثور ٣٥٧/٤ وعزاه إلى الفريابي وابن أبي حاتم ، من طريق عكرمة جيدة .

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة ٣٦ ، ٥٦ بنصه من طريق الضحاک ، (منقطعة) ، ورد بمعناه في تفسير الجصاص ٣/٢٠٥ ، والطوسي ٦/٥٠٤ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٩/١٥٠ ، وابن الجوزي ٥/٦٦ ، والفخر الرازي ٢١/١٩ ، والقرطبي ١٠/٢٩٨ ، والدر المنثور ٤/٣٥٢ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

حجة ، قال قتادة : من عاين الشمس والقمر فلم يؤمن ، فهو أعمى عما يغيب عنه أن يؤمن به^(١) ، هذا قول المفسرين في هذه الآية .

وقوله تعالى : ﴿ فِي هَذِهِ ﴾ الإشارة إلى النعم التي ذكرها على رواية عكرمة ، وبه قال السدي^(٢) ، وعلى قول الآخرين : الإشارة إلى الدنيا^(٣) ، وبه قال مجاهد^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ ﴾ ؛ أي في أمرها على تقدير المضاف ، وقال الحسن : من كان في الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ؛ لأنه^(٥) في الدنيا تقبل توبته ، وفي الآخرة لا تقبل توبته^(٦) .

واختار أبو إسحاق هذا القول ، فقال : تأويله أنه إذا عمي في الدنيا وقد عرّفه الله الهدى وجعل له إلى التوبة وُصْلَةً ، وفَسَحَ له في ذلك إلى وقت مماته ، فعمي عن رشده ولم يَتُبْ ، ﴿ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ ؛ أي أشد عمى ، ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ؛ لأنه لا^(٧) يجد طريقاً إلى الهداية^(٨) .

(١) أخرجه الطبري ١٢٨/١٥ ، بمعناه ، وأبو الشيخ في العظمة ٥٥ ، بنحوه ، وورد بمعناه في تفسير الجصاص ٢٠٥/٣ ، والسمرقندي ٢٧٨/٢ ، والطوسي ٥٠٤/٦ ، وانظر : تفسير ابن عطية ١٥٠/٩ ، وابن كثير ٥٩/٢ .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٦٦/٥ .

(٣) وقد رجح هذا القول الطبري ١٢٩/١٥ ، وابن عطية ١٥١/٩ .

(٤) أخرجه الطبري ١٢٨/١٥ ، بلفظه ، وورد بلفظه في تفسير الجصاص ٢٠٥/٣ ، والسمرقندي ٢٧٧/٣ ، والطوسي ٥٠٥/٦ ، وانظر : تفسير ابن عطية ١٥٠/٩ ، وابن الجوزي ٦٥/٥ ، وابن كثير ٥٩/٢ .

(٥) في (أ) و(د) : (الآية) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح .

(٦) ورد في تفسير هود الهواري ٤٣٣/٢ ، بمعناه ، والثعلبي ١١٤/٧ ب ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ١١٠/٥ ، وابن الجوزي ٦٦/٥ ، والفخر الرازي ١٩/٢١ ، والقرطبي ٢٩٨/١٠ .

(٧) في (د) : (لم) .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٢٥٣/٣ ، بتصرف يسير .

وقال أبو علي : معنى قوله : ﴿ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ ؛ أي أشد عمى ، إنه في الدنيا كان مُمَكِّنًا من الخروج عن عَمَاهُ بالاستدلال ، ولا سبيل له في الآخرة إلى الخروج من عَمَاهُ ؛ لأنه قد حصل على عمله ، ولذلك قوله : ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ؛ لأن ضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه ^(١) .

وعلى هذا القول : لا يُحتاج إلى تقدير المضاف في قوله : ﴿ فِي الْآخِرَةِ ﴾ ، وهذا قول الحسن وقتادة ؛ روينا ذلك عنه في مسند التفسير ، والعمى في الآية المراد منه : عمى القلب ، ولذلك جاز ﴿ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ بمعنى أشد عمى ، ولو كان من عمى العين لم يجز أعمى بمعنى أشد عمى .

قال الفراء : [العرب إذا قالوا : هو أفعل منك ، قالوه في ما كان فعله على ثلاثة أحرف ، فإذا زاد على ثلاثة أحرف لم يقولوا : هو أفعل منك ، حتى يقولوا : هو أشد حمرة منك ؛ لأنه يقال في الفعل منه : أحمر ، وأما في العمى فإنه يقال : فلان أعمى من فلان في القلب ، ولا يقال : هو أعمى منه في العين ؛ وذلك أنه لما جاء على مذهب أحمر وحمراء تُرك فيه أفعل منه كما ترك ^(٢) في كثير من أشباهه .

قال : وبعض النحويين يقول : أجيّزه في الأعمى والأعشى والأعرج والأزرق ^(٣) ؛ لأننا نقول : عَمِيَ وَزَرِقَ وَعَرِجَ وَعَشِيَ ، ولا نقول : حَمِرَ ولا بَيَّضَ ولا صَفِرَ .

(١) الحجة للقراء ١١٣/٥ ، بتصرف .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٣) هذه من مسائل الخلاف المشهورة بين البصريين والكوفيين ، فذهب الكوفيون إلى جواز استعمال ما أفعله في التعجب من البياض والسواد خاصة من بين سائر الألوان ، وذهب البصريون إلى أن ذلك لا يجوز فيها مثل غيرهما من سائر الألوان . انظر التفصيل حول هذه المسألة في : الإنصاف ١٢٤ ، وشرح الفصل ٩٣/٦ ، والمقرب ٧٢/١ ، والخزانة ٢٣٠/٨ .

قال الفرّاء : وليس ذلك بشيء؛ إنما يُنظر في هذا إلى ما يجوز أن يكون أقل أو أكثر ، فيكون أفعال دليلاً على قلة الشيء وكثرته ، ألا ترى أنك تقول : فلان أجهل من فلان؛ لأن جماله يزيد على جماله ، ولا تقول للأعشى : هذا أعمى من ذلك ، ولا لميتين هذا أموت من ذا ، فأما قول الشاعر^(١) :

أَمَّا الْمَلُوكُ فَأَنْتَ الْيَوْمَ الْأَمُّهُم لُؤْمًا وَأَبْيَضُهُم سِرْبَالٌ طَبَّاحٌ^(٢)

فهو شاذ ، هذا كلامه^(٣) ، وعلى هذا التحديد إنما يجوز أن يقال : أفعال منك في ما يكون فعله على ثلاثة أحرف ، وذلك الشيء مما يقل ويكثر ، وما عدا هذا فإنها يقال فيه : أفعال منه ، شاذاً .

وقرأ أبو عمرو : (في هذه أعمى) بكسر الميم ، ﴿فَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ أَعْمَى﴾ بفتح الميم^(٤) ، قال أبو علي الفارسي : أمال الألف من الكلمة الأولى ولم يملها من الثانية؛ لأنها بمعنى أفعال من كذا ، مثل أبّله من فلان ، وليست عبارة عن المؤوَّف^(٥) الجارحة المصاب ببصره ، فإذا كان كذلك لم تقع الألف في آخر الكلمة؛ لأن آخرها إنما هو من كذا ، وإنما تحسن الإمالة في الأواخر؛ لأنها موضع الوقف ، والألف تخفى في الوقف ، فإذا أمالها نحاً بها نحو الياء ليكون أظهر لها وأبين ،

(١) هو طرفه بن العبد (جاهلي) .

(٢) ديوانه ١٨ ، واللسان (بيض) ٣٩٧/١ ، وورد بلا نسبة في إعراب القراءات السبع وعللها ٣٧٩/١ ،

وتفسير الثعلبي ١١٤/٧ ب ، والطوسي ٥٠٥/٦ ، والقرطبي ٢٩٩/١٠ ، واللسان (عمي) ٣١١٥/٥ ،

وشرح التصريح ٣٢٤/١ ، وله رواية أخرى استشهد بها النحاة في باب أفعال التفضيل ، وهي :

إذا الرجال شَنَوْا واشتدَّ أكلُهُم فَأَنْتَ أَبْيَضُهُم سِرْبَالٌ طَبَّاحٌ

وردت هذه الرواية في الإنصاف ١٢٤ ، وشرح المفصل ٩٣/٦ ، والمقرب ٧٣/١ ، والخزانة ٢٣٠/٨ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ١٢٨/٢ ، نقل طويل تصرف فيه .

(٤) انظر : السبعة ٣٨٣ ، وعلل القراءات ٣٢٥/١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٧٨/١ ، والحجة

للقرآن ١١٢/٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٩ .

(٥) في (ش) و(ع) : (المألوف) ، وفي هامش (ش) كتب : (أحسبه المؤوَّف) .

ومما يقوِّي ذلك أن من العرب من يقلب هذه الألفات ياءات في الوقف فيقول :
أَفْعِي ، بإظهار الياء في اللفظ ، وحُبْلِي ، وقد حذف في الآية من أفعل - الذي هو
للتفضيل - الجار والمجرور ، وهما مرادان في المعنى مع الحذف ، وذلك نحو قوله :
﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه : ٧] ، المعنى : وأخفى من السر ، فلذلك قوله : ﴿فَهُوَ
فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ ؛ أي منه في الدنيا .

ومعنى العمى في الآخرة : أنه لا يهتدي إلى طرق الثواب ، ويدل على أن المراد
بقوله : ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ أشد عمى ، قوله : ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ، فكما أن هذا
لا يكون إلا على أفعل من كذا ، كذلك المعطوف عليه ، انتهى كلامه .^(١) فأراد أبو
عمرو أن يفرق بين ما هو اسم وبين ما هو بمعنى أفعل منه ، فغاير بينهما بالإمالة
وتركهما .

٧٣ . قوله تعالى : ﴿وَلِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ الآية . قال ابن عباس في رواية
عطاء : نزلت في وفد ثقيف ، أتوا رسول الله ﷺ فسأله شططاً ،
وقالوا : متّعنا باللات سنة وحرّم واديننا كما حرّمت مكة ؛ شجرها
وطيرها ووحشها ، فأبى ذلك رسول الله ﷺ ، ولم يجبهم ، فأقبلوا
يردون على النبي ﷺ مسألتهم ويكررون ، وقالوا : إنا نحب أن تعرف
العرب فضلنا عليهم ، فإن كرهت ما نقول وخشيت أن تقول العرب
أعطيتهم ما لم تعطنا فقل : الله أمرني بذلك ، فأمسك رسول الله ﷺ
عنهم وداخلهم الطمع ، فصاح عليهم عمر رضي الله عنه : أما ترون

(١) الحجة للقراء ١١٢/٥ ، وهو نقل طويل تصرف فيه بالحذف والإضافة والتقديم والتأخير
والاختصار .

رسول الله قد أمسك عن جوابكم كراهية لما تحيئون^(١) به ، وقد هم رسول الله ﷺ ليعطيهم ذلك ، فأنزل الله هذه الآية .^(٢)

قال أبو إسحاق : معنى الكلام : كادوا يفتنونك ، ودخلت (إن) واللام للتوكيد^(٣) ، وذكرنا معنى (إن) إذا دخل على الفعل أنها مخففة من الثقيلة في قوله : ﴿وَلَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لِنَزُولِ مِنْهُ الْجِبَالِ﴾ [إبراهيم: ٤٦] ، وقيل : إنه بمعنى قد ، وقد مرّ هذا في مواضع^(٤) ، ومعنى كادوا : همّوا وقاربوا ذلك .

وقوله تعالى : ﴿لَيَفْتِنُونَكُمْ﴾ ؛ أي ليستزلونك عن الذي أوحينا إليك ؛ أي يزيلونك ويصرفونك عن الذي أوحينا إليك ، يعني القرآن ، والمعنى عن حكمه ، وذلك في إعطائهم ما سألوا مخالفة لحكم القرآن .

وقوله تعالى : ﴿لِنَفْتِرَىٰ عَلَيْكَ غَيْرُهُ﴾ ؛ أي لتختلق علينا غير ما أوحينا إليك ، وهو قولهم : قل : الله أمرني بذلك ، ﴿وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا﴾ ، قال أبو إسحاق أي لو فعلت ما أرادوا لا تأخذوك^(٥) [خليلًا] .

(١) في النسخ جميعها : (تحيون) ، والتصويب من أسباب النزول للمؤلف .

(٢) أخرجه الطبري ١٥ / ١٣٠ مختصراً من طريق العوفي (ضعيفة) ، وورد في تفسير الثعلبي ٧ / ١١٥ ، بنحوه ، والماوردي ٣ / ٢٥٩ مختصراً ، وأورده المؤلف في أسباب النزول ٢٩٧ ، بنصه - بلا سند - من طريق عطاء (منقطعة) ، انظر : تفسير البغوي ٣ / ١١١ ، وابن الجوزي ٥ / ٦٧ ، والفخر الرازي ٢١ / ٢٠ ، والأثر ضعيف من الطريقتين ؛ طريق العوفي وعطاء .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٥٣ ، بنصه .

(٤) في (أ) و(د) : (موضع) .

(٥) في (أ) و(د) : (اتخذوك) .

٧٤. قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنِّنَكَ﴾؛ أي على الحق بعصمتنا إياك ، ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ﴾^(١) إِلَيْهِمْ؛ أي تميل ، ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ، شيئاً : عبارة عن المصدر؛ أي ركوناً قليلاً .

قال ابن عباس : يريد : حيث سكت عن جوابهم ، والله أعلم بنيته^(٢) .

وروي عن قتادة : أن النبي ﷺ قال لما نزلت هذه الآية : «اللهم لا تكني إلى نفسي طرفة عين»^(٣) .

٧٥. ثم توعده في ذلك أشد التوعد لو فعله ، فقال : ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾؛ أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات ، يريد عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، قال ابن عباس والمفسرون كلهم^(٤) ، ومعنى ضِعْفِ العذاب : ضِعْفُ ما يعذب غيره .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٦٨/٥ ، بنصه ، والفخر الرازي ٢١/٢١ .

(٣) أخرجه الطبري ١٣١/١٥ بنصه ، وورد بنصه في تفسير الثعلبي ١١٥/٧ ب ، والماوردي ٢٦٠/٣ ، والطوسي ٥٠٧/٦ ، والبغوي ١١٢/١٥ ، والكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف [ذيل الكشاف] ١٠١/٤ ، وهذا الأثر مرسل كما قال ابن حجر ، وورد في المجمع ١٨١/١٠ متصلاً عن ابن عمر ، وقال : رواه البزار ، لم أجده ، وفيه راو متروك ، وورد في كشف الخفاء ٢١٧/١ ، والكنز ١٨٦/٢ ، وورد نحو من هذا الدعاء ضمن حديث أبي بكرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : «دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو ، ولا تكني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله» . أخرجه أحمد ٤٢/٥ ، والبخاري في (الأدب المفرد) : باب الدعاء عند الكرب ٢٤٢ ، وأبو داود (٥٠٩٠) في الأدب ، باب : ما يقول إذا أصبح ، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٧٠١ ، ٢٤٢) .

(٤) ورد في تفسير مقاتل ٢١٨/١ أ ، بنصه ، وأخرجه عبدالرزاق ٣٨٣/٢ بنصه عن قتادة ، والطبري ١٣١/١٥ بنصه عن ابن عباس من طريق العوفي (ضعيفة) ، وعن قتادة ومجاهد والضحاك ، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ١٧٩/٤ ، وتفسير السمرقندي ٢٧٩/٢ ، عن ابن عباس ومجاهد وأبي الشعثاء ، وتفسير الثعلبي ١١٥/٧ ب ، والماوردي ٢٦٠/٣ ، والطوسي ٥٠٦/٦ في الأخيرين عن ابن عباس ومجاهد و قتادة والضحاك .

قال أبو إسحاق : لأنه نبيّ يضاعف له العذاب على عذاب غيره لو جنى هذه الجناية ، كما قال : ﴿ نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ [الأحزاب: ٣٠]؛ لأن درجة النبي ﷺ ودرجة آله الذين وصفهم الله فوق درجة غيرهم^(١) ، قال ابن عباس : ورسول الله معصوم ، ولكن هذه مخاطبة لأمته لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه^(٢) .

٧٦ . قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ الآية . قال قتادة : هم أهل مكة بإخراج نبي الله ﷺ من مكة ، ولو فعلوا ذلك ما نوظروا ؛ ولكن الله كفّهم عن إخراجهم^(٣) حتى أمره الله بالخروج ، ولقلّ ما لبثوا بعد خروج النبي ﷺ من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر^(٤) ، وهذا قول مجاهد^(٥) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : حسدت اليهود مقام النبي ﷺ بالمدينة ، فقالوا : إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام فإن كنت نبياً فالحق بها ، وإن خرجت إليها صدقناك وآمنا بك ، فوقع ذلك في قلبه لما يجب من إسلامهم ، فرحل من المدينة

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٤ ، بنصه تقريباً .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٣٠٠ ، وأبي حيان ٦/ ٦٥ ، وحمل الآية على ظاهرها أولى ، ولها نظائر في القرآن وهو ما أشار إليه الطبري ١٥/ ١٣١ ، والبغوي ٥/ ١١٢ ، والقرطبي ١٠/ ٣٠١ .

(٣) في النسخ جميعها : إخراجهم والصواب ما أثبتته ؛ لأن الضمير يعود على الرسول ﷺ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٣ : بمعناه ، والطبري ١٥/ ١٣٢ ، بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٥ ، بنحوه ، والماوردي ٣/ ٢٦١ ، مختصراً ، والطوسي ٦/ ٥٠٨ ، مختصراً ، وأورده المؤلف في أسباب النزول ٢٩٨ ، مختصراً ، وأورده السيوطي في الدر ٤/ ٣٥٣ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ١٣٣ ، بمعناه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٥ ، بنحوه ، والماوردي ٣/ ٥٠٨ ، مختصراً ، والمؤلف في أسباب النزول ٢٩٨ ، مختصراً .

على مرحلة ، فأنزل الله هذه الآية^(١) ، وهذا قول الكلبي وعبدالرحمن بن غنم ، واختيار الفراء^(٢) .

والقول الأول اختيار أبي إسحاق^(٣) ، وهو الوجه ؛ لأن السورة مكية^(٤) ، فإن صح القول الثاني كانت الآية مدنية ، وقد قال عبدالرحمن بن غنم : هذه الآية

(١) أوردته المؤلف في أسباب النزول ٢٩٨ ، بنصه - بلا سند - بهذه الرواية (منقطعة) ، وقد ضعف هذا القول ابن عطية ، وقال : وهذا ضعيف لم يقع في سيرة ولا كتاب يعتمد عليه . كما ضعف ابن كثير القولين قائلًا : قيل : نزلت في اليهود إذ أشاروا على رسول الله ﷺ بسكنى الشام بلاد الأنبياء وترك سكنى المدينة ، وهذا القول ضعيف ؛ لأن هذه الآية مكية ، وسكنى المدينة بعد ذلك ، وقيل : إنها نزلت بتبوك ، وفي صحته نظر . انظر : تفسير ابن عطية ١٥٧/٩ ، وابن كثير ٦٠/٣ .

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٥٤/٥ ، عن ابن غنم بزيادة منكرة ؛ هي : فصَدَّقَ ما قالوا ، فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك أنزل الله الآية ، وورد في تفسير الثعلبي ١١٥/٧ ب ، بنحوه عنهما ، وأوردته المؤلف في أسباب النزول ٢٩٨ ، بنحوه عن ابن غنم ، انظر : تفسير البغوي ١١٢/٥ ، عن الكلبي ، وذكره ابن كثير ٦٠/٣ وقال : وفي هذا الإسناد نظر ، والأظهر أن هذا ليس بصحيح ، فإن النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود ، وإنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [التوبة : ٢٩] ، وغزاها ليقصص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه ، والله أعلم . وأوردته السيوطي في لباب النزول ١٣٩ وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم ، وقال : هذا مرسل ضعيف الإسناد وله شاهد من مرسل سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم .

وعبدالرحمن بن غنم الأشعري ، اختلف في صحبته ، فأثبت له الصحبة البخاري وابن لهيعة والليث ورجحه ابن حجر ، وذكره ابن سعد وابن حبان في ثقات التابعين ورجحه ابن عبدالبر وابن الأثير ، وقالوا : كان مسلماً على عهد النبي ﷺ ، ولم يره ، ولم يفد عليه ، وقال الذهبي : ويحتمل أن تكون له صحبة ، ويعرف بصاحب معاذ ، ملازمته له ، وهو أفقه أهل الشام ، وكانت له جلالة وقدر ، مات سنة ٧٨ هـ .

انظر : الاستيعاب ٣٩٠/٢ ، وأسد الغابة ٤٨٢/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٤٥/٤ ، والإصابة ٤١٧/٢ ، وتهذيب التهذيب ٥٤٣/٢ ، وانظر : معاني القرآن للفراء ١٢٩/٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١٥٤/٣ .

(٤) وهو ما رجحه جمهور المفسرين ، وقال الطبري : لأن الآية جاءت في سياق خبر الله - عز وجل - عن قريش وذكره إياهم ، ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر . فهو بأن يكون خبراً عن جري له ذكر أولى من غيره . تفسير الطبري ١٣٣/١٥ .

أنزلت بعد ما ختمت السورة^(١)، والأرض في قوله: ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ على القول الأول: مكة، وعلى القول الثاني: المدينة، وكثر في التنزيل ذكر الأرض، والمراد منها مكان مخصوص، كقوله: ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣] يعني: من حيث كانوا يتصرفون فيه لمعاشهم، وقوله: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ [يوسف: ٨٠] يعني: الأرض التي كان قصدها للامتياز^(٢) منها، ومثله كثير^(٣).

فإن قيل: أليس قال الله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ [محمد: ١٣] يعني مكة، والمراد أهلها فذكر أنهم أخرجوه، وقال في هذه الآية: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ فكيف الجمع بينهما، على قول من قال: الأرض في هذه الآية: مكة؟! قلنا: هموا وقصدوا إخراجهم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ثم قبل أن يثبتوا ذلك أمر الله تعالى نبيه - عليه السلام - بالخروج، فخرج منها بأمر الله خائفاً منهم ومن مكرهم، وكان خروجه بأمر الله سبباً لسلامته مما كانوا يدبرونه في ما بينهم، ألا ترى أن قتادة قال: هموا بإخراجه ولو فعلوا ذلك ما نواظروا على ما حكيما عنه في هذه الآية، وجاز إضافة الإخراج إليهم في قوله: ﴿أَخْرَجْنَاكَ﴾؛ لأنهم هموا بذلك وأمر بالخروج منها لقصدهم إخراجهم، فلما كانوا سبباً في خروجه أضيف ذلك إليهم.

﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أعلم الله أنهم لو فعلوا ذلك لم يلبثوا بعده إلا قليلاً؛ أي لو أخرجوك لاستأصلناهم كسئتنا في من قبلهم، وقرئ:

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١١٥ ب، بنصه، انظر: تفسير القرطبي ١٠/ ٣٠١، وهو بهذا القول يؤكد

مدينة السورة، وفي القرطبي زيادة بيان، وهو قوله: وأنها نزلت في تبوك.

(٢) في النسخ جميعها: (الامتياز)، والتصويب من الحجة للقراء: الميرة: جلب الطعام للبيع وللعيال، قال الأصمعي: يقال: ماره يموره إذا أتاه بميرة؛ أي بطعام. انظر: المحيط في اللغة (مير) ١٠/ ٢٨٥، واللسان ٧/ ٤٣٠٦.

(٣) ورد نحوه في الحجة للقراء ٥/ ١١٥.

﴿خَلَفَكَ﴾^(١)، و﴿خَلَفَكَ﴾^(٢)، وهو في القراءتين جميعاً على تقدير حذف المضاف كأنه لا يلبثون بعد خروجك .

وزعم الأخفش : أن خلافك في معنى خلفك ، وروى ذلك يونس عن عيسى^(٣) ، وهذا كقوله : ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [التوبة : ٨١] ، وقد مرَّ .

قال أبو علي الفارسي : الآية على تقدير حذف المضاف ، كقول ذي الرُّمَّة :

له واحفُّ فالصُّلْبُ حَتَّى تَقْطَعَتْ خِلَافَ الثُّرَيَّا مِنْ أَرِيكِ مَارِبَةٍ^(٤)

المعنى : خلاف طلوع الثريا^(٥) ، وذكرنا الكلام في إذا وإلغائها في سورة النساء^(٦) .

(١) بفتح الخاء وسكون اللام ، قرأ بها : ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر .
انظر : السبعة ٣٨٣ ، وعلل القراءات ١/ ٣٢٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٣٨٠ ، والحجة للقراء ٥/ ١١٣ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٠ .

(٢) بكسر الخاء وفتح اللام وبعدها ألف ، قرأ بها : ابن عامر حمزة والكسائي وحفص عن عاصم . انظر : المصادر السابقة .

(٣) ورد في الحجة للقراء ٥/ ١١٣ ، بنصه ، وزاد : وأن معناه : بَعْدَكَ .

(٤) ديوانه ٢/ ٨٤٢ ، وورد في الحجة للقراء ٥/ ١١٤ ، (واحف والصلب) : هما موضعان للرعي ، خلاف الثريا : يريد بعد طلوع الثريا ، (أريك) : اسم جبل بالبادية ، يقول : تقطعت حوائج هذا الحمار من هذا الموضع ؛ لأنه ييس مرعاه ، فتحول إلى غيره .

(٥) الحجة للقراء ٥/ ١١٤ ، بنصه تقريباً .

(٦) أشار الواحدي - رحمه الله - في سورة النساء : [٦٧] أنه استوفى الكلام في أحكام (إذا) عند قوله تعالى : ﴿فَإِذَا لَا يُؤْمِنُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [آية : ٥٣] ، وهذه الآية داخلية في السقط الذي وقع في التفسير .

وقد ذكر السمين ثلاثة أوجه في رفع ﴿لَا يَلْبَثُونَ﴾ وإعمال (إذا) ، فقال : أحدهما : أنها توسطت بين المعطوف والمعطوف عليه ، فيكون ﴿لَا يَلْبَثُونَ﴾ عطفاً على قوله : ﴿لَيْسَتِغُزُونَكَ﴾ .

الثاني : أنها متوسطة بين قسم محذوف وجوابه فالغيت لذلك ، والتقدير : والله إذا لا يلبثون .

الثالث : أنها متوسطة بين مبتدأ محذوف وخبره ، فالغيت لذلك ، والتقدير : وهم إذا لا يلبثون .

وفي قراءة أبي شاذان (لا يلبثوا) على إعمال (إذا) ووجه النصب أنه لم يجعل الفعل معطوفاً على ما تقدم ولا جواباً ولا خبراً ، لأنه قد يقع مستأنفاً ، والتقدير : إن فعلوا ذلك إذا لا يلبثوا خلافاً . انظر : الدر المصون ٧/ ٣٩٤ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٩٣ ، والقراءات الشاذة لابن خالويه ٨٠ .

٧٧. قوله تعالى : ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ . قال الفرّاء : نصب سُنَّةَ على العذاب المضمّر ؛ أي يعذبون كسُنَّة من قد أرسلنا^(١) .

وقال الزّجاج : سُنَّة منصوب بمعنى لا يلبثون^(٢) ، هذا كلامهما ويحتاج إلى شرح وبيان في هذا ، وهو أن يقول : سُنَّة منصوبة ؛ لأنها وضعت موضع المصدر ، ومعنى السُنَّة هاهنا : التعذيب ، وتأويل الآية : أنهم يعذبون تعذيب الأمم قبلهم إذا أخرجوا رسلهم أو قُتلوا ، ودل قوله : ﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ﴾ على تعذيبهم ، وكأنه قيل : وإذا يعذبون تعذيب غيرهم ، ومعنى قول الزّجاج : سُنَّة منصوب بمعنى لا يلبثون ، هو ما ذكرنا من أنه يدل على يعذبون ، ومعنى قول الفرّاء : أنه منصوب بالعذاب المضمّر هو هذا سواء ، فاعرفه فإنه مشكل الظاهر .

وقال صاحب النظم : أضاف هذه السنة إلى الرسول ، والسنة لله عز وجل كما قال في أثره : ﴿وَلَا تَحْدُسْتُنَا تَحْوِيلًا﴾ ، وإنما حسن أن ينسبها إلى الرسل ؛ لأنه من أجلهم سَنَّاها ، فأضافها إليهم ، هذا كلامه ، وهو على ما قال ، فإن التعذيب يقع بالأمم لا بالرسل ، ولكن أضيف إلى الرسل لما كان بسببهم ومن أجلهم ، وتحقيق هذا أن يقال : إنه حذف المضاف ، على معنى : سنة أمم من قد أرسلنا ، فحذف المضاف ، وحسّن حذف المضاف هاهنا ما ذكره صاحب النظم ، وهو : أن هذه السنة كانت لأجلهم ، يدل على صحة ما ذكرنا قول ابن عباس والمفسرين في هذه الآية .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٢٩ ، بنصه .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٥ ، بمعناه .

قال ابن عباس : يريد هذه سنتي في من كذب أوليائي ، وتَقَوَّلَ عليَّ الباطل .

وقال سفيان بن عيينة : يقول : لم نرسل قبلك رسولاً فأخرجهم قومه إلا أهلكوا^(١) .

وقال أبو إسحاق : يقول : إنا سننا هذه السُّنَّةَ في من أرسلنا قبلك إليهم أنهم إذا أخرجوا نبيهم من بين أظهرهم وقتلوه^(٢) ، لم يلبثهم العذاب أن ينزل بهم^(٣) ، والسُّنَّةُ لله - عز وجل - في الأمم ، ولما كان المراد بالسُّنَّةِ هاهنا التعذيب أضيف مرة إلى المفعول على حذف المضاف كما بينا ، ومرة إلى الفاعل في قوله : ﴿وَلَا يَحْدِلُسُنَّتَنَا نَحْوِيلاً﴾ ، قال ابن عباس : يريد لا خُلف لسُنَّتِي ولا لقضائي ولا لموعدي^(٤) .

وقال أهل المعاني أي ما أجرى الله به العادة لم يتهياً^(٥) لأحد أن يقلب تلك العادة^(٦) .

(١) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٥٣٠ / ٢ ، بنصه .

(٢) في (ش) : (قتلوهم) ، وفي (ع) : (قتلوا) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٥٥ / ٣ ، بنصه .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٥٣٠ / ٢ ، بنصه .

(٥) في (أ) و(د) : (ننهنأ) .

(٦) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٥٣٠ / ٢ ، بنصه بلا نسبة .

٧٨. قوله تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ . اختلف أهل المعاني والمفسرون في معنى (دلوك الشمس) على قولين؛ أحدهما : أن دلوكها غروبها ، وهو اختيار الفراء^(١) وابن قتيبة^(٢) ، واحتج الفراء بقول الشاعر^(٣) :

غُدُوَّةٌ حَتَّى دَلَكْتُ بِرَاحٍ^(٤)

(١) معاني القرآن للفراء ١٢٩ / ٢ .

(٢) الغريب لابن قتيبة ٢٦١ / ١ .

(٣) نسب إلى قطرب في تفسير القرطبي ٣٠٣ / ١٠ ، واللسان (برح) ٢٤٥ / ١ .

(٤) وصدره :

هَذَا مَقَامُ قَدَمِي رِبَاحٍ

ورد بلا نسبة في مجاز القرآن ٣٨٧ / ١ ، ونوادير أبي زيد ٣١٥ ، وتفسير الطبري ١٣٦ / ١٥ ، وجمهرة اللغة ٢٧٤ / ١ ، والأزمنة والأمكنة ٢٨٦ ، والمخصص ٢٥ / ٩ ، وتهذيب الألفاظ ٣٩٣ وفيه : (اليوم) بدل (غدوة) ، وتفسير الثعلبي ١١٦ / ٧ ، وابن عطية ١٦٣ / ٩ ، وأبي حيان ٦٨ / ٦ ، وورد برواية (ذَبَبَ) بدل (غُدُوَّة) في معاني القرآن للفراء ١٢٩ / ٢ ، وتهذيب اللغة (برح) ٣٠٢ / ١ ، (ذلك) ١٢٢٠ / ٢ ، والصحيح (برح) ٣٥٦ / ١ ، وتفسير الماوردي ٢٦٣ / ٣ ، وشرح المفصل ٦٠ / ٤ ، وتفسير القرطبي ٣٠٣ / ١٠ ، واللسان (برح) ٢٤٥ / ١ ، وورد برواية : (للشمس) بدل (غدوة) في معاني القرآن وإعرابه ٢٥٥ / ٣ ، وتفسير الطوسي ٥٠٩ / ٦ ، (رباح) : اسم ساقٍ على بئر ، قال الفراء : يعني الساق ، ذَبَبَ : طرد الناس ، (براح) يقول : حتى قال بالراحة على العين ، فينظر هل غابت ، وقال الطبري ١٣٦ / ١٥ : (براح) يروى بفتح الباء ، فمن روى ذلك بكسرها ، فإنه يعني : أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها لينظر ما لقي من غبارها ، وهذا تفسير أهل الغريب . . . ومن روى بفتح الباء ، فإنه جعله اسماً للشمس ، (دلكت) : مالت للغيوب .

أي غابت ، واحتج ابن قتيبة بقول ذي الرُّمَّة :

ولا بالآفلات^(١) الدَّوَالِكِ^(٢)

القول الثاني : أن دلوك الشمس زوالها وزیغوغتها عن كبد السماء ، والصحابة مختلفون في هذا ، فروى نافع وسالم عن ابن عمر قال : دلوك الشمس : زيغها حين تزول^(٣) ، هذا قول ابن عباس في رواية داود بن الحصين^(٤) قال : دلوكها إذا فاء الفيء^(٥) .

(١) في النسخ جميعها : (بالآفلاق) ، والتصويب من الديوان والمصادر جميعها .

(٢) وتماه كما في الديوان ١٧٣٤ / ٣ :

مصاييخُ ليسَتْ باللَّواتي تقوذهما نُجُومٌ

وورد في الغريب لابن قتيبة ١ / ٢٦١ ، وتفسير الثعلبي ٧ / ١١١٦ أ ، والماوردي ٣ / ٢٦٢ ، وابن عطية ٩ / ١٦٣ ، وابن الجوزي ٥ / ٧٢ ، والقرطبي ١٠ / ٣٠٣ ، واللسان (ذلك) ٣ / ١٤١٢ ، وتفسير أبي حيان ٦ / ٦٨ ، وفي اللسان (صبح) ٤ / ٢٣٨٩ : المصباح من الإبل : الذي يبرك في معرَّسه فلا ينهض حتى يصبح وإن أثر ، وقيل : المَصْبُحُ والمَصْبَاح من الإبل : التي تُصْبَحُ في مبركها لا ترعى حتى يرتفع النهار ، وهو مما يستحب من الإبل ؛ وذلك لقوتها وسمنها . والمقصود هنا : أنها من الشيع لا تبالي ألا ترحل ، (الآفلات) : الغائبات .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٢ / ٣٨٤ بمعناه من طريق سالم ، وابن أبي شيبة ٢ / ٤٤ بمعناه من طريق نافع ، والطبري ١٥ / ١٣٥ بمعناه من طريق نافع ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤ / ١٨١ بمعناه من طريقها ، وتفسير السمرقندي ٢ / ٢٨٠ ، بنحوه من طريق سالم .

(٤) داود بن الحصين ، أبو سليمان المدني ، مولى عثمان بن عفان ، محدث مشهور ، ثقة إلا في عكرمة ، رُمي برأي الخوارج ، روى عن أبيه والأعرج ، وروى عنه : إسحاق ومالك ، مات سنة ١٣٥ هـ . انظر : الجرح والتعديل ٣ / ٤٠٨ ، وميزان الاعتدال ٢ / ١٩٥ ، والكاشف ١ / ٣٧٩ ، وتقريب التهذيب ١٩٨ ، (١٧٧٩) .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ٢ / ٤٤ ، بنصه من هذه الطريق ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٣٥٤ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

وقال في رواية عطاء : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ يريد لزوالها^(١) ، ونحو هذا روى مجاهد عنه ، وهذا قول الحسن وعمر بن عبد العزيز والشعبي وعطاء ومجاهد وقتادة^(٢) .

ويدل على هذا ما روي عن جابر أنه قال : طعم عندي رسول الله ﷺ وأصحابه ، ثم خرجوا حين زالت الشمس ، فقال النبي ﷺ : « هذا حين دلت الشمس »^(٣) .

(١) ورد في معاني القرآن للفرأء ١٢٩/٢ ، بمعناه ، أخرجه الطبري ١٣٥/١٥ ، بلفظه من طريق الشعبي ، وورد في تفسير الماوردي ٥٠٨/٣ ، بلفظه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٥٤/٤ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور .

(٢) تفسير مجاهد ٣٦٨/١ ، بمعناه ، وأخرجه عبد الرزاق ٣٨٤/٢ ، بمعناه عن قتادة وعطاء ، وابن أبي شيبة ٤٥/٢ ، بلفظه عن الشعبي ، وبنحوه عن مجاهد ، والطبري ١٣٥/١٥ ، بلفظه عن الشعبي عن ابن عباس والحسن وقتادة ، وبنحوه عن مجاهد ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٨١/٤ بلفظه عن الشعبي عن ابن عباس ، وتفسير السمرقندي ٢٨٠/٢ ، بمعناه عن قتادة والشعبي عن ابن عباس ، والثعلبي ١١٦/٧ بلفظه عن مجاهد والحسن وعطاء ، والماوردي ٢٦٢/٣ ، بلفظه عن الشعبي عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد ، والطوسي ٥٠٨/٦ ، عن الحسن ومجاهد وقتادة .

(٣) أخرجه الطبري ١٣٧/١٥ ، بنحوه ، من طريق ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر - رضي الله عنه - قال : دعوت نبي الله ﷺ ومن شاء من أصحابه ، فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس ، فخرج النبي ﷺ ، فقال : « اخرج يا أبا بكر قد دلت الشمس » ، وفيه رجل مجهول ، وأخرجه - كذلك - من طريق الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ بنحوه . ورجاله ثقات ، لكن الطبري لم يميز بصحته ؛ حيث قال في ترجيح هذا القول : وبذلك ورد الخبر عن رسول الله ﷺ ، وإن كان في إسناد بعضه بعض نظر ، وقال بعد إيراد هذه الأخبار : فإذا كان صحيحاً ما قلنا بالذي به استشهدنا . . . ، وقد استشهد بالحديث كذلك : ابن عطية ١٦١/٩ ، وابن الجوزي ٧٢/٥ ، وأبي حيان ٧٠/٦ ، وابن كثير ٦١/٣ ، والحديث ضعيف .

وروى جماعة عن ابن مسعود أنه قال حين غربت الشمس : هذا والذي نفسي بيده وقت الصلاة حين دلت الشمس ، ثم قال : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾^(١) .

وروى زر بن حبيش^(٢) أن عبد الله بن مسعود قال : دلوك الشمس غروبها^(٣) ، وقال علي رضي الله عنه : دلوك الشمس غيوبتها^(٤) ، وهذا قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير ، وإبراهيم والسدي وابن زيد^(٥) ، وهذا قول المفسرين واختلافهم .

وأما المحققون من أهل اللغة : فإنهم ذهبوا إلى أن دلوك الشمس ميلها في الوقتين .

-
- (١) أخرجه عبدالرزاق ٣٨٤/٢ ، بمعناه ، وابن أبي شيبة ٤٥/٢ ، بنحوه ، والطبري ١٣٤/١٥ ، بنحوه من طرق ، والطبراني في الكبير ٢٦٢/٩ ، بنحوه من طرق عدة ، والحاكم : التفسير ، الإسراء ٣٦٣/٢ ، بنحوه وصححه ، وورد في تفسير الثعلبي ١١٦/٧ ، بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٥٤/٤ وزاد نسبه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق .
- (٢) أبو مريم زر بن حبيش الأسدي الكوفي ، ثقة جليل مخضرم ، سمع عمر وعليا - رضي الله عنهما - وعنه : عاصم بن أبي النجود والشعبي ، مات سنة ٨٢ هـ ، وله (١٢٧) سنة . انظر : الجرح والتعديل ٦٢٢/٣ ، والكاشف ٤٠٢/١ ، وتقريب التهذيب ٢١٥ ، (٢٠٠٨) .
- (٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٦٣/٩ بلفظه من هذه الطريق ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ١٨١/٤ ، وتهذيب اللغة (ذلك) ١٢٢٠/٢ ، وتفسير الجصاص ٢٠٦/٣ ، والسمرقندي ٢/٢٨٠ ، وهود الهواري ٤٣٦/٢ ، والماوردي ٢٦٢/٣ ، والطوسي ٥٠٨/٦ .
- (٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٥/٢) عنه ، بمعناه ، قال : دلوكها غروبها ، وانظر : تفسير أبي حيان ٧٠/٦ ، بمعناه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٥٤/٤ ، بمعناه وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم . وفي النسخ جميعها : (غيوبته) مذكراً ، وحقها التأنيث ؛ لأن الضمير يعود على الشمس وهي مؤنثة .
- (٥) أخرجه الطبري ١٣٤/١٥ ، بمعناه عن ابن عباس من طريق مجاهد (صحيحة) ، وابن زيد ، وورد في تفسير الماوردي ٢٦٢/٣ ، بمعناه عن ابن عباس وابن زيد ، والطوسي ٥٠٨/٦ بمعناه عن ابن عباس وابن زيد ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٧٢/٥ ، عنهم ، ما عدا السدي ، والخازن ١٧٤/٣ ، عن إبراهيم والسدي .

قال الزَّجَّاج : دلوك الشمس زوالها وميلها في وقت الظهر ، وكذلك ميلها للغروب ، وهو دلوكها أيضاً^(١) .

وقال المبرِّد : دلوك الشمس من لدن زوالها إلى غروبها عند العرب^(٢) .

وقال الأزهري : القول عندي في دلوك الشمس أنه زوالها نصف النهار لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس ، والمعنى : أقم الصلاة؛ أي أدمها من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل ، فيدخل فيها الأولى والعصر وصلاتا غسق الليل؛ وهما العشاءان ، ثم قال : ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ ، فهذه خمس صلوات ، وإذا جعلت الدلوك : الغروب ، كان الأمر في الآية مقصوراً على ثلاث صلوات .

قال : ومعنى الدلوك في كلام العرب : الزوال ، ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار : دالكة ، وقيل لها إذا أفلت : دالكة؛ لأنها في الحالتين زائلة ، انتهى كلامه .^(٣) واللام في قوله : ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ لام الأجل والسبب؛ وذلك أن الصلاة إنما تجب بزوال الشمس ، فيجب على المصلي إقامتها لأجل دلوك الشمس .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٥ ، بنصه .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٠ ، بنصه .

(٣) تهذيب اللغة (دلك) ٢/ ١٢٢٠ بتصرف يسير . وقد رجح الطبري هذا القول ، قائلاً : وأولى القولين بالصواب قول من قال : عنى بقوله : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الظهر؛ وذلك أن الدلوك في كلام العرب : الميل . ثم قال : فإذا كان معنى الدلوك في كلام العرب هو الميل ، فلا شك أن الشمس إذا زالت عن كبد السماء ، فقد مالت للغروب ، وذلك وقت صلاة الظهر ، وكذلك رجحه البغوي ٥/ ١١٤ ، وابن عطية ٩/ ١٦٢ ، وذهب بعضهم إلى أن اللفظ يشمل الأمرين؛ لأن أصل الدلوك في اللغة هو الميل ، والشمس تميل عند زوالها وغروبها ، فلذلك انطلق على كل واحدٍ منها . انظر : تفسير الماوردي ٣/ ٢٦٣ .

وقوله تعالى : ﴿إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ ، غسق الليل : سواده وظلمته ، قاله الفرّاء والزّجاج وأبو عبيدة وابن قتيبة^(١) .

قال الكسائي : غسق الليل غسوقاً ، والغسق الاسم بفتح السين^(٢) .

وقال ابن شميل : غَسَقُ اللَّيْلِ دخولُ أولِهِ ، وأُتِيَتْهُ حين غسق الليل ؛ أي حين يختلط وَيَسُدُّ المناظر^(٣) .

وقال الفرّاء في المصادر : أغسق الليل إغساقاً وغسق غسوقاً^(٤) .

وقال الزّجاج في باب الوفاق : غسق الليل وأغسق^(٥) .

وأصل هذا الحرف من السَّيْلان ، قال أبو زيد : غَسَقَتِ الْعَيْنُ تَغْشَقُ ، وهو هَمْلَانُ الْعَيْنِ بِالْعَمَصِ والماء^(٦) ، والغاسق السائل ، وأنشد شمر :

أَبْكِي لِفَقْدِهِمْ بَعِينَ ثَرَّةً تَجْرِي مَسَارِهَا بِعَيْنٍ غَاسِقٍ^(٧)

أي سائل ، وليس من الظلمة في شيء ، ومن هذا قيل لما يسيل من أهل النار : الغَسَاق ، فمعنى غسق الليل أي انصب بظلامه ، وذلك أن الظلمة تنزل من فوق .

(١) جاء بنحوه في معاني القرآن للفرّاء ١٢٩/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٥٥/٣ ، ومجاز القرآن ٣٨٨/١ ، والغريب لابن قتيبة ٢٦١/١ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٦/٢١ ، وأبي حيان ٦٨/٦ ، والقرطبي ٣٠٤/١٠ بلا نسبة .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (غسق) ٢٦٦٤/٣ ، بنصه .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٣٠٤/١٠ ، وأبي حيان ٦٨/٦ .

(٥) فعلت وأفعلت) ٦٩ ، بنحوه .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (غسق) ٢٦٦٤/٣ ، بنصه .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (غسق) ٢٦٦٤/٣ ، واللسان (غسق) ٣٢٥٥/٦ .

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي : الغَسْقَان : الانْصِبَابُ ، وَغَسَقَتِ السَّمَاءُ : أَرَشَّتْ^(١) .

ومنه قول عُمَرَ حين غَسَقَ اللَّيْلُ عَلَى الظَّرَابِ^(٢) ؛ أَي انْصَبَّ اللَّيْلُ عَلَى الْجِبَالِ^(٣) .

وأما قول المفسرين ، فقال ابن عباس : غَسَقَ اللَّيْلُ : اجْتَمَعَ اللَّيْلُ وَظَلَمَتْهُ^(٤) . وقال ابن جريج : قَلَّتْ لِعِطَاءٍ : مَا غَسَقَ اللَّيْلُ ؟ قَالَ : أَوَّلُهُ حِينَ يَدْخُلُ^(٥) .

وقال ابن مسعود : غَسَقَ اللَّيْلُ إِظْلَامَ اللَّيْلِ^(٦) .

وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس : مَا الْغَسَقُ ؟ قَالَ : دُخُولُ اللَّيْلِ بِظُلْمَتِهِ ، وَأَنْشُدْ بَيْتَ زَهِيرٍ :

(١) الرء والشين أصل واحد يدل على تفريق الشيء ، والرَّشُّ يكون للماء والدم والدمع ، ويقال : رَشَّتِ السَّمَاءُ وَأَرَشَتْ ، وكذلك أَرَشَّتِ الطَّعْنَةُ الدَّمَ ، وَأَرَشَّتِ الْعَيْنُ الدَّمَعَ . انظر : مقاييس اللغة ٣/٢٧٣ ، واللسان (رَشَش) ٣/١٦٥٠ .

(٢) ورد أثر عمر - رضي الله عنه - في النهاية ٣/١٥٦ ، واللسان (ظرب) ٥/٢٧٤٥ ، (غسق) ٦/٣٢٥٥ . والظَّراب : جمع ظَرْبٍ بوزن كَتَفٍ ، وهي السروابي الصغار . قال الليث : الظَّرْبُ من الحجارة ما كان ناتئاً في جبل أو أرض خربة .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (غسق) ٣/٢٦٦٤ ، بنصه .

(٤) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/١٨٢ ، بنصه ، وتفسير الجصاص ٣/٢٠٦ بنصه ، انظر : تفسير ابن العربي ٣/١٢١٩ ، والقرطبي ١٠/٣٠٤ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٥٤ وعزاه إلى ابن المنذر .

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٢/٣٨٤ بنصه ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/٢٧ .

(٦) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيني ٢/٥٣١ .

ظَلَّتْ تَجُوبُ يَدَاهَا وَهِيَ لَاهِيَةٌ حَتَّى إِذَا جَنَّحَ الظَّلَامُ وَالْغَسَقُ^(١)

وقال الأزهرى : غسق الليل عندي : غَيْبُوبَةُ الشَّفَقِ الأحمر حين تحِلُّ صلاةُ عِشاء الآخرة ، يدل على ذلك سِيَاقُ الآية في الأمر بالصلوات الخمس ، فيدخل الظهر والعصر والمغرب والعشاء في قوله : ﴿لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾^(٣)

وقوله تعالى : ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ قال ابن عباس : يريد صلاة الصبح^(٤) ، وكذلك قال ابن مسعود ومجاهد ومسروق وقتادة وجميع المفسرين^(٥) ، وانتصابه على أنه معطوف بالعطف على الصلاة في قوله : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ قاله الفراء^(٦) والزجاج ، قال الزجاج : أي وأقم قرآن الفجر ، قال : وفي هذا الموضع فائدة عظيمة ؛ تدل على أن الصلاة لا تكون إلا بقراءة ؛ لأنه قال : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ ، وأقم قرآن الفجر ، فأمر أن يقيم الصلاة بالقراءة ، حيث سُمِّيت الصلاة قرآناً ، فلا تكون صلاةً إلا بقراءة ؛ انتهى كلامه^(٧) .

(١) لم أجده في ديوانه ، وورد في إيضاح الوقف والابتداء ٨٩/١ ، والإتقان ٨٦/٢ ، والدر المنثور ٣٥٤/٤ ، وبرواية : (تجود) في تفسير الماوردي ٢٦٣/٣ ، والقرطبي ٣٠٤/١٠ ، وأبي حيان ٦٨/٦ ، وشرح القصائد السبع الطوال ٥٥٩ بلا نسبة .

(٢) ورد في إيضاح الوقف والابتداء ٨٩/١ ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٧/٢١ ، وأبي حيان ٦٨/٦ ، من دون الشعر فيها ، والإتقان ٨٦/٢ ، وتفسير الألوسي ١٣٢/١٥ ، ومسائل ابن الأزرقي ، [ذيل الإعجاز البياني لبنت الشاطئ] ٥٧٤ .

(٣) تهذيب اللغة (غسق) ٢٦٦٤/٣ ، بتصرف .

(٤) أخرجه الطبري ١٤٠/١٥ ، بنصه من طريق العوفي (ضعيفة) ، وأورده في الدر المنثور ٣٥٥/٤ .

(٥) تفسير مجاهد ٣٦٨ بنصه ، وأخرجه الطبري ١٣٩/١٥ - ١٤٠ ، عنهم ، عدا مسروق ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٥٥/٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر عن مجاهد .

(٦) معاني القرآن للفراء ١٢٩/٢ ، بمعناه .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٥٥/٣ ، بنصه .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا﴾ ، كلهم قالوا : صلاة الفجر تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار^(١) .

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : «تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح» ، ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ .^(٢)

وقال ابن مسعود : يتدارك الحارسان؛ حارس الليل وحارس النهار من الملائكة في صلاة الفجر ، وإن شئتم فاقرؤوا : ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا﴾ .^(٣)

وقال الكلبي : ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلاة الغداة خلف الإمام ، تنزل ملائكة النهار عليهم ، وهم في صلاة الغداة قبل أن تعرج ملائكة الليل ، فإذا فرغ الإمام من صلاته عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار ، فتقول ملائكة الليل إذا صعدت إلى ربها : ربنا إنا تركنا عبادك يصلون لك ، ويقول الآخرون : ربنا أتينا عبادك وهم يصلون ، فيقول الله لملائكته : اشهدوا أنني قد غفرت لهم^(٤) ، وهذا معنى قول ابن عباس ، ويريد أن ذلك كفارة لما صنعت ،

(١) انظر : تفسير الطبري ١٣٩/١٥ ، وابن عطية ١٦٦/٩ .

(٢) وطرف الحديث : «فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ، وتجتمع ملائكة الليل» . الحديث ، أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٥٢٢/١ بنصه ، وأحمد ٤٧٤/٢ بنحوه ، والبخاري (٤٧١٧) ، كتاب : التفسير ، سورة الإسراء ، باب : قوله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ﴾ ، بنصه ، ومسلم ٢٤٦/٦٤٩ ، كتاب : المساجد ، فضل الجماعة ، وابن ماجه ٦٧٠ ، كتاب : مواقيت الصلاة ، وقت صلاة الفجر ، بنحوه ، والترمذي (٣١٣٥) ، كتاب : التفسير ، الإسراء ، بنحوه وقال : حسن صحيح ، والنسائي : الصلاة ، فضل صلاة الجماعة ٢٤١/١ بنصه ، والطبري ١٤١/١٥ ، بنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٨٣/٤ ، بنحوه ، وتفسير الثعلبي ١١٧/٧ ، بنصه ، والدر المنثور ٣٥٥/٤ وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٣) أخرجه الطبري ١٤١/١٥ ، بنحوه ، والطبراني في الكبير ٢٦٥/٩ ، بنحوه ، وورد في تفسير هود الهواري ٤٣٧/٢ ، بنحوه ، والدر المنثور ٣٥٥/٤ وزاد نسبه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

(٤) لم أفق عليه ، وقد ورد بهذا المعنى حديث صحيح مشهور ، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ ، وطرفه : «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» . أخرجه البخاري (٥٥٥) ، كتاب : مواقيت =

وفي هذا أيضاً دليل على أن السُّنَّة التَّكْبِير بهذه الصلاة؛ لأنه إنما يشهدها القبيلان من الملائكة إذا بُكِّرَ بها، فإذا لم يُبَكَّر بها في أول الفجر كانت ملائكة الليل قد عرجت فلم تشهدها، والسُّنَّة أن يصلى في الوقت الذي يشهدها القبيلان جميعاً.

٧٩. قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾، أصل معنى الهجود في اللغة النوم^(١)، وهو معروفٌ كثيرٌ في الشعر، وأهجدته وهجدته؛ أي أُنمته، ومنه قول لبيد قال:

هَجَّدْنَا فَقَدْ طَالَ الشَّرَى^(٢)

كأنه قال: نَوَّمْنَا فَإِنَّ الشَّرَى قد طال علينا النوم، هذا هو الأصل، وروى أبو عبيد عن أبي عبيدة: الهاجد النائم، والهاجد: المصلي بالليل^(٣).

الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، ومسلم (٦٣٢)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر.

(١) انظر: المحيط في اللغة (هجد) ٣/٣٧٠، والصحاح ٢/٥٥٥، واللسان ٨/٤٦١٦.

(٢) وقامه:

قال هَجَّدْنَا..... وَقَدَّرْنَا إِنْ خَنَّا الدَّهْرَ غَفَلَ
شرح ديوان لبيد ١٨٢، وورد في الأضداد لابن السَّكَيْت [ثلاثة كتب في الأضداد] ١٩٤، ومجاز القرآن ١/٣٨٩، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/٢٥٦، والأضداد لابن الأنباري ٥١، وتهذيب اللغة (هجد) ٤/٣٧١٦، والصحاح (هجد) ٢/٥٥، وتفسير الطوسي ٦/٥١١، وتفسير ابن الجوزي ٥/٧٤، واللسان (هجد) ٤/٤٦١٦ (خنا) ٣/١٢٨٣. (الشَّرَى): سير الليل عامة، (قدرنا)؛ أي وقدرنا على ورود الماء، وذلك إذا قربوا منه، (الخنَى): الآفة والفساد؛ أي إن غفل عنا فساد الدهر فلم يعقنا، وقيل: قدرنا؛ أي على التهجد، وقيل: على السير، والشاعر يصف نفسه بالجلد في السفر وكثرة السهر حتى تأذى رفيقه بذلك، وقال له: خلنا ننام ونستريح، قد قدرنا على ما نريد ووصلنا إلى ما نحب إن غفل عنا الدهر ولم يفسد علينا أمرنا.

(٣) ورد في تهذيب اللغة (هجد) ٤/٣٧١٦، بنصه.

وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي : هَجَّدَ اللَّيْلَ الرَّجُلُ إِذَا صَلَّى مِنَ اللَّيْلِ ، وَهَجَّدَ : إِذَا نَامَ بِاللَّيْلِ ، قَالَ : وَالْمُتَهَجِّدُ يَكُونُ مُصَلِّياً وَيَكُونُ نَائِماً^(١) .

وروى عمرو عن أبيه قال : هَجَّدَ وَهَجَّدَ : إِذَا قَامَ مُصَلِّياً ، وَهَجَّدَ : إِذَا نَامَ^(٢) ، وَقَالَ اللَّيْثُ : تَهَجَّدَ إِذَا اسْتَيْقِظَ لِلصَّلَاةِ^(٣) .

وقال ابن بُرْزُجَ : هَجَّدَتْهُ أَيْقَظَتْهُ^(٤) ، وَهَذَا قَوْلُ أَهْلِ اللُّغَةِ^(٥) فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَرْفِ ، وَعَلَى مَا ذَكَرُوا هُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ^(٦) ، كَمَا بَيَّنَّا ، وَأَجَادَ الْأَزْهَرِيُّ فِي تَفْسِيرِ التَّهَجُّدِ ، فَقَالَ : الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ : أَنَّ الْهَاجِدَ : النَّائِمَ ، وَقَدْ هَجَّدَ هَجُوداً إِذَا نَامَ ، وَأَمَّا الْمُتَهَجِّدُ فَهُوَ الْقَائِمُ إِلَى الصَّلَاةِ مِنَ النَّوْمِ ، وَكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ : مُتَهَجِّدٌ ؛ لِإِلْقَائِهِ الْهَجُودَ عَنْ نَفْسِهِ ، كَمَا قِيلَ لِلْعَابِدِ : مُتَحَنِّتٌ ؛ لِإِلْقَائِهِ الْحِنْتَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَهُوَ الْإِثْمُ^(٧) ، وَعَلَى مَا ذَكَرَ ، التَّهَجُّدُ : بِمَعْنَى الصَّلَاةِ ، هُوَ مِنْ بَابِ تَخَرَّجَ وَتَأْتَمَّ وَتَحَوَّبَ ، وَهُوَ تَرَكَ الْهَجُودَ ، ثُمَّ صَارَ بِمَعْنَى الصَّلَاةِ لَمَّا كَانَ الْمُصَلِّي بِاللَّيْلِ يَتْرَكَ النَّوْمَ .

(١) ورد في تهذيب اللغة (هجد) ٣٧١٦/٤ ، بنصه تقريباً .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (هجد) ٣٧١٦/٤ ، بنصه .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (هجد) ٣٧١٦/٤ ، بنصه .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (هجد) ٣٧١٦/٤ بلفظه ، انظر : تفسير الألويسي ١٣٨/١٥ .

(٥) في (أ) و(د) : (الليل) ، وهو خطأ ظاهر ، والمثبت من (ش) و(ع) هو الصواب .

(٦) انظر : ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي ٤٠ ، والسجستاني ١٢٣ ، وابن السكيت ١٩٤ ، والأضداد لابن الأنباري ٥٠ .

(٧) تهذيب اللغة (هجد) ٣٧١٦/٤ ، بنصه .

قال ابن عباس في قوله: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ فَصَّلَ بِالْقُرْآنِ^(١)، وقال مجاهد: التهجد: بعد النوم^(٢)، وهذا قول عبد الرحمن بن الأسود^(٣) وعلقمة وإبراهيم وجميع المفسرين^(٤).

قال الحجاج بن عمرو المازني^(٥) أَيْحَسِبُ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى حَتَّى يَصْبَحَ أَنَّهُ قَدْ تَهَجَّدَ؟! إِنَّمَا التَّهَجُّدُ: الصَّلَاةُ بَعْدَ رُقْدَةٍ ثُمَّ صَلَاةٌ بَعْدَ رُقْدَةٍ ثُمَّ صَلَاةٌ بَعْدَ رُقْدَةٍ، وَتِلْكَ كَانَتْ صَلَاةَ^(٦) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٧)، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِ الْأَزْهَرِيِّ فِي تَفْسِيرِ التَّهَجُّدِ، حَيْثُ لَمْ يَجْعَلُوا السَّاهِرَ لَيْلَهُ كُلَّهُ مَتَهَجِّدًا، وَجَعَلُوا التَّهَجُّدَ بَعْدَ النَّوْمِ، وَلَوْ كَانَ ضِدًّا لِلنَّوْمِ لَكَانَ السَّاهِرُ جَمِيعَ لَيْلِهِ مَتَهَجِّدًا.

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي ٧٤/٥، بنصه.

(٢) انظر: تفسير ابن الجوزي ٧٤/٥، بنصه.

(٣) عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، أبو حفص، ثقة، روى عن أبيه وعلقمة، وروى عنه الأعمش وهارون بن عنترة، مات سنة ٩٩ هـ، انظر: الجرح والتعديل ٢٠٩/٥، والكاشف ١/٦٢١، ٣١٤١، وتقريب التهذيب (٣٨٠٣).

(٤) أخرجه الطبري ١٥/١٤١-١٤٢، بنصه من طرق عنهم، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/١٨٣، بنصه عن علقمة والأسود، وتفسير الجصاص ٣/٢٠٧، بنصه عن الأسود وعلقمة، والثعلبي ٧/١١٧ أ، بنصه، والطوسي ٦/٥١١، بنصه عن الأسود وعلقمة، انظر: تفسير ابن كثير ٣/٦١، عنهم، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٥٥ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة عن علقمة والأسود.

(٥) الحجاج بن عمرو المازني الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه، له صحبة، روى عن النبي ﷺ حديثين؛ أحدهما في الحج، والآخر في التهجد، وهو الذي ضرب مروان يوم الدار - يوم حصر عثمان - رضي الله عنه - في داره - فأسقطه، وشهد صفين مع علي.

انظر: الاستيعاب ١/٣٧٨، وأسد الغابة ١/٦٩٢، والإصابة ١/٣١٣، وتقريب التهذيب ١٥٣، (١١٣٢).

(٦) ساقطة من (د).

(٧) أخرجه الطبري ١٥/١٤٢ مختصراً، وورد في تفسير الجصاص ٣/٢٠٧، بنصه، وانظر: تفسير ابن عطية ٩/١٦٨، والفخر الرازي ٢١/٣٠، والقرطبي ١٠/٣٠٨، والألوسي ١٥/١٣٨.

وقوله تعالى: ﴿يَهٗ﴾ . قالوا: بالقرآن نافلة لك ، معنى النافلة في اللغة : ما كان زيادة على الأصل ، ذكرنا هذا في قوله : ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال: ١] ، ومعناها أيضاً في هذه الآية : الزيادة .

قال مجاهد : النافلة للنبي ﷺ خالصة؛ من أجل أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فما عمل من عمل سوى المكتوبة فهي نافلة له ، من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب ، فهي نوافل له خاصة وزيادة ، والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم في كفارتهم فليس لهم نوافل ^(١) .

وقال السدي : نافلة لرسول الله ﷺ خاصة؛ لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وليست لنا بنافلة لكثرة ذنوبنا إنما نعمل لكفاراتها ^(٢) ، وهذا قول أكثر المفسرين .

قال أبو أمامة : إنما النافلة للنبي ﷺ ^(٣) .

(١) أخرجه الطبري ١٥/١٤٣ ، بنصه ، والبيهقي في الدلائل ٥/٤٨٧ ، بنصه تقريباً ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/١٨٤ ، بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/٢٨٠ مختصراً ، والعلبي ٧/١١٧ ، بنحوه ، والماوردي ٣/٢٦٤ مختصراً ، والطوسي ٦/٥١٢ مختصراً ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٥٦ وزاد نسبه إلى ابن المنذر ومحمد بن نصر ، ولم ير الطبري هذا القول ، ورده وحكم عليه بالفساد ، وقال : لا معنى له؛ لأن النبي ﷺ في ما ذكر عنه - أكثر ما كان استغفاراً لذنوبه بعد نزول قول الله عز وجل : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] ، وكان يعد له في المجلس الواحد استغفار مائة مرة ، ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك . ا. هـ . نعم كان النبي ﷺ يكثر من الاستغفار ، لكن لا على أنه استغفار من الذنوب كذنوبنا ، بل كما قال : «إنه ليُغَانِ على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» . رواه مسلم (٢٧٠٢) ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب استحباب الاستغفار ، قال ابن الأثير : الغين : الغيم ، أراد ما يغشاه من السَّهْو الذي لا يخلو منه بشر؛ لأن قلبه أبداً كان مشغولاً بالله تعالى . النهاية ٣/٤٠٣ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/٣٠ ، بنحوه ، وأبي حيان ٦/٧١ .

(٣) أخرجه الطيالسي ١٥٥ ، بنصه تقريباً ، والطبري ١٥/١٤٣ ، بنصه ، والطبراني في الكبير ٨/١٤٥ ، بنصه ، والبيهقي في الشعب ٣/٢٨ ، بنصه ، وورد في تفسير الجصاص ٣/٢٠٧ ، بنصه ، والسمرقندي ٢/٢٨٠ - بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٥٦ وزاد نسبه إلى ابن نصر وابن مردويه .

وقال الحسن : لا تكون نافلة إلا للنبي ﷺ^(١) .

وقال ابن عباس : خاصة^(٢) ، وهذا كله مما ذكره مجاهد والسدي : أن صلاة الليل كانت زيادة للنبي ﷺ للدرجات لا للكفارات .

ولا يدل قوله : ﴿ نَافِلَةٌ ﴾ على أنها لم تكن واجبة عليه ، فقد روى عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿ نَافِلَةٌ لَكَ ﴾ يريد فريضة عليك زائدة على الفرائض خُصِّصَتْ بها من بين أمتك^(٣) ، هذا الذي ذكرنا مذهب أكثر أهل التفسير^(٤) .

وذهب قوم إلى أن معنى النافلة : التطوع الذي يتبرع به الإنسان ، وقالوا : إن صلاة الليل كانت واجبة عليه ، ثم نُسخَتْ عنه فصارت نافلة؛ أي تطوعاً وزيادة على الفرائض يتبرع بها ، وهو قول قتادة والمبرد وعبدالله بن مسلم^(٥) ، وانتصب نافلة بوقوع التهجد عليه؛ لأن معنى التهجد : صل بالليل نافلة؛ أي صلاة نافلة .

(١) انظر : تفسير ابن الجوزي ٥ / ٧٥ ، بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٣٥٦ وعزاه إلى محمد بن نصر .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ٧ / ١١٧ أ - بلفظه ، انظر : تنوير المقباس ٣٠٤ .

(٣) أخرجه الطبري ١٥ / ١٤٢ ، بنحوه من طريق العوفي (ضعيفة) ، ورد في تفسير الثعلبي ٧ / ١١٧ أ ، بنحوه ، والماوردي ٣ / ٢٦٤ ، مختصراً ، والطوسي ٦ / ٥١١ ، بنحوه ، أورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٣٥٥ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٥ / ١٤٢ - ١٤٣ ورجحه ، وهود الهواري ٢ / ٤٣٧ ، والثعلبي ٧ / ١١٧ أ ، والسمعاني ٣ / ٢٦٩ ، والبخاري ٥ / ١١٥ .

(٥) الغريب لابن قتيبة ١ / ٢٦١ قال : تطوعاً ، وأخرجه عبدالرزاق ٢ / ٣٨٦ ، والطبري ٨ / ١٣٠ ، عن قتادة ، قال : تطوعاً وفضيلة لك ، وورد عن قتادة - كرواية الطبري - في تفسير الجصاص ٣ / ٢٠٧ ، والثعلبي ٧ / ١١٧ أ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٣٥٦ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ومحمد بن نصر عن قتادة .

وقوله تعالى : ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ . قال ابن عباس : عسى من الله واجب^(١) ، وكذلك قال المفسرون كلهم في عسى من الله^(٢) .

قال أهل المعاني : وإنما كان كذلك لأن معنى عسى في اللغة : التقريب والإطعام ، ومن أطمع إنساناً في شيء ثم حرّمه كان غاراً ، والله أكرم من أن يُطمع أحداً في شيء ثم لا يعطيه ذلك^(٣) .

قوله تعالى : ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ . أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة^(٤) ، كما قال النبي ﷺ في هذه الآية : «هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي»^(٥) ، رواه أبو هريرة .

(١) ورد في معاني القرآن للنحاس ١٨٥/٤ ، بنحوه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، انظر : تنوير المقباس ٣٠٤ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١/٤٣٨ بنصه ، وعزاه إلى ابن المنذر والبيهقي في سننه .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ١/٢١٨ ب ، والطبري ١٥/١٤٣ ، وهود الهواري ٢/٤٣٧ ، والطوسي ٥١٢/٦ .

(٣) ورد نحوه في تفسير الطبري ١٥/١٤٣ ، والثعلبي ٧/١١٧ أ ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/٣١ ، والخازن ٣/١٧٥ .

(٤) انظر : تفسير مجاهد ١/٣٦٩ ، وتفسير مقاتل ١/٢١٨ ب ، وعبدالرزاق ٢/٣٨٦ ، والطبري ٨/١٣١-١٣٢ ، وهود الهواري ٢/٤٣٧ ، والثعلبي ٧/١١٧ أ ، والماوردي ٣/٢٦٥ ، والطوسي ٥١٢/٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٥٦-٣٥٩ بروايات عدة عن ابن عمر وأبي هريرة وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وكعب بن مالك وحذيفة وابن مسعود وأبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وسلمان .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبه ٦/٣٢٣ ، بمعناه ، وأحمد ٢/٤٤١ ، بنصه ، والترمذي (٣١٣٧) ، كتاب : التفسير ، باب : ومنه سورة بني إسرائيل . بمعناه وحسنه ، والطبري ١٥/١٤٦ بنصه ، والبيهقي في الدلائل ٥/٤٨٤ ، بمعناه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/١٨٥ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٥٦ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه . والحديث ضعيف ، كما قال شاكر في شرح المسند ٩/٢٠٤ ؛ لضعف داود الأودبي الذي روى الحديث عن أبيه عن أبي هريرة ، وقد ضعفه كثير من العلماء ، انظر ترجمته في : ميزان الاعتدال ٢/٢١١ ، وتهذيب التهذيب ١/٥٧٢ .

قال ابن عباس : عسى من الله واجب ، يريد أعطاك الله يوم القيامة مقاماً محموداً ، يحمذك فيه الأولون والآخرون ، تَشْرُفُ فيه على جميع الخلائق ، وتَسْأَلُ فتُعْطَى وتَشْفَعُ فتُشْفَعُ ، ليس أحداً إلا تحت لوائك^(١) .

وروي عن مجاهد في تفسير قوله : ﴿يَبْعَثُكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ . قال : يجلسه معه على العرش^(٢) .

وروي عن ابن مسعود أنه قال في هذه الآية : يقعده على العرش^(٣) ، وهذا تفسير فاسد وقول رذل ، وقول مجاهد : معه قولٌ موحش فظيع ، ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير ، وهو قوله : ﴿يَبْعَثُكَ﴾ ، والبعث لا يكون بمعنى الإجلال ، ومن فَسَّرَ البعث بالإجلال فقد فَسَّرَ بضد ما وُضِعَ له ؛ لأن البعث وضع للإثارة ، يقال : بعثت البارك والقاعد فانبعث ، هذا هو الأصل ، ثم يقال : بعث الله الميت ، وبعث بمعنى أرسل راجع إلى هذا ؛ لأنه يقيمه إلى ما يرسله إليه وله ، ولأن الله تعالى قال : ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ، ولم يقل : مقعداً ، والمقام موضع القيام ، يدل على هذا قوله : ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، وهو موضع قدميه في حال قيامه ، وقول الشاعر :

هَذَا مُقَامٌ قَدَمَيَّ رَبَّاحٍ^(٤)

(١) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سبيي ٥٣٤/٢ ، انظر : تفسير الزمخشري ٣٧٢/٢ ، وتنوير المقباس ٣٠٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٠٨/٦ ، بنحوه ، والطبري ١٤٥/١٥ ، بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ١١٨/٧ ، بنصه ، والماوردي ٢٦٥/٣ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ١٢١/٥ ، وابن الجوزي ٧٦/٥ ، والعلو للذهبي ٩٤ .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ١١٨/٧ ، بنصه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٧٦/٥ ، والعلو للذهبي ٧٥ .

(٤) سبق .

وإذا فسد هذا الفساد الظاهر لم يُعتد به^(١).

(١) لقد أجاد الواحدي - رحمه الله - في رد هذا القول ، لكن الغريب أن الطبري - مع ترجيحه لقول الجمهور - لم يستنكر هذا القول ، بل قال : إن ما قاله مجاهد قول غير مدفوع صحته ، لا من جهة خبر ولا نظر ؛ وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من أصحابه ، ولا عن التابعين بإحالة ذلك . تفسير الطبري ١٥ / ١٤٧ ، ومعلوم أن عدم ورود الخبر عن المعصوم بذلك يكفي لإبطال هذا القول لا العكس ، ولأن هذا الخبر غيبي عقدي ، فلا يثبت إلا بالخبر الصحيح ، ولا يجدي النظر في إثبات هذه القضية ، لذلك لا يحيد عن قول الجمهور في هذه القضية ، وهو الذي أبدته الأخبار الصحيحة ، وكذلك الأخبار التي اعتمد عليها الطبري في تسويغ الجلوس لا تثبت ؛ فقد ردها علماء الحديث ، وفي مقدمتهم الذهبي ، فقد أوردته في العلو ٧٥ من طريقين عن أحمد بن يونس عن سلمة الأحمري عن أشعث بن طليق عن ابن مسعود بنحوه ، ثم قال : هذا حديث منكر لا يفرح به ، وسلمة هذا متروك الحديث ، وأشعث لم يلحق ابن مسعود ، وذكر الذهبي للأثر شاهداً بنحوه عن عبد الله بن سلام موقوفاً عليه ، وقال : هذا موقوف ولا يثبت إسناده ، وإنما هذا شيء قاله مجاهد . كما أن له شاهداً آخر من حديث ابن عباس أخرجه الطبراني في الكبير ١٢ / ٦١ ، بنحوه ، من طريق ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن ابن جبير عن ابن عباس ، وأورده الهيثمي في المجمع ٧ / ٥١ وقال : وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف إذا لم يتابع ، وعطاء بن دينار قيل : لم يسمع من سعيد بن جبير .

أما أثر مجاهد فقد أوردته الذهبي في العلو ٩٤ ، وقال : لهذا القول طرق خمسة ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ، وعمل فيه المروزي مصنفاً . وفي سنن الطبري ليث بن أبي سليم ، وهو ضعيف مختلط ، كما في ميزان الاعتدال ٣ / ٤٢٠ ، وهذا الأثر مما أنكر على مجاهد حتى قرن في ترجمته ، قال الذهبي في ترجمة مجاهد في ميزان الاعتدال ٤ / ٣٥٩ : ومن أنكر ما جاء عن مجاهد في التفسير في قوله : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ . قال : يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ . وقال ابن عبد البر : مجاهد وإن كان أحد الأئمة بالتأويل ، فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم ؛ أحدهما هذا القول ، والثاني في تأويل : ﴿ وَبُوءَ بِوَفَدِّكَ فَاضْرُتْ ﴾ [إِنْ رَئَيْتَ نَافِثَةً] [القيامة ٢٢-٢٣] . قال : معناه تنتظر الثواب . انظر : تفسير القرطبي ١٠ / ٣١١ ، وأبي حيان ٦ / ٧٢ ، والشوكاني ٣ / ٣٦٠ .

فالحديث باطل لا يثبت لا من جهة الخبر ولا النظر ، والأغرب من قول الطبري تشبث بعض المحدثين بهذا الخبر والمبالغة في قبوله إلى حد الغلو ، فقد ذكر الذهبي في العلو ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٧ ، ١١٨ أن بعض المحدثين قال : لو أن حالفاً حلف بالطلاق ثلاثاً أن الله يقعد محمداً ﷺ على العرش واستفتاني ، لقلت له : صدقت وبررت ! وعقب الذهبي قائلاً : فابصر - حفظك الله من الهوى - كيف آل الغلو بهذا المحدث إلى وجوب الأخذ بأثر منكر وذكر النقاش عن أبي داود السجستاني أنه قال : من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم ، ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا . انظر : تفسير ابن عطية ٩ / ١٧١ ، والقرطبي ١٠ / ٣١١ ، وأبي حيان ٦ / ٧٢ ، وتفسير الماوردي ٣ / ٢٦٥ حاشية رقم (٤٤٩) ، وسلسلة الأحاديث الضعيفة ، رقم (٨٦٥) ، ٢ / ٢٥٥ .

وفي القول الذي عليه الناس معنى قوله : ﴿يَبْعَثَكَ﴾ يقيمك في ذلك المقام ، يدل على هذا ما روي في حديث الشفاعة : « . فأكون أول من يدعى وأول من ينادى فأقول : لبيك وسعديك . . . » . الحديث^(١) .

وانتصب قوله : ﴿مَقَامًا﴾ على الظرف ، كأنه قيل : في مقام .

وقوله تعالى : ﴿تَحْمُودًا﴾ يجوز أن يكون انتصابه على الحال من ﴿يَبْعَثَكَ﴾ ؛ أي يبعثك محموداً يحمذك فيه الخلق ، ويجوز أن يكون نعتاً في اللفظ ، وهو في المعنى لمحمد ﷺ ، تقديره : مقاماً محموداً فيه أنت ، ويدل على هذا الوجه ما روي في الحديث : «وابعثه المقام المحمود حتى يغبطه به الأولون والآخرون»^(٢) ، والمعنى : ابعثه المقام المحمود فيه هو .

(١) أحاديث الشفاعة كثيرة وبروايات عدة في الصحيحين وغيرهما ، لكنني لم أقف على حديث بهذا اللفظ ، وأقرب لفظ وجدته حديثان؛ أحدهما : موصول ، والآخر : مرسل ، أما الحديث الموصول ، فعن حذيفة - رضي الله عنه - قال : «يُجْمَعُ الناس في صعيد ، فلا تكلم نفسٌ ، فأول من يتكلم محمد ﷺ ، فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك . . قال حذيفة : فذلك المقام المحمود» ، أخرجه عبدالرزاق ٣٨٧/٢ ، وابن أبي شيبة ٣٢٣/٦ ، والطبري ١٤٤/١٥ ، والحاكم : التفسير/ الإسراء ٣٦٣/٢ وقال : صحيح الزخار [٣٢٩/٧] ، والطبري ١٤٤/١٥ ، والحاكم : التفسير/ الإسراء ٣٦٣/٢ وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه هذه السياقة ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية ٢٧٨/١ ، وأورده الهيثمي في المجمع ٣٧٧/١٠ وقال : رواه البزار موقوفاً ورجاله رجال الصحيح ، أورده السيوطي في الدر المنثور ٣٥٧/٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث والخطيب في المنطق والفتوق . أما الحديث المرسل ، فأخرجه عبدالرزاق ٣٨٧/٢ ، عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين ، أن النبي قال : «إذا كان يوم القيامة مدَّ الله الأرض مدَّ الأديم . . قال النبي ﷺ : فأكون أول من يدعى ، وجبريل عن يمين الرحمن ، والله ما رآه قبلها . . » . الحديث .

(٢) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ ، وأقرب لفظ لهذا الحديث ما ورد في فضل الدعاء عند النداء ، وروايته : عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : «من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة» أخرجه أحمد ٣/٣٥٤ ، والبخاري (٦١٤) : الأذان ، الدعاء عند النداء ، والنسائي : الأذان ، الدعاء عند الأذان ٢/٢٧ ، سنن البيهقي : الصلاة ، ما يقول إذا فرغ من ذلك ١/٤١٠ .

٨٠. قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآية. روى قابوس^(١) عن أبيه عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ بمكة، ثم أمر^(٢) بالهجرة، وأنزل عليه هذه الآية^(٣)، فعلى هذا يريد ﴿ادْخُلْنِيْ﴾ المدينة وأصر فني من مكة، وهذا قول الحسن وقتادة^(٤).

وقال الكلبي: هذا حين خرج من المدينة يريد الشام لقول اليهود، وقد ذكرنا القصة^(٥)، فقال الله له: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ يعني المدينة، ﴿وَأَخْرِجْنِيْ﴾ [منها إلى مكة]^(٦)، ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾؛ أي افتتحها، واختار الفراء هذا القول^(٧).

(١) قابوس بن أبي ظبيان بالكسر والفتح، وأبو ظبيان والده هو حصين بن جندب الجنبى الكوفي، ضعيف الحديث، قال أبو حاتم: لين يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال ابن حبان: كان رديء الحفظ، ينفرد عن أبيه بما لا أصل له، وربما رفع المراسيل وأسند الموقوف، روى عنه الثوري وجريز، مات سنة ١٢٩ هـ.

انظر: المجروحين لابن حبان ٢/ ٢١٥، والجرح والتعديل ٧/ ١٤٥، والكاشف ٢/ ١٢٦، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٨٧، وتقريب التهذيب ٤٤٩.

(٢) في (د): (أمرنا).

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٣٩): التفسير، الإسراء ٥/ ٣٠٤، وقال: حديث حسن صحيح، والطبري ١٤٨/ ١٥-١٤٩، بنصه (طريق ضعيفة لضعف قابوس)، وورد عند الثعلبي ٧/ ١١٨ ب، بمعناه، والطوسي ٦/ ٥١٢، بمعناه، وأورده المصنف في أسباب النزول ٢٩٨ بلا سند عن الحسن، وورد في لباب النقول ١٣٩.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٩، بنحوه عن قتادة، والطبري ١٥/ ١٤٩، بنحوه عنهما، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٨٥، عنهما، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٨١، عن الحسن، والثعلبي ٧/ ١١٨ ب، عنهما، والماوردي ٣/ ٢٦٦، عن قتادة، والطوسي ٦/ ٥١٢، بنحوه عنهما.

(٥) عند آية [٧٦].

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د).

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٢٩، وهو ما رجحه الطبري ١٥/ ١٥٠ وأيده بالسياق.

وقال مجاهد : أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مُدخل صدق ، وأخرجني منه مُخرج صدق^(١) ، ومُدخل بضم الميم مصدر الإدخال ، يقال : أدخلته مُدخلاً ، كما قال : ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً﴾ [المؤمنون : ٢٩] ، ومعنى إضافة المدخل والمخرج إلى الصدق ؛ مزجها ؛ كأنه سأل الله تعالى إدخالاً حسناً لا يرى فيه ما يكره ، وكذلك الإخراج .

قال الليث : يقال : هذا رجل صدق ، مضافٌ ، بكسر الصاد ، معناه : نِعَم الرجل هو ، وامرأة صدق كذلك^(٢) .

وذكرنا في ما تقدم أن موضوع (ص د ق) للصحة والكمال ، فكأنه سأل الله أن يخرجَه من مكة إخراجاً لا يلتفت إليها قلبُه ، ويدخله المدينة إدخالاً يطمئن فيها قلبُه ، ولذلك كان يدعو فيقول : «اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة»^(٣) ، وكل شيء أضفت إلى الصدق ، فقد مدحته وجودته .

وقوله تعالى : ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ . قال ابن عباس ومجاهد : أي حُجَّة بينة تنصرني بها على جميع من خالفني^(٤) .

(١) تفسير مجاهد ٤٤١ ، بنحوه ، أخرجه الطبري ١٥ / ١٤٩ ، بنحوه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤ / ١٨٦ بمعناه ، وتفسير السمرقندي ٢ / ٢٨١ ، بنحوه ، والثعلبي ٧ / ١١٨ ب ، بنصه ، والماوردي ٣ / ٢٦٦ ، بنحوه .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (صدق) ٢ / ١٩٩٠ ، بنصه .

(٣) أخرجه أحمد ٦ / ٥٦ ، والبخاري (١٨٨٩) : فضائل المدينة ، كراهية النبي ﷺ أن تُعْرَى المدينة ، ومسلم (١٣٧٦) : الحج ، الترغيب في سكنى المدينة واللفظ له ، والبيهقي : الجنائز ، قول العائد للمريض : كيف تجدك ٣ / ٣٨٢ ، والبيهقي في الدلائل ٢ / ٥٦٦ ، والبيهقي في شرح السنة ٧ / ٣١٧ ، وكلهم عن عائشة ، وكلهم - إلا مسلم - بلفظ : «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة . . .» .

(٤) تفسير مجاهد ١ / ٣٦٨ مختصراً ، وأخرجه الطبري ١٥ / ١٥١ مختصراً عن مجاهد من طريقين ، وورد مختصراً عن مجاهد في معاني القرآن للنحاس ٤ / ١٨٦ ، عن مجاهد ، وتفسير هود الهواري ٢ / ٤٣٨ ، والثعلبي ٧ / ١١٨ ب ، والماوردي ٣ / ٢٦٧ ، والطوسي ٦ / ٥١٢ .

وقال الحسن وقتادة : ملكاً قوياً تنصرتني به على من ناوأني ، وعزّاً ظاهراً أقيم به دينك^(١) ، وهذا معنى قول الحسن : اجعلني أقيم الحدود^(٢) ، وعلى هذا القول : سأل الله تعالى سلطان القدرة ، وعلى القول الأول : سأل الحجة . وقد جمع بينهما أبو إسحاق فقال أي اجعل نصرتي من عندك تسليطي بالقدرة والحجة .

وقد أجاب الله دعاءه ، وأعلمه أنه يعصمه من الناس ، فقال : ﴿وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة : ٦٧] ، وقال : ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة : ٥٦] ، وقال : ﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كَلَّمَهُ﴾^(٣) [الصف : ٩] ، وذهب الكلبي أيضاً إلى سلطان القدرة ، ففسّر السلطان النصير هاهنا بعتّاب بن أسيد حين استعمله نبي الله ﷺ على أهل مكة ، فاشتد عليهم ، وقال : لا يبلغني من محتلم ترك الصلاة إلا ضربت عنقه^(٤) .

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإسراء : ٨١] .

٨١ . قوله تعالى : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ . قال المفسرون في معنى ﴿وَزَهَقَ﴾ بطل واضمحل^(٥) ، وأصله من قولهم : زَهَقَتْ نَفْسُهُ تَزْهُقُ

(١) أخرجه الطبري ١٥ / ١٥١ ، بمعناه عنهما ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤ / ١٨٦ ، بمعناه عن الحسن ، وتفسير الثعلبي ٧ / ١١٨ ب ، بنصه عن الحسن ، والماوردي ٣ / ٢٦٧ بمعناه عن قتادة ، والطوسي ٦ / ٥١٢ ، بمعناه عنهما ، انظر : تفسير البغوي ٥ / ١٢٢ ، بنصه عن الحسن .

(٢) ورد في تفسير الماوردي ٣ / ٢٦٧ ، بمعناه ، انظر : تفسير أبي حيان ٦ / ٧٣ ، وفيهما تقييد إقامة الحدود على المنافقين ، وفيه نظر ! .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٥٧ ، بنصه .

(٤) أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير ٤ / ٣٣٩ مختصراً من طريق الكلبي عن ابن عباس ، ورد في تفسير الثعلبي ٧ / ١١٨ ب ، بنحوه ، انظر : تفسير الزمخشري ٢ / ٣٧٢ ، وتفسير مبهمات القرآن للبلنسي ٢ / ١٣٣ ، والإصابة ٢ / ٤٥١ .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (زهق) ٢ / ١٥٧١ ، بنصه ، وتفسير هود الهواري ٢ / ٤٣٨ ، بمعناه ، والطوسي ٦ / ٥١٢ ، بنحوه .

زُهوقاً ، وأزهقتها أنا؛ أي أهلكتها^(١) ، فكأن معنى : ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾
 خرج إلى الهلاك ، قال الليث : وكل شيء هلك وبطل فقد زهق^(٢) .
 واختلفوا في معنى الحق والباطل هاهنا ، فقال السدي : الحق : الإسلام ،
 والباطل : الشرك^(٣) .
 وقال قتادة : الحق : القرآن ، والباطل : الشيطان^(٤) .
 وقال ابن جريج : الحق : الجهاد والقتال ، والباطل : الشرك وما هم فيه^(٥) .
 قال ابن عباس^(٦) : أمر الله نبيه ﷺ إذا دخل مكة أن يقف على الأصنام التي
 كانوا يعبدونها ويقول : ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ .

-
- (١) انظر : المحيط في اللغة (زهق) ٣/٣٣٨ ، والصحاح ٤/١٤٩٣ ، ومجمل اللغة ١/٤٤٣ ، واللسان ٣/١٨٧٩ .
 (٢) ورد في تهذيب اللغة (زهق) ٢/١٥٧١ ، بنصه .
 (٣) ورد في تفسير الثعلبي ٧/١١٩ ، بنصه ، انظر : تفسير البغوي ٥/١٢٢ ، بنصه .
 (٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/٣٨٩ ، بنصه ، والطبري ١٥/١٥٢ ، بنصه ، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٤/١٨٦ ، والثعلبي ٧/١١٩ ، والماوردي ٣/٢٦٧ ، وأورده السيوطي في الدر ٤/٣٦٠ وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .
 (٥) أخرجه الطبري ١٥/١٥٢ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/١١٩ مقتصرأ على معنى الحق بنصه ، والماوردي ٣/٢٦٧ ، بنصه .
 (٦) في (أ) و(د) و(ش) : (قال الله تعالى) ، والصواب المثبت من (ع) .

وروي عن ابن مسعود أنه دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون نُصْباً، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾، فجعل الصنم ينكب لوجهه^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾. قال ابن عباس: يريد كل ما كان من الشيطان كان خارجاً من الحق^(٢).

٨٢. قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، (من) هاهنا ليست للتبعيض بل هو للجنس، [كقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠]، والمعنى: ﴿وَنَزَّلْنَا﴾ من هذا الجنس]^(٣) الذي هو قرآن، ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾، فجميع القرآن شفاء للمؤمنين، قال قتادة: إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه^(٤)، فعلى هذا، معنى كونه شفاءً: أنه^(٥) بيانه يزيل عمى الجهل وحيرة الشك، يُستشفى به من الشبهة، ويهتدى به من الحيرة، فهو شفاء من داء الجهل.

(١) أخرجه بنحوه عبد الرزاق ٣٨٨/٢، وابن أبي شيبة ٤٠٣/٧، عن جابر، والبخاري (٤٧٢٠)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾، ومسلم (١٧٨١)، كتاب: الجهاد، باب: إزالة الأصنام من حول الكعبة، والترمذي (٣١٣٨): التفسير، الإسراء، والنسائي في تفسيره ٦٦٥/١، والطبري ١٥٢/١٥، والبغوي ١٣٣/٣، وورد بنصه تقريباً في تفسير السمرقندي ٢٨١/٢، والثعلبي ١١٩/٧، والطوسي ٥١٢/٦، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٦٠/٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه.

(٢) ورد في تفسيره الوسيط، تحقيق سيسي ٥٣٧/٢، بنصه.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د).

(٤) أخرجه الطبري ١٥٣/١٥ بنصه، وورد في تفسير الثعلبي ١١٩/٧ بنصه، انظر: تفسير ابن كثير ٦٦/٣، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٦٠/٤ وزاد نسبته إلى عبد الرزاق — لم أجده — وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) ساقطة من (ع).

وقال ابن عباس : يريد شفَاءً من كل داء^(١) ، وعلى هذا ، معناه : أنه يُتَبَرَّكُ به ، فيدفع الله به كثيراً من المكاهرة والمضار ، ويؤكد هذا الوجه ما روي أن النبي ﷺ قال : «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس : يريد ثواباً من الله لا انقطاع له^(٣) ، يعني : في تلاوته ، يرحمهم الله بها ، ويشيهم عليها .

قوله تعالى : ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ يعني لا يزيد ما هو شفء للمؤمنين إلا خساراً للظالمين ، والفعل الذي هو (يزيد) مسند إلى ما في قوله : ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ ، المراد بـ ﴿الظَّالِمِينَ﴾ المشركين ، قاله ابن عباس .

قال قتادة : لأنه لا يحفظه ولا ينتفع به ولا ينتفعون بمواعظه^(٤) ، فالقرآن سبب لهداية المؤمنين وزيادة لخسار الكافرين .

(١) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٥٣٧/٢ ، وورد بلا نسبة في تفسير الثعلبي ١١٩/٧ .
(٢) ورد في تفسير الثعلبي ١١٩/٧ ، بنصه عن رجاء الغنوي ، والزنجشري ٣٧٣/٢ ، والفخر الرازي ٣٤/٢١ ، وأسد الغابة ٢٧١/٢ في ترجمة رجاء ، وورد في تفسير القرطبي ٣١٥/١٠ ، وكنز العمال ٩/١٠ وعزاه إلى الدار قطني في الأفراد ، وقد أشار إلى ضعف الحديث الذهبي - في ما نقله المناوي عنه في الفيض ١/٤٩١ في تاريخ الصحابة - فقال في ترجمة رجاء : هذا له صحة ، نزل البصرة ، وله حديث لا يصح في فضل القرآن . أما الشوكاني فقد ذكره في الموضوعات [الفوائد المجموعة] ٢٩٦ ، وقال : هو موضوع ، وقال الألباني : ضعيف جداً . سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٥٢) ، (٢٨٣/١) .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٥٣٧/٢ .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/١٥٣ ، بنحوه ، انظر : تفسير ابن كثير ٦٧/٣ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٦٠/٤ وزاد نسبته إلى عبدالرزاق - لم أجده - وابن المنذر وابن أبي حاتم .

٨٣. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾. قال ابن عباس: يريد الوليد بن المغيرة^(١)، ﴿أَعْرَضَ﴾، معنى أعرض في اللغة: وَلَّى عَرَضَهُ؛ أي ناحيته^(٢)، والمعنى: أنه لا يُقْبَلُ على الدعاء والابتهاال على حسب ما يُقْبَلُ في حال البلوى والمحنة^(٣).

﴿وَنَآءٍ بِجَانِبِهِ﴾، قال مجاهد وابن عباس: تباعد^(٤).

وروى شبل عن مجاهد: بَعُدَ مِنَّا^(٥)، وقال عطاء: تَعَظَّمَ وَتَكَبَّرَ^(٦).

وقال أهل المعاني: بَعُدَ نفسه عن القيام بحقوق نعم الله عز وجل^(٧)، ومعنى النَّأْيُ في اللغة: البُعد، ونَأَى الشيء إذا بَعَّده^(٨)، وذكرنا الكلام في النَّأْي عند قوله: ﴿وَيَتَنَوَّى عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]، ومعنى ﴿وَنَآءٍ بِجَانِبِهِ﴾ كمعنى أعرض، وفيه زيادة معنى البعد، وفي قوله: ﴿وَنَآءٍ﴾ وجوه من القراءة؛ أحدها: وهو قراءة

(١) ورد في تفسيره الوسيط، تحقيق سيسي ٥٣٨/٢، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٨٠/٥، والفخر الرازي

٣٥/٢١، والآية عامة في كل من اتصف بما فيها، وذكر الوليد من قبيل التفسير بالمثال.

(٢) انظر: عرض في المحيط في اللغة ٣٠٦/١، والصحاح ١٠٨٤/٣، واللسان ٢٨٨٩/٥.

(٣) ورد في الحجة للقراء ١١٦/٥، بنصه تقريباً.

(٤) تفسير مجاهد ٣٦٨/١، بلفظه، وأخرجه الطبري ١٥٣/١٥، بلفظه عن مجاهد من طريقين، وورد بلفظه

عن مجاهد في معاني القرآن للنحاس ١٨٧/٤، وتفسير هود الهواري ٤٣٨/٢، والطوسي ٥١٤/٦، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٦١/٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٦٧/٣.

(٦) ورد في تفسير الثعلبي ١١٩/٧، بنصه، انظر: تفسير البغوي ١٢٣/٥، وتفسير ابن الجوزي ٨٠/٥ بلا نسبة.

(٧) ورد في تفسير الطوسي ٥١٤/٦، بنصه، انظر: تفسير القرطبي ٣٢١/١٠.

(٨) انظر: تهذيب اللغة (نساء) ٣٤٧٢/٤، والمحيط في اللغة (نأى) ٤١٩/١٠، واللسان (نأى) ٤٣١٤/٧.

العامّة (نَتًّا) بفتحتين^(١)، وقرأ ابن عامر: (نَاء) مثل بَاعَ^(٢)، وهذا على القلب، وتقديره: فَلَغَ^(٣)، ومثل هذا في القلب: رأى وراء، قال كثير:

وكلُّ خليلٍ راءٍني فهو قائلٌ مِنْ أَجْلِكَ هذا هامةُ اليومِ أو غَدِ^(٤)^(٥)

قال أبو عبيدة: والعرب تقول ذلك؛ تُقدِّمُ الهمزة وتؤخِّرُها^(٦)، وأنشد^(٧):

ولقد أراك تُشَاءُ بالأطعانِ^(٨)

(١) قرأها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص وغيرهم. انظر: السبعة ٣٨٤، وعلل القراءات ١/٣٢٧،

وإعراب القراءات السبع وعللها ١/٣٨٢، والحجة للقراء ٥/١١٥، والمبسوط في القراءات ٢٣٠.

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) أي مقلوب الميزان فعل: فَلَغَ.

(٤) ديوانه ١٣٣، وورد في الكتاب ٣/٤٦٧، والكمال ٢/٨٠٦، والحلبات ٤٧، وأملّي ابن الشجري

٢/٢٠٢، واللسان (هوم) ٨/٤٧٢٣، (رأي) ٣/١٥٤٥. هامةُ اليومِ أو غَد: كناية عن اقتراب

المريض من أجله؛ أي سيموت اليوم أو غداً، وذلك من تأثير الشوق والحزن فيه، وأصل الهامة: طائر

يخرج من رأس الميت - كما تزعم العرب. والشاهد: راءٍني يريد رأي، ولكنه قلب فأخّر الهمزة.

(٥) ورد في الحجة للقراء ٥/١١٧، بنصه.

(٦) ليس في مجازه.

(٧) للحارث بن خالد المخزومي (جاهلي).

(٨) وصدّره:

مَرَّ الحُمُولُ فَمَا شَاؤَنَكَ نَقْرَةً

شعر الحارث بن خالد ١٠٧، وورد في المعاني الكبير ١/٧٠، وتهذيب اللغة (شأني) ٢/١٨١٧،

والمصنف ٣/٧٧، واللسان (شأني) ٤/٢١٧٩، والمزهر ١/٤٧٩، ونوادر أبي زيد ٢٢٤ نسبه

إلى الأصمعي، وورد بلا نسبة في المخصص ١٤/٢٧، والخزانة ٨/١٦٧. الحمول: الإبل عليها

النساء، (شَاؤَنَكَ): شَأْنِي الشَّيْءُ شَاؤاً: أعجبنى، وقيل: حَزَنَنِي، (نقرة): النقر هو الصوت العالي،

كضرب الرّحى والحجر، (الأطعان): واحده طعينة، وهو الهودج تكون فيه المرأة، يقول: مرت

الحمول فما هيجن شوقك، وكنت قبل ذلك يهيج وجدك بهن إذا عاينت الحمول. انظر: اللسان (نقر)

٨/٤٥١٨، (ظعن) ٥/٢٧٤٨.

أراد تُشَاء فأخّر الهمزة ، ومما^(١) قدّموا قولهم في جمع البئر : آبار ، وأصلها :
آبَار^(٢) ، فقدّموا الهمزة مثل : جِذَع وأجْذَاع ، وقِطَع وأقْطَاع .

وقرأ حمزة والكسائي : (نِئِي) بإمالة الفتحين^(٣) ، ووجه ذلك : أنه أمال فتحة
الهمزة لأن الألف منقلبة من الياء التي في (النَّاي) ، فأراد أن ينحو نحوها ، فأمال
فتحة النون لإمالة فتحة الهمزة ، ولم يمل خلّاد^(٤) عن سُليمان^(٥) فتحة النون لأجل
إمالة فتحة الهمزة ، وقرأ : (نِئِي) بفتح النون وكسر الهمزة^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُتُوسَّ﴾ . قال ابن عباس : يريد إذا أصابه
مرض أو فقر يئس من رحمة الله^(٧) .

-
- (١) ساقطة من (ع) .
(٢) ساقط من (أ) و(د) .
(٣) انظر : السبعة ٣٨٤ ، وعلل القراءات ٣٢٧/١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٨٢/١ ، والحجة
للقرء ١١٥/٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٣٠ .
(٤) في النسخ جميعها : «خلف» ، والصحيح (خلّاد) ، كما ورد في المصدر؛ الحجة ، والسبعة ٣٨٤ ،
والمبسوط في القراءات ٢٣٠ ، أما رواية خلف عن سُليمان فهي : بإمالة النون وكسر الهمزة ، كما في
السبعة والحجة .
وخلّاد هو : ابن خالد ، أبو عيسى الصّيرفي الكوفي ، الأحول ، إمام في القراءة ثقة عارف محقق أستاذ ،
أخذ القراءة عرضاً عن سليم ، وهو من أضيّط أصحابه وأجلهم ، روى القراءة عنه عرضاً أحمد
الخلواني وعنبسة بن النضر ، حدث عنه أبو زرعة وأبو حاتم ، مات سنة ٢٢٠ هـ .
انظر : معرفة القراء الكبار ٢١٠/١ ، وغاية النهاية ٢٧٤/١ ، والنشر ١٦٦/١ .
(٥) سُليمان بن عامر بن غالب ، أبو عيسى الحنفي الكوفي ، المقرئ صاحب حمزة الزيات وأخص تلامذته
وأحذقهم بالقراءة ، وهو الذي خلف حمزة في الإقراء بالكوفة ، قرأ عليه خلف وخلاد ، ولد سنة
١٣٠ هـ ، وتوفي سنة ١٨٨ هـ . انظر : معرفة القراء الكبار ١٣٨/١ ، وغاية النهاية ٣١٨/١ ، والنشر
١٦٦/١ .
(٦) ورد في الحجة للقرء ١١٧/٥ ، باختصار وتصرف .
(٧) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٥٣٩/٢ ، انظر : تنوير المقباس ٣٠٤ .

وقال أهل المعاني: هذا من صفة الجاهل بالله، وهو ذم له بأنه لا يثق بفضل الله على عباده، فيطمع في كشف تلك البلية من جهته، وحسب أن الشرَّ ضربة لازب^(١)، ويؤوس: فعول من اليأس، ومضى الكلام في اليأس عند قوله: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ﴾ [يوسف: ٨٠].

٨٤. قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾. اختلفت العبارة في تفسير الشاكلة، فقال ابن عباس في رواية الوالبي وعطاء: على ناحيته^(٢)، وهو قول الأخفش^(٣)، والفراء قال: ومثله الطريقة والجديلة^(٤). وقال مجاهد: على جديله^(٥)، وروي عنه: على طبيعته^(٦).

-
- (١) أي لازم، يقول الفراء: اللازب واللاتب واللاصق واحد، والعرب تقول: ليس هذا بضربة لازم ولازب، يبدلون الباء ميماً. ورد في تهذيب اللغة (لزب) ٣٢٥٨/٤.
- (٢) أخرجه الطبري ١٥٤/١٥، بلفظه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة)، وورد في تفسير الثعلبي ١١٩/٧، بلفظه، انظر: تفسير البغوي ١٢٣/٥، وابن عطية ١٧٨/٩، والدر المنثور ٣٦١/٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.
- (٣) ليس في معانيه، وورد في تهذيب اللغة (شكل) ١٩١٥/٢، بلفظه.
- (٤) معاني القرآن للفراء ١٣٠/٢، بلفظه.
- (٥) أخرجه الطبري عنه ١٥٤/١٥، بمعناه، قال: على ناحيته. الجديلة: هي الشاكلة والناحية. انظر: المحيط في اللغة (جدل) ٤٣/٧، والقاموس المحيط ٩٧٧.
- (٦) أخرجه الطبري ١٥٤/١٥، بلفظه، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ١٨٨/٤، وتفسير الجصاص ٢٠٧/٣، والطوسي ٥١٤/٦، وانظر: تفسير القرطبي ٣٢٢/١٠.

قال شمر : ما رأيت تصحيفاً أشبه بالصواب مما قرأ مالك بن سليمان الهروي^(١) في التفسير عن مجاهد في قوله : ﴿كُلُّ يَمَلُّ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ ؛ أي جديته ، فصَحَّفَ وقال : حَدَّ يَلِيهِ ، وهو قريب بعضه من بعض^(٢) .

وقال الحسن وقتادة : على نيته^(٣) ، وقال ابن زيد : على دينه^(٤) .

وقال الزَّجَّاج : على مذهبه^(٥) .

وقال أبو عبيدة والقتبي : على خليفته^(٦) ، هذا كلامهم ، وأصل هذا في اللغة من المشابهة ؛ يقال لِشَيْءٍ شَكْلُهُ ، يقال : في فلان شَكْلٌ من أبيه ، وَأَشْكَلُهُ وَشُكْلُهُ وشَاكِلٌ ومُشَاكِلَةٌ^(٧) ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ﴾ [ص : ٥٨] ؛ أي من مثل ذلك الأول .

وقال الأخفش : يقال : هذا من شكل هذا ؛ أي من ضربه ونحوه^(٨) .

(١) في المصدر سليمان بن مالك والصحيح ما ذكره الواحدي ، ومالك بن سليمان الهروي ، قاضي هراة ، روى عن إسرائيل وشعبة ، قال عنه العقيلي : فيه نظر ، وضعفه الدار قطني ، وقال أبو حاتم : لا أعرفه . انظر : الجرح والتعديل ٨ / ٢١٠ ، والضعفاء الكبير ٤ / ١٧٣ ، وميزان الاعتدال ٤ / ٣٤٧ .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (جدل) ١ / ٥٦٠ ، بنصه تقريباً .

(٣) أخرجه الطبري ١٥ / ١٥٤ ، بنحوه عن قتادة ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤ / ١٨٨ ، عن الحسن ، وتفسير الثعلبي ٧ / ١١٩ ب ، عن قتادة ، والماوردي ٣ / ٢٦٩ ، وانظر : تفسير البغوي ٣ / ١٣٣ ، عنهما ، وابن الجوزي ٥ / ٨٠ ، عن الحسن ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٣٦١ وعزاه إلى هناد وابن المنذر عن الحسن .

(٤) أخرجه الطبري ١٥ / ١٥٤ بلفظه ، وورد بلفظه في تفسير الماوردي ٣ / ٢٦٩ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٩ / ١٧٨ ، وابن الجوزي ٥ / ٨٠ ، والقرطبي ١٠ / ٣٢٢ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٥٧ ، بلفظه .

(٦) مجاز القرآن ١ / ٣٨٩ ، بلفظه ، والغريب لابن قتيبة ١ / ٢٦١ ، بلفظه .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (شكل) ٢ / ١٩١٥ ، بنصه .

(٨) ورد في تهذيب اللغة (شكل) ٢ / ١٩١٦ ، بنصه .

وقال الليث : الشاكلة من الأمور ما وافق فاعله^(١) ، والمعنى : أن كل أحد يعمل على طريقته التي تُشاكل أخلاقه ، وعبارات المفسرين في تفسير الشاكلة متقاربة ، والكل ينبئ عما يشاكل طبيعة الإنسان ، وكل إنسان يجري على مذهبه وطريقته وعادته التي أَلَفَهَا وَجُبِلَ عَلَيْهَا ، والإشارة في هذا أن الكافر يعمل ما يشبه طريقته من الشكر عند الرخاء ، والصبر والاحتساب عند البلاء ، ألا ترى أنه قال : ﴿فَرَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ ؛ أي بالمؤمن الذي لا يعرض عند النعمة ولا ييأس عند المحنة .

٨٥ . قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية . قال ابن عباس في رواية عطاء : اجتمعت قريش فقال بعضهم لبعض : والله ما كان محمد بكذاب ، ولقد نشأ فينا بالصدق والأمانة ، فإن شئتم فأرسلوا منكم جماعة إلى يهود يثرب حتى يسألوهم عنه ، فخرج منهم طائفة حتى لقوا أحبار اليهود فسألوهم عنه ، فقال لهم اليهود : سلوه^(٢) عن ثلاثة ، فإن أخبركم عن اثنين وأمسك عن الثالثة فهو نبي ؛ سلوه عن فتية فُقدوا ، وسلوه عن ذي القرنين ، وسلوه عن الروح ، فقدم نفر من قريش إلى مكة ثم اجتمعوا فسألوا النبي ﷺ ، فقال لهم رسول الله ﷺ : «غداً أخبركم» ولم يستثن ، فأبطأ عنه الوحي أربعين يوماً لما أراد الله ، ثم نزل الوحي عليه بعد أربعين يوماً : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﷻ [الكهف : ٢٣-٢٤] ، ثم فسر لهم أمر الفتية الذين فُقدوا في سورة الكهف ، وفسر لهم قصة ذي القرنين ، وأبهم قصة الروح ؛ وذلك أنه ليس في التوراة قصته ولا تفسيره إلا ذكر اسمه الروح ، وأنزل قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ (٣) الآية ،

(١) ورد في تهذيب اللغة (شكل) ١٩١٦/٢ ، بنحوه .

(٢) في (أ) و(ش) و(د) : (سلوهم) ، والمثبت من (ع) وهامش نسخة (أ) هو الصحيح .

(٣) ورد في السيرة لابن هشام ٣٢١/١ ، وأخرجه الطبري ١٥٥/١٥ مطولاً من طريق عكرمة ، والبيهقي =

فعلى هذا القول سألته قريش عن الروح ، ونحو هذا روى عكرمة عن ابن عباس^(١) .

وقال ابن مسعود : سألته اليهود عن الروح وذكر في^(٢) ذلك قصة^(٣) ، ونحو هذا قال مجاهد^(٤) .

في الدلائل ٢ / ٢٧٠ من طريق سعيد بن جبير ، وورد في دلائل النبوة للأصبهاني ٢١٦ ، وأورده السيوطي في الدر ٤ / ٣٦١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وفي باب النقول ١٤٣ ، والحديث ضعيف بسبب الجهالة والاضطراب ؛ إذ رواه ابن إسحاق في رواية الطبري عن رجل من أهل مصر ، وفي رواية البيهقي عن رجل من أهل مكة ، لكن في سورة الكهف آيات تشير إلى حدوث الأسئلة .

(١) أخرجه أحمد ١ / ٢٥٥ ، والترمذي (٣١٤١) في التفسير ، باب : ومن سورة بني إسرائيل ، وقال حسن صحيح ، وابن أبي عاصم في السنة ١ / ٢٦٤ ، وأبو يعلى في مسنده ٤ / ٣٨١ ، وأبو الشيخ في العظمة ١٩٢ ، والحاكم ٢ / ٥٣١ وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الدلائل ٢ / ٢٦٩ ، وأورده المصنف في أسباب النزول ٢٩٩ .

(٢) في (أ) و(د) : (وذكر ذلك) ، والمثبت من : (ش) و(ع) .

(٣) ورد لهذه القصة روايات عدة ، منها ما رواه الشيخان ؛ البخاري (١٢٥) ، كتاب : العلم ، باب : قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَوْتِيْتُهُنَّ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، ومسلم (٢٧٩٤) ، في الجنة والنار ، باب : سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح . عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مرّ اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، فقال : ما رابكم إليه ؟ [أي ما إربكم وحاجتكم إلى سؤاله] وقال بعضهم : لا يستقبلكم بشيء تكرهونه ، فقالوا : سلوه ، فسأله عن الروح ، فأمسك النبي ﷺ ، فلم يردّ عليهم شيئاً ، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقامت مقامي ، فلما نزل الوحي قال : ﴿ وَكُنْتُمْ لَكُمُ الْوَجْهُ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيْتُهُنَّ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، أخرجه أحمد ١ / ٣٨٩ ، والبخاري (٤٧٢١) ، التفسير ، الإسرائ ، ومسلم (٢٧٩٤) ، الموضع السابق ، والترمذي (٣١٤١) في التفسير ، باب : ومن سورة بني إسرائيل ، وابن أبي عاصم في السنة ١ / ٢٦٣ ، والنسائي في تفسيره ١ / ٦٧٠ ، والطبري ١٥ / ١٥٥ ، والبيهقي في الأساء والصفات ٤٥٩ ، وأبو نعيم في الدلائل ٢ / ٣٥٧ ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤ / ١٨٩ ، وتفسير السمرقندي ٢ / ٢٨٢ ، والثعلبي ٧ / ١١٩ ب ، وأوردها المصنف في أسباب النزول ٢٩٩ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٣٦١ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن حبان وابن مردويه والبيهقي في الدلائل ، وليس فيها ؛ بل في الأساء والصفات .

(٤) تفسير مجاهد ١ / ٣٦٩ ، وأخرجه الطبري ١٥ / ١٥٦ من طريقين .

واختلفوا في الروح المسؤول عنه ، فقال علي بن أبي طلحة : هو مَلَكٌ^(١) ، وهو قول علي رضي الله عنه ، قال : هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، لكل وجه سبعون ألف لسان ، لكل لسان سبعون ألف لغة يُسَبِّحُ الله عز وجل بتلك اللغات كلها ، يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة^(٢) ، ونحو هذا قال سعيد بن جبير ، قال : ولم يخلق الله خلقاً أعظم من الروح غير العرش ، لو شاء أن يملأ السموات السبع والأرضين السبع ومن فيها بلقمة واحدة لفعل ، وهو المذكور في قوله عز وجل : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾^(٣) . [النبا : ٣٨] .

(١) أخرجه عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة الطبري ١٥/١٥٦ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٦٢ .

(٢) أخرجه الطبري ١٥/١٥٦ بنصه ، وابن الأنباري في الأضداد ٤٢٣ ، بنصه ، وأبو الشيخ في العظمة ١٩٤ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٦٢ ، بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/١١٩ ب ، بنصه ، والماوردي ٣/٢٦٩ ، بنحوه ، والطوسي ٦/٥١٥ ، بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٦١ وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، والأثر ضعيف ؛ لجهالة أحد الرواة ، وهو شيخ أبي هران الذي لم يسم ، فقد قال : . . . حدثني أبو هران يزيد بن سمرة القيساري عن حدثه عن علي - رضي الله عنه - أنه قال : الحديث . وقال ابن عطية : وما أظن القول يصح عن علي رضي الله عنه ، وقد ضعفه الفخر الرازي - كذلك - من وجوه عدة ، وقال ابن كثير : وهذا أثر غريب عجيب . انظر : تفسير ابن عطية ٩/١٨١ ، والفخر الرازي ٢١/٣٩ ، وابن كثير ٣/٦٩ .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٧/١٢٠ مطولاً ، وانظر : البغوي ٥/١٢٥ ، والخازن ٣/١٧٩ ، وقد ورد في هذا الأثر أشياء غريبة لا يصح القول بها إلا بخبر صحيح عن المعصوم ، وهو ما لم أقف عليه ، وحسبك لرده أن مصدره الثعلبي !

وقال الحسن وقتادة: هو جبريل^(١)، قال أبو إسحاق: ومن تأول ذلك فذليله قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، وقال مجاهد: الروح: خَلَقَ ليسوا بالملائكة على صورة بني آدم، يأكلون، ولهم أيد وأرجل ورؤوس^(٢). وقال أبو صالح: يشبهون الناس، وليسوا بالناس^(٣).

وقال قوم: هو القرآن^(٤)، وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد، من أتاك بهذا القرآن، فبين الله أنه من عنده، فقال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. قال أبو إسحاق: ودليل هذا القول قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وتأويل تسمية القرآن بالروح أن القرآن حياة القلوب وحياة النفوس^(٥) في ما تصير إليه من الخير عند الله عز وجل^(٦).

(١) أخرجه عبد الرزاق ٣٨٨/٢ بلفظه عنهما، والطبري ١٥٦/١٥ بلفظه عن قتادة، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/١٩٠، عن الحسن، وتفسير السمرقندي ٢/٢٨٢، عنهما، والثعلبي ١١٩/٧، عنهما، ولا وجه البتة لتفسيره بجبريل هنا.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/٣٠، بنحوه، وأبو الشيخ في العظمة ١٩٧، بنحوه، وورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢/٢٨٢، والثعلبي ١١٩/٧، انظر: تفسير البغوي ٥/١٢٥، قال الفخر الرازي تعقيباً على هذا القول والذي يليه: ولم أجد في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئاً يمكن التمسك به في إثبات هذا القول، وأيضاً فهذا شيء مجهول فيبعد صرف هذا السؤال إليه. تفسير الفخر الرازي ٣٩/٢١.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/٣٠، بنحوه، وأبو الشيخ في العظمة ١٩٥، بنحوه، والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٦٣، بنحوه، وورد في تفسير الثعلبي ١١٩/٧، بنحوه، وهو مثل سابقه.

(٤) أخرجه بلفظه الطبري ٢٣/٣٠، عن ابن زيد، وأبو الشيخ في العظمة ١٩٦، عن الضحاك، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/١٩٠، وتفسير السمرقندي ٢/٢٨٢، وهود الهواري ٢/٤٤٠، عن الحسن، والثعلبي ١٢٠/٧، والماوردي ٣/٢٦٩، عن الحسن، والطوسي ٦/٥١٥، عن الحسن، وهو أيضاً بعيد هنا.

(٥) في (د): (النفس).

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٥٨، بنحوه تقريباً.

وقال آخرون : هو روح الحيوان^(١) ، وهو الأظهر في الكلام الذي يسبق إلى الأفهام^(٢) ، ونذكر هاهنا الكلام في الروح واشتقاقه ومعناه وبالله التوفيق ، الروح الذي يحيا به البدن يُدَكَّرُ ويُوَنَّثُ ، وأكثر الناس على أنَّ اشتقاقه من الريح ، والريح في الأصل روح ، والعرب تسمي النفخ والنفس الذي يخرج من الإنسان روحاً .

قال ذو الرُّمَّة :

فقلتُ له ارفعها إليك وأحيها برُوحِكَ واجعلْ لها قِيَّةً قَدْرًا^(٣)

يذكر ناراً ناولها صاحبه ، وقوله : (أحيها بروحك)؛ أي بنفخك ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر : ٢٩] ، وقال آخرون : سمي روحاً لأنه يهتز وينبسط ويتنشر في جميع البدن ، من قولهم : رجلٌ أروح ، ورجلٌ روحاء ،

(١) ورد في تفسير الجصاص ٢٠٧/٣ ، بلفظه ، والثعلبي ١٢٠/٧ ، بمعناه ، والماوردي ٢٧٠/٣ ، بلفظه ، والطوسي ٥١٥/٦ ، بلفظه .

(٢) وهذا هو القول المشهور والصحيح ، وعليه أكثر المفسرين ، ذكره البيهقي في الأسماء والصفات ٤٥٩ ، والسمعي في تفسيره ٢٧٤/٣ ، وقال أبو حيان ٧٥/٦ : هو قول الجمهور ، وقد ذهب إليه : الجصاص ٢٠٧/٣ ، والطوسي ٥١٥/٥ ، والسمعي ٢٧٤/٣ ، والبعوي ١٢٦/٥ ، والخازن ١٧٩/٣ ، وابن حجر في الفتح ٢٥٥/٨ وقال : وجنح ابن القيم - في كتاب الروح ٥٢٤/٢ - إلى ترجيح أن المراد بالروح المسؤول عنها في الآية ما وقع في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبا : ٣٨] قال : وأما أرواح بني آدم فلم يقع تسميتها في القرآن إلا نفساً . ثم قال : ولا دلالة في ذلك لما رجحه ، بل الراجح الأول ، وأيده بما رواه الطبري ١٥٦/١٥ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق العوفي هذه أنهم سألوه عن الروح : وكيف يعذب الروح الذي في الجسد ، وإنما الروح من الله ؟ فنزلت الآية .

(٣) ديوانه ١٤٢٩/٣ برواية : (واقْتَتَهُ) بدل : (واجعلهُ) ، وورد في تهذيب اللغة (راح) ١٣١٣/٢ ، والأسماء والصفات ٤٦١ ، والأساس ٣٧٨/١ ، واللسان (روح) ١٧٦٦/٣ ، والمفردات ٦٨٧ بلا نسبة .

(ارفعها)؛ أي ارفع النار ، (اقتته) : افتعلهُ من القوت ، وقاته يقوته قوتاً : أطعمه قوته ، وأقاته يُقِيَّتُهُ : جعل له ما يقوته ، ويقال : ما له قوت ليلة ، وقِيْتُ ليلة ، ونحو : الطَّعْمُ والطَّعْمَةُ .

هي التي في صَدْرِ قدمها انبساط ، وقَصْعَةٌ رَوْحَاءُ قَرِيبَةُ الْقَعْرِ منبسطة ، وإناء أرواح^(١) ، وسميت الخمر رَاحاً لاهتزاز البدن وخفته وانبساطه عند شربها^(٢) .

واختلفوا في ماهية^(٣) الروح^(٤) ، فقال قوم : إن الروح هو الدم ، ألا ترى أن من نَزَف دمه مات ، والميت لا يفقد جِسْمَهُ إلا الدم^(٥) ، وزعمت طائفة أن الروح هو استنشاق الهواء ، ألا ترى أن المخنوق ومن مُنِع عن استنشاق الهواء يموت^(٦) .

وأخبرني العروضي عن الأزهري قال : سمعت المنذري يقول : سمعت أبا الهيثم يقول : الروح إنما هو النَّفْسُ الذي يتنفسه الإنسان ، وهو جار في جميع الجسد ، فإذا خرج لم يتنفس بعد خروجه ، وإذا تَتَأَمَّ خروجه بقي بصره شاخصاً نحوه حتى يُغْمَض ، وهو بالفارسية جان^(٧) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (راح) ١٣١٣/٢ ، والمحيط في اللغة ١٩٨/٣ ، ومقاييس اللغة ٤٥٤/٢ ،
والصالح ٣٦٧/١ ، واللسان ١٧٦٦/٣ .

(٢) انظر : التلخيص في معرفة أساء الأشياء ٥٠٤/٢ .

(٣) في النسخ جميعها : (مائية) ، والصواب المثبت كما دلَّ عليه التفصيل بعده .

(٤) ليت الواحدي - رحمه الله - لم يخض في هذا الموضوع الفلسفي الذي لا طائل من ورائه ولا يقوم عليه عمل ، وبحث لا يستند إلى علم ، لذلك كان الأولى ، بل الواجب أن يفوض أمر ماهية الروح ومسكنه ومدخله ومخرجه - مما تكلم عنه - إلى الله تعالى ، كما قال : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وما أحسن ما قاله ابن الجوزي ، قال : وقد اختلف الناس في ماهية الروح ، ولا يُحتاج إلى ذكر اختلافهم ؛ لأنه لا برهان على شيء من ذلك ، وإنما هو شيء أخذوه عن الطب والفلاسفة ، فأما السلف فإنهم أمسكوا عن ذلك ؛ لقوله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ . انظر :
البغوي ١٢٦/٥ ، وابن الجوزي ٨٣/٥ .

(٥) انظر : تفسير البغوي ١٢٦/٥ ، والخازن ١٧٩/٣ .

(٦) انظر : تفسير الخازن ١٧٩/٣ .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (راح) ١٣١٣/٢ ، بنصه .

وزعم ابن الروندي^(١) أنه جسم لطيف أسكن البدن^(٢).

وقال عامة المعتزلة والنجارية^(٣):

الروح عرض^(٤)، ومثله حكى القلانسي^(٥) من أصحابنا عن عبد الله بن سعيد^(٦).
وقال بعض الحكماء: إن الله تعالى خلق الأرواح من ستة أشياء: من جوهر النور

(١) أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي، وقيل: الرُّيُونْدِيُّ، الزنديق الشهير، كان من متكلمي المعتزلة، ثم تزدق واشتهر بالإلحاد، وقيل: كان لا يستقر على مذهب، كان غاية في الذكاء ولم يك زكي النفس، صنَّف كتباً كثيرة يطعن فيها على الإسلام، وألف لليهود والنصارى يحتجُّ لهم في إبطال نبوة سيد البشر، وكان يلزم الرافضة والملاحدة، قيل: كان أبوه يهودياً فأسلم هو، فكان بعض اليهود يقول للمسلمين: لا يفسد هذا عليكم كتابكم كما أفسد أبوه علينا التوراة، قال ابن الجوزي: وإنما ذكرته ليعرف قدر كفره، وقال ابن حجر: إنها أوردته لألغنه، مات سنة ٢٩٨ هـ.
انظر: المنتظم ١٣/١٠٨، ووفيات الأعيان ١/٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/٥٩، ولسان الميزان ١٩٤/١.

(٢) ورد في مقالات الإسلاميين ٣٣٢، بنحوه، انظر: تفسير البغوي ٥/١٢٦، والخازن ٣/١٧٩ بلا نسبة فيهما.

(٣) هم أتباع الحسين بن محمد النُّجَّار، من فرق المرجئة، يعتقدون أن الإيَّان بالقول من دون العمل، وأن من كان مؤمناً لا يزول عنه اسم الإيَّان إلا بالكفر، ويشتون للفعل فاعلين: الله تعالى والعبد، وافتقوا مع المعتزلة في نفي بعض الصفات والقول بخلق القرآن، وهم أكثر من عشر فرق بالري. انظر: مقالات الإسلاميين ١٣٥، والفرق بين الفرق ٢٥، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ٣٩.

(٤) ورد في مقالات الإسلاميين ٣٣٤ بلا نسبة، انظر: تفسير البغوي ٥/١٢٦ بلا نسبة، والروح لابن القيم ٢/٥٧٣ بلا نسبة.

(٥) أبو أحمد مصعب بن أحمد البغدادي القلانسي [نسبة إلى القلانـس - جمع قلنسوة - وعملها]، شيخ الصوفية، صاحب أبي حمزة وعليه تخرج، وكان أبو حمزة والجند وجماعة المشايخ يكرمونه ويقدمونه على غيره، وكان أبو سعيد ابن الأعرابي ينتمي إليه في التصوف وصحبه إلى أن مات، حج سنة ٢٧٠ هـ، فمات في مكة. انظر: حلية الأولياء ١٠/٣٠٦، واللباب في تهذيب الأنساب ٣/٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٣/١٧٠.

(٦) عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي الكوفي المفسر، أبو سعيد الأشج، حدث عن هُشَيْم وأبي بكر بن عياش، وعنه الأئمة الستة وابن خزيمة، قال الذهبي: رأيت تفسيره مجلِّد، مات سنة ٢٥٧ هـ. انظر: الجرح والتعديل ٥/٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/١٨٢، وطبقات المفسرين للدواودي ١/٢٣٥.

والطَّيِّب والبقاء والحياة والعلم والعلو ، ألا ترى أنه ما دام في الجسد كان الجسد نورانياً؛ تبصر العينان وتسمع الأذنان ، ويكون طيباً فإذا خرج نَتَنَ الجسد ، ويكون باقياً فإذا زايله الروح لم يعلم شيئاً ، ويكون الجسد علوياً لطيفاً ما دام فيه الروح ، فإذا خرج صار سفلياً كثيفاً^(١) .

وقال محمد بن موسى الواسطي^(٢) : خلق الله الأرواح من^(٣) بين الجمال والبهاء ، فلو لا أنه سترها لسجد لها كل كافر^(٤) .

وقال أبو قلابة : ما خلق الله شيئاً أطيب من الروح وما انتزع من شيء إلا نتن^(٥) ، والاختيار في ماهية الروح أنه جسم لطيف توجد به الحياة ، وقوله : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ﴾ إلى قوله : ﴿يُرْزَقُونَ﴾^(٦) فَرَحِينَ ﴿[آل عمران : ١٦٩-١٧٠] يدل على أن الروح جسم ؛ لأن الارتزاق والفرح من صفات الأجسام ، والمراد بهذا أرواحهم لأن أبدانهم قد بليت في التراب ، وكذلك ما روي : «أن أرواح الشهداء تعلق من شجر الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش»^(٦) ، وهذا الفعل لا يتأتى من العَرَض .

(١) انظر : تفسير البغوي ١٢٦/٥ مختصراً ، والخازن ١٧٩/٣ مختصراً .

(٢) محمد بن موسى الواسطي ، قاضي الرملة ، قال ابن يونس في تاريخ مصر : كان عالماً بالفقه والتفسير ، ويتفقه على مذهب أهل الظاهر ، وقد رمي بالقدر ، مات سنة ٣٢٠هـ . انظر : طبقات المفسرين للسيوطي ١١٧ ، وطبقات المفسرين للدوادري ٢/٢٦٤ .

(٣) في د : (ما) .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) لم أقف على هذه الرواية بنصها ، بل وردت مفرداتها في أحاديث متفرقة ، أقربها : عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : «إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمرة الجنة أو شجر الجنة . . . » . أخرجه أحمد ٣٨٦/٦ ، والترمذي (١٦٤١) ، كتاب : فضل الجهاد ، باب : ما جاء في ثواب الشهداء ٤/١٧٦ ، وقال : حديث حسن صحيح ، والطبراني في الكبير ٦٦/١٩ ، بنحوه ، وفي رواية عن ابن مسعود أن النبي ﷺ سئل عن قوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ =

وأما مدخل الروح ومخرجه ، فقال قوم : يدخل من المنافذ كلها ويخرج من المنافذ كلها ، وقال بعضهم : يدخل من الأنف ويخرج من الفم .

وحكى علي بن مهدي^(١) - من أصحابنا - أنه يدخل من حيث شاء الله ويخرج من الأنف ، لقولهم : مات حتف أنفه^(٢) ، وأما مسكنه فقال قوم : مسكن الروح القلب ، وعمله شائع في جميع البدن كقرصة الشمس مسكنها الفلك ونورها ينتشر في الدنيا .

وقال آخرون : مسكنها الدماغ ، وقيل : مسكنه الدم ، وقال بعضهم : هو يشتمل جميع البدن ، ففي كل بعض من أبعاض البدن بعض من أبعاض الروح ،

[آل عمران : ١٦٩] ، فقال : «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش . . .» . أخرجه مسلم (١٨٨٧) ، في كتاب : الإمارة ، باب : بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ٣/ ١٥٠٢ ، والترمذي (٣٠١١) ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة آل عمران ، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (٢٨٠١) ، كتاب : الجهاد ، باب : فضل الشهادة في سبيل الله ، والبيهقي ، كتاب : السير ، باب : فضل الشهادة في سبيل الله ٩/ ١٦٣ ، (تعلق) ؛ أي تناول .

(١) علي بن محمد بن مهدي الطبري الأشعري ، أبو الحسن ، تلميذ أبي الحسن الأشعري ، صحبه بالبصرة وأخذ عنه ، كان من المبرزين في علم الكلام والقوانين بتحقيقه ، وله كتاب تأويل الأحاديث المشكولات الواردة في الصفات ، كان حافظا للفقهاء والتفاسير والمعاني وأيام العرب ، فصيحاً مبارزاً في النظر ، توفي في حدود سنة ٣٨٠ هـ . انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٤٦٦ ، وتبيين كذب المفتري ١٩٥ ، والوافي بالوفيات للصفدي ٢٢/ ١٤٣ ، وطبقات الفقهاء الشافعية للعبادي ٨٥ .

(٢) جزء من حديث رواه عبد الله بن عتيك رضي الله عنه ، وطرفه : «من خرج من بيته مجاهداً في سبيل الله . . . إلى أن يقول - أو مات حتف أنفه ، فقد وقع أجره على الله عز وجل» ، ثم يقول الرواي : والله إنها لكلمة ما سمعتها من أحد من العرب قبل رسول الله ﷺ . . . ، أخرجه ابن أبي شيبة ٤/ ٢١٠ ، وأحمد ٤/ ٣٦ ، والطبراني في الكبير ٢/ ١٩١ ، والحاكم ٢/ ٨٨ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وورد في تهذيب اللغة (حتف) ١/ ٧٣٧ ، وأورده في المجمع ٥/ ٢٧٧ ، وقال : وفيه محمد بن إسحاق مدلس ، وبقية رجال أحمد ثقات ، انظر : مجمع الأمثال ٢/ ٢٦٦ ، والمستقصى ٢/ ٣٣٨ ، ويروى : حتف أنفیه ، ومعناه أي مات بلا ضرب ولا قتل ، قال أبو عبيد : هو أن يموت موتاً على فراشه من غير قتل ولا غرق ولا سبغ ولا غيره .

واحتج بقوله : ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [إبراهيم : ١٧] ، وهذا كله إذا رجعت إلى التحقيق ضرب من التكلف^(١) ؛ لأن الله تعالى أبهم على ذلك^(٢) .

قال عبدالله بن بُريدة : ما يبلغ الجن والإنس والملائكة والشياطين علم الروح ، ولقد مات رسول الله ﷺ وما يدري ما الروح^(٣) .

وقال الفرّاء : الروح هو الذي يعيش به الإنسان ، لم يخبر الله به أحداً من خلقه ، ولم يعط علمه أحداً من عباده^(٤) .

وقال في قوله : ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ من علم ربي لا تعلمونه^(٥) ، وقيل : من خلق ربي ؛ أي إنه مخلوق له .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ؛ أي بالإضافة إلى علم الله تعالى ، وذلك أن اليهود كانت تدّعي علم كل شيء بما في كتابهم التوراة ، فقال الله تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ . قال أبو إسحاق : وقليل وكثير لا يصلح إلا بالإضافة ، وإنما يقلُّ الشيء عند ما هو أكثر منه ، وكذلك يكثر عند ما هو أقل منه^(٦) ، ويجوز أن يكون الخطاب في قوله : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ للنبي ﷺ والمؤمنين ، وذلك حين لم يعرف رسول الله ﷺ علم الروح ، ولم

(١) في النسخ جميعها : (التكليف) . والصواب ما أثبتته .

(٢) لذلك كان الأولى ألا يخوض في هذه المسألة أصلاً .

(٣) ورد في الأضداد لابن الأنباري ٤٢٦ مختصراً ، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة ١٩٣ ، بنصه ، انظر : تفسير السمعي ٣/ ٢٧٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦٢ مختصراً ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (راح) ١٣١٣/ ٢ ، بنصه تقريباً .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٣٠ ، بنحوه .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٨ ، بتصرف يسير .

يبين الله له ذلك ، قال له : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ، يدل على هذا : قوله : ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ .

٨٦. قال أبو الفتح الموصلي : ليست اللام في ﴿لَيْنَ﴾ بجواب القسم ، وإنما الجواب : لنذهبَنَّ ، وعليه وقع الحلف ، واللام في ﴿لَيْنَ﴾ زائدة مؤكدة ، ويدل على أن اللام الأولى زائدة أن الثانية هي التي تلقت القسم ^(١) ، [ونظير] ^(٢) جواز سقوط الأولى في قوله تعالى : ﴿وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المائدة : ٧٣] ، وإذا قلت : والله لئن ^(٣) قمت لأقومن ، كان اعتماد القسم على اللام في لأقومن ، واللام في لئن ^(٤) زائدة مؤكدة ^(٥) .

ومعنى الآية أي إني أقدر أن آخذ [ما أعطيتك؛ كأنه يقول : لم تؤت إلا قليلاً من العلم ، وإن شئت أن آخذ ذلك] ^(٦) قدرت .

قال أبو إسحاق : لو شئنا لمحونا من القلوب ومن الكتب حتى لا يُوجد له أثر ^(٧) ، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُكَ بِهِ عَيْنًا وَكِيلًا﴾ ؛ أي لا تجد من يتوكل عليه في رد شيء منه ، كقوله : ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء : ٦٨] .

(١) في (أ) و(د) و(ش) : (الاسم) ، والمثبت من (ع) وهو الصواب .

(٢) هذه إضافة يقتضيها السياق ، وقد وردت هذه الكلمة في المصدر بنحو هذا السياق .

(٣) في (أ) و(د) و(ش) : (لأن) ، والمثبت من (ع) وموافق لما في المصدر .

(٤) في (أ) و(د) و(ش) : (لأن) ، والمثبت من (ع) وموافق لما في المصدر .

(٥) سر صناعة الإعراب ١/ ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، باختصار وتصرف .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٨ ، بنصه .

٨٧. ثم قال: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ . قال الفرّاء : هو استثناء ، كقوله :
﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾^(١) [يوسف: ٦٨] .

وقال أبو إسحاق : ﴿رَحْمَةً﴾ استثناء ليس من الأول^(٢) ، المعنى لكن الله رَحِمَكَ ، فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَأنَّ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ . قال ابن عباس : يريد حيث جعلتك سيّد ولد آدم ، وختمت بك النبيين ، وأعطيتك المقام المحمود^(٤) .

٨٨. قوله تعالى : ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا﴾ هذا احتجاج من الله تعالى عليهم بالمعجزة ، أعلمهم - وهم أهل البيان وتأليف الكلام - عجزهم عن الإتيان بمثل ما أتى به الرسول ﷺ ، وإن تعاونوا عليه ، قال المفسرون : هذا تكذيب للنضر بن الحارث حين قال : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾^(٥) [الأنفال: ٣١] .

وقال مقاتل : إن نبيّ الله ﷺ تحدّاهم أولاً فقال : ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ﴾ [هود: ١٣] ، فعجزوا عن ذلك ، فتحدهاهم وقال : ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] ، فعجزوا ، فأيسهم الله تعالى عن معارضته بمثل ما أتى به في هذه الآية^(٦) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٣٠ ، بنصه .

(٢) أي إنه ليس متصلاً ، بل هو استثناء منقطع .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٩ ، بنصه .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيبسي ٢/ ٥٤٦ بنصه ، وبلا نسبة في تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٥٤ ، والقرطبي ١٠/ ٣٢٥ ، والخازن ٣/ ١٨٠ .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٠ ب ، بنحوه ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٨٤ .

(٦) تفسير مقاتل ١/ ٢١٩ أ ، بنحوه .

قال أهل المعاني : والمثل الذي طُلب منهم في التحدي كلام له نظم كنظم القرآن في أعلى طبقات البلاغة ، إذا قُوبل به ظهر أنه في تلك المنزلة ، كما يكون بين الشعراء من معارضة القصيدة بالقصيدة ، كمعارضة علقمة^(١) لامرئ القيس ، ومعارضة جرير للفرزدق^(٢) ، ثم لَمَّا عرضوا القرآن على جميع أجناس كلامهم عجزوا عن المعارضة في النظم بَلَّة البلاغة ، وذلك أن كلامهم لم يخرج من أجناس ثمانية ؛ أربعة معقودة وأربعة منشورة ؛ فالمنشورة منها أربعة أجناس : منها الكلام الذي يدور بين الناس في ما يحتاجون إليها ، ومنها الرسائل ، ومنها الخطب ، ومنها السجع ، فلم يكن واحد من هذه الأجناس يشبه نظم القرآن ، وبعض ما يُحتاج إليه في هذه الآية قد ذكرنا في قوله : ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ في سورة البقرة^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ هذا جواب (لئن) بالرفع^(٤) .

قال الفرّاء : والعرب إذا أجابت (لئن) بـ (لا) جعلوا ما بعد (لا) رفعاً ؛ لأن (لئن) كاليمين ، وجواب اليمين بـ (لا) مرفوعٌ ، وربما جزم الشاعر بـ (لئن) وجوابها ؛ لأن (لئن) : (إن) التي يجازى بها زيدت عليها لام ، وأنشد للأعشى :

لِئِنْ مُنِنْتَ بِنَا عَنْ غِبِّ مَعْرَكَةٍ لَا تُتْلِفُنَا مِنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ نَتَّقِلُ^(٥)

(١) علقمة بن عَبْدَةَ بن النعمان ، شاعر جاهلي من بني تميم ، لقب بالفحل لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له بأنه أشعر منه ، فطلقها ، عدّه الجمحي في الطبقة الرابعة من فحول شعراء الجاهلية ، وله قصيدة طويلة في معارضة امرئ القيس . انظر : طبقات فحول الشعراء ١/ ١٣٧ ، والشعر والشعراء ١٢٥ ، والأغاني ٢١/ ٢٠٥ ، والمنتخب في محاسن أشعار العرب ١/ ١٧ ، والخزانة ٣/ ٢٨٢ .

(٢) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٥١٧ ، بنحوه .

(٣) آية : [٢٣] .

(٤) قال الطوسي ٦/ ٥١٧ : «وإنما رفعه لأنه غلب جواب القسم على جواب (إن) لوقوعه في صدر الكلام» .

(٥) ديوانه ١٤٩ ، وفيه : «لم تلتفنا» ، وورد في تفسير الطبري ١٥/ ١٥٩ ، والطوسي ٦/ ٥١٧ ، وابن عطية ٩/ ١٨٦ ، واللسان (نفل) ٨/ ٤٥١٠ ، وتفسير أبي حيان ٦/ ٧٨ ، والدر المصون ٧/ ٤٠٧ ، والخزانة =

فجزم الجواب بـ (لا)^(١).

قال : وأنشدني الكسائي^(٢) :

لِئِنْ تَكُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ بِلَادُكُمْ لَيَعْلَمَ رَبِّي^(٣) أَنَّ بَيْتِي لَوَاسِعٌ^(٤)^(٥)
فجزم بلئن^(٦).

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ . الظهير : المعين المظاهر لك ، وهو فاعيل بمعنى المظاهر .

قال ابن عباس : يريد معيناً^(٧) ، مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه .

٣٢٩/١١ ، وورد بلا نسبة في شرح ابن عقيل ٤/٤٥ ، وشرح الأشموني ٤/٦٩ ، (منيت) : ابتليت ، نتفل ، الانتفال : التبرؤ ، يقال : انتفل من الشيء تبرأ منه .

(١) وكان حقه الرفع لا تلفيناً بإثبات الياء ، جواباً للقسم المتقدم على الشرط ، لكنه جزمه بحذفها ؛ لأنه جعله جواباً للشرط بأن ولم يجب القسم ، بل حذفه لدلالة جواب الشرط عليه . انظر : شرح ابن عقيل ٤/٤٥ .

(٢) البيت للكُميت بن معروف .

(٣) ساقطة من (د) .

(٤) ورد في الخزانة ١٠/٦٨ ، ١١/٣٣١ وفيه : (بيوتكم ، وواسع) ، وورد بلا نسبة في الدر المصون ٢/٤٦ ، وشرح التصريح ٢/٢٥٤ ، وشرح الأشموني ٣/٣٩٧ ، ٤/٧٢ .

(٥) معاني القرآن للقرآء ٢/١٣١ ، بتصرف واختصار .

(٦) يقول السمين : ولا يحذف جواب الشرط إلا وفعله ماض ، وقد يكون مضارعاً . وهنا قد حذف للضرورة - كما قال البغدادي - لأن القياس يقتضي أن يقول : لئن كانت . وأن يقول في الجواب : ليعلمن . انظر : الدر المصون ٢/٤٦ ، وشرح التصريح ٢/٢٥٤ ، وشرح الأشموني ٤/٧٢ ، والخزانة ١٠/٦٨ ، ١١/٣٥١ .

(٧) لم أقف عليه منسوباً إليه ، وأخرجه الطبري ١٥/١٥٩ ، عن ابن جريج ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/١٩٣ ، وبلا نسبة في تفسير السمرقندي ٢/٢٨٣ .

٨٩-٩٠. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾؛ أي بيّنا، وذكرنا الكلام في هذا في هذه السورة^(١)، قال ابن عباس: وأراد بالناس أهل مكة^(٢)، ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾؛ أي من كل نوع وشبهه، يريد من الأمثال التي يجب بها الاعتبار، ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ قال ابن عباس: يريد أكثر أهل مكة^(٣).

﴿إِلَّا كُفُورًا﴾؛ يريد جحوداً للحق وإنكاراً، وذلك أنهم أنكروا القرآن وكونه معجزة بعد قيام الحجة عليهم، واقترحوا من الآيات ما ليس لهم، وهو قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾. قال ابن عباس: لن نصدقك^(٤).

قال المفسرون: نزلت في رؤساء مكة اقترحوا عليه ما ذكر الله عنهم في هذه الآيات^(٥).

(١) عند آية [٤١].

(٢) انظر: تنوير المقباس ٣٠٥، وتفسير الفخر الرازي ٥٥/٢١، والألوسي ١٦٧/١٥ بلا نسبة فيهما.

(٣) ورد بلا نسبة في زاد المسير ٨٥/٥، والفخر الرازي ٥٥/٢١، والقرطبي ٣٢٧/١٠.

(٤) انظر: تنوير المقباس ٣٠٥، وورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٥٩/١٥، والسمرقندي ٢٨٣/٢.

(٥) ورد في تفسير مقاتل ٢١٩/١ ب، والسيرة لابن هشام ٣١٥/١ مطولاً، أخرجه الطبري ١٥٩/١٥ من طريق عكرمة عن ابن عباس، وورد في تفسير هود الهواري ٤٤٢/٢، والثعلبي ١٢٠/٧ ب، وأورده المصنف -بلا سند- في أسباب النزول ٣٠٠، وتفسير البغوي ١٢٨/٥، وابن الجوزي ٨٥/٥، والفخر الرازي ٥٦/٢١، والقرطبي ٣٢٨/١٠، وابن كثير ٧٠/٣، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٦٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم. والحديث في إسناده رجل مجهول، فقد رواه ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر قدم منذ أربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس، كما في رواية الطبري.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَفْجَرُ لَنَا﴾ وذلك أنهم سألوه أن يُجري لهم نهراً كأنهار الشام والعراق، وقرئ: ﴿تَفْجَرُ﴾ بالتخفيف^(١)، يقال: فَجَرْتُ المَاءَ فَجْراً وَفَجَرْتُهُ تَفْجيراً وَتَفْجَرَةً، «فمن ثَقُلَ»^(٢) أراد كثرة الانفجار من الينبوع، وهو وإن كان واحداً فَلِتَكَرُّر الانفجار فيه يحسن أن يثقل، كما تقول: ضَرَبَ زيد، إذا كثر الضرب فيه، فَيَكْثُرُ فِعْلُهُ وإن كان الفاعل واحداً، ومن خَفَّفَ فلأن الينبوع واحد، ودليل التشديد من التنزيل قوله: ﴿وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ [الكهف: ٣٣]، ودليل التخفيف قوله: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠] والانفجار مطاوع الفجر»^(٣).

ومضى الكلام في الفجر والانفجار في سورة البقرة^(٤).

وقوله تعالى: ﴿يَنْبُوعًا﴾ يعني عَيْنًا يَنْبُع المَاءُ منه، وهو مفعول من نَبَعَ المَاءُ يَنْبُعُ وَيَنْبُعُ نَبْعًا وَنُبُوعًا وَنَبْعَانًا، ذكره الفراء^(٥) والليث^(٦).

قال أهل المعاني: وإنما لم يجابوا إلى ما سألوها؛ لأنهم طلبوا ذلك دليلاً على صدقه، وقد أتاهم من القرآن بما يدل على صدقه، فليس لهم أن يطلبوا دليلاً آخر إلا بعد القدح في الدليل الأول بما يبين أنه شبهة لا يدل على صحة المعنى، فأما طلبهم الدليل على جهة الإنكار الأول فهو سفه وجهل لا يستحقون أن يجابوا إليه.

(١) أي بفتح التاء وتسكين الفاء وضم الجيم مع التخفيف، قرأ بها: عاصم وحمة والكسائي، انظر: السبعة ٣٨٥، وعلل القراءات ٣٢٨/١، والحجة للقراء ١١٨/٥، والمبسوط في القراءات ٢٣٠، والنشر ٣٠٨/٢.

(٢) أي بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم، وقرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر. انظر: المصادر السابقة.

(٣) ورد في الحجة للقراء ١١٩/٥، بتصرف.

(٤) آية [٦٠].

(٥) معاني القرآن للفراء ١٣١/٢، بنحوه.

(٦) ورد في تهذيب اللغة (نبح) ٣٤٩٧/٤، بنصه تقريباً.

٩١. قوله تعالى: ﴿أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنَبٌ﴾ هذا أيضاً كان في ما اقترحوا عليه ، وقوله : ﴿فَتَنْفِرَ الْآنْهَرُ﴾ عطف على قوله : ﴿أَوْ تَكُونُ﴾ .

٩٢. ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾ ، هذا كان في ما اقترح عليه المشركون ، قالوا له : فأسقط السماء علينا ، قال ابن عباس : يعنون العذاب ، وهو كما زعمت^(١) . قال عكرمة : كما زعمت يا محمد أنك نبي ، فأسقط السماء علينا^(٢) . وقال آخرون : كما زعمت أن ربك إن شاء فعل^(٣) ، وكذا ذكر المفسرون بالقصة^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿كِسْفًا﴾ فيه وجهان من القراءة؛ جزم السين^(٥) وفتحها^(٦) .

قال أبو زيد : يقال : كَسَفْتُ الثوبَ أَكْسِفُهُ كَسْفًا ، إِذَا قَطَعْتَهُ قِطْعًا^(٧) .

وقال الليث : الكَسْفُ : قَطْعُ العُرْقُوبِ^(٨) ، والكِسْفَةُ : القطعة .

(١) ورد في تفسيره الوسيط ٥٤٨/٢ بنصه تقريباً؛ من دون ضمير الفصل وهو .

(٢) انظر : تفسير الرازي ٥٧/٢١ .

(٣) انظر : تفسير الرازي ٥٧/٢١ ، وتفسير أبي حيان ٧٩/٦ .

(٤) عند آية [٩٠] .

(٥) قرأ بها : ابن كثير وأبو عمرو وحمة والكسائي ، انظر : السبعة ٣٨٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٨٢/١ ، وعلل القراءات ٣٢٩/١ ، والحجة للقراء ١١٩/٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٣١ ، والتيسير ١٤١ ، والنشر ٣٠٩/٢ .

(٦) قرأ بها : ابن عامر ونافع وعاصم . انظر : المصادر السابقة .

(٧) ورد في الحجة للقراء ١١٩/٥ ، بنصه ، وتفسير الطوسي ٥١٨/٦ ، بنصه .

(٨) ورد في تهذيب اللغة (كسف) ٣١٤٣/٤ ، بنصه . (العُرْقُوب) : هو العصبُ الغليظُ المُؤْتَرِّفُ فوق عقب الإنسان ، أو خلف الكعبين . انظر : اللسان (عرقب) ٢٩٠٩/٥ ، ومتن اللغة ٨٣/٤ .

قال الفراء : وسمعت أعرابياً يقول لبزاز : أعطني كِسْفَةً ، يريد قطعة كقولك : خِرْقَةٌ^(١) .

روى عمرو عن أبيه : يقال لِحِرْقِ القميص قبل أن يُؤْلَفَ : الكِسْفُ ، واحداها كِسْفَةٌ^(٢) ، فمن قرأ بسكون السين احتمل قوله وجوهاً؛ أحدها : أن يكون جمع كِسْفَةٍ ، على حدِ دِمْنَةٍ ودِمْنٍ^(٣) ، وسِدْرَةٍ ، وسِدْر هذا قول الفراء^(٤) ، وقال الكسائي : من وَحَد خفف^(٥) .

قال أبو علي : إذا كان المصدرُ الكِسْفُ ، فالكِسْفُ^(٦) : الشيء المقطوع ، كما يقال في الطَّحْنِ والطَّحْنِ ، والسَّقْيِ والسَّقْيِ^(٧) ، ويؤكد هذا قوله : ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ [الطور : ٤٤] ، وذكر الزَّجَّاج وجهاً ثالثاً ، فقال : من قرأ كِسْفًا فكأنه قال : أو تسقطها طبقاً علينا ، واشتقاقه من كَسَفْتُ الشيء إذا غَطَّيْتَهُ^(٨) ، ومن فتح السين فهو جمع كِسْفَةٍ مثل قِطْعَةٍ وقِطْعٍ ، وسِدْرَةٍ وسِدْرٍ ، وهو نصب على الحال في القراءتين جميعاً ، كأنه قال : أو تسقط السماء علينا مقطعة^(٩) .

- (١) معاني القرآن للفراء ١٣١ / ٢ بتصرف يسير ، وورد في تهذيب اللغة (كسف) ٣١٤٣ / ٤ ، بنصه .
- (٢) ورد في تهذيب اللغة (كسف) ٣١٤٣ / ٤ ، بتصرف يسير .
- (٣) الدِّمْنَةُ : آثار الناس وما سَوَدُوا ، وقيل : ما سَوَدُوا من آثار البعر ، والجمع : دمن ، وهو البعر ، ودَمْنَت الماشية المكان : بعرت فيه وبالت . انظر : اللسان (دمن) ١٤٢٨ / ٣ .
- (٤) معاني القرآن للفراء ١٣١ / ٢ ، بنحوه ، وورد في تهذيب اللغة (كسف) ٣١٤٣ / ٤ ، بنحوه ، وما في التهذيب أقرب .
- (٥) لم أقف عليه . قال القرطبي : قال الأخفش : من قرأ : كِسْفًا من السماء ، جعله واحداً ، ومن قرأ : كِسْفًا ، جعله جمعاً . تفسير القرطبي ٣٣٠ / ١٠ .
- (٦) في النسخ جميعها : (والكسف) بالواو عطفًا ، والصواب ما أثبتته من المصدر بالفاء ؛ لأنه جواب شرط قرن بالفاء .
- (٧) الحجة للقراء ١١٩ / ٥ ، بنصه .
- (٨) معاني القرآن وإعرابه ٢٥٩ / ٣ ، بنصه .
- (٩) ورد في الحجة للقراء ١٢٠ / ٥ ، بنحوه .

قال ابن عباس في قوله : ﴿ كَسَفًا ﴾ قطعاً^(١) .

وقال مجاهد : السماء جميعاً^(٢) ، وهذا على قراءة من سَكَنَ السين ، ومعناه كما قال الزَّجَّاج : طبقاً ، أو كما قال أبو علي : قطعة واحدة .

وقوله تعالى : ﴿ أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَأَلْمَلَيْكَهَ قَيْلاً ﴾ . ذكروا في هذا ثلاثة أقوال : قال ابن عباس في رواية الضحاك : عياناً^(٣) ، وهو قول قتادة وابن جريج^(٤) ، والمعنى : تأتي بهم حتى نراهم مقابلة ، والعرب تُجْري القبيل في هذا المعنى مجرى المصدر ، فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ﴾ [الأأنعام : ١١١] ، وهذا القول منهم يدل على جهلهم بصفة الله ؛ حيث لم يعلموا أنه لا يجوز على الله المقابلة .

القول الثاني : ما قاله ابن عباس في رواية عطاء : يريد فوجاً بعد فوج^(٥) .

قال الليث : وكل جيل من الجن والناس قبيل^(٦) ، ذكرنا ذلك في قوله : ﴿ إِنَّهُمْ يَرْتَكِبُونَ هُودًا وَقَيْلًا ﴾ [الأعراف : ٢٧] ، وهذا قول مجاهد^(٧) .

(١) أخرجه الطبري ١٦١ / ١٥ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، ومن طريق العوفي (ضعيفة) ، وورد بلفظه في تفسير الماوردي ٢٧٣ / ٣ ، والطوسي ٥١٩ / ٦ .

(٢) تفسير مجاهد ٣٧٠ / ١ ، وأخرجه الطبري ١٦١ / ١٥ ، بنصه من طريقين ، انظر : تفسير ابن عطية ١٩٦ / ٩ .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٨٧ / ٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٦٧ / ٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٣٨٩ / ٢ ، بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٦٢ / ١٥ ، بنحوه عنها ، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٩٤ / ٤ بلفظه عن قتادة ، وتفسير الثعلبي ١٢١ / ٧ ، بلفظه ، والماوردي ٢٧٣ / ٣ ، بنحوه عنها ، والطوسي ٥٢٠ / ٦ ، بنحوه عنها .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٥٨ / ٢١ .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (قبل) ٢٨٧٦ / ٣ ، بنصه .

(٧) تفسير مجاهد ٣٧٠ / ١ ، بمعناه ، أخرجه الطبري ١٦٢ / ١٥ ، بمعناه من طريقين ، وورد في تفسير الثعلبي ١٢١ / ٧ ، بمعناه ، انظر : زاد المسير ٨٨ / ٥ .

القول الثالث : أن قبلاً معناه هاهنا ضامناً وكفياً ، روي ذلك عن ابن عباس^(١) ، وذكره الزَّجَّاج وابن قتيبة^(٢) .

قال الزَّجَّاج : يقال : قَبِلْتُ به أَقْبَلُ ، كقولك : كَفُلْتُ أَكْفُلُ^(٣) ، وهو على هذا واحدٌ أريد به الجمع ، وقد جاء [فعل مفرداً]^(٤) يُراد به الكثرة ، كقول رؤبة :

دَعَهَا فَمَا النَّحْوِيُّ مِنْ صَدِيقِهَا^(٥)

وكقوله تعالى : ﴿ وَحَسَنَ أَؤْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾^(٦) [النساء: ٦٩] ، واختار أبو علي أن يكون معناه المعينة ، قال : وإذا حملته على المعينة كان القبيل مصدراً كالنذير والنكير ، قال : ولو أريد به الكفيل لكان خليقاً أن يجمع على فعلاء كما قالوا : كفلاء ؛ لأنه في الأصل صفة ، وإن كان قد استعمل استعمال الأسماء ، قال : ويدل على أن المراد بالقبيل المعينة لا الكفيل قوله : ﴿ لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ﴾ [الفرقان: ٢١] ، وكما اقترح ذلك غيرهم في قوله : ﴿ أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣] ، وقد مرَّ^(٧) .

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢١ بلفظه ، انظر : زاد المسير ٥/ ٨٨ ، والقرطبي ١٠/ ٣٣١ .

(٢) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٦٢ ، بنحوه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٥٩ ، بنصه تقريباً .

(٤) ما بين المعقوفين من (ش) و(ع) وفي (أ) و(د) : (فصل مفرد) .

(٥) ديوانه ١٨٢ ، وورد في جمهرة اللغة ٢/ ٦٥٦ ، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٢٩٠ ، والأغاني

٢٠/ ٣٦٧ ، وأساس البلاغة ٢/ ١١ ، وشرح شواهد الإيضاح ٥٧٣ ، واللسان (ذبح) ٣/ ١٤٨٦ ، (صدق) ٤/ ٢٤١٨ ، وتخليص الشواهد ١٨٤ .

والشاهد : أنه قال من صديقها ؛ أي من أصدقائها ، فهو مفرد وقع موقع الجمع .

(٦) قال الواحدي رحمه الله : قال الفرَّاء : وإنما وُحِدَ الرفيق وهو حقه الجمع ؛ لأن الرفيق والبريد والرسول

تذهب به العرب إلى الواحد وإلى الجمع .

(٧) الحجة للفرَّاء ٣/ ٣٨٦ ، بنصه تقريباً .

٩٣. قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ﴾. قال المفسرون: كان في ما اقترحوا من الآيات أن يكون له جنان وكنوز وقصور من ذهب، فذلك قوله: ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ﴾، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: من ذهب^(١).

قال مجاهد: كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيت في قراءة عبدالله: «أو يكون لك بيت من ذهب»^(٢).

قال أبو إسحاق: وأصل الزُّخْرُفُ والزَّخْرَفَةُ في اللغة: الزينة^(٣)، يدل على ذلك قوله: ﴿إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ [يونس: ٢٤]؛ أي أخذت كمال زينتها، ولا شيء في تحسين بيت وتزيينه كالذهب، فليس يخرج قول المفسرين عن الحق في هذا^(٤). وقال الحسن: الزخرف: النقوش^(٥). وفَسَّرْنَا الزخرف في سورة الأنعام [١١٢] وسورة يونس [٢٤].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَرَفَّى فِي السَّمَاءِ﴾. قال المفسرون: قال عبدالله بن أمية: لا أو من بك يا محمد أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلماً، ثم ترقى فيه وأنا أنظر

-
- (١) تفسير مجاهد ١/ ٣٧٠، بلفظه، وأخرجه بلفظه عبدالرزاق ٢/ ٣٩٠، عن قتادة، والطبري ١٥/ ١٦٣، عن ابن عباس من طريق العوفي (ضعيفة) وعن مجاهد وقتادة من طرق، وورد بلفظه في تفسير هود ٢/ ٤٤٢، عن ابن عباس، والماوردي ٣/ ٢٧٣، عن ابن عباس وقتادة، والطوسي ٦/ ٥٢٠، عنهم عدا السدي، وأورده السيوطي في الدر ٤/ ٣٦٧ وعزاه إلى عبد بن حميد عن قتادة.
- (٢) أخرجه الطبري ١٥/ ١٦٣، بنصه، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٩٥، والثعلبي ٧/ ١٢١، والماوردي ٣/ ٢٧٣، وأورده السيوطي في الدر ٤/ ٣٦٧ وزاد نسبه إلى أبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأثير في المصاحف وأبي نعيم في الحلية، لم أقف عليه.
- وهذه قراءة شاذة، تعد من قبيل التفسير، لمخالفتها سواد المصحف. انظر: تفسير أبي حيان ٦/ ٨٠.
- (٣) انظر: تهذيب اللغة (زخرف) ٢/ ١٥٢٠، والمحيط في اللغة ٤/ ٤٦٥، واللسان ٣/ ١٨٢١.
- (٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦٠، بتصرف.
- (٥) لم أقف عليه.

حتى تأتيتها ، وتأتي بنسخة منشورة معك ، ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، فذلك قوله : ﴿ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ﴾ ، قال الفراء : رَقِيتُ ، وأنا أرقى ، رَقِيًّا وَرُقِيًّا وَرُقِيًّا ، وأنشد^(١) :

أَنْتِ الَّتِي^(٢) كَلَّفْتِنِي رَقِي الدَّرَجِ عَلَى الْكِلَالِ وَالْمَشِيبِ وَالْعَرْجِ^(٣)
قال : [والمعنى إلى السماء ، غير أنهم قالوا : أو تضع سُلماً فترقى عليه إلى السماء فذهبت (في) إلى السُّلَمِ]^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ﴾ وقال ابن عباس ومجاهد : كتاباً نقرأه منشوراً من رب العالمين إلى فلان وفلان ، عند كل رَجُلٍ منا صحيفة يصبح عند رأسه يقرأها^(٥) ، (قال سبحان ربي)^(٦) ؛ أي قال النبي ﷺ ذلك ، وقرئ : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ﴾^(٧) ، على الأمر له بأن يقول ذلك .

-
- (١) نسب في اللسان إلى ابن بري .
(٢) في النسخ جميعها : (أنت) ، وفي المصادر جميعها : (الذي) .
(٣) ورد في اللسان (رقا) ٣ / ١٧١١ ، وورد بلا نسبة في الطبري ١٥ / ١٦٣ ، والرازي ٢١ / ٥٨ ، (الكلال) : الضعف والإعياء . ومتن اللغة ٥ / ٩٥ .
(٤) ورد ما بين المعقوفين - فقط - في معاني القرآن للفراء ٢ / ١٣١ ، بنصه ، وورد قوله بنحوه وبلا نسبة في تفسير الطبري ١٥ / ١٦٣ .
(٥) تفسير مجاهد ١ / ٣٧٠ ، بنحوه ، وأخرجه الطبري ١٥ / ١٦٤ ، بنحوه عن مجاهد من طريقين ، وورد في تفسير هود الهواري ٢ / ٤٤٣ ، بنحوه عن مجاهد ، انظر : تفسير ابن الجوزي ٥ / ٨٨ ، عن ابن عباس ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٣٦٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد .
(٦) قرأها : ابن كثير وابن عامر . انظر : السبعة ٣٨٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ٣٨٣ ، وعلل القراءات ١ / ٣٣٠ ، والحجة للقراء ٥ / ١٢١ ، والمبسوط في القراءات ٢٣١ ، والنشر ٢ / ٣٠٩ .
(٧) قرأها : نافع وعاصم وأبو عمرو وحمة والكسائي . انظر : المصادر السابقة .

قال ابن عباس : يقول : عَظُمَ ربي وَكَرُمَ ، ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ، كقوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف : ١١٠] ؛ أي إن هذه الأشياء ليس في قوى البشر أن يأتوا بها ، فلا وجه لطلبكم هذه الآيات مني مع صفتي أني بشر .

٩٤ . قوله تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ قال ابن عباس : يريد أهل مكة ^(١) ، ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ ؛ أي الإيمان والتصديق ، ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ أي البينات والرشاد من الله تعالى على لسان محمد ﷺ ، وهو القرآن ، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ ؛ أي إلا قولهم في التعجب والإنكار ، ﴿أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ قال أهل المعاني : ووجه تعجبهم من بعث الله بشراً رسولاً ، جهلهم في التعظيم ، وهو قولهم : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً ، كما توهّموا أن عبادة الأصنام تجوز من طريق التعظيم لله ^(٢) ، و﴿رَسُولًا﴾ منصوب على أنه مفعول ثانٍ للبعث ، كقولك : بعثت زيداً رسولاً إلى فلان ، وفي إنكارهم كون البشر رسولاً اقتضاء أن يُبْعَثَ إليهم مَلَكٌ ، وكأنه قيل : أبعث الله بشراً رسولاً ؟! هلا بعث مَلَكًا ^(٣) رسولاً!

٩٥ . فقال الله تعالى : ﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ . قال الحسن : قاطنين ^(٤) ، وقال الكلبي : مقيمين ^(٥) ، وقال الرَّجَّاج : مستوطنين الأرض ^(٦) ، وأصل الطمأنينة السكون ، وجعل

(١) انظر : تفسير ابن الجوزي ٨٩/٥ ، وتنوير المقباس ٣٠٥ ، وورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ٢١٩/١ ب ، والسمرقندي ٢٨٤/٢ .

(٢) ورد نحوه في تفسير الطوسي ٥٢١/٦ .

(٣) في (د) : (ما كان) ، وفي (أ) : (ما كا) ، ويبدو أنها تصحفت عن (ملكاً) .

(٤) ورد في تفسير الطوسي ٥٢٢/٦ ، بلفظه .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٣٠٥ ، وورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ٢١٩/١ ب ، والسمرقندي ٢٨٤/٢ ، وهود الهواري ٤٤٣/٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٦١/٣ ، بنصه .

هاهنا عبارة عن المقام والاستيطان؛ لأنه يقال : سكن فلان بلدة كذا ، وسكن دار فلان ، وإن كان فيها ماشياً منقلباً في حاجاته ، وليس يراد السكون الذي هو ضد الحركة ، كذلك هاهنا ليس المراد بالاطمئنان الذي هو ضد المشي ، إنما المراد به الإقامة ، كما ذكرنا عن أهل التفسير .

وقوله تعالى : ﴿لَنَزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ . قال أبو إسحاق : أعلمهم الله أن الأعداء والأبلغ في الأداء إليهم بشر^(١) ؛ لأنه لا يُرسل إلى خلق إلا ما كان من جنسهم ، فلو كان في الأرض بدل الآدميين ملائكة ، لنزلنا عليهم ملكاً رسولاً^(٢) .

فإن قيل : لم جاز أن يرسل إلى النبي وهو بشر ملك ليس من جنسه ، ولم يجوز أن يرسل غير النبي من البشر؟

الجواب : أن النبي قد اختير للهداية والمصلحة ، وهو صاحب معجزة ، فصارت حاله بذلك مقاربة لحال الملك ، مع أن الجماعة الكثيرة ينبغي أن يتخير لها ما يجتمع عليه همها ، إذا أريد الصلاح لجميعها بما لا يحتاج إليها في الواحد منها .

٩٦ . قوله تعالى : ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ . فسرنا هذا في آخر [الرعد : ٤٣] .

٩٧ . قوله تعالى : ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ﴾ . قال ابن عباس : من يرد الله هُداة^(٣) ، ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ ، ﴿وَمَن يُضِلِّ﴾ قال : ومن يخذل ، ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُم أَوْلِيَاءَ﴾ يهدونهم من دون الله ، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ ، في حديث أبي هريرة ، قيل : يا رسول الله ، وكيف يمشون على وجوههم ،

(١) في (أ) و(د) : (بشراً) ، وهو خطأ نحوي ظاهر .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٦١ ، بنصه .

(٣) ورد في الوسيط ٢ / ٥٥٢ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٩٠ / ٥ .

قال : «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم ،
إنهم يتقون^(١) بوجوههم كل حَدَبٍ وشَوْكٍ»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ . روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
في تفسير هذه الآية ، ثم قال : ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ [الكهف : ٥٣] ، وقال : ﴿سَمِعُوا
لَهَا تَغِيْظًا﴾ [الفرقان : ١٢] ، وقال : ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان : ١٣] ، فكيف قال في
هذه الآية : ﴿عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ ، ثم أجاب ابن عباس : فقال عمياً لا يرون شيئاً
يسرهم ، صُمّاً لا يسمعون شيئاً يسرهم ، بُكْمًا لا ينطقون بحجة^(٣) .

وقال في رواية عطاء : يريد عُمِيًّا عن النظر إلى ما جعله الله لأوليائه ، وبُكْمًا
عن مخاطبة الله تعالى ، وصُمّاً عما مدح الله به أوليائه^(٤) .

وقال مقاتل : هذا حين يقال لهم : ﴿أَخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ [المؤمنون : ١٠٨] ،
فيصIRON عمياً بكم صُمّاً لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون بعد ذلك^(٥) .

(١) في (ش) : (يتقوه) .

(٢) جزء من حديث طرفه : «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف . . . » . أخرجه الترمذي (٣١٤٢) ،
كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة بني إسرائيل بنصه عن أبي هريرة وحسنه ، والطبري : بنصه من
دون الزيادة بين التنصيص ، وورد في تفسير الثعلبي ١٢١ / ٧ ب ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر
المنثور ٣٦٨ / ٤ وزاد نسبته إلى ابن مردويه وأبي داود والبيهقي في البعث - لم أجده فيهما - وللحديث
شاهد من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه - من دون الزيادة بين التنصيص - أخرجه أحمد ١٦٧ / ٣ ،
والبخاري (٤٧٦٠) ، كتاب : التفسير ، سورة الفرقان ١٧٨٤ / ٤ ، ومسلم (٢٨٠٦) ، كتاب : الجنة
والنار ، باب : صفات المنافقين ، يحشر الكافر على وجهه ٢١٦١ / ٤ ، والحاكم ، التفسير ، الفرقان
٤٠٢ / ٢ .

(٣) أخرجه الطبري ١٦٨ / ١٥ بنصه (صحيفة) ، وورد بنحوه مختصراً في معاني القرآن للنحاس ١٩٧ / ٤ ،
وتفسير الثعلبي ١٢١ / ٧ ب ، والماوردي ٢٧٥ / ٣ ، والطوسي ٥٢٤ / ٦ ، بنحوه ، انظر : تفسير الفخر
الرازي ٦١ / ٢١ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٦٨ / ٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٤) انظر : تفسير ابن الجوزي ٩٠ / ٥ ، والفخر الرازي ٦١ / ٢١ ، وأبي حيان ٨٢ / ٦ بلا نسبة .

(٥) تفسير مقاتل ١ / ٢٢٠ أ ، بنحوه .

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾. الخبو: سكون النار، يقال: خبت النار تجبو إذا سكن لهيها، ومعنى خبت سَكَنت وطفئت، ويقال في مصدره: الخبو، وأخبأها المخبيء؛ أي أخذها^(١).

قال الكميت:

مؤجج نيران المكارم لا المُخبي^(٢)

قوله تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾. قال ابن عباس: سُعِّر العذاب عليهم بأشد مما كان^(٣)، وقال ابن قتيبة: زدناهم ناراً تَسْعَرُ؛ أي تَتَلَهَّب^(٤)، ومضى الكلام في السعير في سورة النساء [١٠].

٩٨. قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ﴾. هذه الآية مفسرة في هذه السورة^(٥).

(١) انظر: الأضداد لابن الأنباري ١٧٧، وتهذيب اللغة (خبا) ٩٧/١، والمحيط في اللغة (خبو) ٤٢٧/٤، واللسان (خبا) ١٠٩٨/٢.

(٢) صدره:

ومنا ضرارٌ وائتاهُ وحاجبٌ

ورد في ديوان الكميت بن زيد ١٠٧/١، والمقتضب ٩٣/٢ برواية:

ومنا لقيط... مؤرث نيران...

وورد في مجاز القرآن ٣٩١/١، والأضداد لابن الأنباري ١٧٥، والأزهية ٢٤، واللسان (خبا) ١٠٩٨/٢، وبلا نسبة في جهرة اللغة ٣/١٣٠٨، (ابناه): ثنية ابن، فقد زادوا في (ابن) ميماً للتوكيد وألحقوها الإعراب، وحرکوا النون بحركتها، فقالوا: جاءني ابْنُ، ورأيت ابناً، ومررتُ بابنم، وقالوا في الجمع: هؤلاء ابْنُمُون، (المخبي): الذي يطفئ النار، يقال: خبت النار والحرب، تجبو خبواً وخبواً: سكنت وطفئت وخذ لهيها، وهي خابية، وأخبيتها أنا: أخذتها.

(٣) أخرجه الطبري ١٥/١٦٨ بمعناه من طريق العوفي (ضعيفة)، وابن الأنباري في الأضداد ١٧٦، بمعناه من طريق ابن جريج (صحيحة)، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٦٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) الغريب لابن قتيبة ١/٢٦٢، بنصه.

(٥) عند آية [٩٨].

٩٩. ثم أجابهم الله عن إنكارهم البعث بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الآية. ومعنى ﴿أَوَلَمْ﴾ هاهنا: أولم يعلموا، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، والمعنى: ألم يعلموا أن من قدر على خلق السموات في عظمها، ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾؛ أي على أن يخلقهم ثانياً، وأراد بمثلهم إياهم، وذلك أن مثل الشيء مساوٍ له في حالته، فجاز أن يُعَبَّرَ به عن الشيء نفسه، وَخَلَقَ مِثْلَهُمْ كخَلَقَهُمْ، والمعنى: قادر على أن يخلق مثلهم في ضعفهم وصغرهم، هذا معنى قول أكثر المفسرين^(١).

وقال عطاء عن ابن عباس: ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ يريد عبيداً يوحدونني ويعظمونني ولا يعدلون بي شيئاً^(٢)، فالمعنى على هذا يخلق مثلهم في الخلقة والشبه، ويكون المعنى كقوله: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، والقول هو الأول^(٣)؛ لأنه أشبه بما قبله، ولأنه لا دليل على توحيد المخلوقين مثلهم في الآية، وتَمَّ الكلام؛ أي لا دليل في الآية على أن الذين يخلقهم أمثالهم يوحّدونه ويعظمونه كما ذكرتم.

قال: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾. قال ابن عباس: يريد أجل الموت وأجل القيامة^(٤)، وهذا جواب لاستدعائهم العذاب في قولهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا

(١) انظر: تفسير الطبري ١٦٩/١٥، والسمرقندي ٢/٢٨٥، وهود الهواري ٢/٤٤٤، والثعلبي ١١٢٢/٧.

(٢) ذكره الفخر الرازي ٢١/٦٢ بلا نسبة، وورد في تفسير الألويسي ١٥/١٧٧ بلا نسبة بصيغة التمرّض وردّه.

(٣) وهو الصحيح والذي عليه الجمهور كما ذكر، ولم يكن بحاجة إلى إيراد القول الثاني المرجوح جداً خاصة أن طريقه مقطوعة.

(٤) ورد في الوسيط ٢/٥٥٤، بنصه، وورد بلا نسبة في تفسير الزخشي ٢/٣٧٦، وابن عطية ٩/٢٠٤، والقرطبي ١٠/٣٣٤، والخازن ٣/١٨٢.

زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا ، ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ﴾ ؛ أي المشركون ، ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً بذلك الأجل ، وهو البعث والقيامة .

١٠٠ . وقوله تعالى : ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ . قال أبو إسحاق : ﴿أَنْتُمْ﴾ مرفوعة بفعل مضمر ، المعنى : قل : لو تملكون أنتم ؛ لأن (لو) يقع بها الشيء لوقوع غيره ، فلا يليها إلا الفعل ، فإذا وليها الاسم عمل فيه الفعل المضمر^(١) ، وأنشد قول المثلث^(٢) :

فلو غيرُ أحوالي أرادوا نَقِصَتِي نَصَبْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مِيسَمًا^(٣)
المعنى : لو أراد غير أحوالي^(٤) .

-
- (١) انظر : المقتضب ٧٧/٣ ، والكامل ٢٧٩/١ ، ومغني اللبيب ٣٥٣ ، والدرر اللوامع ٩٩/٥ .
- (٢) المتلمس : هو جرير بن عبدالمسيح ، من بني ضُبَيْعَة ، وأخواله بنو يَشْكُر ، وهو خال طرفة بن العبد ، شاعر جاهلي مُفْلَقٌ مُقْلٌ ، عدّه الجمحي في الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية ، دبر عمرو بن هند ملك الحيرة قتله هو وطرفة بعد أن هَجَّوَاه ، فنجا المتلمس وهرب إلى بني جفنة ملوك الشام وقتل ابن أخته ، قتله عامل البحرين ، توفي نحو سنة ٥٦٩ م .
- انظر : طبقات فحول الشعراء ١٥٥/١ ، والشعر والشعراء ٩٩ ، والأغاني ٢٤/٢١٦ ، والخزانة ٣٤٥/٦ .
- (٣) ديوانه ٢٩ ، وورد في الأصمعيات ٢٤٥ ، ومختارات ابن الشجري ١٢٢ ، وتفسير ابن الجوزي ٩١/٥ ، والخزانة ٥٩/١٠ ، وورد بلا نسبة في الكامل ٢٧٩/١ ، والمقتضب ٧٧/٣ ، وتذكرة النحاة ٤٩٠ ، واللسان (نقص) ٨/٤٥٢٣ ، وفي الديوان والمصادر جميعها عدا ابن الجوزي : (جعلت) بدل (نصبت) . (نقيصتي) : تنقصي ، (العرانين) : جمع عَرْنَيْن ؛ وهو أعلى قصبَة الأنف ، (ميسمًا) ؛ الميسم : هو الآلة التي يوسم بها ، ومقصوده : أسْمُهُم على العرانين ؛ أي أهجوهم هجاءً يبقى أثره في وجوههم ، ويلزمهم لزوم الميسم للأنف .
- (٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٦٢ ، بنصه .

وأنشد غيره لجرير^(١) :

لو غَيْرُكُمْ عَلِقَ الزُّبَيْرُ بِحَبْلِهِ أَدَّى الجَوَارَ إِلَى بني العَوَّامِ^(٢)
أي لو عَلِقَ غَيْرُكُمْ ، والخطاب في هذه الآية للمشركون ، قال ابن عباس : ﴿ قُلْ ﴾
يا محمد^(٣) ، ﴿ لَوْ أَنْتُمْ ﴾ يا معشر المشركين ، ﴿ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ يريد
خزائن الرزق ، ﴿ إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ ﴾ يريد إذا لبخلتم .

قال أبو إسحاق : أعلمهم الله أنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا سُحْباً
وَبُخْلاً ، قال : وهذا جواب لقولهم : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ
يَنْبُوعًا ﴾^(٤) يريد أنهم طلبوا عين ما في بلدهم ليكثر ما لهم ويتسع عيشهم ، فأعلمهم
الله أنهم لو ملكوا الكثير لبخلوا ؛ لأنهم جُبِلُوا على الإمساك ، والبخل لا ينفعه
كثرة المال .

وقوله تعالى : ﴿ خَشِيةَ الْإِنْفَاقِ ﴾ خشية منصوب على أنه مفعول له .

قال ابن عباس : خشية الفقر^(٥) ، وقال قتادة : خشية الفاقة^(٦) .

(١) ساقطة من (ش) .

(٢) ديوانه ٤٥٣ وفيه : (وَرَحَلَهُ) بدل (بحبله) ، وورد في الكامل ٢٧٩ / ١ ، وشرح شواهد المغني
٢ / ٦٥٧ ، والخزانة ٥ / ٤٣٢ ، والدرر اللوامع ٥ / ٩٨ ، وورد بلا نسبة في المقتضب ٣ / ٧٨ ، وتفسير
الطوسي ٦ / ٥٢٥ ، ومغني اللبيب ٣٥٣ .

(٣) ورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٥ / ١٧٠ ، والطوسي ٦ / ٥٢٥ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٦١ ، بنصه مع تقديم وتأخير .

(٥) أخرجه الطبري ١٥ / ١٧٠ ، بلفظه من طريق الحجاج عن ابن جريج (صحيحة) ، وورد بلفظه في
معاني القرآن للنحاس ٤ / ١٩٨ .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٢ / ٣٩٠ ، بلفظه ، والطبري ١٥ / ١٧٠ ، بلفظه من طريقين ، وورد في معاني القرآن
للنحاس ٤ / ١٩٨ ، بمعناه ، وتفسير الماوردي ٣ / ٢٧٦ ، بمعناه ، والطوسي ٦ / ٥٢٥ ، بمعناه ، وأورده
السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٣٦٩ - ٣٧٠ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

قال أبو عبيدة : يقال : قد أملق الرجل إملاقاً ، وأنفق إنفاقاً ، إذا قلَّ ماله ^(١) .

قال المبرِّد : المعروف في الإنفاق أنه إخراج المال عن اليد ، فإن كان قد روي في اللغة معنى الإعدام فهو كما قال أبو عبيدة ، وإلا فمعنى الكلام في الآية : خشية أن يستفرغكم الإنفاق ويُجْهِفَ بكم ، فيكون الكلام من باب حذف المضاف على تقدير : خشية ضرر الإنفاق وما أشبهه ^(٢) ، وهذا معنى قول السدي : خشية أن ينفقوا فيفتقروا ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا﴾ . قال ابن عباس وقتادة وغيرهما : بخيلاً ^(٤) ، يقال : قَتَرَ يَقْتَرُ وَيَقْتَرُ قَتْرًا ، وَأَقْتَرَّ إِقْتَارًا ، وَقَتَّرَ تَقْتِيرًا ، إذا قَصَّرَ في الإنفاق ^(٥) .

قال الليث : القَتَرُ : الرُّمَّةُ في النَّفَقَةِ ، وهو أن ينفق ما ^(٦) يُمَسِّكُ الرَّمَقُ ^(٧) .

فإن قيل في الناس : الجواد المُبَذَّرُ ، فلم قيل : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا﴾ ؟
الجواب : أن الأغلب عليهم البخل والاقتصار ، ولا اعتبار بالنادر ، على أن كل

(١) مجاز القرآن ١/ ٢٠٨ وعبارته : ﴿مَنْ لَمَلَقَ﴾ من ذهاب ما في أيديكم ، يقال : أملق فلان ؛ أي ذهب ماله .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٥٥٤ ، بنصه .

(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٧٠ ، بلفظه عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، ومن طريق ابن جريج (صحيحة) ، وعن قتادة ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٩٩ ، عن ابن عباس ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٧٦ ، عنهما ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦٩ وزاد نسبه إلى ابن المنذر عن ابن عباس ، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم عن قتادة .

(٥) انظر : جوهرة اللغة (قتر) ١/ ٣٩٣ ، والمحيط في اللغة ٥/ ٣٦٠ ، ومجمل اللغة ٢/ ٧٤٢ ، واللسان ٣٥٢٥/٦ .

(٦) في (أ) و(د) و(ش) : (ماله) ، والمثبت من : (ع) ، وبه يستقيم المعنى ، وهو أقرب لما في المصدر .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (قتر) ٣/ ٢٨٨٢ ، بتصريف .

أحد بخيل بالإضافة إلى جُود الله؛ إذ لو ملك خزائن ربه لادّخر معظمها لنفسه ، والله - عز وجل - يفيضها على عباده لا يمنعه عن ذلك الإبقاء لنفسه؛ لأنه يجُلُّ عن لحاق النفع والضرر .

وقال أبو إسحاق : يعني بالإنسان هاهنا الكافر خاصة ، كما قال : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ [العاديات : ٦-٨]؛ أي المال^(١) ، ﴿لَشَدِيدٌ﴾ لبخيل^(٢) ، وهذا قول الحسن^(٣) .

١٠١ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ﴾ الآية . وجه اتصال معنى هذه الآية بما قبلها أنه ذكر في هذه الآية إنكارَ فرعونَ آياتِ موسى مع وضوحها ، فيكون في ذلك تشبيهاً لحال هؤلاء المشركين بحاله وتسلية للنبي ﷺ . واختلفوا في الآيات التسع مع اتفاقهم أن منها : الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، فهذه خمس ، وأما الأربعة الباقية ، فروى قتادة عن ابن عباس قال : هي يده البيضاء عن غير سوء ، وعصاه إذا ألقاها ، وما ذكر في قوله : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف : ١٣٠] قال : ﴿السِّنِينَ﴾ لأهل البوادي حتى هلكوا مواشيهم ، ﴿وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ لأهل القرى ، وهاتان

(١) ساقطة من (ع) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦١ ، بتصرف يسير .

(٣) ورد في تفسير الماوردي ٣/ ٢٧٦ ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٣٣٥ ، وورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ١/ ٢٢٠ ، وهود الهواري ٢/ ٤٤٥ ، والجمهور - كما في تفسير الماوردي - على أنها عامة ، وهو الصحيح .

آيتان^(١)، ونحو هذا روى أبو صالح وعكرمة^(٢)، وهذا قول مجاهد^(٣). وقال محمد بن كعب القرظي بدل السنين ونقص من الثمرات فلق البحر والطمسة، وهي أن الله - تعالى - مسخ أموالهم حجارة من النخل والدقيق والأطعمة والدراهم والدنانير^(٤)، وهذا الذي ذكرنا أجود ما قيل في تفسير الآيات^(٥).

وقوله تعالى: ﴿فَسَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾. قال ابن عباس: فاسأل يا محمد بني إسرائيل^(٦)، يريد المؤمنين من قريظة والنضير، ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ يريد موسى، ونظم الآية على غير ما هو عليه في الظاهر؛ لأن (إذ) تتعلق بالإتيان لا بالسؤال، وتقدير الآية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ بني إسرائيل فسألهم، إلا أنه لما علق السؤال ببني إسرائيل كُنِيَ عنهم [في قوله: ﴿جَاءَهُمْ﴾]، والمراد: إذ جاء آباءهم الذين كانوا في ذلك الوقت، ولكنهم لما كانوا من بني إسرائيل

(١) أخرجه عبدالرزاق ٣٩٠/٢، بنحوه، والطبري ١٧١/١٥، بنحوه من طريقتين، وورد في تفسير السمرقندي ٢٨٥/٢، بنحوه، والثعلبي ١٢٢/٧، والماوردي ٢٧٧/٣، والطوسي ٥٢٧/٦ وفي المصادر الثلاثة الأخيرة: العقدة بلسانه [وفيه نظر؛ لأن وجه الآية فيه غير ظاهر]، وعلق البحر بدل السنين ونقص الثمرات، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٧٠/٤، وزاد نسبه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق.

(٢) أخرجه الطبري ١٧١/١٥، بنحوه عن عكرمة، وورد في تفسير الثعلبي ١٢٢/٧، بنحوه عن عكرمة، والطوسي ٥٢٧/٦، بنحوه عن عكرمة عن ابن عباس.

(٣) ورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٢٠٠/٤، وتفسير الثعلبي ١٢٢/٧، والطوسي ٥٢٧/٦.

(٤) أخرجه الطبري ١٧١/١٥، بنحوه، لكنه ذكر الحجر بدل فلق البحر، وعرف الطمسة بقوله: دعا موسى وأمن هارون، فقال: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩]، وورد في تفسير الثعلبي ١٢٢/٧ مع زيادات، والماوردي ٢٧٧/٣، مثل رواية الطبري، والطوسي ٥٢٧/٦، بنحوه.

(٥) قال ابن كثير ٧٥/٣: «وهذا القول ظاهر جلي، حسن قوي»، يقصد قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة.

(٦) ورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٧٣/١٥، والثعلبي ١٢٢/٧، وهوود الهواري ٤٤٥/٢، والبغوي ١٣٤/٥، والخازن ١٨٣/٣.

كنى عنهم^(١)؛ لتقدم ذكر بني إسرائيل في الجملة ، وقوله : ﴿فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ اعتراض دخل في كلام متصل .

وقال أهل المعاني في معنى هذا السؤال : إن النبي ﷺ أمر بأن يسألهم لا ليعرف ذلك من جهتهم ، ولكن لينكشف لعامة اليهود بقول علمائهم صدق ما أتى به وأخبر عنه ، فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد .

وقوله تعالى : ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ . قيل في المسحور هاهنا : إنه بمعنى الساحر كالمشؤوم والميمون ، وذكرنا هذا في قوله : ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] . وهذا قول الفرء وأبي عبيدة^(٢) ، وقيل : إنه مفعول من السحر؛ أي إنك قد سحرت فأنت تحمل نفسك على هذا الذي تقوله للسحر الذي بك^(٣) .

وقال محمد بن جرير أي مُعْطَىٰ عِلْمِ السحر ، فهذه العجائب التي تأتي بها من سحرك^(٤) ، فأجابه موسى :

١٠٢ . بقوله : ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ يعني الآيات ، ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ : أي عبر أو دلالات ، وذكرنا معنى البصائر في آخر سورة الأعراف [٢٠٣] .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (د) .

(٢) ليس في المعاني ولا المجاز ، وورد في تفسير الثعلبي ١٢٢/٧ ب ، بنحوه عنهما ، وهو مصدره ، وانظر : تفسير البغوي ١٣٥/٥ ، والقرطبي ٣٣٦/١٠ ، عنهما ، وابن الجوزي ٩٤/٥ ، والفخر الرازي ٦٥/٢١ ، كلاهما عن الفرء .

(٣) ورد نحوه في تفسير الطبري ١٧٣/١٥ - ١٧٤ ، والماوردي ٢٧٨/٣ ، والطوسي ٥٢٨/٦ .

(٤) تفسير الطبري ١٧٣/١٥ - ١٧٤ ، بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ١٢٢/٧ ب ، بنصه ، والظاهر أنه اقتبس منه لا من الطبري .

وقراءة العامة بفتح التاء^(١)، [وقرأ الكسائي : علمتُ بضم التاء^(٢)]، والاختيار عند الجميع فتح التاء ، وهو قراءة ابن عباس ، وضم التاء^(٣) قراءة علي رضي الله عنه ، وكان يقول : والله ما عَلِمَ عدو الله ، ولكن موسى هو الذي عَلِمَ ، فبلغ ذلك ابن عباس فاحتج بقوله تعالى : ﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾ [النمل : ١٤] ، على أن فرعون وقومه كانوا قد عرفوا صحة أمر موسى^(٤) .

وقال الزَّجَّاج : [الأجود في القراءة فتح التاء ؛ لأن عَلِمَ فرعون^(٥)] بأنها آيات من عند الله أوكد في الحجة^(٦) ؛ فموسى يحتج عليه بما علم هؤلاء بما علم موسى ، وأما من ضم التاء فحجته ما ذكرنا عن علي .

فإن قيل : كيف يصح الاحتجاج عليه بعلمه ، وعلمه لا يكون حجة على فرعون؟

فالجواب : أنه لما قيل له : ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء : ٢٧] ، قال موسى : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُ ﴾ ، فكأنه نفى ذلك ، وقال : لقد علمتُ صحة ما أتيتُ به

(١) انظر : السبعة ٣٨٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ٣٨٣ ، وعلل القراءات ١ / ٣٣٠ ، والحجة للقراء ٥ / ١٢٢ ، والمبسوط في القراءات ٢٣١ ، والتبصرة ١٤١ ، والنشر ٢ / ٣٠٩ .

(٢) انظر : المصادر السابقة .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٤) ورد بنحوه في معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٣٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤ / ٢٠١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ٣٨٤ ، وتفسير الثعلبي ٧ / ١٢٢ ب ، وانظر : تفسير الرازي ٢١ / ٦٥ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٣٧٠-٣٧١ ، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم ، من دون رد ابن عباس رضي الله عنه . قال أبو حيان ٦ / ٨٦ : « وهذا القول عن علي - رضي الله عنه - لا يصح ؛ لأنه رواه كلثوم المرادي ، وهو مجهول » .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د)

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٦٣ بنصه . وعبارته الأجود غير جيدة ؛ لأنها تقتضي انتقاص القراءة الأخرى السبعة .

علماً صحيحاً؛ علم العقلاء^(١)، وفي قوله: ﴿مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ﴾ دليل على قول من يقول: إن الآيات التسع كانت آيات من التوراة، وهو ما رُوي عن صفوان بن عسال^(٢) عن يهوديين سألا رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «لا تشركوا بالله، ولا تقتلوا النفس التي حَرَّمَ الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تسحرُوا، ولا تمشوا بغيري إلى ذي سلطان فيقتله، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا مُحْصَنَةً، ولا تفروا من الزحف، وعليكم خاصة ألا تعدوا في السبت، قال: فَقَبَّلَا يَدِيهِ وَرَجَلِيهِ وَقَالَا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرَعُونَ مَثْبُورًا﴾. قال الكلبي: وإني لأَعْلَمُكَ يا فرعون^(٤)، ﴿مَثْبُورًا﴾ قال ابن عباس: ملعوناً^(٥).

-
- (١) ورد في الحجة للقراء ١٢٣/٥، بنحوه، وتفسير الطوسي ٥٢٦/٦، بنحوه.
- (٢) صفوان بن عسال - رضي الله عنه - صحابي من بني الرِّبَضِ بن زاهر المرادي، سكن الكوفة، غزا مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وروى عن النبي ﷺ أحاديث عدة، روى عنه عبدالله بن مسعود، وزر بن حُبَيْش، وعبدالله بن سَلَمَةَ.
- انظر: الاستيعاب ٢٧٩/٢، وأسد الغابة ٢٨/٣، والإصابة ١٨٩/٢.
- (٣) أخرجه بنحوه ابن أبي شيبه ٣٢٩/٧، وأحمد ٢٣٩/٤، والترمذي (٣١٤٤)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة بني إسرائيل، وقال: حسن صحيح، والنسائي: تحريم الدم والسحر ١١١/٧، والطبري ١٧٢/١٥، بنصه وبنحوه من طرق، والطبراني ٨٣/٨، والحاكم ٩/١ وصححه، وأبو نعيم في الحلية ٩٧/٥، والبيهقي في الدلائل ٢٦٨/٦، وورد في معاني القرآن للنحاس ١٩٩/٤، بنصه مع زيادة في آخره، والماوردي ٢٧٧/٣، بنحوه، والطوسي ٥٢٧/٦، بنحوه.
- قال ابن كثير ٧٥/٣: «وهو حديث مشكل، وعبدالله بن سَلَمَةَ بن حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات، فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون، وعليه فالحديث لا دلالة فيه، فضلاً عن كونه ضعيفاً».
- (٤) ورد بلا نسبة في تفسير السمرقندي ٢٨٦/٢، وهو قول أكثر المفسرين، كما قال ابن الجوزي ٩٤/٥.
- (٥) أخرجه الطبري ١٧٥/١٥، بلفظه من طريق سعيد بن جبير، ومن طريق ابن أبي طلحة (كلاهما صحيحة)، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٢٠٣/٤، وتفسير السمرقندي ٢٨٦/٢، والثعلبي ١٢٢/٧، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٧١/٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق.

وقال قتادة : مهلكاً^(١) ، وقال مجاهد : هالِكاً^(٢) .

قال الفرّاء : المثبور : الملعون المحبوس عن الخير ، والعرب تقول : ما تُبرك عن هذا؟ أي ما منعك منه وما صرفك^(٣) .

وروى أبو عبيد عن أبي زيد : ثَبَرْتُ فلاناً عن الشيء : رَدَدْتُهُ عنه^(٤) .

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي : المثبور : الملعون المطرود المَعَذَّب^(٥) ، هذا وجه قول ابن عباس .

وأما وجه قول مجاهد و قتادة ، فقال الزّجاج : تُبِرَ الرجل فهو مثبور إذا أهلك^(٦) ، والثبور الهلاك ، قال شمر : ومَثَلٌ للعرب : إلى أمّه يأوي من تُبر؛ أي مَن أَهْلِكَ^(٧) .

قال أبو عبيد : والمعروف في الثبور الهلاك ، والملعون هالك^(٨) .

(١) أخرجه عبدالرزاق ٣/ ٣٩١ ، بلفظه ، والطبري ١٥/ ١٧٦ ، بنحوه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٣ ، بلفظه ، وتهذيب اللغة (ثبر) ١/ ٤٧١ ، بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٣٨٦ ، بلفظه ، والماوردي ٣/ ٢٧٨ ، بنحوه .

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٣٧١ ، بنحوه ، أخرجه الطبري ١٥/ ١٧٦ بلفظه من طريقين ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٣ ، وتهذيب اللغة (ثبر) ١/ ٤٧١ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٢٢ ب ، والطوسي ٦/ ٥٢٨ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٣٢ ، بنصه تقريباً .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (ثبر) ١/ ٤٧١ ، بنصه .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (ثبر) ١/ ٤٧١ ، بنصه .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٦٣ ، بنصه .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (ثبر) ١/ ٤٧١ ، بنصه ، انظر : اللسان (ثبر) ١/ ٤٦٩ ، وموسوعة أمثال العرب ٢/ ٦٥٠ .

(٨) لم أقف على مصدره .

١٠٣ . قوله تعالى : ﴿ فَأَرَادَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد فرعون^(١) ﴿ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ ﴾ ؛ أي يخرجهم ، يعني : موسى وقومه بني إسرائيل ، ومضى تفسير الاستفزاز في هذه السورة [آية : ٦٤] ، ﴿ مِنْ الْأَرْضِ ﴾ يعني : أرض مصر^(٢) .

قال أبو إسحاق : جائز أن يكون استفزازهم إخراجهم منها بالقتل وبالتنحية ، وهذه الآية وما بعدها تسلية للنبي ﷺ إذ قصص عليه - في إثر ما ذكر من تكذيب قومه وهمهم بإخراجه - قصة فرعون ، وما همم به من استفزاز موسى وبني إسرائيل من أرض مصر ، حتى أهلكه الله تعالى وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم ، لذلك أظهر نبيه محمداً^(٣) ﷺ على المشركين ، ورده إلى مكة ظاهراً عليهم ، فأنجز وعده ، ونصر عبده .

١٠٤ . وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾ . قال ابن عباس : يريد القيامة^(٤) ، ﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ ؛ أي جميعاً ، في قول مجاهد وقتادة^(٥) .
وقال ابن عباس : يريد من كل موضع^(٦) .

-
- (١) ورد بلا نسبة في تفسير الثعلبي ١٢٣/٧ ، والطوسي ٥٢٩/٦ ، والبغوي ١٣٥/٥ ، وابن الجوزي ٩٥/٥ .
(٢) ورد بلفظه في تفسير هود الهواري ٤٤٦/٢ ، والثعلبي ١٢٣/٧ ، والطوسي ٥٢٩/٦ ، والبغوي ١٣٥/٥ .
(٣) ساقطة من (أ) و(د) .
(٤) انظر : تنوير المقابس ٣٠٦ ، وورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ٢٢٠/١ ، والطبري ١٧٦/١٥ ، والسمرقندي ٢٨٦/٢ ، والثعلبي ١٢٣/٧ ، وهذا هو قول الجمهور .
(٥) تفسير مجاهد ٣٧١/١ ، بلفظه ، أخرجه عبدالرزاق ٣٩١/٢ ، بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٧٧/١٥ ، بلفظه عنها من طرق ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٢٠٤/٤ ، عنها ، وتفسير هود ٤٤٦/٢ ، عن مجاهد ، والثعلبي ١٢٣/٧ ، والماوردي ٢٧٨/٣ ، عن قتادة .
(٦) ورد في تفسير الماوردي ٢٧٨/٣ ، بمعناه ، وفي تفسير الطبري ١٧٧/١٥ ، عنه من طريق العوفي (ضعيفة) : جميعاً .

وروى منصور عن أبي رَزِين^(١) : من كل قوم^(٢) .

قال الفرَّاء : من هاهنا وهاهنا^(٣) .

وقال الزَّجَّاج : من كل قبيلة^(٤) .

وروى عمرو عن أبيه : اللفيف : الجمع العظيم من أخلاط شتى ، فمنهم الشريف والدني ، والمطيع والعاصي ، والقوي والضعيف^(٥) .

وقال المبرِّد : الأكثر عند العرب أن اللفيف إنما يقال للمختلطين من كل شكل ، وكل شيء خلطته بشيء فقد لفته ، ومنه قيل : لَفَتَ الجيوشَ إذا ضربت بعضها ببعض ، والتفت الزحوف^(٦) .

والمعنى : جئنا بكم من قبوركم إلى المحشر أخلاطاً ، يعني جميع الخلق؛ المسلم والكافر والبر والفاجر .

١٠٥ . قوله تعالى : ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ ، الحق نقيض الباطل ، وهو الثابت الذي لا يزول ، كما أن الباطل : الزائل الذاهب ، وأراد بالحق هاهنا : الدين الحق والأمر الحق ، وهو ما كان عليه محمد ﷺ ، والكناية في : ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ للقرآن ، ومعناه : أنزلنا القرآن بالأمر الثابت والدين القائم ، قال أبو علي الفارسي : (الباء) في : ﴿وَبِالْحَقِّ﴾ في موضع الحال من الضمير في

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) أخرجه الطبري ١٧٧/١٥ بنصه ، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٢٠٤/٤ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ١٣٢/٢ ، بنصه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٦٣/٣ ، بنحوه .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (لف) ٣٢٨١/٤ ، بنصه .

(٦) لم أقف عليه ، وورد نحوه بلا نسبة في تفسير الثعلبي ١٢٣/٧ ، والطوسي ٥٢٩/٦ ، والفخر الرازي ٦٦/٢١ .

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ ، يعني أنه بمعنى : مع ، كما تقول : نزل بعُدته ، وخرج
بسلاحه ، والمعنى : أنزلنا القرآن مع الحق .

وقوله تعالى : ﴿وَالْحَقِّ نَزَلَ﴾ . قال : يحتمل الجار فيه ضربين ؛ أحدهما : أن
يكون التقدير نزل بالحق ، كما تقول : نزلت يزيد ، والثاني : أن يكون حالاً من
الضمير الذي في نزل ، هذا كلامه ^(١) ، وعلى القول الأول : الحق محمد ﷺ ؛ لأن
القرآن نزل به عليه ، وعلى القول الثاني : معناه نزل مع الحق ، كما قلنا في قوله :
﴿وَالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ .

١٠٦ . قوله تعالى : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ يَنْتَصِبُ قرآنًا بإضمار فعل ، مثل الذي
ظهر ^(٢) ، قال أبو علي : (وَقُرْآنًا) يحتمل أمرين ؛ أحدهما : أن يكون محمولاً
على ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ ، كأنه قال : بالحق أنزلناه وأنزلنا قرآنًا ، فانتصابه على أنه
مفعول به ، والوجه الآخر : أن تعطفه على ما يتصل به كأنه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وذا قرآن وصاحب قرآن ^(٣) ، فحذف المضاف ^(٤) ، وعلى
ما ذكر أبو علي - في القول الثاني - يجب أن يكون القرآن نكرة لوصفه
له بالجملة من غير الذي ، وقد ذكر في قوله : ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزمر: ٢٨]

(١) لم أقف عليه .

(٢) وهذا مذهب سيبويه ؛ أن نصبه بفعل مضمر يفسره الظاهر بعد ؛ أي وفرقناه قرآنًا . تفسير ابن عطية
٢١٥ / ٩ .

(٣) في (أ) و(د) و(ش) : (قرآنًا) . وهو خطأ نحوي ظاهر ، والمثبت من (ع) وموافق لما في المصدر .

(٤) المسائل الحلبات ٢٩٨ ، بنصه . وهذا القول فيه تكلف وبعد عن ظاهر القرآن الواضح ، وظاهر
الآيتين أن الله - تعالى - وصف القرآن الكريم بثلاث صفات ، أنه كله حق لأنه نزل من عنده ، والثاني :
أن جميع ما فيه حق لا مزية فيه ، والثالث : أنه جاء محكمًا مفصلاً وواضحاً بيّناً ، أو أراد وصفه بأنه
نزل منجماً مفرقاً بحسب الوقائع والأحداث . أملاه علي الدكتور فضل عباس ؛ أحد علماء الأردن
المعاصرين .

أنه يجوز أن يكون نكرة^(١)، وذلك غير جيد لتنكير^(٢) الاسم العلم^(٣)،
﴿فَرَّقْنَاهُ﴾: فَصَّلْنَاهُ، قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٤).
وقال سعيد بن جبيرة عنه: نزل القرآن كله ليلة القدر من السماء العليا إلى
السماء السفلى في السنين التي نزل فيها^(٥).

وقال قتادة: كان بين أوله وآخره عشرون سنة^(٦)، وهو معنى قوله:
﴿لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾، وقال السدي: قطعناه آية آية وسورة سورة، ولم
ننزله جملة^(٧)، والاختيار عند الأئمة: فرقناه مخففاً^(٨)، وفسره أبو عمرو: بَيَّنَّاهُ^(٩).

-
- (١) المصدر السابق ٢٩٧، بنحوه .
(٢) في (أ) و(د) و(ش): (لنكير)، والمثبت من (ع).
(٣) وهذه إشارة إلى أنه من القائلين بأن القرآن علم مرتجل، وهي مسألة خلافية بين العلماء في أصل القرآن، هل هو مشتق أو علم مرتجل؟ انظر: مناهل العرفان ١/ ١٤، والمدخل لدراسة القرآن الكريم ١٧، ومباحث في علوم القرآن ١٦.
(٤) أخرجه الطبري ١٥/ ١٧٨، بلفظه من هذه الطريق (صحيحة)، وورد بلفظه في تفسير الثعلبي ١٢٣/ ٧.
(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ١٧٨، بنحوه من طريق عكرمة (حسنة)، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٥٣٠، بنحوه. انظر: تفسير الرازي ٢١/ ٦٨، عن ابن جبيرة.
(٦) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٩١، بنصه، والطبري ١٥/ ١٧٨، بنصه، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٥٣٠، بنصه.
(٧) ورد في تفسيره الوسيط ٢/ ٥٥٩، بنصه، وهو في معنى قول ابن عباس وكتادة السابقين.
(٨) قرأها السبعة وقراء الأمصار عامة، انظر: تفسير الطبري ١٥/ ١٧٨، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٨٤.
(٩) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٥، بلفظه.

وقال الفرّاء : أحكمناه^(١) وفصلناه ، كما قال : ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان : ٤] ؛ أي يُفَصَّل^(٢) .

قال أبو عبيد : والتخفيف أعجب إليّ ؛ لأن تفسيره : بيّناه ، ومن قرأ بالتشديد^(٣) لم يكن له معنى إلا أنه أنزل متفرقاً ، والتأويل الأول أعجب إليّ وأشرق ، هذا كلامه^(٤) ، وحصل من هذا أن معنى الفرّق تفصيل يتضمن التبيين ، والتفريق لا يتضمن التبيين ، ولهذا فسروا هاهنا وفي قوله : ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ﴾ [الدخان : ٤] بالتبيين .

ومما يرجح التخفيف ما روى ثعلب عن ابن الأعرابي أنه قال : فرقتُ أفرقُ بين الكلام ، وفَرَّقْتُ بين الأجسام^(٥) ، ويدل على هذا قوله ﷺ : «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا»^(٦) ، ولم يقل : يفترقا ، والتفرق مطاوع التفريق ، والافتراق مطاوع الفرق ، ومعنى : ﴿عَلَى مَكِّثٍ﴾ على تؤدة وترسُل ، قاله مجاهد^(٧) .

(١) في النسخ جميعها : (حكيناها) ، والصواب ما أثبتته ؛ لأنه هو المناسب للمعنى والمقابل لقوله : فصلناه ، وقد ورد في المصدر والتعذيب : «أحكمناه» .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٣٣ ، بنصه تقريباً ، انظر : تهذيب اللغة (فرق) ٣/ ٢٧٧٨ .

(٣) أخرجها الطبري عن ابن عباس ١٥/ ١٧٨ ، ونسبت في القراءات الشاذة لابن خالويه ٨١ إلى أبي وابن عباس ومجاهد ، وأوردها ابن جني في المحتسب ٢/ ٢٣ ، ونسبها إلى علي وابن عباس وابن مسعود وأبي - رضي الله عنهما - والشعبي والحسن وقتادة وغيرهم . وفي الإتحاف ٢٨٧ ، قرأها ابن محيصن . وزاد ابن عطية ٩/ ٢١٦ أن في قراءة ابن مسعود وأبي زيادة كلمة (عليك) ؛ أي فَرَّقَنَاهُ عليك لتقرأه ، وكلتا الروايتين قراءة شاذة كما هو ظاهر .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (فرق) ٣/ ٢٧٧٨ بنصه .

(٦) أخرجه بلفظه أحمد ٢/ ٩ ، عن ابن عمر ، والبخاري (٢٠٧٩) ، كتاب : البيوع ، باب : إذا بين البيعان عن حكيم بن حزام ، والدارمي : البيوع ، في البيعان بالخيار ٢/ ٣٢٥ ، عن حكيم ، والطبراني في الكبير ٣/ ١٩٩ ، عن حكيم ، والحاكم : البيوع ، البيعان بالخيار ٢/ ١٦ ، عن سمرة بن جندب ، والبيهقي : البيوع ، المتبايعان بالخيار ٥/ ٢٦٩ ، عن ابن عمر .

(٧) تفسير مجاهد ١/ ٣٧١ ، بمعناه ، قال : على ترتيل ، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٩١ ، بلفظه ، والطبري ١٥/ ١٧٩ ، بلفظه وبمعناه ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٥ ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٤٤٦ ، والماوردي ٣/ ٢٧٩ ، والطوسي ٦/ ٥٣١ .

قال الفراء : يقال : مَكَثَ وَمَكَثَ وَمَكَثَ ، ويقال في الفعل : مَكَثَ وَيَمُكُثُ وَمَكَثَ يَمُكُثُ^(١) ، والفتح قراءة عاصم في قوله : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾^(٢) [النمل: ٢٢] ، قال : فَرَّقَهُ اللهُ فِي التَّنْزِيلِ لِيَفْهَمَهُ النَّاسُ ، فقال : ﴿لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾

وقوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ قال ابن عباس : [نجوماً بعد نجوم ، وشيئاً بعد شيء]^(٣) .

١٠٧-١٠٨ . قوله تعالى : ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ قال ابن عباس^(٤) : ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة ، ﴿ءَامِنُوا﴾ بالقرآن^(٥) ، ﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ وهذا تهديد؛ أي فقد أُنْذِرَ اللهُ ووعد^(٦) وبلغ الرسول ، فاختاروا ما تريدون ، كما قال : ﴿فَتَمَنَّوْا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٥] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ ؛ أي من قبل نزول القرآن ، قال مجاهد : هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل على محمد ﷺ خَرُّوا سجداً^(٧) .

(١) ورد في تهذيب اللغة (مكث) ٤/ ٣٤٣٣ مختصراً ، وورد في تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٦٨ مختصراً ، ومكث مثلثة الأول بمعنى اللَّبْث والإقامة ، انظر : إكمال الإعلام بتلخيص الكلام ١/ ١٥ ، و«الدرر المبتة في الغرر المثلثة» ١٩٠ .

(٢) انظر : السبعة ٤٨٠ ، والحجة للقراء ٥/ ٣٨٠ ، والمبسوط في القراءات ٢٧٨ ، والتيسير ١٦٧ .

(٣) لم أقف عليه ، وأخرجه الطبري ١٥/ ١٧٩-١٨٠ ، بمعناه عن الحسن وقتادة ، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٥٣١ ، وورد في الوسيط ٢/ ٥٥٩ ، بنصه غير منسوب .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) .

(٥) ورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ١/ ٢٢١أ ، والطبري ١٥/ ١٨٠ ، والوسيط للواحدي ٢/ ٥٥٩ .

(٦) في (أ) و(د) : (ووعده) ، والمثبت من (ش) و(ع) .

(٧) أخرجه الطبري ١٥/ ١٨١ ، بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٣أ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٥٣٢ ، بنحوه .

وقال ابن عباس : منهم زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل^(١) ، وعلى هذا ليس المراد بقوله : ﴿أَوْثُوا الْعِلْمَ﴾ أهل الكتاب ، وإنما هم طلاب الدين .

وقوله تعالى : ﴿يَخْرُجُونَ لِلْذِّقَانِ سَجْدًا﴾ . قال ابن عباس في رواية الوالبي : يخرجون للوجوه^(٢) ، وهو قول قتادة^(٣) .

وقال في رواية عطاء : يريد : يسجدون بوجوههم وجباههم وأذقانهم^(٤) .

قال أبو إسحاق : والذَّقْنُ مجمع اللَّحْيَيْنِ^(٥) ، وهو عضو من أعضاء الوجه ، وكما يتبدئ المبتدئ يَخْرُجُ ، فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض الذَّقْنُ^(٦) ، وعلى هذا إنما خص الذقن بالذكر؛ لأنه أقرب أبعاض الوجه إلى الأرض ، وهو هاهنا عبارة عن الوجه .

(١) لم أقف عليه ، وورد بلا نسبة في تفسير البغوي ١٣٦/٥ ، وابن عطية ٢١٧/٩ ، والفخر الرازي ٦٩/٢١ .

(٢) أخرجه الطبري ١٨٠/١٥ ، بلفظه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، وورد بلفظه في تفسير الجصاص ٢٠٩/٣ ، والثعلبي ١٢٣/٧ ، والماوردي ٢٨٠/٣ ، والطوسي ٥٣٢/٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٧٢/٤ وزاد نسبه إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٣٩٢/٢ ، بلفظه ، والطبري ١٨٠/١٥ ، بلفظه من طريقين ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٢٠٥/٨ ، وتفسير الجصاص ٢٠٩/٣ ، والماوردي ٢٨٠/٣ ، والطوسي ٥٣٢/٦ .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٥٦٠/٢ بنصه بلا نسبة .

(٥) في (أ) و(د) : (للجبين) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو الصحيح والموافق للمصدر . انظر : المحيط في اللغة (ذقن) ٣٧٥/٥ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٦٤/٣ ، بنصه .

وروى عبدالرزاق عن معمر قال : قال الحسن : لِلْحَى^(١) ، وعلى هذا القول : الأذقان عبارة عن اللّحَى ، وخصت بالذكر ؛ لأن المعنى أنهم يضعونها على الأرض للسجود تواضعاً لله تعالى ، واللّحَى تُلقَى بالإكرام والتنظيف ، فإذا أذلّوها في التراب فهو غاية التواضع ، واللام هاهنا بمعنى على ، كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ [الحجرات : ٢] ؛ أي عليه ، والعرب تقول : سقط فلان لفيه ؛ أي على فيه ، قال الشاعر :

فخرٌ صريعاً لليدين وللنم^(٢)

(١) أخرجه عبدالرزاق ٣٩٢/٢ ، بلفظه ، والطبري ١٨٠/١٥ ، بلفظه ، وورد بلفظه في تفسير الجصاص ٣٠٩/٣ ، والماوردي ٢٨٠/٣ ، والطوسي ٥٣٢/٦ .

(٢) صدره :

تناوله بالرمح ثم اتنى له

نسب إلى جابر بن حنيّ التّغليّ في المفضّليات ٢١٢ ، وشرح شواهد المغني ٥٦٢/٢ .

ونسب إلى ربيعة بن مكدّم في الأغاني ٧٥/١٦ برواية :

وهتكت بالرمح الطويل إهابه فهو

ونسب إلى عصام بن مقشعر البصري في معجم الشعراء ١٠١ برواية :

دلفته بالرمح من تحت بزه

ونسب إلى الأشعث الكندي في الأزهية ٢٨٨ برواية :

تناولت بالرمح الطويل ثيابه

وورد بلا نسبة في أدب الكاتب ٥١١ ، وتفسير الزمخشري ٣٧٨/٢ ، والقرطبي ٣٤١/١٠ ، ورصف

المباني ٢٩٧ ، والجنى الداني ١٠١ ، ومغني اللبيب ٢٨٠ ، وشرح الأشموني ٣٨٨/٢ .

(تناوله بالرمح) : طعنه ، (اتنى) : أراد اتنى فأدغم الثاء في الثاء ، فأبدلها تاءً ، ويروى اتنى ، (خر) :

سقط . شرح اختيار المفضل ٩٥٥/٢ .

والمعنى أنهم يبادرون إلى السجود فيسقطون على الأذقان أولاً إذا وقعوا بالأرض إلى أن نصبوا^(١) جباههم على الأرض للسجود؛ لأن الذقن ليس من أعضاء السجود، ويدل على هذا^(٢) قوله: ﴿يَخْرُجُونَ﴾، ولم يقل: يسجدون؛ لأنه أراد مسارعتهم إلى ذلك حتى إنهم ليسقطون ويقولون في سجودهم: ﴿سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾؛ أي ينزهونه ويعظمونه، ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾؛ أي وعده بإنزال^(٣) القرآن وبعث محمد ﷺ، وهذا يدل على أن هؤلاء كانوا من أهل الكتاب؛ لأن الوعد ببعث محمد ﷺ سبق في كتابهم، فهم كانوا ينتظرون ذلك الوعد.

وذكر الليث وجهاً آخر في قوله: ﴿يَخْرُجُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾، فقال: العرب تقول إذا خَرَّ الرجل فوق على وجهه: خَرَّ للذقن، وكذلك الشجر والحجر إذا قلبه السيل يقال: كبه السيل للذقن^(٤)، ويدل على ما ذكره قول امرئ القيس يصف سيلاً شديداً^(٥):

يَكْبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحَ الْكَنْهَلِ^(٦)

(١) هكذا في النسخ جميعها، والعبارة قلقة، ولعلها (يصيوا) من الإصابة، وهي الأنسب للسياق.

(٢) في (أ) و(د) و(ش): (أن هذا)، والمثبت من (ع).

(٣) في (أ) و(د): (بأنزل)، والمثبت من (ش) و(ع).

(٤) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير الفخر الرازي ٦٩/٢١.

(٥) في (أ) و(د): (سبيلاً شديداً)، والصحيح المثبت من (ش) و(ع) لغوياً ونحوياً.

(٦) وصدره:

وَأَضْحَى يُسْخِ الْمَاءَ عَنْ كُلِّ فَيْقَةٍ

ديوانه ١٢١، وورد في أساس البلاغة (ذقن) ٢٩٩، واللسان (كهيل) ٣٩٤٥/٧، (ذقن) ١٥٠٦/٣.

(الفَيْقَةُ): المدة ما بين الحلبتين، (كنهيل): أصله كَهَيْل والنون فيه زائدة، وهو شجر عظام من العضاء،

وقيل: صنف من الطلح قصار الشوك، والمعنى: كأنه يقول: إن المطري سح ويسكن أخرى، يكب

على الأذقان دوح الكنهيل، يقتلع شجر الكنهيل من أصوله، ويلقيه على أم رأسه لشدة سحه وهيجه.

فلما استعمل ذلك في الشجر إذا سقط واستعير له الذقن ، كان ذكره في الإنسان الذي له الذقن أولى .

وقوله تعالى : ﴿سَجَّدًا﴾ حال^(١) مقدرة ، المعنى : يَخِرُّونَ مقدرين للسجود؛ لأن الإنسان في حال خُرُورِهِ لا يكون ساجداً ، قاله أبو إسحاق في قوله : ﴿خَرُّوْا سَجَّدًا وَكِيًّا﴾^(٢) [مريم : ٥٨] ، ومثله : ﴿هَدِيًّا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة : ٩٥] ، وقد مرَّ .

قال أبو إسحاق : و(إن) و(اللام) في : ﴿إِنْ كَانَ وَعَدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ دخلتا للتوكيد^(٣) ، ومضى الكلام في مثل هذا في مواضع .

١٠٩ . قوله تعالى : ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أعاد هذا لأن الأول للسجود ، والثاني لغير السجود ، ولكن للذلة والخشوع عند استماع القرآن ، يدل عليه قوله : ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ ، ويجوز أن يكون تكرير القول دلالة تكرر الفعل منهم .

وقوله تعالى : ﴿يَبْكُونَ﴾ معناه الحال ، ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ ؛ أي القرآن ، ﴿خُشُوعًا﴾ : تواضعاً ، وذكرنا معنى الخشوع في أوائل سورة البقرة^(٤) .

(١) في (أ) و(د) و(ش) : (قال) ، والمثبت من (ع) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٣٣٥ ، بنصه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٦٤ ، بنصه .

(٤) آية [٤٥] .

١١٠ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ اَدْعُوا اللَّهَ ﴾ . قال ابن عباس : إن رسول الله ﷺ قال وهو ساجد ذات ليلة : يا رحمن ، فسمعه أبو جهل وهم لا يعرفون الرحمن ، فقال : إن محمداً ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر مع الله يقال له : الرحمن ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ اَدْعُوا اللَّهَ ﴾^(١) ؛ أي قل يا محمد : ادعوا الله يا معشر المشركين^(٢) ، ﴿ اَوْ اَدْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ ؛ أي إن شئتم قولوا : يا الله ، وإن شئتم قولوا : يا رحمن .

﴿ أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ . قال أبو إسحاق : أعلمهم الله أن دعاءهم الله ودعاءهم الرحمن يرجعان إلى واحدٍ ، فقال : ﴿ أَيَا مَا تَدْعُوا ﴾ المعنى أي أسماء الله تدعوا ﴿ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾^(٣) .

وقال المبرد : يقول إذا دعوتهم الله الرحمن فإنها تدعون واحداً ، يعني أن تخييره^(٤) بين أن يدعى الله وبين أن يدعى الرحمن إنَّما هو لأنها واحد ، يدل على هذا : ﴿ أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾^(٥) قال النحويون : (أي) في الكلام تقع في ثلاثة مواضع ؛ أحدها : الاستفهام ، والآخر : الجزاء ، والثالث : الخبر^(٦) ، فإذا كان استفهاماً أو جزاءً لم تحتج إلى صلة ، وعمل فيها ما بعدها ، ولم يجوز أن يعمل فيها ما قبلها إلا ما يجزئ ، وسنذكر ذلك عند قوله : ﴿ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ ﴾ [الكهف: ١٢]

(١) أخرجه الطبري ١٥ / ١٨٢ ، بنحوه من طريق أبي الجوزاء (ضعيفة) ، وورد بنحوه في تفسير الثعلبي ١٢٣ / ٧ ب ، والماوردي ٣ / ٢٨١ ، والطوسي ٦ / ٥٣٣ ، وأورده المؤلف في أسباب النزول ٣٠٢ ، بنحوه بلا سند ، وأورده السيوطي في الدر ، واللباب ٥ / ٣٤٨ ، ١٤٢ وعزاه إلى ابن مردويه .

(٢) في النسخ جميعها : (يا معشر المؤمنين) ، والصواب ما أثبتته ، كما في الطبري ١٥ / ١٨٢ ، وابن كثير ٧٧ / ٣ ، وسياق الكلام يدل عليه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٢٦٤ ، بنصه .

(٤) في (أ) و(د) و(ش) : (يختبره) ، والمثبت من (ع) .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) ذكر في الأزهية : أنها تأتي على ستة أوجه : تكون جزاءً ، واستفهاماً ، وخبراً ، وتعجباً ، ونداءً ، ونعتاً فيه معنى المدح ، انظر : حروف المعاني للزجاجي ٦٢ ، والأزهية ١٠٦ ، ومغني اللبيب ١٠٧ .

إن شاء الله ، وإذا كانت خبراً احتاجت إلى صلة نحو صلة الذي ، ويعمل فيها ما قبلها وما بعدها سوى صلتها ، كقولك : لأضربن أيهم في الدار .

قال الفراء : العرب تقول أيُّ وأَيَّان وأَيَّان ، إذا أفردوا (أيّاً) أنثوها وجمعوها ، وأنثوها فقالوا آيَّة وأَيَّتان وآيَّات ، وإذا أضافوها إلى ظاهر أفردوها ، وذكرُوا فقالوا أيُّ الرجلين؟ وأيُّ المرأتين؟ وأيُّ الرجال؟ وأيُّ النساء؟ وإذا أضافوا إلى مُكَنَّى المؤنث أنثوا وإلى مُكَنَّى المذكر ذكَّروا ، فقالوا أيُّها وأَيَّتُها للمرأتين ، قال الله عز وجل : ﴿ أَيُّاً مَا تَدْعُوا ﴾ ، وقال زهير في لغة من أنث :

وزودوك^(١) اشتياقاً آيَّةً سَلَكُوا^(٢)

يُرادُ آيَّةٌ ووجهة ، فأنتنها حين لم يُضَفَّها ، ولو قال : أيّاً سلكوا ، بمعنى أيُّ وجهة ، كان جائزاً ، ويقول لك قائل : رأيتُ رجلاً ، فتجيبه أيّاً؟ ويقول : رجلين ، فتقول : أيَّين؟ وفي الرجال : أيُّون؟ وفي المرأة آيَّة؟ وفي النساء آيَّات؟^(٣) و(ما) في قوله : ﴿ أَيُّاً مَا ﴾ صلة ، كقوله : ﴿ جُنْدٌ مَاهُنَالِك ﴾ [ص: ١١] ، و ﴿ عَمَّا قَلِيل ﴾ [المؤمنون: ٤٠] ، و ﴿ مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ ﴾ [نوح: ٢٥] ، و ﴿ تَدْعُوا ﴾ في موضع جزم بأي؛ لأنه من حروف الشرط والجزاء ، يقول أيُّهم يعط أعط ، وعلامة الجزم في تدعوا سقوط النون التي تثبت للرفع في يفعلون ، وجواب الشرط (الفاء) في قوله : ﴿ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا ﴾ . روى سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية قال : « كان رسول الله ﷺ يرفع صوته بالقرآن ،

(١) في (أ) و(د) و(ش) : (زودك) ، والمثبت من (ع) وهو موافق للديوان .

(٢) وصدده :

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَمْ يَأْوُوا لِمَنْ تَرَكَوا

شرح ديوان زهير ١٦٤ ، وورد في الخزانة ٤٥٣/٥ . الخليط : المجاور لك في الدار ، (ولم يأووا) : لم يرحموا ، (وأيَّة سلكوا) أيَّ جهة سلكوا فأنت مشتاق .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (أي) ١/ ٢٤١ نقل طويل مع تصرف يسير .

فإذا سمعه المشركون سَبُّوه وسَبُّوا من جاء به ، فأوحى الله إليه : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمعه المشركون فيسبوه ، ﴿وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ فلا يسمع أصحابك ، ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ؛ أي أسمعهم القرآن أحياناً يأخذوا عنك^(١) ، وهذا قول قتادة والسدي^(٢) ، واختيار أبي إسحاق ، قال : المخافتة : الإخفاء ، والجهر : رفع الصوت .

وكان النبي ﷺ إذا جهر بالقرآن سبَّ المشركون القرآن ، فأمر الله ألا يعرِّض القرآن لسبهم ، وألا يخافت مخافتة لا يسمعها من يصلي خلفه من أصحابه فقال : ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ؛ أي اسلك طريقاً بين الجهر والمخافتة^(٣) ، ويقال : خَفَتْ صوته يُخَفِتُ خُفُوتاً وَخُفَاتاً ، إذا ضَعُفَ وسكن ، وصوتٌ خَفِيتٌ ؛ أي خَفِضٌ ، ومن هذا يقال للرجل إذا مات : قد خَفَتَ ؛ أي انقطع كلامه ، وخفت الزرع إذا ذَبُلَ وَلَانَ ، وزرع خَافَتِ ، والرجل يخافت بقراءته : إذا لم يبين قراءته برفع الصوت ، وقد تخافت القوم إذا تشاورُوا بينهم^(٤) ، وقال الجعدي :

وَلَسْتُ وَإِنْ عَزُّوا عَلَيَّ بِهَالِكٍ خُفَاتًا وَلَا مُسْتَهْزِمٍ ذَاهِبِ الْعَقْلِ^(٥)

(١) أخرجه بنحوه من طريق سعيد أحمد ٢٣ / ١ ، والبخاري (٤٧٢٢) ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ ، ومسلم (٤٤٦) في الصلاة ، باب : التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية ، والطبري ١٨٤ / ١٥ من طرق ، والطبراني في الكبير ٥٥ / ١٢ ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٢٠٧ / ٤ ، وتفسير الثعلبي ١٢٣ / ٧ ب ، والماوردي ٢٨١ / ٣ ، وأخرجه المؤلف في أسباب النزول ٣٠٣ ، بنحوه .

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٣٩٢ / ٢ ، بنحوه عن قتادة ، والطبري ١٨٦ / ١٥ ، بنحوه من طريقين عن قتادة .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٦٥ / ٣ ، بنصه تقريباً .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (خفت) ١٠٦٤ / ١ ، بنحوه ، انظر : المحيط في اللغة (خفت) ٣١٣ / ٤ ، والصحاح ٢٤٨ / ١ ، واللسان ١٢٠٨ / ٢ .

(٥) شعر النابغة الجعدي ٢٢٥ ، وورد في تهذيب اللغة (خفت) ١٠٦٤ / ١ ، واللسان (خفت) ١٢٠٨ / ٢ . (خفاتا) : ضعفاً وتذلاً ، (مستهزم) : جزوع .

يقول : لست أهلك خفتاً؛ أي ضعفاً لمصاب من أصبت به منهم ، وإن كانوا أعزة ، ولكني أتصبر وأتجلد ، هذا الذي ذكرنا في الجهر والمخافة بالصلاة مذهب أكثر المفسرين^(١) ، ومعنى الصلاة في هذا القول : القراءة ، وذلك أن الصلاة لا تصح إلا بقراءة ، فسميت القراءة صلاة ، كما سميت الصلاة قراءة في قوله : ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ [آية : ٧٨] ، وقد مرَّ . وفي الآية قول ثانٍ ؛ وهو أن المراد بالصلاة الدعاء ، وهذا قول أبي هريرة وعائشة ومجاهد^(٢) .

قال أبو هريرة في الآية : يعني بذلك الدعاء والمسألة^(٣) .

وقالت عائشة : هي في الدعاء^(٤) ، وروي هذا مرفوعاً : أن النبي ﷺ قال في هذه الآية : «إنما ذلك في الدعاء لا ترفع صوتك ، فتكثر ذنوبك ، فيسمع منك ، فتُعيَّر به»^(٥) ، وهذا قول إبراهيم وابن عباس في رواية عطاء^(٦) ، كل هؤلاء قالوا : في الدعاء ، وعلى هذا : الصلاة الدعاء ، والجهر به منهى عنه ، وكذلك الإسرار الذي هو إخفاء ، والمستحب منه ما بين ذلك ، وحده أن يُسمع نفسه^(٧) ، كما روي

(١) انظر : تفسير مقاتل ١/ ٢٢١أ ، والطبري ١٥/ ١٨٤ ، والسمرقندي ٢/ ٢٨٧ ، والثعلبي ٧/ ١٢٣ ب ، والماوردي ٣/ ٢٨١ ، والطوسي ٦/ ٥٣٤ ، وقد رجحه الطبري لصحة الإسناد الذي روي به عن صحابي وهو ابن عباس من طريق سعيد ، ولأنه أشبه الأقوال بما دلَّ عليه ظاهر التنزيل .

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٣٧٢ بلفظه ، أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٢٠٠ ، بلفظه ، والطبري ١٥/ ١٨٤ ، بلفظه من طرق عن مجاهد ، وورد بلفظه في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٤ أ ، والطوسي ٦/ ٥٣٤ .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢١/ ٧١ ، وابن الجوزي ٥/ ١٠١ .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٢٠٠ ، بلفظه ، والطبري ١٥/ ١٨٣ ، بلفظه من طرق ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٢٠٧ ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٨١ ، والطوسي ٦/ ٥٣٤ ، وأخرجه المؤلف في أسباب النزول ٣٠٤ ، بلفظه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٧٥ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٥) لم أقف عليه مسنداً ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٤ ، بنحوه ، والفخر الرازي ٢١/ ٧١ ، بنصه .

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٢٠٠ ، بلفظه عن ابن عباس من طريق عكرمة (حسنة) ، وعن عطاء ٦/ ٩٧ ، والطبري ١٥/ ١٨٤ ، بلفظه عن ابن عباس من طريق العوفي (ضعيفة) ، وعن عطاء ، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٥٣٤ ، بلفظه عن ابن عباس وعطاء ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٣٧ ، والحازن ٣/ ١٨٤ فيها عن إبراهيم .

(٧) يؤيده ما رواه الشيخان عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس =

عن ابن مسعود أنه قال : لم يخافت من أسمع أذنيه^(١) ، وفي الآية قول ثالث ، وهو ما روى منصور عن الحسن ومعمّر^(٢) عنه قال : لا تُراء بعلايتها ولا تسئ سريرتها^(٣) ، وهذا قول ابن عباس في رواية الوالبي ، قال : يقول : لا تصل مرءاة للناس ، ولا تدعها مخافة للناس^(٤) ، وعلى هذا القول : الجهر بالصلاة هو إعلانها مرءاة ، والمخافتة بها تركها مخافة أو إساءتها سرّاً ، على ما قال الحسن .

١١١ . قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً ﴾ الآية . قال رسول الله ﷺ في هذه الآية : «إنها آية العزة» ، وكان يعلمها الصغير من أهله والكبير^(٥) .

وقال قتادة : كذب الله بهذه الآية اليهود والنصارى وأهل الفراء عليه^(٦) .

- =
- يجهرون بالتكبير ، فقال النبي ﷺ : «أيها الناس اربعوا؛ [أي ارفقوا] على أنفسكم ، إنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم» . أخرجه البخاري (٢٩٩٢) ، كتاب : الجهاد ، باب : ما يكره من رفع الصوت في التكبير ، ومسلم (٢٧٠٤) ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب : استحباب خفض الصوت بالذكر واللفظ له .
- (١) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/٢٠٠ ، بنصه ، والطبري ١٥/١٨٨ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٧٦ .
- (٢) في النسخ جميعها : (مغيرة) ، والصواب ما أثبتته من تفسير عبدالرزاق والطبري .
- (٣) أخرجه عبدالرزاق ٢/٣٩٣ ، بنحوه من طريق معمر ، والطبري ١٥/١٨٧ ، بنصه من طريق منصور ومعمّر وعوف ، وورد بلفظه في تفسير الثعلبي ٧/١٢٤ أ ، والماوردي ٣/٢٨١ ، والطوسي ٦/٥٣٤ .
- (٤) أخرجه الطبري ١٥/١٨٧ ، بنصه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) ، والطبراني في الكبير ١٢/٢٥٦ ، بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/١٢٤ أ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٧٥ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .
- (٥) لم أقف عليه مسنداً ، وأخرج الطبري ١٥/١٨٩ ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يعلم أهله هذه الآية؛ الصغير من أهله والكبير ، وفي تفسير الثعلبي ٧/١٢٤ أ ، قال معاذ رضي الله عنه : قال النبي ﷺ : آية العز : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ . انظر : تفسير القرطبي ١٠/٣٤٥ ، وابن كثير ٣/٧٨ .
- (٦) في (أ) و(د) و(ش) : (عنه) ، والمثبت من (ع) والوسيط ، وقد ورد قول قتادة في تفسير الوسيط ٢/٥٦٤ ، بنصه ، انظر : تفسير القرطبي ١٠/٣٤٥ بلا نسبة .

وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا﴾ . قال ابن عباس : لم يكن له وليٌّ ينصره ممن استذله^(١) .

وقال مجاهد : لم يحالف أحداً ولم يبتغ نصر أحد^(٢) ، فليس له حليف من خلقه ولا ناصر ، يعني : أنه لا يحتاج إلى ولاء النصرة والمخالفة ، وإنما يحتاج إلى ذلك من يُستدَلُّ ويُقهر ، وهو العزيز القهار ، وهو معنى قول أبي إسحاق : لم يحتاج أن ينتصر بغيره ، ﴿وَكَبِيرَةٌ تَبْكِي﴾ ؛ أي عَظْمَةٌ تعظيماً عظمتاً تامة^(٣) .

* * *

(١) ورد بمعناه في تفسير الزمخشري ٣٧٩/٢ بلا نسبة ، والقرطبي ٣٤٥/١٠ ، عن الحسن بن الفضل ، والخازن ١٨٥/٣ بلا نسبة .

(٢) تفسير مجاهد ٣٠٤/١ بنصه ، وأخرجه الطبري ١٨٩/١٥ بنصه من طريقين ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٧٦/٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وفيه : «لم يخف أحداً» .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٦٥/٣ ، بنصه .

تفسير

سورة الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ۝١ قَيِّمًا ۖ﴾ .

ذكرنا معنى العوج والفرق بينه وبين العوج في قوله : ﴿تَبَّغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران : ٩٩] ^(١) . روى الوالبي عن ابن عباس في قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ قال : (ملتبساً) ^(٢) . ومعناه : التباس ؛ أي لم يجعل ملتبساً لا يفهم ، ومعوجاً لا يستقيم .

(١) العوج بالفتح : ما كان منصوباً كالحائط والعود . والعوج بالكسر : ما كان في بساط أو أمر نحو : دين ، ومعاش . انظر : تهذيب اللغة (عاج) ٣ / ٢٢٦٤ ، ومعجم مقاييس اللغة (عوج) ٤ / ١٨٠ ، ولسان العرب (عوج) ٥ / ٣١٥٤ ، والقاموس المحيط (عوج) ٢٠٠ ، والمفردات في غريب القرآن (عوج) ٣٥١ .

(٢) جامع البيان ١٦٩ / ١٢٧ ، والكشف والبيان ٣ / ٣٨٥ ، أ ، والدر المنثور ٤ / ٣٨١ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه من طريق علي عن ابن عباس .

وقال أبو إسحاق : «لم يجعل فيه اختلافا»^(١) . كما قال : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] . يدل على هذا قوله : ﴿قِيمًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد مستقيماً عدلاً»^(٢) . وذكرنا الكلام في القِيم عند قوله : ﴿دِينًا قِيمًا﴾ [الأنعام: ١٦١] ، وجميع أهل اللغة والتفسير قالوا : «هذا من التقديم والتأخير ، وتقديره : أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً»^(٣) .

٢ . وقوله تعالى : ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد : لينذر عذاباً شديداً»^(٤) . [قال الفراء : «مع البأس أسماء مضمرة يقع عليها الفعل قبل أن يقع على البأس»^(٥) .

يعني أن] ^(٦) المفعول الأول للإنذار محذوف على تقدير : لينذر الكافرين بأساً ، كما قال في ضده : ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، فأظهر ^(٧) . وفسر الزجاج فقال : «أي لينذرهم بالعذاب البئيس»^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿مَنْ لَدُنْهُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد من عنده»^(٩) .

-
- (١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٦٧ .
 - (٢) جامع البيان ١٥/ ١٩٠ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٣ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٢٨٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٠ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨١ .
 - (٣) جامع البيان ١٥/ ١٩١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٣ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٢٢٨ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦١٦ .
 - (٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ١٩٢ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/ ٨٠ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٢٢٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٥٢ .
 - (٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٣٣ .
 - (٦) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .
 - (٧) انظر : الكشف ٢/ ٣٧٩ ، والدر المصون ٧/ ٤٣٧ ، والبحر المحيط ٦/ ٩٦ .
 - (٨) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٦٧ .
 - (٩) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة في معالم التنزيل ٥/ ١٤٣ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٢٢٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٣ .

وقال الزَّجَّاجُ : «مَنْ قَبْلَهُ»^(١) . قال : «وفي لدن لغات يقال : لُدْ ، وَلَدُنْ ، وَلَدَى ، والمعنى^(٢) واحد . قال : وهي لا تتمكَّنْ تمكُنْ عند ؛ لأنك تقول : هذا القول عندي صواب ، ولا تقول : هو لدني صواب»^(٣) ، وتقول^(٤) : عندي مال عظيم ، والمال غائب عنك ، ولدن لما يليك لا غير»^(٥) .

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر : (مَنْ لَدُنْهُ) ، بضم الدال الضمة وبكسر النون والهاء^(٦) ، وهي لغة الكلابيين^(٧) .

روى أبو زيد عنهم أجمعين : «هذا من لَدُنْهِ ، فتحوا اللام وضموا الدال وكسروا النون»^(٨) .

قال أبو علي الفارسي : «في لَدُنْ لغات : لدن مثل سبع ، وتخفف الدال ، فإذا خففت على ضربين ؛ أحدهما : أن تحذف^(٩) الضمة من الدال ، فيقال : لدن . والآخر : أن تحذف الضمة من الدال وتنقل إلى اللام ، فيقال : لدن ، مثل :

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٦٧ / ٣ .

(٢) قوله : (المعنى) ساقط من نسخة (س) .

(٣) قوله : (ولا تقول : هو لدني صواب) ، مكرر في نسخة (س) .

(٤) (ويقول) في نسخة (س) .

(٥) ذكره الزَّجَّاج مختصراً في معاني القرآن ٣ / ٣٠٣ ، وأورده الأزهري في تهذيب اللغة (لدن) ٤ / ٣٢٥٦ ، والفارسي في الحجة للقراء السبعة ٥ / ١٢٥ .

(٦) انظر : السبعة ٣٨٨ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ١٢٤ ، والمبسوط ٢٣٣ ، والتبصرة ٢٤٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٥٤ ، والعنوان في القراءات ١٢٢ .

(٧) الكلابيون : بطن عظيم من عامر بن صعصعة من العدنانية ، وهو بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن قيس بن عيلان ، كانت ديارهم حمى ضرية ، وهو حمى كليب ، وحمى الربذة في جهات المدينة المنورة ، وفدك والعوالي ، ثم انتقلوا إلى الشام . انظر : نهاية الأرب ٣٦٥ ، ومعجم قبائل العرب ٣ / ٩٨٩ ، والتعريف في الأنساب ٧٧ .

(٨) تهذيب اللغة (لدن) ٤ / ٣٢٥٦ ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ١٢٥ .

(٩) في نسخة (س) : (أن تخفف) ، وهو تصحيف .

عضد ، وفي كلا الوجهين يجتمع في الكلمة ساكنان : الدال المنقول عنها الحركة ، والمحذوفة منها مع النون . فأما قراءة عاصم : (مَنْ لَدْنِهِ)^(١) فالكسرة في النون ليست بجرٍّ ، إنما هي كسرة لالتقاء الساكنين ، وذلك أن الدال أسكنت كما أسكنت في سُبُع ، والنون ساكنة ، فلما التقى ساكنان كسر الثاني منهما وأشمت^(٢) الدال الضمة ، لتدل على أنها كانت متحركة بها ، كما قالوا : أَنْتَ تَغْزِينَ . وقولهم : قِيلَ ، أَشْمَتَ الكسرةُ فيهما الضمة ، لتدل على أن الأصل فيهما التحريك بالضم ، وإن كان إشمام عاصم ليس بحركة خرجت إلى اللفظ ، وإنما هو تهئية العضو لإخراج الضمة ، ولو كانت حركة لم يلتق ساكنان ولم تكسر النون لاجتماعهما^(٣) . وليس يحتمل هذا الموضع من الكلام في لدن أكثر مما ذكرنا ، وما بقي نذكره عند قوله : ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦] ، إن شاء الله .

والجار في قوله : (مَنْ لَدْنِهِ) يحتمل وجهين ؛ أحدهما : أن يكون صفة النكرة التي هي قوله : (بِأَسَاءَ) ، وفيها ذكر الموصوف . والآخر : يكون متعلقاً بشديد^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ . قال الزَّجَّاج : «المعنى بأن لهم أجراً حسناً»^(٥) .

-
- (١) من طريق شعبة عن عاصم .
انظر : السبعة (٣٨٨) ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ١٢٤ ، والتبصرة (٢٤٧) ، والكشف عن وجوه القراءات ٥٤ / ٢ .
- (٢) الإشمام : إطباقك الشفتين بعد الإسكان وتدع بينهما انفراجاً ليخرج النفس بغير صوت ، وذلك إشارة للحركة التي ختمت بها الكلمة ، ويكون في المرفوع والمضموم ، ولا يعرف ذلك الأعمى ؛ لأنه لرؤية العين . انظر : التحديد في الإتيان والتجويد ٩٨ ، والبرهان في تجويد القرآن ٦٦ .
- (٣) الحجة للقراء السبعة ٥ / ١٢٤ ، والبحر المحيط ٦ / ٩٦ ، والدر المصون ٧ / ٤٣٨ .
- (٤) الدر المصون ٧ / ٤٣٩ ، والجدول في إعراب القرآن الكريم ١٥ / ١١٢ .
- (٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢ / ٢٦٨ .

قال ابن عباس : «يريد ثواباً عظيماً»^(١) .

وقال السدي : «هو الجنة»^(٢) .

٣. قوله تعالى : ﴿مُكَثِّثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ بمعنى : خالدين^(٣) . وهو حال للمؤمنين من قوله : «أَنْ لَهُمْ أَجْرًا»^(٤) .

٤. وقوله تعالى : ﴿وَنُذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد بعذاب الله ونقمته»^(٥) .

قال الكلبي والسدي : «يعني اليهود والنصارى»^(٦) .

٥. قوله تعالى : ﴿مَا لَهُمْ بِهِ﴾ ؛ أي بذلك القول ، ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ يعني : قالوه جهلاً ، واقتراء على الله تعالى ، ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ ، اختار الفراء ﴿كَلِمَةً﴾ بالنصب .

-
- (١) جامع البيان ١٥/ ١٩٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٠ ، بمعناه من دون نسبة .
- (٢) معالم التنزيل ٥/ ١٤٣ من دون نسبة ، والمحرر الوجيز ٩/ ٢٢٩ ، من دون نسبة ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .
- (٣) جامع البيان ١٥/ ١٩٢ ، والقرطبي ١٠/ ٣٤٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٠ .
- (٤) المحرر الوجيز ٩/ ٢٢٩ ، والبحر المحييط ٦/ ٩٦ ، والدر المصون ٧/ ٤٣٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٦٨ .
- (٥) ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ١٥/ ١٩٣ من دون نسبة ، وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٠٤ .
- (٦) المحرر الوجيز ٩/ ٢٠٣ من دون نسبة ، وزاد المسير ٥/ ١٠٤ من دون نسبة ، والدر المنثور ٧/ ٣٨٢ ونسبه إلى ابن أبي حاتم .

قال الفرّاء : «من نصب أضمر الفاعل ، كأنه قيل : كبرت تلك الكلمة كلمة ، ومن رفع لم يضم شيئاً ، كما تقول : عظم قولك»^(١) .

وقال الزّجاج : «المعنى : كبرت مقاتلهم كلمة ، و﴿كَلِمَةً﴾ منصوب على التمييز » ، هذا كلامه^(٢) .

ومعنى التمييز في هذا : أنك إذا قلت : كبرت المقالة ، أو الكلمة ، جاز أن يتوهم أنها كبرت كذباً ، أو جهلاً ، أو افتراءً ، فلما قلت : كلمة ، ميزتها من محتمل فانتصب ، كما تقول في باب التمييز .

قال أبو عبيد : «والنصب وجه القراءة ؛ لأن الكلمة قد ذكرت قبل ، وهي قوله : ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ، فصارت مضمرة في (كبرت)^(٣) .

قال الأخفش : «هذه في النصب كقول الشاعر :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا الْعِشَاءُ تَرَوَّحَتْ هَدَجَ الرِّئَالِ تَكْبُهُنَّ شَالَاً^(٤)

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٣٤ .

قراءة النصب هي القراءة الصحيحة الثابتة ، وقراءة الرفع قراءة شاذة قرأ بها : الحسن وابن محيصن .
انظر : معاني القرآن للزّجاج ٣ / ٢٦٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢ / ٢٦٥ ، ومشكل إعراب القرآن ٤٣٧ ، والقراءات الشاذة ٨١ .

(٢) معاني القرآن للزّجاج ٣ / ٢٦٨ .

(٣) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : البحر المحيط ٦ / ٩٧ ، والدر المصون ٧ / ٤٤٠ ، والتفسير الكبير ٧٨ / ٢١ ، وروح المعاني ١٨ / ٢٠٤ .

(٤) البيت للأخطل . انظر : ديوانه ٣٨٧ ، ومعاني القرآن للأخفش ١ / ٦١٦ ، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ٥٨١ .

أَي تَكْبُهُنَّ الرِّيحَ شِمَالاً ، وَهَاهُنَا كَأَنَّهُ قِيلَ : كَبُرَتْ تِلْكَ الْكَلِمَةُ»^(١) .

﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] .

٦ . قوله تعالى : ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد : «قاتل نفسك»^(٢) . وهو قول المفسرين ، وأهل المعاني^(٣) . قال الفرّاء في المصادر : «بَخَعَهَا ، يَبْخَعُهَا ، بَخَعًا ، وَبَخُوعًا»^(٤) . وقال الليث : «بَخَعَ الرجل نفسه إذا قتلها غيظًا من شدة وجده بالشيء»^(٥) .

وأنشد قول ذي الرمة^(٦) :

أَلَا أَتِيْهَذَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ لَشَيْءٍ نَحْتَهُ عَنِ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ
قال أبو عبيدة : «كان ذو الرمة ينشد الوجد رفعاً»^(٧) .

(١) معاني القرآن للأخفش ١/١١٦ .

(٢) جامع البيان ١٥/١٩٤ ، والدر المنثور ٤/٣٨٢ وعزاه إلى ابن المنذر .

(٣) جامع البيان ١٥/١٩٤ ، وبحر العلوم ٢/٢٨٩ ، والكشاف ٢/٣٨٠ ، وزاد المسير ٥/١٠٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٢٦٨ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٣٩٣ .

(٤) لم أقف عليه . وذكره ابن منظور بلا نسبة في لسان العرب (بخع) ١/٢٢٢ .

(٥) ذكرت نحوه كتب اللغة . انظر : تهذيب اللغة (بخع) ١/٢٨٥ ، ومقاييس اللغة (بخع) ١/٢٠٦ ، ولسان العرب (بخع) ١/٢٢٢ ، والقاموس المحيط (بخع) ٧٠٢ .

(٦) البيت لسدي الرمة . انظر : ديوانه ٢٥١ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٣٩٣ ، وتهذيب اللغة (نجع) ١/٢٨٦ ، ومقاييس اللغة (نجع) ١/٢٠٦ ، والصحاح (نجع) ١٧ ، واللسان (نجع) ١/٢٢٢ ، والدر المصون ٧/٤٤٢ .

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٣٩٣ .

وقال الأصمعي : «يقول : إنما هو الوجد بالفتح»^(١) .

وأصل معنى البَخْع : الجهد ، يقال : بَخَعْتُ لك نفسي ؛ أي جهدتها ، ذكره الفرّاء ، والأخفش^(٢) . وفي حديث عائشة : «أنها ذكرت عمر فقالت : بَخَعُ الأرض»^(٣) ؛ أي جهدها حتى أخرج ما فيها من أموال الملوك .

وقال الكسائي : «بَخَعْتُ الأرض بالزراعة ، إذا أنهكتها وتابعت»^(٤) حراثتها ، ولم تَجْمَعْها عاماً ، وبَخَعَ الوجدُ نفسه إذا أنهكها ، وأنشد بيت ذي الرمة»^(٥) . وعلى هذا معنى : ﴿بَخَعُ نَفْسَكَ﴾ ؛ أي ناهكها ، وجاهدها حتى تهلكها ، ولكن أهل التأويل كلهم قالوا : قاتل نفسك ومهلكها ، والأصل هو ما ذكرنا»^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿عَلَىٰ أَثَرِهِمْ﴾ . قال الزّجاج : «أي من بعدهم»^(٧) . وهذا كلام العرب يقولون : مات فلان واحداً على أثر فلان ؛ أي بعده ، وأصل هذا من التأثير ، والأثر الذي هو العلامة ، وذلك أنهم يقولون : خرجت في أثر فلان ، وجئت على أثره ، يعنون بعده ، كأنهم يريدون أثر سلوكه الطريق ، ثم كثر هذا

(١) الدر المصون ٧/ ٤٤٢ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٣٤ ، وتهذيب اللغة (بخع) ١/ ٢٨٥ .

(٣) انظر : النهاية في غريب الحديث ١/ ١٠٢ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٧٩ ، وتهذيب اللغة (بخع) ١/ ٢٨٥ .

(٤) في نسخة (ص) : (بايعت) ، وهو تصحيف .

(٥) تهذيب اللغة (بخع) ١/ ٢٨٥ ، والدر المصون ٧/ ٤٤٢ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (بخع) ١/ ٢٨٥ ، ومقاييس اللغة (بخع) ١/ ٢٠٦ ، ولسان العرب (بخع) ١/ ٢٢٢ ، والقاموس المحيط (بخع) ٧٠٢ ، والصحاح (بخع) ٣/ ١١٨٣ ، والمفردات في غريب

القرآن (بخع) ٣٨ .

(٧) معاني القرآن للزّجاج ٣/ ٢٦٨ .

حتى استعمل بمعنى بعد حيث لا يتحقق الأثر ، كقوله : مات فلان على أثر فلان ؛ أي بعده ، وأثر كذا بكذا أتبعه إياه^(١) ، ومنه قول متمم^(٢) :

فَأَثَّرَ سَيْلَ الْوَادِيَيْنِ بِدِيمَةٍ

أَي أَتَبَعَهُ بِمَطَرٍ .

ومعنى ﴿عَلَىٰ أَثَرِهِمْ﴾ هاهنا : من بعدهم ، وتحقيقه ما بيَّنا ، وليس يريد من بعد موتهم ، وإنما التأويل : من بعد توليهم وإعراضهم عنك^(٣) .

قوله تعالى : ﴿إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ . قال ابن عباس وغيره : «يعني القرآن»^(٤) .

﴿أَسْفًا﴾ قال مجاهد : «جزعاً»^(٥) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (أثر) ١/ ١١٩ ، ومقاييس اللغة (أثر) ١/ ٥٣ ، والصحاح (أثر) ٢/ ٥٧٤ ، واللسان (أثر) ١/ ٢٥ ، والمفردات (أثر) ٩ .

(٢) هذا صدر بيت لمتمم يصف الغيث ، وعجزه :

تُرْشَّحُ وَسَمِيًّا مِنَ النَّبْتِ خِرْوَعًا

والمعنى : أتبع مطراً أقدم بديمة بعده . انظر : الشعر والشعراء ٢١٩ ، والأغاني ١٥/ ٢٩٨ ، والفضليات ٢٦٨ ، وخزانة الأدب ١/ ٢٣٦ ، وتهذيب اللغة (أثر) ١/ ١١٩ ، ولسان العرب (أثر) ١/ ٢٥ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ١٩٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٤ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٢٣٢-٢٣٣ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٥ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ١٩٤ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٤ ، والكشاف ٢/ ٢٨٠ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٢ . ويشهد لهذا قوله سبحانه في سورة الزمر ، الآية : [٢٣] .

(٥) جامع البيان ١٥/ ١٩٥ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٢٣٣ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٥ .

وقال السدي : «حزنًا»^(١) . وقال سفيان : «غضبًا»^(٢) .

وجمع ابن عباس بينهما ، فقال : «يريد : غضباً وحزنًا»^(٣) . قال الزَّجَّاج : «والأسف : المبالغة في الحزن والغضب»^(٤) . وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿عَظِبْنَ أَسْفًا﴾ في سورة الأعراف . وانتصابه يجوز أن يكون على المصدر ، ودلَّ ما قبله من الكلام على أنه تأسف ، ويجوز أن يكون مفعولاً له ؛ أي للأسف ، كقولهم : جئتكَ ابتغاء الخير^(٥) .

وقال الزَّجَّاج : «﴿أَسْفًا﴾ منصوب ؛ لأنه مصدر في موضع الحال»^(٦) . وفي هذه الآية إشارة إلى نهي النبي ﷺ عن كثرة الحرص على إيمان قومه حتى يؤدي ذلك إلى هلاك نفسه بالأسف ، والفاء في قوله : ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ جواب الشرط ، وهو قوله : ﴿إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ قدَّم عليه ، ومعناه التأخير .

٧ . قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ . قال مجاهد : «ما عليها من شيء من البحار ، والجبال ، والأشجار ، والنبات»^(٧) . والمعنى : إنا

(١) جامع البيان ١٥/ ١٩٥ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٢٣٣ عن قتادة ، وزاد المسير ٥/ ١٠٥ عن ابن عباس وابن قتيبة ، وتفسير القرآن العظيم عن قتادة ٣/ ٨١ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٤٤ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٢ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وفتح القدير ٣/ ٣٨٥ من دون نسبة .

(٣) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : الكشف والبيان ٣/ ٣٨٥ ب ، والمحزر الوجيز ٩/ ٢٣٣ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٤ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٥ ، والكشاف ٢/ ٤٧٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨١ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٩ .

(٥) انظر : الكشف ٣/ ٣٨٠ ، والبحر المحيط ٦/ ٩٨ ، والدر المصون ٧/ ٤٤٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٦ ، وإملاء ما منَّ به الرحمن ١/ ٣٩٤ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٨ .

(٧) جامع البيان ١٥/ ١٩٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٥-١٠٦ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٣ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٢٨٩ بلا نسبة .

زَيْنًا الْأَرْضَ بِمَا خَلَقْنَا فِيهَا مِنَ الْمَاءِ ، وَالْمَعَادِنِ ، وَأَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ ،
وَيَدْخُلُ فِي هَذَا كُلِّ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ ذِي الرُّوحِ وَالْجَمَادِ .

وقوله تعالى : ﴿لِنَبْلُوهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الاختبار في خلقه بما يفهمون»^(١) . ومضى الكلام في مثل هذا في مواضع^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ . قال الحسن : «أيهم أزهد في الدنيا زهداً ، وأترك لها تركاً»^(٣) . وهذا قول أبي إسحاق قال : «فالحسن العمل من زهد في ما زين له من الدنيا»^(٤) .

وقال مقاتل : «أيهم أصلح في ما أوتي من المال»^(٥) .

وذكر قتادة في تفسير هذه الآية قول النبي ﷺ : «إن الدنيا خضرة حلوة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا فتنة الدنيا»^(٦) . قال الزَّجَّاج : «﴿أَيُّهُمْ﴾ رفع بالابتداء ؛ لأن لفظه لفظ الاستفهام»^(٧) . والمعنى : ليختبر أهدأ

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥ / ١٩٥ ، والنكت والعيون ٣ / ٢٨٥ ، وزاد المسير ٥ / ١٠٦ ، والتسهيل لعلوم التنزيل ٣٧٦ ، ولباب التأويل ٤ / ١٩٢ .

(٢) نحو قوله تعالى في سورة هود الآية رقم [٧] : ﴿لِنَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ، وقال سبجانه في سورة الملك الآية رقم [٢] : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِنَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ .

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥ / ١٩٥ - ١٩٦ ، وبحر العلوم ٢ / ٢٨٩ ، والنكت والعيون ٣ / ٢٨٥ ، ومعالم التنزيل ٥ / ١٤٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٣٥٥ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٢٦٩ .

(٥) ذكر نحوه البغوي في تفسيره ٥ / ١٤٤ من دون نسبة ، وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير ٥ / ١٠٦ .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الرقائق ، باب : أكثر أهل الجنة الفقراء ٤ / ٢٠٩٨ ، والترمذي في جامعه ، كتاب : الفتن ، باب : ما جاء في ما أخبر النبي ﷺ أصحابه ٤ / ٤٨٣ ، وابن ماجه في سننه ،

كتاب : الفتن ، باب : فتنة النساء ٢ / ١٣٢٥ ، والإمام أحمد في مسنده ٣ / ١٩ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٢٦٩ .

أحسن أم هذا ، والاستفهام لا يعمل فيه ما قبله إلا ما يخبر ، وإنما يعمل فيه ما بعده . ثم أعلم جل وعز أنه [مبيد]^(١) ومُفْن ذلك كله .

٨ . بقوله : ﴿وَأِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ .

قال أبو عبيد : «الصعيد : المستوي من الأرض»^(٢) . وقال الزَّجَّاج : «الصعيد : الطريق الذي لا نبات فيه»^(٣) . ومثله قال المفضل . وقد ذكرنا تفسير الصعيد في آية التيمم^(٤) .

وأما الجرز فقال الفرَّاء : «الجرز : الأرض لا نبات فيها ، يقال : جُرَزَت الأرض فهي مجروزة ، وجَرَزَها الجراد أو الشاء أو الإبل أكلت ما عليها»^(٥) .

وقال الزَّجَّاج : «الجرز : الأرض التي لا تنبت ، كأنها تأكل التُّبْتُ أَكْلًا ، يقال : أرض جُرَز ، وأَرْضُون أَجْرَازًا»^(٦) .

وامرأة جَرُوز إذا كانت أكلًا ، وسيف جَرَّاز إذا كان مستأصلاً^(٧) ، ونذكر شيئاً من هذا عند قوله : ﴿نَسُوفُ الْمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ [السجدة: ٢٧] إن شاء الله .

(١) في الأصل والنسخ جميعها التي اطلعت عليها : (مبتدأ) ، وما أثبتته في الأصل هو الصواب عندي ، وهو الذي يدل عليه السياق ، وهو المثبت في تفسيره الوسيط .

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٢٧٥ ، وتهذيب اللغة (صعد) ٢/ ٢٠١٤ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٩ .

(٤) عند قوله سبحانه في سورة النساء الآية رقم [٤٣] ، وفي سورة المائدة الآية رقم [٦] : ﴿فَلَمَّ يَخْدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣] .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٣٤ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٦٩ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (جرز) ١/ ٥٨٠ ، ومقاييس اللغة (جرز) ١/ ٤٤١ ، والصحاح (جرز) ٣/ ٨٦٦ ، والمفردات في غريب القرآن (جرز) ٩١ .

قال مجاهد في هذه الآية : «بلاقع ليس فيه نبات»^(١) . وقال عطاء عن ابن عباس في هذه الآية : «يريد يوم القيامة يجعل الله الأرض جرزاً ليس فيها ماء ولا نبات»^(٢) .

٩. قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ الآية . ذكرنا سبب نزول قصة أصحاب الكهف عند قوله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء : ٨٥] . وذكر محمد بن إسحاق سبب نزول هذه القصة مشروحاً ، فقال : «كان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، كان يؤذي رسول الله ﷺ ، وينصب له العداوة ، وكان قدم الحيرة»^(٣) وتعلم بها أحاديث رستم^(٤) ، واسفنديار^(٥) ، وكان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلساً ذكر فيه الله تعالى ، وحذر قومه ما أصاب من كان قبلهم من الأمم ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال : وإنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه فهلّموا أحدثكم بأحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ، فبعثته قريش ، وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط^(٦) إلى أحبار يهود [بالمدينة ،

- (١) جامع البيان ١٥/١٩٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/٨١ ، وتفسير مجاهد ١/٣٧٣ .
- (٢) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : المحرر الوجيز ٩/٢٣٦ ، وزاد المسير ٥/١٠٦ ، ١٠٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/٨١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٥٦ .
- (٣) الحيرة بكسر الحاء وسكون الياء : مدينة مشهورة على ثلاثة أميال من الكوفة ، تقع على نهر يربطها بالفرات ، وكانت مسكناً لملوك العرب في الجاهلية التابعين لمملكة الفرس ، وهي قرية من النجف . انظر : معجم البلدان ٢/٣٢٨ ، ومعجم المعالم الجغرافية ١٠٧ .
- (٤) رستم الشديد بن دستان بن بريان ، من ملوك الفرس . انظر : تاريخ الطبري ١/٥٠٤ ، والروض الأنف ٢/٥٢ ، والكامل في التاريخ ١/١٣٧ .
- (٥) اسفنديار بن بشتاسب ، من ملوك الفرس . انظر : تاريخ الطبري ١/٥٦٢ ، والروض الأنف ٢/٥٢ ، والكامل في التاريخ ١/١٥٤ .
- (٦) عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبدشمس بن أبي معيط ، من مقدمي قريش في الجاهلية ، كنيته أبو الوليد ، وكنية أبيه أبو معيط ، كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة ، أسر يوم بدر وقتل وصلب . انظر : الروض الأنف ٢/٧٦ ، وابن الأثير ٢/٢٧ ، والأعلام ٤/٢٤٠ .

وقالوا لهما : سلوا عن محمد ، وعن صفته ، وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود^(١) عن رسول الله ﷺ ، ووصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بأمره وبيعض قوله ، فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث : عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ؟ فإنه كان لهم حديث عجب ، وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبأه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟ فإن أخبركم فهو نبي فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فهو متقول . فأقبل النضر بن الحارث وصاحبه حتى قدما مكة وقالوا : قد جئناكم بفصل ما بيننا وبين محمد ، وأخبراهم بما قالت اليهود . فجاءوا رسول الله ﷺ وسألوه عن هذه الأشياء ، فقال رسول الله ﷺ : « أخبركم بما سألتكم عنه غداً » . ولم يستثن ، فانصرفوا عنه ، فمكث رسول الله ﷺ في ما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً ، ولا يأتيه خبر ، حتى أرجف أهل مكة به ، وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة ، وشقَّ عليه ذلك ، ثم جاءه جبريل من الله - عز وجل - بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبة الله إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوا عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف^(٢) .

وافتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله لما أنكره عليه من ذلك وهو قول : ﴿ أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ [الكهف : ١] ، فذكر أنه أنزل عليه القرآن

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٢) جامع البيان ١٥/١٩٧ ، وبحر العلوم ٢/٢٩٠ ، والمحزر الوجيز ٩/٢٢٩-٢٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/٨٣ ، والدر المنثور ٤/٣٨٠ ، وأسباب النزول للواحدي ٣٠٦ ، ولباب النقول في أسباب النزول ١٤٣ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢٠٨ ، والفتح الساوي ٢/٤٩٤ .

للإنذار والتبشير إلى قوله : ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ، يعني قريشاً في قولهم : الملائكة بنات الله ^(١) .

ثم عاتبه على حزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم من الإسلام بقوله : ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسِكَ﴾ الآية ، ثم قال : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أيهم أتبع لأمري وأعمل بطاعتي ، ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ ، يعني أن ما على الأرض فان زائل ، وأن المرجع إلي فأجزي كلاً بعمله ، فلا يحزنك ما ترى وتسمع .

ثم أخبر عن ما سأله عنه من شأن الفتية ، فقال : ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ . فقال أبو إسحاق : «معناه : بل حسبت» ^(٢) . والكلام في ﴿أَمْ﴾ في مثل هذا الموضع قد ذكرناه في قوله : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٢١٤] ، وفي غيره من مواضع ^(٣) .

وقوله : ﴿أَنْ أَصْحَبَ الْكَهْفِ﴾ يعني أولئك الفتية الذين سئل عن قصتهم ^(٤) .

(١) نحو قوله تعالى في سورة النحل الآية رقم [٥٧] : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ ، وقوله سبحانه في سورة الصافات الآية رقم [١٤٩] : ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ إِنْ رَأَيْكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلُكُمْ أَفَتَعْبُدُهُمْ أَتَقُولُ لِلَّهِ أَشْرَكَ مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ مِنْ دِينِهِ وَأَنْتَ تَكْتُمُ الْكُفْرَ الَّذِي كُنْتُمْ تُبْشِرُونَ بِالْإِيمَانِ أَتَأْمُرُونَ بِالْكُفْرِ إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ .

(٢) معاني القرآن ١/ ٢٨٥ .

(٣) نحو قوله سبحانه في سورة البقرة الآية رقم [١٠٨] : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلُوا مُوسَى﴾ . وقوله سبحانه في سورة السجدة الآية رقم [٣] : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْعَلْهُ﴾ .

(٤) في نسخة : (س) : (بعضهم) ، وهو تصحيف .

و﴿الْكَهْفِ﴾ قال الليث: «كالمغارة في الجبل»^(١). روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: «كل القرآن أعلمه إلا أربعة: غسليْن^(٢)، وحنان^(٣)، والأواه^(٤)، والرقيم^(٥)».

وروى عكرمة أيضاً عن ابن عباس أنه سئل عن الرقيم، فقال: «زعم كعب أنها القرية التي خرجوا منها»^(٦)، ونحو هذا قال السدي^(٧).

وروي عن ابن أبي طلحة عنه قال: «الرَّقِيم: الكتاب»^(٨).

وهو قول مجاهد^(٩). وسعيد بن جبير قال: «الرَّقِيم: لوح من حجارة»^(١٠).

-
- (١) تهذيب اللغة (كهف) ٣١٩٩/٤.
- (٢) الواردة في قوله سبحانه: ﴿وَلَا طَعْمٌ إِلَّا مِنْ غَسْلَيْنِ﴾ [الحاقة: ٣٦].
- (٣) في قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَتْ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٣].
- (٤) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]. ومثلها قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].
- (٥) تفسير القرآن للصنعاني ٣٩٧/٢، وجامع البيان ١٩٨/١٥، والمحزر الوجيز ٢٣٧/٩، ٢٣٨، وتفسير القرآن العظيم ٨٢/٣، والدر المنثور ٣٨٤/٤.
- (٦) تفسير القرآن للصنعاني ٣٩٧/٢، وجامع البيان ١٩٨/١٥، وبحر العلوم ٢٩٠/٢، وتفسير القرآن العظيم ٨٣/٣.
- (٧) المحزر الوجيز ٢٣٧/٩، وزاد المسير ١٠٨/٥، والدر المنثور ٣٨٤/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم، والتفسير الكبير ٨٢/١١.
- (٨) جامع البيان ١٩٨/١٥، وتفسير القرآن العظيم ٨٢/٣، والدر المنثور ٣٨٣/٤، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.
- (٩) جامع البيان ١٩٨/١٥، ١٩٩، وتفسير القرآن العظيم ٨٢/٣ عن ابن عباس، والدر المنثور ٣٨٤/٤.
- (١٠) جامع البيان ١٩٩/١٥، ومعالم التنزيل ١٤٥/٥، والمحزر الوجيز ٢٨٣/٩، وتفسير القرآن العظيم ٨٢/٣، والدر المنثور ٣٨٤/٤.

وقيل : «من رصاص كتب فيه أسماؤهم وقصتهم ، وجعل في البناء على باب الكهف»^(١) ، ونحو هذا قال عطاء عن ابن عباس^(٢) ، وهو قول جميع أهل المعاني والعربية قالوا : «الرقيم : الكتاب»^(٣) .

والأصل فيه المرقوم ثم حُوِّلَ إلى فعيل ، والرقم : الكتابة ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ كَتَبَ مَرْقُومٌ ﴾ [المطففين : ٩] ؛ أي مكتوب ، وأنشدوا^(٤) :

سَأَرْقُمُ فِي الْمَاءِ الْقِرَاحَ إِلَيْكُمْ عَلَى بَعْدِكُمْ إِنْ كَانَ فِي الْمَاءِ رَاقِمٌ
وقال الفرّاء : «الرقيم : لوح كان فيه أسماؤهم»^(٥) ، ونرى أنه إنما سُمِّيَ رقيماً ؛ لأن أسماؤهم كانت مرقومة^(٦) فيه^(٧) .

-
- (١) بحر العلوم ٢/ ٢٩٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٤ ، ١٤٥ ، والكشاف ٢/ ٣٨١ ، والمحرم الوجيز ٩/ ٢٨٣ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠١ .
- (٢) جامع البيان ١٥/ ١٩٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٤٤ ، ١٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٧ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٤ .
- (٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٦٩ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٣٤ ، وإملاء ما من به الرحمن ١/ ٣٩٥ ، وتهذيب اللغة رقم ٢/ ١٤٥٤ ، ومقاييس اللغة رقم ٢/ ٤٢٥ ، والمفردات في غريب القرآن ، رقم (٢٠١) .
- (٤) لم أهتمد إلى قائله ، وذكرته كتب اللغة من دون نسبة . القراح : الماء الذي لا يخالطه شيء يطيب به كالعسل والتمر والزبيب . انظر : تهذيب اللغة رقم ٢/ ١٤٥٤ ، ومقاييس اللغة رقم ٢/ ٤٢٥ ، ولسان العرب رقم ٣/ ١٧٠٩ .
- (٥) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٣٤ .
- (٦) في (ص) : (من قومه) ، وهو تصحيف .
- (٧) وهذا القول هو الراجح ، وهو الذي تعضده اللغة ، ورجحه أكثر المفسرين . انظر : جامع البيان ١٥/ ١٩٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٢ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٤٥٤ ، ولسان العرب رقم ٣/ ١٧١٠ .

وقوله تعالى : ﴿كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا﴾ قال مجاهد ، وسفيان : «لم يكونوا بأعجب آياتنا»^(١) . قال المفضل : «أم حسبت أنهم كانوا عجباً من آياتنا فقط ، فلا يحسن ذلك ، فإن آياتنا كلها عجب»^(٢) . وقال أبو إسحاق : «أعلم الله أن قصة أصحاب الكهف ليست بعجيبة من آيات الله ؛ لأن خلق السموات والأرض وما بينهما مما يشاهد أعجب من قصة أصحاب الكهف»^(٣) . والعجب هاهنا مصدر سمي المفعول به .

والتقدير : كانوا معجوباً منهم ، فسموا بالمصدر ، والمفعول من هذا يستعمل باسم المصدر^(٤) .

١٠ . قوله تعالى : ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ﴾ ، (إِذْ) هنا لا يجوز أن يكون متعلقاً بما قبله على تقدير : أم حسبت إذ أوى الفتية ؛ لأنه كان بين النبي ﷺ وبينهم مدة طويلة ، فلم يتعلق الحسبان بذلك الوقت الذي أوا فيه إلى الكهف ، وإذ يتعلق بمحذوف كأنه قيل : اذكر إذا أوى^(٥) . كما قلنا في مواضع كثيرة . ومعنى ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ : صاروا إليه وجعلوه مأواهم^(٦) .

(١) جامع البيان ١٥/١٩٧ ، ومعالم التنزيل ٥/١٤٤ من دون نسبة ، وتفسير القرآن العظيم ٣/٨٢ ، والدر المنثور ٤/٣٨٤ .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/١٩٧ ، والكشف والبيان ٣/٣٨٥ ب ، والمحزر الوجيز ٩/٢٣٧ ، ومعالم التنزيل ٥/١٤٤ ، وزاد المسير ٥/١٠٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/٨٢ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٧٠ .

(٤) الكشف ٢/٣٨١ ، والدر المصون ٧/٤٤٦ ، والبحر المحيط ٦/١٠١ ، والتفسير الكبير ١١/٨٣ .

(٥) الدر المصون ٧/٤٤٦ ، والبحر المحيط ٦/١٠٢ ، والتفسير الكبير ١١/٨٣ ، وإملاء ما من به الرحمن ٣٩٥/١ .

(٦) زاد المسير ٥/١٠٨ ، والتفسير الكبير ١١/٨٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٢٧٠ .

قال ابن عباس : «يريد هربوا إلى الكهف»^(١) . وذكرنا الكلام في الفتية عند قوله : ﴿وَقَالَ لِفَتَيْنِهِ﴾ [يوسف : ٦٢] في سورة يوسف .

وقوله تعالى : ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أخبر الله تعالى أنهم لما هربوا عمن يطلبهم اشتغلوا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى : ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ ؛ أي أعطنا من عندك مغفرة ورزقاً^(٢) .

قال ابن عباس : «يريدون تغنينا بها عن جميع من سواك»^(٣) ، يعني أن قولهم : ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ تتضمن هذا المعنى .

وقوله تعالى : ﴿وَهَيَّئْ لَنَا﴾ ؛ أي أصلح ، من قولك : هيأت الأمر فتهيأ^(٤) ﴿مِن أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ الرشد ، والرُّشد ، والرَّشاد ، والرَّشاد : نقيض الضلال^(٥) .

قال أبو إسحاق : «أي أرشدنا إلى ما يقرب منك ويزلف عندك»^(٥) . وهذا معنى قول ابن عباس : «أرشد أفعالنا إلى محبتك»^(٦) . وقال أهل المعاني : «تقدير

(١) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/ ٢٨٧ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٢٣٩ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٨ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٥٥ ، بمعناه ، والكشاف ٢/ ٣٨١ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٢٤٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٠٩ .

(٣) ذكر نحوه ابن الجوزي بلا نسبة في زاد المسير ٥/ ١٠٩ ، والرازي في التفسير الكبير ٢١/ ٨٣ ، والألوسي في روح المعاني ١٥/ ٢١١ .

(٤) زاد المسير ٥/ ١٠٩ ، والتفسير الكبير ١١/ ٨٣ ، وتهذيب اللغة (رشد) ٢/ ١٤١١ ، ومقاييس اللغة (رشد) ٢/ ٣١٨ ، ولسان العرب ٣/ ١٦٤٩ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٧٠ .

(٦) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة .

انظر : زاد المسير ٥/ ١٠٩ ، والتفسير الكبير ٢١/ ٨٣ ، وروح المعاني ١٥/ ٢١١ ، وأنوار التنزيل ٣/ ٢١٧ .

الآية : هيئ لنا من أمرنا ذا رشد»^(١) ؛ أي أمراً ذا رشد . فحذف الموصوف ، ثم حذف المضاف أيضاً ، كأنهم قالوا : هيئ لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد .

١١ . قوله تعالى : ﴿ فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ ﴾ . قال المفسرون : «معناه : أنمناهم»^(٢) .

قال أبو إسحاق : «أي منعناهم أن يسمعوا ؛ لأن النائم إذا سمع انتبه»^(٣) . فالمعنى : أنمناهم ومنعناهم السمع . وهذا معنى قول ابن عباس : «فضربنا على آذانهم بالنوم»^(٤) . والمعنى : سدنا آذانهم بالنوم الغالب عن نفوذ الأصوات إليها ، ومن هذا النظم قال الأسود بن يَغْفَرُ^(٥) :

وَمِنَ الْحَوَادِثِ لَا أَبَا لِكَ أَنَّنِي ضَرَبْتُ عَلَى الْأَرْضِ بِالْأَسْدَادِ

وذلك أنه كان ضريراً لا يتمكن من المشي في الأرض ، فكأن الأرض قد ضربت بالأسداد عليه ، حيث منع من التصرف .

وقوله تعالى : ﴿ فِي الْكَهْفِ ﴾ بيان أن محل الضرب على آذانهم بالنوم كان في الكهف ، فهو ظرف له بمنزلة المكان . ثم ذكر ظرف الزمان ، فقال :

-
- (١) التفسير الكبير ٨٣/١١ .
 (٢) جامع البيان ٢٠٤/١٥ ، وبحر العلوم ٢٩٠/٢ ، ومعالم التنزيل ١٥٥/٥ ، والكشاف ٣٨١/٢ ، والمحزر الوجيز ٢٤٥/٩ ، وزاد المسير ١٠٩/٥ .
 (٣) معاني القرآن للزجاج ٢٧١/٣ .
 (٤) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٢٠٦/١٥ ، والمحزر الوجيز ٢٤٥/٩ ، ومعالم التنزيل ١٥٥/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٨٢/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٦٣/١٠ .
 (٥) البيت للأسود بن يعفر النهشلي . الأسداد : جمع سد ، وهو الحاجز بين الشيئين ، يشير هنا إلى ضعفه فقد عمي . انظر : ديوانه ٢٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٦٣/١٠ ، والبحر المحيط ١٠٣/٦ ، والدر المصون ٤٤٧/٧ ، والمفضليات ٢١٦ ، واللامات ١٠٣ ، ولسان العرب (سدد) ١٩٦٩/٤ .

﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ ، وذكر العدد هاهنا يفيد كثرة السنين^(١) ، وكذلك كل شيء مما يعد إذا كثر فيه العدد ووصف به أريد كثرته ؛ لأنه إذا قلَّ فُهِمَ مقداره فلم يحتاج أن يعد ، وإذا كثر احتيج إلى أن يُعد ، فإذا قلت : أقمت أياماً عدداً . أردت به الكثرة^(٢) . وفي انتصابه وجهان ؛ أحدهما : أنه نعت للسنين . المعنى : سنين ذات عدد ؛ أي معدودة ، هذا قول الفرّاء ، والزّجاج^(٣) .

وعلى هذا يجوز في الآية ضربان من التقدير ؛ أحدهما : حذف المضاف . والثاني : تسمية المفعول باسم المصدر . قال الزّجاج : «يجوز أن ينتصب على المصدر ، المعنى : نعد عدداً»^(٤) .

١٢ . قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد من بعد نومهم»^(٥) ، يعني أيقظناهم بعد نومهم ، وقوله تعالى : ﴿لِنَعْلَمَ﴾ المفسرون يقولون في هذا : «لنرى»^(٦) .

-
- (١) معالم التنزيل ١٥٥/٥ ، والكشاف ٢/٢٨١ ، والمحرر الوجيز ٩/٢٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٦٣ ، والبحر المحيط ٦/١٠٣ .
- (٢) معاني القرآن ٣/٢٧١ ، والتفسير الكبير ١١/٨٣ .
- (٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/١٣٥ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٣/٢٧١ .
- (٤) معاني القرآن للزّجاج ٣/٢٧١ .
- (٥) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : معالم التنزيل ١٥٥/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٢٦٤ ، والبحر المحيط ٦/١٠٣ .
- (٦) معالم التنزيل ١٥٥/٥ ، بمعناه ، وزاد المسير ٥/١١٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٦٤ وعلمه – سبحانه وتعالى – كامل محيط بكل شيء جملة وتفصيلاً ، فالله يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون ، والعلم صفة من صفاته سبحانه نشبته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل .
- قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/٢٤ : (لنعلم أي الحزبين) ؛ أي لنعلم ذلك علماً يظهر الحقيقة للناس ، فلا ينافي أنه كان علماً به قبل ذلك من دون خلقه . وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ١/١٣٢ ، والعقيدة الواسطية .

وقد تكلمنا في مثل هذا عند قوله : ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [البقرة: ١٤٣] في سورة البقرة ، وقوله : ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢] في سورة آل عمران .

وقوله تعالى : ﴿أَيُّ الْحَزَيْنِ أَحْصَى﴾ الآية ، ﴿أَيُّ﴾ رفع بأحصى على الابتداء والخبر ، ولم يوقع العلم على شيء منهما في الظاهر ، وهو في الباطن واقع على ما يتضمنان من القصة ، كما تقول : اذهب فاعلم أيهم قام^(١) . قال الله تعالى : ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٤٠] . و﴿أَيُّ﴾ من حروف الاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله ، سوى ما يجز ، وذكرنا هذا . وسنذكر استقصاء المسألة عند قوله : ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ [مريم: ٦٩] إن شاء الله .

واختلفوا في الحزبين ، فقال عطاء عن ابن عباس : «الحزبين الملوك الذين تداولوا المدينة ملكاً بعد ملك ، وأصحاب الكهف حزب والملوك حزب»^(٢) . وقال مجاهد : «الحزبين من قوم الفتية»^(٣) . وقال الكلبي : «يعني المؤمنين والكافرين»^(٤) .

وحكى الفراء : «أن طائفتين من المسلمين في دهر أصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم»^(٥) . قال من اختار هذا القول : «تنازع المسلمون الأولون أصحاب الملك الذي أطلقه الله تعالى على أصحاب الكهف ، والمسلمون الذين أسلموا

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٧١ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ١٣٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٧ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٧ .

(٢) البحر المحيط ٦/ ١٠٣ ، والتفسير الكبير ١١/ ٨٤ ، وروح المعاني ١٥/ ٢١٢ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٠٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٢٨٩ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠٣ ، والتفسير الكبير ١١/ ٨٤ ، والدر المنثور ٤/ ٣٨٩ وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) النكت والعيون ٣/ ٢٨٩ ، وزاد المسير ٥/ ١١٤ ذكره من دون نسبة ، وروح المعاني ١٥/ ٢١٢ ، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٢٩٢ بلا نسبة .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٣٦ .

حين رأوا أصحاب الكهف في قدر مدة لبثهم في الكهف»^(١). فهذا ما وجدته للمفسرين في هذه الآية ، وهو غير مقنع ، ولا كاف ، إذ لم يفتح غلقاً .

وقال صاحب النظم : [«هذا ما قصه ربنا»]^(٢) في ما بعد هذا الفصل في قوله : ﴿بَعَثْنَاهُمْ لَيْسَاءَ لَوْا بَيْنَهُمْ﴾ إلى قوله : ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف : ١٩] ، وهذا يدل على تنازع كان في ما بينهم في ما لبثوا ، وكان ذلك سبب بعث الله إياهم ، كما أعلمنا عز وجل وهو عالم بما كان منهم ، وبما يكون قبل أن يكون ، ويتعالى عن أن يكون شيء سبباً لعلمه ، والتأويل إن شاء الله : ثم بعثناهم ليكون ذلك منهم ؛ أي تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم»^(٣) . فجعل صاحب النظم ﴿لَنَعْلَمَ﴾ هاهنا بمعنى ليكون ذلك لنعلم كائناً قال الله تعالى : ﴿أَمْ تَتُوتُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد : ٣٣] ؛ أي بما ليس ولا يعلمه كائناً .

قال : «والحزبان جميعاً من أصحاب الكهف ، أنهم قالوا هذا القول منكرين على من قال : ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف : ١٩] ، فدلّ هذا على أن أصحاب الكهف كانوا حزبين»^(٤) ، هذا كلامه ، وهو بعيد ؛ لأنه يجعل معنى قوله : ﴿لَنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف : ١٢] ، بمعنى : ليكون بينهم تساؤل وتنازع ، وهذه العبارة التي في نظم الآية لا ينسى عن هذا المعنى الذي^(٥) ذكره ، وقد ارتكب في كتابه أشياء بعيدة لم أحكمها لبعدها . ومعنى الآية على ما ذكره المفسرون : قتادة ، ومجاهد ، وغيرهما : «ليعلم أي الحزبين من المؤمنين والكافرين

(١) المحرر الوجيز ٣٧١ / ١٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٦٤ / ١٠ ، والبحر المحيط ١٠٤ / ٦ ، وروح المعاني ٢١٢ / ١٥ .

(٢) ما بين المعقوفين ورد في النسخ جميعها بلفظ : «هذه مقتصة من بناجا» ، وما أثبتته هو الصواب إن شاء الله ، والموافق للسياق .

(٣) ذكر نحوه الرازي في التفسير الكبير ٨٣ / ٢١ .

(٤) ذكر نحوه الرازي في التفسير الكبير ٨٤ / ٢١ .

(٥) قوله : (الذي) ، ساقط من نسخة (ص) .

من قوم أصحاب الكهف عدّ أمد لبثهم وعلم ذلك ، وكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف ، وخروجهم من بيوتهم ، فبعثهم الله ليبين ذلك ويظهر^(١) .

وأما وجه نصب قوله : ﴿أَمَدًا﴾ فقال الفرّاء : «ويكون نصبه على وجهين : إن شئت جعلته خرج من أحصى مفسراً ، كما تقول أي الحزبين أصوب قولاً ، وإن شئت أوقعت عليه اللبّاث للّبّاث لأمدًا»^(٢) .

وقال أبو إسحاق نحو هذا سواء ، فقال : ﴿أَمَدًا﴾ منصوب على نوعين : وهو على التمييز ، إن شئت كان على أحصى أمدًا ، فيكون العامل فيه أحصى ، كأنه قيل : لنعلم أهؤلاء أحصى للأمد أم هؤلاء ؟ والوجه الثاني : أن يكون منصوباً بـ (لبثوا) ، ويكون أحصى متعلقاً بلما ، فيكون المعنى أي الحزبين أحصى للّبثهم في الأمد»^(٣) .

قال أبو علي الفارسي : «إن انتصاب الأمد بالتمييز عندي ممتنع غير مستقيم ؛ وذلك أنه لا يخلو من أن يحمل أحصى على أن يكون فعلاً ماضياً ، أو أفعل نحو : أحسن وأعلم ، فلا يجوز أن يكون أحصى أفعل ، وغير مثال الماضي لأمرين ؛ أحدهما : أنه يقال : أحصى يحصي في التنزيل : ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾ [المجادلة : ٦] ، وأفعل يفعل لا يقال منه : هو أفعل من كذا ، فأما قولهم : ما أولاه للخير ، وما أعطاه للدرهم ، فمن الشاذ النادر الذي حكمه أن يحفظ لقلته ، وسبيل ما كان كذلك ألا يقاس عليه ، ولا يجوز أن يكون أحصى أفعل من كذا لهذا . والأمر الآخر : هو أن ما ينتصب على التمييز في نحو : هو أكثر منك مالاً ، وأحسن وجهاً ، وأغزر علماً ، هو في المعنى فاعل ، وإن كان في اللفظ منتصباً ، ألا ترى

(١) جامع البيان ٢٠٦/١٥ ، وبحر العلوم ٢٩٢/٢ ، والنكت والعيون ٢٨٩/٣ ، ومعالم التنزيل

١٥٢/٣ ، وزاد المسير ١١٤/٥ ، والدر المنثور ٣٨٩/٤ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ١٣٦/٢ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢٧١/٣ .

أن الأمد ليس هو الذي أحصى ، فهو خارج عن ما عليه^(١) الأسماء المنتصبة على التمييز ، وإذا كان كذلك لم يجوز أن يكون منها كان (أحصى) مثلاً ماضياً ، ويكون المعنى : لنعلم أي الحزبين أحصى أمداً للبهيم ، فيكون الأمد على هذا منتصباً بأنه مفعول به ، والعامل فيه أحصى الذي هو فعل ، ومن قَدَّر أن (أحصى) أفعل من كذا فمخطئ لما ذكرنا^(٢) .

وهذا الذي ذكره أبو علي قول ثالث ؛ لأن ﴿أَمَدًا﴾ عند الفراء وأبي إسحاق : ينتصب إما على التمييز ، أو على الظرف ، وعند أبي علي أنه مفعول به^(٣) . قال^(٤) : «ويجوز مع تأويل أحصى أفعل من كذا أن ينتصب الأمد بـ (لبثوا) ، ويكون المعنى : للبهيم أمداً ؛ أي في الأمد ، ويتصل أحصى باللام ، قال : وهذا القول مستكره ؛ لأنك جعلت أحصى أفعل من كذا . قال : ومن قَدَّر أحصى فعلاً وقَدَّر انتصاب الأمد بـ (لبثوا) دون أحصى فقد أساء ، وعدل بالكلام عن وجهه ، ألا ترى أن الكلام : أحصيت كذا ، وفي التنزيل ﴿أَخْصَنُ اللَّهُ﴾ [المجادلة: ٦] ، ﴿وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الن: ٢٨] ، فأوصل الفعل بلا حرف ، وإذا كان تأويله انتصاب الأمد بـ (لبثوا) يؤدي إلى أن الفعل الذي هو أحصى المتعدي بلا حرف يتعدى بحرف استقبحنا هذا التأويل ، وكرهناه ، واستبعدناه^(٥) .

(١) في نسخة (ص) : «عن حد ما عليه» .

(٢) الإغفال في ما أغفله الرَّجَّاج من المعاني ٩٣٢ .

(٣) معاني القرآن للفراء ١٣٦/٢ ، ومعاني القرآن للرَّجَّاج ٢٧١/٣ ، والإغفال في ما أغفله الرَّجَّاج من المعاني ٩٣٢ .

(٤) لفظ : «قال» ، ساقط من نسخة (س) .

(٥) الإغفال في ما أغفله الرَّجَّاج من المعاني ٩٣٨ .

١٤. قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾. قال المفسرون: «ألهمناها الصبر وثبتناها»^(١).

وذكرنا معنى الربط على القلب في سورة الأنفال^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا﴾. قال عطاء ومقاتل: «يعني من النوم»^(٣). وهذا يتعدى من وجوه؛ أحدها: أن الله تعالى استأنف قصتهم بقوله: ﴿تَحْنُ نَقْصٌ عَلَيْكَ﴾ [الكهف: ١٢]، فأنه قال: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وكانوا قد قالوا هذا قبل نومهم في الكهف، ولكن الوجه تفسير ﴿قَامُوا﴾: «أنهم قاموا بين يدي ملكهم دقيانوس الجبار الذي كان يفتن أهل الإيمان عن دينهم، فربط الله على قلوبهم بالصبر واليقين حتى قالوا بين يديه: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وذلك أنه كان يدعو الناس إلى عبادة الأصنام، والذبح للطواغيت، فثبت الله هؤلاء الفتية وعصمهم، حتى عصوا ذلك الجبار وأقروا بربوبية الله ووحدانيته، وأنهم إن دعوا غيره وعبدوه كان ذلك شططاً»^(٤).

وفي تفسير شبلى عن مجاهد قال: «إنهم أبناء عظماء مدينتهم، فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد، فقال رجل منهم هو أسن القوم: إني لأجد في نفسي شيئاً ما أظن أن أحداً يجده. قالوا: ما تجد؟ قال: أجد في نفسي أن ربي

(١) جامع البيان ٢٠٧/١٥، والنكت والعيون ٢٨٩/٣، وزاد المسير ١١٥/٥، والجامع لأحكام القرآن ٣٦٥/١٠.

(٢) عند قوله سبحانه: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

(٣) البحر المحيط ١٠٦/٦، وروح المعاني ٢١٨/١٥، والتفسير الكبير ٩٨/١١ وقال: وهذا بعيد؛ لأن الله استأنف قصتهم بقوله: ﴿تَحْنُ نَقْصٌ عَلَيْكَ﴾ [آية: ١٣].

(٤) هذا قول جمهور المفسرين. انظر: جامع البيان ٢٠٧/١٥، ومعالم التنزيل ١٥٦/٥، والكشاف ٣٨٣/٢، وزاد المسير ١١٥/٥، وابن كثير ٨٣/٣-٨٤.

رب السموات والأرض . فقالوا : نحن كذلك نجده في أنفسنا ، فقاموا جميعاً ، فقالوا : ربنا رب السموات والأرض»^(١) .

وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ ؛ أي كذباً وجوراً ، قاله المفسرون^(٢) .

ومعنى الشطط في اللغة : مجاوزة القدر^(٣) . قال الفراء : «يقال : قد أشطَّ في السَّوم ، إذا جاوز القدر ، ولم أسمع إلا أشطَّ ، يُشِطُّ ، إِشْطَاطًا ، شَطَطًا»^(٤) . وحكى الزَّجَّاج وغيره : «شَطَّ الرجل وأَشَطَّ إذا جار»^(٥) . ومنه قوله : ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص: ٢٢] ، ومثله أشطَّ ، وأصل هذا من قولهم : بما شَطَّت الدار ، إذا بعدت ، فالشَّطَطُ في القول بعد عن الحق ، وهو هاهنا منصوب على المصدر ، والمعنى : لقد قلنا إذا قول شَطَط ، قاله الزَّجَّاج^(٦) .

١٥ . وقوله تعالى : ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ هذا من قول أصحاب الكهف ، ويعنون الذين كانوا في زمان دقيانوس عبدوا الأصنام ، ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ بحجة بينة .

(١) جامع البيان ٢٠٧/١٥ ، وزاد المسير ١١٠/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٦٥/١٠ ، والدر المنثور ٣٨٨/٤ وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) جامع البيان ٢٠٨/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٥٦/٥ ، والمحزر الوجيز ٢٥١/٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٨٤/٣ .

(٣) مقاييس اللغة (شط) ١٦٥/٣ ، والقاموس المحيط (شط) ٦٧٤ ، ولسان العرب (شطط) ٢٢٦٣/٤ ، والمفردات في غريب القرآن (شطط) ٢٦٠ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٤٠٣/٢ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٧٢/٣ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٧٢/٣ .

قال الزَّجَّاج : «ومعنى ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ؛ أي على عبادة الآلهة»^(١) . وهذا قول
يوجب تقدير حذف المضاف ، أي هلا يأتون على عبادتهم ، أو على اتخاذهم
بسلطان بين ، ثم حذف المضاف^(٢) .

وقال صاحب النظم : «ظاهر قوله : ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ﴾ ، حث وسؤال ،
وتأويله نفي وإبطال ، على معنى : اتخذوا من دونه آلهة لا يأتون عليهم بسلطان ؛
لأن في قولك : لولا فعلت كذا ، دليل على أنه لم يفعله ، وكان من حقه أن يفعل ،
وهذا من باب الإيحاء إلى الشيء بالشيء» . انتهى كلامه^(٣) . وعلى قوله أيضاً يرجع
حقيقة التأويل إلى تقدير حذف المضاف ؛ لأن معنى ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ لا
يأتون على عبادتهم ؛ أي على عبادة الآلهة ، على هذا يحسن الكلام ؛ لأن الحجة على
الآلهة ضد الحجة لهم ، فلا بُدَّ من تقدير حذف المضاف ، وإذا كان كذلك فالقول
الأول أولى ؛ لأنه لا يحتاج فيه إلى العدول عن ظاهر قوله : ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ﴾ ،
والكناية في قوله : ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يجوز أن تكون عن القوم في قوله : ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا﴾
وهو الظاهر ، ويجوز أن تكون عن الآلهة .

١٦ . وقوله تعالى : ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «هذا من قول
تمليخا ، وهو رئيس أصحاب الكهف ، قال لهم : وإذا اعتزلتموهم ؛
أي فارقتموهم وتنحيتهم عنهم جانباً ، يعني عبدة الأصنام»^(٤) .

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ . قال أبو إسحاق : «﴿مَا﴾ نصب ، المعنى : واعتزلتم ما
يعبدون إلا الله ، فإنكم لن تتركوا عبادته»^(٥) ، وذلك أنهم كانوا يشركون بالله ،

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٢ .

(٢) الكشف ٢/ ٣٨٢ ، والدر المصون ٧/ ٤٥٤ ، وروح المعاني ١٥/ ٢١٩ .

(٣) ذكر نحوه الرازي في التفسير الكبير ٢١/ ٩٨ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠٦ ، وروح المعاني ١٥/ ٢١٩ .

(٤) زاد المسير ٥/ ١١٦ ، والبحر المحيط ١٥/ ١٠٧ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٢ .

فقال : اعتزلتم الأصنام ولم تعتزلوا الله ولا عبادته ، وهذا قول الفرّاء وهو : «أَنَّ ﴿مَا﴾ اسم وليس بنفي»^(١) .

وروى عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ قال : (يريد لم يعبد أصحاب الكهف إلا الله)^(٢) . وهذا يحمل على أن الله أخبر عنهم أنهم لم يعبدوا غيره ، وعلى هذا لا يكون هذا حكاية قولهم ؛ والقول ما قاله الفرّاء ، والزّجاج ، وأهل التفسير^(٣) ، يدل على صحته ما روي أنه في مصحف عبد الله : (وما يعبدون من دون الله)^(٤) . وهذا يقطع بكون «ما» اسماً .

وقوله تعالى : ﴿فَأَوْرُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ قال الفرّاء : «هذا جواب (إذ) ، كما تقول : إذ فعلت كذا فافعل كذا»^(٥) ، ومعناه : صيروا إليه واجعلوه مأواكم .

﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ ؛ أي يبسطها عليكم ، ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرَفَقًا﴾ . قال ابن عباس : «يسهل عليكم ما خوفكم من الملك وظلمه ، ويأتيكم من الله اليسر والرفق واللطف»^(٦) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ١٣٦/٢ .

(٢) ذكرت نحوه كتب التفسير بلا نسبة . انظر : المحرر الوجيز ٢٥٣/٩ ، والبحر المحيط ١٠٦/٦ ، وروح المعاني ٢٢٠/١٥ ، وفتح القدير ٢٧٣/٣ .

(٣) جامع البيان ٢٠٩/١٥ ، والكشاف ٣٨٢/٢ ، وزاد المسير ١١٦/٥ ، ومعاني القرآن للفرّاء ١٣٦/٢ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٢٧٢/٣ .

(٤) جامع البيان ٢٠٩/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٥٦/٥ ، والمحرر الوجيز ٢٥٣/٩ ، وزاد المسير ٨١/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٦٧/١٠ .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ١٣٦/٢ .

(٦) زاد المسير ١١٦/٥ ، والبحر المحيط ١٠٧/٦ .

وقال الكلبي : «يعني غداء يأكلونه»^(١) . ويقال : (مخرجاً)^(٢) . وكل ما ارتفعت به فهو مَرْفَقٌ ، ويقال فيه أيضاً : مَرْفَقٌ ، ويقال فيه أيضاً : مَرْفَقٌ بفتح الميم وكسر الفاء ، كقراءة أهل المدينة^(٣) ، وهما لغتان في مَرْفَقِ اليد ، والأمر ، والمتكأ ، قال أبو عبيدة : «المَرْفَقُ : ما ارتفعت به ، وبعضهم يقول : المَرْفَقُ ، فأما ما في اليدين فهو مَرْفَقٌ»^(٤) .

وقال الأخفش : «﴿مَرْفَقًا﴾ ؛ أي شيئاً يَرْتَفِقُونَ به ، مثل المِقْطَعِ»^(٥) .

ومن قرأ : ﴿مَرْفَقًا﴾ ، جعله اسماً مثل المسجد ، ويكون لغة . قال أبو علي : «قوله : جعله اسماً ؛ أي جعل المَرْفَقَ اسماً ، ولم يجعله اسم المكان ولا المصدر من رَفَقَ يَرْفُقُ ، كما أن المسجد ليس باسم الموضع من سَجَدَ يَسْجُدُ ، وقوله : أو يكون لغة ؛ أي لغة في اسم المصدر ، كما جاء المَطْلَعُ ونحوه ، ولو كان على القياس لفتحت اللام»^(٦) .

(١) لم أقف عليه .

(٢) جامع البيان ٢٠٩/١٥ ، وبحر العلوم ٢٩٣/٢ .

(٣) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمة ، والكسائي : (مَرْفَقًا) بكسر الميم وفتح الفاء . وقرأ نافع ، وابن عامر ، والكسائي عن أبي بكر عن عاصم : (مَرْفَقًا) بفتح الميم وكسر الفاء . انظر : الحجة للقراء السبعة ١٣٠/٥ ، والسبعة ٣٨٨ ، والغاية ٣٠٥ ، والتبصرة ٢٤٨ ، والكشف عن وجوه القراءات ٥٦/٢ ، والنشر في القراءات العشر ٣١٠/٢ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٩٥/١ .

(٥) معاني القرآن للأخفش ٦١٧/٢ .

(٦) الحجة للقراء السبعة ١٣١/٥ .

قال الفرّاء : «وأكثر العرب على كسر الميم ، من الأمر ومن مِرْفَق الإنسان ، والعرب أيضاً تفتح الميم فيهما ، فهما لغتان في هذا وفي هذا»^(١) . وكأن الذين فتحوا الميم أرادوا أن يفرقوا بين المِرْفَق من الإنسان ، وقال يونس : «الذي أختار المِرْفَق في الأمر ، والمِرْفَق في اليد»^(٢) .

وقال الأصمعي : «لا أعرف إلا الكسر فيهما»^(٣) ؛ يعني كسر الميم في الأمر واليد ، وذكر قطرب اللغتين جميعاً فيهما^(٤) .

١٧ . قوله تعالى : ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾^(٥) الآية ، التاء في قوله : ﴿وَتَرَى﴾ لمخاطب ؛ أي ترى أنت أيها المخاطب الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم ، وليس أن من خوطب بهذا يرى ذلك ، ولكن العادة في المخاطبة تكون على هذا النحو ، ومعناه : أنك لو رأيته على هذه الصورة^(٥) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٣٦ .

(٢) تهذيب اللغة (رفق) ٢ / ١٤٤٤ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٢٧٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢ / ٢٦٨ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٢٧٣ .

(٥) زاد المسير ٥ / ١١٧ ، والقرطبي ١٠ / ٣٦٨ ، والتفسير الكبير ١١ / ٩٩ .

ومعنى ﴿تَزَوَّرُ﴾ . قال ابن عباس : تَنَحَّى^(١) . وقال في رواية الوالبي : «تميل عنهم»^(٢) . ومعنى التَّزَاوَر : التمايل من الزَّوَر والأزور ، فإن قيل : التَّزَاوَر إنما يستعمل في زيارة بعض الناس بعضاً ، فكيف يحسن استعماله بمعنى الميل ، كما قالوا : تمايل ، أجزوا تَزَاوَر مجرى تمايل ، قال الشاعر^(٣) :

كَلَوْنِ الْحِصَانِ الْأَبْطِ الْبَطْنِ قَائِماً تمايلَ عَنْهُ الْجُلُّ وَاللُّونُ أَشْقَرُ

وكذلك قالوا : تتجانف ، بهذا المعنى^(٤) ، وقراءة أهل الكوفة : بحذف تاء التفاعل ، وقرأ ابن عامر : تَزَوَّرُ^(٥) . قال أبو الحسن : «لا يوضع في هذا المعنى إنما يقال : هو مزوَّرٌ عني ؛ أي منقبض»^(٦) . ويدل على أن معنى ازوَرَّ انقبض قولُ عنتره^(٧) :

ازوَرَّ مَنْ وَقَعَ الْقَنَا بِلْبَانِهِ

- (١) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : القرطبي ٣٦٨/١٠ ، وإرشاد العقل السليم ٢١١/٥ ، وروح المعاني ٢٢٢/١٥ .
- (٢) جامع البيان ٢١٠/١٥ ، والدر المنثور ٣٩١/٤ وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .
- (٣) البيت لذي الرمة . والنبط : بياض الجنين ، فإذا كان الفرس أبيض البطن فهو أنبط . قال الليث : النبط والنبطة : بياض تحت أبط الفرس ، وربما عرض حتى يغشى البطن والصدر . انظر : ديوانه ٢٢٧ ، والحجة للقراء السبعة ١٣٣/٥ ، وتهذيب اللغة (نبط) ٣٤٩٧/٤ ، ولسان العرب (نبط) ٤٣٢٦/٧ .
- (٤) الزَّوَرُ : الميل في وسط الصدر ، ويقال للقس : زَوَّرَاءَ لميلها . والإزوار عن الشيء : العدول عنه . انظر : تهذيب اللغة (زار) ١٤٩٩/٢ ، واللسان (زور) ١٨٨٧/٣ .
- (٥) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو : (تَزَاوَر) بتشديد الزاي . وقرأ عاصم ، وحمة ، والكسائي : (تَزَاوَر) خفيفة . وقرأ ابن عامر : (تَزَوَّر) بغير ألف ، على وزن : تَحْمَر . انظر : الحجة للقراء السبعة ١٣١/٥ ، والسبعة ٣٨٨ ، والغاية ٣٠٥ ، والتبصرة ٢٤٨ ، والكشف عن وجوه القراءات ٥٦/٢ .
- (٦) الحجة للقراء السبعة ١٣٢/٥ ، والدر المصون ٤٥٧/٧ ، وروح المعاني ٢٢٢/١٥ .
- (٧) هذا صدر بيت لعنتره ، وعجزه :

وَشَكَآ إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحْمُحُم

ازور من وقع القنسا ، أي أعرض الفرس لما رأى الرماح تقع بنحره . واللبان : الصدر ، وقيل : ما بين الثديين ويكون للإنسان وغيره . والتحمحم : الصوت الخفي ، فإن اشتد فهو الصهيل . انظر : ديوانه ١٨ ، والحجة للقراء السبعة ١٣٢/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٨٦/١٠ .

أي انقبض . والذي حَسَّن القراءة به قول جرير^(١) :

وفي الأَظْعَانِ عَنْ طَلَحٍ أَزْوَارُ

فظاهر استعمال هذا في الأَظْعَانِ مثل استعماله في الشمس^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ ؛ أي ناحية اليمين ، فذات هاهنا صفة قامت مقام الموصوف ، كأنه قيل : ناحية ذات اليمين . قال الأخفش : (وهو نصب على الظرف)^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿تَقْرِضُهُمْ﴾ قال الوالبي عن ابن عباس : (تذرهم)^(٤) .

وقال قتادة : (تدعهم)^(٥) . وقال مقاتل : (تجاوزهم)^(٦) .

وقال الأخفش ، والزَّجَّاج ، وأبو عبيدة : (تعديل عنهم وتركهم)^(٧) . وقال الكسائي : (قرضت المكان ، أي عدلت عنه)^(٨) .

(١) هذا عجز بيت لجرير . وصدره :

عَسَفْنَ عَلَى الْأَمَازِ مِنْ حَبِيٍّ

عسفن : عدلن . والأماز : الواحد أمعز : وهو المكان الصلب الكثير الحجارة والخصي . وطلح : مكان . انظر : ديوانه ١٨٢ ، والحجة للقراء السبعة ١٣٣ / ٥ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ١٣٣ / ٥ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٦١٧ / ٢ .

(٤) جامع البيان ٢١٢ / ١٥ ، والكشف والبيان ٣ / ٣٨٨ .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني ٣٣٦ / ١ ، وجامع البيان ٢١٢ / ١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٣٦٩ .

(٦) الكشف والبيان ٣ / ٣٨٨ ، وتفسير المشكل لمكي بن أبي طالب ١٤٢ .

(٧) تهذيب اللغة (رفق) ١٤٤٤ / ٢ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣ / ٢٧٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢ / ٢٦٨ .

وأُشَدُّ قول ذي الرمة^(١) :

إِلَى ظُعْنٍ يَقْرُضَنَّ أَقْوَاظَ مُشْرِفٍ شِمَالاً وَعَنْ أَيْمَانِنَ الْفَوَارِسُ
وقال أبو عبيد : «القرض في أشياء» ؛ فمنها : القطع ، وكذلك السير في البلاد
إذا قطعتها ، وأُشَدُّ البيت^(٢) .

قال أبو عبيدة : «تقول لصاحبك : هل وردت مكان كذا ؟ فيقول المجيب :
إنما قرضته ذات الشمال ، إذا مرَّ به وتجاوز عنه ، وهو على شماله»^(٣) .

قال الكلبي : «يقول إذا طلعت الشمس مالت عن كهفهم ذات اليمين ،
يعني : يمين الكهف ، وإذا غربت تمر بهم ذات الشمال ، يعني : شمال الكهف لا
تصيبه ، وكان كهفهم نحو بنات نعش^(٤) في أرض الروم»^(٥) .

(١) البيت لذى الرمة .

القَوْزُ : كَثِيبُ الرَّمْلِ الْمُسْتَدِير . وَمُشْرِفٌ ، وَالْفَوَارِسُ : مَوْضِعَان . انْظُرْ : دِيَوَانُهُ ٣١٣ ، وَالْمَحْرَرُ
الْوَجِيزُ ٢٥٧ / ٩ ، وَالْكَشَافُ ٣٨٨ / ٢ ، وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ ٩٣ / ٦ ، وَتَهْذِيبُ اللُّغَةِ (قِرْضُ) ٢٩٣٢ / ٣ ،
وَالدَّرُ الْمَصُونُ ٤٥٨ / ٧ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (قِرْضُ) ٣٥٩٠ / ٦ .

(٢) ذَكَرَهُ الْأَزْهَرِيُّ فِي تَهْذِيبِ اللُّغَةِ (قِرْضُ) ٢٩٣٢ / ٣ .

(٣) ذَكَرَهُ فِي مَجَازِ الْقُرْآنِ ٣٩٦ / ١ .

(٤) بَنَاتُ نَعَشٍ : سَبْعَةُ كَوَاكِبَ ، فَأَرْبَعَةٌ مِنْهَا نَعَشٌ ؛ لِأَنَّهَا مَرِيعَةٌ ، وَثَلَاثَةٌ مِنْهَا بَنَاتٌ ، يُقَالُ لِلْوَاحِدِ مِنْهَا :
ابْنُ نَعَشٍ ؛ لِأَنَّ الْكَوَكَبَ مَذْكُورٌ . انْظُرْ : تَهْذِيبُ اللُّغَةِ (نَعَشُ) ٣٦١١ / ٤ ، وَمَقَايِيسُ اللُّغَةِ (نَعَشُ)
٤٥٠ / ٥ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (نَعَشُ) ٤٤٧٤ / ٧ ، وَالْقَامُوسُ الْمَحِيطُ (نَعَشُ) ٦٠٧ .

(٥) زَادَ الْمَسِيرَ ١٥٧ / ٥ ، وَالْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ٣٦٩ / ١٠ ، وَذَكَرَهُ الْكَشَفُ وَالْبَيَانُ ٣٨٨ / ٣ أَبْلَا
نِسْبَةً .

وقال المفسرون : «أعلم الله تعالى أنه ثواهم في مَقْنَاة^(١) من الكهف مستقبلاً بنات نعش ، تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة ، لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرهما ، وتغير أوانهم ، وتبلي ثيابهم»^(٢) .

وقال أبو علي الفارسي : «إذا مالت الشمس عنهم إذا طلعت ، وتجاوزتهم إذا غربت ، دلّ أن الشمس لا تصيبهم ألبتة ، أو في أكثر الأمر ، فتكون صورهم محفوظة»^(٣) .

هذا الذي ذكرنا قول المفسرين قالوا في سبب ميل الشمس عنهم : «إنهم كانوا في مَقْنَاة»^(٤) . وقال أبو إسحاق : «هذا التفسير ليس بيبين ، إنما جعل الله فيهم هذه الآية أن الشمس لا تقربهم في مطلعها ولا عند غروبها»^(٥) ، ودلّ عليه قوله : ﴿ذَلِكَ مِنْ عَآيَاتِ اللَّهِ﴾ ؛ يعني : أن الله تعالى بقدرته^(٦) حبس عنهم ضوء الشمس وحرّها عند طلوعها وغروبها ، فلا تنالهم طالعة ولا غاربة ، لا يكونهم في مكان لا تصيبه الشمس ، ولكن بقدرة الله تعالى جعل ذلك آية من آياته ، كما قال : ﴿ذَلِكَ مِنْ عَآيَاتِ اللَّهِ﴾^(٧) .

(١) المَقْنُوَّة ، خفيفة ، من الظل : حيث لا تصيبه الشمس في الشتاء . قال أبو عمر : مَقْنَاةٌ وَمَقْنُوَّةٌ بغير همز . وقال ابن السكيت : المَقْنَاةُ : المكان الذي لا تصيبه الشمس . انظر : تهذيب اللغة (قنا) ٣/ ٣٠٥٠ ، ولسان العرب (قنا) ٦/ ٣٧٤٦ .

(٢) الكشف والبيان ٣/ ٣٨٨ أ ، وبحر العلوم ٢/ ٢٩٣ ، والنكت والعيون ٣/ ٢٩٠ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١١٧ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٢٥٥ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٣٤ .

(٤) معالم التنزيل ٥/ ١٥٧ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٢٥٥ ، والبحر المحيط ٦/ ١٠٨ ، وأضواء البيان ٤/ ٤٣٥ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٧٣ .

(٦) قوله : (بقدرته) ، ساقط من نسخة (س) .

(٧) الكشف ٢/ ٣٨٢ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٢٩٥ . وهذا القول هو الراجح - والله أعلم - للقرينة

القرآنية ، وهي قوله : ﴿ذَلِكَ مِنْ عَآيَاتِ اللَّهِ﴾ قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٣٤ : «وأما القول =

ثم أخبر أنهم كانوا في متسع من الكهف ، ينالهم فيه برد الريح ، ونسيم الهوى فقال : «وهم في فجوة منه» ؛ أي من الكهف ، والفجوة : متسع في مكان^(١) .

قال أبو عبيدة : «وجمعها فَجَوَات»^(٢) وَفَجَا ، نحو : زَكَوَات وَزَكَاء . ومنه الحديث : «فإذا وجد فجوة نصَّ»^{(٣)(٤)} .

وقال مجاهد : «الفجوة : المكان الذاهب»^(٥) . يعني : الذاهب في السعة والعرض . قال ابن عباس في قوله : ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ﴾ . «يريد في سعة»^(٦) ، ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ ؛ أي ذلك التزاور والقرض من دلائل قدرة الله ولطفه بأصحاب الكهف . ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ ، أشار إلى أن الله تعالى هو الذي تولى هداية

الذي تدل القرينة في هذه الآية على صحته فهو أن أصحاب الكهف كانوا في فجوة من الكهف على سميت تصيبه الشمس وتقابله ، إلا أن الله منع ضوء الشمس من الوقوع عليهم على وجه خرق العادة ، كرامة لهؤلاء القوم الصالحين الذين فروا بدينهم طاعة لربهم جل وعلا .

وقال الشوكاني في تفسيره ٣/ ٣٩٢ : «فإن صرف الشمس عنهم مع توجه الفجوة إلى مكان تصل إليه عادة أنسب بمعنى كونها آية ، ويؤيده أيضاً إطلاق الفجوة وعدم تقيدها بكونها إلى جهة كذا» . وانظر : معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٧٣ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠٠ .

(١) انظر : تهذيب اللغة (فج) ١٠/ ٥٠٧ ، ومقاييس اللغة (فجج) ٣/ ٢٧٤٢ ، والقاموس المحيط (فج) ٢٠٠ ، والصحاح (فجج) ٢٠٦ ، والمفردات في غريب القرآن (فجج) ٣٧٣ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٩٦ .

(٣) النص : نصّ الدابة ينصّها نصّاً : رفعها في السير ، قال أبو عبيد : النص التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها . وأصل النص أقصى الشيء وغايته ، ثم سمي به ضرب من السير سريع . انظر : تهذيب اللغة (نصّ) ٤/ ٣٥٨٥ ، ولسان العرب (نصص) ٧/ ٤٤٤١ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الجهاد ، باب : السرعة في السير ٣/ ١٠٩٣ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب : الحج ، باب : الإفاضة من عرفات إلى مزدلفة ٢/ ٩٣٦ ، وأبو داود في سننه ، كتاب : الحج ، باب : الدفعة من عرفة ٢/ ٤٧٢ ، والنسائي في سننه ، كتاب : الحج ، باب : كيف يسير من عرفة ٥/ ١٨٣ ، ومالك في الموطأ ، كتاب : الحج ، باب : السير إلى عرفة ١/ ٣٩٢ .

(٥) جامع البيان ١٥/ ١٤٠ ، وتفسير مجاهد ٤٤٦ .

(٦) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢١٢-٢١٣ ، بمعناه ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٨ ب ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٥٧ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٢٩٥ .

أصحاب الكهف^(١)، ولولا ذلك لم يهتدوا، فالمهتدي من هداه الله كهؤلاء، ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحْدِلَهُ. وَلَيَأْتِرْ شِدَا﴾، كدقيانوس الكافر وأصحابه.

١٨. قوله تعالى: ﴿وَتَحَسَّبُهُمْ﴾ معنى هذا الخطاب على ما ذكرنا في قوله: ﴿وَنَرَى السَّمَاسَ﴾؛ أي لو رأيتهم لحسبتهم أيقاظاً، هو جمع أيقاظ، ويقظ، ويقظان، قاله الأخفش، وأبو عبيدة، والزجاج^(٢). وأنشدوا لرؤبة^(٣):

ووجدوا إخوانهم أيقاظاً

ومثله: نَجْدٌ، نُجْدٌ، وَأَنْجَادٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾؛ أي نائمون، وهو مصدر سَمِّيَ به، كما يقال: قوم ركوع، وقعود، وسجود، يوصف الجميع بالمصدر^(٤)، ومن قال: إنه جمع راقد، فقد أبعد؛ لأنه لم يجمع فاعل على فعول^(٥).

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٧٤، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٦١٧، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٩٦.

(٣) هذا صدر بيت لرؤبة، وعجزه:

وَسَيْفٌ غَيَّاطٌ لَهُمْ غَيَّاطَا

انظر: ديوانه ٨١، ومجاز القرآن ١/ ٣٩٧، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٧٤، وجامع البيان ١٥/ ٢١٣.

(٤) القرطبي ١٠/ ٣٧٠، والتفسير الكبير ١١/ ١٠١، وروح المعاني ١٥/ ٢٢٤.

(٥) معالم التنزيل ٥/ ١٥٧، والدر المصون ٧/ ٤٦٠، وقال القاسمي في تفسيره ١٠/ ٤٠٣٢: «وما قيل أنه مصدر أطلق على الفاعل واستوى فيه القليل والكثير كركوع وقعود؛ لأن فاعلاً لا يجمع على فعول، مردود بما نص عليه النحاة كما صرح به في المفصل والتسهيل».

«وإنما يحسبون أيقاظاً ؛ لأن أعينهم مفتحة وهم نيام»^(١)، قاله الكلبي . وحكى أبو إسحاق : «لكثرة تقلبهم ، يظن أنهم غير نيام . قال : ويدل على هذا قوله : ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾»^(٢) ، وعلى هذا يجب أن يكثر تقلبهم .

قال قتادة : «ذكر لنا أن أبا عياض»^(٣) قال : كان لهم في كل عام تقلبتان»^(٤) .

وهو قول أبي هريرة^(٥) . قال ابن عباس في رواية عطاء : «لئلا تأكل الأرض لحومهم ، ولا تبليهم»^(٦) .

وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد قال : «يمكنون رقوداً على أيماهم تسع سنين ، ثم يقلبون على شأئهم فيمكنون رقوداً تسع سنين»^(٧) . ﴿ذَاتَ﴾ منصوبة على الظرف ؛ لأن المعنى : تقلبهم في ناحية اليمين ، كما قلنا في قوله : ﴿تَزَوُّرَ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ .

(١) النكت والعيون ٢٩١/٣ ، ومعالم التنزيل ١٥٨/٥ ، والكشاف ٣٨٣/٢ ، والمحرق الوجيز ٢٥٩/٩ ، وقال الألوسي في تفسيره ٢٢٤/١٥ : «ولو صحَّ فتح أعينهم بسند يقطع العذر كان آيين في هذا الحسبان» .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢٧٤/٣ .

(٣) عمرو بن الأسود العنسي ، الهمداني ، الدمشقي ، الدارني ، أبو عياض ، مخضرم ، من كبار التابعين ، أخرج له الستة ، وكان من زهاد الشام الكبار ، روى عن عمر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، وروى عنه عدد من التابعين ، توفي - رحمه الله - في خلافة معاوية رضي الله عنه . انظر : طبقات ابن سعد ١٥٣/٧ ، والجرح والتعديل ٢٢٠/٣ ، والحلية لأبي نعيم ١٥٥/٥ ، وتهذيب التهذيب ٤/٨ .

(٤) جامع البيان ٢١٣/١٥ ، والمحرق الوجيز ٢٦٠/٩ ، ذكره من دون نسبة ، والدر المنثور ٢٩١/٤ ، والتفسير الكبير ١٠١/١١ .

(٥) معالم التنزيل ١٥٨/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٧٠/١٠ ، والتفسير الكبير ١٠١/١١ .

(٦) جامع البيان ٢١٤/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٥٨/٥ ، وزاد المسير ١١٨/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٨٥/٣ .

(٧) روح المعاني ٢٢٥/١٥ ، وذكره الرازي في التفسير الكبير ١٠١/١١ ، وقال : «هذه التقديرات لا سبيل للعقل إليها ، ولفظ القرآن لا يدل عليها ، وما لم يأت فيه خبر صحيح فكيف يعرف ؟» .

وقوله تعالى : ﴿وَكَلَبُهُمْ بَسِطَ ذِرَاعَيْهِ﴾ . قال ابن عباس وأكثر المفسرين : «هربوا ليلاً من ملكهم ، فمروا براع معه كلب ، فتبعهم على دينهم ومعه كلبه»^(١) . وقال كعب : «مروا بكلب فنبح عليهم فطردوه ، فعاد ففعلوا ذلك مراراً ، فقال لهم الكلب : ما تريدون مني ؟ لا تخشوا جانبي ، أنا أحب أحباء الله ، فناموا حتى أحرسكم»^(٢) .

وقال عبيد بن عمير : «كان ذلك كلب صيدهم»^(٣) .

ومعنى : ﴿بَسِطَ ذِرَاعَيْهِ﴾ ؛ أي يلقيهما على الأرض مبسوطتين غير مقبوضتين ، ومنه الحديث في الصلاة : أنه نهى عن افتراش السبع ، وقال : «لا تفتش ذراعيك افتراش السبع»^(٤) ، هو أن يضعهما على الأرض ، والذراع : اسم جامع في كل ما يسمى يداً من ذوي الأبدان .

(١) المحرر الوجيز ٢٦١/٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٧٠/١٠ ، والتفسير الكبير ١١/١٠١ ، والدر المنثور ٤/٣٨٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٧٠/١٠ ، والتفسير الكبير ١١/١٠١ ، وروح المعاني ١٥/٢٢٥ .

(٣) المحرر الوجيز ٢٦١/٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٧٠/١٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/٨٥ ، والتفسير الكبير ١١/١٠١ ، ومحاسن التأويل ١١/٤٠٣٢ .

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : الاعتدال في السجود ٢/٢٨٨ ، وأبو داود في سننه ، كتاب : الصلاة ، باب : صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود ١/٥٣٩ ، والنسائي في سننه ، كتاب : التطبيق ، باب : النهي عن بسط الذراعين في السجود ، وأحمد في مسنده ٥/٤٤٧ ، وأخرج نحوه الترمذي في جامعه ، كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في الاعتدال في السجود ، حديث رقم (٢٧٥) ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» ، وأورده ابن الأثير في جامع الأصول ، كتاب : الصلاة ، باب : هيئة الركوع والسجود ٥/٣٧٤ .

قال الليث : «الذراع : من طرف المرفق إلى أطراف الأصبع الوسطى»^(١) .
قال ابن السكيت : «الذراع مؤنثة ، تقول : هذه ذراع»^(٢) .

قال أبو علي : «لولا حكاية الحال لم يعمل اسم الفاعل في ذراعيه ؛ لأنه إذا مضى اختص وصار معهوداً ، فخرج بذلك من شبه الفعل ، ألا ترى أن الفعل لا يكون معهوداً ، فكما أن اسم الفاعل إذا وصف وحقر لم يعمل عمل الفعل لزوال شبهه عنه ، كذلك إذا كان ماضياً ، ولكن المعنى على حكاية الحال الماضية»^(٣) .
وهذا الفصل نذكره بأشرح من هذا عند قوله : ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف : ٢٢] .

وقوله تعالى : ﴿يَالْوَصِيدِ﴾ . قال ابن عباس في رواية علي وعطاء : «بالفناء»^(٤) ، وهو قول أكثر المفسرين ، قال مجاهد والضحاك : «يعني فناء الكهف»^(٥) ، وبه قال أكثر أهل اللغة .

روى أبو عبيد عن الأحمر^(٦) : «الوصيد : الفناء»^(٧) .

(١) تهذيب اللغة (ذرع) ١٢٧٧/٢ ، والقاموس المحيط (الذراع) ٧١٦ ، ولسان العرب (ذرع) ١٤٩٥/٣ .

(٢) تهذيب اللغة (ذرع) ١٢٧٧/٢ ، والقاموس المحيط (الذراع) ٧١٦ ، والصحاح (ذرع) ١٢٠٩/٣ .

(٣) الكشف ٣٨٣/٢ ، والبحر المحيط ١٠٩/٦ ، والدر المصون ٤٦٠/٧ ، وشرح الكافية الشافية ١٠٤٣/٢ .

(٤) جامع البيان ٢١٤/١٥ ، وتفسير المشكل من غريب القرآن ١٤٢ ، واللغات في القرآن ٣٣ ، ومعاني القرآن للقرآن ١٣٧/٢ ، ومعالم التنزيل ١٥٨/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٣/١٠ .

(٥) جامع البيان ٢١٤/١٥ ، ومعاني القرآن للقرآن ١٣٧/٢ ، وتفسير كتاب الله العزيز ٤٥٣/٢ ، ومعالم التنزيل ١٥٨/٥ .

(٦) أبان بن عثمان بن يحيى بن زكريا اللؤلؤي البجلي بالولاء ، أبو عبدالله المعروف بالأحمر ، عالم بالأخبار والأنساب ، أصله من الكوفة ، وكان يسكنها تارة ، ويسكن البصرة تارة أخرى ، أخذ عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وأبو عبدالله بن سلام وغيرهما ، وله مصنفات وكتب . انظر : بغية الوعاة ١٧٧ ، وإنباه الرواة ١٧٠/١ ، والأعلام ٢٧/١ .

(٧) تهذيب اللغة (وصد) ١٦٥/١ .

- وقال الزَّجَّاج : «الوصيد : فناء البيت ، وفناء الدار»^(١) .
- وقال أبو عبيدة : «الوصيد : الفناء ، والجميع وصائد ووصد»^(٢) .
- وقال يونس والأخفش والفرّاء : «الْوَصِيد والأَصِيد لغتان ، مثل : الوِكَاف»^(٣) والإِكاف»^(٤) .
- وقال الكسائي : «أهل تهامة»^(٥) يقولون : الوصيد ، وهو الفناء ، وأهل نجد^(٦) يقولون : الأصيد ، والقرآن بلغة تهامة نزل»^(٧) .
- وقال السدي : «الوصيد : الباب ، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس»^(٨) . واختيار المبرّد قال : «﴿بِالْوَصِيدِ﴾ عند أهل اللغة : بالباب ؛ أي بحضرة الباب ، يقال : فلان بالباب ، وإنما يراد بحضرة الباب» .

-
- (١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٧٤ / ٣ .
- (٢) مجاز القرآن ٢٧٤ / ٣ .
- (٣) يقال : استوكف : استقطر ، والوكاف لغة في الإكاف . والوكف : الإثم والعيب ، والوكف : النطع ، والوكاف والإكاف : يكون للبعير والحصان والبغل ، والجمع وكف . انظر : تهذيب اللغة (وكف) ٣٩٤٦ / ٤ ، ومقاييس اللغة (وكف) ١٣٩ / ٦ ، والصحاح (وكف) ١٤٤١ / ٤ ، ولسان العرب (وكف) ٤٩٠٨ / ٨ .
- (٤) معاني القرآن للفرّاء ١٣٧ / ٢ ، وتهذيب اللغة (وصد) ١٦٥ / ١ ، والتفسير الكبير ١٠١ / ١١ .
- (٥) تهامة بكسر التاء : اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز ومكة من تهامة ، وقيل : تهامة إلى عرق اليمن إلى أسياف البحر إلى الجحفة وذات عرق .
- انظر : معجم البلدان ٦٣ / ٢ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٤٤ / ٣ .
- (٦) نجد بفتح أوله وسكون ثانيه : اسم للأرض العريضة التي أعلاها تهامة واليمن ، وأسفلها العراق والشام ، فما ارتفع من بطن الرمة فهو نجد إلى ثانيا ذات عرق . انظر : معجم البلدان ٢٦١ / ٥ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١٧٥ / ٣ .
- (٧) جامع البيان ٢١٥ / ١٥ ، وزاد المسير ١١٩ / ٥ ، وتهذيب اللغة (وصد) ١٦٥ / ١ .
- (٨) معالم التنزيل ١٥٨ / ٥ ، والكشاف ٣٨٣ / ٢ ، وزاد المسير ١١٩ / ٥ .

وقال عطاء : «الوصيد : عتبة الباب»^(١) . وهو اختيار ابن قتيبة قال : «لأنهم يقولون : أوصد بابك ؛ أي أغلقه ، قال : وأصله أن تلتصق الباب بالعتبة [إذا أغلقته ، والكهف لم يكن له باب ولا عتبة ، وإنما أراد أن الكلب منه بموضع العتبة من البيت]^(٢) ، قال : وقد يكون الوصيد الباب نفسه»^(٣) ، وأنشد^(٤) :

بأرضٍ فضاءٍ لا يسدُّ وصيدها عليٍّ ومعروفٍ بها غيرُ منكرٍ

ويقال : أصدت الباب ، وأوصدته إذا أطبقته ، وباللغتين قرئ : ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]^(٥) . فمن قال : أصدت بالهمزة ، قال : الأصيد ، ومن قال : أوصدت ، قال : الوصيد ، ويقال للمطبق : الأصاد والوصاد ، وهذا الاشتقاق يوجب أن يكون معنى الوصيد : الباب المطبق المجافي ، فالذين قالوا : إنه الباب ، وافق قولهم أصل اللفظ في اللغة ، ويكون معنى الوصيد في الكهف : بأنه المسدود ، كما روي في القصة : أن باب الكهف سدَّ عليهم ، والذين قالوا : إنه الفناء ؛ فلأن الكلب إذا كان داخل الكهف وراء بابه المسدود كان بالفناء ؛ لأن ما جاوز فم الكهف كان من جملة الفناء ، والكلب كان في آخر الفناء عند

(١) تفسير المشكل من غريب القرآن ١٤٢ ، والنكت والعيون ٢٩٢ / ٣ ، ومعالم التنزيل ١٥٤ / ٣ ، والكشاف ٣٨٣ / ٢ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س) .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١ / ٢٦٥ ، والنكت والعيون ٢٩٢ / ٣ .

(٤) البيت ينسب إلى عبيد بن وهب العبيسي . انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١ / ٢٦٥ ، والنكت والعيون ٢٩٢ / ٣ ، والبحر المحيط ٦ / ٩٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٣٥١ ، وروح المعاني ١٥ / ٢٢٦ ، والدر المصون ٧ / ٤٦١ .

(٥) قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وعاصم في رواية أبي بكر ، والكسائي : (موصدة) بغير همز ، وقرأ أبو عمرو ، وحزمة ، وحفص عن عاصم : (مؤصدة) بالهمز . انظر : السبعة ٦٨٦ ، والتبصرة ٣٨١ ، والمبسوط في القراءات ٤١٠ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٣٧٧ .

الباب . والقولان صحيحان على ما بينا^(١) ، وأما ما روي عن سعيد بن جبير أنه فسر الوصيد : «الصعيد ، والتراب»^(٢) ، فإنه أراد الفناء ، ولكنه عبر بالصعيد .

وقوله تعالى : ﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ؛ أي أشرفت عليهم ، يقال : أطلعت فلاناً على الشيء فاطلع هو ، قال الله تعالى : ﴿فَاطْلَعَ قَرَأَهُ﴾ [الصفات : ٥٥] .

﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ ؛ أي لأدبرت وانقلبت منهم فراراً . قال الزَّجَّاج : «منصوب على المصدر ؛ لأن معنى وليت منهم : فررت منهم»^(٣) . ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ ؛ أي فزعاً وخوفاً ، قال المفسرون : «هو أن الله تعالى منعهم بالربع لئلا يراهم أحد»^(٤) .

وقال أبو إسحاق : «قيل في التفسير : إنهم طالت شعورهم جداً ، وأظفارهم ، فلذلك كان الرائي لو رآهم لهرب مرعوباً»^(٥) .

(١) قال الطبري في تفسيره ٢١٥ / ١٥ : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال الوصيد : الباب أو فناء الباب ، حيث يغلق الباب ، وذلك أن الباب يوحد ، وإيصاده إطباقه وإغلاقه من قول الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [الهمزة : ٨] . وانظر : أضواء البيان ٤١ / ٤ .

(٢) جامع البيان ٢١٤ / ١٥ ، والمحرق الوجيز ٢٦٣ / ٩ ، وزاد المسير ١١٩ / ٥ ، والدر المنثور ٣٩٢ / ٤ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٧٥ / ٣ .

(٤) جامع البيان ٢١٥ / ١٥ ، والنكت والعيون ٢٩٣ / ٣ ، ومعالم التنزيل ١٥٩ / ٥ ، والمحرق الوجيز ٢٦٤ / ٩ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٧٥ / ٣ . وهذا قول بعيد ، ولو كانت حالهم هكذا لم يقولوا : ﴿لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف : ١٩] ، وإنما الصحيح - والله أعلم - في أمرهم أن الله - عز وجل - حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون لهم ولغيرهم آية . قال الشوكاني في تفسيره ٣٩٣ / ٣ : ويدفعه قوله تعالى : ﴿لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ؛ فإن ذلك يدل على أنهم لم ينكروا من حالهم شيئاً ولا وجدوا من أظفارهم وشعورهم ما يدل على طول المدة . وانظر : المحرق الوجيز ٢٦٤ / ٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٧٣ / ١٠ .

وفي قوله : ﴿وَلَمْلَمْتُ﴾ قراءتان : التخفيف ، والتشديد^(١) ، والاختيار التخفيف . قال أبو الحسن : «الخفيفة أجود في كلام العرب ، يقولون : ملأني رعباً ، ولا يكادون يعرفون^(٢) ملأني^(٣)» . ويدل على هذا كثرة استعمالهم الملء كقوله^(٤) :

فيملاً بيتنا أقطاً وسمناً

وقول الآخر^(٥) :

وَمِنْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالْدُمَى
وقول الآخر^(٦) :

لا تملأ الدلو وعرق فيها

- (١) قرأ ابن كثير ، ونافع : (وَلَمْلَمْتُ) بالتشديد والهمز . وقرأ ابن عامر ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وحزة ، والكسائي : (وَلَمْلَمْتُ) بالتخفيف والهمز . انظر : السبعة ٣٨٩ ، والحجة للقراء السبعة ١٣٤ / ٥ ، والغاية ٣٠٥ ، والتبصرة ٢٤٨ ، والنشر في القراءات العشر ٣١٠ / ٢ .
(٢) من هنا ساقط حتى قوله : « . . . المختلفون في عدد » من نسخة (ص) .
(٣) الحجة للقراء السبعة ١٣٤ / ٥ ، والتفسير الكبير ١٠١ / ١١ .
(٤) هذا صدر بيت لأمري القيس . وعجزه :

وحسبك من غنى شبع وري

- والأقط : شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك ثم يوصل .
والسمن : سلاء الزبد . انظر : ديوانه ١٧١ ، والحجة للقراء السبعة ١٣٤ / ٥ ، والتفسير الكبير ١٠٢ / ١١ ، ولسان العرب (سمن) ٢١٠٤ / ٤ .
(٥) لم أعتد إلى قائله ، وأورد أبو علي الفارسي الشطر الأول منه في كتابه الحجة للقراء السبعة ١٣٥ / ٥ من دون نسبة ، وكذلك الرازي في التفسير الكبير ١٠٢ / ١١ .
(٦) هذا شطر بيت من الرجز . وبعده :

ألا ترى حبار من يسقيها

عرق : عرق الدلو جعل فيها ماء قليلاً . انظر : الحجة للقراء السبعة ١٣٥ / ٥ ، وتهذيب اللغة (عرق) ٢٤٠٩ / ٣ ، ولسان العرب (عرق) ٢٩٠٥ / ٥ ، والتفسير الكبير ١٠٢ / ١١ ، ومجالس ثعلب ٢٣٨ .

وقول الآخر^(١) :

امتلاً الحوضُ وقالَ قُطْنِي

وامتلاً يدل على ملاً ؛ لأنه مطاوعه ، وقد جاء التثني أيضاً ، أنشدوا للمُخَبَّل السعدي^(٢) :

وَإِذَا فَتَكَ النِّعْمَانُ بِالنَّاسِ مُحَرِّمًا فَمُلِمِّيْ مَنْ عَوْفِ بْنِ كَعْبٍ سِلَاسُلُهُ
قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ أشار إلى ما تقدم من قوله : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى
ءَاذَانِهِمْ ﴾ [الكهف : ١١] ، وقوله : ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف : ١٣] ، وقوله :
﴿ وَنَقَلْنَاهُمْ ﴾ ؛ أي كما فعلنا بهم هذه الأشياء بعثناهم ، قال ابن قتيبة : « أجسامهم
من تلك النومة التي تشبه الموت »^(٣) .

١٩ . وقوله تعالى : ﴿ لَيْتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ﴾ . قال أبو علي الجرجاني : « ليكون
بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم »^(٤) .

(١) هذا شطربيت من الرجز . وبعده :

مهلاً رويداً قد ملأْتُ بَطْنِي

قطني : بمعنى حسبي . وقد تقدم .

(٢) هذا البيت ضمن قصيدة قالها حينما بعث النعمان إلى كعب بن عوف جيشاً في الشهر الحرام وهم آمنون
فقتل فيهم وسبى . انظر : الحجة للقراء السبعة ٥ / ١٣٥ ، وتهذيب اللغة (فتك) ٣ / ٢٧٣٧ ، ولسان
العرب (فتك) ٦ / ٣٣٤٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٣٧٤ .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١ / ٢٦٥ .

(٤) ذكر نحوه بلا نسبة الرازي في التفسير الكبير ٢١ / ١٠٢ ، والطبرسي في مجمع البيان ٦ / ٧٠٥ ، وقال
الشوكاني في فتح القدير ٣ / ٢٩٣ : « ليقع التساؤل بينهم والاختلاف والتنازع في مدة اللبث لما يترتب
على ذلك من انكشاف الحال وظهور القدرة الباهرة ، والاقتصار على علة التساؤل لا ينفي غيرها ،
وإنما أفرده لاستتباعه لسائر الآثار » .

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد كم لنا منذ دخلنا الكهف»^(١) .

﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قال المفسرون : «إنهم دخلوا الكهف غدوة ، وبعثهم الله في آخر النهار ، لذلك قالوا : ﴿يَوْمًا﴾ ، فلما رأوا الشمس قالوا : ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ، وكان قد بقيت من النهار بقية»^(٢) .

﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يرد تمليخا رئيسهم ، رد علم ذلك إلى الله»^(٣) ، ﴿فَاَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ ، الورق : اسم للدراهم .

وقال أبو عبيدة : «الفضة كانت مضروبة دراهم أو لا»^(٤) ، يدل على هذا ما روي : «أن عرفة»^(٥) اتخذ أنفًا من ورق»^(٦) . وفيه لغات : وَرَق ، وَوَرَق ، وَوَرَق ، مثل كَبَد ، وَكَبَد ، وَكَبَد ، ذكر ذلك الفراء والزجاج^(٧) . وكسر الواو أردوها .

(١) ذكره زاد المسير ١٢٠/٥ ، والتفسير الكبير ١١/١٠٣ من دون نسبة .

(٢) النكت والعيون ٣/٢٩٣ ، ومعالم التنزيل ٥/١٥٩ ، وزاد المسير ٥/١٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٧٥ .

(٣) معالم التنزيل ٥/١٥٩ ، وزاد المسير ٥/١٢٠ ، والتفسير الكبير ١١/١٠٣ .

(٤) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (ورق) ٤/٣٨٧٤ .

(٥) عرفة بن أسعد بن كريب ، وقيل : ابن صفوان التيمي ، العطاردي ، أحد أصحاب النبي ﷺ ، أصيب أنفه يوم الكلاب بالجاهلية ، وكان من أهل البصرة ، روى عنه ابنه طرفة ، وابن ابنه عبدالرحمن . انظر : أسد الغابة ٣/٥١٨ ، والاستيعاب ٣/١٠٦٢ ، والإصابة ٢/٤٦٧ ، وتهذيب التهذيب ٧/١٧٦ .

(٦) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب : الخاتم ، باب : ما جاء في ربط الأسنان بالذهب ٤/٤٣٤ ، والترمذي في جامعه ، كتاب : اللباس ، باب : ما جاء في شد الأسنان بالذهب ٤/٢١١ ، وقال : هذا حديث حسن غريب . والنسائي في سننه ، كتاب : الزينة ، باب : من أصيب أنفه هل يتخذ أنفًا من ذهب ٨/١٦٣ ، والإمام أحمد في مسنده ٤/٣٤٢ ، وابن الأثير في جامع الأصول ، كتاب : الزينة ، فصل : في أنواع من الحلي متفرقة ٤/٧٣١ ، وابن حجر في الكافي الشاف ١٠٣ .

(٧) معاني القرآن للفراء ٢/١٣٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٢٧٥ .

ويقال أيضاً للورق : الرِّقَّة ، قال الأزهري : «أصله : وَرَقَة ، مثل : صِلَة وَعِدَة»^(١) . وإنما قال هذه ؛ لأنه عنى بالورق الدراهم أو الفضة .

قال ابن عباس : «وكانت معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم ، فهربوا منه»^(٢) . ويعني بالمدينة : دقسوس ، وهي مدينتهم ، ويقال : هي اليوم طرسوس^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «يريد : أحل الذبائح»^(٤) .

وهو قول سعيد بن جبير^(٥) ، واختيار الفراء^(٦) . قالوا : لأن عامة بلدهم كانوا مجوساً ، وفيهم قوم يخفون إيمانهم .

وقال مجاهد : «أيها أحل ؟ وكان لهم ملك غشوم يظلم الناس في طعامهم وأسواقهم ، فقالوا لصاحبهم : لا تتبع طعاماً فيه ظلم ولا غصب»^(٧) .

(١) تهذيب اللغة (ورق) ٣٨٧٦/٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٧٠/٢ .

(٢) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : جامع البيان ٢١٦/١٥ ، و«الجامع لأحكام القرآن» ٣٧٥/١٠ ، والتفسير الكبير ١٠٣/١١ .

(٣) طرسوس : بفتح أوله وثانيه وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة ؛ عجمية رومية ، وهي في الإقليم الرابع ، وقالوا : سميت بـ (طرسوس بن الروم بن اليفز بن سام بن نوح) ، وقيل : إن مدينة طرسوس أحدثها سليمان ، كان خادماً للرشد في سنة نيف وتسعين ومائة ، وهي مدينة في ثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . انظر : معجم البلدان ٢٨/٤ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١٥٢/٣ .

(٤) زاد المسير ١٢١/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٧٥/١٠ ، والدر المنثور ٣٩٢/٤ ، والبحر المحيط ١١١/٦ .

(٥) جامع البيان ٢٢٣/١٥ ، وتفسير القرآن للصنعاني ٤٠٠/٤ ، وزاد المسير ١٨٥/٥ .

(٦) معاني القرآن للفراء ١٣٧/٢ .

(٧) زاد المسير ١٢٢/٥ ، والبحر المحيط ١١/٦ ، والتفسير الكبير ١٠٣/١١ .

وذكر أبو إسحاق القولين جميعاً ، وقال : « الآية من باب حذف المضاف ؛ لأن المعنى أي أهلها أذكى طعاماً ؛ أي أحل ، إما من جهة أنه ذبيحة مؤمن ، وإما من جهة أنه لا غصب فيه ، هذا معنى قوله . قال : و﴿ أَيَّاهُ ﴾ رفع بالابتداء ، و﴿ أَزْكَى ﴾ خبره ، و﴿ طَعَامًا ﴾ منصوب على التمييز»^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَيَتَلَطَّفْ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد يكون ذلك في ستر وكتمان»^(٢) ، يعني دخول المدينة وشراؤه الطعام ، ومعنى ﴿ وَلَيَتَلَطَّفْ ﴾ : وليدقق النظر وليحتل حتى لا يطلع عليه .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ . قال ابن عباس : « يريد لا يخبرنَّ بكم ولا بمكانكم أحداً من أهل المدينة»^(٣) .

وقال أبو إسحاق : « أي إن ظهر عليه فلا يوقعن إخوانه في ما يقع فيه»^(٤) . وهذا خلاف ما ورد في التفسير ، فقد ذكر السدي وغيره : « أن الرسول خرج من عندهم وقد أخذ عليه المواثيق ، لئن أخذت لتدلن علينا ولا تستأثر بالشهادة»^(٥) ، وهذا أليق بحالهم مما ذكره أبو إسحاق . والمعنى ما قاله ابن عباس ، أنه لا يتولى إعلام أحد ، ثم إن عرف واحد دلَّ على أصحابه ليشاركوه في الشهادة .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُنِيبُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَعْلَنُ مَا لَهُمْ عَلَيْهِمْ وَأَعْلَنُ مَا لَهُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ ؛ أي يطلعوا ويشفروا على مكانكم أو على أنفسكم ، من قولهم : ظهرت على فلان إذا علوته ، وظهرت على السطح إذا صرت فوقه ، ومنه قوله : ﴿ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ [الصف : ١٤] ؛

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٧٦ .

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٥/ ١٦٠ من دون نسبة .

(٣) ذكره جامع البيان من دون نسبة ١٥/ ٢٢٤ ، وكذلك الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٧٥ ، والتفسير الكبير ١١/ ١٠٣ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٧٦ .

(٥) ذكر نحوه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ أ .

أي عالين^(١) غالبين ، وكذلك قوله : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾
[التوبة : ٣٣] ؛ أي ليعليه ، وقد مر .

وقوله تعالى : ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يقتلوكم»^(٢) . والرجم بمعنى
القتل قد ورد كثيراً في التنزيل كقوله : ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود : ٩١] ، وقوله :
﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم : ٤٦] ، وقوله : ﴿أَنْ تَرْجُمُونَ﴾ [الدخان : ٢٠] ، وأصله : الرمي .

قال أبو إسحاق : «أي يقتلوكم بالرجم ، والرجم من أخبث القتل»^(٣) .
ولما كانوا بالرجم سُمِّيَ القتل رجماً ، وقد يسمى السب والشتم رجماً ، وهو قول
ابن جريج في هذه الآية^(٤) ؛ وذلك لأنه رمي بالقبيح من القول .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ يُعَذِّبُكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ . قال ابن عباس : «يردوكم إلى
دينهم»^(٥) ، ﴿وَلَنْ تَفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ ؛ أي إن رجعتم إلى دينهم لن تسعدوا في الدنيا
ولا في الآخرة .

قال الزَّجَّاج : «(إذ) يدل على الشرط ؛ أي ولن تفلحوا إن رجعتم إلى ملتهم
أبدًا»^(٦) .

٢١ . وقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا عَلَيْهِمُ﴾ الآية . قال العلماء بأخبار
القدماء : «إن الفتية لما هربوا من ملكهم دقيانوس ودخلوا الكهف ،

(١) قوله : (عالين) ساقطة من نسخة (س) .

(٢) ذكره النكت والعيون من دون نسبة ٢٩٥/٣ ، وكذلك معالم التنزيل ١٦٠/٥ من دون نسبة ، وزاد
المسير ١٢٢/٥ ، والتفسير الكبير ١٠٣/١١ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٧٦/٣ .

(٤) جامع البيان ٢٢٤/١٥ من دون نسبة ، والنكت والعيون ٢٩٥/٣ ، وزاد المسير ١٢٢/٥ .

(٥) ذكره زاد المسير من دون نسبة ١٢٢/٥ ، والتفسير الكبير ١٠٣/١١ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٧٦/٣ .

أمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم ، ويدعوهم كما هم في الكهف يموتون عطشاً وجوعاً ، وليكن كهفهم الذي اختاروا قبراً لهم ، وهو يظن أنهم أيقاظ ، وقد توفي الله تعالى أرواحهم وفاة النوم ، ثم إن رجلين مؤمنين كتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص ، وجعلاه في تابوت من نحاس ، وجعلوا التابوت في البنيان الذي بنوا على باب الكهف ، وقالوا : لعل الله يظهر على هؤلاء قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة ، فيعلم خبرهم حين يقرأ هذا الكتاب . ثم انقرض أهل ذلك الزمان وخلفت بعدهم قرون وملوك كثيرة ، وملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له : تندوسيس ، وتحزب الناس في ملكه أحزاباً ؛ منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ، ومنهم من يكذب ، فكبر ذلك على الملك الصالح وبكى إلى الله وتضرع إليه ، وقال أي رب ، قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم أن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها . فألقى الله تعالى في نفس رجل^(١) من أهل ذلك البلد الذي هو به الكهف أن يهدم البنيان الذي على فم الكهف فيبني^(٢) به حظيرة لغنمه ففعل ذلك ، وحجب الله الفتية عن الناس بالرعب ، فلم يتجاسر أن يدخل عليهم أحد ، وبعث الله الفتية من نومهم فجلسوا فرحين ، وأرسلوا أحدهم ليطلب لهم طعاماً ، فاطلع الناس على أمرهم كما ذكر في القصة ، وبعثوا إلى الملك الصالح تندوسيس ليعلموه الخبر ، ليعجل القدوم عليهم وينظر إلى آية من آيات الله جعلها الله في ملكه آية للعالمين ، فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة ، فلما بلغه الخبر حمد الله تعالى ، وركب معه أهل مدينته حتى أتوا مدينة أصحاب الكهف ، ثم صعدوا

(١) قوله : (رجل) ، ساقط من نسخة (س) .

(٢) في (س) : (فيجنى) ، وهو تصحيف .

نحو الكهف حتى أتوه . فذلك قوله : ﴿وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ﴾ ؛
أي أطلعنا وأظهرنا عليهم ، كذا قال المفسرون^(١) . وذكرنا هذا عند
قوله : ﴿فَإِنْ عُرِثَ﴾ [المائدة : ١٠٧] .

وقوله تعالى : ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ﴾ . قال ابن عباس : «يريد الملك
ورعيته»^(٢) ، أن البعث والثواب والعقاب حق ، والقيامة لا شك فيها .

وقوله تعالى : ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ﴾ . اختلفوا في هذا التنازع ، فالأشبه
ما قال عكرمة : «أن أهل ذلك الزمان تنازعوا بالبعث»^(٣) . كما ذكرنا في القصة .

والمراد بقوله : ﴿أَمْرُهُمْ﴾ ما تنازعوا فيه من أمر البعث . و﴿إِذْ﴾ منصوب
بقوله : ﴿أَعِزَّنَا﴾ ، والمعنى : أطلعنا عليهم إذ وقعت المنازعة في أمرهم^(٤) . قال
أبو إسحاق : «ويجوز أن يكون منصوباً بقوله : ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ ؛ أي ليعلموا في وقت
منازعتهم»^(٥) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله : ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ﴾ «وذلك
أن الرجل إذ خرج ليشترى لهم الطعام لما وقف يتنازع ، نظروا إلى درهمه ، فإذا
عليه صورة دقيانوس» ، وذكر القصة^(٦) . فعلى هذا التنازع هو تنازع القوم مع هذا
الواحد الذي كان يطلب لهم الطعام وتكذيبهم إياه في ما كان يخبر به .

(١) انظر : جامع البيان ١٥ / ٢٢٥ ، والكشاف ٢ / ٣٨٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ٨٧ ، والجامع
لأحكام القرآن ١٠ / ٣٧٨ ، والدر المنثور ٤ / ٣٨٨ .

(٢) ذكره النكت والعيون من دون نسبة ٣ / ٢٩٥ ، ومعالم التنزيل ٥ / ١٦١ من دون نسبة ، والجامع
لأحكام القرآن ٥ / ١٢٣ .

(٣) تفسير كتاب الله العزيز ٢ / ٢١ ، ومعالم التنزيل ٣ / ١٥٦ ، وزاد المسير ٥ / ١٢٣ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٢٧٦ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن ٢٩٦ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٢٧٦ .

(٦) النكت والعيون ٣ / ٢٩٥ ، والكشاف ٢ / ٣٨٤ ، وزاد المسير ٥ / ١٢٣ ، وتفسير القرآن العظيم
٣ / ٨٧ .

وقال قوم : «يعني تنازعوا في قدر مكثهم ولبثهم»^(١) . وقيل : «تنازعوا في عددهم»^(٢) ، وهذا لا يتجه ؛ لأن قوله : ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ﴾ إما أن يتعلق بقوله : ﴿أَعْتَرْنَا﴾ ، أو بقوله : ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ على ما بينا . وإذا جعلنا التنازع في قدر المكث أو في العدد لم يصح المعنى ، إلا أن يجعل تمام الكلام عند قوله : ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ ، ثم يقول : ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ﴾ ؛ أي اذكر يا محمد ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ مدة مكثهم ، أو في عددهم فلا يتعلق بما قبله . ومنهم من قال : «هذا التنازع يعود إلى التنازع في البنيان ، والمسجد» ، يروى هذا عن ابن عباس^(٣) . يدل على هذا سياق الآية ، وهو قوله : ﴿فَقَالُوا أَبْنَاءُ عَلَيْنَا﴾ ، يعني استروهم من الناس ، قال ذلك المفسرون^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ يدل على أنه وقع تنازع في عدتهم ، فمعنى ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ ؛ أي بعددهم كما قال : ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٢] ، ويحتمل أن هذا من قول الله ابتداء ، ويحتمل أنه من قول بعض الناس الذين تكلموا في عددهم^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿قَالَ الَّذِي غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد المؤمنين الذين لم يشكوا في البعث» . قال المفسرون : «هم تندوسيس الملك وأصحابه»^(٦) .

(١) معالم التنزيل ١٦١/٥ ، والتفسير الكبير ١١/١٠٤ .

(٢) معالم التنزيل ١٦١/٥ ، وزاد المسير ١٢٣/٥ ، والتفسير الكبير ١١/١٠٤ .

(٣) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة . انظر : النكت والعيون ٣/٢٩٦ ، ومعالم التنزيل ١٦١/٥ ، وزاد المسير ١٢٣/٥ ، والبحر المحيط ٦/١١٣ .

(٤) الكشف ٢/٣٨٤ ، وزاد المسير ١٢٣/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/٨٧ ، أي سدودا عليهم باب كهفهم ، والتفسير الكبير ١١/١٠٥ .

(٥) البحر المحيط ٦/١١٣ ، والتفسير الكبير ١١/١٠٥ .

(٦) معالم التنزيل ١٦١/٥ ، والكشف ٢/٣٨٤ ، وزاد المسير ١٢٤/٥ ، وروح المعاني ١٥/٢٣٦ .

﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ قال أبو إسحاق : «هذا يدل على أنه لما ظهر أمرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور ؛ لأن المساجد للمؤمنين»^(١) . ومعنى : ﴿عَلَيْهِمْ﴾ هاهنا وفي قوله : ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾ أنهم يجعلون وراء ذلك ، كما يقال : بنى عليه جداراً ، إذا حوطه وجعله وراء الجدار ، وقد ذكر في قصتهم : «أن الملك جعل على باب الكهف مسجداً يصلى فيه ، وجعل عنده عيداً عظيماً ، وأمر أن يؤتى كل سنة»^(٢) . وقد نسقت شرح هذه الآية على ما أمكن ، والآية مشكلة الظاهر والنظم ، والله أعلم بما أراد .

٢٢ . قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الآية . قال المفسرون : «إن نصارى نجران^(٣) كانوا عند النبي ﷺ ، فجرى ذكر أصحاب الكهف ، فقالت اليعقوبية^(٤) منهم : كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم .

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٧٧/٣ .

(٢) ذكر نحوه البغوي في معالم التنزيل بلا نسبة ١٦١/٥ ، والسيوطي في الدر المنثور ٣٩٢/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٣) نَجْرَان : بفتح النون وإسكان الجيم : بين مكة واليمن ، قيل : أول من عمرها نجران بن زيدان بن سبأ بن قحطان ، وكان أهلها يدينون بالنصرانية ، حتى فتحت سنة عشر صلحاً ، وهي الآن مدينة من مدن المملكة العربية السعودية . انظر : معجم البلدان ٢٦٦/٥ ، ومعجم ما استعجم ١٢٩٨ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١٧٦/٣ .

(٤) اليعقوبية : فرقة من النصارى ، منسوبون إلى يعقوب البرذعاني وكان راهباً بالقسطنطينية ، قالوا : إن المسيح هو الله نفسه - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - وإنه تعالى مات ، وإن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر ، ثم قام ورجع كما كان ، وإنه عاد محدثاً وأن المحدث عاد قديماً . انظر : الملل والنحل ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، والفصل في الملل والأهواء والنحل ٤٩/١ .

وقالت النسطورية^(١) : كانوا خمسة سادسهم كلبهم . وقال المسلمون : كانوا سبعة وثمانهم كلبهم ، هذا حكاية ما ذكره المفسرون^(٢) .

ونظم الآية يوجب أن يكون هذا التنازع بعد نزول الآية ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ ، وهذه السنين للتأخير ، فالآية تكون نازلة قبل هذا التنازع ، أخبر الله فيها أنه سيقع نزاع في عددهم ، ثم وقع ذلك على ما في الآية ، يدل على هذا أن السورة مكية ، ووفد نجران إنما أتوا النبي ﷺ بعد الهجرة .

واختلف النحويون في نظم هذه الآية وسقوط الواو من قولهم : رابعهم وسادسهم ، ودخولها في ثامنهم ، بعد اجتماعهم على أن قوله : ﴿ ثَلَاثَةٌ ﴾ مرفوع بالابتداء محذوف على تقدير : هم ثلاثة^(٣) .

فقال صاحب النظم : ﴿ رَابِعُهُمْ ﴾ ابتداء ، و ﴿ كَلْبُهُمْ ﴾ خبره ، وهو جملة في موضع الحال لقوله : ﴿ ثَلَاثَةٌ ﴾^(٤) . وتأويله : سيقولون ثلاثة بهذه الحال فيكون قوله : ﴿ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ توقيتاً للآية وحالاً لهم ، وكذلك قوله : ﴿ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ ﴾ ، قال أبو الفتح الموصلي : « لا يجوز أن تكون الجملة حالاً لثلاثة ؛ لأنك

(١) النسطورية : فرقة من فرق النصارى ، منسوبون إلى نسطور ، وكان بالقسطنطينية ، قالوا : إن مريم لم تلد الإله ، وإنما ولدت الإنسان ، وإن الله تعالى لم يلد الإنسان وإنما ولد الإله . تعالى الله عما يقولون . انظر : الملل والنحل ٢٢٥ ، والفصل في الملل والأهواء والنحل ١ / ٤٩ .

(٢) الكشف والبيان ٣ / ٣٨٩ ب ، وبحر العلوم ٢ / ٢٩٥ ، ومعالم التنزيل ٥ / ١٦١ ، والكشاف ٢ / ٣٨٥ ، وزاد المسير ٥ / ١٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٣٨٢ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٢٧٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢ / ٢٧١ .

(٤) ذكر نحوه بلا نسبة البحر المحيط ٦ / ١١٤ ، والدر المصون ٧ / ٤٦٦ ، وروح المعاني ١٥ / ٢٤٠ .

وقال العكبري في إملاء ما من به الرحمن ٣٩٦ : « رابعهم مبتدأ وكلبهم خبره ، ولا يعمل اسم الفاعل هنا ؛ لأنه ماض والجملة صفة لثلاثة وليس حالاً ، إذ لا عامل لها ؛ لأن التقدير : هم ثلاثة ، وهم لا يعمل ولا يصح أن يقدر هؤلاء لأنها إشارة إلى حاضر ولم يشير إلى الحاضر » .

لو فعلت ذلك لم يجد الحال ما ينصبها ، ألا ترى أن التقدير : سيقولون : هم ثلاثة ، وليس في قولك : هم ثلاثة ما يجوز أن ينصب الحال»^(١) .

وقال آخرون : ﴿رَابِعُهُمْ﴾ وصف لثلاثة ، على أن يكون ﴿كَلْبُهُمْ﴾ رفع برابع ، كما تقول : عندي غُلامٌ ضاربه زيد ، فيرفع ضاربه ؛ لأنه وصف لغلام ، وترفع زيد بفعله ، وهو الضرب»^(٢) .

قال أبو الفتح : «وهذا الوجه أيضاً غير جائز ، من قبل أن رابعهم في هذا الموضع ، وإن كان اسم فاعل ، فإنه أراد به الماضي ، وإذا كان اسم الفاعل ماضياً في المعنى لم يجوز أن يعمل عمل الأفعال ، لا رفعاً ولا نصباً ؛ ألا ترى أنك لا تقول : هذا رجل غلام أخوه ، فترفع الأخ بفعل ، وتجعل الغلام فعلاً له ؛ لأن اسم الفاعل إذا أريد به الماضي جرى مجرى غلام ورجل وفرس وما لا معنى فعل فيه ، فقد بطل إذن أن يرتفع ﴿كَلْبُهُمْ﴾ بما في ﴿رَابِعُهُمْ﴾ من معنى الفعل»^(٣) . وقد ذكرنا هذا الفصل عند قوله : ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِطَ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف : ١٨] ، من كلام أبي علي .

وقال بعضهم : ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ مبتدأ وخبر ، والجملة وصف لثلاثة ، كما تقول : هؤلاء ثلاثة غلامهم رابعهم»^(٤) .

قال أبو الفتح : «وهذا الوجه غير سائغ ولا مختار ، وإن كان في غير هذا الموضع جائزاً . والذي منع من إجازته هاهنا وضعفها أن الجملة التي في آخر الكلام [فيها واو العطف ، وهو قوله : ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامُنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ، فكما ظهرت الواو في آخر الكلام]^(٥) فكذلك هي - والله أعلم - مرادة في أوله ؛ لتجنس الجمل

(١) سر صناعة الإعراب ٢ / ٦٤٣ .

(٢) سر صناعة الإعراب ٢ / ٦٤٣ .

(٣) سر صناعة الإعراب ٢ / ٦٤٣ .

(٤) سر صناعة الإعراب ٢ / ٦٤٣ .

(٥) ما بين المعقوفين مكرر في نسخة (س) .

في أحوالها والمراد بها ، فكأنه قيل : سيقولون : ثلاثة ورابعهم كلبهم ، ويقولون : خمسة وسادسهم كلبهم رجماً بالغيب ، ويقولون : سبعة وثامنهم كلبهم ، إلا أن الواو حذفت من الجملتين المتقدمتين ؛ لأن الذي فيهما من الضمير يعقدما بما قبلهما لا عقد الحال ولا عقد الوصف لما ذكرنا ، ولكن عقد الإتيان ، لاسيما وقد ظهرت الواو في الجملة الثالثة ، فدل ذلك على أنها مرادة في الجملتين المتقدمتين . انتهى كلامه ^(١) .

ونحو هذا قال أبو علي في هذه الآية فقال : «قوله : ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ و﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ، جملتان استغني عن حرف العطف فيهما بما تضمنتا من ذكر الجملة الأولى ، وهي قوله : ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ ، والتقدير : هم ثلاثة» ^(٢) . وهذا الذي ذكره أبو علي وأبو الفتح في وجه نظم هذه الآية معنى قول أبي إسحاق : «دخول الواو في ﴿وَتَامِنُهُمْ﴾ وإخراجها من الأول واحد» ^(٣) . وعلى ما قالوا قوله : ﴿رَابِعُهُمْ﴾ عطف على خبر الابتداء الذي هو ثلاثة ، كما تقول : هو حلو وحامض . و﴿كَلْبُهُمْ﴾ مرفوع على أنه نعت لقوله : ﴿رَابِعُهُمْ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿رَجَمًا بِالْغَيْبِ﴾ . الرجم : القول بالظن والحدس ^(٤) .

-
- (١) سر صناعة الإعراب ٢/ ٦٤٤ .
 (٢) الحجة للقراء السبعة ١/ ٢٨ .
 (٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٢٧ .
 (٤) الحدس : التوهم في معاني الكلام والأمر . انظر : تهذيب اللغة (حدس) ١/ ٧٦٤ ، ومقاييس اللغة (حدس) ٢/ ٣٣ ، والقاموس المحيط (الحدس) ٥٣٧ ، والصحاح (حدس) ٣/ ٩١٥ ، ولسان العرب (حدس) ٢/ ٨٠٥ .

ومنه قول زهير^(١) :

وما هُوَ عنها بالحديثِ المرجمِ

وذلك أنه رمى الظن إلى ذلك الشيء . قال أبو إسحاق : «أي تقولون ذلك رجماً ؛ أي ظناً وتخترصاً»^(٢) . ومعنى قول المفسرين : ظناً من غير يقين .

وقوله تعالى : ﴿يَالْغَيْبِ﴾ الباء هاهنا ظرف للرجم ، والتأويل : يرحمون القول فيهم بالغيبة عنهم ، وتلخيصه : بالمكان الغائب عنهم ، كما تقول : هو يحسن القول فيك بالغيب ، ويظهر الغيب ، والمعنى : أنهم يقولون هذا القول من غير مشاهدة .

وقوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامُنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «حين وقعت الواو وانقطعت العدة»^(٣) ؛ يريد أنهم سبعة وثمانهم كلبهم ، وإلى هذا المعنى أشار أبو إسحاق فقال : «وقد يجوز أن يكون الواو يدخل ليدل على انقطاع القصة وأن الشيء قد تم»^(٤) . إلى هاهنا إخبار عما يقوله المختلفون في عدد أصحاب الكهف ، ثم قال : ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ؛ أي ما يعلم عددهم إلا قليل من الناس . قال ابن عباس : «أنا من ذلك القليل»^(٥) . فقال في

(١) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى . وصدره :

وما الحربُ إلَّا ما علمتُم وذقتم

انظر : ديوانه ٨١ ، وتهذيب اللغة (رجم) ١٣٧٥ / ٢ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ١٤٠ ، وخزانة الأدب ١٠ / ٣ ، ولسان العرب (رجم) ١٦٠٢ / ٣ ، وجمع الهوامع ٩٢ / ٢ ، والدر المصون ٤٦٧ / ٧ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢٧٧ / ٣ .

(٣) الكشف ٣٨٥ / ٢ ، وروح المعاني ٢٤٢ / ١٥ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢٧٧ / ٣ .

(٥) من قوله : «يعرفون ملائتي . . .» . إلى هنا ساقط من نسخة (ص) .

(٦) جامع البيان ٢٢٦ / ١٥ ، وتفسير القرآن للصنعاني ٣٣٧ / ١ ، ومعالم التنزيل ١٦٢ / ٥ ، والكشاف ٣٨٥ / ٢ ، والدر المنثور ٣٩٣ / ٤ .

رواية الضحاك : «أنا من أولئك القليل ، ثم ذكرهم بأسمائهم ، فذكر سبعة»^(١) .
وقال في رواية عكرمة : «كانوا سبعة»^(٢) . وقال في رواية سعيد بن جبير : «كانوا
سبعة أو ثمانية»^(٣) . وقال في رواية عطاء الخراساني : «﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ،
يعني أهل الكتاب»^(٤) .

وروى السدي عن ابن عباس قال : «أرجو أن أكون من القليل ، أظن القوم
كانوا ثلاثة ، يقول واحد منهم : كم لبثتم ؟ فقال الثاني : لبثنا يوماً أو بعض يوم ،
قال الثالث : ربكم أعلم بما لبثتم»^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرًا﴾ . قال السدي : «يقول بما أوحى
إليك من القرآن»^(٦) .

وقال سفيان : «إلا بما قصصنا عليك في القرآن»^(٧) .

وروي عن ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك في قوله : ﴿إِلَّا مِرَّةً ظَهَرًا﴾
«حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم»^(٨) . وقال ابن زيد : «المراء الظاهر : أن

-
- (١) معالم التنزيل ١٦٢/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٨٤/١٠ ، والدر المنثور ٣٩٣/٤ .
(٢) تفسير كتاب الله العزيز ٤٥٦/٢ ، وجامع البيان ٢٢٦/١٥ ، والنكت والعيون ٢٩٧/٣ ، والمحرر
الوجيز ٢٧٥/٩ .
(٣) ذكره الشنقيطي في أضواء البيان ٧٥/٤ ونسبه إلى ابن جريج .
(٤) جامع البيان ٢٢٦/١٥ ، والكشف والبيان ٣٨٩/٣ ، والكشاف ٣٨٥/٢ .
(٥) بحر العلوم ٣٩٥/٢ ، والمحرر الوجيز ٢٧٥/٩ ، ومعالم التنزيل ١٦٢/٥ .
(٦) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز بلا نسبة ٢٧٥/٩ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٨٤/١٠ .
(٧) ذكرت كتب التفسير نحوه بلا نسبة . انظر : جامع البيان ٢٢٧/١٥ ، والنكت والعيون ٢٣٨/٣ ،
وزاد المسير ١٢٧/٥ ، ولباب التأويل ٢٠٧/٤ .
(٨) جامع البيان ٢٢٧/١٥ ، وتفسير القرآن للصنعاني ٣٣٧/١ ، والنكت والعيون ٢٩٨/٣ ، وزاد المسير
١٢٧/٥ ، والدر المنثور ٣٩٣/٤ .

تقول لهم : ليس كما تقولون ، ليس كما تعلمون عدتهم»^(١) ؛ يعني إنما يعلمهم القليل . ومعنى المراء في اللغة : الجدال ، يقال : مَارَى يُهَارِي ، مُمَارَاةٌ وَمِرَاءٌ ؛ أي جادل^(٢) .

قال أبو إسحاق : «أي لا تأت في أمرهم بغير ما أوحى إليك ؛ أي أفت في قصتهم بالظاهر الذي أنزل عليك»^(٣) . فعلى ما قالوا المراء الظاهر هو : أن يجادلهم بما أنزل إليه من أنه لا يعلم عددهم إلا القليل ، كما قال ابن زيد .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ ؛ أي في أصحاب الكهف ﴿مِنْهُمْ﴾ ؛ أي من اليهود وأهل الكتاب . قال الفراء : «هم فريقان أتوه من أهل نجران : يعقوبي ونسطوري ، فسألهم النبي ﷺ عن عددهم فنهي»^(٤) . قال أصحابنا : «وهذا دليل على منع المسلمين من استفتاء اليهود والنصارى»^(٥) .

٢٣ . قوله تعالى : ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ . ذكرنا قبل هذا سبب نزول هذه الآية^(٦) . قال المفسرون : «هذا تأديب من الله تعالى لنبيه عليه السلام ، وأمر له بالاستثناء في ما يعزم بمشيئة الله ، إذا

(١) جامع البيان ٢٢٧/١٥ ، وزاد المسير ١٢٧/٥ .

(٢) المراء : المماراة والجدل ، وأصله في اللغة : الجدال وأن يستخرج الرجل من مناظرة كلاماً ومعاني الخصومة وغيرها . انظر : تهذيب اللغة (مرى) ٣٣٨٣/٤ ، ومقاييس اللغة (مرى) ٣١٤/٥ ، ومختار الصحاح (مرا) ٢٦٠ ، والمصباح المنير (المرى) ٢١٧ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢٧٧/٣ .

(٤) معاني القرآن للفراء ١٣٨/٢ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٣٨٤/١٠ .

(٦) عند قوله سبحانه في سورة الإسراء [٨٥] ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ . وعند قوله سبحانه في سورة الكهف [٩] ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا﴾ .

قلت لشيء : إني فاعله غداً ، فقل إن شاء الله^(١) . قال الفرّاء في قوله :
«إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» : إِلَّا أَنْ يَرِيدَ اللَّهُ^(٢) .

قال أبو إسحاق : «موضع ﴿أَنْ﴾ نصب ، المعنى : لا تقولن إني أفعل إلا بمشيئة الله^(٣) . جعل أبو إسحاق ﴿أَنْ﴾ مع الفعل مصدراً وأضمر الباء .

وقال الأخفش : «أي إلا أن يقول : إن شاء الله . فأجزأ من ذلك هذا ، وكذلك إذا طال الكلام أجزأ فيه ، شبيه بالإيحاء ؛ لأن بعضه يدل على بعض^(٤) . ونحو هذا روي عن المبرّد عن الكسائي والفرّاء قالا : «المعنى إني فاعل ذلك غداً إلا أن يقول : إن شاء الله^(٥) ، فأضمر القول ، ومثله كثير في القرآن ، وهذا على ما ذكروا ، ولما حذف يقول نقل شاء إلى لفظ الاستقبال .

٢٤ . وقوله تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ . أكثر الناس على أن معناه : إذا نسيت الاستثناء بمشيئة الله تعالى فاذكره ، وقله إذا ذكرت .

قال ابن عباس رواية عطاء : «يريد الاستثناء ولو بعد شهر^(٦)» . يعني أن من قال : أفعل غداً كذا وكذا ، ونسي أن يقول : إن شاء الله ، فقد واقع ما نهى الله عنه ، فإذا ذكر أنه كان قد نسي الاستثناء فقال له وضع عنه الحرج .

(١) جامع البيان ٢٢٨/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٦٢/٥ ، والمحزر الوجيز ٢٧٧/٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٨٨/٣ .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ١٣٨/٢ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢٧٨/٣ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٦١٨/١ .

(٥) معاني القرآن للفرّاء ١٣٨/٢ ، وإملاء ما من به الرحمن ٣٩٧/١ .

(٦) زاد المسير ١٢٩/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٨٩/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٨٦/١٠ ، والتفسير الكبير ١١٠/١١ .

وقال سعيد بن جبير : «إذا قلت لشيء إنك فاعله غداً ، فنسيت أن تقول : إن شاء الله ، ثم تذكّرت ، فقل : إن شاء الله ، وإن كان بعد يوم أو شهر أو سنة»^(١) .

وقال أبو العالية : «إذا ذكرت فاستثن»^(٢) .

وقال عمرو بن دينار : «له الاستثناء متى ما ذكر»^(٣) . هذا كله في ما يعد من نفسه أن يفعله من غير يمين ، فإن حلف ثم استثنى بمشيئة الله متصلاً بيمينه فلا حنث عليه ، كذلك روى أبو هريرة عن النبي ﷺ : «مَنْ حلف فقال : إن شاء الله ، لم يحنث»^(٤) .

وروى ابن عمر عن النبي ﷺ قال : «مَنْ حلف على يمين ، فقال : إن شاء الله ، فهو بالخيار»^(٥) .

-
- (١) الكشف ٢/ ٣٨٦ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٨ ، والدر المنثور ٤/ ٣٩٤ ، والتفسير الكبير ١١/ ١١٠ .
- (٢) انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٢٩ ، والمحرم الوجيز ٩/ ٢٧٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٢٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٩ ، والدر المنثور ٤/ ٣٩٤ .
- (٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٣/ ٤٣١ ، وذكرته كتب الفقه بلا نسبة . انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٢٣٥ ، وأحكام القرآن للجصاص ٥/ ٤١ ، والجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٧٣ ، والمغني لابن قدامة ١٣/ ٤٨٥ .
- (٤) أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب : الكفارات ، باب : الاستثناء في اليمين ١/ ٦٨٠ ، والنسائي في سننه ، كتاب : الأيمان والنذر ، باب : الاستثناء ٧/ ٢٣ ، والترمذي في جامعه ، كتاب : النذور والأيمان ، باب : ما جاء في الاستثناء في اليمين ٤/ ٩١ وقال : حديث حسن . والإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٧٥ ، والدارمي في سننه ، كتاب : النذور والأيمان ، باب : في الاستثناء في اليمين ٢/ ١٠٦ ، وابن الأثير في جامع الأصول ، كتاب : الأيمان ، باب : في الاستثناء في اليمين ١١/ ٦٦٤ .
- (٥) أخرجه نحوه الترمذي في جامعه ، كتاب : النذور والأيمان ، باب : الاستثناء في اليمين ٤/ ٩١ ، والنسائي في سننه ، كتاب : الكفارات ، باب : الاستثناء ٧/ ٢٣ ، وابن ماجة في سننه ، كتاب : الكفارات ، باب : الاستثناء في اليمين ١/ ٦٨٠ ، والإمام أحمد في مسنده ٦/ ٢ ، ومالك في الموطأ ، كتاب : الأيمان ، باب : ما لا تجب فيه الكفارة من اليمين ٢/ ٤٧٧ ، والدارمي في سننه ، كتاب : النذور والأيمان ، باب : في الاستثناء في اليمين ٢/ ١٠٦ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٩٥ .

ولا خلاف في هذا بين الناس ، وإنما الخلاف فيه إذا انقطع الاستثناء عن اليمين ، روى قتادة عن الحسن في الرجل يحلف فيستثني في يمينه قال : «له ثنياء إذا اتصل كلامه ، ولم يكن بين ذلك كلام»^(١) .

وقال طاووس : (له ثنياء ما كان في مجلسه)^(٢) . وعن حماد^(٣) قال : (إن استثنى في نفسه فليس بشيء حتى يسمع نفسه)^(٤) .

وقال الحسن : «إذا حرَّك لسانه أجزأ عنه»^(٥) . ومذهب الشافعي رحمه الله : أن الحالف إذا نسي الاستثناء موصولاً بكلامه ، فات وقته في الطلاق والعتاق وسائر الأيمان^(٦) . حتى قال بعض أصحابنا : «إنما ينفعه الاستثناء إذا أنشأ أول يمينه مع نية الاستثناء ثم وصله باليمين ، فإن أنشأ اليمين ثم بدا له أن يستثنى فوصل الاستثناء لم ينفعه»^(٧) .

والصحيح : أنه إذا اتصل نفع ، ووقع موقعه^(٨) .

(١) المحرر الوجيز ٢٧٨/٩ ، وزاد المسير ١٢٩/٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٨٩/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٨٦/١٠ ، والمغني لابن قدامة ٢٧٣/١٣ .

(٢) الكشف ٣٨٦/٢ ، والمحرر الوجيز ٢٧٨/٩ ، والتفسير الكبير ١١٠/١١ ، وروح المعاني ٢٤٩/١٥ ، والدر المنثور ٣٩٤/٤ .

(٣) حماد بن زيد بن درهم الأزدي ، تقدمت ترجمته .

(٤) ذكرته كتب الفقه بلا نسبة . انظر : أحكام القرآن للجصاص ٤١/٥ ، والمحلى ٤٠٦/٨ ، وبلغة السالك ٧٠٠/١ ، والمغني لابن قدامة ٤٨٥/٣ ، كتاب : الأيمان والنذور لأبي فارس ٣٧ .

(٥) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٦/٢٨٣ بلا نسبة ، وابن قدامة في المغني ٤٨٥/١٣ .

(٦) انظر : الأم للشافعي ٦٥/٧ ، وروضة الطالبين ٣/١١ ، والجامع لأحكام القرآن ٦/٢٧٤ .

(٧) انظر : الأم للشافعي ٦٥/٧ ، وروضة الطالبين ٤/١١ ، وأحكام القرآن للجصاص ٤١/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٦/٢٨٣ ، والمغني لابن قدامة ٤٨٤/١٣ .

(٨) وهذا ما عليه جمهور العلماء . قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره ٢٢٩/١٥ : «فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال إلا أن يكون استثناءه موصولاً بيمينه» . وقال الشنقيطي في أضواء البيان ٧٩/٤ :

«والتحقيق الذي لا شك فيه أن الاستثناء لا يصح إلا مقترناً بالمستثنى منه ، وأن الاستثناء المتأخر لا =

وروي عن ابن عباس أنه قال : «يستثني الرجل في يمينه متى ما ذكر ، وإن تطاول الزمان ، وقرأ هذه الآية»^(١) . وهذا لا يصح ؛ لأن سبيل الاستثناء ألا يكون منفرداً بنفسه ، هو مضممر كلام غيره ، والآية وردت في غير اليمين ، وليس في الآية : ولا تحلفن على شيء إني فاعل ذلك غداً ، يدل على هذا سبب نزول الآية ، والنبى ﷺ لما سأله عن قصة أصحاب الكهف قال : غداً أخبركم ، ولم يحلف على ذلك ، ويؤكد هذا ما روي أن النبى ﷺ قال : «مَنْ حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منه ، فليأت الذي هو خير ويكفر عن يمينه»^(٢) .

ولو كان يخرج بقوله : إن شاء الله عن الحنث ، لقال : وليقل : إن شاء الله ، وأيضاً فإن الإنسان إذا حلف من غير نية [فقد تمت يمينه واستقرت ، فلم يجز أن ينقض حكمها شيء يحدثه بعد ذلك ، بخلاف ما يقارنه الاستثناء]^(٣) ؛ لأنه لا يستقر ، على أن كثيراً من المفسرين حملوا قوله : ﴿وَأَذْكُرُّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ على غير الاستثناء ؛ لأن قوله : ﴿وَأَذْكُرُّكَ﴾ ابتداء كلام آخر وقصة أخرى ، والاستثناء الذي ذكر وقع في موضعه متصلاً .

أثره ولا تحل به اليمين ، ولو كان الاستثناء المتأخر يصح لما علم في الدنيا أنه تقرر عقد ولا يمين ولا غير ذلك ، لاحتمال طرؤ الاستثناء بعد ذلك . وانظر : روضة الطالبين ٤/١١ ، وبداية المجتهد ٤٠٦/٨ ، وأحكام القرآن للكنيا المهراس ٢٠٧/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٦/٢٧٣ ، والمغني لابن قدامة ١٣/٤٨٤ .

(١) ذكرت نحوه كتب التفسير . انظر : جامع البيان ١٥/٢٢٩ ، والكشف والبيان ٣/١٣٨٩ ، والمحرم الوجيز ٩/٢٧٨ ، ومعالم التنزيل ٥/١٦٢ ، وزاد المسير ٥/١٢٩ ، وابن كثير ٣/٨٩ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : الأيمان والنذور ، باب : قول الله تعالى : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة : ٢٢٥] ٨/٢٢٩ ، ومسلم ، كتاب : الأيمان ، باب : نذر من حلف يميناً ، فرأى غيرها خيراً منها ٣/١٢٦٨ ، والنسائي كتاب : الأيمان والنذور ، باب : الكفارة قبل الحنث ٧/٩ ، وابن ماجه ، كتاب : الكفارات ، باب : من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها ١/٦٨١ ، ومالك في الموطأ ، كتاب : الأيمان ، باب : ما جاء فيه الكفارة من الأيمان ٢/٤٧٨ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، والمثبت في بقية النسخ .

قال عكرمة : ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال : إذا غضبت»^(١) .

ومعناه أنه إنما يغضب لما يطرأ عليه من نسيان ذكر الله ، فأمر بذكر الله ليزول غضبه . وروي عن السدي والضحاك أنها قالا : «هذا في من نسي صلاة فعليه أن يصليها إذا ذكرها»^(٢) .

وقال المبرّد : «إن ابن عباس أعلم من أن يسقط حكم الحنث بالاستثناء الذي لا يصله الحالف بيمينه ، ولعله قال هذا في الاستثناء من غير يمين كما قال المفسرون ، قال : إذا نسي أن يقول : إن شاء الله ، ثم ذكر فليقله . فظن بعض الناس أنه يقول ذلك في اليمين ، فروي عنه ذلك في اليمين»^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي﴾ إلى آخرها ، قال أبو إسحاق : «أي قل : عسى أن يعطيني ربي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد ، وأدل من قصة أصحاب الكهف»^(٤) .

قال المفسرون : «إن الله - عز وجل - فعل به ذلك حيث آتاه من علم غيوب المرسلين ، وخبرهم ما كان أوضح في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف»^(٥) .

(١) جامع البيان ١٥/٢٢٩ ، ومعالم التنزيل ٥/١٦٣ ، والمححر الوجيز ٩/٢٧٨ ، وزاد المسير ٥/١٢٩ ، والدر المنثور ٤/٣٩٥ .

(٢) معالم التنزيل ٥/١٦٣ ، والكشاف ٢/٣٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٨٦ .

(٣) انظر : جامع البيان ١٥/٢٢٩ . وقال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/٧٩ : والتحقيق الذي لا شك فيه أن الاستثناء لا يصح إلا مقترناً بالمستثنى منه ، وأن الاستثناء المتأخر لا أثر له ولا تحمل به اليمين ، ولو كان الاستثناء المتأخر يصح لما علم في الدنيا أنه تقرر عقد ولا يمين ولا غير ذلك لاحتمال طرو الاستثناء بعد ذلك ، وهذا في غاية البطالان كما ترى .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٧٨ .

(٥) معالم التنزيل ٥/١٦٣ ، والكشاف ٢/٣٨٧ ، وزاد المسير ٥/١٢٩ ، والتفسير الكبير ١١/١١١ .

وقال بعضهم : «هذا نبأ أمر أن يقوله مع الاستثناء إذا ذكر ، وهو كفارة نسيان الاستثناء أن يقول : ﴿عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ﴾ إلى آخرها»^(١) . والمعنى : عسى أن يهدين حتى لا أنسى الاستثناء بمشيئته ، وهو أقرب رشداً من أن ينسى ذلك .

وقال بعضهم : «هذا في ما ينساه النبي ﷺ أمر أن يذكر الله تعالى فسأله ، أو يذكره ما نسي ، أو يهديه لما هو خير له من ذكر ما نسيه»^(٢) .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿وَلَيْثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ . اختلفوا في معنى هذه الآية على قولين ؛ أحدهما : أن هذا إخبار عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك^(٣) . وهذا قول ابن عباس في رواية الضحاك قال : «إن الرجل ليفسر الآية يرى أنها كذلك فيهوي أبعد مما بين السماء والأرض ثم تلا : ﴿وَلَيْثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ الآية ، ثم قال : كم لبث القوم ؟ قالوا : ثلاثمائة سنة وتسع سنين ، قال : فلو كانوا لبثوا ذلك لم يقل الله : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْثُوا﴾ ، ولكنه حكى مقالة القوم ، فقال : سيقولون : ﴿وَلَيْثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ الآية^(٤) .

(١) جامع البيان ١٥ / ٢٣٠ ، ومعالم التنزيل ٥ / ١٦٤ ، والمحرق الوجيز ٩ / ٢٨١ ، والدر المنثور ٤ / ٣٩٥ .

(٢) معالم التنزيل ٥ / ١٦٤ ، والكشاف ٢ / ٣٨٧ .

(٣) تفسير كتاب الله العزيز ٢ / ٤٥٨ ، وجامع البيان ١٥ / ٢٣٠ ، ومعالم التنزيل ٥ / ١٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٠٠ .

(٤) زاد المسير ٥ / ١٣٠ ، والدر المنثور ٤ / ٣٩٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

وقال قتادة : « هذا قول أهل الكتاب ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا ﴾ قال : ويدل على صحة هذا قراءة ابن مسعود : قالوا لبثوا في كهفهم^(١) . ونحو هذا قال مطر الوراق^{(٢)(٣)} .

القول الثاني : أن هذه الآية إخبار عن الله تعالى ، أخبر عن قدر لبثهم في الكهف من يوم دخلوا إلى أن بعثهم الله وأطلع عليهم الخلق^(٤) ، وهذا قول مجاهد قال في هذه الآية : « هو عدد ما لبثوا »^(٥) ، ونحوه قال عبدالله بن عبيد بن عمير^(٦) ، والضحاك^(٧) .

واختاره الزجاج ، وقال : « هو الأجود عندي »^(٨) ، وهو اختيار ابن قتيبة^(٩) . وعلى هذا القول معنى قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا ﴾ ما قاله القتيبي : « وهو أنهم

(١) جامع البيان ٢٣٠ / ١٥ ، ومعالم التنزيل ١٦٤ / ٥ ، والنكت والعيون ٣٠٠ / ٣ ، والمحرم الوجيز ٢٨٢ / ٩ ، والدر المنثور ٣٩٥ / ٤ .

(٢) مطر بن طهمان الوراق ، أبو رجاء الخراساني السلمي ، مولى علي ، من أهل البصرة ، روى عن أنس ، وعكرمة ، والحسن ، وقاتدة ، وروى عنه إبراهيم بن طهمان ، ومعمربن هشام ، وشعبة ، وغيرهم كثير ، وكان من أكبر أصحاب قتادة ، وثقه بعض العلماء ، توفي سنة ١٢٥ هـ ، وقيل غير ذلك . انظر : الجرح والتعديل ٢٨٧ / ٨ ، والكاشف ١٤٩ / ٣ ، وميزان الاعتدال ١٢٦ / ٤ ، وتهذيب التهذيب ١٥٢ / ١٠ .

(٣) جامع البيان ٢٣١ / ١٥ ، والمحرم الوجيز ٢٨٢ / ٩ .

(٤) جامع البيان ٢٣١ / ١٥ ، ومعالم التنزيل ١٦٤ / ٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٨٩ / ٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٨٦ / ١٠ .

(٥) جامع البيان ٢٣١ / ١٥ ، والكشف والبيان ٣٨٩ / ٣ .

(٦) عبدالله بن عبيد بن عمير الليثي ، المكي ، أبو هاشم ، إمام تابعي مشهور ، عرف بالصلاح والتقوى ، وثقه العلماء ، وروى له الأربعة ، ومسلم في صحيحه ، روى عن أبيه وغيره ، وروى عنه الأوزاعي وطائفة من التابعين ، توفي - رحمه الله - سنة ١١٣ هـ . انظر : طبقات ابن سعد ٢٤٩ / ٥ ، والجرح والتعديل ١٠١ / ٢ ، والحلية ٣٥٤ / ٣ ، وتهذيب التهذيب ٣٠٨ / ٥ ، وشذرات الذهب ١٩٤ / ١ .

(٧) جامع البيان ٢٣١ / ١٥ ، وزاد المسير ١٣٠ / ٥ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٢٧٨ / ٣ .

(٩) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٦٦ / ١ .

اختلفوا في لبثهم فقال الله : ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ الآية ، ثم قال : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ ؛ أي وأنا أعلم بما لبثوا من المختلفين^(١) . وهذا معنى قول الزَّجَّاج ، والكلبي : « قالت نصارى نجران : أما الثلاثمائة فقد عرفناها ، وأما التسع فلا علم لنا بها ، فنزلت : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ »^(٢) .

وقال كثير من أهل التفسير : « معنى قوله : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ أن أهل الكتاب قالوا على رسول الله ﷺ : أن الفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاثمائة وتسع سنين ، فرد الله - عز وجل - عليهم ، وقال : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ بعد أن قبض أرواحهم المرة الثانية إلى يومنا هذا لا يعلم ذلك غير الله تعالى »^(٣) .

هذا الذي ذكرنا تفسير الآية^(٤) ، فأما إعرابها فقال ابن عباس في رواية عطاء : « نزل قوله : ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ فلم يدر رسول الله ﷺ أسنين ، أم أشهر ، أم أيام ، أم ساعات ، حتى نزل جبريل فقال : ﴿سِنِينَ وَأَزْدَادُوا سَعًا﴾ »^(٥) ، ونحو هذا قال الضحاك ، ومقاتل^(٦) . وعلى هذا أجاز ابن مجاهد الوقف على ثلاثمائة ،

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١/ ٢٦٧ .

(٢) معالم التنزيل ٥/ ١٦٥ ، وزاد المسير ٥/ ٩٢ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٧٩ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٣١ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٥ ، والمحزر الوجيز ٩/ ٢٨ ، وزاد المسير ٥/ ١٣٠ .

(٤) قال الطبري - رحمه الله - في تفسيره ١٥/ ٢٣١ : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله عز ذكره ، ولبت أصحاب الكهف في كهفهم رقوداً إلى أن بعثهم الله ليتساءلوا بينهم وإلى أن أعتز عليهم من أعتز ثلاثمائة سنين ؛ وذلك لأن الله بذلك أخبر في كتابه . وقال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ٣/ ٨٩ : والظاهر من الآية إنها هو إخبار من الله لا حكاية عنهم ، ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة ، ثم هي شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور فلا يحتاج بها ، والله أعلم . وانظر : المحزر الوجيز : لابن عطية ٩/ ٢٨٣ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه . انظر : جامع البيان ١٥/ ٢٣١ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٥ ، وزاد المسير ٥/ ١٣٠ ، ولباب النقول في أسباب النزول ١٤٤ ، وجامع النقول في أسباب النزول ٢/ ٢٠٩ .

(٦) الكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ .

لفصل ما بينهما في النزول^(١). والاختيار ترك الوقف ؛ لأن سنين وإن نزل بعد ثلاثمائة فقد التحق به في قول جميع النحويين ، وصار التقدير : سنين ثلاثمائة . قاله الفرّاء ، والزّجاج ، وأبو عبيدة ، والكسائي . وعلى هذا ﴿سِنِينَ﴾ في موضع نصب بالفعل^(٢) . قال أبو إسحاق : « ويجوز في تقدير العربية أن يكون سنين معطوفاً على ثلاث ، عطف البيان والتوكيد »^(٣) . وقال أبو علي : « ﴿سِنِينَ﴾ بدل من قوله : ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ وموضعه نصب ، كما أن موضع المبدل منه كذلك وهذا كما تقول : أعطيته ألفاً درهماً ومائة أثواباً »^(٤) . قال الفرّاء : « ويجوز أن يكون ﴿سِنِينَ﴾ نصباً بالتفسير للعدد ، كما قال عنتره^(٥) :

فيها اثنتان وأربعون حلوبةً سوداً كخافية الغرابِ الأسحمِ
[وهي جمع مفسرة كما يفسر الواحد]^(٦) .

وقال أبو إسحاق : « وجائز أن يكون ﴿سِنِينَ﴾ من نعت المائة ، وهو راجع في المعنى إلى ثلاث ، كما قال الشاعر ، وأنشد البيت »^(٧) [٨] . فجعل سوداً نعتاً

- (١) ذكر نحوه بلا نسبة المكتفى في الوقف والابتداء ٣٦٨ .
- (٢) معاني القرآن للفرّاء ١٣٨ / ٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٧٢ / ٢ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٢٧٨ / ٣ .
- (٣) معاني القرآن للزّجاج ٢٧٨ / ٣ .
- (٤) الحجة للقراء السبعة ١٤١ / ٥ .
- (٥) البيت لعنتره . كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ : أواخر الريش من الجناح مما يلي الظهر ، وسميت بذلك لخفائها . والأسحم : الأسود . والشاهد فيه قوله : (سوداً) ، وهو حال من النكرة (حلوبة) في بعض التخريمات ، وفيه دليل على مجيء صاحب الحال نكرة . واستشهد به أبو حيان على نعت التمييز المفرد بالجمع مراعاة للمعنى . انظر : ديوانه ١٣ ، والحيوان ٣ / ٤٢٥ ، وخزانة الأدب ٧ / ٣٩٠ ، وشرح شذور الذهب ٣١١ ، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ٣٠٥ ، وشرح القصائد العشر ٢١٧ ، والمقاصد النحوية ٤٨٧ / ٤ .
- (٦) معاني القرآن للفرّاء ١٣٨ / ٢ .
- (٧) معاني القرآن للزّجاج ٢٧٨ / ٣ .
- (٨) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .

للحلوبة ، وهي في المعنى نعت لجملة العدد . وهذا القول أحسن من قول الفرّاء ؛ لأنه جعل سوداً تفسيراً للعدد ، وليس كذلك تفسير العدد حلوبة ، وسوداً نعت للحلوبة راجع إلى جملة العدد ، كذلك قوله : ﴿سِينِيك﴾ نعت المائة راجع إلى جملة العدد ، وعلى هذا يكون ﴿سِينِيك﴾ في محل الجر ، غير أنه يفتح النعت بالسينين ؛ لأنها اسم جامد فلا يحسن النعت بها .

وقد حصل في قوله : ﴿سِينِيك﴾ خمسة أوجه من الإعراب : الظرف ، وعطف البيان ، والبدل ، والتفسير ، والنعت . هذا الذي ذكرنا وجه قراءة العامة وهو تنوين (مِائَةٍ) ، وقراءة حمزة ، والكسائي : ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِينِيك﴾ مضافة غير منونة^(١) ، وهذه قراءة غير جيدة^(٢) .

قال أبو الحسن : « لا يحسن إضافة المائة إلى السينين ، لا تكاد العرب تقول : مائة سينين »^(٣) .

(١) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وابن عامر : (ثلاث مائة سينين) منوناً . وقرأ حمزة ، والكسائي : (ثلاث مائة سينين) مضافاً غير منون . انظر : السبعة لابن مجاهد (٣٩٠) ، والحجة للقراء السبعة ٥/١٣٦ ، والمبسوط ٢٣٤ ، والتبصرة (٢٤٨) ، والكشف عن وجوه القراءات ٥٨/٢ ، والنشر ٢/٣١٠ .

(٢) قول المؤلف - غفر الله له - هذه قراءة غير جيدة . غير جيد ؛ لأنها قراءة سبعية صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ ، فلا يجوز الطعن فيها .

قال ابن عطية في تفسيره ٩/٢٨٥ : وهي قراءة ثمانية عشر المغاربة ولا يقوم فيها مخالفة قانون النحاة المشار إليه بقول الخلاصة : ومائة والألف للفرد أضف . لأن القرآن برواية أهل السبع عن رسول الله ﷺ حجة على النحاة لا العكس ، لاسيما وأبو علي الفارسي يرى أن قاعدة إضافة المائة إلى الفرد ، أغلبية لا كلية مطردة ، وبهذا يرد على من أنكر هذه القراءة .

وقال أبو حيان في البحر المحيط ٦/١١٧ : وقرأ حمزة والكسائي مائة بغير تنوين مضافاً إلى سينين أوقع الجمع موقع المفرد ، وأنحى أبو حاتم على هذه القراءة ، ولا يجوز له ذلك .

(٣) الحجة للقراء السبعة ٥/١٣٧ ، ومجمع البيان ٦/٧١٣ .

وقال صاحب النظم : «من أضاف وأظهر العدد اعتسف»^(١) . إلا أن أبا الحسن قال : «هو جائز ، وقد يقوله بعض العرب»^(٢) .

قال الفرّاء : «من العرب من يضع السنين في موضع سنة ، وهي حينئذٍ^(٣) في موضع خفض لمن أضاف»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾ . قال أبو إسحاق : «لا يكون على معنى تسع ليال ، ولا تسع ساعات ؛ لأن العدد يعرف تفسيره ، فإذا تقدم تفسيره استغنى بما تقدم عن إعادة ذكر التفسير ، تقول : عندي مائة درهم وخمسة ، فتكون الخمسة قد دلّ عليها ذكر الدراهم»^(٥) .

وقال أبو علي : «﴿وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾ ؛ أي ازدادوا لُبث تسع ، فحذف المصدر وأقيم المضاف إليه مقامه ، وانتصاب تسع انتصاب المفعول به لا انتصاب الظرف ، كما أن المضاف لو ظهر وأضيف إلى التسع كان كذلك»^(٦) .

٢٦ . قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾ . ذكرنا تفسيره في الآية المتقدمة .

وقوله تعالى : ﴿لَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . ذكرنا تفسيره في آخر سورة هود^(٧) .

(١) ذكر نحوه الفارسي في الحجة للقراء السبعة ١٣٧/٥ بلا نسبة .

(٢) الحجة للقراء السبعة ١٣٧/٥ .

(٣) في (ص) : (مسد) ، وهو تصحيف .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ١٣٨/٢ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢٧٩/٣ .

(٦) الحجة للقراء السبعة ١/٣٢٣ .

(٧) عند قوله سبحانه في سورة هود الآية رقم [١٢٣] : ﴿وَلِلَّهِ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ قال الأخفش : «أي ما أبصره وأسمعه ! كما تقول : أكرم به ! أي ما أكرمه ! قال : ويدلك على ذلك أن العرب تقول : يا أمة الله أكرم بزيد ! فهذا معناه ما أكرمه ! ولو كان يأمرها أن تفعل شيئاً لقال : أكرمي زيدا»^(١) .

وقال الفراء : «﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ يريد الله ، كقولك : أكرم بعبدالله ! ومعناه : ما أكرم عبدالله ! وكذلك قوله : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم : ٣٨] ما أسمعهم وما أبصرهم !»^(٢) .

وقال أبو إسحاق : قوله : «﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ أجمع العلماء أن معناه : ما أسمع وأبصره ! أي هو عالم بقصة أصحاب الكهف وغيرهم»^(٣) .

وقال أبو علي : «العرب تتسع فتقيم المثال الذي يختص بالأمر مقام الخبر ، والمثل المختص بالخبر موقع الدعاء والأمر . مما أقيم من أمثلة الأمر موقع الخبر قولهم : أكرم بزيد ! وقوله تعالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم : ٣٨] ، ومعنى هذا ما أكرم زيدا ، واسمعوا وأبصروا ؛ أي صار زيد ذا كرم ، وصار هؤلاء ذوي أسمع وأبصار . قال : وموضع الباء مع ما بعده من المنجر رفع ، كما أن الباء في : ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ [العنكبوت : ٥٢] كذلك فوق وقع مثال الأمر هاهنا موقع الخبر ، كما وقع مثال الخبر موقع الأمر في الدعاء في مثل : غفر الله لزيد ، وقطع الله يد فلان ، وجاء في التنزيل : ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم : ٧٥] ؛ فهذا لفظه كلفظ أمثلة الأمر ، ومعناه الخبر ، ألا ترى أنه لا وجه للأمر هاهنا وأن المعنى مده الرحمن مداً ، ويدلك على أن المراد بقوله : أكرم بزيد ! أن معناه أنه قد كرم ، وأن الكرم وما أشبهه من الأحداث لا يخاطب ولا يؤمر ولا ينهى ، وأنه ليس للأمر هاهنا معنى ولا متوجه ، وأيضاً فإنك إذا قلت : يا زيد أكرم بعمره ، فليس

(١) معاني القرآن للأخفش ٦١٨/٢ .

(٢) معاني القرآن للفراء ١٣٩/٢ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢٨٠/٣ .

يخلو هذا الفعل من أن يكون له فاعل ، وفاعله لا يخلو من أن يكون المخاطب أو المتعجب منه ، فلو كان المخاطب لوجب أن يجمع الضمير في الفعل ويلحق علامة التأنيث ، فلما لم يفعل من ذلك شيء ، بل أجروا هذا الفعل بعد المذكر والمؤنث والجمع والتثنية مجرى واحد أعلم أن فاعله المتعجب منه دون المخاطب ، وثبت أن الجار مع المجرور في موضع رفع^(١) .

هذا الذي ذكره أبو علي أصل هذا الكلام ، وشرح وضعه ، ثم صار من ألفاظ التعجب حتى لا فصل بين قولك : ما أحسن زيدا ! وقولك : أحسن بزيد ، وإذا كان كذلك فقوله تعالى : ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ . قال المفسرون : « ما أبصر الله بكل موجود ، وأسمعه بكل مسموع »^(٢) .

وقال ابن زيد : « معناه أنه يرى أعمال أهل السموات والأرض ، ويسمع منهم »^(٣) . هذا الذي ذكرنا إجماع من أهل العلم أن قوله : ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ معناه ما أبصره وأسمعه ! .

وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال : « معناه أبصر أوليائي بعجائب القرآن ، وأسمع به أوليائي »^(٤) . وعلى هذا ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ المراد به الأمر ، والمفعول محذوف على تقدير : أبصرهم وأسمعهم ، وقوله : ﴿ بِهِ ﴾ ؛ أي بالقرآن ، كأنه قيل : اجعلهم يبصرون بالقرآن غيري ، وولايتي ويسمعون ذلك^(٥) . والقول الذي عليه الناس هو الأول .

(١) ذكر نحوه في الحجة للقراء السبعة ٢/ ٢٠٥ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٣٢ ، ومعالم التنزيل ٥/ ١٦٥ ، والنكت والعيون ٣/ ٣٠٠ .

(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٣٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٩ .

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : زاد المسير ٥/ ١٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٨٨ ، وروح المعاني ١٥/ ١٥٥ .

(٥) النكت والعيون ٣/ ٣٠٠ ، وزاد المسير ٥/ ١٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٨٨ . والحق أن

يقال في تفسير هذه الآية : ما أبصره وما أسمعه سبحانه وتعالى ! وذكر في كتاب الله - عز وجل - =

وقوله تعالى : ﴿ مَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴾ . قال المفسرون : «أي ليس لأهل السموات والأرض من دون الله»^(١) . والكناية تعود إلى أهل السموات والأرض ، وقد سبق ذكرهم في قوله : ﴿ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، وهم من غيبها ؛ أي مما غابوا فيها . وقال عطاء عن ابن عباس : ﴿ مَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴾ يريد قد عرفوا عظمتي وربوبيتي فلم يتخذوا من دوني ولياً^(٢) . وعلى هذا الكناية في قوله تعود إلى المؤمنين خاصة من أهل السموات والأرض^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ . قال أبو إسحاق : «هذا على معنيين ؛ أحدهما : أنه جرى ذكر علمه وقدرته ، فأعلم أنه لا يشرك في حكمه بما يخبر به من الغيب أحداً ، كما قال : ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ٢٦] . ويكون على معنى : أنه لا يجوز أن يحكم حاكم إلا بما حكم الله ، وبما دل عليه حكم الله ، وليس لأحد أن يحكم من ذات نفسه فيكون شريكاً في حكمه يأمر بحكم كما أمر الله»^(٤) . وقرأ ابن عامر : (ولا تشرك)^(٥) ، على معنى : ولا تشرك أنت أيها الإنسان في حكمه أحداً ، على النهي عن الإشراك في حكمه ؛ أي لا يكن كمن قيل فيه : ﴿ أَشْرَكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩١] . وعلى هذه القراءة في الآية رجوع من الغيبة إلى الخطاب ، والقراءة الأولى التي عليها العامة أشبه لتقدم اسم

آيات كثيرة تدل على اتصافه سبحانه بالسمع والبصر الذي يليق بجلاله . وقال ابن سعدي في تفسيره ٢٧/٥ : تعجب من كمال سمعه وبصره ، وإحاطتهما بالمسموعات والمبصرات ، بعدما أخبر بإحاطة علمه بالمعلومات .

(١) جامع البيان ٢٣٢/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٦٥/٥٣ ، والكشاف ٣٨٧/٢ ، وزاد المسير ١٣١/٥ .

(٢) ذكره الطبري في جامع البيان ٢٣٢/١٥ من دون نسبة .

(٣) البحر المحيط ١١٧/٦ ، وروح المعاني ٢٥٦/١٥ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢٨٠/٣ .

(٥) قرأ ابن عامر الشامي : (ولا تشرك) بالتاء جزمًا . وقرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن كثير ، وحمزة ، وعاصم ، والكسائي : (ولا يشرك) بالياء والرفع . انظر : السبعة ٣٩٠ ، والحجة للقراء السبعة ١٤١/٥ ، والغاية في القراءات العشر ٣٠٦ ، والعنوان في القراءات السبع ١٢٢ ، والنشر في القراءات العشر ٣١٠/٢ .

الغبية ، وهو قوله : ﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴾ ، والهاء للغبية فكذلك قوله : ﴿ وَلَا يُشْرِكْ ﴾ ؛ أي ولا يشرك الله في حكمه أحداً^(١) .

٢٧ . قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ ﴾ . قال المفسرون : «معناه : اتبع القرآن»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ قال ابن عباس : «يريد لمواعيده»^(٣) .

وإلى هذا أشار الزَّجَّاج ، فقال : «أي ما أخبر الله به ، وما أخبر به فلا مبدل له»^(٤) . وعلى هذا المعنى : لا مبدل لحكم كلماته مما وعد به وأمر ، وقال الكلبي : «لا مغير للقرآن»^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَعَدِّلاً ﴾ . قال مجاهد : «ملجأ»^(٦) . وقال الفرَّاء : «الملتحد : الملجأ»^(٧) . وقال أبو عبيدة : «معدلاً»^(٨) .

وقال الزَّجَّاج : «أي لن تجد معدلاً عن أمره ونهيه»^(٩) . وأصل هذا الحرف : من الميل ، ومن قال : ملجأ ، فهو يؤول إلى هذا المعنى أيضاً ؛ لأنك إذا لجأت إلى

- (١) جامع البيان ٢٣٣/١٥ ، والنكت والعيون ٣/٣٠٠ ، وزاد المسير ١٣١/٥ .
- (٢) جامع البيان ٢٣٣/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٦٥/٥ ، والمحزر الوجيز ٣٩٢/١٠ ، وزاد المسير ٩٣/٥ .
- (٣) معالم التنزيل ١٦٥/٥ ، وروح المعاني ٢٥٧/١٥ .
- (٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/٢٨٠ . ويشهد لهذا قوله سبحانه في سورة الأنعام : [١١٥] : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .
- (٥) الكشف والبيان ٣/٣٨٩ ب ، ومعالم التنزيل ١٥٨/٣ .
- (٦) جامع البيان ٢٣٣/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٦٦/٥ ، والنكت والعيون ٣/٣٠١ ، وتفسير القرآن العظيم ٩٠/٣ .
- (٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/٣٩٨ .
- (٨) مجاز القرآن ١/٣٩٨ .
- (٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/٢٨٠ .

شيء فليس يكون إلا بالليل منك إليه ، وذكرنا هذا الحرف عند قوله : ﴿لَسَاتُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْبَتِي﴾ [النحل: ١٠٣] .

وقال ابن زيد في هذه الآية : «لا تجدون من دونه ملجأ ولا أحداً يمنعكم»^(١) .

٢٨ . قوله تعالى : ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ مفسراً بما فيه من النزول ، واختلاف القراءة في سورة الأنعام^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ . قال علي عن ابن عباس : «يقول لا تتعدهم إلى غيرهم»^(٣) . وقال عطاء عنه : «يريد يصددهم بالنظر والمحبة لهم»^(٤) . وقال الفراء : «لا تصرف عينك عنهم»^(٥) .

وقال الزجاج : «لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة»^(٦) . والنهي في الظاهر واقع على العينين ، والمراد منه صاحب العينين ، وهو النبي ﷺ . قوله تعالى : ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ . قال المفسرون : «يعني مجالسة أهل الشرف والغنى»^(٧) .

(١) جامع البيان ١٥ / ١٥٤ .

(٢) عند قوله سبحانه في سورة الأنعام : [٥٢] : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

(٣) جامع البيان ١٥ / ٢٣٤ .

(٤) ذكرت نحوه كتب التفسير بلا نسبة . انظر : جامع البيان ١٥ / ٢٣٤ ، وبحر العلوم ٢ / ٢٩٧ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٠٢ ، والمحزر الوجيز ٩ / ٢٩٣ ، وزاد المسير ٥ / ١٣٢ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢ / ١٤٠ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣ / ٢٨١ .

(٧) جامع البيان ١٥ / ٢٣٥ ، ومعالم التنزيل ٥ / ١٦٦ ، والنكت والعيون ٣ / ٣٠٢ ، وزاد المسير ٥ / ١٣٣ .

وقال أهل المعاني: «قوله: ﴿ثُرِيدٌ﴾ هاهنا في موضع الحال»^(١)؛ أي مريداً، نهي أن يرفع بصره عن ضعفاء المؤمنين مريداً مجالسة الأشراف، وكان ﷺ حريصاً على إيمان الرؤساء طمعاً في إيمان أتباعهم، ولم ينسب إلى إرادة زينة الحياة الدنيا؛ لأنه لم يميل إلى الدنيا قط ولا إلى أهلها، وإنما كان يلين في بعض الأحيان للرؤساء طمعاً في إيمانهم، فعوتب بهذه الآية، وأمر بأن يجعل إقباله على المؤمنين، وألاً يلتفت إلى غيرهم، ونهي أن يكون له حال يميل فيها إلى الأشراف دون الضعفاء، ومثل هذه الآية قوله: ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعْنَىٰ ۖ فَآَنَتْ لَهُ تَصَدَّىٰ﴾ [عبس: ٥-٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾. قال ابن عباس: «يريد عيئة وأباه»^(٢)؛ أي لا تطعمهم في تنحية الفقراء عنك ليجلسوا إليك.

وسئل أبو العباس عن قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾. فقال: «من جعلناه غافلاً. قال: ويكون في الكلام أغفلته سميته غافلاً، ووجدته غافلاً»^(٣)، وتأويل ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ تركناه غُفلاً عن الذكر، كالأرض الغُفْل التي لا علامة بها، والكتاب الغُفْل الذي لا شكل عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَكَاثَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. قال مجاهد: «ضياعاً»^(٤). وقال قتادة: «ضاع أكبر الضيعة»^(٥). وقال السدي: «هلاكاً»^(٦).

(١) الكشف ٣٨٨/٢، والبحر المحيط ١١٩/٦، والدر المصون ٤٧٤/٧.

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزيل ١٦٦/٥ من دون نسبة، وزاد المسير ١٣٣/٥، والجامع لأحكام القرآن ٣٩٢/١٠.

(٣) تهذيب اللغة (غفل) ٢٦٨١/٣.

(٤) جامع البيان ٢٣٦/١٥، ومعالم التنزيل ١٦٧/٥، وزاد المسير ١٣٣/٥، والدر المنثور ٣٩٩/٤.

(٥) معالم التنزيل ١٦٧/٥.

(٦) جامع البيان ٢٣٦/١٥، وبحر العلوم ٢٩٧/٢.

وقال أبو الهيثم : «أمر فرط ؛ أي متهاون به»^(١) . وشبه أن يكون أصل هذا من التفريط ، وهو تقديم العجز ، وهذا بمعنى قول أبي إسحاق^(٢) . ومن قدم العجز في أمره أضاعه وأهلكه ، ومعنى هذا أنه ترك الإيمان والاستدلال بآيات الله واتبع هواه .

الليث : «الْفَرَطُ : الأمر الذي يُفَرِّط فيه ، تقول : كل أمر فلان فَرَطٌ»^(٣) ، ونحو هذا قال الفرّاء : «فُرْطاً : متروكاً قد ترك فيه الطاعة»^(٤) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد أنه أفرط في مسألته ، وأحب أن يرتفع عند الله بغير تقوى»^(٥) ، يعني حين أراد مجالسة النبي ﷺ والقرب منه ، والتقدم على أهل الإيمان من غير طاعة وتقوى . وعلى هذا الفَرَط اسم من الإفراط ، وهو مجاوزة الحد ، ونحو هذا روي عن مقاتل أنه قال في قوله : ﴿فُرْطًا﴾ قال : (سرفاً)^(٦) . فيحتمل أنه يريد بالمسرف ما ذكرنا عن ابن عباس ، ويحتمل أن يريد ما ذكره الكلبي والفرّاء .

قال الكلبي : «قال عيينة : إنا رؤوس مضر»^(٧) وأشرافها ، فإن نسلم يسلم الناس بعدنا»^(٨) .

(١) تهذيب اللغة (فرط) ٢٧٧٣ / ٣ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢٨١ / ٣ .

(٣) التفسير الكبير ١١٨ / ١٦ ، وتهذيب اللغة (فرط) ٢٧٧٣ / ٣ .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ١٤٠ / ٢ .

(٥) ذكر نحوه بلا نسبة الألويسي في روح المعاني ٢٦٥ / ١٥ .

(٦) معالم التنزيل ١٦٧ / ٥ ، والنكت والعيون ٣٠٢ / ٣ ، والبحر المحيط ١٢٠ / ٦ ، وروح المعاني ٢٦٥ / ١٥ .

(٧) مضر : نسبة إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهو جد جاهلي تنتسب إليه كثير من القبائل العدنانية ، وهو أخو ربيعة بن نزار . انظر : سير ابن هشام ٧٣ / ١ ، والأنساب ٣١٨ / ٥ ، والإيناس بعلم الأنساب ٢٩ ، والمنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب ٤٠٣ .

(٨) ذكر نحوه البغوي في معالم التنزيل ١٦٧ / ٥ ، وزاد المسير ١٣٣ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٩٢ / ١٠ .

وقال الفرّاء : «إنه أفرط في القول ، فقال : نحن رؤوس مضر وأشرافها ، وليس كذلك»^(١) . وعلى هذا كان أمره فُرُطاً لإفراطه في القول والبذخ ، حيث قال : إنه رأس العرب وهم أتباعه على دينه . ويقال : أمر فُرُط ؛ أي مجاوز فيه الحدود . روي عن أبي زيد البلخي أنه قال : «معناه : قدماً في الشر»^(٢) . وعلى هذا أصله من قوله : فَرَطَ منه أمر ؛ أي سبق وبدر^(٣) .

ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا﴾ [طه : ٤٥] ، ومنه يقال : فرس فُرُط ؛ أي سريعة ، قال لبيد^(٤) :

فُرُطٌ وشاحي إذ غدوتُ لجامها

٢٩ . قوله تعالى : ﴿وَقُلْ﴾ قال عطاء عن ابن عباس : «وقل يا محمد لمن جاءك من أهل الدنيا شريفاً أو وضيعاً»^(٥) . قال المفسرون : قل لهؤلاء الذين أمروك بتنحية الفقراء عنك ، وإدناء مجلسهم ليؤمنوا بك .

(١) معاني القرآن للفرّاء ٢ / ١٤٠ .

(٢) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة بلا نسبة (فرط) ٣ / ٢٧٧٣ ، ولسان العرب (فرط) ٦ / ٣٣٩١ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (فرط) ٣ / ٢٧٧٣ ، ومقاييس اللغة (فرط) ٤ / ٤٩٠ ، والقاموس المحيط (فرط) ٦٨١ ، ولسان العرب ٦ / ٣٣٩١ ، والصاحح (فرط) ٣ / ١١٤٨ . وقال الطبري - رحمه الله - في تفسيره ١٥ / ٢٣٦ : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه ضياعاً وهلاكاً من قولهم : أفرط فلان في هذا الأمر إفراطاً ، إذا أسرف فيه وتجاوز قدره . وكذلك قوله ﴿وَكَاثَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف : ٢٨] معناه وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا في الرياء والكبر واحتقار أهل الإيثار سرفاً قد تجاوز حده فضيع بذلك الحق وهلك .

(٤) هذا عجز بيت لبيد ، وصدره :

ولقد حميتُ الخيلَ تحملُ شَكَّتِي

والفرطُ : الفرس السريعة التي تنفرط الخيل ؛ أي تتقدمها . وشاحي ، لجامها : أن الفرسان كان أحدهم يتوشح اللجام ، وتوشحه إياه أن يلقيه على عاتقه ويخرج يده منه . انظر : ديوانه ٣١٥ ، وتهذيب اللغة (فرط) ٣ / ٢٧٧٣ ، ولسان العرب (فرط) ٦ / ٣٣٩١ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ١٩٥ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه . انظر : جامع البيان ١٥ / ٢٣٧ ، وبحر العلوم ٢ / ٢٩٧ ، والمحضر الوجيز ٩ / ٢٩٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ٩١ .

وقوله تعالى : ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ . قال الكسائي : «يعني هو الحق من ربكم ، وهو الإسلام»^(١) .

وقال الأخفش : «أي قل : هو الحق»^(٢) .

قال أبو إسحاق : «أي الذي أتيتكم به الحق من ربكم»^(٣) . وهذا معنى قول قتادة : ﴿الْحَقُّ﴾ هذا القرآن»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ . قال السدي : «هذا على وجه الوعيد»^(٥) . وقال قتادة : «إن ربكم بين ثم خير»^(٦) ؛ يعني التخيير الذي هو للتهديد ، كما قال الزجاج : «هذا الكلام ليس بأمر لهم ما فعلوا منه فهم

(١) ذكره الألوسي في روح المعاني ٢٦٦/١٥ ونسبه إلى الكرمانى .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٦١٨/١ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢٨١/٣ .

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣٨٩/٣ ب بلا نسبة ، والسمرقندي في بحر العلوم ٢٩٧/٢ ، والسيوطي في الدر المنثور ٣٩٩/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٥) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٢٥/١٠ من دون نسبة .

(٦) لم أقف على القول . وقال الشنقيطي - رحمه الله - عند هذه الآية ٩٢/٤ : المراد من الآية الكريمة ليس هو التخيير ، وإنما المراد بها التهديد والتخويف ، والتهديد بمثل هذه الصيغة التي ظاهرها التخيير أسلوب من أساليب اللغة العربية ، والدليل من القرآن العظيم على أن المراد في الآية التهديد والتخويف أنه أتبع ذلك بقوله : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف : ٢٩] . وهذا أصرح دليل على أن المراد التهديد والتخويف ، إذ لو كان التخيير على بابه لما توعد فاعل أحد الطرفين المخير بينهما بهذا العذاب الأليم ، وهذا أوضح كما ترى . وقال ابن تيمية في العقيدة الواسطية ٤٥ : وأهل السنة وسط بين الجبرية والقدرية ؛ لأن الجبرية يثبتون قضاء الله في أفعال العبد ، ويقولون : إنه مجبر لا قدرة له ولا اختيار ، والقدرية ينكرون قضاء الله في أفعال العباد ، ويقولون : إن العبد قادر مختار لا يتعلق فعله بقضاء الله . وأهل السنة يثبتون قضاء الله في أفعال العبد ، ويقولون : إن له قدرة واختياراً أو دعها الله فيه متعلقتين بقضاء الله ، فيثبتون للعبد مشيئة واستطاعة ، وهي القدرة إلا أنها تابعان لمشيئة الله تعالى .

فيه مطيعون ، ولكنه كلام وعيد وإنذار ، قد بين بعده ما لكل فريق من مؤمن وكافر^(١) . هذا الذي ذكرنا قول أكثر أهل التفسير^(٢) .

وروى الوالبي عن ابن عباس والضحاك في هذه الآية يقول : «من شاء الله له الإيمان آمن ، ومن شاء الله له الكفر كفر»^(٣) . وهو كقوله : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير : ٢٩] ، فعلى هذا القول قوله : ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ ؛ أي من شاء الله ، فالمشيئة مسندة إلى الله .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ ؛ أي هيأنا وأعدنا . ومضى الكلام في معنى الإعتاد^(٤) . ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ هم الذين عبدوا غير الله تعالى^(٥) .

﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ ، معنى السرادق في اللغة : كل ما أحاط بشيء واشتمل عليه من ثوب أو حائط . وأكثر ما يستعمل في الفسطاط .

قال الليث : «السرادق : كالحجرة المحوطة من غزل غليظ منسوج مضرب الأسفار للملوك ، والجمع : سرادقات»^(٦) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٨١ / ٣ .

(٢) جامع البيان ٢٣٧ / ١٥ ، ومعالم التنزيل ١٦٧ / ٥ ، والمحزر الوجيز ٢٩٤ / ٩ .

(٣) جامع البيان ٢٣٨ / ١٥ ، ومعالم التنزيل ١٦٧ / ٥ ، والدر المنثور ٣٩٩ / ٤ .

(٤) عند قوله سبحانه في سورة النساء : [١٨] : ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّاءُ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .

(٥) ويشهد لهذا قوله تعالى في سورة لقمان : [١٣] : ﴿يَبْتَغِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ .

(٦) تهذيب اللغة (سردق) ١٦٦٩ / ٢ .

قال رؤية^(١) :

سرادقُ المجدِ عليك ممدودُ

قال الأزهري : «ويقال للغبار الساطع ، والدخان الشاخص المحيط بالشيء : سرادق»^(٢) .

قال لييد يذكر الإبل^(٣) :

رفعن سرادقاً في يومٍ ريحٍ يصفقُ بينَ ميلٍ واعتدالٍ
هذا معنى السرادق في اللغة^(٤) . فأما التفسير فروى أبو سعيد الخدري عن
النبي ﷺ قال : «سرادق النار أربع جدر ، كثف كل جدار منها مسيرة أربعين
سنة»^(٥) .

(١) هذا عجز بيت لرؤية ، وصدره :

يا حكمُ بنُ المنذرِ بنُ الجارودِ

انظر : ديوانه ١٧٢ ، والكتاب ١/ ٣١٣ ، والمفصل ٢/ ٥ ، والدر المصون ٧/ ٤٧٨ ، ولسان العرب
(سردق) ٤/ ١٩٨٨ .

(٢) تهذيب اللغة (سردق) ٢/ ١٦٦٩ .

(٣) البيت لليد بن ربيعة العامري . السرادق هنا : الغبار الساطع ، والدخان الشاخص المحيط بالشيء .
انظر : ديوانه ١٠٨ ، وتهذيب اللغة : (سردق) ٢/ ١٦٦٩ - ١٦٧٠ ، والمخصص ١٠/ ٦٦ ، ولسان
العرب : (سردق) ٤/ ١٩٨٩ .

(٤) السرادق هو : كل ما أحاط بشيء نحو الشقة في المضرب ، أو الحائط المشتمل على الشيء .
انظر : تهذيب اللغة (سردق) ٢/ ١٦٦٩ ، والصحاح (سردق) ٤/ ١٤٩٦ ، والقاموس المحيط
(السرادق) ٨٩٣ .

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب : جهنم ، باب : ما جاء في صفة شراب أهل النار ٤/ ٦٠٩ ،
والإمام أحمد في مسنده ٣/ ٢٩ ، وابن المبارك في الزهد ٢/ ٩٠ ، وأبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٩٠ ،
وابن الأثير في جامع الأصول ، كتاب : القيامة ، باب : في ذكر الجنة والنار ١٠/ ٥١٤ ، والطبري
في جامع البيان ١٥/ ٢٣٩ ، والبغوي في معالم التنزيل ٥/ ١٦٨ ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم
٣/ ٩٢ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٩٩ .

وقال الكلبي : «هو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة»^(١) . وبهذا فسّر قوله تعالى : ﴿وَلَيْلٍ مِّنْ يَّحْمُورٍ﴾ [الواقعة: ٤٣] ، وقوله : ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠] ، وهذا اختيار أبي عبيدة ، وابن قتيبة^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَأِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾ . قال المفسرون أي مما هم فيه من العذاب وشدة العطش . ﴿يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمُهْلِ﴾ . قال أبو عبيد : «المهل : كل فلز^(٣) أذيب»^(٤) .

وروي في حديث أبي بكر - رضي الله عنه - أنه أوصى في موضعه فقال : «ادفنوني في ثوبي هذين ، فإنما هما للمهل والتراب»^(٥) .

قال أبو عبيدة : «المهل في هذا الحديث : الصديد والقيح»^(٦) .

وقال أبو عمرو : «المهل في شيئين : هو في حديث أبي بكر : القيح والصديد ، وفي غيره : دردي الزيت»^(٧) .

(١) جامع البيان ٢٣٩/١٥ ، وتفسير القرآن للصنعاني ٣٣٨/١ ، وزاد المسير ١٣٤/٥ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٦٧/١ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٩٨/١ .

(٣) الفلز بكسر الفاء واللام وتشديد الزاي : نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغة ، أو خبت الحديد ، أو الحجارة ، أو جواهر الأرض كلها ، أو ما ينفيه الكير من كل ما يذاب منها . انظر : تهذيب اللغة (فلز) ٢٨٢٨/٣ ، ومقاييس اللغة (فلز) ٤/٤٥١ ، والقاموس المحيط (الفلز) ٥٢٠ ، ولسان العرب (فلز) ٣٤٦٠/٦ .

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ٢١٧/٣ ، وتهذيب اللغة (مهل) ٣٤٦٤/٤ .

(٥) المحرر الوجيز ٢٩٨/٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٩٥/١٠ ، وتهذيب اللغة (مهل) ٣٤٦٤/٤ ، وغريب الحديث لأبي عبيد ٢١٧/٣ ، والفاق في غريب الحديث للزخشي ٣٩٥/٣ .

(٦) تهذيب اللغة (مهل) ٣٤٦٤/٤ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٣٩٥/١٠ ، وتهذيب اللغة (مهل) ٣٤٦٤/٤ .

وقال الليث : «المهل : ضرب من القطران ، يقال : مَهَلْتُ البعير فهو مَمْهُول»^(١) .

وروى شمر عن ابن شميل : «المهل عندهم الملة إذا حميت جداً رأيتها تموج»^(٢) .

وقالت العامرية : «المهل عندنا السُّمُّ»^(٣) . هذا معنى المهل في اللغة ، وهو على ستة معان . روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله : «بماء كالمهل» قال : «كعكر الزيت»^(٤) .

وهو قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير قال : «كدردي الزيت»^(٥) . ونحو هذا روى عنه الوالبي والعوفي^(٦) . وقال مجاهد : «كالمهل : القيقح والدم»^(٧) .

(١) تهذيب اللغة (مهل) ٣٤٦٥/٤ .

(٢) تهذيب اللغة (مهل) ٣٤٦٥/٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٩٤/١٠ بلا نسبة ، وأضواء البيان ٩٥/٤ ، وتهذيب اللغة (مهل) ٣٤٦٥/٤ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٢٢/١ ، والترمذي في جامعه ، كتاب : جهنم ، باب : في صفة شراب أهل النار ٦٠٨/٤ وقال : هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ، وفي رشدين مقال ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه . وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، باب : صفة النار وأهلها ٢٧٩/٩ ، والطبري في جامع البيان ١٣٢/٢٥ ، والبغوي في معالم التنزيل ١٦٨/٥ ، وابن كثير في تفسيره ٩٢/٣ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤٠٠/٤ ، وابن حجر في الكافي الشاف (١٠٣) ، وقال : أخرجه الترمذي من طريق رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ، وتعقب قوله : بأن أحمد وأبا يعلى أخرجاه من طريق ابن لهيعة من دراج ، وبأن ابن حبان والحاكم أخرجاه من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث .

(٥) جامع البيان ١٥٨/١٥ ، وبحر العلوم ٢٩٧/٣ ، ومعالم التنزيل ١٦٠/٣ ، وتفسير القرآن العظيم

٨٤/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٩٤/١٠ .

(٦) النكت والعيون ٣/٣٠٣ ، وزاد المسير ٩٥/٥ .

(٧) جامع البيان ١٥٨/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٦٠/٣ ، والنكت والعيون ٣/٣٠٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٨٤/٣ .

وقال عطاء عن ابن عباس : «هو عكر القطران»^(١).

وروى قتادة والحسن عن ابن مسعود : «أنه سئل عن المهل ، فدعا بذهب وفضة فخلطهما ، فأذيبا حتى إذا أزيدا وانما قال : هذا أشبه شيء في الدنيا بالمهل الذي هو شراب أهل النار»^(٢). وإلى هذا القول ذهب من قال في تفسير المهل : هو الذي قد انتهى حره ؛ لأنه لا شيء أشد حرارة من هذه الجواهر إذا أذيت . وهذا القول هو اختيار الزَّجَّاج فقال : «يعني أنهم يغاثون بهاء كالرصاص المذاب والصُّفْر أو الفضة»^(٣).

وقوله تعالى : ﴿يَشْوَى آلُؤُجُوهَ﴾ . يقال : شويت اللحم أشويه شيئا ، فإذا شويته لنفسك خاصة قلت : أشويت . قال لييد^(٤) :

فَاشْتَوَى لَيْلَةً رِيحٍ وَاجْتَمَلَ

وانشوى اللحم انشواء ، ويقال : اشتوى أيضاً بهذا المعنى^(٥).

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٤ ، والبحر المحيط ٦/ ١٢١ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ١٥٨ ، والكشف والبيان ٣/ ٣٨٩ ب ، ومعالم التنزيل ٣/ ١٦٠ ، والمحزر الوجيز

١٠/ ٣٩٦ ، وزاد المسير ٥/ ٩٥ ، والدر المنثور ٤/ ٤٠٠ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٨٢ .

(٤) هذا عجز بيت للييد ، وصدره :

أَوْ نَهَتْ فَاتَاهُ رِزْقُهُ

اجتمل : انتفع بالشحم ، والشحم يسمى الجميل . انظر : ديوان لييد ١٤٠ ، ومقاييس اللغة (شوى) ٣/ ٢٢٥ ، ولسان العرب (شوا) ٤/ ٢٣٦٧ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (شوى) ٢/ ١٩٥٠ ، ومقاييس اللغة (شوى) ٣/ ٢٢٤ ، ولسان العرب (شوا) ٤/ ٢٣٦٧ ، ومختار الصحاح (شوى) ١٤٨ .

روى الخدري عن النبي ﷺ في هذه الآية قال : « فإذا قرب به إليه سقط فروة وجهه فيه »^(١).

وقال ابن عباس : « يشويه حتى يسقط لحم وجهه »^(٢). ثم ذمه فقال : ﴿ يَسْكُ الشَّرَابُ ﴾ هذا الماء الذي وصفنا . ﴿ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ ؛ أي ساءت النار مرتفقاً ، وهو نصب على التمييز^(٣) . ومعنى المرتفق في اللغة : ما يرتفق به^(٤) .

قال ابن عباس : « يريد : وبئس ما ارتفقوا به »^(٥) . واختلفت العبارات عن المفسرين في هذا ، فقال مجاهد : « مجتمعاً »^(٦) .

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٢٢ / ١ ، والترمذي في جامعه ، كتاب : جهنم ، باب : ما جاء في صفة شراب أهل النار ٦٠٨ / ٤ ، وقال : هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ، وفي رشدين مقال ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه . وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، باب : صفة النار وأهلها ٢٧٩ / ٩ ، وأخرج نحوه الحاكم في مستدركه ، كتاب : التفسير ، سورة الكهف ٣٦٨ / ٢ ، والطبري في جامع البيان ٢٤١ / ١٥ ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٩٢ / ٣ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤٠٠ / ٤ .

(٢) ذكرته كتب التفسير من دون نسبة .

انظر : جامع البيان ٢٤١ / ١٥ ، والكشف والبيان ٣٨٩ / ٣ ب ، وزاد المسير ١٦٨ / ٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٩٢ / ٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٩٤ / ١٠ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢٨٢ / ٣ .

(٤) انظر : القاموس المحيط (الرفق) ٨٨٧ ، والصحاح (رفق) ١٤٨٢ / ٤ ، ولسان العرب (رفق) ١٦٩٦ / ٣ .

(٥) ذكرت كتب التفسير نحوه من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٢٤١ / ١٥ ، وبحر العلوم ٢٩٨ / ٢ ، وزاد المسير ١٣٦ / ٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٩٢ / ٣ .

(٦) جامع البيان ١٥٨ / ١٥ ، ومعالم التنزيل ١٦٨ / ٥ ، والمحزر الوجيز ٢٩٩ / ٩ ، والنكت والعيون ٣٠٣ / ٣ .

وقال عطاء : «مَقْرَأً»^(١) . وقال الزَّجَّاج : «منزلاً»^(٢) .

وقال ابن قتيبة : «مجلساً»^(٣) . ومعنى هذه الألفاظ واحد ، وهي كلها ترجع إلى أصل واحد ، فيجوز أن ترجع إلى ما ذكرنا ، وذلك أن المنزل والدار مما يرتفق به ، ويجوز أن يكون أصلها من الارتفاق وهو الاتكاء على المرفق ، ومنه قول الهذلي^(٤) :

نَامَ الْخَلِيُّ وَبُتُّ مَرْتَفَقاً

وهذا قول ابن السكيت في قوله : ﴿مُرْتَفَقاً﴾ قال : «متكأ»^(٥) . وكل موضع نزلته وقعدت فيه فهو مرتفق لك ومتكأ .

٣٠ . ثم ذكر ما وعد المؤمنين فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية . واختلف النحويون في جواب ﴿إِنَّ﴾ الأولى ، فذكر أبو إسحاق وأبو علي فيه ثلاثة أوجه :

(١) معالم التنزيل ١٦٨/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٩٥/١٠ ، والبحر المحيط ١٢١/٦ ، وروح المعاني ٢٦٩/١٥ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢٨٢/٣ .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٦٧/١ .

(٤) هذا صدر بيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ورد برواية :

نَامَ الْخَلِيُّ وَبُتُّ مُشْتَجِراً كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ

الخلِيُّ : الذي ليس به هم . والصَّابُ : شجر بتهامة إذا قطع منه عود خرج منه لبن إذا أصاب العين أحرقها . انظر : ديوان الهذليين ١/١٠٤ ، وشرح أشعار الهذليين ١/١٢٠ ، والدر المصون ٧/٤٨٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٩٥/١٠ ، ولسان العرب (صوب) ٤/٢٥٢٠ .

(٥) تهذيب اللغة (رفق) ٢/١٤٤٤ .

أحدها : أن خبره قوله : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ على إضمار منهم ، فحذف الراجع من الخبر ؛ لأنه معلوم أن الله إنما لا يضيع أجر من أحسن عملاً من المؤمنين ، فأما من أحسن عملاً من غير المؤمنين فإن الله يحبط عمله .

الوجه الثاني : أن المعنى إنا لا نضيع أجرهم ، إلا أنه وقع المظهر موقع المضمّر ؛ لأن من أحسن عملاً في المعنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

الوجه الثالث : أن الخبر قوله : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ ويكون قوله : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ ﴾ اعتراضاً بين الاسم والخبر ، وجاز ذلك ؛ لأن من أحسن عملاً بمنزلة الذين آمنوا^(١) . وذكر الفراء وجهين آخرين أحدهما : « أن قوله : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ﴾ من عمل صالحاً ، فترك الكلام الأول ، واعتمد على الثاني كقول الشاعر^(٢) :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرَبَلُهُ سَرِبَالُ مَلِكٍ بِهِ تَزْجَى الْخَوَاتِيمُ

الثاني : أن يجعل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ في مذهب جزاء ويضمّر ، فيصير كأنك قلت : إن من عمل صالحاً فإنا لا نضيع أجره^(٣) . والقول ما ذكره أبو إسحاق وأبو علي^(٤) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٨٣/٣ ، والحجة للقراء السبعة ٦٣/٣ .

(٢) البيت لجريز ، وصدّره :

يَكْفِي الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرَبَلُهُ

انظر : ديوان جريز ٤٣١ ، ومعاني القرآن للقراء ١٤٠/٢ ، وخزانة الأدب ٣٤٤/٤ ، والبحر المحيط ١٢١/٦ ، والدر المصون ٤٨١/٧ ، ومعجم الشواهد النحوية ٥٩٥ ، والمعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية ٨٨٣/٢ ، وأبيات النحو في تفسير البحر المحيط ٣١٣ .

(٣) معاني القرآن للقراء ١٤٠/٢ .

(٤) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢٧٣/٢ ، وإملاء ما من به الرحمن ٣٩٨/١ ، والبحر المحيط ١٢١/٦ ، والدر المصون ٤٨١/٧ .

٣١. قوله تعالى: ﴿يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾. قال أبو إسحاق: «أساور جمع أسورة، وأسورة جمع سوار، يقال: سوار في اليد بالكسر، وقد حكي: سوار، وحكى قطرب: إسوار، وذكر أن أساور جمع إسوار». انتهى كلامه^(١). وقال أبو زيد: «هو سوار المرأة، وسوار المرأة، وأسورة لجماعتها، وهما قلبان يكونان في يدها»^(٢).

قال أبو علي: «قول من قال: سوار صحيح، يدل عليه قوله»^(٣):

وفي الأُكفِّ اللامعاتِ سورٌ

ففعل يجمع به هذا النحو، فأما من حكى أسوار فهذا الضرب من الأسماء قليل جداً، إلا أن الثقة إذا حكى شيئاً لزم قبوله، ونظيره قولهم: الإعصار، والإسكان، ولا يجوز عندي أن يكون الجمع الذي جاء في التنزيل مكسراً على هذا الواحد؛ ألا ترى أنه لو كان كذلك لوجب ثبات الياء في التكسير ليكون على زنة: دنانير؛ لأن حرف اللين إذا كان رابعاً في الواحد ثبت أنه الآخر الذي هو سوار جمع على أسورة، ثم جمع أسورة على أساور، كما حكى سيبويه من جمعهم أسقية على: أساق^(٤). ولو كان أساور التي في التنزيل جمع: أسوار، لكان يجب أن يكون أساوير، فلما كانت بغير الياء كانت جمع: سِوَار، كما أن أسقية جمع: سقاء، ثم جمع على: (أساق)^(٥).

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٨٣/٣.

(٢) ذكر نحوه في تهذيب اللغة (سار) ١٥٩٤/٢ بلا نسبة، وكذلك الصحاح (سور) ٦٩٠/٢.

(٣) البيت لعدي بن زيد العبادي، وصدده:

عن مبرقاتٍ بالبرين وتبدو

المبرقات: النساء المتزينات. والبرين: جمع برة، وهو الخلي. وسور: جمع سوار. انظر: ديوان عدي ١٢٧، والكتاب لسيبويه ٣٥٩/٤، والمخصص ٤٦/٤، والمنصف ٣٣٨/١، والحجة للقراء السبعة ١٥٠/٢، وشرح المفصل ٤٤/٥، وشرح الكافية لابن مالك ١٨٣٧/٤، واللسان (مع) ٤٠٧٤/٧.

(٤) الكتاب لسيبويه ٢٣٠/٣.

(٥) الإغفال في ما أغفله الزجاج من المعاني لأبي علي الفارسي ٩٤٠.

قال سعيد بن جبير : «على كل واحد منهم ثلاثة من الأساور ، واحد من فضة ، وواحد من ذهب ، وواحد من لؤلؤ ويواقيت»^(١) . وقال أهل المعاني : «السوار : زينة تلبس في الزند من اليد ، وهو من زينة الملوك تسور في اليد وتتوج على الرأس»^(٢) .

ويروى : «أن كسرى كان له تاج وسواران ، فأتي بها عمر رضي الله عنه»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ . قال الزَّجَّاج : «هما نوعان من الحرير»^(٤) .

وقال المفسرون : «السندس : مارق من الديباج ، والإستبرق : ما غلظ منه»^(٥) قال المرقش^{(٦)(٧)} :

تراهنّ يلبسنَ المشاعرَ مرّةً وإستبرقُ الديباجِ طوراً لبأسها

- (١) معالم التنزيل ١٦٩/٥ ، وزاد المسير ١٣٧/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٩٦/١٠ .
- (٢) انظر : تهذيب اللغة (سار) ١٥٩٤/٢ ، والصحاح (سور) ٦٩٠/٢ ، ولسان العرب (سور) ٢١٤٨/٤ .
- (٣) ذكره ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة ٦٩/٣ عند ترجمة سراقه بن مالك رضي الله عنه ، وأسند الغابة ١٨٠/٢ ترجمة سراقه بن مالك .
- (٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٨٤/٣ .
- (٥) جامع البيان ٢٤٣/١٥ ، ومعالم التنزيل ١٦٩/٥ ، والمحزر الوجيز ٣٠٢/٩ .
- (٦) ربيعة بن سعد بن مالك ، ويقال هو : عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، أحد المتيمين ، كان يهوى ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك ، وهو شاعر جاهلي ، عرف بالشجاعة والقوة ، والمرقش لقب غلب عليه ، بسبب قوله بيت من الشعر فلقب به . انظر : الشعر والشعراء ١١٩ ، وخزانة الأدب ٣١٣/٨ .
- (٧) البيت للمرقش ذكرته كتب التفسير من دون نسبة . انظر : جامع البيان ٢٤٣/١٥ ، والنكت والعيون ٣٠٥/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٩٧/١٠ ، والدر المصون ٤٨٤/٧ ، وفتح القدير ٤٠٤/٣ .

وهو اسم أعجمي أصله بالفارسية : [استبر ، ونقل من العجمية إلى العربية ، كما سمي الديباج ، وهو منقول من الفارسية]^(١) .

قال أبو علي : «الإستبرق لا تخلو حروفه من أن تكون أصولاً كلها أو بعضها أصولاً وبعضها زائداً ، ولا يجوز أن تكون أصولاً ؛ لأنه ليس من كلامهم في الأسماء والأفعال ما هو على ستة أحرف أصول ، ولا يجوز أن تكون الهمزة وحدها زائدة ؛ لأنها لم تلحق زائدة أول بنات الأربعة ، فإن لا تلحق أوائل بنات الخمسة أجدر ، فإذا لم يجر هذا فلا بُدَّ من أن ينضم إليها في الزيادة غيرها ، فلا يجوز أن تكون السين ؛ لأنها لم تزد مع الهمزة أولاً ، ولا يجوز أيضاً أن تكون التاء مع الهمزة ، كما لم يجر أن تكون السين ، فإذا لم يجر هذا علمت أن الزيادة ، وهي التاء والسين مع الهمزة ، وأن الكلمة من الثلث ، ولما نقلت فأعربت وافق التعريب وزن استفعل الذي هو مثال من أمثلة الماضي ، إلا أن الهمزة منه قطعت لينقل من مثال الفعل إلى الاسم ، وكان قطع الهمزة أحد ما نقل به الفعل إلى أحكام الاسم ، وجعل النحويون هذا الحرف ومجيء الهمزة مقطوعة فيه أصلاً لجميع ما أوله همزة موصولة إذا نُقل سمي به ، فقطعوا الهمزة في جميع ذلك ، يقال : لو سميت رجلاً بأضرب وأشرب أو أقتل قطعت الهمزة في جميع ذلك ؛ لأنه ليس من حكم الاسم أن يلحق همزة الوصل أولها ، والحروف التي لحقت همزة الوصل أولها كما لابن والاسم أشبهت الأفعال عند النحويين لما لحق أو آخرها الحذف الذي يلحق الأفعال في الجزم ، فلحق أولها همزة الوصل أيضاً لهذه المشابهة التي بينها»^(٢) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل .

(٢) ذكر نحوه مختصراً في الإغفال في ما أغفله الرَّجَّاج من المعاني ٩٤٤ .

وروي عن ابن محيصن^(١) أنه كان يقرأ : واستبرق ، موصولة الألف مفتوحة الآخر على مثال الماضي^(٢) ، نحو : استفعل ، وذلك لا يجوز ؛ لأنه ليس هذا الحرف استفعل من برق ، وإنما وافق اللفظ ، واللفظ في التقريب [كما أن سراويل في التقريب]^(٣) وافق هذا اللفظ وإن لم يكن في كلامهم ، وإذا كان كذلك لم يتبع أن يجعل مثال الماضي ، ولكنه اسم جنس ، يدل على ذلك دخول لام المعرفة عليه ، والجار في نحو قوله : ﴿بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] . وإذا كان كذلك ففتحه لا يجوز ، إذ ليس بفعل ، وإذا لم يكن فعلاً كان اسماً أعجمياً [معرباً واقعاً على الجنس ، كما أن السندس والخز^(٤)] كذلك^(٥) كان بمنزلة الديباج والفِرند^(٦) ، والبريم^(٧) ، ونحو ذلك من الأسماء المنقولة نكرة ، وليس من باب إبراهيم وإسماعيل ، وإذا كان من هذا الضرب لم يكن فيه إلا الصرف إلا أن يُسمَّى به شيء فينضم إلى مثال الفعل التعريف ، فإذا لم يكن كذلك فترك الصرف فيه لا يستقيم .

- (١) محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي ، إمام فاضل ، علم بالقراءات ، ثقة محدث ، قرأ القرآن على عدد من أصحاب النبي ﷺ ، وقرأ عليه عدد من التابعين ، توفي - رحمه الله - في مكة سنة ١٢٣ هـ . انظر : الوافي بالوفيات ٢٢٣/٣ ، وغاية النهاية ١٦٧/٢ ، ومعركة الكبار ٩٨/١ ، وتهذيب التهذيب ٤٧٤/٧ ، وشذرات الذهب ١٦٢/١ .
- (٢) المحتسب لابن جني ٢٩/٢ ، والقراءات الشاذة للقاضي ٦٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢١٣/٢ .
- (٣) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .
- (٤) الخز : نوع منه الثياب معروف مشتق منه ، عربي صحيح ، وهو من الجواهر المصوف بها . انظر : القاموس المحيط (الخز) ٥١٠ ، والصحاح (خز) ٨٧٧/٣ ، ولسان العرب (خز) ١١٤٩/٢ ، ومختار الصحاح (خز) ٧٣ .
- (٥) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، ومثبت في بقية النسخ .
- (٦) الفِرند : دخيل معرب وهو اسم للثوب . ويطلق على السيف . انظر : تهذيب اللغة (فرند) ٢٧٨٣/٣ ، والقاموس المحيط (الفرند) ٣٠٦ ، والصحاح (فرند) ٥١٩/٢ ، ولسان العرب (فرند) ٣٤٥٥/٦ .
- (٧) البريم : ثوب فيه قرز وكتان . وقيل : خيط ينظم فيه خرز فتشدده المرأة على حقوئها . انظر : تهذيب اللغة (برم) ٣٢١/١ ، ومعجم مقاييس اللغة (برم) ٢٣١/١ ، والصحاح (برم) ١٨٦٩/٥ .

وقوله تعالى : ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ . يقال : اتكأ الرجل ، وأصله : اوتكأ ، مثل :
اتزن من الوزن ، والتكأ أصلها : وكأ ، ومنه التوكؤ ، وهو : التحامل على الشيء ،
قال الله تعالى : ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ [طه : ١٨] ، ورجل تكأ إذا كان كثير
الالتكأ ، وهو في الأصل وكأ ، فقلبت الواو تاء كما قالوا : تكلة في موضع وكلة ،
ويقال : تكأ الرجل يتكئ مثل اتكأ ، وأوكأت فلاناً إذا نصبت له متكأ^(١) .

وقوله : ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة . قال الليث : «هي سرير حجلة ،
فالحجلة والسرير أريكة ، وجمعها : أرائك»^(٢) . وهو قول المفسرين ، قال
ابن عباس ومجاهد : ﴿الْأَرَائِكِ﴾ : السُرر في الحجال^(٣) . ولا يكون أريكة حتى
يكون السرير في الحجلة .

وقال أبو إسحاق : ﴿الْأَرَائِكِ﴾ : الفرش في الحجال^(٤) .

-
- (١) انظر : تهذيب اللغة (تكئ) ١/ ٤٤٥ ، والصحاح (وكأ) ١/ ٨٢ ، ولسان العرب (وكأ) ٨/ ٤٩٠٤ .
(٢) ذكرته كتب اللغة من دون نسبة . انظر : تهذيب اللغة (أرك) ١/ ١٤٩ ، وتاج العروس (أرك)
١٣/ ٥٠٤ ، والقاموس المحيط (الأراك) ٩٣١ ، ولسان العرب (أرك) ١/ ٦٤ وقال : هي الأسرة ،
وهي في الحقيقة الفرش ، كانت في الحجال أو في غير الحجال ، وقيل : الأريكة سرير منجد مزين في
قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة .
(٣) جامع البيان ١٥/ ٢٤٣ ، وتفسير القرآن ٣/ ٩٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٩٨ ، والدر المنثور
٤/ ٤٠٣ .
(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٨٤ .

قال ابن عباس^(١): «يريد الأسرّة من ذهب مكلّلة بالدر والياقوت عليها الحجال، الأريكة ما بين صنعاء^(٢) إلى أيلة^(٣)، وما بين عدن^(٤) إلى الجابية^(٥)». وما نزلت من الصفة أعظم.

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٩٨/١٠

(٢) صنعاء: موضعان؛ أحدهما: باليمن وهي العظمى، وأخرى: قرية بالغوطة من دمشق، وصنعاء اليمن: اسمها قديماً أزال، وبينها وبين عدن ثمانية وستون ميلاً، وهي قصبة اليمن، وأحسن بلادها، وقيل: سميت بصنعاء ابن أزال بن يقطن بن عابر وهو السذي بناها، وأثنى عليها العلماء ومدحوها ونسب إليها خلق كثير.

وصنعاء دمشق: قرية كانت في جانبها الغربي على باب دمشق دون المزة، مقابل مسجد خاتون خريت، وهي اليوم مزرعة وبساتين وقد خربت من العمران، وينسب إليها جماعة من المحدثين والعلماء. انظر: معجم البلدان ٤٢٥/٣، وتهذيب الأسماء واللغات ١٨٢/٣، ومعجم ما استعجم ٨٤٣.

(٣) أيلة بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم، ممالي الشام، وقيل: هي مدينة عامرة في بلاد الشام بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم، وقيل: سميت بأيلة أبنه مدين بن إبراهيم عليه السلام. انظر: معجم البلدان ٢٩٢/١، وتهذيب الأسماء واللغات ١٩/٣.

(٤) عدن بالتحريك وآخره نون، وهو من قولهم: عدن بالمكان إذا أقام به، وبذلك سميت عدن، وهي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، وهذا الموضع هو مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون إليه، لأجل ذلك فإنها بلدة تجارة وعدن جنوبية تهامة. وهو أقدم أسواق العرب، وقيل: سميت عدن: بعدن ابن سينان بن نفيشان بن إبراهيم. وقيل غير ذلك. انظر: معجم البلدان ٨٩/٤، ومعجم ما استعجم ٩٢٤/٣، وتهذيب الأسماء واللغات ٥٥/٣.

(٥) الجابية: قرية من أعمال دمشق، ثم من أعمال الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصقر في شمالي حوران، وهي قرية معروفة بجنب نوى على ثلاثة أميال منها من جانب الشمال، وإلى هذه القرية ينسب باب الجابية أحد أبواب دمشق، وسميت الجابية تشبيهاً بما يجي في الماء، فإن الجابية اسم للحوض، فسميت جابية لكثرة مياهها، وقيل: سميت بذلك لاجتماع الناس بها وكثرتهم فيها؛ لكونها أرضاً خصبة. انظر: معجم البلدان ١٩/٢، وتهذيب الأسماء واللغات ٦٠/٣.

وقوله تعالى : ﴿نِعَمَ الثَّوَابُ﴾ . قال : يريد طاب ثوابهم وعُظُم ، ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ يعني حسنت الأرائك مرتفقاً ؛ أي موضع ارتفاق ، بمعنى اتكأ ، قاله الفراء في المصادر^(١) . ومرر معنا تفسير المرتفق آنفاً .

* * *

(١) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة بلا نسبة (رفق) ٢ / ١٤٤٤ ، وابن منظور في لسان العرب (رفق) ٣ / ١٦٩٥ .